مرقاة المفاتيح
للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري المتوفى سنة ١٠١٤هـ
شرح مشكاة المصابيح
للإمام العلامة محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٧٤١هـ
تحقيق
الشيخ جمال عيتاني
تنبيه:
وضعنا متن المشكاة في أعلى الصفحات، ووضعنا أسفل منها نص مرقاة
المفاتيح؛ وألحقنا في آخر المجلد الحادي عشر كتاب الإكمال في أسماء الرجال
وهو تراجم رجال المشكاة للعلامة التبريزي
منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مرقاة المفاتيح

للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري المتوفى سنة ١٠١٤هـ

شرح مشكاة المصابيح

للإمام العلامة محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٧٤١هـ

تحقيق

الشيخ جمال عيتاني

تنبيه:

وضعنا متن المشكاة في أعلى الصفحات، ووضعنا أسفل منها نص "مرقاة المفاتيح" وألحقنا في آخر المجلد الحادي عشر كتاب "الإكمال في أسماء الرجال" وهو تراجم رجال المشكاة للعلامة التبريزي

الجزء الأول

المحتوى

كتاب الإيمان - كتاب العلم

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

وبإشارة قول النبي ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» أتوجه بالشكر العميق غير الممنون إلى كل الإخوة والأحباب والزملاء في كلية الشريعة الإسلامية ـ بيروت؛ الذين ساعدوني في إنجاز هذا العمل الضخم الذي لا يقدره غيرُ أهله.

هذا في العموم وأما في الخصوص فأتوجه بلسان الحال والمقال إلى كل من الإخوة الأفاضل:

ـ الشيخ صالح رياض الرفاعي.

ـ الشيخ فؤاد أحمد زراد.

ـ الأستاذ عبد الرزاق اسبرآغا.

كما أتوجه بالشكر أيضاً إلى كل من شارك في طبع هذا الكتاب المستطاب، وإخراجه بهذه الحلة القشيبة. فجزاهم الله تعالى كل خير ووقاهم الأذى والضير. ويرحم الله عبداً قال آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا وسندنا محمد مسك ختام الأنبياء، وباب وصول الأولياء وحجة العلماء، ومحجة الأصفياء. وعلى آله السادة الأنقياء، وأصحابه البررة الأوفياء، ما أنار بدر بلألآه ولاح مصباح بضياء.

أما بعد، فإن علوم السنة المطهرة من أجل العلوم قدراً لتعلقها بأشرف المخلوقين ذكراً؛ والعلم يشرف بشرف المعلوم!!

ولقد قيض الله تعالى لخدمة علوم السنة علماء أوفياء قاموا بحفظها والذب عنها جيلاً بعد جيل حتى وصلت إلينا غضة طرية لامعة مضية.

كيف لا؟! والعناية بها من العناية بكتاب الله تعالى. حيث إن الكتاب والسنة توأمان لا ينفكان ولا يتم التشريع إلا بهما: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [النحل/ ٤٤].

فالسنة هي التي تبين ما جاء في الكتاب سواء في تخصيص العام أو تقييد المطلق أو تبيين المجمل...

وكلما احتاج الكتاب إلى السنة كلما تصعدت السنة إلى منزلة الكتاب.

قال الله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾ الآية [الحشر/ ٧].

وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه لقي رجلاً محرماً وعليه ثيابه فقال له: انزع عنك هذا. فقال الرجل اقرأ علي في هذا آية من كتاب الله تعالى. قال نعم فقرأ عليه: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه...﴾.

وأخرج أصحاب السنن واللفظ لأبي داود: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا إنه يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي...» والحديث بتمامه أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة باب لزوم السنة.

فجاء المحدثون والحفاظ ودونوا ما حفظوا وما جمعوا وبينوا الصحيح من الضعيف.

وتفنن الحفاظ في جمع الحديث من طرق شتى فمنهم من جمع الصحيح وأفرده في التصنيف كما فعل الإمام البخاري والإمام مسلم في صحيحيهما ومنهم من استدرك عليهم ومنهم من جمع الصحيح والحسن والضعيف كما فعل أصحاب الكتب الأربعة أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وغيرهم كالدارمي والدارقطني والبيهقي.

ومنهم من جمع الحديث على المسانيد كالإمام أحمد وأبي يعلى والبزار وغيرهم. ومنهم من جمع وفق أبواب الفقه كمالك في «الموطأ» والبيهقي في «السنن الكبرى».

ومنهم من جمع الحديث في موضوع واحد كما فعل ابن المبارك في «الزهد» وابن أبي الدنيا في «أدب الدنيا والدين» وأبو عبيدة في كتابه «الأموال» والبيهقي في «شعب الإيمان» وغيرهم كثير.

ومنهم من جمع الأحاديث التي انتهى إليها علمه كما فعل السيوطي في «الجامع الصغير» و«الجامع الكبير».

ومنهم من اختص بجمع الحديث الموضوع وبين وضعه وزيفه كما فعل ابن الجوزي والصغاني وابن عراق والسيوطي وآخرون. وبرز أيضاً علماء جهدوا بوضع القواعد ودراسة الأسانيد ورجالها وأحوالهم.

ثم إن العلماء المحققين والأفاضل المدققين قاموا بشرح الأحاديث النبوية المدونة في الكتب الحديثية فألفوا الشروحات والحواشي كما فعل الإمام النووي والإمام ابن حجر العسقلاني والإمام العيني والإمام ملا علي القاري رحمهم الله تعالى. وغير هؤلاء كثير ممن لا يسعنا ذكرهم على هذه الورقات، وإلا لاحتجنا إلى المجلدات لذكر فضل هؤلاء الأعلام على هذه الأمة.

والكتاب الذي نقدم له بين يدي هذه العجالة يعتبر واحداً من دواوين السنة والأثر. وقد امتاز بعناية علماء الحديث به، فشرحوه وعلقوا عليه واختصروه كما يجيء مفصلاً إن شاء الله تعالى.

التعريف بالكتاب[1]:

يعود أصل كتاب «المشكاة» إلى كتاب «مصابيح السنة» للإمام البغوي. ولم يشك أحد في نسبة الكتاب إليه.

وقد صنفه الإمام البغوي مجرداً عن الأسانيد، من غير راوي الحديث. وقسمه قسمين مُصطلحاً لنفسه اصطلاحاً لم يقم به أيٌ من علماء الحديث قبله حيث قسمه إلى صحاح وحسان. وضمن قسم الصحاح ما أخرجه الشيخان أو أحدهما.

أما الحسان فقد ضمنه ما أخرجه الأربعة وأحمد والدارمي والبيهقي في شعب الإيمان

---

(١) «كشف الظنون»: ٢/١٦٩٨ - ١٧٠٠، ومقدمة كتاب «مصابيح السنة» ١/٦٣. و«الرسالة المستطرفة» ص: ١٣٣.

وغيرهم. وما كان فيه من ضعيف أو غريب أشار إليه. وقد التزم البغوي بنهجه إلى حد كبير. إلا أنه أودع فيه روايات مرسلة وضعيفة حتى رمي ثمانية عشر حديثاً بالوضع. أجاب عنها الإمام ابن حجر العسقلاني في رسالة مستقلة؛ طبعت بآخر نسخ الشرح.

تقبل الناس هذا الكتاب فأقبل عليه العلماء، وألفوا حوله المختصرات والشروحات والتخريجات. منهم:

١ - أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردي ت(٥٦٣هـ) له مختصر «المصابيح».

٢ - محمد بن محمد أبو الحسن الخاوراني ت(٥٧١هـ) وله «التلويح في شرح المصابيح».

٣ - شهاب الدين فضل الله بن حسن التوربشتي الحنفي ت(٦٠٠هـ) وسماه «الميسر».

٤ - علي بن عبد الله بن أحمد المعروف بزين العرب؛ ألف ثلاثة شروح كبير وأوسط وصغير.

٥ - القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي ت(٦٨٥هـ) له شرح سماه «تحفة الأبرار».

٦ - مظهر الدين، الحسين بن محمود بن الحسن الزيداني ت(٧٢٧هـ) له «المفاتيح في شرح [حل] المصابيح».

٧ - الشيخ محمد المناوي ت(٧٤٦هـ) له شرح للمصابيح سماه «لباب الصدر».

٨ - صدر الدين أبو عبد الله محمد شرف الدين بن إبراهيم السلمي المناوي الشافعي ت(٧٤٨هـ) له شرح للمصابيح سماه «كشف المناهيج والتناقيح في شرح أحاديث المصابيح».

٩ - تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي ت(٧٥٦هـ) وله شرح سماه «ضياء المصابيح».

١٠ - أبو محمد بن محمد بن حسين الفضالي الفرغوي السكاداري ت(٧٧٧هـ) وله أسماء الصحابة والتابعين مما ذكره في «المصابيح».

١١ - محمد بن عبد اللطيف بن عبد العزيز بن ملك الرومي، وقد وضع شرحاً للمصابيح.

١٢ - الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني ت(٨٥٢هـ) وله كتاب «هداية الرواة إلى تخريج المصابيح والمشكاة» وله أيضاً رسالة فيها أجوبة عن أحاديث رميت بالوضع.

وغير أولئك كثير حتى قام الشيخ ولي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ت(٧٣٧هـ) بتخريج أحاديث المصابيح وبتكميله وبتذييل أبوابه فذكر الصحابي الذي روى الحديث وذكر من خرجه من الأئمة. وأضاف عليه باباً ثالثاً جمع فيه الصحيح والحسن إلا ما ندر.

وسمى كتابه مشكاة المصابيح فرغ منه في رمضان (٧٣٧هـ).

ولكتاب مشكاة المصابيح شروحٌ كثيرة منها:

١ - «الكاشف عن حقائق السنن» للحسن بن محمد الطيبي ت(٧٤٣هـ).

٢ ـ «شرح الجرجاني» ت(٨١٦هـ).

٣ ـ «منهاج المشكاة» لعبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز الأبهري ت(٨٩٥هـ).

٤ ـ «فتح الإله في شرح المشكاة» لابن حجر الهيتمي ت(٩٧٤هـ).

٥ ـ «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» للملا علي القاري الهروي ت(١٠١٤هـ).

٦ ـ «نجوم المشكاة» للصديق الشريف فرغ منه (١٠٣٣هـ).

٧ ـ «حاشية مشكاة المصابيح» لجلال الدين الكرلاني.

٨ ـ «تنقيح الرواة في أحاديث المشكاة» للمولوي السيد أحمد حسن.

٩ ـ «التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح» لمحمد إدريس الكاندهلوي.

وقد اختصر كتاب المشكاة فمنها:

١ ـ «سراج الهداية» لسراج الدين حسين بن بهاء الدين شاهجهانابادي.

٢ ـ «الرحمة المهداة تكملة المشكاة» لنور الحسن خان بن صادق بن خان.

ترجمة الإمام البغوي

اسمه ونسبه:

هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، ركن الدين الملقب بـ «محيي السنة» ويلقب أيضاً بـ «الفراء» و«ابن الفراء» نسبة إلى عمل الفراء وبيعها كما يقول ابن خلكان(١) ولد في «بَغ» وهي بليدة من بلاد وخرسان بين «مَرْو» و«هَرَاة» عام ٤٣٣هـ كما ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان(٢).

رحلته ونشأته العلمية:

انتقل الإمام البغوي من مسقط رأسه إلى «مَرْو الرُّوذ»(٣) وكان يبلغ من العمر سبعاً وعشرين سنة وتلقى العلم على شيوخها واتخذها وطناً ثانياً له ولم يغادرها حتى توفي بها.

وأما نشأته فهي نشأة الزاهد الورع فكان يأكل الخبز البحت فقيل فيه إنه يتزهد فعدل في ذلك فصار يأكل الخبز مع الزيت(٤).

يقول الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء: «كان لا يلقي الدرس إلا على طهارة وكان مقتصداً في لباسه له ثوب خام وعمامة صغيرة»(٥).

---

(١) «وفيات الأعيان» ١/ ٤٠٢.

(٢) «معجم البلدان» ٢/ ٢٤٥. [وبَغ يقال لها «بَغْشُوْر». بضم الشين وسكون الواو. والنسبة إليها «بغوي» وخراسان بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند وغزنة وسجستان (معجم البلدان ٣/ ٤٠٧). أما مَرْوُ ويقال لها أيضاً «مَرْوُ الشاهجان» أشهر مدن خراسان وقصبتها وبين مرو ونيسابور سبعون فرسخاً. (معجم البلدان ٨/ ٣٣). وأما هراة بالفتح فهي مدينة عظيمة من أمهات مدن خراسان (معجم البلدان ٨/ ٤٥١)].

(٣) «مَرْوُ الرُّوذ» والنسبة إليها «مَرْوروذي» و«مَرُّوذي» وهي مدينة قريبة من مَرْو بينهما خمسة أيام [معجم البلدان ٨/ ٣٢].

(٤) وفيات الأعيان ١/ ٤٠٢.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٤١.

مكانته العلمية:

جمع البغوي اختصاصات متعددة في فروع العلم والمعرفة كالتفسير والقراءات والحديث والفقه وأكثر من التصنيف في ذلك. فكان إماماً جمّاعة في العلم والمعرفة مع وفور التحقيق وكمال التدقيق!!

يقول الحافظ الذهبي: «بورك في تصانيفه، ورزق فيها القبول التام لحسن قصده وصدق نيته، وتنافس العلماء في تحصيلها»(١).

ويقول عنه ابن نقطة في كتاب «الاستدراك»: «إمام حافظ، ثقة، صالح»(٢).

وذكره تاج الدين السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» فقال: «كان إماماً جليلاً، ورعاً زاهداً، فقيهاً، محدثاً، مفسراً جامعاً بين العلم والعمل سالكاً سبيل السلف له في الفقه اليد الباسطة»(٣).

شيوخه:

نظراً لتلك المكانة العلمية التي احتلها الإمام البغوي، كان من الطبيعي أن تكثر شيوخه وتتعدد تبعاً لتنوع الفنون التي شارك فيها إمامنا ـ رحمه الله تعالى ـ ومن هؤلاء الشيوخ:

١ ـ شيخ الزهاد في هَرَاة أبو بكر أحمد بن أبي نصر الكوفاني.

٢ ـ الحافظ الثقة محدث وقته بخُراسان أبو صالح أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد النيسابوري ت(٤٧٠هـ).

٣ ـ القاضي الفقيه الشافعي أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد المروزي فقيه المذهب الشافعي في خُراسان في عصره ت(٤٦٢هـ). وكان البغوي من أخص تلاميذه.

٤ ـ أبو علي حسان بن سعيد المنيعي المروزي من أهل مَرْو الروذ. كان ثرياً سخياً متواضعاً عابداً ت(٤٦٣هـ).

٥ ـ الإمام الفقيه الصالح الزاهد الأديب الصوفي أبو الحسن عبد الرحمٰن بن محمد بن محمد بن المظفر الداودي البوشنجي.

٦ ـ شيخ خُراسان في عصره زهداً وعلماً أبو القاسم عبد الكريم بن عبد الملك بن طلحة القشيري النيسابوري ت(٤٦٥هـ).

٧ ـ المحدث أبو عمر، عبد الواحد بن أحمد بن أبي القاسم المليحي الهروي راوي الصحيح عن النعيمي ت(٤٦٣هـ).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مقدمة «مصابيح السنة» ١/ ٣٢.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٤/ ٢١٤.

٨ ـ المحدث الصوفي شيخ الحجاز أبو الحسن علي بن يوسف الجويني عم إمام الحرمين ت(٤٦٣هـ).

٩ ـ الإمام الفاضل الفقيه البارع والمتكلم والأصولي أبو طاهر عمر بن عبد العزيز بن أحمد بن يوسف القاشاني المروزي.

١٠ ـ أبو بكر يعقوب بن أحمد الصيرفي النيسابوري ت(٤٦٦هـ).

١١ ـ الفقيه الشافعي مفتي نيسابور أبو تراب عبد الباقي بن يوسف بن علي بن صالح بن عبد الملك المراغي ت(٤٩٢هـ).

تلاميذه:

أما تلاميذه فهم كثر أيضاً؛ ومن هؤلاء التلاميذ:

١ ـ أخوه الحسن بن مسعود البغوي (٥٢٩).

٢ ـ الفقيه المناظر الورع العابد عبد الرحمن بن علي بن أبي العباس النعيمي الموفقي ت(٥٤٢هـ).

٣ ـ عمر بن الحسن بن الحسين الرازي، والد الإمام الرازي صاحب «التفسير الكبير» ت(٦٠٦هـ).

٤ ـ محمد بن أسعد بن محمد بن الحسين بن القاسم، مجد الدين أبو منصور المعروف بـ «حفدة العطاردي» الشافعي. من أهل نيسابور ت(٥٧١هـ).

٥ ـ الفاضل الصالح العارف بالحديث محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن علي بن يعقوب المروزي الزاغولي ت(٥٥٩هـ).

٦ ـ الفقيه المحدث الأديب محمد بن محمد بن علي الطائي الهمذاني ت(٥٥٥هـ).

٧ ـ ملكدار بن أبي عمرو العمركي القزويني كان من أئمة المذهب الشافعي ت(٥٣٥هـ).

مؤلفاته:

ترك الإمام البغوي كتباً متنوعة في فنون عدة. فهو الإمام الجليل المحدث الفقيه النحرير صاحب التصانيف.

وقد لاقت كتبه قبول العلماء وذاع صيتها فأقبلوا عليها بين شارح ومختصر لها وقد بلغ مجموع ما ألف خمسة عشر مصنفاً. وهي:

١ ـ «أربعون حديثاً».

٢ ـ «الأنوار في شمائل النبي المختار ﷺ».

٣ ـ «ترجمة الأحكام في الفروع». وهو بالفارسية.

٤ ـ «التهذيب في الفقه».

٥ ـ «الجمع بين الصحيحين».

٦ ـ «شرح الجامع للترمذي».

٧ ـ «شرح السنة».

٨ ـ «فتاوى البغوي».

٩ ـ «فتاوى المروذي». وهو فتاوى شيخه القاضي حسين.

١٠ ـ «الكفاية في الفروع».

١١ ـ «الكفاية في القراءة».

١٢ ـ «المدخل إلى مصابيح السنة».

١٣ ـ «مصابيح السنة».

١٤ ـ «معالم التنزيل».

١٥ ـ «معجم الشيوخ».

وفاته:

توفي الإمام البغوي في شوال سنة (٥١٠هـ) في «مرو الرُّوذ» ودفن عند شيخه القاضي حسين بمقبرة الطالقان وقبره مشهور هنالك[١].

ويقول الحافظ المنذري إنه توفي سنة (٥١٦هـ) ويبدو أنه هو الراجح. وقد ذكره أيضاً ياقوت الحموي وسار عليه سائر من ترجم للبغوي بعد ياقوت[٢].

رحم الله تعالى الإمام البغوي ونفعنا به وأثابه عنا خيراً في الدنيا والأخرى إنه سميع مجيد!!

أهم من ترجم للإمام البغوي:

١ ـ ياقوت الحموي في «معجم البلدان».

٢ ـ ابن نقطة في «تكملة الإكمال» وهو مخطوط في مكتبة عبد الستار القدسي في بغداد. «الاستدراك» وهو مخطوط في المكتبة الظاهرية. «التقييد لمعرفة رواة السنن والأسانيد» مخطوط في المكتبة الأزهرية.

٣ ـ النووي في طبقات الشافعية.

٤ ـ ابن خلكان في «وفيات الأعيان».

---

(١) «وفيات الأعيان»: ١/٤٠٢.

(٢) «مقدمة مصابيح السنة»: ١/٤٨.

٥ - الإسنوي في طبقات الشافعية المسمى «مجموع ملخص المهمات».

٦ - الخطيب التبريزي في مقدمة «مشكاة المصابيح».

٧ - الطيبي في «أسماء الرجال».

٨ - الذهبي في الكتب التالية: «سير أعلام النبلاء»، «تذكرة الحفاظ»، «دول الإسلام»، «العبر في خبر من غَبَر» و«الإعلام بوفيات الأعلام».

٩ - تاج الدين السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى».

١٠ - ابن كثير في «البداية والنهاية».

١١ - السيوطي في «طبقات المفسرين» و«طبقات الحفاظ».

١٢ - الملا علي القاري في مقدمة «مرقاة المفاتيح».

١٣ - ابن العماد في «شذرات الذهب».

١٤ - الزركلي في «الأعلام».

١٥ - حاجي خليفة في «كشف الظنون».

١٦ - عمر رضا كحالة في «معجم المؤلفين».

وغيرهم كثير.

ترجمة الإمام التبريزي(*)

اسمه :

هو ولي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي نسبة إلى تبريز[1] بكسر التاء والمشهور فتحها والأول أصح.

مكانته العلمية :

إن كل الذين ترجموا للخطيب التبريزي ذكروه بالعلم والصلاح. قال فيه شيخه العلامة حسن بن محمد الطيبي أحد شراح المشكاة ت(٧٤٣هـ) «بقية الأولياء وقطب الصلحاء».

وقال عنه الملا علي القاري في مقدمة مرقاة المفاتيح: «مولانا الحبر العلامة والبحر الفهامة مظهر الحقائق وموضح الدقائق الشيخ التقي النقي».

وقال عنه الكتاني في الرسالة المستطرفة «بقية الأولياء وقطب العلماء». وإن مؤلفاته لدالة على سعة علمه ووفرة فضله. له اليد الطولى في العلم ومعرفة أحوال الرجال.

مؤلفاته :

الذي وصلنا من مؤلفاته :

- «مشكاة المصابيح» وهو الذي شرحه ملا علي القاري في «المرقاة».
- الإكمال في أسماء الرجال. وهو مطبوع آخر المشكاة المطبوعة في كراتشي - باكستان.

وفاته :

لا يعرف تاريخ وفاته على الضبط غير أنه يجزم بأنه توفي بعد سنة (٧٣٧هـ) وهي السنة

(*) لم أجد فيما بين يدي ترجمة وافية تفيه حقه لذلك اكتفيت بهذه الترجمة المقتضبة جداً.

(١) تبريز: بكسر أوله وسكون ثانيه وكسر الراء أشهر مدن أذربيجان وهي قصبتها قال ابن علي في زيجه أذربيجان في الإقليم الخامس طولها ثلاث وسبعون درجة وعرضها أربعون درجة [معجم البلدان ١/ ١٥٩].

التي أكمل كتابه المشكاة في آخر يوم جمعة من شهر رمضان المبارك وذكر الزركلي أنه توفي عام (٧٤١هـ).

مصادر ترجمته:

يعد الذين ترجموا للإمام محمد بن عبد الله التبريزي قلة جداً وممن وقفت على ترجمتهم له:

١ ـ عمر رضا كحالة في «معجم المؤلفين» ١٠/ ٢١١
٢ ـ حاجي خليفة في «كشف الظنون» ٢/ ١٦٩٩.
٣ ـ الزركلي في «الأعلام» ٦/ ٢٣٨.
٤ ـ محمد جعفر الكتاني في «الرسالة المستطرفة» ص١٣٣.
٥ ـ مقدمة كتاب «مشكاة المصابيح» المكتب الإسلامي.

ترجمة الإمام ملا علي القاري

اسمه ونسبه:

هو الإمام العلامة النحرير الألمعي الشيخ نور الدين أبو الحسن علي بن سلطان محمد القاري الهروي ثم المكي الحنفي المعروف بـ «ملا علي القاري».

والقاري تسهيل «القارئ» لقب به لأنه كان حاذقاً في علم القراءات عالماً راسخاً متضلعاً فيه.

وهذا ما يظهر في مؤلفاته وشروحاته وهو أيضاً ضليع بتوجيه القراءات.

أما ولادته فلا خلاف بين من ترجم له في أنه ولد في «هراة» إلا أنهم لم يحددوا تاريخ ولادته، وذلك لأن الطفل حين كان يولد لا يهتمّ الناس بتعيين تاريخ ميلاده لعدم وجود الحاجة إلى ذلك.

نشأته العلمية:

نشأ الإمام القاري في «هَرَاة» مسقط رأسه حيث تعلم القرآن الكريم وحفظه عن ظهر قلب فدرسه وتعلم تجويده وتعلم القراءات على شيخه معين الدين ابن الحافظ زين الدين الهروي.

وتلقى العلوم عن شيوخ عصره في بلده. وقرأ الكتب المقررة في مقدمة طلب العلم[1]. وكانت هَرَاة في عهد التيموريين ـ وهم أسرة حكمت هَرَاة عام ٨١٧ وانتهى في ٩١٢هـ ـ عاصمة دولتهم ومهداً للثقافة والحضارة.

وكانت ولادة الإمام في الأيام التي بدأ فيها تراجع واندثار الازدهار العلمي في «هَرَاة».

ولما ظهر إسماعيل بن حيدر الصفوي المعروف «بالشاه إسماعيل» أول ملوك الصفوية الرافضة على هَرَاة وقتل المسلمين ظلماً؛ خرج منها جمع من العلماء، فهاجر الإمام القاري إلى مكة المكرمة بعد أن استبد ظلم الصفويين.

---

(١) خلاصة الأثر ٣/ ١٨٥، سمط النجوم ٤/ ٣٩٣.

والمؤرخون لا يذكرون تاريخ هجرته من بلده إلى مكة إلا أنه قد دخل مكة المكرمة بعد العام ٩٥٢هـ.

فلما دخل البلد الأمين طاب له المقام ولذ له العيش فيه. وجلس في حلقات المشايخ والعلماء يرتشف من رحيقهم وينهل من معينهم ويرتع في رياض علمهم وما أكثر العلماء في تلك العصور!!

وقد أنتظم الإمام القاري في هذا السلك الذهبي وشرح الله تعالى صدره وأراد به خيراً وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وأصحابه «من يُرِد الله به خيراً يفقهه في الدين»(١).

فكان لا يرى إلا ومعه كتاب أو بين يدي شيخ. لازم الإمام القاري علماء بيت الله الحرام سنوات. راغباً في العلوم مولعاً بالتعلم والتعليم حتى صار عالماً يشار إليه بالبنان، ويقصد في طلب العلم. وأصبحت مؤلفاته واسعة الانتشار.

شيوخه:

أخذ الإمام القاري العلم عن علماء أجلاء لا يعدون ولا يحصون لكثرتهم فقد نشأ في بلد كانت تعج بالعلماء وهاجر إلى بلد تقصد من كل فج عميق.

ومن هؤلاء العلماء الأفذاذ والشيوخ الأفاضل الذين تلقى عنهم الإمام القاري وذكرهم في كتبه:

١ ـ الإمام المحقق الفقيه المفتي الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري الشافعي المصري ثم المكي الشهير بـ «ابن حجر الهيتمي» ت(٩٧٣هـ)(٢).

٢ ـ العلامة المحدث الفقيه الشيخ علاء الدين بن حسام الدين عبد الملك بن قاضيخان القرشي الجونفوري البرهانفوري الهندي ثم المدني فالمكي، المشهور بـ «علي المتقي الهندي» صاحب «كنز العمال من سنن الأقوال والأفعال». توفي بمكة المكرمة (٩٧٥هـ)(٣).

٣ ـ الشيخ العالم المحدث محمد سعيد ابن مولانا خواجة الحنفي الخراساني المشهور بـ «ميرزعلان» توفي في أكرا (٩٨١هـ)(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب من يرد الله به خيراً حديث رقم ٧١.

(٢) شذرات الذهب ٨/ ٣٧٠. خلاصة الأثر ٢/ ١٦٦.

(٣) شذرات الذهب ٨/ ٣٩٩. هدية العارفين ١/ ٧٤٦.

(٤) نزهة الخواطر ٤/ ٣٣٦.

٤ ـ العلامة المفسر الفقيه الشيخ زين الدين عطية بن علي بن حسن السلمي المكي الشافعي شيخ المسلمين مفيد الطالبين عالم مكة وفقيهها في عصره توفي في مكة المكرمة (٩٨٢هـ)(١).

٥ ـ العلامة المحدث المسند الفقيه القاضي الشيخ ملا عبد الله بن سعد الدين العمري السندي ثم المكي الحنفي العالم النحرير المحقق المدقق. توفي في مكة المكرمة (٩٨٤هـ)(٢).

٦ ـ العلامة المفسر المؤرخ المدرس المفتي الشيخ أبو عيسى قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد النهرواني الهندي ثم المكي الحنفي الشهير بـ «القطبي» توفي في مكة المكرمة (٩٩٠هـ)(٣).

٧ ـ العلامة الفقيه الشيخ شهاب الدين أحمد بن بدر الدين العباسي الشافعي المصري ثم الهندي توفي في أحمدآباد في الهند (٩٩٢هـ) أخذ عنه الإمام القاري في مكة المكرمة(٤).

٨ ـ العلامة الشيخ المحدث الفقيه محمد بن أبي الحسن محمد بن جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن أحمد البكري الصديقي الشافعي المصري توفي في مكة المكرمة (٩٩٣هـ)(٥).

٩ ـ العلامة الفقيه الواعظ الشيخ سنان الدين يوسف بن عبد الله الأماسي الرومي الحنفي المكي. توفي في مكة المكرمة (١٠٠٠هـ)(٦).

١٠ ـ العلامة المحدث المسند الشيخ السيد زكريا الحسني من تلامذة الشيخ إسماعيل بن عبد الله الزواني(٧).

تلاميذه:

أما تلاميذه فهم كثيرون كيف لا؟ وهو إمام عصره وفريد دهره عالم جليل محدث فقيه نبيل مفسر مقرىء له اليد الطولى في العلم بل في كثير من العلوم والمعارف.

وبسبب كثرة العلماء والأجلاء في ذلك الوقت واكتفاء المترجمين لهم بذكرهم ملخصاً دون أن يتعرضوا لأسماء شيوخهم أو تلامذتهم، أكتفي بذكر عددٍ من كبار تلامذته:

---

(١) الأعلام ٥/ ٢٣.

(٢) شذرات الذهب ٨/ ٤٠٣.

(٣) شذرات الذهب ٨/ ٤٢٠. الأعلام ٦/ ٢٣٤.

(٤) شذرات الذهب ٨/ ٤٢٦.

(٥) البضاعة المزجاة ص ١٣.

(٦) هدية العارفين ٢/ ٥٦٥.

(٧) البضاعة المزجاة ص ٥.

١ ـ الإمام الخطيب المفتي الشيخ محيي الدين عبد القادر بن محمد بن يحيى بن مكرم بن المحب بن محمد بن الحسين الطبري الشافعي المكي إمام المقام والخطيب ببلد الله الحرام ودفن في المعلاة (١٠٣٣هـ)(١).

٢ ـ العلامة الفقيه القاضي عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد العمري المرشدي المكي الحنفي شيخ الإسلام خاتمة العلماء المفتين ببلد الله الحرام قتل خنقاً شهيداً (١٠٣٧هـ)(٢).

٣ ـ الشيخ محمد أبو عبد الله الملقب بـ «عبد العظيم المكي الحنفي بن منلا فروخ بن عبد المحسن بن عبد الخالق الموروي نسبة إلى مورة» من أعمال الروم توفي في مكة المكرمة (١٠٦١هـ)(٣).

٤ ـ السيد معظم الحسيني البلخي ورد اسمه في كتب الأثبات والأسانيد حيث يروي مؤلفات الإمام القاري(٤).

٥ ـ سليمان بن صفي الدين الجاني ورد ذكره في إجازة الشيخ علي القاري له بتدريس علم الفقه والحديث والتفسير(٥).

مكانته العلمية وآراء العلماء فيه:

من الثابت أن كل شخص يؤخذ منه ويرد إلا النبي ﷺ وما من معصوم إلا الأنبياء عليهم السلام. وإن لكل جواد كبوة ولكل عالم زلة.

وقلما نجد عالماً ألا وله هفوة أو سقطة، يظهرها معاصروه أو الذين جاءوا بعدهم. فمن يريد إظهار الحق وتبيان الشرع ابتغاء وجه الله تعالى فيبين زلة ذلك العالم أو هفواته وينبه إلى الصواب من غير جرح أو ذم في ذلك العالم.

ومنهم من يظهر العداوة ويتحامل على العلماء المخالفين بدافع التعصب أو الحسد أو المنافسة الخ.. فكل عالم وكل إمام له وعليه كلام مهما كان شأنه ومهما سمت منزلته فلم يسلم أحد من الذم أو الجرح.

والإمام القاري واحد من هؤلاء الأفذاذ الذين تكلم عنهم العلماء ما بين مادح وذام وجارح ومعدل.

أما المادحون فهم كثر وأما الذامون فهم قليل وطوبى لمن عُدَّت زلاته!!

---

(١) «هدية العارفين» ١/ ٦٠٠.

(٢) «هدية العارفين» ١/ ٥٤٨.

(٣) (٤) ذكرهم في كتاب «الإمام علي القاري وأثره في علم الحديث» ص ٨٨ ـ ٩٠.

(٥) «خلاصة الأثر» ٣/ ١٨٥.

وقد أثنى على الإمام القاري العلماء الأفاضل والمحدثون الأفذاذ، فذكروا له أوصافاً حميدة مما هو أهل له وجدير به وأثنت عليه أقلامهم مدحاً واعترافاً بفضله ورسوخ قدمه في شتى العلوم وعلو كعبه في أنواع الفنون.

قال عنه محمد أمين المحبي صاحب «خلاصة الأثر في تراجم أهل القرن الحادي عشر»: أحد صدور العلم، فرد عصره، الباهر السمت في التحقيق وتنقيح العبارات وشهرته كافية عن الإطراء بوصفه. ووصفه عبد الملك العصامي في «سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي» فقال: «الجامع للعلوم العقلية والنقلية والمتضلع من السنة النبوية أحد جماهير الأعلام ومشاهير أولي الحفظ والأفهام»[(١)]. وذكره العلامة ابن عابدين في رسالته «رفع التردد في عقد الأصابع عند التشهد» فقال: «خاتمة القراء والفقهاء والمحدثين ونخبة المحققين والمدققين»[(٢)].

وقال عنه الإمام عبد الحق اللكنوي في مقدمة كتابه «التعليق المجيد»: «صاحب العلم الباهر والفضل الظاهر». وعده في «فتاواه» من المجددين فقال «من يطالع خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر يتضح له أن الشيخ شهاب الدين الرملي وملا علي القاري كانا من المجددين». وقال الشيخ عبد الستار الدهلوي في «أزهار البستان»: «عالم البلد الحرام والمتضلع في علوم القرآن والسنة وفيهما كان الإمام»[(٣)].

وعده الشيخ محمد زاهد الكوثري في رسالة «فقه أهل العراق وحديثهم» في عداد بعض كبار الحفاظ وكبار المحدثين من أصحاب أبي حنيفة وأهل مذهبه.

وأثنى عليه الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي في «التعليق الصبيح» بأنه «المحدث الجليل والفاضل النبيل فريد دهره ووحيد عصره»[(٤)].

وقد تكلم فيه بعض العلماء وانتقدوه في مسائل أهمها:

١ ـ أنه يعترض على بعض الأئمة.

٢ ـ أنه ذهب إلى كفر والدي الرسول ﷺ.

٣ ـ أن عنده شيئاً من التعصب المذهبي.

فقد اتهمه المحبي والعصامي بأنه يعترض على الأئمة ولا سيما الإمام الشافعي والإمام مالك رحمهما الله تعالى، في مسائل كإرسال اليدين في الصلاة عند مالك.

---

(١) «سمط النجوم» ٤/٣٩٤.

(٢) مجموعة رسائل ابن عابدين الرسالة الخامسة.

(٣) «التعليق الممجد بشرح موطأ الإمام محمد» ١/١٠٦ ـ ١٠٨.

(٤) «الإمام علي القاري» ص ٩٤.

فقال العصامي في اعتراض الإمام القاري على الأئمة «... لهذا تجد مؤلفاته ليس عليها نور العلم، ومن ثمة نهى عن مطالعتها كثير من العلماء والأولياء».

وهذا ليس محل اعتراض فمن المعلوم أن الأئمة رضوان الله تعالى عليهم كانوا يؤلفون في الرد على بعضهم البعض دون الإساءة إلى مكانة العلم والعلماء في مسائل كثيرة مشتهرة. وما ذلك إلا لبيان الحق ونصرة الدليل ورسوخ العلم وإغنائه بالمسائل، ورد الخلاف إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

فالعالم أسير الدليل والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذ بها، وإنه لم يخالف غيره من العلماء تكبراً وحباً للجاه والشهرة. وهذا حال الإمام القاري فإنه كان عازفاً عن المنصب والدنيا لا يتقرب من سلطان ولا أمير. إنما همه نصرة الحق وإثراء العلوم الشرعية بالفوائد الجلية وإظهار الأدلة ابتغاء وجه الله تعالى.

فالاعتراض على الأئمة ومخالفتهم ليس بعيب ما دام في مسائل شرعية ويراعي بها آداب الخلاف وفضل العلماء.

فالعلم دائماً تحت التنقيح والنقد فكم من فقيه شافعي خالف المذهب الشافعي وكم من فقيه حنفي خالف المذهب وآراء الإمام لأن دليلاً آخر قوي عنده وترجح على رأي إمامه. وأمثلة ذلك في كتب الفقه لا تحصى.

وقد أجاد الشوكاني رحمه الله تعالى في الرد على العصامي وأمثاله حيث عد خلاف الشيخ القاري مع الأئمة دليلاً على علو منزلته فقال في البدر الطالع: «هذا دليل على علو منزلته فإن المجتهد شأنه أن يبين ما يخالف الأدلة الصحيحة ويعترضه سواء كان قائله عظيماً أو حقيراً. وتلك شكاة ظاهر عنك عارها»[1].

وأما قول العصامي بأن «مؤلفاته ليس عليها نور العلم...» فلا يلتفت إليه ويدل على تعصب قائله بجلاء، فمؤلفات الإمام القاري من خير المؤلفات تحقيقاً وتنقيحاً وتدقيقاً وقد سارت بها الركبان واشتهرت في الآفاق واشتغل بها العلماء بين مستفيد ومتعقب ومحقق أليس ذلك دليلاً على أن عليها نور العلم؟ وكيف يشتغل العلماء الأجلاء بمؤلفات ليس عليها نور العلم[2]؟!!

وأما تحامل بعض معاصريه عليه ونهيهم عن مطالعة كتبه. فمن المقرر عند المحدثين أن كلام الأقران بعضهم في بعض لا يسمع إذا كان من غير حجة ولا دليل. فإن المعاصرة أصل المنافرة كما قال ولي الله الدهلوي. وقد عقد الحافظ ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله باباً في حكم قول العلماء بعضهم في بعض. فأفاد فيه وأجاز.

وقال الحافظ الذهبي رحمه الله في ميزان الاعتدال: «كلام الأقران بعضهم في بعض لا

---

(١) «التعليق الصبيح» ص ٦.

(٢) «البدر الطالع» ١/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦.

يعبأ به لا سيما إذا لاح له أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد وما ينجو منه إلا من عصمه الله وما علمت أن عصراً من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين ولو شئت لسردت من ذلك كراريس»[1].

وأما ما كان منه في حق وإتمام المعرفة لابن حجر رحمه الله تعالى في أثناء شروحاته على المشكاة فهو من قبيل الردود التي لا تخرج عن إنضاج العلم فلا ملا علي ينقص من مكانة: الحافظ ابن حجر ولا هو يقلل من شأن ملا علي. ورحم الله تعالى صحابة المصطفى ﷺ فقد كانوا نبراساً يقتدى به في مثل هذه المسائل حتى إن خلافهم في الفروع هو الذي سوغ خلاف من بعدهم إلى قيام الساعة.

وأما ما ذهب إليه من القول بكفر والدي الرسول ﷺ، فيعود إلى توهم ملا علي في شرحه «للفقه الأكبر» حيث ظن أن قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى هو «ووالدا رسول الله ﷺ ماتا على الكفر». والصواب هو «ما ماتا على الكفر» فجاء الناسخ وحذف «ما» الأولى ظناً منه أنها زائدة ـ وما أكثر الكتب التي حرفها وصحفها النساخ ـ فأصبحت العبارة «ماتا على الكفر» فانتشرت هذه النسخة الخاطئة والمصحفة. وبنى الإمام القاري قضيته على هذه النسخة.

ويدل على ذلك ما قاله الإمام الكوثري رحمه الله تعالى في مقدمة تحقيقه لكتاب «العالم والمتعلم» بعد أن نقل قول الزبيدي في النسخة المحرفة: «هذا رأي وجيه من الحافظ الزبيدي إلا أنه لم يكن رأى النسخة التي فيها (ما ماتا) وإنما حكى ذلك عمن رآها. وإني بحمد الله رأيت لفظ (ما ماتا) في نسختين بدار الكتب المصرية قديمتين. كما رأى بعض أصدقائي لفظي (ما ماتا) و(على الفطرة) في نسختين قديمتين بمكتبة شيخ الإسلام المذكورة. وعلي القاري بنى شرحه على النسخة الخاطئة وأساء الأدب سامحه الله».

وقال العلامة المحقق الشيخ مصطفى الحماني رحمه الله تعالى: إن القاري رجع عما كتبه بتلك الرسالة ـ أدلة معتقد أبي حنيفة ـ في شرحه على الشفا للقاضي عياض في موضعين الموضع الأول في ١/١٠٦ والثاني في ١/٦٤٨ من طبعة استانبول ١٣١٦هـ. فجاء في الموضع الأول «. . . وأبو طالب لم يصح إسلامه وأما إسلام أبويه ففيه أقوال والأصح إسلامهما على ما اتفق عليه الأجلة من الأمة كما بينه السيوطي في رسائله الثلاث المؤلفة».

وأما الموضع الثاني فذكر فيه «وأما ما ذكروا من إحيائه عليه الصلاة والسلام أبويه فالأصح أنه وقع على ما عليه الجمهور الثقات كما قال السيوطي في رسائله الثلاث المؤلفة»[2]. وبهذا يكون الإمام القاري قد ذب عن نفسه فيما ينسب إليه برجوعه إلى الصواب وهذا حال الأكابر من العلماء بل حال الورعين منهم الذين لا يحجزهم حاجز من الرجوع عن الخطأ إذا ظهر لهم وجه الصواب.

---

(١) «الإمام علي القاري»، ص ٩٩.

(٢) ميزان الاعتدال ١/١١١.

مؤلفاته :

يعد الإمام العلامة ملا علي أحد صدور العلم في القرن الحادي عشر. فهو عمدة المحققين ونبراس المدققين وأشهر أعلام عصره. ولا غلو في ذلك فهو الفقيه والأصولي والمفسر والمقرىء والمتكلم والمحدث واللغوي والنحوي. وقد أوتي ذكاءً نادراً والقدرة على التأليف والعقل الراجح والصبر على التدقيق، حتى ملأت مؤلفاته المكتبات فلا تكاد تخلو مكتبة من آثاره ولا نجد فناً إلا وللإمام القاري له فيه التصانيف الحسان. وعلى الرغم من وفرة المراجع التي ترجمت له فقد اختلف في عدد مؤلفاته وضبطها.

قال بعضهم: سمع من حفيد الإمام القاري في مكة المكرمة أنه قال: «إن لجدنا ثلاثمائة مؤلف وإنه وقفها لأولاده وشرط أن لا يمنع من الاستنساخ...»[1].

فعد بعضهم هذا العدد تجاوزاً كبيراً. فوقفت على فهرسة لمؤلفات الإمام القاري أعدها أحد الباحثين في مركز جمعه: الماجد ـ دبي. فوجدت أنه ذكر للإمام القاري ما يزيد على مائتين وستين كتاباً. وسأكتفي بذكر عدد كبير منها.

١ ـ «الأثمار الجنية في أسماء الحنفية».

٢ ـ «الأجوبة المحررة في البيضة الخبيثة المنكرة».

٣ ـ «الأحاديث القدسية الأربعينية» (ط) الآستانة ١٣١٦هـ.

٤ ـ «الأدب في رجب» (ط) المكتب الإسلامي ١٩٩٢م.

٥ ـ «أدلة معتقد أبي حنيفة في أبوي الرسول ﷺ» (ط) المطبعة السلفية ـ مكة المكرمة.

٦ ـ «الأزهار المنثورة في الأحاديث المشهورة».

٧ ـ «الاستدعاء في الاستسقاء» (ط) المكتب الإسلامي ١٩٩٠م.

٨ ـ «استيناس الناس بفضائل ابن عباس» (ط) دار الصحابة للتراث ـ طنطا.

٩ ـ «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» (ط) دار القلم ـ ومؤسسة الرسالة.

١٠ ـ «اقتداء الحنفية بالسادة الشافعية».

١١ ـ «أنوار الحجج في أسرار الحجج» (ط) دار البشائر ١٩٨٨.

١٢ ـ «أنوار القرآن وأسرار الفرقان».

١٣ ـ «بيان فعل الخير إذا دخل مكة من حج عن الغير» (ط) بولاق ١٢٨٧هـ.

١٤ ـ «التبيان في بيان ما في ليلة النصف من شعبان وليلة القدر من رمضان».

١٥ ـ «التجريد في إعراب كلمة التوحيد وما يتعلق بها من التمجيد» (ط) دار الصحابة للتراث

---

(١) الإمام ملا علي وأثره ١١٠ ـ ١١١.

١٩٩٠ ـ المكتب الإسلامي ١٩٩١.

١٦ ـ «تخريج أحاديث شرح العقائد النسفية».

١٧ ـ «تزيين العبارة لتحسين الإشارة» (ط) دار الصحابة للتراث ١٩٩٠ ـ ضمن رسائل ابن عابدين.

١٨ ـ «تسلية الأعمى عن بلية العمى» (ط) دار الصحابة للتراث ١٩٩٠.

١٩ ـ «تشييع فقهاء الحنفية لتشنيع سفهاء الشافعية».

٢٠ ـ «التصريح في شرح التسريح» (ط) دار عمار للنشر ـ عمان ١٩٩٢.

٢١ ـ «تطهير الطوية بتحسين النية» (ط) دار الصحابة للتراث ـ المكتب الإسلامي ١٩٨٩.

٢٢ ـ «تعليقات القاري على ثلاثيات البخاري».

٢٣ ـ «الجمالين على الجلالين».

٢٤ ـ «جمع الوسائل في شرح الشمائل» (ط) مصطفى البابي الحلبي ١٣١٧هـ. هدية العارفين ص٧٥٣.

٢٥ ـ «حاشية على شرح الجعبري للقصيدة الشاطبية».

٢٦ ـ «الحذر في أمر الخضر» دار القلم ـ دمشق ١٩٩١م. كذا ضبطه محقق الكتاب والصواب أن اسمه «كشف الخِدر عن حال الخضر» كما في هدية العارفين ٧٥٣.

٢٧ ـ «الحرز الثمين للحصن الحصين لابن الجزري» (ط) مطبعة الميري ـ مكة المكرمة ١٣٠٤هـ.

٢٨ ـ «الحزب الأعظم والورد الأفخم لانتسابه واستناده إلى الرسول الأكرم ﷺ» (ط) بولاق ١٣٠٠هـ ـ آستانة ١٢٦٢هـ.

٢٩ ـ «الحظ الأوفر في الحج الأكبر» (ط) ندوة العلماء ـ لكنو ١٣٩١هـ.

٣٠ ـ «الدرة المضية في الزيارة المصطفوية الرضية» (ط) بولاق ١٢٨٧هـ. دار الصحابة للتراث.

٣١ ـ «الذخيرة الكثيرة في رجاء المغفرة للكبيرة» (ط) المكتب الإسلامي.

٣٢ ـ «رسالة في بيان صفة مزاح النبي ﷺ».

٣٣ ـ «رسالة في الجمع بين الصلاتين».

٣٤ ـ «رسالة في حماية مذهب الإمام أبي حنيفة».

٣٥ ـ «رسالة في الرد من نسبه إلى تنقيص الإمام الشافعي».

٣٦ ـ «رسالة في الرد على من ذم مذهب الإمام أبي حنيفة».

٣٧ ـ «رسالة في مسائل الإمامة».

٣٨ ـ «رسالة في ما يتعلق بليلة النصف من شعبان» (ط) بولاق ١٣٠٧ تحت عنوان «فتح الرحمٰن بفضائل شعبان».

٣٩ ـ «رسالة مشتملة على الأحاديث الصحيحة لخروج المهدي».

٤٠ ـ «رفع الجناح وخفض الجناح بأربعين حديثاً في النكاح» (ط) المكتب الإسلامي ـ مكتبة الصفحات الذهبية ـ الرياض.

٤١ ـ «الزبدة في شرح قصيدة البردة» (ط) رسالة جامعية في جامعة ليدز.

٤٢ ـ «سم القوارض في ذم الروافض» (ط) مكتبة الكلية الشرقية ـ بيشاور.

٤٣ ـ «شرح أبيات ابن المقري» قراءات.

٤٤ ـ «شرح الشاطبية» (ط) المطبعة العامرة ـ ١٣٠٢هـ.

٤٥ ـ «شرح نخبة الفكر» (ط) دار الكتب العلمية ـ ١٣٩٨هـ.

٤٦ ـ «شرح الشفا في حقوق المصطفى» (ط) بولاق ١٢٧٥هـ ـ المطبعة العثمانية ١٣١٩هـ ـ الأزهرية المصرية ١٣٢٧هـ.

٤٧ ـ «شرح صحيح مسلم».

٤٨ ـ «شرح عين العلم وزين الحلم» (ط) دار المعرفة.

٤٩ ـ «شرح الفقه الأكبر» (ط) دار الكتب العلمية ١٤٠٤هـ.

٥٠ ـ «شرح مسند الإمام أبي حنيفة» (ط) دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ.

٥١ ـ «شرح مغني اللبيب عن كتب الأعاريب».

٥٢ ـ «شرح الهداية للمرغيناني».

٥٣ ـ «شرح الوقاية في مسائل الهداية».

٥٤ ـ «شفاء السالك في إرسال مالك» (ط) المكتب الإسلامي ١٩٩٠م.

٥٥ ـ «شم العوارض في ذم الروافض» (ط) دار الصحابة للتراث ١٩٩٠.

٥٦ ـ «صلاة الاستسقاء» (ط) دار الصحابة للتراث.

٥٧ ـ «صلاة الجوائز في صلاة الجنائز».

٥٨ ـ «ضوء المعالي لبدء الأمالي» (ط) المطبعة العامرة ١٣٠٢هـ. وطبع في دمشق تحت

عنوان «شرح ضوء المعالي على منظومة بدء الأمالي» ت ـ عبد اللطيف فرفور.

٥٩ ـ «فتح باب العناية بشرح كتاب النقاية» (ط) مكتبة الشركة ـ قازان ١٣٢٢هـ.

٦٠ ـ «الفتح الرباني في شرح تصريف الزنجاني» (ط) المكتبة العامرة ـ اسطنبول ١٢٨٩هـ.

٦١ ـ «فر العون لمن يدعي إيمان فرعون» (ط) المكتبة المصرية ـ ١٣٨٣هـ.

٦٢ ـ «فرائد القلائد على أحاديث العقائد» (ط) المكتب الإسلامي ١٩٩١.

٦٣ ـ «القول السديد في خلف الوعيد» (ط) دار الصحابة للتراث ١٩٩٢.

٦٤ ـ «الفصول المهمة في حصول المتمة» (ط) المكتب الإسلامي ١٩٩١.

٦٥ ـ «الكلام على تحريم سماع الأغاني» (ط) دار الصحابة للتراث.

٦٦ ـ «المبين المعين لفهم الأربعين» (ط) المطبعة الجمالية ـ القاهرة ١٣٢٧هـ.

٦٧ ـ «المرتبة الشهودية في المنزلة الوجودية» (ط) اسطنبول ١٢٩٤هـ. بعنوان «رسالة في وحدة الوجود».

٦٨ ـ «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (ط) المطبعة الميمنية ١٣٠٩هـ ـ دار إحياء التراث العربي ١٩٩١ ـ دار الكتب العلمية وهو الكتاب الذي نعمل عليه.

٦٩ ـ «المسلك المتقسط في المنسك المتوسط» (ط) المطبعة الأميرية ـ مكة المكرمة ١٣٠٣هـ ـ مصطفى البابي الحلبي ١٣٠٣هـ. دار الفكر تحت عنوان «إرشاد الساري إلى مناسك الملا علي القاري».

٧٠ ـ «المشرب الوردي في حقيقة مذهب المهدي» (ط) مطبعة محمود شاهين ـ القاهرة ١٢٧٨هـ.

٧١ ـ «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» (ط) مطبعة دار محمدي ـ لاهور ١٣١٥هـ ـ بيروت ١٣٩٨هـ حلب ١٣٨٩. بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة.

٧٢ ـ «المعدن العدني في فضل أويس القرني» (ط) اسطنبول ١٣٠٧هـ.

٧٣ ـ «معرفة النساك في معرفة السواك» (ط) المكتب الإسلامي.

٧٤ ـ «المقدمة السالمة في خوف الخاتمة» (ط) المكتب الإسلامي ١٩٨٩.

٧٥ ـ «مناقب الإمام الأعظم وأصحابه».

٧٦ ـ «المنح الفكرية بشرح المقدمة الجزرية» (ط) دار إحياء الكتب العربية ـ مصر ـ ١٣٤٤هـ.

٧٧ ـ «الناسخ والمنسوخ من الحديث».

٧٨ ـ «نزهة الخاطر الفاتر في ترجمة سيدي عبد القادر» (ط) الباب العالي ـ اسطنبول ١٣٠٧هـ.

٧٩ ـ «النعت المرصع في المجنس والمسجع».

٨٠ ـ «الوقوف بالتحقيق على موقف الصديق»[١].

ورعه وتقواه:

كان الإمام القاري ديناً تقياً ورعاً زاهداً عفيفاً نزيهاً ويبتعد عن التزلف إلى الحكام لأن ذلك يضر بالإخلاص.

وقد تبع الإمام القاري عدداً وافراً من الأئمة في رفض أخذ المال من السلطان والابتعاد عنهم أمثال الإمام أبي حنيفة وسفيان والفضيل بن عياض وأحمد وأضرابهم رحمهم الله تعالى. وقد أعرض الإمام القاري عن منح الحكام ولم يقبل أية وظيفة رسمية وكان يواجه الحكام وعلماء السوء بالإنكار.

وكان يأكل من عمل يده فقد ذكر عدد من الذين ترجموا له أنه كان يكتب كل عام مصحفاً بخطه الجميل فيبيعه ويكفيه قوتاً له من العام إلى العام.

وقيل كان يكتب مصحفين في السنة ويبيعهما فيتصدق بثمن واحد إلى فقراء الحرم وينفق من ثمن الآخر.

قال الشيخ محمد عبد الحليم النعماني «ظل المولى القاري قانعاً بما يحصل من بيع كتبه وغلب على حاله الزهد والعفاف والرضا بالكفاف وكان قليل الاختلاط بغيره، وكثير العبادة والتقوى شديد الإقبال على عالم السر والنجوى»[٢].

وفاته:

توفي الإمام ملا علي القاري في مكة المكرمة في شوال عام أربع عشرة وألف من الهجرة (١٠١٤هـ) على الأصح[٣].

ودفن في مكة المكرمة في المعلاة. وأحسن الشيخ عبد الستار في تعريف مكان قبره رحمه الله تعالى فقال: «... بالشعب الأول على يسار الذاهب الذي يخرج منه إلى الحجون

---

(١) مجلة «آفاق الثقافة والتراث». السنة الأولى ـ العدد الأول ـ محرم ١٤١٤هـ. تصدر عن إدارة البحث العلمي في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ـ دبي. أعد البحث محمد عبد الرحمن الشماع.

(٢) «الإمام علي القاري وأثره في علم الحديث». ص ٥٧.

(٣) «التعليقات السنية» ص ٨. «خلاصة الأثر» ٣/ ١٨٦. «سمط النجوم» ٤/ ٣٩٤.

وبهذه الحوطة الشيخ العلامة ملا علي بن سلطان محمد الهروي»[1].

وحكى بعض من ترجم له أنه لما بلغ خبر وفاته علماء مصر صلوا عليه بالجامع الأزهر صلاة الغائب في مجمع حافل يجمع أربعة آلاف نسمة فأكثر[2].

مما يدل على شهرته الواسعة في أرجاء العالم الإسلامي.

رحم الله الإمام القاري رحمة واسعة وغفر له ما كان عليه من لمم، وجعل مأواه الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً. ونسأل الله عز وجلّ أن ينفعنا بعلوم الإمام القاري، وأن يجعلنا في صحائف أعماله ويجزيه منا كل خير إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

مصادر ترجمة الإمام ملا علي القاري:

ترجم للإمام القاري كثير فمنهم من أفرده في التصنيف ومنهم من ترجم له في كتب التراجم وقد ذكرت عدداً وافراً من الذين ترجموا له ضمن هؤلاء:

١ ـ نجم الدين الغزي محمد بن محمد في «لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان القرن الحادي عشر» ت(١٠٦١هـ).

٢ ـ حاجي خليفة في «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» ت(١٠٦٧هـ).

٣ ـ محمد بن أبي بكر الشلبي في «جواهر الدرر في أخبار القرن الحادي عشر» ت(١٠٩٣).

٤ ـ عبد الملك بن حسين العصامي المكي الشافعي في «سمط النجوم والعوالي في أنباء الأوائل والتوالي» ت(١١١١هـ).

٥ ـ الدهلوي قطب الدين ولي الله بن عبد الرحيم العمري في «الانتباه في سلاسل أولياء الله وأسانيد وارثي رسول الله» ت(١١٧٦هـ).

٦ ـ محمد بن علي الشوكاني في «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» ت(١٢٥٠هـ).

٧ ـ محمد أمين بن عمر الحسيني المعروف بابن عابدين في «عقود اللآلي في الأسانيد العوالي» ت(١٢٥٢هـ).

٨ ـ أحمد القطان في «تنزيل الرحمات على من مات».

(١) «الإمام علي القاري وأثره في علم الحديث». ص ٦٥.

(٢) «خلاصة الأثر» ٣/١٨٦.

٩ ـ محمد بن عابد السندي في «المواهب اللطيفة على مسند الإمام أبي حنيفة».

١٠ ـ محمد بن عبد الحي اللكنوي في «الفوائد البهية من تراجم الحنفية مع التعليقات السنية» ت(١٣٠٤هـ) وذكره في كتب أخرى كـ «التعليق الممجد على موطأ الإمام محمد».

١١ ـ محمد بن حسن السنبلي في «تنسيق النظام في مسند الإمام» ت(١٣٠٥هـ).

١٢ ـ عبد الرحمن بن محمد الكزبري في «ثبت الكزبري الكبير» ت(١٢٢١هـ).

١٣ ـ محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني المكي في «ثبت الكزبري الصغير» ت(١٤١١هـ).

١٤ ـ صديق حسن القنوجي في «إتحاف النبلاء المتقين» ت(١٣٠٧هـ) وفي «التاج المكلل من جواهر طراز الآخر والأول».

١٥ ـ محمد بن جعفر الكتاني في «الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة» ت(١٣٤٥هـ).

١٦ ـ حسين بن محمد بن سعيد المكي الحنفي في «إرشاد الساري إلى مناسك ملا علي القاري».

١٧ ـ إسماعيل باشا البغدادي في «إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون» وفي «هدية العارفين» ت(١٣٣٩هـ).

١٨ ـ عبد الله بن مرداد في «مختصر نشر النور في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر» ت(١٣٤٣هـ).

١٩ ـ عبد الستار بن عبد الوهاب الدهلوي في «مائدة الفضل والكرم الجامعة لتراجم أهل الحرم المكي» وفي «أزهار البستان في طبقات الأعيان».

٢٠ ـ محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي في «تاريخ الخط العربي وآدابه».

٢١ ـ محمد عبد الحليم بن عبد الرحيم الحيشتي في «البضاعة المزجاة لمن يطالع المرقاة في شرح المشكاة».

٢٢ ـ محمد عبد الحق الدهلوي في «زاد المتقين» ت(١٣٣٣هـ).

٢٣ ـ جميل بك العظم في «عقود الجوهر في ترجمة من لهم خمسون تصنيفاً فمئة فأكثر» ت(١٣٥٢هـ).

٢٤ ـ كارل بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي».

٢٥ ـ خير الدين الزركلي في «الأعلام» ت(١٣٩٦هـ).

٢٦ ـ عمر رضا كحالة في «معجم المؤلفين» ت(١٤٠٧هـ).

٢٧ ـ خليل إبراهيم قوتلاي في رسالة ماجستير بعنوان «الإمام علي القاري وأثره في علم الحديث».

كما ترجم له كل من حقق له كتاباً كالشيخ عبد الفتاح أبو غدة في مقدمة «المصنوع في صناعة الموضوع» والشيخ خليل الميس في مقدمة «شرح مسند الإمام أبي حنيفة» وغيرهم كثير. والحمد لله رب العالمين.

عملنا في الكتاب

يعتبر العمل الذي قمنا به نحو هذا الكتاب متواضعاً جداً أمام ضخامة هذا المؤلف وثرائه في المنافع والفوائد.

فنرجو أن نكون قد قمنا بهذا العمل اليسير ابتغاء مرضاة الله تعالى ورحمته فما أصبنا في هذا العمل فمن الله وحده، وما أخطأنا فمن أنفسنا. ويتلخص العمل الذي قمنا به فيما يلي:

١ ـ مقارنة مخطوطة «مشكاة المصابيح» مع الكتاب المطبوع في المكتب الإسلامي.

٢ ـ مقارنة أحاديث «المشكاة» مع الأحاديث الموجودة في مخطوطة «المرقاة» فوجدنا بعض الخلافات القليلة واليسيرة.

٣ ـ مقارنة مخطوطة «مرقاة المفاتيح» مع المطبوعة في دار إحياء التراث العربي فأثبتنا نص المخطوطة واعتمدناه، ووضعنا ما هو زيادة عن المخطوطة ضمن معكوفتين [ ].

كما أثبتنا بعض الكلمات من المطبوعة وأشرنا إلى ما يخالفها في المخطوطة وذلك لمناسبة المعنى.

٤ ـ قمنا بتخريج أحاديث المشكاة من الكتب التسعة: صحيح البخاري ـ صحيح مسلم ـ سنن أبي داود ـ سنن الترمذي ـ سنن النسائي ـ سنن ابن ماجة ـ سنن الدارمي ـ موطأ مالك ـ مسند أحمد. رحمهم الله تعالى.

٥ ـ قمنا بتخريج أحاديث المرقاة وفق عزو الإمام القاري. وفي حال عدم العزو نكتفي بذكر تخريج واحد.

٦ ـ تخريج الآيات الكريمة.

٧ ـ ضبط الكلمات الغريبة وشرح معانيها.

٨ ـ علامات الترقيم.

٩ ـ ترجمة الكتب الواردة في النص.

١٠ ـ ترجمة البلدان الواردة في الشرح.

١١ ـ ترقيم عددي للأحاديث في المشكاة ومقارنتها بترقيم في المرقاب واعتمدنا الترقيم الذي انتهجه الشيخ ناصر الألباني في مشكاة المصابيح.

وصف المخطوطتين:

نسخة «مشكاة المصابيح»: وهي نسخة مصورة عن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق تحت الرقم العام ٩٤٥. وهي بخط جيد.

تم الفراغ من نسخها محرم سنة (١٠٠٨هـ) بعد ما قرأت على الشيخ المحدث المدقق محمد غرَب. وتضم تصويبات في هامشها. وهي مجلد واحد عدد أوراقه ٥٠٩ ورقة.

نسخة «مرقاة المفاتيح»: وهي نسخة مصورة عن مخطوطة المكتبة الظاهرية تحت الرقم العام ١٥٨. وهي مخطوطة كاملة بخط جيد. قريبة العهد بالمؤلف حيث تم الفراغ من نسخها عام ١١٣٨هـ.

وهي في ثلاث مجلدات عدد أوراق المجلد الأول ٥١٣ ورقة. عدد أوراق المجلد الثاني ٥١٩ ورقة. عدد أوراق المجلد الثالث ٥٧٠ ورقة.

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة مشكاة المصابيح

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة مرقاة المفاتيح

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فتح قلوب العلماء بمفاتيح الإيمان، وشرح صدور العرفاء بمصابيح الإيقان. وأفضل الصلوات وأكمل التحيات، على صدر الموجودات وبدر المخلوقات، أحمد العالمين وأمجد العالمين، محمد المحمود في أقواله وأفعاله وأحواله، المنوّر مشكاة صدره بأنوار جماله وأسرار كماله، وعلى آله وأصحابه، حملة علومه ونقلة آدابه.

(أما بعد) فيقول أفقر عباد الله الغنيّ الباري، علي بن سلطان محمد الهروي القاري ـ عاملهما الله بلطفه الخفيّ، وتجاوز عنهما بكرمه الوفي ـ: لما كان كتاب مشكاة المصابيح الذي ألفه مولانا الحبر العلامة والبحر الفهامة، مظهر الحقائق وموضح الدقائق، الشيخ التقي النقي، ولي الدين محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، أجمع كتاب في الأحاديث النبوية، وأنفع لباب من الأسرار المصطفوية.

ولله در من قال من أرباب الحال:

لئن كان في المشكاة يوضع مصباح * فذلك مشكاة وفيها مصابيح
وفيها من الأنوار ما شاع نفعها * لهذا على كتب الأنام تراجيح
فيه أصول الدين والفقه والهدى * حوائج أهل الصدق منه مناجيح

[مشايخ المؤلف]

تعلق الخاطر الفاتر بقراءته، وتصحيح لفظه وروايته، والاهتمام ببعض معانيه ودرايته، رجاء أن أكون عاملاً بما فيه من العلوم في الدنيا، وداخلاً في زمرة العلماء العاملين في العقبى.

فقرأت هذا الكتاب المعظم على مشايخ الحرم المحترم ـ نفعنا الله بهم وببركات علومهم ـ: منهم فريد عصره ووحيد دهره، مولانا العلامة الشيخ عطية السلمي، تلميذ شيخ الإسلام ومرشد الأنام، مولانا الشيخ أبي الحسن البكري. ومنهم زبدة الفضلاء وعمدة العلماء، مولانا السيد زكريا، تلميذ العالم الرباني مولانا إسماعيل الشرواني، من أصحاب قطب العارفين وغوث السالكين، خواجه عبيد الله السمرقندي، أحد أتباع خواجه بهاء الدين النقشبندي ـ روح

....

الله روحهما ورزقنا فتوحهما ـ، ومنهم العالم العامل والفاضل الكامل، العارف بالله الولي، مولانا الشيخ علي المتقي ـ أفاض الله علينا من مدده العلي ـ.

[النسخ التي اعتمدها]

لكن لكون هؤلاء الأكابر غير حفاظ للحديث الشريف، ولم يكن في أيديهم أصل صحيح يعتمد عليه العبد الضعيف؛ والشراح ما اعتنوا إلا بضبط بعض الكلمات، وكانت البقية عندهم من الواضحات، ما اطمأن قلبي ولا انشرح صدري إلا بأن جمعت النسخ المصححة، المقروءة المسموعة المصرحة، التي تصلح للاعتماد، وتصح عند الاختلاف للاستناد. فمنها نسخة هي أصل السيد أصيل الدين، والسيد جمال الدين، ونجله السعيد مير كشاه المحدثين المشهورين. ومنها نسخة قرئت على شيخ مشايخنا في القراءة والحديث النبوي، مولانا الشيخ شمس الدين محمد بن الجزري. ومنها نسخة قرئت على شيخ الإسلام الهروي، وغيرها من النسخ المعتمدة الصحيحة، التي وجدت عليها آثار الصحة الصريحة. فأخذت من مجموع النسخ أصلاً أصيلاً، وللمثوبة الأخروية كفيلاً.

[اجازته]

وقد حصل لي اجازة عامة ورخصة تامة، من الشيخ العلامة علي بن أحمد الجناني الأزهري الشافعي الأشعري الأنصاري؛ وقد قال: قرأت على شيخ الإسلام، وإمام أئمة الأعلام، الشيخ جلال الدين السيوطي، كتباً من الحديث وغيره من العلوم كالبخاري ومسلم وغيرهما من الكتب الستة وغيرها، البعض قراءة والبعض سماعاً. وقد أجازني بجميع مروياته وبما قرىء به، و [بما] أجازه به خاتمة المحدثين، مولانا الشيخ ابن حجر العسقلاني، قراءة وسماعاً ورواية وإجازة، وعلى الشيخ القسطلاني صاحب المواهب[1] وشارح البخاري من أجلاء تلامذة العسقلاني، وأجازني بمروياته ومؤلفاته. وهذا على ما يوجد من السند المعتمد، في هذا الزمان المكدر المنكد. ثم إني قرأت أيضاً بعض أحاديث المشكاة على منبع بحر العرفان، مولانا الشهير بمير كيلان. وهو قرأ على زبدة المحققين، وعمدة المدققين مير كشاه، وهو على والده السيد السند مولانا جمال الدين المحدث صاحب روضة الأحباب[2]، وهو على عمه السيد أصيل الدين الشيرازي. روي أنه أدرك من أكابر العلماء أحداً وثمانين، منهم مولانا الشيخ محمد بن محمد بن محمد الجزري والشيخ مجد الدين الفيروزآبادي صاحب

---

(١) هو كتاب المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للشيخ الإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني. كتاب في السيرة النبوية. وشرحه عدة علماء (راجع كشف الظنون ٢/ ١٨٩٦).

(٢) روض الأحباب في سير النبي ﷺ والآل والأصحاب لجمال الدين عطاء الله بن فضل الله الشيرازي النيسابوري. وهو كتاب في السيرة (كشف الظنون ١/ ٩٢٣).

. . . .

القاموس والعلامة السيد الشريف الجرجاني، وسمع منه مولانا نور الدين عبد الرحمن الجامي ـ قدس الله سره السامي ـ وغيره، توفي سنة أربع وثمانين وثمانمائة. قال: أروي كتاب المشكاة عن مولانا شرف الدين الجرمي، وهو يروي عن خواجه إمام الملة والدين علي بن مباركشاه الصديقي، وهو يروي عن المؤلف، وهذا الإسناد لا يوجد أعلى منه للاعتماد.

[الباعث لتأليف المرقاة]

فلما حصلت هذه النسخة المذكورة، وصححتها من النسخ المعتمدة المسطورة، رأيت أن أضبطها تحت شرح لطيف، على منهج شريف؛ يضبط ألفاظه مع مبانيه، ويبحث عن رواياته ومعانيه. فإن همم إخوان الزمان قد قصرت، ومجاهدتهم في تحصيل العلوم لا سيما في هذا الفن الشريف ضعفت، وهو مقتضى الوقت الذي تجاوز عن الألف، وبقي ضعف العلم والعمل بل ضعف الإيمان على ضعف، والله ولي دينه وناصر نبيه، وهو بكل جميل كفيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل. وأيضاً من البواعث أن غالب الشراح كانوا شافعية في مطلبهم، وذكروا المسائل المتعلقة بالكتاب على منهاج مذهبهم، واستدلوا بظواهر الأحاديث على مقتضى مشربهم.

وسموا الحنفية أصحاب الرأي على ظن أنهم ما يعملون بالحديث، بل ولا يعلمون الرواية والتحديث لا في القديم ولا في الحديث، مع أن مذهبهم القوي تقديم الحديث الضعيف، على القياس المجرد الذي يحتمل التزييف. نعم من رأي ثاقبهم، الذي هو معظم مناقبهم، أنهم ما تشبثوا بالظواهر، بل دققوا النظر فيها بالبحث عن السرائر، وكشفوا عن وجوه المسائل نقاب الستائر؛ ولذا قال الإمام الشافعي: «الخلق كلهم عيال على أبي حنيفة في الفقه»، وهذا الاعتراف يدل على الاعتراف وكمال الانصاف منه ـ رضي الله تعالى عنهما ونفعنا بعلومهما ومددهما ـ فأحببت أن أذكر أدلتهم، وأبين مسائلهم وأدفع عنهم مخالفتهم، لئلا يتوهم العوام الذين ليس لهم معرفة بالأدلة الفقهية، أن المسائل الحنفية تخالف الدلائل الحنيفية، (وسميته مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح) والله تعالى أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه من فضله، وأن ينفع المسلمين به كما ينفعهم بأصله وفصله، فأقول وبالله التوفيق وبيده أزمة التحقيق.

قال الشيخ رحمه الله:
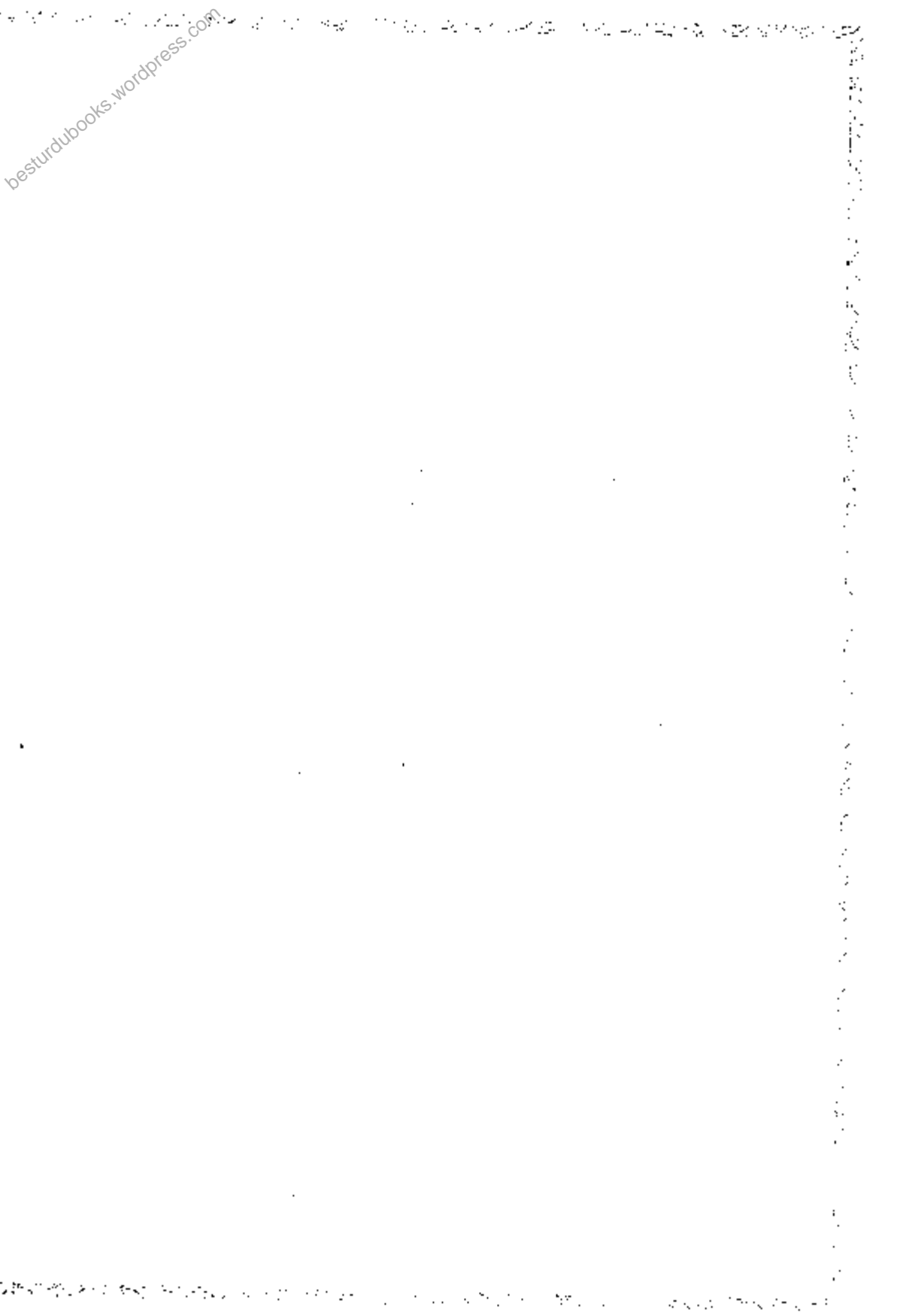
بسم الله الرحمن الرحيم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

[خطبة الكتاب]

اقتداء بالقرآن العظيم، وتخلقاً بأخلاق العزيز العليم، واقتفاء للنبي الكريم، حيث قال: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر»[1] أي قليل البركة أو معدومها، وقيل: إنه من البتر وهو القطع قبل التمام والكمال، والمراد بذي البال ذو الشأن في الحال أو المآل. رواه الخطيب بهذا اللفظ في كتاب الجامع.

واختلف السلف الأبرار، في كتابة البسملة في أول كتب الأشعار؛ فمنعه الشعبي والزهري، وأجازه سعيد بن المسيب واختاره الخطيب البغدادي. والأحسن التفصيل بل هو الصحيح، فإن الشعر حسنه حسن وقبيحه قبيح، فيصان إيراد البسملة في الهجويات والهذيان ومدائح الظلمة ونحوها، كما تصان في حال أكل الحرام وشرب الخمر ومواضع القاذورات [وحالة المجامعة] وأمثالها والأظهر أنه لا يكتب في أول كتب المنطق على القول بتحريم مسائلها، وكذا في القصص الكاذبة بجميع أنواعها، والكل مستفاد من قوله: «ذي بال»، والله أعلم بحقيقة الحال. ثم إنه ورد الحديث بلفظ: «كل كلام ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم»[2] رواه أبو داود والنسائي في عمل اليوم والليلة، وبلفظ: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع»[3] رواه ابن ماجه. والتوفيق بينهما أن المراد منهما الابتداء بذكر الله سواء يكون في ضمن البسملة أو الحمدلة، بدليل أنه جاء في حديث رواه الرهاوي في أربعينه، وحسنه ابن الصلاح، ولفظه: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أقطع»[4]، أو يحمل حديث البسملة على الابتداء الحقيقي بحيث لا يسبقه شيء، وحديث الحمدلة[4] على الابتداء الإضافي وهو ما بعد البسملة. قيل: ولم يعكس لأن حديث البسملة أقوى في المنهال، بكتاب الله الوارد على هذا المنوال. ويخطر بالبال، والله أعلم بالحال، أن توفيق الافتتاح بالبسملة لما كان من النعم الجزيلة، ناسب أن تكون الحمدلة متأخرة عنها لتكون متضمنة للشكر على هذه

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٧٢ حديث رقم ٤٨٤٠.

(٢) أخرجه ابن ماجة ١/ ٦١٠ حديث ١٨٩٤. (٣) وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٥٩.

(٤) في المخطوطة الحمد.

المنحة الجميلة. هذا وقد يقال إن المراد بالابتداء افتتاح عرفي موسع ممدود، يطلق على ما قبل الشروع في المقصود، كما يقال أوّل الليل وأوّل النهار وأوّل الوقت وأوّل الدبار، وحينئذ لا يرد على المصنف أنه جاء في رواية: «كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه بذكر الله ثم بالصلاة عليّ فهو أقطع ممحوق من كل بركة» أخرجه الرهاوي عن أبي هريرة مرفوعاً. وإن قيل بضعفه، وجاء في رواية الترمذي وحسنه عن أبي هريرة مرفوعاً: «كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء»[1] على رواية ضم الخاء، وهو الظاهر من صنيع[2] الترمذي حيث أورده في باب خطبة النكاح، وكذا يفهم من اعتراض الشيخ ابن حجر العسقلاني على البخاري في تركه الشهادة أول كتابه. مع أنه قد يجاب عنه بعدم صحة الحديث عنده، أو بأن روايته كسر الخاء لا ضمه والله أعلم.

ثم الباء جاء لأربعة عشر معنى، والمناسب ههنا منها الإلصاق والاستعانة، وهي متعلقة بمقدر وأخر على المختار تحقيقاً لحقيقة الابتداء، وتعظيماً للاسم الخاص عن الانتهاء، وإفادة للاهتمام، وإرادة لمقام الاختصاص[3] الذي هو المرام، وردّ لدأب المشركين حيث كانوا يبتدئون بالأصنام، ويفتتحون بذكر الله في بعض الكلام. لكن قال العارف الجامي: «حقيقة الابتداء [باسمه] سبحانه عند العارفين أن لا يذكر باللسان ولا يخطر بالجنان في الابتداء غير اسمه سبحانه، لا اثباتاً ولا نفياً، فإن صورة نفي الغير ملاحظة للغير، فهو أيضاً ملحوظ في الابتداء، فليس الابتداء مختصاً باسمه سبحانه، فلا حاجة إلى تقدير المحذوف مؤخراً إلا أن يكون اسم الله سبحانه في التقدير أيضاً مقدماً كما أنه في الذكر مقدم». اهـ والمعنى: باسم الله ابدأ تصنيفي أو ابتدائي في جميع أموري متبركاً باسمه ومستعيناً برسمه[4].

والاسم من الأسماء التي بنى أوائلها على السكون فعند الابتداء بها يزيدون همزة الوصل، والأصح أنه من الأسماء المحذوفة العجز كيد ودم بدليل تصاريفه من سميت ونحوه. واشتقاقه بهمزة من السمو، وهو العلو لأن التسمية تنويه بالمسمى ورفع لقدره. وعند الكوفية أصله وسم وهو العلامة لأنه علامة دالة على المسمى فحذف حرف العلة تخفيفاً ثم أدخلت عليه همزة الوصل، وسقطت كتابتها في البسملة المختصة بالجلالة على خلاف رسم الخط لكثرة الاستعمال الكتبي، وطوّلت الباء دلالة عليها قبل ذكر الاسم فرقاً بين اليمين والتيمن. وقيل: الاسم صلة، وهو إن أريد به اللفظ فلا يصح القول بأنه عين المسمى، وإن أريد به ذات الحق الوجود المطلق إذا اعتبر مع صفة معينة كالرحمن مثلاً، هو الذات الإلهية [مع صفة الرحمة والقهار] مع صفة القهر فهو عين المسمى بحسب التحقيق والوجود[5] وإن كان غيره بحسب التعقل: والأسماء الملفوظة هي أسماء هذه الأسماء. والإضافة لامية والمراد بعض

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٧٣ حديث ٤٨٤١. وأخرجه الترمذي.

(٢) في المخطوطة صيغ.

(٣) في المخطوطة واختصاص.

(٤) في المخطوطة بوسمه.

(٥) في المخطوطة الموجود.

أفراده التي من جملتها الله والرحمن والرحيم، أو يراد به هذه الأسماء بخصوصها بقرينة التصريح [بها] ويمكن أن تكون الإضافة بيانية بناء على ما تقدم، هكذا قاله بعض المحققين.

واعلم أن هذه المسألة قد اختلف فيها على مذاهب: أحدها أن الاسم عين المسمى والتسمية، وثانيها ـ وهو المنقول عن الجهمية والكرامية والمعتزلة ـ غيرهما، قال العلامة العز ابن جماعة: «هو الحق»، وثالثها عين المسمى وغير التسمية، وهو المصحح عند [بعض] الحنفية، وهو المراد بقول القائل وليس الاسم غيراً للمسمى، ورابعها لا عين ولا غير. والثالث هو المنقول عن الأشعري لكن في اسم الله تعالى أعني كلمة الجلالة خاصة، لأن مدلول هذا الاسم الذات من حيث هي بخلاف غيره، كالعالم فمدلوله الذات باعتبار الصفة. وقد نبه الإمام الرازي والآمدي على أنه لا يظهر في هذه المسألة ما يصلح محلاً لنزاع العلماء والله أعلم. وفي التعرف أجمعوا أن الصفات ليست هي هو ولا غيره، وأجمعوا أنها لا تتغاير وليس علمه قدرته [ولا غير قدرته] ولا قدرته علمه ولا غير علمه وكذلك جميع صفاته من السمع والبصر وغيرهما، واختلفوا في الأسماء فقال بعضهم: «أسماء الله تعالى ليست هي الله ولا غير الله» كما قالوا في الصفات، وقال بعضهم: «أسماء الله هي الله» والله أعلم.

ثم اعلم أنه تحير العلماء في تدقيق اسم الله كما تحير العرفاء في تحقيق مسماه ـ سبحان من تحير في ذاته سواه ـ فقيل: إنه عبري لأن أهل الكتاب كانوا يقولون الاها فحذفت العرب [الألف] الأخيرة للتخفيف كما فعلوا في النور والروح واليوم؛ فإنها في اللغة العبرانية كانت نوراً وروحاً ويوماً، وهذا وجه من قال إنه معرّب، والحق أنه عربي لأن ما ذكروه من توافق اللغتين لا يدل على كون إحداهما متأخرة عن الأخرى مأخوذة عنها.

ثم اختلفوا أاسم هو أم صفة؟ مشتق، وعليه الأكثر، أو غير مشتق؟ علم أو غير علم؟ وما أصله على تقدير اشتقاقه؟ ومختار صاحب الكشاف[1] أنه كان في الأصل اسم جنس ثم صار علماً وأن أصله الإله، وإنه مشتق من إله بمعنى تحير، فالله متحير فيه لأنهم لا يحيطون به علماً وحكى سيبويه والمبرد عن الخليل أن الله اسم خاص علم لله غير مشتق من شيء وليس بصفة فعلى هذا يكون جامعاً لأسمائه ونعوته وصفاته. وقيل: إنه مأخوذ من الهت إلى فلان إذا فزعت إليه [عند الشدائد] قال:

ألهت إليكم في بلايا تنوبني ❊ فألفيتكم فيها كريماً ممجدا

فإن الخلق يفزعون إليه عند الشدائد، أو من أله الفصيل إذا ولع بأمه، لأن العباد يولهون به وبذكره. وقيل: من تألهت أي تضرعت، فالإله هو الذي يتضرع إليه. وقيل: من قولهم لاه يلوه لوها ولاها إذا احتجب وارتفع قال:

لاه ربي عن الخلائق طراً ❊ فهو الله لا يُرى ويَرى هو

---

(١) هو الإمام الزمخشري والكشاف كتاب في التفسير.

. . . .

وقيل من ألهت بالمكان إذا قمت به، ومعناه الذي لا يتغير عن صفته كما أن المقيم لا يتحوّل عن بقعته، ومنه قول الشاعر:

ألهنا بدار لا تبين رسومها * كأن بقاياها وشام على الأيدي

وقيل: الإله أصله ولاه فهو من الوله، كما قيل في اسادة واشاح واجوه وسادة ووشاح ووجوه، ومعناه أن العباد يولهون عند ذكر الإله أي يطربون منه، ومنه قول الكميت:

ولهت نفسي الطروب إليكم * ولها حال دون طعم الطعام

وقيل: الوله المحبة الشديدة، وقيل: مشتق من إله بمعنى عبد، فالإله فعال بمعنى المعبود كالكتاب بمعنى المكتوب، ويدل عليه قراءة ابن عباس: «ويذرك وإلاهتك» أي عبادتك. ثم قال سيبويه: «الأصل في قولنا الله إله فلما حذفت همزته عوّضت في أوله الألف واللام عوضاً لازماً فقيل الله». وقال المبرد: «الأصل في لاه لوه على وزن دور فقلبوا [الواو] ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار لاه على وزن دار، ثم أدخلوا عليه لام التعريف». وقال أبو الهيثم الرازي: «الأصل في الله هو الإله خففت الهمزة بإلقاء حركتها على اللام الساكنة [قبلها] وحذفت فصارت اللاه، ثم أجريت الحركة العارضة مجرى الأصلية وأدغمت اللام الأولى في الثانية». قيل: ههنا إشكال صرفي، وهو أنه إن نقلت حركة الهمزة إلى ما قبلها أولاً على ما هو القياس، ثم حذفت فيلزم أن يكون وجوب الإدغام غير قياسي لما تقرر في محله من أن المثلين المتحركين لا يجب فيهما الإدغام إذا كانا من كلمتين نحو ما سلككم ومناسككم، وإن حذفت الهمزة مع حركتها فيلزم مخالفة القياس في تخفيفها وإن كان لزوم الإدغام على القياس، ومن ثم قيل: هذا الاسم خارج عن مقتضى القياس، كما أن مسماه خارج عن دائرة قياس الناس. وأجيب باختيار الأول ومنع كون الإدغام في كلمتين بأنه لما جعل اللام عوضاً عن الهمزة وصار بمنزلتها صار كأنه في كلمة واحدة، على أنه يجوز أن يكون وجوب الإدغام بعد العلَمية فيكون الاجتماع في كلمة واحدة قطعاً. قلت: التحقيق أنه كما أن النقل فيه قياس غير مطرد فكذلك الإدغام في كلمتين، ويكفي جوازه ولا يحتاج إلى وجوبه؛ مع أن الإدغام في كلمتين اتفق عليه القراء في قوله: **﴿لا تأمنّا﴾** [يوسف ـ ١١] والحق أنه نظير قوله تعالى: **﴿لكنا هو الله ربي﴾** [الكهف ـ ٣٨] فإن الأصل لكن أنا، فحوّلوا الفتحة إلى ما قبلها من النون، فاجتمعت نونان متحركتان فأسكنوا الأولى وأدغموها في الثانية، وهذا القول محكي عن الفراء. وقيل: «الأصل فيه هاء الكناية عن الغائب»[1]، وذلك أنهم أثبتوا موجوداً في نظر عقولهم وأشاروا إليه بحرف الكناية، ثم زادوا فيه لام الملك لما علموا أنه خالق الأشياء ومالكها، فصار له، ثم قصروا الهاء وأشبعوا فتحة اللام فصار لاه؛ وخرج عن معنى الإضافة إلى الاسم المفرد فزيدت فيه الألف واللام للتعريف تعظيماً، وفخموه تأكيداً لهذا المعنى، فصار الله كما ترى، وهذا أقرب

(١) في المخطوطة الثابت.

....

بإشارات الصوفية من تحقيق اللغة العربية. وقيل: «ليس هو بمشتق بل هو علم ابتداء لذاته المخصوصة من غير ملاحظة معنى من المعاني المذكورة». ويلائم هذا المذهب ما ذكره بعض العارفين، من أنه اسم للذات الإلهية من حيث هي على الإطلاق، لا باعتبار اتصافها بالصفات ولا باعتبار لا اتصافها بها، ولذا قال الجمهور: «إنه الاسم الأعظم». قال القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني: «الاسم الأعظم هو الله، لكن بشرط أن تقول الله وليس في قلبك سواه».

وقد خص هذا الاسم بخواص لا توجد في غيره كما ذكره أهل العربية، منها أنه تنسب سائر الأسماء إليه ولا ينسب هو إلى شيء منها، ومنها أنه لم يسم به أحد من الخلق بخلاف سائر الأسماء، ومنها أنهم حذفوا لفظة ياء من أوّله وزادوا ميماً في آخره فقالوا: اللهم ولم يفعل ذلك لغيره، ومنها أنهم ألزموه الألف واللام [عوضاً لازماً عن همزته ولم يفعل ذلك في غيره، ومنها أنهم قالوا يا ألله فقطعوا همزته، ومنها أنهم جمعوا بين يا التي للنداء وبين الألف واللام] ولم يفعل ذلك في غيره حال سعة الكلام، ومنها تخصيصهم إياه في القسم بإدخال التاء وأيمن وأيم في قولهم تالله وأيمن الله وأيم الله، ومنها تفخيم لامه إذا انفتح ما قبله أو انضم، سنة ورثتها العرب كابراً عن كابر وتواتر نقل عن القراء عن رسول الله ﷺ، وحذف ألفه لحن تفسد به الصلاة.

و (**الرحمن**) فعلان من رحم كغضبان من غضب، على أنه صفة مشبهة بجعل الفعل المتعدي لازماً فينقل إلى فعُل بضم العين فيشتق منه الصفة المشبهة.

وأما (**الرحيم**) فإن جعل صيغة مبالغة كما نص عليه سيبويه في قولهم هو رحيم فلا[1] إشكال، وإن جعل من الصفات المشبهة كما يشعر به كلام الكشاف فالوجه ما ذكر في الرحمن. ثم في الرحمن زيادة مبالغة من الرحيم، لأن زيادة المبني تدل على زيادة المعنى[2]، وهي إما بحسب، شموله للدارين واختصاص الرحيم بالدنيا كما وقع في بعض الآثار «يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا»، وإما بحسب كثرة أفراد المرحومين وقلتها كما ورد «يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة»، وإما بحسب جلالة النعم ودقتها. وبالجملة ففي الرحمن مبالغة في معنى الرحمة ليست في الرحيم فيقصد به رحمة زائدة بوجه مَا، فلا ينافي ما يُروى من قولهم: «يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما» لجواز حملهما على الجلائل والدقائق، وقيل: رحمة الرحمن تتعلق بالمؤمن والكافر في الدنيا ورحمة الرحيم تختص بالمؤمنين في العقبى. ولا يجوز إطلاق الرحمن على غيره تعالى بخلاف الرحيم، قال تعالى: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾ [التوبة - ١٢٨] ولذا قيل: الرحمن

---

(١) في المخطوطة زيد نون فصارت فلان والصواب ما ذكر.

(٢) في المخطوطة البنا.

الحمد لله،

خاص اللفظ عام المعنى والرحيم عام اللفظ خاص المعنى.

ثم الرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والإحسان، وهي من الكيفيات التابعة للمزاج، والله سبحانه منزه عنها فإطلاقها عليه سبحانه إنما هو باعتبار الغايات التي هي أفعال دون المبادىء التي هي من الانفعالات، فهي عبارة عن الإنعام فتكون من صفات الأفعال، أو عن إرادة الإحسان فتكون من صفات الذات، فإن كل واحد منهما مسبب عن رقة القلب والانعطاف فتكون مجازاً مرسلاً من باب إطلاق السبب على المسبب. وقدم الرحمن على الرحيم مع أن القياس الترقي في الصفات من الأدنى إلى الأعلى بناء على الرحيم كالتتمة والرديف للرحمن، أو لزيادة شبهه بالله حيث اختص به سبحانه حتى قيل: إنه علم له، أو لتقدم رحمة الدنيا. وفي الاكتفاء بهاتين الصفتين من صفات الجمال وعدم ذكر صفة من صفات الجلال إشعار بقوله تعالى في الحديث القدسي: «غلبت رحمتي غضبي»[1] وفي الختم بالرحيم إيماء بحسن خاتمة المؤمنين وأن العاقبة للمتقين بعد حصول رحمته لعموم الخلق أجمعين.

(الحمد لله) قيل: الحمد والمدح والشكر ألفاظ مترادفة، والمحققون بينها يفرقون ويقولون: إن الحمد: «هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري من نعمة وغيرها»، والمدح يعم الاختياري وغيره، ولذا يقال: مدحته على حسنه ولا يقال: حمدته عليه، والشكر: «فعل ينبىء عن تعظيم المنعم بمقابلة النعمة سواء يكون باللسان أو الجنان والأركان»، فمورد الحمد خاص ومتعلقه عام والشكر بخلافه، وحقيقة الشكر ما روي عن الجنيد أنه: «صرف العبد جميع ما أنعم الله [به] عليه إلى ما خلق لأجله»، ورفعه بالابتداء وخبره لله وأصله النصب وقرىء به، وإنما عدل به إلى الرفع دلالة على الدوام والثبات، وقرىء بإتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلاً لهما لكثرة استعمالهما معاً منزلة كلمة واحدة.

ثم الجملة خبرية لفظاً انشائية معنى لتسمية قائلها بها حامداً، ولو كانت خبرية معنى لم يسم إلا مخبراً، ومعلوم أنه لا يشتق للمخبر اسم فاعل من ذلك الشيء إذ لا يقال لمن قال الضرب مؤلم ضارب، فإن قيل: جاز أن يعد الشرع المخبر بثبوت الحمد له تعالى حامداً، أجيب بأنه خلاف الأصل والأصل عدمه. واللام للاستغراق أي كل حمد صدر من كل حامد فهو ثابت لله، أو للجنس ويستفاد العموم من لام الاختصاص، وعلى التقديرين فجميع أفراد الحمد مختص له تعالى حقيقة وإن كان قد يوجد بعضها لغيره صورة، أو الحمد مصدر بمعنى الفاعل أو المفعول أي الحامدية والمحمودية ثابتان له تعالى فهو الحامد وهو المحمود، أو للعهد فإن حمده لائق له ولذا أظهر العجز [أحمد الخلق] عن حمده وقال: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» **(نحمده)** استئناف فأولاً أثبت الحمد له بالجملة الاسمية

---

(١) من حديث متفق عليه.

نحمدهُ ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالِنا، من يهدهِ الله فلا مضلَّ له، ومن يضلِلْ فلا هاديَ له. وأشهدُ أن لا إله إلا اللّهُ شهادةً تكون للنجاة

الدالة على الثبوت والدوام سواء حمد أو لم يحمد، فهو إخبار متضمن للإنشاء، وثانياً أخبر عن حمده وحمد غيره معه بالجملة الفعلية التي للتجدد والحدوث بحسب تجدد النعماء وتعدد الآلاء وحدوثها في الآناء، أو[1] المراد نشكره إما مطلقاً أو على توفيق الحمد سابقاً. **(ونستعينه)** أي في الحمد وغيره من الأمور الدنيوية أو الأخروية فيكون تبرياً من الحول والقوة النفسية ـ وفيه إشارة إلى رد القدرية كما أن فيما قبله رداً على الجبرية ـ ولم يقل وإياه نستعين لأن مقام الاختصاص لا يدركه إلا الخواص، ولذا قال ابن دينار: «لولا وجوب قراءة الفاتحة لما قرأتها لعدم صدقي فيها»، **(ونستغفره)** أي من السيئات والتقصيرات ولو في الحمد والاستعانة وسائر العبادات، **(ونعوذ بالله)** أي نلتجيء ونعتصم بعونه وحفظه **(من شرور أنفسنا)** أي من ظهور السيئات الباطنية التي جبلت الأنفس عليها، قيل: منها الحمد مع الرياء والسمعة وكذا مع إثبات الحول والقوة **(ومن سيئات أعمالنا)** أي من مباشرة الأعمال السيئة الظاهرة التي تنشأ عنها، وفيه اعتراف بأن البواطن والظواهر مملوءة من العيوب ومحشوّة من الذنوب، ولذا قيل: «وجودك ذنب لا يقاس به ذنب»، قيل: منها التصنيف بلا إخلاص وعدم رؤية التوفيق والاختصاص، ولولا حفظه تعالى مع توفيقه لما استقام أحد على طريقه «لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا». **(من يهده الله)** أي من يرد الله هدايته الموصلة إليه وعنايته المقربة لديه، **(فلا مضل له)** أي فلا أحد يقدر على إضلاله من المضلين من شياطين الإنس والجن أجمعين، **(ومن يضلل)** أي من يرد الله جهالته وعن الوصول إلى الحق ضلالته **(فلا هادي له)** أي فلا أحد يقدر على هدايته من الهادين من الأنبياء والمرسلين قال الله تعالى: ﴿**إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين**﴾ [القصص ـ ٥٦] وفيه إيذان بأن الأمر كله لله وليس لما سواه إلا ما قدّر له وقضاه من الكسب والاختيار ﴿**وربك يخلق ما يشاء ويختار**﴾ [القصص ـ ٦٨] ولظهور قصور عقولنا الفانية عن إدراك أسرار الحكم البالغة الباقية قال علي كرم الله وجهه: «لا يظهر سر القضاء والقدر إلا يوم القيامة».

ثم اعلم أن الضمير البارز ثابت في يهده، وأما في يضلل فغير موجود في أكثر النسخ، وهو عمل بالجائزين والأول أصل وفيه وصل والثاني فرع وفيه فصل، وفيه نكتة أخرى لا تخفى على أرباب الصفا.

(وأشهد) أي أعلم وأبين **(أن لا إله)** أي لا معبود، أو لا مقصود، أو لا موجود في نظر أرباب الشهود **(إلا الله)** أي الذات الواجب الوجود صاحب الكرم والجود. قال الطيبي: «أفرد الضمير في مقام التوحيد لأنه إسقاط الحدوث وإثبات القدم فأشار أولاً إلى التفرقة وثانياً إلى الجمع» اهـ. وقد يقال: إن الأفعال المتقدمة أمور ظاهرية يحكم بوجودها على الغير أيضاً

---

(١) في المخطوطة و.

وسيلة، ولرفع الدرجات كفيلة، وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسوله، الذي بعثه وطرقُ حالِ الإيمان قد عَفَتْ آثارُها،

بخلاف الشهادة فإنه أمر قلبي غيبي لا يعلم بحقيقته إلا هو، **(شهادة)** مفعول مطلق موصوف بقوله **(تكون)** أي بخلوصها **(للنجاة)** أي الخلاص من العذاب في الدارين على تقدير الاكتفاء [بها] **(وسيلة)** أي سبباً لا علة **(ولرفع الدرجات)** أي العاليات في الجنان الباقيات **(كفيلة)** أي متضمنة [ملتزمة]، والمعنى أن الشهادة إذا تكررت وانتجت ارتكاب الأعمال الصالحة واجتناب الأفعال الطالحة صارت سبباً لعلوّ الدرجات وكانت مانعة عن الوقوع في الدركات. وبما قررناه اندفع ما يرد على المصنف من أن دخول الجنة بالإيمان ورفع الدرجات بالأعمال، ولكون التوفيق على هذا السبب من فضله لا ينافي قوله عليه الصلاة والسلام: «لن ينجي منكم أحد بعمله»[1].

(وأشهد أن محمداً) هو في الأصل اسم مفعول من حمد مبالغة حمد، نقل من الوصفية إلى الاسمية، سمي به والأسماء تنزل من السماء لوصوله إلى المقام المحمود الذي يحمده الأولون والآخرون **(عبده)** إضافة تشريف وتخصيص إشارة إلى كمال مرتبته في مقام العبودية بالقيام في أداء حق الربوبية، وقدمه لأنه أشرف أوصافه وأعلاها وأفضلها وأغلاها، ولذا ذكره الله تعالى بهذا الوصف في كثير من المواضع فقال: **﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾** [الإسراء - ١] **﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده﴾** [الفرقان - ١] **﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾** [النجم - ١٠] ولله در القائل:

لا تدعني إلا بيا عبديا * فإنه أشرف أسمائيا

وما أحسن قول القاضي عياض:

ومما زادني عجباً وتيهاً * وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولكَ يا عبادي * وأن صيَّرت أحمدَ لي نبيا

(ورسوله) إشارة إلى أعلى مراتب القرب وأولى منازل الحب، وهو الفرد الأكمل والواصل إلى المقام الأفضل، وفي الجمع بين الوصفين تعريض للنصارى حيث غلوا في دينهم وأطروا في مدح نبيهم. ثم قيل: النبي والرسول مترادفان، والأصح أن النبي: «إنسان ذكر حر من بني آدم أوحي إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه فإن أمر به فرسول أيضاً»، فالأوّل أعم من الثاني فكل رسول نبي ولا عكس، وذكر الأخص في هذا المقام أنص على معنى المرام، **(الذي بعثه)** أي الله، كما في نسخة، أي أرسله إلى الثقلين، وقيل: إلى الملائكة أيضاً، وقيل: إلى سائر الحيوانات، وقيل إلى جميع المخلوقات كما يدل عليه خبر مسلم: «وأرسلت إلى الخلق كافة»[2]. **(وطرق حال الإيمان)** من الأنبياء والكتب والعلماء **(قد عفت آثارها)** أي اندرست أخبارها، والجملة حالية، والمعنى: أن الله تعالى أرسله وأظهره في حال كمال احتياج الناس

---

(١) البخاري ١١/ ٢٩٤ حديث ٦٤٦٣. مسلم ٤/٢١٦٩ حديث ٢٨١٦.

(٢) البخاري ١/ ٥٣٣ حديث رقم ٤٣٨ ولمسلم معناه.

وخبتْ أنوارُها، ووهنت أركانها، وجُهل مكانها، فشيد صلواتُ الله عليه وسلامُه عليه من معالمها ما عفا، وشفى من العليل في تأييد كلمة التوحيد مَن كان على شفا، وأوضحَ سَبِيلَ الهداية لمن أرادَ أن يسلُكها، وأظهرَ كنوزَ السعادة لمن قصدَ أن يملكها.

إليه عليه الصلاة والسلام، فإنهم كانوا في غاية من الضلالة ونهاية من الجهالة إذ لم يكن حينئذ على وجه الأرض من يعرفها إلا أفراد من أتباع عيسى عليه الصلاة والسلام، استوطنوا زوايا الخمول ورؤوس الجبال، وآثروا الوحدة والأفول[1] عن الخلق بالاعتزال، **(وخبت أنوارها)** أي خفيت وانطفأت بحيث لا يمكن اقتباس العلم المشبه بالنور كما في كمال الظهور، **(ووهنت)** أي ضعفت حتى انعدمت **(أركانها)** من أساس التوحيد والنبوّة والإيمان بالبعث والقيامة، وقيل: المراد الصلوات والزكوات وسائر العبادات، **(وجهل)** بصيغة المجهول **(مكانها)** مبالغة في ظهور ظلمة الجهل وغلبة الفسق وكثرة الظلم وقلة العدل، **(فشيد)** أي رفع وعلى وأظهر[2] وقوّى بما أعطيه من العلوم والمعارف التي لم يؤتها أحد مثله فيما مضى **(صلوات الله)** أي أنواع رحمته وأصناف عنايته نازلة **(عليه)** وفائضة لديه ومتوجهة إليه، وفي نسخة منسوبة إلى السيد عفيف الدين زيادة **(وسلامه عليه)** يعني جنس السلامة من كل آفة في الدارين، وهي جملة معترضة إخبارية، أو دعائية وهي الأظهر **(من معالمها)** جمع المَعْلم وهو العلامة **(ما عفا)** [ما] موصولة [أو موصوفة] مفعول شيد، ومن بيانية متقدمة، والمعنى: أظهر وبين ما اندرس وخفي من آثار طرق الإيمان وعلامات أسباب العرفان والإيقان **(وشفى)** عطف على شيد **(من العليل)** بيان مقدم لمن رعاية للسجع **(في تأييد كلمة التوحيد)** أي تأكيده وتقويته ونصرته وإعانته متعلق بشفى ومفعوله قوله **(من كان على شفا)** أي وخلص من كان قريباً من الوقوع في حفرة الجحيم والسقوط في بئر الحميم، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وكنتم على شفا [أي طرف] حفرة من النار فانقذكم منها**﴾ [آل عمران - ١٠٣]. وقيل: من للتبعيض، أي أبرأ من جملة المعلولين من كان على إشراف من الهلاك إيماء إلى أنه طبيب العيوب وحبيب القلوب. وفي الكلام صنعة جناس، وهو تشابه الكلمتين لفظاً، وصنعة طباق وهو الجمع بين الضدين في الجملة. وأغرب السيد جمال الدين حيث قال: والعليل بعين مهملة في أصل سماعنا وجميع النسخ الحاضرة، ويجوز أن يقرأ بغين معجمة ويكون من الغل بمعنى الحقد، ووجه غرابته إما لفظاً فلفوت المناسبة بين الشفاء والعلة، وإما معنى فلذهاب عموم العلل المستفاد من جنس العليل، واقتصاره على علة الحقد[3] فقط مع عدم ملاءمته للمقام، **(وأوضح سبيل الهداية)** أي بين وعين طريق الاهتداء إلى المطلوب وسبيل الوصول إلى المحبوب **(لمن أراد أن يسلكها)** والسبيل يذكر ويؤنث أي لمن طلب وشاء من نفسه أن يدخل فيها، وإرادة العبد تابعة لإرادة الله تعالى: ﴿**وما تشاؤون إلا أن يشاء الله**﴾ [الإنسان - ٣٠] **(وأظهر كنوز السعادة)** أي المعنوية وهي المعارف والعلوم والأعمال العلية[4] والأخلاق والشمائل والأحوال البهية المؤدية إلى الكنوز الأبدية والخزائن السرمدية **(لمن قصد أن يملكها)** أي بمملكة يتوصل بها إلى مُلْكها ويتوسل بها إلى مُلْكها. قال تعالى: ﴿**وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً**﴾ أي كثيراً

---

(١) الأفول أي الغروب.
(٢) في المخطوطة ظهر.
(٣) في المخطوطة القد.
(٤) في المخطوطة العملية.

أما بعدُ؛ فإنَّ التمسكَ بهديه لا يَستتِبُ إلا بالاقتفاءِ لما صدرَ مِن مشكاته، والاعتصام بحبل الله

﴿وملكاً كبيراً﴾ [الإنسان ـ ٢٠]، وفي قوله أراد وقصد، إشارة إلى ما قال بعض المشايخ لا بد من السمي ولا يحصل بالسعي، ووجه التخصيص أنهم المنتفعون بالإيضاح والإظهار كقوله تعالى: ﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة ـ ٢].

ثم قيل: يرد عليه بناء على النسخة المشهورة في الاكتفاء بالصلاة دون السلام ما نقله النووي عن العلماء من كراهة إفراد أحدهما عن الآخر، لكن يحتمل أن محل الكراهة فيمن اتخذه عادة وهو ظاهر، أو يحمل على أنه جمع بينهما بلسانه واقتصر على كتابة أحدهما وهذا بعيد، أو الكراهة بمعنى خلاف الأولى لإطلاقها عليه كثيراً وهو الأولى.

(**أما بعد**) أتى به اقتداء به عليه الصلاة والسلام وبأصحابه فإنهم كانوا يأتون به في خطبهم للانتقال من أسلوب إلى آخر، ويسمى فصل الخطاب، قيل: أول من قال به داود عليه الصلاة والسلام، وأما التفصيل المجمل وهو كلمة شرط محذوف فعله وجوباً، وبعد من الظروف الزمانية متعلق بالشرط المحذوف، وهو مبني على الضم لقطعه عن الإضافة والمضاف إليه منوي؛ والتقدير مهما يذكر شيء من الأشياء بعد ما ذكر من البسملة والحمدلة والصلاة والثناء (**فإن التمسك بهديه**) أي التشبث والتعلق بطريقه عليه الصلاة والسلام (**لا يستتب**) بتشديد الموحدة، أي لا يستقيم ولا يستمر أو لا يتهيأ ولا يتأتى (**إلا بالاقتفاء**) أي بالاتباع التام (**لما صدر**) أي ظهر (**من مشكاته**) أي صدره أو قلبه أو فمه، والأول أظهر فإن المشكاة لغة: «هي الكوة في الجدار الغير النافذ يوضع فيها المصباح»، استعيرت لصدره عليه الصلاة والسلام لأنه كالكوة ذو وجهتين فمن جهة يقتبس النور من القلب المستنير ومن أخرى يفيض ذلك النور المقتبس على الخلق، وشبهت اللطيفة القدسية التي هي القلب بالمصباح المضيء. ثم الكل مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**الله نور السموات والأرض مثل نوره**﴾ قيل نور محمد ﴿**كمشكوة فيها مصباح**﴾ [النور ـ ٣٥] هذا ويحتمل أن يرجع الضمير في هديه إلى الله تعالى، والمراد بهديه توحيده ويزيده عطف قوله الآتي والاعتصام بحبل الله عليه غايته أنه وضع الظاهر موضع الضمير دفعاً للتوهم وتبعاً[١] للوارد في قوله تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله**﴾ [آل عمران ـ ١٠٣] وعكس في الأول لظهوره ودلالة المقام عليه فلو بين الضمير بالتصريح لكان أولى سيما مع وجود الفصل بفصل الخطاب والله أعلم بالصواب، (**والاعتصام**) بالنصب ويجوز رفعه، أي التمسك (**بحبل الله**) وهو القرآن لما ورد: «القرآن حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض»[٢]، شبه به لأنه يتوسل[٣] به إلى المقصود ويحصل به الصعود إلى مراتب السعود،

---

(١) في المخطوطة تبعاً.

(٢) من حديث أخرجه الترمذي ٥/٦٢٢ حديث ٣٧٨٨ ولمسلم معناه.

(٣) لعل الصواب يتوصل.

لا يتمُّ إلا ببيان كشفه، وكان «كتاب المصابيح» الذي صنفهُ الإمامُ

وفيه إشارة إلى أنه قابل للتعلي والتدلي ولذا ورد في الحديث: «القرآن حجة لك أو عليك»، فهو كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين قال تعالى: ﴿يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً﴾ [البقرة ـ ٢٦] ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ [الإسراء ـ ٨٢] (لا يتم) أي لا يكمل الاعتصام بالكتاب (إلا ببيان كشفه) أي من السنة النبوية والإضافة بيانية، قال تعالى: ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [النحل ـ ٢٤] ولا خفاء في الإجمالات القرآنية والتبيينات الحديثية، فإن الصلاة مجملة لم يبين أوقاتها وأعدادها وأركانها وشرائطها وواجباتها وسننها ومكروهاتها ومفسداتها إلا السنة، وكذا الزكاة لم يعلم مقدارها وتفاصيل نصابها ومصارفها إلا بالحديث، وكذا الصوم والحج وسائر الأمور الشرعية والقضايا والأحكام الدينية وتمييز الحلال والحرام وتفاصيل الأحوال الأخروية. فعليك بالكتاب والسنة وإجماع الأمة بالاجتناب عن طريق أرباب الهوى وأصحاب البدعة، لتكون من الفرقة الناجية السالكة طريق المتابعة، على وجه الاستقامة، ولله در القائل:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة * إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
العلم متبع ما فيه حدثنا * وما سوى ذاك وسواس الشياطين

وما قاله بعض الصوفية من أن حدثنا باب من أبواب الدنيا مراده [أنه] إذا لم يرد به مرضاة المولى، ولذا قال بعض العلماء المحدثين: «طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله»، وقيل: لأحمد بن حنبل: إلى متى العلم؟ فأين العمل؟ قال: علمنا هذا هو العمل، وقد روى ابن عبّاس عن عليّ كرم الله وجهه أنه عليه الصلاة والسلام خرج يوماً من الحجرة الشريفة وقال: «اللهم ارحم خلفائي» قلنا: من خلفاؤك يا رسول الله؟ قال: «خلفائي الذين يروون أحاديثي وسنني ويعلمونها الناس»[1]، وفي صحيح البخاري أن جابر بن عبدالله الأنصاري ارتحل من المدينة مسافة شهر لتحصيل حديث واحد[2].

(وكان كتاب المصابيح) قيل: أحاديثه أربعة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون حديثاً، وزاد صاحب المشكاة ألفاً وخمسمائة واحد عشر حديثاً، فالمجموع خمسة آلاف وتسعمائة وخمسة وأربعون، وينضبط بستة آلاف إلا كسر خمس وخمسين (الذي صنفه) أي ألفه وجمعه (الإمام) أي المقتدى به في جميع الأحكام، فإنه كان مفسراً محدثاً فقيهاً من أصحاب الوجوه، قال بعض مشايخنا: «ليس له قول ساقط»، وكان ماهراً في علم القراءة عابداً زاهداً جامعاً بين العلم والعمل على طريقة السلف الصالحين. كان يأكل الخبز وحده بلا إدام، فعدل عن ذلك لكبره وعجزه فصار يأكله بالزيت، وقيل: بالزبيب. وقد روى عنه الحديث جماعة من الأكابر كالحافظ أبي موسى المديني والشيخ أبي النجيب السهروردي

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط.

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً ١/ ١٧٣ باب الخروج في طلب العلم.

مُحيي السنة، قامعُ البدعة، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، رفعَ اللّهُ درجته. أجمعَ كتابٍ صُنفَ في بابه، وأضبطَ لشواردِ الأحاديثِ وأوابدِها. ولمّا سلكَ. رضي اللّهُ عنه. طريقَ الاختصارِ، وحذفَ الأسانيدِ؛

عم صاحب العوارف[1]. وله غير المصابيح تصانيف مشهورة كشرح السنة في الحديث، وكتاب التهذيب في الفقه، ومعالم التنزيل في التفسير، (محيي السنة) أي الأدلة الحديثية من أقواله وأفعاله وتقريره وأحواله عليه الصلاة والسلام، روي أنه لما جمع كتابه المسمى بشرح السنة رأى النبي ﷺ في المنام فقال له: «أحياك الله كما أحييت سنتي»، فصار هذا اللقب علماً له بطريق الغلبة. توفي سنة ست عشرة وخمسمائة بمرو، ودفن عند شيخه واستاذه القاضي حسين المروزي فقيه خراسان، (قامع البدعة) أي قاطعها ودافع أهلها، أو مبطلها ومميتها (أبو محمد) كنيته (الحسين) اسمه وهو مرفوع على أنه بدل، أو عطف بيان (ابن مسعود) نعته (الفراء) بالجر نعت لأبيه، وهو الذي يشتغل الفرو أو يبيعه، وهو غير الفراء النحوي المشهور على ما توهم بعضهم فإنه ينقل عنه في تفسيره (البغوي) بالرفع ويجوز جزه، منسوب إلى بغ، وقيل: إلى بغشور قرية بين مرو وهراة في حدود خراسان، والاسم المركب تركيباً مزجياً ينسب إلى جزئه الأوّل، كمعدي في معدي كرب وبعل في بعلبك، وإنما جاءت[2] الواو في النسبة إجراء للفظة بغ مجرى محذوف العجز كالدموي، ولئلا يلتبس بالبغي بمعنى الزاني، وقيل إنه منسوب على خلاف القياس (رفع الله درجته) وأسبغ عليه رحمته، والجملة دعائية إيماء إلى قوله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة ـ ١١] (أجمع كتاب) خبر كان (صنف) أي ذلك الكتاب (في بابه) أي في باب الحديث، فإنه جمع الأحاديث المهمة التي لا يستغني عنها سالك طريق الآخرة ولو كان من الأئمة على ترتيب أبواب الكتب الفقهية ليسهل الكشف، ويفسر [بعض] الأحاديث بعضها الإجمالية وتتبين[3] المسائل الخلافية بمقتضى الدلالات الحديثية (وأضبط) عطف على أجمع، لأنه لما جرد عن الأسانيد وعن اختلاف الألفاظ وتكرارها في المسانيد صار أقرب إلى الحفظ والضبط وأبعد من الغلط والخبط (لشوارد الأحاديث) جمع شاردة وهي النافرة والذاهبة عن الدرك من باب إضافة الصفة إلى الموصوف (وأوابدها) عطف تفسير أي وحشياتها، شبهت الأحاديث بالوحوش لسرعة تنفرها وتبعدها عن الضبط والحفظ، ولذا قيل: «العلم صيد والكتابة قيد».

(ولما سلك) أي البغوي (رضي الله عنه) جملة معترضة دعائية، أي سلك في مسلك تصنيفه هذا (طريق الاختصار) أي بالاكتفاء على متون الأحاديث على وجه الاقتصار (وحذف الأسانيد) عطف على سلك، وقيل: مصدر مضاف عطف على طريق، وهو على الوجهين

---

(١) عوارف المعارف للشيخ شهاب الدين أبي حفص عمر بن عبد الله السهروردي ت ٦٣٢ وهو كتاب في التصوف (كشف الظنون ٢: ١١٧٧).

(٢) في المخطوطة جاء.

(٣) في المخطوطة تبين.

تكلَّمَ فيه بعضُ النقاد، وإن كان نقله . وانه من الثقات . كالإسناد، لكن ليس ما فيه أعلام كالأغفال،

عطف تفسير، والمراد بالاسناد إما حذف الصحابي وترك المخرّج في كل حديث، وهو مجاز من باب إطلاق الكل على البعض أي طرفي الإسناد وهو مراد المصنف ظاهراً من قوله: «لكن ليس ما فيه أعلام كالأغفال»، وإما معناه الحقيقي على مصطلح أهل الحديث وهو حكاية طريق متن الحديث بحيث يعلم رواته.

ثم إنه إنما حذفها لعدم الفائدة في ذكرها، لأن المقصود منها أن يعلم عند التعارض راجح الحديث من مرجوحه وناسخه من منسوخه بسبب زيادة عدالة الرواة وتقدم بعضهم على بعض ونحو ذلك من الأمور التي لا بد للمجتهد منها، ولما عدم المجتهدون في هذه الأعصار وندر وجودهم في الأمصار ووضع هذا الكتاب للصلحاء الأبرار لم يكن في ذكرها نفع كثير فاقتصر على بيان الصحة والحسن إجمالاً بقوله: «من الصحاح والحسان إكمالاً» **(تكلم فيه)** جواب لما أي طعن في بعض أحاديث كتابه **(بعض النقاد)** بضم النون وتشديد القاف، أي العلماء الناقدين المميزين بين الصحيح والضعيف كذا ذكره بعض الشراح، وهو غير صحيح لأن الطعن في رجال الحديث لا يكون إلا بإسناده وهو لا يختلف بذكره وعدم ذكره، اللهم إلا أن يقال هذا يتصور في بعض أفراد الحديث؛ وهو أن يكون له إسنادان فلو ذكر إسناده الثابت لما وجد الطاعن فيه مطعناً، ويؤيده قوله: «وإن كان ثقة» الخ وحينئذ يكون معنى الكلام وإن كان اعتراض ذلك البعض مدفوعاً عنه لكونه ثقة، وإذا نسب الحديث إلى الأئمة المخرجين الموردين للحديث مع الإسناد بقوله: «الصحاح ما فيه حديث الشيخين أو أحدهما، والحسان ما فيه أحاديث سائر السنن فهو في حكم الإسناد». وقال السيد جمال الدين: أي تكلم في حقه واعترض عليه بعض المبصرين بأن صحة الحديث وسقمه متوقفة على معرفة الإسناد فإذا لم يذكر لم يعرف الصحيح من الضعيف فيكون نقصاً. **(وإن كان نقله)** أي نقل البغوي بلا إسناد، والواو وصلية **(وإنه من الثقات)** أي المعتمدين في نقل الحديث وبيان صحته وحسنه وضعفه **(كالإسناد)** أي كذكره، رُوي بكسر الهمزة في «إنه» على أنه حال من المضاف إليه في نقله، ورُوي بفتحها للعطف على اسم كان يعني «نقله» بتأويل المصدر، أي وإن كان نقله وكونه من الثقات كالإسناد، لأن هذا شأن من اشتهرت أمانته وعلمت عدالته وصيانته فيعوّل على نقله وإن تجرّد عن إسناد الشيء لمحله **(لكن ليس ما فيه أعلام)** أعلام الشيء بفتح الهمزة آثاره التي يستدل بها **(كالأغفال)** بالفتح وهي الأراضي المجهولة ليس فيها أثر تعرف به، وفي بعض النسخ بكسر الهمزة فيها، فهما[1] مصدران لفظاً وضدان معنى، وأراد بالأوّل كتابه المشكاة وبالثاني المصابيح. وكان حقه أن يقول لكن ليس ما فيه إغفال كالأعلام، ولعله قلب الكلام تواضعاً مع الإمام وهضماً لنفسه عن بلوغ ذلك المرام.

والحاصل أنه ادّعى أن في صنيع البغوي قصوراً في الجملة، وهو عدم ذكر الصحابة

---

(١) في المخطوطة فيهما.

فاستخرتُ اللّهَ تعالى، واستوفقتُ منه،

أوّلاً، وعدم ذكر المخرّج في كل حديث آخراً، فإن ذكرهما مشتمل على فوائد، أما ذكر الصحابي ففائدته أن الحديث قد يتعدد رواته وطرقه وبعضها صحيح وبعضها ضعيف، فيذكر الصحابي ليعلم ضعيف المروي من صحيحه، ومنها رجحان الخبر بحال الراوي من زيادة فقهه وورعه ومعرفة ناسخه ومنسوخه بتقدم إسلام الراوي وتأخره، وأما ذكر المخرّج ففائدته تعيين لفظ الحديث وتبيين رجال إسناده في الجملة ومعرفة كثرة المخرجين وقلتهم في ذلك الحديث لإفادة الترجيح وزيادة التصحيح، ومنها المراجعة إلى الأصول عند الاختلاف في الفصول وغيرها من المنافع عند أرباب الوصول.

هذا وقال شيخنا العلامة ابن حجر المكي في شرحه للمشكاة عند قوله: «تكلم فيه بعض النقاد» أي «تكلم فيه باعتبار ذلك الحذف الذي استلزم عنده أن يعبر عنه بما اصطلح عليه من عند نفسه بعض النقاد كالنووي وابن الصلاح وغيرهما»، فقالوا: ما جنح إليه في مصابيحه من تقسيم أحاديثه إلى صحاح وحسان مع صيرورته إلى أن الصحاح ما رواه الشيخان في صحيحيهما أو أحدهما، والحسان ما رواه أبو داود والترمذي وغيرهما من الأئمة كالنسائي والدارمي وابن ماجة اصطلاح لا يعرف، بل هو خلاف الصواب، إذ الحسن عند أهل الحديث ليس عبارة عن ذلك لأنه وقع في كتب السنن المشار إليها غير الحسن من الصحيح والضعيف. لكن انتصر له المؤلف فقال: لا مشاحة[1] في الاصطلاح، بل تخطئة المرء في اصطلاحه بعيدة عن الصواب. والبغوي قد صرح في كتابه بقوله: «أعني بالصحاح كذا وبالحسان كذا»، وما قال: أراد المحدثون بهما كذا فلا يرد عليه شيء مما ذكر خصوصاً وقد قال: «وما كان فيها من ضعيف أو غريب أشير إليه وأعرضت عما كان منكراً أو موضوعاً»[2] اهـ. ولا يخفى أن حمل التكلم على هذا المعنى لا يناسبه قوله: «وإن كان نقله» الخ ولا يلائمه قوله: «لكن ليس ما فيه أعلام»، إذ لا يصلح الأوّل منهما جواباً ولا الثاني استدراكاً صواباً (**فاستخرت الله تعالى**) أي لقوله تعالى: ﴿**وربُّك يخلقُ ما يشاءُ ويختارُ ما كانَ لهمُ الخيرة**﴾ [القصص ـ ٦٨] ولما ورد من حديث أنس رواه الطبراني مرفوعاً: «ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد»[3]، ولأن العبد لا يعلم خيره من شره، قال تعالى: ﴿**وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكُم وعسى أن تُحبوا شيئاً وهو شرٌ لكُم والله يعلمُ وأنتم لا تعلمُون**﴾ [البقرة ـ ٢١٦] والخير أجمع فيما اختار خالقنا. (**واستوفقت منه**) بتقديم الفاء على القاف في أكثر النسخ المصححة، أي طلبت من الله التوفيق، وعلى الاستقامة طريق التوثيق، وفي نسخة بالعكس. والمعنى: طلبت الوقوف على إنكار المنكر ومعرفة المعروف، وفي نسخة بالمثلثة والقاف، أي طلبت الوثوق والثبوت على التمييز بين المردود والمثبوت [و] قال ابن حجر: «أي أخذت من

---

(١) المُشاحة: المضنّة.

(٢) مصابيح السنة ١/ ١١٠.

(٣) الطبراني في الأوسط ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٤٨٢.

فأوردت كل حديثٍ منه في مقرّ منه فأعلمت ما أغفله كما رواه الأئمةُ المتقنون، والثقاتُ الراسخون؛ مثلُ أبي عبد الله محمدِ بن إسماعيلَ البخاريّ،

المصابيح ما هو الوثيقة المقصودة بالذات، وهو الأحاديث عرية عن وسمها بصحاح وحسان»، (**فأودعت كل حديث منه**) أي من المصابيح (**في مقرّه**) كذا في بعض النسخ هذه الفقرة موجودة، والمعنى: وضعت كل حديث من الكتاب في محله الموضوع في أصله من كل كتاب وباب من غير تقديم وتأخير وزيادة ونقصان وتغيير (**فأعلمت**) أي فبينت ما (**أغفله**) أي تركه بلا اسناد عمداً من ذكر الصحابي أولاً، وبيان المخرّج آخراً بخصوص كل حديث التزاماً (**كما رواه الأئمة**) جمع إمام وأصله أئمة على وزن أفعلة فأعل بالنقل والإدغام، ويجوز تحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وإبدالها، والمراد منهم ههنا أئمة الحديث الذين يقتدى بهم في كل زمان من القديم والحديث (**المتقنون**) أي الضابطون الحافظون الحاذقون لمروياتهم، من أتقن الأمر إذا أحكمه، ومنه قوله تعالى: ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [النمل ـ ٨٨] (**والثقات**) بكسر المثلثة جمع ثقة وهم العدول والثبات (**الراسخون**) أي الثابتون بمحافظة هذا العلم الشريف والقائمون بمراعاة طرق هذا الفن المنيف.

(**مثل أبي عبدالله محمد بن إسماعيل**) قال ابن حجر: «أبوه كان من العلماء العاملين»، روى عن حماد بن زيد ومالك وصحب ابن المبارك، وروى عنه العراقيون قال: «لا أعلم في جميع مالي درهماً من شبهة» (**البخاري**) نسبة إلى بخارى بلدة عظيمة من بلاد ما وراء النهر لتولده فيها وصار بمنزلة العلم له ولكتابة. قال السيد جمال الدين المحدث: يقال له أمير المؤمنين في الحديث وناصر الأحاديث النبوية وناشر المواريث المحمدية، قيل: لم ير في زمانه مثله من جهة حفظ الحديث واتقانه وفهم معاني كتاب الله وسنة رسوله، ومن حيثية حدة ذهنه، ودقة نظره ووفور فقهه، وكمال زهده وغاية ورعه، وكثرة اطلاعه على طرق الحديث وعلله، وقوّة اجتهاده واستنباطه.

وكانت أمه مستجابة الدعوة، توفي أبوه وهو صغير فنشأ في حجر والدته، ثم عمي وقد عجز الأطباء عن معالجته، فرأت إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام قائلاً لها قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك له، فأصبح وقد رد الله عليه بصره، فنشأ مترّبياً في حجر العلم، مرتضعاً من ثدي الفضل.

ثم ألهم طلب الحديث وله عشر سنين بعد خروجه من المكتب، ولما بلغ إحدى عشرة سنة ردّ على بعض مشايخه ببخارى غلطاً وقع له في سند حتى أصلح كتابه من حفظ البخاري[1]. وبيانه: أن شيخاً من مشايخه في مجلس من مجالس حديثه قال في إسناد حديث: حدثنا سفيان عن أبي الزهير عن إبراهيم فقال له البخاري: أبو الزهير ليس له رواية عن إبراهيم، فهيب عليه الشيخ، فقال له البخاري: ارجع إلى الأصل إن كان عندك، فقام الشيخ

---

(١) في المخطوطة الحديث.

. . . .

من المجلس ودخل بيته وطالع في أصله وتأمل فيه حق تأمله، ثم رجع إلى مجلسه فقال للبخاري: فكيف الرواية؟، فقال: ليس أبو الزهير بالهاء إنما هو الزبير [بالباء، وهو الزبير] ابن عدي فقال: صدقت، وأخذ القلم وأصلح كتابه. ولما بلغ ست عشرة سنة حفظ كتب ابن المبارك ووكيع، وعرف كلام أصحاب أبي حنيفة، ثم خرج مع أمه وأخيه أحمد بن إسماعيل إلى مكة، فرجع أخوه وأقام هو لطلب الحديث. فلما طعن في ثماني عشرة سنة صنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وصنف في المدينة المنورة عند التربة المطهرة تاريخه الكبير في الليالي المقمرة، وكتبوا عنه وسنة ثماني عشرة سنة.

رُوي عنه أنه قال: «قلّ اسم من أسماء رجال التاريخ الكبير أن لا يكون عندي منه حكاية وقصة إلا أني تركتها خوفاً من الاطناب». ولما رجع من مكة ارتحل إلى سائر مشايخ الحديث في أكثر المدن والأقاليم. زوي عنه أنه قال: «ارتحلت في استفادة الحديث إلى مصر والشام مرتين، وإلى البصرة أربع مرات، ولا أحصي ما دخلت مع المحدثين في بغداد والكوفة، وأقمت في الحجاز ست ستين طالباً لعلم الحديث» قال البخاري: «والحامل لي على تأليفه أنني رأيتني واقفاً بين يدي النبي ﷺ وبيدي مروحة أذب عنه، فعُبر لي بأني أذب عنه الكذب، وما وضعت فيه حديثاً إلا بعد الغسل وصلاة ركعتين، وأخرجته من زهاء ستمائة ألف حديث، وصنفته في سنة[1] عشر سنة، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله، وما أدخلت فيه إلا صحيحاً، وما تركت من الصحيح أكثر لئلا يطول، وصنفته بالمسجد الحرام، وما أدخلت فيه حديثاً حتى استخرت الله وصليت ركعتين وتيقنت صحته»[2] اهـ. وهذا باعتبار الابتداء وترتيب الأبواب، ثم كان يخرج الأحاديث بعد في بلده وغيرها وهو محمل رواية: أنه كان يصنفه في البلاد إذ مدة تصنيفه ست عشرة سنة، وهو لم يجاور هذه المدة بمكة. وقد رُوي [عنه] أنه صنف الصحيح في البصرة، ورُوي أنه صنفه في بخارى، ورُوي عن الوراق البخاري أنه قال: قلت للبخاري: جميع الأحاديث التي أوردتها في مصنفاتك هل تحفظها؟، فقال: لا يخفى عليّ شيء منها، فإني قد صنفت كتبي ثلاث مرات. وكأنه أراد بالتكرار التبييض والتنقيح، ولعل كثرة نسخ البخاري من هذه الجهة، ورواية[3]: أنه جعل تراجمه في الروضة الشريفة، محمولة على نقلها من المسودة إلى المبيضة كذا قيل، ويمكن حمله على حقيقته. ونقل عن أبي جمرة عمن لقيه من العارفين: «أنه ما قُرىء في شدة إلا وفرجت، وما رُكب به في مركب فغرق، وأنه كان مجاب الدعوة ولقد دعا لقارئه». قال الحافظ ابن كثير: وكان يُستسقى بقراءته الغيث، قيل: ويسمى الترياق المجرب. ونقل السيد جمال الدين عن عمه السيد أصيل الدين أنه قال: قرأت البخاري مائة وعشرين مرة للوقائع والمهمات لي ولغيري فحصل المرادات وقضي

---

(١) في المخطوطة ست.

(٢) ص ١٣ من هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري. و ٣/١ من صحيح البخاري بحاشية السندي.

(٣) في المخطوطة وروئه.

. . . .

الحاجات، وهذا كله ببركة سيد السادات، ومنبع السعادات، عليه أفضل الصلوات[١] وأكمل التحيات. قيل: وكان ورده في رمضان ختمة في كل يوم وثلثها في سحر كل ليلة؛ ولسعه زنبور[٢] وهو في الصلاة في ستة عشر أو سبعة عشر موضعاً فقيل له: لِمَ لم تخرج من الصلاة أول ما لسعك؟ قال: كنت في سورة فأحببت أن أتمها. وكان يقول: أرجو الله أن لا يحاسبني إني ما اغتبت أحداً، فقيل له: إن بعض الناس ينقم عليك التاريخ فإنه غيبة، فقال: «إنما روينا ذلك رواية ولم نتقله من عند أنفسنا»، وقال عليه الصلاة والسلام: «بئس أخو العشيرة»[٣]، قال: «واحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف غير صحيح»، أي باعتبار كثرة طرقها مع عدم المكرر والموقوف وآثار الصحابة والتابعين وغيرهم وفتاويهم مما كان السلف يطلقون على كله حديثاً، وقيل: كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سرداً، وينظر في الكتاب نظرة واحدة فيحفظ ما فيه، وكان يقول: «دخلت بلخ فسألني أهلها أن أملي عليهم من كل من كتبت عنه فأمليت ألف حديث عن ألف شيخ» ولبلوغ نهايته في معرفة علل الحديث، كان مسلم بن الحجاج يقول له: «دعني أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين ويا طبيب الحديث في علله»، وقال الترمذي: «لم أر أحداً بالعراق ولا بخراسان في ذلك أعلم منه».

وكان بسمرقند أربعمائة محدث اجتمعوا تسعة أيام لمغالطته، فخلطوا الأسانيد بعضها في بعض، إسناد الشاميين في العراقيين وإسناد العراقيين في الشاميين، وإسناد أهل الحرم في اليمانيين وعكسه، وعرضوها عليه، فما استطاعوا مع ذلك أن يتغلبوا[٤] عليه بسقطة، لا في إسناد ولا في متن. ولما قدم بغداد فعلوا معه نظير ذلك، فعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، ودفعوا لكل واحد عشرة ليلقيها عليه في مجلسه الغاص بالناس امتحاناً، فقام أحدهم وسأله عن حديث من تلك العشرة، فقال: لا أعرفه، ثم سأله عن الثاني فقال مثل ذلك وهكذا إلى العاشر، ثم قام الثاني فكان كالأول ثم الثالث وهكذا إلى أن فرغوا، فالعلماء الذين كانوا مطلعين على أصل القضية [وحفظه] قالوا: فهم الرجل والذين ما كان لهم وقوف على القضية توهموا عجزه وحملوا على قصور ضبطه وسوء حفظه. فالتفت إلى الأول [فقال] أما حديثك الأول بذلك الإسناد فخطأ، وصوابه كذا وكذا، ولا زال على ذلك إلى أن أكمل المائة، فبهر الناس وأذعنوا له؛ فإن عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان. وعند المبصرين بهذا الفن ليس من العجيب رد خطئهم إلى الصواب، لأنه كان حافظ الأحاديث مع الأسانيد، بل كان الغريب عندهم حفظه أسانيدهم الباطلة بمجرد سماعه مرة وإعادتها مرتبة، وهذا كاد أن يكون خرق العادة ومحض الكرامة، فإنه لا يتصور بدون الإلهامات الإلهية والعنايات الرحمانية.

(١) في المخطوطة الصلاة.
(٢) الزنبور ضرب من الذباب لسّاع (لسان العرب).
(٣) من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٥٢ حديث ٣١٣٢.
(٤) في المخطوطة يتعلقوا.

ولما قدم البصرة نادى مناد يعلمهم بقدومه، فأحدقوا به وسألوه أن يعقد لهم مجلس الإملاء، فأجابهم فنادى المنادي يعلمهم أنه أجاب، فلما كان من الغد اجتمع كذا وكذا ألفاً من المحدثين والفقهاء، فأوّل ما جلس قال: «يا أهل البصرة أنا شاب وقد سألتموني أن أحدثكم، وسأحدثكم أحاديث عن أهل بلدكم تستفيدونها» يعني ليست عندكم وأملى عليهم من أحاديث أهل بلدهم مما ليس عندهم حتى بهرهم. ومن ثَمّ كثر ثناء الأئمة عليه، حتى صح عن أحمد ابن حنبل أنه قال: «ما أخرجت خراسان مثله»، وقال غير واحد: «هو فقيه هذه الأمة»، وقال إسحاق بن راهويه: «يا معشر أصحاب الحديث انظروا إلى هذا الشاب واكتبوا عنه، فإنه لو كان في زمن الحسن البصري لاحتاج إليه لمعرفته بالحديث وفقهه». وقد فضله بعضهم في الفقه والحديث على أحمد وإسحاق، وقال ابن خزيمة: «ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث منه». وورث من أبيه مالاً كثيراً فكان يتصدق به، وكان قليل الأكل جداً. قيل: كان يفتح كل يوم بلوزتين أو ثلاث لوزات، وقيل: لم يأكل الإدام أربعين سنة، قيل: كان يدخل عليه كل شهر من مستغلاته خمسمائة درهم، فكان يصرفها في الفقراء وطلبة العلم، وكان يرغبهم في تحصيل الحديث، كثير الإحسان إلى الطلبة، مفرطاً في الكرم، وأعطي خمسة آلاف درهم ربح بضاعة له فأخر، فأعطاه آخرون عشرة آلاف، فقال: إني نويت بيعها للأوّلين ولا أحب أن أغير نيتي. وعثرت جاريته بمحبرة بين يديه فقال لها: كيف تمشين؟، فقالت: إذا لم يكن طريق كيف أمشي؟ فقال: اذهبي فأنت حرة لله، فقيل له: يا أبا عبدالله أغضبتك فأعتقتها، فقال: أرضيت نفسي بما فعلت. ولما بنى رباطاً مما يلي بخارى اجتمع إليه خلق كثير يعينونه، فكان ينقل معهم اللبن، فيقال [قد] كفيت، فقال: هذا هو الذي ينفعني. ولما رجع إلى بخارى نصبت له القباب على فرسخ منها واستقبله عامة أهلها ونثر عليه الدراهم والدنانير، وبقي مدة يحدثهم وأرسل إليه أمير البلد خالد بن محمد الذهلي نائب الخلافة العباسية يتلطف معه، ويسأله أن يأتيه بالصحيح ويحدثهم به في قصره، فامتنع وقال لرسوله: «قل له إني لا أذل العلم، ولا أحمله إلى أبواب السلاطين، فإن احتاج إلى شيء منه فليحضر في مسجدي أو داري، فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة، فإني لا أكتم العلم». ورُوي أنه قال: «العلم يؤتى ولا يأتي» فراسله أن يعقد مجلساً لأولاده ولا يحضر غيرهم، فامتنع عن ذلك أيضاً، وقال: «لا يسعني أن أخص بالسماع قوماً دون قوم». ورُوي أنه قال: «العلم لا يحل منعه»، فحصلت بينهما وحشة، فاستعان الأمير بعلماء بخارى عليه حتى تكلموا في مذهبه، فأمره بالخروج من البلد فدعا عليهم بقوله: «اللهم أرهم ما قصدوني به في أنفسهم وأولادهم وأهاليهم»، فكان مجاب الدعوة، فلم يأت شهر حتى ورد أمر الخلافة بأن ينادى على الأمير فأركب حماراً فنودي عليه فيها، وحبس إلى أن مات، ولم يبق أحد ممن ساعده إلا وابتلي ببلية شديدة.

ولما خرج من بخارى كتب إليه أهل سمرقند يخطبونه لبلدهم فسار إليهم، فلما كان بخرتنك ـ بمعجمة مفتوحة في الأشهر أو مكسورة فراء ساكنة ففوقية مفتوحة فنون ساكنة فكاف

....

ـ موضع قريب بسمرقند على فرسخين، وقيل: نحو ثلاثة أيام بلغه أنه وقع بينهم بسببه فتنة؛ فقوم يريدون دخوله، وآخرون يكرهونه، وكان له أقرباء بها فنزل بها حتى ينجلي الأمر، فأقام أياماً فمرض حتى وجه إليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون خروجه إليهم، فأجاب وتهيأ للركوب ولبس خفيه وتعمم، فلما مشى قدر عشرين خطوة إلى الدابة ليركبها، قال: أرسلوني فقد ضعفت، فأرسلوه فدعا بدعوات ثم اضطجع فقضى عليه فسال منه عرق كثير لا يوصف، وما سكن العرق حتى أدرج في أكفانه. وقيل: ضجر ليلة فدعا بعد أن فرغ من صلاة الليل: «اللهم قد ضاقت عليّ الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك»، فمات عن غير ولد ذكر، ليلة عيد الفطر، سنة [ست] وخمسين ومائتين عن اثنين وستين سنة. وكانت ولادته يوم الجمعة بعد صلاة العصر في شهر شوال سنة أربع وتسعين ومائة. ولما صُلي عليه ووضع في حفرته، فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك، وجعل الناس يختلفون إلى قبره مدة يأخذون من تراب قبره ويتعجبون من ذلك، قال بعضهم: رأيت النبي ﷺ ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف، فسلمت عليه فرد عليّ السلام، فقلت: ما وقوفك [هنا] يا رسول الله؟، قال: أنتظر محمد بن إسماعيل، قال: فلما كان بعد أيام بلغني موته، فنظرت فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت النبي ﷺ فيها.

[و] بعد نحو سنتين من موته، استسقى أهل سمرقند مراراً فلم يسقوا، فقال بعض الصالحين لقاضيها: أرى أن تخرج بالناس إلى قبر البخاري ونستسقي عنده فعسى الله أن يسقينا، ففعل وبكى الناس عند القبر وتشفعوا بصاحبه، فأرسل الله تعالى [عليهم] السماء بماء غزير أقام الناس من أجله نحو سبعة أيام لا يستطيع أحد الوصول إلى سمرقند من كثرة المطر.

ثم اعلم أن في زمن الصحابة وكبار التابعين لم تكن الأحاديث مدوّنة لنهيه عليه الصلاة والسلام أصحابه عن كتابة الحديث [مخافة] خلطه بالكلام القديم[١]، وأيضاً دائرة حفظهم كانت واسعة ببركة صحبته وقرب مدته، وأيضاً أكثرهم لم يكونوا عارفين بصنعة الكتابة فظهر في آخر عصر التابعين تدوين الأحاديث والأخبار وتصنيف السنن والآثار، وتصدوا[٢] لهذا الأمر الشريف كالزهري وربيع بن صبيح وسعيد بن أبي عروبة وغيرهم، وكان دأبهم تصنيف كل باب على حدة إلى عهد كبار أهل الطبقة الثالثة، فألفوا الحديث على ترتيب أبواب الفقه، فصنف الإمام مالك مقدم أهل المدينة موطأه وجمع فيه أحاديث أهل الحجاز مما ثبت وصح عنده، وأدرج فيه أقوال الصحابة وفتوى التابعين ومن بعدهم، وصنف من أهل مكة أبو حامد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، ومن أهل الشام أبو عمر وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، ومن أهل الكوفة سفيان الثوري، ومن البصريين أبو سلمة حماد بن [سلمة وبعدهم كل واحد

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه...» مسلم ٤/ ٢٢٩٨ حديث ٣٠٠٤.

(٢) في المخطوطة وتصدروا.

....

من أعيان العلماء المجتهدين ألف كتاباً. وكتب أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعثمان بن] أبي شيبة وغيرهم من كبراء المحدثين مسانيدهم، وبعضهم على ترتيب أبواب الفقه. لكن في الكتب المذكورة لم يميز الصحيح والضعيف، ولما اطلع البخاري على تصانيفهم حصل له العزم بطريق الجزم لتحصيل الحزم على تأليف كتاب يكون جميع أحاديثه صحيحة. وقد رُوي عنه أنه قال: كنت عند شيخي إسحاق بن راهويه يوماً فقال: لو جمعتم كتاباً مختصراً بصحيح سنة النبي ﷺ، فوقع في قلبي تصنيف [كتاب] في هذا الباب. وتقدم رؤياه أيضاً فشرع فيه، فلما كمله عرضه على مشايخه مثل إسحاق بن راهويه وعلي بن المديني وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم استحسنوه وشهدوا بصحة كتابه، وأنه لا نظير له في بابه، واستثنوا اربعة أحاديث وتوقفوا في صحتها. قال العقيلي والحق مع البخاري فيها أيضاً، فإنها صحيحة[1].

ثم اختلف علماء الحديث وشراح البخاري في عدد أحاديثه بالمكرر وإسقاط المكرر والذي حققه الحافظ ابن حجر في شرح البخاري أن جملة أحاديثه مع التعاليق[2] والمتابعات[3] والشواهد[4] ومع المكررات تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثاً، وبإسقاط المكرر أحاديثه المرفوعة ألفان وستمائة وثلاث وعشرون حديثاً[5]. وأعلى أسانيد أحاديثه وأقربه إليه عليه الصلاة والسلام ما يكون الواسطة ثلاثة، ووجد فيه من هذا القبيل في صحيحه مع المكرر اثنان وعشرون حديثاً، وبإسقاط المكرر ستة عشر حديثاً وقد أفرده بعض العلماء.

ثم اتفقت العلماء على تلقي الصحيحين بالقبول وأنهما أصح الكتب المؤلفة، ثم الجمهور على أن صحيح البخاري أرجحهما وأصحهما قيل: ولم يوجد عن أحد التصريح بنقيضه، لأن قول أبي علي النيسابوري: «ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم» ليس فيه تصريح بأصحيته على كتاب البخاري، لأن نفي الأصحية لا ينفي المساواة، وتفضيل بعض المغاربة لصحيح مسلم محمول على ما يرجع لحسن السياق وجودة الوضع والترتيب، إذ لم يفصح أحد منهم بأن ذلك راجع إلى الأصحية؛ ولو صرحوا به لرد عليهم شاهد الوجود لأن ما يدور عليه الصحة من الصفات الموجودة في صحيح مسلم موجودة في صحيح البخاري على

---

(١) مقدمة هدي الساري ص ٧.

(٢) التعاليق والمراد الحديث المعلق والمعلق هو ما حذف مبتدأ سنده سواء كان المحذوف واحداً أو أكثر على سبيل التوالي ولو إلى آخر سنده. (منهج النقد في علوم الحديث ص ٣٧٤).

(٣) والمتابعات هي أن يوافق راوي الحديث على ما رواه من قبل راو آخر فيرويه عن شيخه أو عمن فوقه (منهج النقد، ص ٤١٨).

(٤) الشاهد هو حديث مروي عن صحابي آخر يشابه الحديث الذي يظن تفرده، سواء شابهه في اللفظ والمعنى أو في المعنى (منهج النقد ص ٤١٨).

(٥) للإفادة تراجع مقدمة هدي الساري ص ٤٦٥.

وجه أكمل وأسد[١]، فإن شرطه فيها أقوى وأشد. وأما رجحانه من حيث الاتصال فلاشتراطه أن يكون الراوي قد ثبت له الاجتماع بمن يروي عنه ولو مرة، واكتفى مسلم بمجرد المعاصرة نظراً لإمكان اللقي، وأما رجحانه من حيث العدالة والضبط، فلأن الرجال الذين تكلم فيهم من رجال مسلم أكثر عدداً ممن تكلم فيهم من رجال البخاري، مع أنه لم يكثر من إخراج حديثهم بل غالبهم من شيوخه الذين أخذ عنهم، ومارس حديثهم وميز جيدها من غيره بخلاف مسلم، فإن أكثر من تفرد بتخريج أحاديثه ممن تكلم فيه هو ممن تقدم عصره من التابعين وتابعيهم، ولا شك أن المحدث أعرف بحديث شيوخه ممن تقدم عنهم، وأما رجحانه من حيث عدم الشذوذ[٢] والإعلال[٣] فلأن ما انتقد على البخاري من الأحاديث أقل عدداً مما[٤] انتقد على مسلم، ولا يقدح فيهما إخراجهما لمن طعن فيه، لأن تخريج صاحب الصحيح لأي راو كان مقتضٍ لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته إن خرج له في الأصول، فإن خرّج في المتابعات والشواهد والتعاليق كانت درجاته متفاوتة في الضبط وغيره، لكن مع حصول وصف الصدق له فالطعن فيمن خرج له أحدهما مقابل لتعديله، فلا يقبل الجرح إلا مفسراً بما يقدح في عدالته أو في ضبطه مطلقاً، أو في ضبطه لخبر بعينه لتفاوت الأسباب الحاملة للأئمة على الجرح، إذ منها ما لا يقدح ومنها ما يقدح. وقد كان أبو الحسن المقدسي يقول فيمن خرج له أحدهما في الصحيح: هذا «جاز القنطرة» يعني لا يلتفت لما قيل فيه لأنهما مقدمان على أئمة عصرهما ومن بعدهما في معرفة الصحيح والعلل. فهو أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز، ويؤيده ما نقل عن الحاكم أبي أحمد شيخ الحاكم أبي عبدالله النيسابوري أن البخاري إمام المحدثين، وكل من أتى بعده وصنف كتاباً في الحديث وأفرده ففي الحقيقة إنما أخذه عنه؛ فالفضل للمتقدم حتى أن مسلماً أتى بأحاديثه مفرقاً في كتابه، وتجلد غاية التجلد حيث لم يسندها إلى جنابه، وقال الدارقطني: «لولا البخاري لما راح مسلم ولا جاء أخذ كتابه وزاد عليه أبوابه». وللبخاري مصنفات غير الصحيح، كأدب المفرد ورفع اليدين في الصلاة والقراءة[٥] خلف الإمام وبر الوالدين، والتاريخ الكبير والأوسط والصغير، وخلق أفعال العباد، وكتاب الضعفاء، والجامع الكبير والمسند الكبير والتفسير الكبير، وكتاب الأشربة وكتاب الهبة وأسامي الصحابة، وكتاب الوجدان وكتاب العلل وكتاب الكنى، وكتاب المبسوط، وكتاب الفوائد. رُوي عنه أنه قال: «رويت الحديث عن ألف وثمانمائة محدث». روى عنه خلق كثير كمسلم في غير صحيحه، والترمذي وابن خزيمة وأبي زرعة[٦]

---

(١) في المخطوطة أشد.

(٢) الشاذ هو ما رواه المقبول مخالفاً لمن هو أولى منه لكثرة عدد أو زيادة حفظ (منهج النقد ص ٤٢٨).

(٣) المعلل هو الحديث الذي اطلع فيه على علة تقدح في صحته مع أن ظاهره السلامة منها (منهج النقد ص ٤٤٧).

(٤) في المخطوطة ممن.

(٥) في المخطوطة قراءة.

(٦) في المخطوطة أبو زرعة.

وأبي الحسين مُسلمِ بن الحجاج القُشيرِيّ، وأبي عبد الله مالكِ بنِ أنسٍ الأصبَحِي،

وأبي حاتم، وكذا النسائي في قول وغيرهم. وبالجملة قيل: روى عنه مائة ألف محدث. رُوي عن يحيى بن جعفر بن أعين المروي أنه قال: «لو قدرت على أن أزيد من عمري في عمر البخاري لفعلت لأن موتي موت واحد من الناس وموت البخاري ذهاب العلم وموت العالم»، ونعم ما قيل:

إذا ما مات ذو علم وفتوى * فقد وقعت من الإسلام ثلمة

قال محمد بن أحمد المروزي: كنت نائماً بين الركن والمقام فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي: يا أبا زيد إلى متى تدرس كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي فقلت: يا رسول الله وما كتابك، قال: جامع محمد بن إسماعيل البخاري.

(وأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري) بالتصغير نسبة إلى بني قشير قبيلة من العرب، وهو نيسابوري أحد أئمة علماء هذا الشأن، سمع من مشايخ البخاري وغيرهم، كأحمد ابن حنبل وإسحاق بن راهويه وقتيبة بن سعيد والقعنبي. وروى عنه جماعة من كبار أئمة عصره وحفاظ دهره، كأبي حاتم الرازي وابن خزيمة وخلائق. وله المصنفات الجليلة غير جامعة الصحيح، كالمسند الكبير صنفه على ترتيب أسماء الرجال لا [على] تبويب الفقه، وكالجامع الكبير على ترتيب الأبواب، وكتاب العلل وكتاب أوهام المحدثين وكتاب التميز وكتاب من ليس [له] إلا راو واحد، وكتاب طبقات التابعين وكتاب المخضرمين[١]. قال: «صنفت الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة»، وهو أربعة آلاف بإسقاط المكرر، وأعلى أسانيده [ما] يكون بينه وبين النبي ﷺ أربعة وسائط، وله بضع وثمانون حديثاً بهذا الطريق، ولد عام وفاة الشافعي سنة أربع ومائتين [و] توفي في رجب سنة إحدى وستين ومائتين. وقد رحل إلى العراق والحجاز والشام ومصر، وقدم بغداد غير مرة. وحدث [بها] وكان آخر قدومه بغداد سنة سبع وخمسين ومائتين. وكان عقد له مجلس بنيسابور للمذاكرة، فذكر له حديث فلم يعرفه، فانصرف إلى منزله وقدمت له سلة فيها تمر، فكان يطلب الحديث ويأخذ تمرة تمرة فأصبح وقد فني التمر ووجد الحديث، ويقال: إن ذلك[٢] كان سبب موته؛ ولذا قال ابن الصلاح: «كانت وفاته بسبب [غريب] نشأ من غمرة فكرة علمية»، وسنه قيل: خمس وخمسون وبه جزم ابن الصلاح، وتوقف فيه الذهبي، وقال: إنه قارب الستين، وهو أشبه من الجزم ببلوغه الستين، قال شيخ مشايخنا علامة العلماء المتبحرين شمس الدين محمد الجزري في مقدمة شرحه للمصابيح المسمى بتصحيح المصابيح: إني زرت قبره بنيسابور، وقرأت بعض صحيحه على سبيل التيمن والتبرك عند قبره، ورأيت آثار البركة ورجاء الإجابة في تربته.

(وأبي عبد الله مالك بن أنس) وهو غير أنس بن مالك كما توهم **(الأصبحي)** نسبة إلى ذي أصبح ملك من ملوك اليمن، أحد أجداد الإمام مالك بن أنس صاحب المذهب، وأخر عن

---

(١) في المخطوطة المحضرمين. (٢) في المخطوطة سرته.

البخاري ومسلم ذكراً وإن كان مقدماً عليهما وجوداً ورتبة وإسناداً لتقدم كتابيهما على كتابة ترجيحاً، لعدم التزامه تصحيحاً. وهو من تابعي التابعين، وقيل: من التابعين، إذ رُوي أنه رَوى عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص وصحبتها ثابتة، قال الحافظ ابن حجر: كتاب مالك صحيح عنده، وعند من تقلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل[١] والمنقطع وغيرهما، وقال السيوطي: ما فيه من المراسيل فإنها مع كونها حجة عنده بلا شرط وعند من وافقه من الأئمة على الاحتجاج بالمرسل حجة أيضاً عندنا إذا اعتضد، وما من مرسل في الموطأ إلا وله عاضد، أو عواضد، فالصواب إطلاق أن الموطأ صحيح لا يستثنى منه شيء. وقد صنف ابن عبد البر كتاباً في وصل ما في الموطأ من المرسل والمنقطع والمعضل، قال ابن عبد البر: مذهب مالك أن مرسل الثقة تجب به الحجة ويلزم به العمل كما تجب بالمسند سواء، قال البخاري: إمام الصنعة: «أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر»، وفي المسألة خلاف منتشر مشتهر، وعلى هذا المذهب قالوا: أصح الأسانيد عن مالك الشافعي، إذ هو أجل أصحابه على الإطلاق بإجماع أصحاب الحديث، ومن ثم[٢] قال أحمد: سمعت الموطأ من سبعة عشر رجلاً من حفاظ أصحاب مالك ثم من الشافعي فوجدته أقومهم به، وأصحها عن الشافعي أحمد، ولاجتماع الأئمة الثلاثة في هذا السند، قيل لها: سلسلة الذهب، قيل: ولا ينافي ذلك إكثار أحمد في مسنده إخراج حديث مالك من غير طريق الشافعي، وعدم إخراج أصحاب الأصول حديث مالك من جهة الشافعي، أما الأول فلعل جمعه المسند كان قبل سماعه من الشافعي، وأما الثاني فلطلبهم العلو المقدم عند المحدثين على ما عداه من الأغراض.

قال بكر بن عبدالله: أتينا مالكاً فجعل يحدثنا عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن وكنا نستزيده من حديثه، فقال لنا يوماً: ما تصنعون بربيعة هو نائم في ذلك [الطاق]، فأتينا ربيعة فنبهناه وقلنا [له] أنت ربيعة، فقال: نعم، قلنا: الذي يحدث عنك مالك، قال: نعم، قلنا: كيف حظي بك مالك ولم تحظ أنت بنفسك، قال: أما علمتم أن مثقال دولة خير من حمل علم، وكأنه أراد بالدولة اللطف الرباني والتوفيق الإلهي. قال ابن مهدي: الثوري إمام في الحديث، والأوزاعي إمام في السنة، ومالك إمام فيهما. وكان إذا أتاه أحد من أهل الأهواء قال له: أما أنا فعلى بينة من ديني، وأما أنت فشاك اذهب إلى شاك مثلك فخاصمه. وقال الشافعي: رأيت على باب مالك كراعاً من أفراس خراسان. وبغال مصر ما رأيت أحسن منه، فقلت: ما أحسنه، فقال: هو هدية مني إليك يا أبا عبد الله، فقلت: دع لنفسك دابة تركبها، فقال: أنا أستحي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله بحافر دابة. وكان مبالغاً في تعظيم حديثه [ﷺ] حتى كان إذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتطيب وتمكن من

(١) المرسل هو ما رفعه التابعي بأن يقول قال رسول الله ﷺ سواء كان التابعي كبيراً أو صغيراً.

(٢) في المخطوطة ثمه وستتكرر هذه كثيراً فلا داعي للإشارة لها في كل موضع.

الجلوس على وقار [و]هيبة، ثم حدث فقيل له في ذلك، فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ. ومن كلامه: «إذا لم يكن للإنسان في نفسه خير لم يكن للناس [فيه] خيرٌ، وقال: «ليس العلم بكثرة الرواية وإنما هو نور يضعه الله في القلب»، قال مالك: قال لي هارون الرشيد: يا أبا عبدالله ينبغي أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ - يعني الأمين والمأمون - فقلت: أعز الله أمير المؤمنين، إن هذا العلم منكم خرج، فإن أنتم أعززتموه عز، وإن أنتم أذللتموه ذل، وفي رواية: مه يا أمير المؤمنين، لا تضع عز[1] شيء رفعه الله والعلم يؤتى ولا يأتي، قال: صدقت، وفي رواية: صدقت أيها الشيخ كان [هذا هفوة] مني استرها عليّ أخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس، وسأله الرشيد: ألك دار، قال: لا، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار، وقال: اشتر بها داراً فأخذها ولم ينفقها، ولما أراد الرشيد الشخوص. قال لمالك: ينبغي ان تخرج معي فإني عزمت أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على القرآن، فقال: أما حمل الناس على الموطأ فلا سبيل إليه، لأن أصحاب رسول الله ﷺ افترقوا بعده في الأمصار فحدثوا فعند أهل كل مصر علم، وقد قال رسول الله ﷺ: «اختلاف أمتي رحمة»[2]، وأما الخروج معك فلا سبيل إليه لأنه ﷺ قال: «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»[3]، وهذه دنانيركم كما هي إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها يعني إنك [إنما] كلفتني مفارقة المدينة لما صنعت إلي فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله ﷺ، وصح عن الشافعي أنه قال: «ما في الأرض كتاب من العلم أكثر صواباً من موطأ مالك»، وفي رواية: «ما تحت أديم السماء أصح من موطأ مالك»، قال العلماء: إنما قال الشافعي هذا قبل وجود الصحيحين وإلا فهما أصح منه اتفاقاً. وجاءه رجل من مسيرة ستة أشهر في مسألة أرسله بها أهل بلده فقص عليه خبره، فقال: لا أحسن، قال: فماذا أقول لهم، قال: قل لهم قال مالك لا أحسن.

أخذ عن تسعمائة تابعي وأربعمائة من تابعيهم، توفي في ربيع الأول سنة تسع أو ثمان وسبعين ومائة على الأصح، ودفن بالبقيع وقبره مشهور به، وولد في ربيع الأول سنة ثلاث ومائة على الأشهر، قيل: مكث حملاً في بطن أمه ثلاث سنين، وقيل: أكثر، وقيل: سنتين. قال الواقدي: مات وله تسعون سنة، وقيل: مالك أثبت أصحاب الزهري وابن المنكدر ونافع ويحيى بن سعيد وهشام بن عروة وربيعة وجمع كثير. وروى الزهري عنه مع أنه من شيوخه ومن أجلاء التابعين، فهو من قبيل رواية الأكابر عن الأصاغر، وقد روى عن مالك ابن جريج وابن عيينة والثوري والأوزاعي وشعبة والليث بن سعد وابن المبارك والشافعي وابن وهب وخلائق لا يحصون، قال مالك: قلّ من أخذت عنه الحديث أنه ما جاءني ولم يأخذ مني الفتوى.

---

(١) في المخطوطة عن.

(٢) أخرجه البيهقي من غير سند وذكره عدد من الحفاظ (السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٢٤).

(٣) من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ٩٠ حديث رقم ١٨٧٥.

وأبي عبد الله محمدِ بنِ إدريسَ الشافعيِّ،

(وأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي) نسبة إلى شافع أحد أجداده، قيل: شافع كان صاحب راية بني هاشم يوم بدر فأسر وفدى نفسه فأسلم، وقيل: لقي شافع النبي ﷺ وهو مترعرع وأسلم أبوه السائب يوم بدر وكان السائب صاحب راية بني هاشم [يوم بدر] فأسر وفدى نفسه ثم أسلم، وعلى القولين يظهر وجه تخصيص النسبة إليه. ثم نسبة أهل مذهبه أيضاً شافعي، وقول العامة شافعوي خطأ، وهو المطلبي الحجازي المكي ابن عم النبي ﷺ، يلتقي معه في عبد مناف، وورد خبر: «عالم قريش يملأ طباق الأرض علماً»، طرقه متماسكة وليس بموضوع خلافاً لمن وهم فيه كما بينه أئمة الحديث، كأحمد وأبي نعيم والبيهقي والنووي وقال: إنه حديث مشهور، وممن حمله على الشافعي أحمد وتبعه العلماء على ذلك. ولد بغزة على الأصح، وقيل: بعسقلان، وقيل: باليمن وقيل: بمنى، وقيل: بالبحر سنة خمسين ومائة اتفاقاً، وهي سنة وفاة أبي حنيفة، وقيل: ولد يوم موته، قال البيهقي: هذا التقييد لم أجده إلا في بعض الروايات، إما بالعام فهو مشهور بين أهل التواريخ. ونشأ يتيماً في حجر أمه في ضيق عيش بحيث كانت لا تجد أجرة المعلم، وكان[١] يقصر في تعليمه، وكان الشافعي يتلقف[٢] ما يعلمه لغيره فإذا ذهب علمهم إياه فكفى المعلم [أمرهم] أكثر مما لو أعطاه أجرة فتركها، واستمر حتى تعلم القرآن لسبع[٣] سنين، ثم حبب إليه مجالسة العلماء. وكان يكتب ما يستفيده منهم في العظام ونحوها لعجزه عن الورق[٤]، وكان يؤثر الشعر والأدب إلى أن تمثل[٥] ببيت وعنده كاتب أستاذ مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة فقرعه بسوط، ثم قال له: مثلك يذهب بمروءته في مثل هذا أين أنت من الفقه، فهزه ذلك إلى مجالسة مسلم. ومن أشعاره:

يا أهل بيت رسول الله حبكم * فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم * من لم يصل عليكم لا صلاة له

ثم قدم المدينة وعمره ثلاث عشرة سنة، فلازم مالكاً فأكرمه وعامله لنسبه وعلمه وفهمه وأدبه وعقله بما هو اللائق بهما. وكان حفظ الموطأ بمكة لما أراد الرحلة إلى مالك حين سمع أنه إمام المسلمين، وكان مالك يستزيده من قراءته لإعجابه بها حتى قرأه عليه في أيام يسيرة. وقال له مرة لما تفرس[٦] فيه النجابة والإمامة: اتق الله إنه سيكون لك شأن، وأخرى: إن الله قد ألقى عليك نوراً فلا تطفئه بالمعصية، قال: فما ارتكبت كبيرة قط [ثم] بعد وفاة مالك رحل عن المدينة إلى اليمن، وولي بها القضاء ثم رحل إلى العراق وجد في التحصيل، وناظر محمد بن الحسن وغيره، ونشر علم الحديث وشاع ذكره وفضله إلى أن ملأ البقاع والأسماع. قال محمد بن الحسن في مدح الشافعي: إنه استعار مني كتاب الأوسط لأبي حنيفة، وحفظه

(١) في المخطوطة فكان.
(٢) في المخطوطة يلقف.
(٣) في المخطوطة سبع.
(٤) في المخطوطة الوق.
(٥) في المخطوطة تمثلي.
(٦) تفرس: توسم به.

في يوم وليلة. ولما صنف كتاب الرسالة أعجب به أهل عصره، وأجمعوا على استحسانه وأنه من الخوارق، حتى قال المزني: «قرأته خمسمائة مرة ما من مرة إلا وقد استفدت منه شيئاً لم أكن عرفته». وكان أحمد يدعو له في صلاته لما رأى اهتمامه بنصر السنة. وصنف في العراق كتابه القديم المسمى بالحجة[1]، ثم رحل إلى مصر سنة تسع وتسعين ومائة وصنف كتبه الجديدة بها، ورجع عن تلك ومجموعها يبلغ مائة وثلاثة عشر مصنفاً، وسار ذكرها في البلدان وقصده الناس من الأقطار للأخذ عنه، وكذا أصحابه من بعده لسماع كتبه حتى اجتمع في يوم على باب الربيع تسعمائة راحلة. وابتكر أصول الفقه وكتاب القسامة وكتاب الجزية وقتال أهل البغي، وكان حجة في اللغة والنحو، وأذن له مسلم بن خالد مفتي مكة في الإفتاء بها وعمره خمس عشرة سنة، وربما أوقد له المصباح في الليلة ثلاثين مرة ولم يبقه دائم الوقود. قال ابن أخته من أمه: «لأن الظلمة أجلى للقلوب»، وكان يقول: «إذا صح الحديث فهو مذهبي واضربوا بقولي الحائط». وانفرد بالإعراض عن التمسك بالحديث الضعيف في غير الفضائل.

ومن كلامه الدال على إخلاصه: «وددت أن كل ما تعلمه الناس أؤجر عليه ولا يحمدوني قط، ووددت إذا [ما] ناظرت أحداً أن يظهر الحق على يديه»، ومن حكمه البالغة: «طلب العلم أفضل من صلاة النافلة، ومن أراد الدنيا والآخرة فعليه بالعلم - أي مع العمل - ما أفلح في العلم إلا من طلبه في الذلة، ولقد كنت أطلب القرطاس فيعز عليّ، لا يتعلم أحد هذا العلم بالملك وعزة النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذلة النفس وضيق العيش أفلح، تفقه قبل أن ترأس، فإذا ترأست فلا سبيل إلى التفقه، زينة العلم الورع والحلم، لا عيب في العلماء أقبح من رغبتهم فيما زهدهم الله فيه، وزهدهم فيما رغبهم الله فيه، فقر العلماء فقر اختيار، وفقر الجهال فقر اضطرار، الناس في غفلة من سورة ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر﴾ [العصر ١ - ٢]، من لم تعزه التقوى فلا تقوى له، ما فرغت من العلم قط، طلب فضول الدنيا عقوبة عاقب الله بها أهل التوحيد، من غلبته[2] شدة الشهوة للدنيا لزمته العبودية لأهلها، ومن رضي بالقنوع زال عنه الخضوع، لا يعرف الرياء إلا المخلصون، لو اجتهدت كل الجهد على أن ترضي الناس كلهم فلا سبيل لذلك فأخلص عملك ونيتك لله، لو أوصى رجل بشيء لأعقل الناس صرف للزهاد، سياسة الناس أشد من سياسة الدواب، العاقل من عقله عقله عن كل مذموم، ومن نمّ لك نمّ بك، من وعظ أخاه سراً فقد نصحه، ومن وعظه علانية فقد فضحه، التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، أرفع الناس قدراً من لا يُرى قدره، الشفاعات زكاة المروآت، من ولي القضاء فلم يفتقر فهو لص، لا بأس للفقيه أن يكون معه سفيه يسافه به، مداراة الأحمق غاية لا تدرك، الانبساط إلى الناس مجلبة لقرناء السوء، والانقراض عنهم مكسبة للعداوة، فكن بين المنقبض والمنبسط، لأن

---

(١) كتاب الحجة للإمام الشافعي رحمه الله ألفه بالعراق وإذا أطلق القديم في مذهبه يراد به هذا المصنف. (كشف الظنون ١/٦٣١).

(٢) في المخطوطة عليه.

يبتلى المرء بكل ذنب ما عدا الشرك خير من أن ينظر في الكلام، فإني والله أطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط».

وكان يكتب ثلث الليل ثم يصلي ثلثه ثم ينام ثلثه، ويختم كل يوم ختمة، أقول: لعله في أيام رمضان وقال: «ما كذبت قط ولا حلفت بالله صادقاً ولا كاذباً، وما تركت غسل الجمعة ـ قط، وما شبعت منذ ست عشرة سنة إلا شبعة طرحتها من ساعتي»، قال الكرابيسي: سمعته يقول: «يكره أ‌ جل أن يقول قال الرسول لكن يقول قال رسول الله». وكان له اليد الطولى في السخاء؛ قدم من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار فما برح من مجلس سلام الناس عليه حتى فرقها كلها. وسقط سوطه فناوله إنسان فأمر غلامه بإعطائه[1] ما معه من الدنانير فكانت سبعة أو تسعة، وانقطع شسع نعله فأصلحه له رجل فقال: يا ربيع أمعك من نفقتنا شيء، قلت: سبعة دنانير، قال: ادفعها إليه، وقال المزني: ما رأيت أكرم منه خرجت معه ليلة العيد[2] من المسجد وأنا أذاكره في مسألة حتى أتيت باب داره، فأتاه غلام بكيس وقال: مولاي يقرئك السلام ويقول لك: خذ هذا الكيس فإنه لك هدية وعلينا المنة، فأخذه منه فأتاه رجل فقال: يا أبا عبدالله ولدت امرأتي الساعة وليس عندي شيء، فدفع إليه الكيس، وصعد وليس معه شيء. وكان يأكل شهوة[3] أصحابه، وركب حماره وأحمد يمشي بجانبه ويذاكره فبلغ ذلك يحيى بن معين فعتب أحمد، فأرسل له: «لو كنت بالجانب الآخر من حماره لكان خيراً لك». وكانت له المعرفة التامة بالرمي حتى يصيب عشرة من عشرة، وبالفروسية حتى يأخذ بأذنه وأذن الفرس في شدة عدوه [وروي أنه سمع قارئاً يقرأ: ﴿هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ [المرسلات ـ ٣٦] فتغير الشافعي وارتعد وخر مغشياً عليه، فلما أفاق قال: «اللهم إني أعوذ بك من مقام الكذابين، ومن إعراض الجاهلين، هب لي من رحمتك وجللني بسترك، واعف عني بكرمك، ولا تكلني إلى غيرك، ولا تقنطني من خيرك»، ومن كلامه: «لو لم يكن العلماء أولياء فليس لله ولي، ما اتخذ الله ولياً جاهلاً]. قال المزني: دخلت عليه في مرض موته، فقلت له: كيف أصبحت، فقال: «أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، ولسوء أعمالي ملاقياً، وعلى الله وارداً، فلا أدري روحي تصير إلى الجنة فأهنيها، أو إلى النار فأعزيها»، ثم بكى وأنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي * جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك أعظما

توفي آخر يوم من رجب ليلة الخميس، أو ليلة الجمعة، وكان قد صلى المغرب سنة أربع ومائتين، وقبره بقرافة مصر وعاش أربعاً وخمسين سنة.

---

(١) في المخطوطة اعطاء. (٢) في المخطوطة عيد.
(٣) في المخطوطة بشهوة.

وأبي عبدِ اللّهِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ حنبلٍ الشيبانيِّ،

(وأبي عبد الله أحمد بن حنبل) وفي نسخة صحيحة [أحمد بن] محمد بن حنبل، فالنسبة الأولى مجازية (الشيباني) نسبة إلى قبيلة، وهو المروزي ثم البغدادي. ولد ببغداد سنة أربع وستين ومائة، ومات بها سنة إحدى وأربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة. كان إماماً في الفقه والحديث والزهد والورع والعبادة، وبه عرف الصحيح والسقيم والمجروح من المعدل. نشأ ببغداد وطلب العلم وسمع الحديث من شيوخها، ثم رحل إلى مكة والكوفة والبصرة والمدينة واليمن والشام والجزيرة. وسمع من يزيد بن هارون ويحيى بن سعيد القطان وسفيان ابن عيينة ومحمد بن إدريس الشافعي وعبد الرزاق بن همام وغيرهم، وروى عنه ابناه صالح وعبدالله وابن عمه حنبل بن إسحاق ومحمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري وأبو زرعة وأبو داود السجستاني وخلق كثير إلا أن البخاري لم يذكر في صحيحه عنه إلا حديثاً واحداً في آخر كتاب الصدقات تعليقاً، وروى عن أحمد بن الحسن عنه. فضائله كثيرة ومناقبه شهيرة، وهو أحد المجتهدين المعمول بقوله ورأيه ومذهبه في كثير من البلاد. قال أبو زرعة: «كان أحمد يحفظ ألف ألف حديث»، فقيل له: ما يدريك، قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب. وقال أيضاً: «حزرت[1] كتبه اثني عشر حملاً أو عدلاً كل ذلك كان يحفظه عن ظهر قلبه»، وقال أبو داود السجستاني: «كأن مجالسة أحمد بن حنبل مجالسة الآخرة لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا»، وقال محمد بن موسى: «حمل إلى الحسن بن عبد العزيز ميراثه من مصر مائة ألف دينار، فحمل إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس في كل كيس ألف دينار، فقال: يا أبا عبدالله هذا من ميراث حلال فخذها واستعن بها على عائلتك، قال: لا حاجة لي فيها أنا في كفاية فردها ولم يقبل منها شيئاً». وقال عبدالله بن أحمد: كنت أسمع أبي كثيراً يقول في دبر صلاته: «اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصن وجهي عن المسألة لغيرك». وقال ميمون بن الأصبغ: كنت ببغداد فسمعت ضجة فقلت: ما هذا، فقالوا: أحمد بن حنبل يمتحن، فدخلت فلما ضرب سوطاً قال: بسم الله، فلما ضرب الثاني قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما ضرب الثالث قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، فلما ضرب الرابع قال: ﴿لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾ [التوبة - ٥١] فضرب تسعة وعشرين سوطاً وكانت تكة أحمد حاشية ثوب فانقطعت، فنزل السروال إلى عانته، فرمى أحمد طرفه إلى السماء فحرك شفتيه، فما كان بأسرع من ارتقاء السروال ولم ينزل، فدخلت عليه بعد سبعة أيام فقلت: يا أبا عبدالله رأيتك تحرك شفتيك فأي شيء قلت، قال: قلت: «اللهم إني أسألك باسمك الذي ملأت به العرش إن كنت تعلم أني على الصواب فلا تهتك لي ستراً». وقال أحمد بن محمد الكندي: «رأيت أحمد بن حنبل في النوم فقلت: ما صنع الله بك، قال: غفر لي، ثم قال: يا أحمد ضربت فيّ، قال: قلت: نعم يا رب، قال: يا أحمد هذا وجهي فانظر إليه فقد أبحتك النظر إليه». رُوي أنه أرسل الشافعي إلى بغداد يطلب قميصه الذي ضرب فيه فأرسله إليه، فغسله الشافعي وشرب ماءه، وهذا من أجل مناقبه. قال ولده صالح: إنه حج خمس

---

(١) في المخطوطة حررت.

وأبي عيسى محمدِ بن عيسى الترمذِي،

حجج ثلاثاً منها راجلاً، وكثيراً ما كان يتأدم بالخل، قال أبو زرعة: بلغني أن المتوكل أمر أن يمسح الموضع الذي وقف الناس فيه للصلاة عليه، فبلغ مقام ألفي ألف وخمسمائة ألف، وأسلم يوم وفاته عشرون ألفاً. وقبره ظاهر ببغداد يزار ويتبرك به، وكشف لما دفن بجنبه بعض الأشراف بعد موته بمائتين وثلاثين سنة فوجد كفنه صحيحاً لم يبل وجثته لم تتغير.

(تنبيه)

اعترض على ابن الصلاح تفضيل كتب السنن على مسند أحمد فإنه أكبر المسانيد وأحسنها، فإنه لم يدخل فيه إلا ما يحتج به مع كونه اختصره من أكثر من سبعمائة ألف حديث وخمسين ألفاً، وقال: «ما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله ﷺ فارجعوا فيه إلى المسند، فإن وجدتموه فحسن وإلا فليس بحجة»، ومن ثم بالغ بعضهم فأطلق الصحة على كل ما فيه. والحق أن فيه أحاديث كثيرة ضعيفة وبعضها أشد في الضعف من بعض، حتى إن ابن الجوزي قد أدخل كثيراً منها في موضوعاته؛ لكن تعقبه في بعضها بعضهم وفي سائرها شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني، وحقق نفي الوضع عن جميع أحاديثه[1]، وأنه أحسن انتقاء وتحريراً من الكتب التي لم يلتزم مؤلفوها الصحة في جميعها كالسنن الأربعة. قال: وليست الأحاديث [الزائدة] فيه على ما في الصحيحين بأكثر ضعفاً من الأحاديث الزائدة في سنن أبي داود والترمذي عليهما. وبالجملة فالسبيل واحد لمن أراد الاحتجاج بحديث من السنن، لا سيما سنن ابن ماجة ومصنف ابن أبي شيبة وعبد الرزاق مما الأمر فيه أشد، أو بحديث من المسانيد لأن هذه كلها لم يشترط جامعوها الصحة والحسن. وتلك السبيل أن المحتج إن كان أهلاً للنقل والتصحيح فليس له أن يحتج بشيء من القسمين حتى يحيط به وإن لم يكن أهلاً لذلك، فإن وجد أهلاً لتصحيح أو تحسين قلده، وإلا فلا يقدم على الاحتجاج فيكون كحاطب ليل، فلعله يحتج بالباطل وهو لا يشعر.

(وأبي عيسى) قيل يكره هذه التكنية **(محمد بن عيسى الترمذي)**، بكسر التاء والميم وبضمهما وبفتح التاء وكسر الميم مع الذال المعجمة نسبة لمدينة قديمة على طرف جيحون نهر بلخ، الإمام الحجة الأوحد الثقة الحافظ المتقن؛ أخذ عن البخاري وقتيبة بن سعيد ومحمود بن غيلان ومحمد بن بشار وأحمد بن منيع ومحمد بن المثنى وسفيان بن وكيع وغيرهم، وأخذ عنه خلق كثير، وله تصانيف كثيرة في علم الحديث، منها الشمائل وهذا كتابه الصحيح أحسن الكتب وأحسنها ترتيباً وأقلها تكراراً، وفيه ما ليس في غيره من ذكر المذاهب ووجوه الاستدلال وتبيين أنواع من الصحيح والحسن والغريب، وفيه جرح وتعديل، وفي آخره كتاب العلل. وقد جمع فيه فوائد حسنة لا يخفى قدرها على من وقف [عليها]، ولذا قيل: هو كاف للمجتهد

---

(١) وقد ألف الإمام ابن حجر كتاباً للدفاع عن مسند الإمام أحمد وهو «القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد».

وأبي داودَ سليمانَ بن الأشعثِ السِّجستانيِّ،

ومغن للمقلد، بل قال أبو إسماعيل الهروي: هو عندي أنفع من الصحيحين لأن كل أحد يصل للفائدة[1] منه وهما لا يصل إليها منهما إلا العالم المتبحر، وقول ابن حزم: إنه مجهول كذب منه، قال: عرضت هذا الكتاب يعني سننه على علماء الحجاز والعراق وخراسان فرضوا به ومن كان في بيته فإنما في بيته نبي يتكلم. نعم عنده نوع تساهل في التصحيح ولا يضره، فقد حكم بالحسن مع وجود الانقطاع في أحاديث من سننه، وحسن فيها بعض ما انفرد رواته به كما صرح هو به، فإنه يورد الحديث ثم يقول عقبه: إنه حسن غريب، أو حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه؛ لكن أجيب عنه بأن هذا اصطلاح جديد ولا مشاحة في الاصطلاح، وقد أطلق الحاكم والخطيب الصحة على جميع ما في سنن الترمذي[2]، توفي بترمذ سنة تسع وسبعين ومائتين.

وأعلى أسانيده ما يكون واسطتان بينه وبين النبي ﷺ، وله حديث واحد في سننه بهذا الطريق وهو: «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر»[3] فإسناده أقرب من إسناد البخاري ومسلم وأبي داود فإن لهم ثلاثيات. وذكر في جامعه بسنده هذا الحديث وهو: «يا علي لا يحل لأحد أن يجتب في هذا المسجد غيري وغيرك»[4]، ثم قال: وهذا حديث حسن غريب وقد سمعه مني البخاري.

(وأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني)، بكسر السين الأولى وتفتح وبكسر الجيم وسكون السين الثانية معرّب سيستان من نواحي هراة من بلاد خراسان، ولد سنة ثنتين ومائتين وتوفي بالبصرة سنة خمس وسبعين ومائتين، وهو الإمام الحافظ الحجة، سكن البصرة وقدم بغداد مراراً فروى سننه بها ونقله أهلها عنه، وعرضه على أحمد فاستجاده واستحسنه. سمع أحمد ويحيى بن معين والقعنبي وسليمان بن حرب وقتيبة وخلائق لا يحصون، وروى عنه النسائي وغيره. قال جمع: أُلين الحديث لأبي داود كما أُلين الحديد لداود، وكان يقول: «كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث، انتخبت منها ما ضمنته كتاب السنن جمعت فيه أربعة آلاف حديث وثمانمائة حديث ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث، أحدها: قوله عليه الصلاة والسلام: «إنما الأعمال بالنيات»[5]، والثاني: قوله عليه الصلاة والسلام: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[6]، والثالث: قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه»[7]،

---

(١) في المخطوطة الفائدة. (٢) ذكر أبو داود بدل الترمذي هذا في المخطوطة وهو خطأ.

(٣) أخرجه الترمذي ٤/ ٤٥٦ حديث ٢٢٦٠.

(٤) أخرجه الترمذي ٥/ ٥٩٧ حديث ٣٧٢٧ وقال حسن غريب.

(٥) وهو الحديث رقم ١ من المشكاة.

(٦) أخرجه الترمذي ٤/ ٤٨٣ حديث ٢٣١٧ وأخرجه ابن ماجة.

(٧) ونص الحديث في سنن الترمذي: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». وهو في الصحيحين. وأخرجه الترمذي ٤/ ٥٧٥ حديث ٢٥١٥.

وأبي عبدِ الرحمن أحمدَ بنِ شُعيبٍ النَّسائيِّ،

والرابع: «إن الحلال بين والحرام بين»[1] الحديث.

ومن أشعار الشافعي:

عمدة الدين عندنا كلمات * أربع قالهن خير البرية
اتق الشبهات وازهد ودع ما * ليس يعنيك واعمل بنية

فكأنه أراد بقوله: ازهد حديث الأربعين: «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس».[2]

قال الخطابي شارحة: «لم يصنف في علم الدين مثله وهو أحسن وضعاً وأكثر فقهاً من الصحيحين»، وقال أبو داود: «ما ذكرت فيه حديثاً أجمع الناس على تركه»، وقال ابن الأعرابي: «من عنده القرآن وكتاب أبي داود لم يحتج معهما إلى شيء من العلم البتة»، وقال الناجي: «كتاب الله أصل الإسلام وكتاب أبي داود عهد الإسلام»، ومن ثم صرح حجة الإسلام الغزالي باكتفاء المجتهد به في الأحاديث، وتبعه أئمة الشافعية على ذلك، وقال النووي: «ينبغي للمشتغل بالفقه ولغيره الاعتناء به، فإن معظم أحاديث الأحكام التي يحتج بها فيه مع سهولة تناوله». وكان [له] كم واسع وكم ضيق فقيل له: ما هذا، فقال: أما الواسع فللكتب وأما الضيق فللاحتياج إليه.

وفضائله ومناقبه كثيرة، وكان في أعلى درجة من النسك والعفاف والصلاح والورع، قال المنذري: «ما سكت عليه لا ينزل عن درجة الحسن»، وقال النووي: ما رواه في سننه ولم يذكر ضعفه هو عنده صحيح أو حسن»، وقال ابن عبد البر: «ما سكت عليه صحيح عنده سيما إن لم يكن في الباب غيره»، وأطلق ابن منده وابن السكن الصحة على جميع ما في سنن أبي داود ووافقهما الحاكم.

(**وأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي**) بفتح النون والمد كما في جامع الأصول، واقتصر عليه المصنف، وبالقصر كما في طبقات الفقهاء، نسبة إلى بلد بخراسان قريب مرو، وأما ما ذكره ابن حجر أنه من كور نيسابور أو من أرض فارس فغير صحيح.

أحد الأئمة الحفاظ، سمع من إسحاق بن راهويه وسليمان بن أشعث ومحمود بن غيلان وقتيبة بن سعيد ومحمد بن بشار وعلي بن حجر وأبي داود وآخرين ببلاد كثيرة وأقاليم متعددة، وأخذ عنه خلق كثيرون كالطبراني والطحاوي وابن السني: ودخل دمشق فسئل عن معاوية فضل عليه علياً فأخرج من المسجد وحمل إلى الرملة ومات بها، وقيل: إلى مكة ودفن بها بين الصفا والمروة، وجرى عليه بعض الحفاظ فقال: مات ضرباً بالأرجل من أهل الشام حين

---

(١) من حديث أخرجه البخاري ١/ ١٢٦ حديث ٥٢ ومسلم ٣/ ١٢١٩ حديث ١٥٩٩.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٤٤ حديث رقم ١٠٥٢٣. وابن ماجة.

وأبي عبد الله محمدِ بن يزيدَ ابن ماجة القَزوينيّ،

أجابهم لما سألوه عن فضائل معاوية ليرجحوه بها على عليّ بقوله: ألا يرضى معاوية رأساً برأس حتى يفضل، وفي رواية: ما أعرفه ألا أشبع الله بطنه وما زالوا يضربونه بأرجلهم حتى أخرج من المسجد، ثم حمل إلى مكة فمات مقتولاً شهيداً. وقال الدارقطني: إن ذلك كان بالرملة، وكذا قال العبدري: إنه مات بالرملة بمدينة فلسطين ودفن بالبيت[1] المقدس، وسنه ثمان[2] وثمانون سنة فيما قاله الذهبي ومن تبعه، وجزم المصنف بأنه مات بمكة سنة ثلاث وثلثمائة وهو مدفون بها، ونقل التاج السبكي عن شيخه الحافظ الذهبي ووالده الشيخ الإمام السبكي أن النسائي أحفظ من مسلم صاحب الصحيح وأن سننه أقل السنن بعد الصحيحين حديثاً ضعيفاً، بل قال بعض الشيوخ: إنه أشرف المصنفات كلها وما وضع في الإسلام مثله، وقد قال ابن منده وابن السكن وأبو علي النيسابوري وأبو أحمد بن عدي والخطيب والدارقطني: كل ما فيه صحيح لكن فيه تساهل صريح، وشذ بعض المغاربة ففضله على كتاب البخاري ولعله لبعض الحيثيات الخارجة عن كمال الصحة والله تعالى أعلم. قال السيد جمال الدين: صنف في أوّل الأمر كتاباً يقال له السنن الكبير للنسائي، وهو كتاب جليل لم يكتب مثله في جمع طرق الحديث وبيان مخرجه، وبعده اختصره وسماه بالمجتنى[3] بالنون، وسبب اختصاره أن أحداً من أمراء زمانه سأله إن جميع أحاديث كتابك صحيح فقال في جوابه: لا، فأمره الأمير بتجريد الصحاح وكتابة صحيح مجرد، فانتخب منه المجتنى، وكل حديث تكلم في إسناده أسقطه منه، فإذا أطلق المحدثون بقولهم: رواه النسائي فمرادهم هذا المختصر المسمى بالمجتنى لا الكتاب الكبير وكذا إذا قالوا: الكتب الخمسة، أو الأصول الخمسة فهي البخاري ومسلم وسنن أبي داود وجامع الترمذي ومجتنى النسائي.

(وأبي عبدالله محمد بن يزيد بن ماجة) بإثبات ألف ابن خطأ فإنه بدل من ابن يزيد، ففي القاموس: ماجة لقب والد محمد بن يزيد صاحب السنن لأجده، وفي شرح الأربعين إن ماجة اسم أمه **(القزويني)** بفتح القاف نسبة إلى بلد معروف، وهو الإمام الحافظ صاحب السنن التي كمل به الكتب الستة والسنن الأربعة بعد الصحيحين، قال الحافظ ابن حجر: وأول من أضاف ابن ماجة إلى الخمسة الفضل بن طاهر حيث أدرجه معها في أطرافه، وكذا في شروط الأئمة الستة، ثم الحافظ عبد الغني في كتاب الإكمال في أسماء الرجال الذي هذبه الحافظ المزي، وقدموه على الموطأ لكثرة زوائده على الخمسة بخلاف الموطأ، وهو كما قاله ابن الأثير كتاب مفيد قوي التبويب في الفقه لكن فيه أحاديث ضعيفة جداً بل منكرة، بل نقل عن الحافظ المزي أن الغالب فيما انفرد به الضعف ولذا لم يضفه غير واحد إلى الخمسة بل جعلوا السادس الموطأ، منهم رزين والمجد ابن الأثير، وقال العسقلاني[4]: «ينبغي أن يجعل مسند الدارمي

---

(١) في المخطوطة بيت المقدس. (٢) في المخطوطة ثمانية.

(٣) ويسمى أيضاً «بالمجتبى» وكلاهما صحيح ولكن «المجتبى» أشهر.

(٤) في المخطوطة العلاقي.

وأبي محمدٍ عبد الله بن عبد الرحمنِ الدّارميّ، وأبي الحسنِ علي بن عمرَ الدارقُطني، وأبي بكرٍ أحمدَ بن الحسين البَيهقيّ،

سادساً للخمسة بدله، فإنه قليل الرجال الضعفاء نادر الأحاديث المنكرة والشاذة، وإن كان فيه أحاديث مرسلة وموقوفة فهو مع ذلك أولى منه». توفي في رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين وله من العمر أربع وستون سنة، سمع أصحاب مالك [و] الليث، وروى عنه أبو الحسن القطان وخلق سواه، وله ثلاثيات من طريق جبارة بن المغلس، وله حديث في فضل قزوين أورده في سننه وهو منكر بل موضوع، ولذا طعن فيه وفي كتابه.

(وأبي محمد عبدالله بن عبد الرحمن) السمرقندي التميمي (الدارمي) بكسر الراء نسبة إلى دارم بن مالك بطن كبير من تميم، وهو الإمام الحافظ عالم سمرقند، صنف التفسير والجامع ومسنده المشهور وهو على الأبواب لا الصحابة خلافاً لمن وهم فيه. روى عن البخاري ويزيد ابن هارون والنضر بن شميل وغيرهم، وقال: «رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراق فما رأيت فيهم أجمع من محمد بن إسماعيل البخاري». وروى عنه مسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم، قال أبو حاتم: هو إمام أهل زمانه، توفي يوم التروية ودفن يوم عرفة سنة خمس وخمسين ومائتين، وولد سنة إحدى وثمانين ومائة وله من العمر أربع وسبعون سنة، وله خمسة عشر حديثاً هي ثلاثيات.

(وأبي الحسن[1] علي بن عمر الدارقطني) بفتح الراء ويسكن وبضم القاف وسكون الطاء بعده نون نسبة لدار القطن، وكانت محلة كبيرة ببغداد. وهو إمام عصره وحافظ دهره صاحب السنن والعلل وغيرهما، انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بعلل الحديث وأسماء الرجال وأحوال الرواة مع الصدق والأمانة والثقة والعدالة وصحة الاعتقاد والتضلع بعلوم شتى، كالقراءة، وله فيها كتاب لم يسبق إلى مثله. أخذ عنه الأئمة كأبي نعيم والحاكم أبي عبدالله النيسابوري والبرقاني والشيخ أبي حامد الإسفرايني والقاضي أبي الطيب الطبري والجوهري وغيرهم. ولد سنة خمس وثلثمائة، ومات ببغداد سنة خمس وثمانين وثلثمائة.

(وأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي) نسبة لبيهق على وزن صيقل بلد قرب نيسابور، وهو الإمام الجليل الحافظ الفقيه الأصولي الزاهد الورع، وهو أكبر أصحاب الحاكم أبي عبدالله، وقد أخذ عن ابن فورك وأبي عبد الرحمن السلمي. رُوي أنه اجتمع جمع كثير من العلماء في مجلس الحاكم أبي عبدالله وقد ترك الحاكم راوياً من إسناد حديث فنبه عليه البيهقي فتغير الحاكم، فقال البيهقي: لا بد من الرجوع إلى الأصل فحضر الأصل فكان كما قال البيهقي. رحل إلى الحجاز والعراق ثم اشتغل بالتصنيف بعد أن صار واحد زمانه وفارس ميدانه، وألف كتابه السنن الكبير وكتاب المبسوط في نصوص الشافعي وكتاب معرفة السنن والآثار، وقيل: وصل تصانيفه إلى ألف جزء. ومن تصانيفه دلائل النبوة وكتاب البعث والنشور

(١) في المخطوطة أبي الحسين والصواب أبو الحسن.

وأبي الحسنِ رَزينِ بن معاويةَ العبدرِي، وغيرهم، وقليلٌ ما هو.

وكتاب الآداب[1] وكتاب فضائل الصحابة وفضائل الأوقات وكتاب شعب الإيمان وكتاب الخلافيات، وكان له غاية الإنصاف في المناظرة والمباحثة، وكان على سيرة العلماء قانعاً من الدنيا باليسير متجملاً في زهده وورعه صائم الدهر قبل موته بثلاثين سنة. قال إمام الحرمين: «ما من شافعي إلا وللشافعي في عنقه منة إلا البيهقي فإنه له على الشافعي منة لتصانيفه في نصرة مذهبه وأقاويله». توفي بنيسابور سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وحمل تابوته إلى قرية من ناحية بيهق وله من العمر أربع وسبعون سنة، قيل: مولده سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

(وأبي الحسن رزين) بفتح الراء وكسر الزاي **(ابن معاوية العبدري)** بفتح العين المهملة وسكون الموحدة وفتح الدال المهملة وبالراء المخففة منسوب إلى عبد الدار بن قصي بطن من قريش، وهو الحافظ الجليل صاحب كتاب التجريد في الجمع بين الصحاح، مات بعد العشرين وخمسمائة **(وغيرهم)** بالجر عطفاً على أبي عبدالله، وقيل: بالرفع عطفاً على مثل **(وقليل ما)** ما زائدة إبهامية تزيد الشيوع والمبالغة في القلة **(هو)** أي غيرهم والإفراد للفظ غير [هم] وهو مبتدأ خبره قليل، ونظيره ﴿**إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم**﴾ [ص - ٢٤].

فلما انتهى الكلام على آخر الرجال المذكورين والأئمة المشهورين، سنح [بالخاطر الفاتر] ما ذكره السادات الصوفية أرباب الهداية «إن النهاية هي الرجوع إلى البداية» فأنتج أن أختم ذكرهم بمناقب الإمام الأعظم، والهمام الأقدم ليكون كمسك الختام. وقد ذكره المؤلف أيضاً في أسماء رجاله راجياً حصول بركة كماله؛ لكن بعد ذكر الإمام مالك وأورد اعتذاراً عن ذلك بقوله: «وقد بدأنا بذكره لأنه المقدم زماناً وقدراً ومعرفة وعلماً»، قلت: كل ذلك بالنسبة إلى إمامنا غير صحيح، أما تقدم زمان أبي حنيفة عليه فصريح، إذ ولد مالك سنة خمس وتسعين وولد أبو حنيفة سنة ثمانين، وأما تقدم قدره على أبي حنيفة فمردود لأنه من أتباع التابعين، وإمامنا من التابعين كما ذكره السيوطي وغيره، وقد ورد في الحديث النبوي: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[2]. وأما معرفته فمعروفة لأنها عمت الخلق شرقاً وغرباً سيما في بلاد ما وراء النهر وولاية الهند والروم فإنهم لا يعرفون إماماً غيره، ولا يعلمون مذهباً سوى مذهبه. وبالجملة فأتباعه أكثر من أتباع جميع الأئمة من علماء الأمة، كما أن أتباع النبي ﷺ أكثر من أتباع سائر الأنبياء، وقد ورد: «أنهم ثلثا أهل الجنة»[3]، والحنفية أيضاً تجيء ثلثي المؤمنين والله أعلم، وأما علمه فيكفي[4] ما قال الشافعي في حقه: «الخلق كلهم عيال أبي حنيفة في الفقه»، والعذر في كثرة اشتغاله بالأمور الفقهية من المسائل الفرعية والدلائل الأصولية، أنه رأى أنه الأهم واحتياج الناس إليه أتم، وهو في الحقيقة اشتغال بالمعنى المعبر عنه بالدراية، وهو مفضل على التعلق بالمبنى الذي يقال له الرواية، وبهذا فاق على أقرانه من المحدثين وغيرهم. وقد سأله الأوزاعي عن مسائل وأراد البحث معه بوسائل،

---

(١) في المخطوطة الألقاب.

(٢) البخاري ٥/ ٢٥٨ حديث ٢٦٥١.

(٣) البخاري ١١/ ٣٧٨ حديث ٦٥٢٨ وهو بمعناه.

(٤) في المخطوطة ما يكفي.

فأجاب على وجه الصواب، فقال له الأوزاعي: من أين هذا الجواب، فقال: من الأحاديث التي رويتموها، ومن الأخبار والآثار التي نقلتموها، وبين له وجه دلالاتها وطريق استنباطاتها فأنصف الأوزاعي ولم يتعسف، فقال: نحن العطارون وأنتم الأطباء أي العارفون بالداء والدواء. وأيضاً كان عنده أن نقل الحديث الشريف لا يجوز إلا باللفظ دون المعنى، فهذا الاعتبار يقل التحديث بالمبني مع أن له مسانيد متعددة وأسانيد معتمدة يعرفها أهل الخبرة، ويحكمون عليه [بأنه] من أهل النصرة. ثم يدل على علوّ سنده أنه روى الشافعي في مسنده عن محمد بن الحسن عن أبي يوسف عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لما قال قال رسول الله ﷺ: «الولاء لحمة كلحمة النسب لا يباع ولا يوهب»[1] كذا ذكره الشمني شارح النقاية في فصل الولاء، وذكر الإمام النووي في تهذيب الأسماء نقلاً عن الخطيب البغدادي أن الإمام الشافعي روى عن محمد بن الحسن، [وقال الفاضل تلميذ الإمام ابن الهمام في شرح التحرير[2] ذكر أصحاب الشافعي وغيرهم أنه قال الشافعي حملت عن محمد ابن الحسن] وقرىء بحثي كتباً، وقال أبو إسحاق في الطبقات: روى الربيع قال: كتب الشافعي إلى محمد بن الحسن وقد طلب منه كتباً ينسخها فأخرها عنه:

قل للذي لم ترعينا من رآه مثله * ومن كان من رآه قد رأى من قبله

العلم ينهى أهله أن يمنعوه أهله * لعله يبذله لأهله لعله

وفي الحقائق شرح المنظومة[3] قال الشافعي: «الحمد لله الذي أعانني على الفقه بمحمد ابن الحسن» انتهى محمد له الرواية عن أبي حنيفة ومالك كما يدل عليه موطأ الإمام محمد[4].

ولما ذكر شيخنا العالم العلامة والبحر الفهامة شيخ الإسلام ومفتي الأنام، صاحب التصانيف الكثيرة والتآليف الشهيرة، مولانا وسيدنا وسندنا الشيخ شهاب الدين بن حجر المكي مناقب الإمام مالك وأحمد بن حنبل والشافعي في شرح المشكاة قال: «تعين علينا إذ ذكرنا تراجم هؤلاء الأئمة الثلاثة، أن نختم برابعهم المقدم عليهم تبركاً به لعلوّ مرتبته، ووفور علمه وورعه وزهده وتحليته بالعلوم الباطنة فضلاً عن الظاهرة بما فاق فيه أهل عصره، وفاز بحسن [الثناء] عليه وإذاعة ذكره. وهو الإمام الأعظم، فقيه أهل العراق، ومن أكابر التابعين، أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي - بضم الزاي وفتح الطاء - ابن ماه مولى تيم الله بن ثعلبة

---

(١) وأخرجه الدارمي في السنن ٢/ ٤٩٠ حديث رقم ٣١٥٩.

(٢) وهو كتاب التقرير والتحبير للفاضل محمد بن محمد بن أمير الحاج الحلبي ت ٨٧٩.

(٣) كتاب الحقائق لأبي المحامد محمود بن محمد بن داود اللؤلؤي البخاري ت ٦٧١ وهو شرح لمنظومة النسفي في الخلاف.

(٤) في المخطوطة «مالك» والمراد محمد بن الحسن الشيباني لأن له رواية للموطأ. فأطلق اسمه عليه باعتبار روايته.

الكوفي - وروى الخطيب بإسناده عن حفيده عمر بن حماد بن أبي حنيفة أن ثابتاً ولد على الإسلام، وزوطي كان مملوكاً لبني تيم فأعتقوه فصار ولاؤه لهم. وأنكر إسماعيل أخو عمر المذكور حفيده أيضاً ابن حماد بن أبي حنيفة ذلك، وقال: إن والد ثابت من أبناء فارس، وأنهم أحرار، «والله ما وقع علينا رق قط، ولد جدي سنة ثمانين وذهب بثابت أبيه إلى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وهو صغير، فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته، ونحن نرجو من الله أن يكون ذلك قد استجيب من علي فينا» ا هـ. وهو كما رجا، فقد بارك الله في أبي حنيفة بركة لا نهاية لأقصاها، ولا غاية لمنتهاها، وبارك في أتباعه فكثروا في سائر الأقطار، وظهر عليهم من بركة صدقه وإخلاصه ما اشتهر به في سائر الأمصار. أخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان، وأدرك أربعة من الصحابة بل ثمانية منهم: أنس وعبدالله بن أبي أوفى وسهل بن سعد وأبو الطفيل. وقيل: ولم يلق أحداً منهم، قلت: لكن من حفظ حجة على من لم يحفظ، والمثبت مقدم على النافي. وسمع من عطاء وأهل طبقته، روى عنه عبدالله بن المبارك ووكيع بن الجراح وخلائق لا يحصون، وهو من أهل الكوفة وكان يزيد بن هبيرة والياً على العراق لبني أمية، فكلمه في أن يلي له قضاء الكوفة فأبى عليه فضربه مائة سوط في كل يوم عشرة أسواط وهو مصمم على الامتناع، فلما رأى ذلك منه خلى سبيله. وكان الإمام أحمد إذا ذكر ضربه على القضاء وامتناعه منه بكى وترحم عليه، قلت: وكأنه اقتدى [به] في تحمل ضربه في مسألة خلق القرآن. واستدعاه المنصور أبو جعفر أمير المؤمنين من الكوفة إلى بغداد ليوليه القضاء فأبى، فحلف عليه ليفعلن فحلف أبو حنيفة أنه لا يفعل وتكرر هذا منهما، فقال الربيع الحاجب: «ألا ترى أمير المؤمنين يحلف»، قال أبو حنيفة: «أمير المؤمنين على كفارة أيمانه أقدر مني على كفارة أيماني»، فأمر به إلى السجن في الوقت. وفي رواية: دعاه أبو جعفر إلى القضاء فأبى فحبسه ثم دعا به، فقال: أترغب عما نحن فيه، فقال: أصلح الله أمير المؤمنين لا أصلح للقضاء فقال له: كذبت ثم عرض عليه، فقال أبو حنيفة: قد حكم عليّ أمير المؤمنين أني لا أصلح للقضاء لأنه نسبني إلى الكذب، فإن كنت كاذباً فلا أصلح، وإن كنت صادقاً فقد أخبرت أني لا أصلح، فرده إلى السجن، فقال الربيع بن يونس: رأيت المنصور يجادله في أمر القضاء وهو يقول: اتق الله ولا تشرك في أمانتك إلا من يخاف الله، والله ما أنا مأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب فلا أصلح لذلك، فقال له: كذبت أنت تصلح، فقال: قد حكمت على نفسك، كيف يحل لك أن تولي قاضياً على أمانتك وهو كذاب؟ وذكر أبو حنيفة عند ابن المبارك فقال: أتذكرون رجلاً عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها.

وكان حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح يعرف بريح الطيب إذا أقبل، كثير الكرم حسن المواساة لإخوانه، ربعة، أحسن الناس منطقاً وأحلاهم نغمة. قال: «قدمت البصرة فظننت أني لا أسأل عن شيء إلا أجبت عنه، فسألوني عن أشياء لم يكن عندي فيها جواب، فجعلت على نفسي أن لا أفارق حماداً حتى يموت فصحبته ثماني عشرة سنة، ثم ما صليت صلاة منذ مات إلا استغفرت له قبل أبوي، أو قال: مع والدي وإني لأستغفر لمن تعلمت منه

. . . .

علماً، أو تعلم مني علماً» قال: دخلت على المنصور، فقال: عمن أخذت العلم، فقلت: عن حماد عن إبراهيم النخعي عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس، فقال المنصور: بخ بخ استوفيت يا أبا حنيفة. ورأى أبو حنيفة في النوم كأنه نبش قبر النبي ﷺ، فبعث من سأل محمد ابن سيرين، فقال: من صاحب هذه الرؤيا ولم يجب عنها، ثم سأله الثانية فقال: مثل ذلك ثم سأله الثالثة، فقال: صاحب هذه الرؤيا يبرز علماً لم يسبقه أحد إليه ممن قبله. وقال ابن المبارك: كان أبو حنيفة آية، فقيل له: في الخير أم في الشر، قال: اسكت يا هذا فإنه يقال إنه آية في الخير وغاية في الشر، ثم تلا: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ [المؤمنون ـ ٥٠] وقال: كان يوماً في الجامع فوقعت حية فسقطت في حجره فهرب الناس وهو لم يزد على نفضها وجلس مكانه. وكان خزازاً يبيع الخز ودكانه معروف في دار عمرو بن حريث. ومات أخو سفيان الثوري فاجتمع إليه الناس لعزائه، فجاء أبو حنيفة فقام إليه سفيان وأكرمه وأقعده في مكانه، وقعد بين يديه، ولما تفرق الناس قال أصحاب سفيان: رأيناك فعلت شيئاً عجيباً، قال: هذا رجل من العلم بمكان فإن لم أقم لعلمه قمت لسنه، وإن لم أقم لسنه قمت لفقهه، وإن لم أقم لفقهه قمت لورعه. وقال النضر بن شميل: «كان الناس نياماً عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة بما فتقه[1] وبينه». وقال الشافعي: «الناس عيال أبي حنيفة في الفقه»، وفي رواية: «من أراد أن يتبحر في الفقه فليلزم أبا حنيفة وأصحابه». وقال جعفر بن الربيع: «أقمت على أبي حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول صمتاً منه، فإذا سئل عن شيء من الفقه سال كالوادي». وقال ابن عيينة: «ما قدم مكة في وقتنا رجل أكثر صلاة منه»: وقال يحيى بن أيوب الزاهد: «كان أبو حنيفة لا ينام [في] الليل». وقال أبو عاصم: «كان يسمي الوتد لكثرة صلاته». وقال زفر: «كان يُحيي الليل كله بركعة يقرأ فيها القرآن». وقال أسد بن عمرو: صلى أبو حنيفة صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة، وكان عامة الليل يقرأ القرآن في ركعة، وكان يسمع بكاؤه حتى يرحم عليه جيرانه، وحفظ عليه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف ختمة، ولما غسله الحسين بن عمارة قال له: «غفر الله لك لم تفطر منذ ثلاثين سنة، ولم تتوسد يمينك في الليل منذ أربعين سنة، ولقد أتعبت من بعدك». وقال ابن المبارك: «إنه صلى الخمس بوضوء واحد خمساً وأربعين سنة، وكان يجمع القرآن في ركعتين». وقال زائدة: «صليت معه في مسجده العشاء وخرج الناس ولم يعلم أني في المسجد، فأردت أن أسأله مسألة فقام وافتتح الصلاة فقرأ حتى بلغ هذه الآية ﴿فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم﴾ [الطور ـ ٢٧] فلم يزل يرددها حتى أذن المؤذن للصبح وأنا أنتظره». وقال القاسم بن معن: «قام أبو حنيفة ليلة بهذه الآية ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾ [القمر ـ ٤٦] يرددها ويبكي ويتضرع». وقال وكيع: «كان أبو حنيفة قد جعل على نفسه أن لا يحلف بالله في عرض كلامه إلا تصدق بدرهم، فحلف فتصدق به، ثم جعل إن حلف أن يتصدق بدينار،

---

(١) أي أظهره.

فكان إذا حلف صادقاً في عرض كلامه تصدق بدينار، وكان إذا أنفق على عياله نفقة تصدق بمثلها، وكان إذا اكتسى ثوباً جديداً كسى بقدر ثمنه الشيوخ من العلماء، وكان إذا وضع بين يديه الطعام أخذ منه ضعف ما يأكله فيجعله على الخبز ثم يعطيه الفقير، ووهب لمعلم ابنه حماد خمسمائة درهم لما[1] ختم، وجاءته امرأة تشتري منه ثوب خز فأخرج لها ثوباً فقالت: إنها ضعيفة وإنها أمانة فبعنيه بما يقوم عليك، فقال: خذيه بأربعة دراهم، فقالت: لا تسخر بي وأنا عجوز كبيرة، فقال: إني اشتريت ثوبين فبعت أحدهما برأس المال إلا أربعة دراهم فبقي هذا بأربعة دراهم». وقال ابن المبارك للثوري: ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة، ما سمعته يغتاب عدواً له قط، قال: «والله إنه أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهب بها». وقال إسماعيل حفيده: كان عندنا رافضي له بغلان سمى أحدهما أبا بكر والآخر عمر فرمحه[2] أحدهما فقتله، فقيل: لجدي، فقال: ما قتله إلا المسمى بعمر فكان كذلك. قلت: لأنه مظهر الجلال وأبو بكر مظهر الجمال. وكان بعض جماعة المنصور يبغضه، فلما رآه عند المنصور قال: اليوم أقتله، ثم قال له: إن أمير المؤمنين يأمرنا بضرب عنق الرجل ما ندري ما هو فهل لنا قتله، قال: أمير المؤمنين يأمر بالحق أو بالباطل، قال بالحق، قال الزم الحق حيث قال ولا تسأل عنه، ثم قال لمن قرب منه: إن هذا أراد أن يوبقني[3] فربطته.

ولد سنة ثمانين من الهجرة وتوفي ببغداد، وقيل: في السجن على أن يلي القضاء سنة خمسين على المشهور، أو إحدى أو ثلاث وخمسين ومائة في رجب ببغداد، وقبره بها يزار ويتبرك به. ومن ورعه أنه أراد شراء أمة يتسرى بها، فاستمر عشرين سنة يفتش السبايا ويسأل عنهن حتى اطمأنت نفسه بشراء واحدة. ومن كراماته أن أبا يوسف هرب صغيراً إليه من أمه ليتمه وفقره، فجاءت أمه للإمام وقالت له: أنت الذي أفسدت ولدي فأعطاه لها، ثم هرب إليه وتكرر منه ذلك فقال له الإمام وهو على تلك الحالة الضيقة: كيف بك وأنت تأكل الفالوذج[4] في صحن الفيروزج[5]؟ فلما توفي ووصل أبو يوسف عند الرشيد ما وصل دعاه الرشيد يوماً وأخرج له فالوذجاً كذلك، فضحك أبو يوسف فعجب منه الرشيد فسأله، فقال: رحم الله أبا حنيفة، وقص عليه القصة، اهـ. كلام الشيخ ابن حجر ملخصاً واكتفينا بكلامه فإنه على المخالفين حجة، وفيما نقله للموافقين كفاية، لأن المطنب في نعته مقصر، والمسهب في منقبته مختصر. وقد حُكي أن الشافعي سمع رجلاً يقع في أبي حنيفة فدعاه وقال: يا هذا أتقع في رجل سلم له جميع الناس ثلاثة أرباع الفقه، وهو لا يسلم لهم الربع، قال: وكيف ذلك؟

(١) في المخطوطة إلي.
(٢) رمح الفرس والبغل والحمار، ضرب برجله وقيل ضرب برجليه جميعاً (لسان العرب).
(٣) وبقه أي حبسه.
(٤) الفالوذ نوع من الحلواء يسوى من لب الحنطة ولا يقال فالوذج (لسان العرب).
(٥) الفيروزج ضرب من الأصباغ (لسان العرب).

وإني إذا نسبتُ الحديث إليهم كأني أسندتُ إلى النبي ﷺ؛ لأنهم قد فرغوا منه وأغنونا عنه.

قال: الفقه سؤال وجواب وهو الذي تفرد بوضع الأسئلة، فسلم له نصف العلم، ثم أجاب عن الكل، وخصومه لا يقولون إنه أخطأ في الكل فإذا جعل ما وافقوا فيه مقابلاً بما خالفوا فيه سلم له ثلاثة أرباع العلم وبقي الربع مشتركاً بين الناس.

ومما ذكره ابن حجر في مناقبه المسمى بالخيرات الحسان، أن الشافعي قال: قلت: لمالك رأيت أبا حنيفة، فقال: رأيته[1] رجلاً لو كلمك في السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته. ولما دخل الشافعي بغداد زار قبره وصلى عنده ركعتين فلم يرفع يديه في التكبير، وفي رواية أن الركعتين كانتا الصبح وأنه لم يقنت، فقيل له في ذلك فقال: أدبنا مع هذا الإمام أكثر من أن نظهر خلافه بحضرته، قال ابن حجر: «وتلمذ له كبار من الأئمة المجتهدين والعلماء الراسخين عبدالله بن المبارك والليث بن سعد والإمام مالك بن أنس» اهـ. ومنهم داود الطائي وإبراهيم ابن أدهم وفضيل بن عياض وغيرهم من أكابر السادة الصوفية رضي الله عنهم أجمعين. ومما استظل بحائط المديون حين أتاه متقاضياً، وتصدق بجميع مال أتى به وكيله إليه لما خلط ثمن ثوب معيب بيع مخفياً، قيل: وكان المال ثلاثين ألفاً، وترك لحم الغنم لما فقدت شاة في الكوفة سبع سنين لما قيل: إنها أكثر ما تعيش فيه.

ثم اعلم أن المؤلف لما قال فيما قدمه فأعلمت ما أغفله، استشعر اعتراضاً بأن الإعلام الحقيقي إنما هو بإيراد الإسناد الكلي ليترتب عليه معرفة رجاله التي يتوقف عليها الحكم بصحة الحديث وحسنه وضعفه وسائر أحواله، فاعتذر عن الأشكال فقال: **(وإني إذا نسبت الحديث)** أي كل حديث **(إليهم)** أي إلى بعض الأئمة المذكورين المعروفة كتبهم بأسانيدهم بين العلماء المشهورين **(كأني أسندت)** أي الحديث برجاله **(إلى النبي ﷺ)** أي فيما إذا كان الحديث مرفوعاً وهو الغالب، وإلى أصحابه إذا كان موقوفاً وهو المرفوع حكماً **(لأنهم)** أي الأئمة **(قد فرغوا منه)** أي من الإسناد الكامل بذكرهم، قال ابن حجر: أي من الإسناد[2] المفهوم من أسندت[3] على حد ﴿**وأن تعفوا أقرب للتقوى**﴾ [البقرة - ٢٣٧] اهـ. ولا يخفى أن قوله: وأن تعفوا بتأويل المصدر مبتدأ خبره أقرب للتقوى، والتقدير: وعفوكم أقرب للتقوى، نحو ﴿**وأن تصوموا خير لكم**﴾ [البقرة - ١٨٤] فالصواب أنه على حد ﴿**اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾. ثم في أصله على حد وأن تعفوا هو أقرب وهو إما سهو من الكتاب، أو وهم من مصنف الكتاب، والله أعلم بالصواب. **(وأغنونا)** بهمزة قطع، أي وجعلونا في غنى[4] وكفاية **(عنه)** أي عن تحقيق الإسناد من وصله وقطعه ووقفه ورفعه وضعفه وحسنه وصحته ووضعه، ومن ثم لزم الأخذ بنص أحدهم على صحة السند أو الحديث أو على حسنه أو أضعفه أو وضعه؛ فعلم من

---

(١) في المخطوطة رأيت.
(٢) في المخطوطة الأسانيد.
(٣) في المخطوطة أسند.
(٤) في المخطوطة غناء.

وسردْت الكتب والأبوابَ كما سردها، واقتفيتُ أثره فيها، وقسمتُ كلَّ بابٍ غالباً على

فصولٍ ثلاثة:

كلام المصنف أنه يجوز نقل الحديث من الكتب المؤلفة المعتمدة التي اشتهرت أو صحت نسبتها لمؤلفيها، كالكتب الستة وغيرها من الكتب المؤلفة وسواء في جواز نقله مما ذكر أكان نقله للعمل بمضمونه ولو في الأحكام، أو للاحتجاج. ولا يشترط تعدد الأصل المنقول منه، وما اقتضاه كلام ابن الصلاح من اشتراطه حملوه على الاستحباب والاستظهار، ولكن يشترط في ذلك الأصل أن يكون قد قوبل على أصل معتمد مقابلة صحيحة، لأنه حينئذ يحصل به الثقة التي مدار الاعتماد عليها [صحة] واحتجاجاً. نعم نسخ الترمذي مختلفة كثيراً في الحكم على الحديث بل وسنن أبي داود أيضاً، فلا بد من المقابلة على أصول معتمدة منهما. وعلم من كلام المصنف أيضاً أنه لا يشترط في النقل من الكتب المعتمدة للعمل والاحتجاج أن يكون له به رواية إلى مؤلفيها، ومن ثم قال ابن برهان: ذهب الفقهاء كافة إلى أنه لا يتوقف العمل بالحديث على سماعه، بل إذا صحت عنده النسخة من السنن جاز له العمل بها وإن لم يسمع، وشذ بعض المالكية فقال: اتفق العلماء على أنه لا يصح لمسلم أن يقول: قال رسول الله ﷺ: كذا حتى يكون عنده ذلك القول مروياً ولو على أقل وجوه الروايات، لقوله عليه الصلاة والسلام: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[1]، وفي رواية بحذف متعمداً، وتبعه الحافظ الزين[2] العراقي؛ فإنه بعد أن قرر أنه يقبح للطالب أن لا يحفظ بإسناده عدة أحاديث يتخلص بها عن كذا وعن كذا، قال: ويتخلص به من الحرج بنقل ما ليست له به رواية، فإنه غير سائغ بإجماع أهل الدراية، وانتصر جماعة للأول. وقد يجمع بين الإجماعين المتعارضين بحمل الأول على ما إذا نظر في الأصل المعتمد وأخذ منه الحديث للعمل أو الاحتجاج، والثاني على ما إذا حدث بأحاديثها موهماً نسبتها إليه قراءة وإسناداً، فهذا لا يجوز لما فيه من مزيد التحرير، وبهذا اندفع ما أورد على الثاني من أنه يلزم عليه منع إيراد ما في الصحيحين أو أحدهما لمن لا رواية له به، وجواز نقل ما له به رواية وإن كان ضعيفاً. **(وسردت الكتب والأبواب)** أي أوردتها ووضعتها متابعة متوالية **(كما سردها)** أي رتبها وعينها الإمام البغوي في المصابيح، **(واقتفيت)** أي اتبعت **(أثره)** بفتحتين وقيل بكسر الهمزة وسكون المثلثة أي طريقه **(فيها)** أي الكتب والأبواب من غير تقديم وتأخير وزيادة عنوان وتغيير، فإن ترتيبه على وجه الكمال وتبويبه في غاية من الحسن والجمال، ويحتمل أن يكون تأكيداً لكمال المتابعة وتبرئة عما قد يرد على إيراده بعض الكتب والأبواب من وجوه المناسبة **(وقسمت)** بالتخفيف **(كل باب)** وكذا كل كتاب أي جعلته مقسوماً **(غالباً)** أي في غالب الأحوال **(على فصول ثلاثة)** وقيد الغالبية بمعنى الأكثرية، لأنه قد لا يوجد الفصل الثاني أو الثالث، أو كلاهما في بعض الأبواب

(١) البخاري ١/ ٢٠٢ حديث رقم ١١٠ ومسلم ٤/ ٢٢٩٨ حديث ٣٠٠٤.

(٢) في المخطوطة حافظ الدين.

أولها: ما أخرجه الشيخان أو أحدُهما، واكتفيتُ بهما وإن اشترك فيه الغيرُ؛ لعلوّ درجتهما في الرِّواية.

من الكتاب (**أولها**) أي أول الفصول في هذا الكتاب بدل قول البغوي في المصابيح من الصحاح (**ما أخرجه**) أي أورده أو أخرجه من بين الأحاديث (**الشيخان**) أي بزعم صاحب المصابيح لما سيأتي من قوله «وإن عثرت على اختلاف الفصلين»، أو المراد في الغالب والنادر كالمعدوم (**أو أحدهما**) أي أحد الشيخين بزعمه أيضاً، وهما البخاري ومسلم في اصطلاح المحدثين، وأبو يوسف ومحمد عند فقهاء الحنفية، والرافعي والنووي عند الشافعية (**واكتفيت**) وفي نسخة واكتفى، وهو يحتمل المعلوم التفاتاً، والمجهول من الماضي والمضارع المتكلم المعروف وهو الأظهر (**بهما**) أي بذكرهما في التخريج (**وإن اشترك**) وصلية لا تطلب جزاء ولا جواباً (**فيه**) أي في تخريجه (**الغير**) أي غيرهما من المحدثين والمخرِّجين كبقية الكتب الستة ونحوها (**لعلو درجتهما**) أي على سائر المخرجين مع الفرق بينهما (**في الرواية**) متعلق بالعلو، أي في شرائط إسنادها والتزام صحتها ما لم يلتزمه[1] غيرهما من المحدثين، وإن كان غيرهما أعلى مرتبة منهما في علو الإسناد، فإن البخاري أخذ عن أحمد بن حنبل وهو أخذ عن الشافعي وهو عن مالك، ولذا قال بشر الحافي: «إن من زينة الدنيا أن يقول الرجل حدثنا مالك [كذا]». وهذا يحتمل أن يكون مدحاً للإسناد بمقتضى العلم الظاهر، ويحتمل ذماً بناء على التصوف الذي مبناه على علم الباطن كما قال بعضهم: «حدثنا باب من أبواب الدنيا»، ولكنه محمول على ما إذا كان قصده السمعة وغرضه الرياء.

ثم اعلم أن الأئمة قد اختلفوا في شرطهما الذي التزماه، فإنه لم يصرح واحد منهما به في كتابه، والأظهر ما قاله أبو عبدالله الحاكم وصاحبه البيهقي: إن شرطهما أن يكون للصحابي المشهور بالرواية عن النبي ﷺ راويان فأكثر، ثم يكون للتابعي المشهور راويان ثقتان، ثم يرويه عنه من أتباع التابعين الحافظ المتقن المشهور، وله رواة ثقات من الطبقة الرابعة، ثم يكون شيخ البخاري أو مسلم حافظاً متقناً مشهوراً بالعدالة في روايته، وله رواة، ثم يتداوله أهل الحديث بالقبول إلى وقتنا هذا كالشهادة على الشهادة. وقال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني: «وهو وإن انتقض في بعض الصحابة الذين أخرجا لهم فهو معتبر فيمن بعدهم، فليس في كتابيهما حديث أصلاً من رواية من ليس له إلا راوٍ واحد فقط» اهـ. قيل: والحاكم موافق على استثناء الصحابة فكأنه رجع عن الأول؛ ثم المراد بقوله في مستدركه: على شرطهما أو شرط أحدهما عند النووي وابن دقيق العيد والذهبي كابن الصلاح أن يكون رجال ذلك الإسناد بأعيانهم في كتابيهما، أو كتاب أحدهما وإلا قال: صحيح فحسب، ومخالفته لذلك في بعض المواضع تحمل على الذهول. هذا وقال السيد جمال الدين لو لم يكتف المصنف بهما وذكر في كل حديث غيرهما ممن رواه كان أولى وأنسب وأحرى وأصوب، لأن الحديث وإن كان في أصل الصحة لا يحتاج إلى غيرهما، لكن في الترجيح لا يستغنى عن ذكر غيرهما، لأن

---

(١) في المخطوطة يلزم.

وثانيها: ما أورده غيرُهما من الأئمة المذكورين.

وثالثها: ما اشتملَ على معنى الباب من مُلحقاتٍ مناسبةٍ مع محافظةٍ على الشريطة، وإن كان مأثوراً عن السلف والخلف.

الحديث الذي رواه الستة مثلاً لا شك في ترجيحه على الذي رواه الشيخان أو أحدهما ولم يخرجه غيرهما (**وثانيها**) أي ثاني الفصول وهو المعبر عنه في المصابيح بقوله: من الحسان (**ما أورده غيرهما من الأئمة المذكورين**) وهم أبو داود والترمذي والنسائي والدارمي وابن ماجة، فإن أحاديث المصابيح لا تتجاوز عن كتب الأئمة السبعة وأكثرها صحاح (**وثالثها**) وهو المعبر عنه بالفصل الثالث (**ما اشتمل على معنى الباب**) أي على معنى عقد له الباب ولم يذكره البغوي في الكتاب (**من ملحقات**) بفتح الحاء ومن بيانية لما اشتمل (**مناسبة**) بكسر السين أي مشاكلة، وهي صفة ملحقات، والمراد بها زيادات ألحقها صاحب المشكاة على وجه المناسبة بكل كتاب وباب غالباً لزيادة الفائدة وعموم العائدة (**مع محافظة على الشريطة**) أي من إضافة الحديث إلى الراوي من الصحابة والتابعين، ونسبه إلى مخرِّجه من الأئمة المذكورين. ولما كان صاحب المصابيح ملتزماً للأحاديث المرفوعة في كتابه في الفصلين ولم يلتزم المصنف ذلك نبه عليه بقوله: (**وإن كان**) أي المشتمل (**مأثوراً**) أي منقولاً ومروياً (**عن السلف**) أي المتقدمين وهم الصحابة (**والخلف**) أي المتأخرين وهم التابعون.

واعلم أن تقديم السلف على الخلف ثابت في جميع النسخ المصححة، وكأنه وقع في أصل ابن حجر سهو من تقديم الخلف على السلف واعتمد عليه ولتوجيهه تكلف، وقال: «الخلف هم [من] بعد القرون الثلاثة الأول التي أشار ﷺ إليها بقوله: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[1]، وقدمهم مع أن رتبتهم التأخير كما صرح به هذا الحديث لأن تقديمهم أنسب بالغاية المذكورة، لأنه إذا أتى بالمأثور عنهم فما عن السلف أولى. اهـ. ولا يخفى أن هذا لا يصلح أن يكون سبباً لتقديم الخلف على السلف، نعم لو اقتصر على ذكر الخلف ونقل في كتابه عن السلف لكان يوجه بهذا التوجيه، قال: والسلف وهم أهل القرون الثلاثة الذين هم خير الأمة بشهادة نبيهم ﷺ، وزعم ابن عبد البر أنه قد يكون في الخلف من هو أفضل من الصحابة مما تفرد به، والأحاديث التي استدل بها ضعيفة أو محمولة على أن لهم مزية من حيث قوّة الإيمان بالغيب والصبر على مر الحق في زمن الجور الصرف، والمفضول قد توجد فيه مزية بل مزايا لا توجد في الفاضل، ومن ثمة قيل لابن المبارك: «أيما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟»، فقال: الغبار الذي دخل في أنف فرس معاوية مع النبي ﷺ خير من مثل عمر [بن عبد] العزيز كذا [و] كذا مرة» اهـ. ولا يخفى أن ابن عبد البر ما أراد إلا هذا المعنى بهذه الحيثية بعينها، وهي أن الخلف قد يوجد فيهم [الـ] كمالات العلمية و [ا] لرياضات العملية والحقائق الأنسية والدقائق القدسية وحالات من الكرامات وخوارق العادات بحيث إنهم يكونون أفضل من بعض السلف ممن ليس له ذلك، كأعرابي رأى النبي ﷺ من بعد فإنه لا يقال في حقه

---

(١) أخرجه البخاري ٥/ ٢٥٨ حديث ٢٦٥١.

ثم إنك إنْ فقدتَ حديثاً في بابٍ؛ فذلك عن تكرير أُسقطُه. وإن وجدت آخرَ بعضَه متروكاً على اختصاره، أو مضموماً إليه تمامه؛ فعن داعي اهتمامٍ أتركهُ وألحقه. وإنْ عثرتَ على اختلافٍ في الفصلين

إنه من جميع الوجوه أفضل من جميع الخلف من الأئمة المجتهدين والمشايخ المعتبرين، وأما فضيلة نسبة الصحبة فلا ينكر مؤمن شرفها، فإنه بمنزلة الإكسير في عظم التأثير.

ثم تفسير السلف والخلف على ما شرحه وإن كان صحيحاً في نفس الأمر ولكن لا يلائم كلام المصنف، فإنه ما يروي في كتابه إلا عن الصحابة والتابعين ويدل عليه أسماء رجاله المحصورين في ذكر الصحابة والتابعين، فإذا فسر السلف بهم فلا يبقى لذكر الخلف معنى وهذا خلف.

(**ثم**) أي بعد ما ذكرت لك إني التزمت متابعة صاحب المصابيح في كل باب (**إنك**) أي أيها الناظر في كتابي هذا (**إن فقدت**) أي من محله (**حديثاً**) أي من أصله الذي هو المصابيح (**في باب**) مثلاً، أو في كتاب أيضاً، والمعنى ما وجدته بالكلية لئلا يشكل بنقله من باب إلى باب كما فعله في مواضع من الكتاب (**فذلك**) أي الفقد وعدم الوجد ليس صادراً عن طعن أو سهو بل صدر (**عن تكرير**) أي عن وقوع تكرار وقع في المصابيح (**أسقطه**) أي أحذف ذلك الحديث لتكريره، وأذكر في موضع آخر بعينه من غير تغييره إذ لا داعي إلى إتيانه بعد ظهوره وبيانه، (**وإن وجدت آخر**) أي صادفت حديثاً آخر (**بعضه**) بالنصب بدل بعض من كل أي حال كونه (**متروكاً**) أي بعضه حال كونه جارياً أو بناء (**على اختصاره**) يعني اختصار محيي السنة، ويؤيده قوله فيما بعد: «أتركه وألحقه»، ويحتمل عود الضمير إلى الحديث ويؤيده قوله: (**أو مضموماً إليه تمامه**) كذا ذكره شيخ مشايخنا ميركشاه، واقتصر الطيبي على الأول وتبعه ابن حجر، والأظهر الثاني كما أفاده السيد جمال الدين بأنه حينئذ يكون الكلام على نسق واحد، وأما على الأول فيحصل تفكيك الضمير وهو غير ملائم، ثم المعنى أو وجدت حديثاً آخر مضموماً إليه تمامه الذي أسقطه البغوي أو أتى به في محل آخر (**فعن داعي اهتمام**) الفاء جزائية، أي فذلك الترك والضم لم يقع اتفاقاً وإنما صدر ونشأ عن موجب اهتمام، وقيل: عن بمعنى اللام أي فهو لأجل باعث اهتمام اقتضى أني (**أتركه**) أي على اختصاره في الأول (**وألحقه**) الواو بمعنى أو كما في نسخة، أي وألحقه في الثاني لفوات الداعي والسبب إلى اختصاره، فهو نشر مرتب، قال الفاضل الطيبي: «وذلك بأن تلك الرواية كانت مختصرة عن حديث طويل جداً فأتركه اختصاراً، أو كان حديثاً يشتمل على معانٍ جمة يقتضي كل باب معنى من معانيه، وأورد الشيخ كلا في بابه، فاقتفينا أثره في الإيراد وما لم يكن على هذين الوضعين أتممناه غالباً» اهـ. قال السيد جمال الدين كذا قرره الشارح وحرره وأسند الاختصار والإتمام بصيغة المتكلم مع [الغير] من غير أن ينقل هذا الكلام من المؤلف، وهذا الأمر من الشارح يحتمل أن يحمل على سماعه من المصنف، ويحتمل أن يكون مراد الشارح أن هذا مقصود الماتن والله أعلم. (**وإن عثرت**) بتثليث المثلثة والفتح أولى أي اطلعت أيها الناظر في كتابي هذا (**على اختلاف**) أي بيني وبين صاحب المصابيح (**في الفصلين**) أي الأولين وبيان الاختلاف قوله

من ذكر غير الشيخين في الأول، وذكرهما في الثاني؛ فاعلم أني بعد تتبعي كتابَيْ «الجمع بين الصحيحين» للحميدي، و «جامع الأصول»؛ اعتمدتُ على صحيحي الشيخين ومتنيهما. وإن رأيت اختلافاً في نفس الحديث؛ فذلك من تشعُّبِ طرق الأحاديث، ولعلي ما اطلعتُ على تلك الرواية التي سلكها الشيخُ رضي الله عنه. وقليلاً ما تجد أقول: ما وجدتُ هذه الرواية في كتب الأصول،

(من ذكر غير الشيخين) أي من المخرجين **(في الأول)** أي في الحديث المذكور في الفصل الأول **(وذكرهما)** أي أو من ذكر الشيخين **(في الثاني)** أي من الفصلين، بأن يسند بعض الأحاديث فيه إليهما، أو إلى أحدهما **(فاعلم)** جزاء الشرط أي إن اطلعت على ما ذكر فاعلم أنه ما صدر عني سهواً أو غفلة[1] فلا تظن هذا واعلم **(أني بعد تتبعي)** أي تفحصي وتجسسي **(كتابي الجمع)** تثنية مضاف، أي كتابين أحدهما الجمع **(بين الصحيحين)** أي بين كتابي البخاري ومسلم المسميين بالصحيحين **(للحميدي)** متعلق بالجمع، وهو بالتصغير نسبة لجده الأعلى حميد الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الأندلسي القرطبي، وهو إمام عالم كبير مشهور ورد بغداد وسمع أصحاب الدارقطني وغيرهم، ومات بها سنة ثمانين وأربعمائة، **(وجامع الأصول)** بالجر عطفاً على [الجمع] أي والآخر جامع الأصول أي الكتب الستة للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري الشهير بابن الأثير، وله أيضاً مناقب الأخبار وكتاب النهاية في غريب الحديث، كان عالماً محدثاً لغوياً وكان بالجزيرة وانتقل إلى الموصل ومات بها عام ست وستمائة، **(اعتمدت على صحيحي الشيخين ومتنيهما)** عطف بيان وإنما لم يكتف بهما لأنه ربما يحتمل أن يتوهم أن تتبعه واستقراءه غير تام فإذا وافق الحميدي وصاحب جامع الأصول يصير الظن قوياً بصحة استقرائه للموافقة، ولو اكتفى بتتبع الجمع بين الصحيحين وجامع الأصول لاحتمل وقوع القصور في استقرائهما، فبعد اتفاق الأربعة يمكن الحكم بالجزم على سهو البغوي **(وإن رأيت)** أي أبصرت أو عرفت أيها الناظر في المشكاة وأصلها مع أصولهما **(اختلافاً في نفس الحديث)** أي في متنه لا إسناده بأن يكون لفظ الحديث في المشكاة مخالفاً للفظ المصابيح **(فذلك)** أي الاختلاف ناشيء **(من تشعب طرق الأحاديث)** أي من اختلاف أسانيدها ورواتها حتى عند المؤلف الواحد، إذ كثيراً ما يقع للشيخين أو أحدهما أو لغيرهما سوق الحديث الواحد من عدة طرق بألفاظ متباينة مختلفة المعاني تارة ومؤتلفتها أخرى **(ولعلي)** للإشفاق، أي إذا وجدتني آثرت لفظ حديث على الذي رواه البغوي في المصابيح لعلي **(ما اطلعت)** أي ما وقفت **(على تلك الرواية التي سلكها الشيخ)** أي أطلقها وأوردها في مصابيحه **(رضي الله عنه)** إذ هو إمام كبير واطلاعه كثير، فأحذفها وآتي باللفظ الذي اطلعت عليه **(وقليلاً ما تجد)** زيادة ما لتأكيد القلة، ونصب قليلاً على المصدرية لقوله: **(أقول)** : أي وتجدني أقول قولاً قليلاً ما، أي في غاية من القلة والمقول قوله: **(ما وجدت هذه الرواية)** أي مثلاً **(في كتب الأصول)** أي أصول الحديث من الكتب

---

(١) في المخطوطة «و».

أو وجدتُ خلافها فيها. فإذا وقفتَ عليه فانسُب القصورَ إليَّ لقلة الدراية، لا إلى جناب الشيخ رفع الله قدره في الدارَين، حاشا لله منْ ذلك. رَحِمَ الله من إذا وقف على ذلك نبهنا عليه، وأرشدنا طريقَ الصواب.

المبسوطة التي هي أصول السبعة عند الشيخ، أو مطلق الأصول، ولا يبعد أن ينصب قليلاً على الظرفية (أو وجدت) من جملة المقول وأو للتنويع (خلافها فيها) أي خلاف هذه الرواية في الأصول (فإذا وقفت عليه) الضمير راجع إلى المصدر المفهوم من قوله: «أقول» أي إذا أطلعت على قولي بمعنى مقولي هذا (فانسب) بضم السين، أي مع هذا (القصور) أي التقصير في التتبع (إليّ لقلة الدراية) أي درايتي وتتبع روايتي (لا) أي لا تنسب القصور (إلى جانب الشيخ) أي إلى جانبه وساحة بابه، لأنه كان من الأئمة الحفاظ المتقنين والعلماء الكاملين الراسخين. هذا ما ظهر لي من معنى الكلام في هذا المقام، وقال ابن حجر: «فإذا وقفت، أي فإذا حذفت لفظاً وأتيت بغيره حسبما أطلعت عليه ووقفت أنت عليه، أي على ذلك اللفظ في الأصول فانسب [إلى آخره]». وأنا أقول أيضاً فانسب القصور إليّ لا إلى الشيخ (رفع الله قدره) جملة دعائية (في الدارين) أي في الدنيا بإلهام الناس الترضي والترحم عليه، وفي العقبى بإعطائه معالم القرب لديه (حاشا) بإثبات الألف (لله) أي تنزيهاً له (من ذلك) أي من نسبة القصور إلى الشيخ، وهذا غاية من المؤلف في تعظيمه ونهاية أدب منه في تكريمه، وهو حقيق بذلك وزيادة، فإن له حق الإفادة ونسبة السيادة. قال ابن حجر: حاشا حرف جر وضعت موضع التنزيه والبراءة، وفي مغني اللبيب: الصحيح أن حاشا اسم مرادف للتنزيه من كذا، وزعم بعضهم: أنه اسم فعل معناه التبريء والبراءة، وقال الشيخ ابن حجر العسقلاني: هو تنزيه واستثناء، وقيل: معناه معاذ الله، وقيل: إنه فعل، قال السيد جمال الدين: قيل: الصحيح أنه اسم مرادف للتنزيه بدليل أنه قرىء ﴿حاشٌ لله﴾ [يوسف - ٥١] في سورة يوسف بالتنوين، وهو لا يدخل على الفعل والحرف، وقرىء أيضا [حاشَ الله] بالإضافة وهي من علامات الاسم، وحينئذ قوله: «لله» لبيان المنزه والمبرأ كأنه قال: براءة وتنزيه، ثم قال: لله بياناً للمبرأ والمنزه، فلامه كاللام في سقياً لك، فعلى هذا يقال: معنى عبارة المشكاة أن الشيخ مبرأ ومنزه عن قلة الدراية، ثم أتى لبيان المنزه والمبرأ بقوله: لله وكان الظاهر أن يقول الله بلا لام وكأنها لإفادة معنى الاختصاص، فكأنه يقول تنزيهه مختص لله تعالى وله أن يتزهه وليس لغيره ذلك، وفيه غاية التعظيم لما هنالك، ويحتمل أن يكون التقدير: وأقول في حقه التنزيه لله [لا] لأمر آخر، وقيل: حاشا فعل وفسر الآية بأن معناها: جانب يوسف الفاحشة لأجل الله، وعلى هذا يرجع عبارة المشكاة بأنه جانب الشيخ ذلك القصور لأجل الله لا لغرض آخر، أو قولنا في حقه حاشا إنما هو لله لا لأمر آخر، وقيل: إنه اسم فعل بمعنى أنزه أو تبرأت واللام علة، وقيل: إنه حرف وهو في هذا المقام ضعيف، لأن كونه حرفاً بمعنى الاستثناء وهو غير مستقيم هنا، ولام لله أيضاً يأبى عن الحرفية لأن الحرف لا يدخل على الحرف والله أعلم. (رحم الله) جملة دعائية كقول عمر رضي الله عنه: «رحم الله امرأ أهدى إليّ بعيوب نفسي»، أي اللهم ارحم (من إذا وقف على ذلك) أي على ما ذكر من الرواية التي أوردها الشيخ ولم أجدها في الأصول (نبهنا عليه وأرشدنا) فيه تجريد والمعنى هدانا (طريق الصواب) أي

ولم آلُ جهداً في التنقير والتفتيش بقدر الوسع والطاقة، ونقلتُ ذلك الاختلاف كما وجدتُه في الأصول.

وما أشار إليه رضي الله عنه من غريبٍ أو ضعيفٍ

إليه بنسبة الرواية وتصحيحها إلى الباب والكتاب، وهو إما محمول على الحقيقة بالمشافهة حال الحياة، أو على المجاز بكتابة حاشية أو شرح بعد الممات، إذ التصنيف لا بغير وإلا لم يوجد كتاب يعتبر. **(ولم آل)** بمد الهمزة وضم اللام من آلا في الأمر: إذا قصّر أي لم أترك **(جهداً)** أي سعياً واجتهاداً، وهو بضم الجيم وفتحه، أي المشقة والطاقة، وقيل: بالضم الطاقة وبالفتح المشقة؛ قال بعض الشراح: معناه لم أمنعك جهداً، وكأنه حمله عليه ما وجد في كلام العرب: لا آلوك نصحاً، وقرر تركيب العبارة على حذف المفعول الأول، واستعمل آلو بمعنى أمنع إما تجوّزاً وإما تضميناً، ويلزم منه التقصير، والحال أن المعنى على اللزوم صحيح بأن جهداً يكون تمييزاً أو حالاً بمعنى مجتهداً، أو منصوباً بنزع الخافض أي في الاجتهاد، وأن يكون [على تقدير] متعدياً إلى مفعولين بمكن أن يضمن الترك فيكون متعديًا إلى مفعول واحد، هذا حاصل كلام السيد جمال الدين. وقال البيضاوي في قوله تعالى: ﴿**لا يألونكم خبالاً**﴾ [آل عمران. ١١٨] أي لا يقصرون لكم في الفساد والألو التقصير وأصله أن يُعدّى بالحرف، ثم عُدّي إلى مفعولين كقولهم: لا آلوك نصحاً على تضمين معنى المنع والنقص، وقال أبو البقاء: يألو يتعدى إلى مفعول واحد و«خبالاً» تمييز أو منصوب بنزع الخافض، ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال والأظهر ما حققه القاضي أنه في أصله لازم ففي عبارة المشكاة إما يضمن معنى الترك فيكون «جهداً» مفعولاً به، أو يبقى على معناه الأصلي وينصب «جهداً» على أحد الاحتمالات الثلاث، والمعنى لم أقصر لكم أو لله **(في التنقير)** أي في البحث والتجسس عن طرق الأحاديث واختلاف ألفاظها **(والتفتيش)** عطف بيان لما قبله **(بقدر الوسع والطاقة)** أي بمقدار وسعي وطاقتي في التفحص و﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾ [البقرة: ٢٨٦] والطاقة عطف بيان، وإيراد الألفاظ المترادفة في الديباجات والخطب متعارف عند الفصحاء غير معايب عند البلغاء **(ونقلت ذلك الاختلاف)** أي المختلف فيه **(كما وجدت)** أي كما رأيته **(في الأصول)** ولا اكتفيت بتقليد الشيخ ولو كان هو من من أجلاء أرباب النقول، وقال ابن حجر: «أي ومن ثمة نقلت ذلك الاختلاف كما وجدته في الأصول من غير أن أتصرف فيه بتغيير أو بتبديل حتى أنسب كلا إلى مخرّجه باللفظ والمعنى لا المعنى فحسب، لوقوع الخلاف المشهور في جواز رواية الحديث بالمعنى، وهو وإن جاز على الأصح للعارف بمدلولات الألفاظ ومعانيها لكن التنزه عنها أولى خروجاً من الخلاف» اهـ. فتدبر يتبين لك الأظهر في حمل العبارة عليه وإن كان في أصل الكلام منه لا مناقشة لنا لديه، مع أن التجويز المذكور والاختلاف المسطور إنما هو في نقل الراوي الحديث من شيخه أما مطلقاً، أو حال كونه ناسياً على المعتمد، وأما نقل حديث من كتاب كالبخاري وغيره وإسناده إليه من غير أن يبين أنه نقل بالمعنى فلا يجوز إجماعاً والله أعلم.

(وما أشار إليه) أي الشيخ محيي السنة صريحاً أو كناية **(رضي الله عنه)** جملة دعائية معترضة بين المبين والمبين وهو قوله **(من غريب)** أي حديث غريب، وهو ما تفرد به الراوي عن سائر رواته ولم يشرك معه أحداً في روايته عن الراوي عنه **(أو ضعيف)** وهو ما لم يجتمع

أو غيرهما؛ بينت وجهَهُ غالباً. وما لم يشر إليه مما في الأصول؛ فقد قَفَّيْتُه

فيه صفات الصحيح والحسن بأن يكون في أحد رواته قدح أو تهمة **(أو غيرهما)** اعتباراً لا حقيقة، إذ ما عدا الصحيح والحسن داخل تحت أنواع الضعيف، والمراد بغيرهما نحو منكر وهو ما رده قطعي أو رواه ضعيف مخالف لثقة، أو شاذ وهو ما خالف الثقة من هو أوثق منه، أو معلل وهو ما فيه علة خفية غامضة قادحة لم يدركها إلا الحذاق. واعلم أن معرفة أنواع الحديث وبيان حدودها وما يتعلق بها من قيودها يحتاج إلى بسط في الكلام ليس هذا موضع إيرادها، وقد أوردنا في شرح النخبة ما يستفيد بذكره المبتدىء ولا يستغني عن تذكره المنتهي **(بينت وجهه)** أي وجه غرابته أو ضعفه أو نكارته **(غالباً)** أي في أكثر المواضع ولعل ترك التبيين في بعض مواضعه لعدم العلم به أو لاختلاف فيه أو لغير هذا. وقد قال السيد جمال الدين: «المتبادر إلى الفهم من هذه العبارة أن أحاديث الحسان من المصابيح المعبر عنه في المشكاة بالفصل الثاني: كل حديث ذكر الشيخ فيه أنه غريب أو ضعيف أو منكر بين المصنف وجهه بأن يقول: أي الراوي تفرد به أو غير ثقة أو مخالف لما هو أوثق ونحوه بذكره منشئه، والحال أنه لم يفعل ذلك بل في كل حديث ذكر محيي السنة أنه ضعيف أو غريب ذكر المصنف قائله الذي هو الترمذي في غالب الأحوال من أرباب الأصول وعينه، وغاية ما في الباب يشير الترمذي أحياناً إلى وجه الغرابة وبيان الضعف، وهذا الصنيع من المصنف يقتضي أنه لم يجعل محيي السنة أهلا للحكم بالضعف والصحة في الحديث فلا جرم نسبته إلى من له أهلية ذلك» انتهى فيكون المعنى: بينت وجهه بنسبة الحكم عليه بذلك إلى أهله المرجوع إليهم فيه، وهذا يحتمل على أن يكون تقوية للشيخ لا سلب الأهلية عنه، فالعلمان خير من علم واحد بل في هذا هضم لنفس المصنف أن يكون له أهلية لذلك **(وما لم يشر إليه)** أي الشيخ **(مما في الأصول)** أي مما أشير إليه من المنقطع والموقوف والمرسل في جامع الترمذي وسنن أبي داود والبيهقي وهو كثير **(فقد قفيته)** بالتشديد، أي تبعته تأسياً به كذا قاله الطيبي، وتبعه ابن حجر وكتب ميرك في هامش الكتاب: قفوته بالواو ورقم عليه ظ إشارة إلى أنه الظاهر، وكتب عمه السيد جمال الدين في أول شرح المشكاة: «إن أصل سماعنا وجميع النسخ الحاضرة المعتمدة صححت بتشديد الفاء من التقفية، وهي تستعمل في كلام العرب بعلى والباء وقد جاء في التنزيل **﴿وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم﴾** [المائدة ـ ٤٦] وتستعمل أيضاً بمن والباء، قال تعالى: **﴿وقفينا من بعده بالرسل﴾** [البقرة ـ ٨٧] والمعنى ههنا على التتبع فكان المناسب أن يكون بتخفيف الفاء وبالواو من القفو» انتهى. وحاصل المناقشة أنه بالتشديد متعد إلى مفعولين بأحد الاستعمالين المذكورين، وبالتخفيف والباء غير وارد وكلاهما مدفوع، فإنه ذكر في مختصر النهاية قفيته وأقفيته تبعته واقتديت به [و] في القاموس قفوته تبعته كتقفيته واقتفيته وقفيته زيداً[١] أي أتبعته إياه، ا هـ. والظاهر من الآيات القرآنية أن قفي بالتشديد متعد بنفسه إلى واحد وبالباء إلى اثنين، ولذا قال البيضاوي في قوله تعالى: «**﴿وقفينا من بعده بالرسل﴾** [البقرة ـ ٨٧] أي

---

(١) لم تكتب زيد كاملة.

في تركه، إلا في مواضع لغرض. وربما تجدُ مواضعَ مُهملةً، وذلك حيثُ لم أطلع على راويه فتركتُ البياض. فإن عثرتَ عليه فألحقهُ به، أحسنَ الله جزاءك. وسميت الكتاب.

«بمشكاة المصابيح»

أرسلنا على أثره الرسل، [كقوله تعالى: ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى﴾ [المؤمنون - ٤٤] يقال: قفاه إذا اتبعه[1] وقفاه به إذا أتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب». انتهى وعلى تقدير تسليم أنه متعد بنفسه إلى مفعولين فأمره سهل بأن يكون المعنى أتبعت نفسي إياه (في تركه) وهو يحتمل أن يكون من إضافة المصدر إلى فاعله أو مفعوله، أي في ترك الشيخ الحكم على الحديث بشيء أو في ترك المشار إليه بالموافقة معه في السكوت عليه (إلا في مواضع) أي قليلة أبينها (لغرض) قال الفاضل الطيبي: «وذلك أن بعض الطاعنين أفرزوا أحاديث من المصابيح ونسبوها إلى الوضع، ووجدت الترمذي صححها أو حسنها، وغير الترمذي أيضاً فبينته لرفع التهمة كحديث أبي هريرة: «المرء على دين خليله» فإنهم صرحوا بوضعه، وقال الترمذي في جامعه إنه حسن، وقال النووي في الرياض: «إنه صحيح الإسناد». ومن الغرض أن الشيخ شرط في الخطبة أنه أعرض عن ذكر المنكر، وقد أتى في كتابه بكثير منه وبين في بعضها كونه منكراً وترك في بعضها فبينت أنه منكر» [اهـ]. قال السيد جمال الدين: والجواب من قبل صاحب المصابيح أن يقال مراده أنه أعرض عن المنكر المجمع على نكارته، والذي أورده هو من قبيل المختلف فيه، وصرح بإنكار البعض لئلا يحمل على ذهوله، وأعرض عن بيان البعض لأن الحكم بنكارته كان غير معتبر عنده. (وربما) بالتشديد أشهر وللتقليل أظهر وما كافة (تجد) أي أيها الناظر في المشكاة (مواضع مهملة) أي غير مبين[2] فيها ذكر مخرجيها (وذلك) أي الإهمال وعدم التبيين (حيث لم أطلع على راويه) [3] أي مخرجه (فتركت البياض) أي عقب الحديث دلالة على ذلك (فإن عثرت عليه) أي اطلعت [أيها الناظر] على مخرجه (فألحقه) أي ذكر المخرج (به) أي بذلك الحديث واكتبه في موضع البياض، [و] قال ابن حجر: ألحقه بذلك البياض وفيه مسامحة لا تخفى (أحسن الله جزاءك) أي على هذا العمل، والجزاء ممدود بمعنى الثواب، وفيه إشارة لما ورد عن أسامة مرفوعاً: «من صنع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء»[4] رواه الترمذي والنسائي وابن حبان. هذا وقد بين بعض العلماء المواضع المهملة في حاشية الكتاب تكملة[5]، وترك البياض في أصل المصنف ليدل على أن التبيين من غير المؤلف (وسميت الكتاب بمشكاة المصابيح) قال الطيبي: «روعي المناسبة بين الاسم والمعنى، فإن المشكاة يجتمع فيها الضوء فيكون أشد تقوياً بخلاف المكان الواسع، والأحاديث إذا كانت غفلاً عن سمة الرواة انتشرت، وإذا قيدت بالراوي انضبطت واستقرت في

---

(١) في المخطوطة تبعه.
(٢) في المخطوطة غير مبينة.
(٣) في المخطوطة رواية.
(٤) الترمذي ٤/ ٣٣٣ حديث رقم ٢٠٣٥.
(٥) في المخطوطة كلمة.

وأسأل اللّٰه التوفيق والإعانة والهداية والصيانة، وتيسير ما أقصده، وأن ينفعني به في الحياة وبعد الممات، وجميع المسلمين والمسلمات. حسبي اللّٰه ونعم الوكيل. ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

مكانها» اهـ. وتبعه ابن حجر، وقال ميرك: «الأظهر في وجه المطابقة أن كتابة محيط ومشتمل على ما في المصابيح من الأحاديث كما أن المشكاة محيطة ومشتملة على المصباح» اهـ. ويمكن أن يقال: مراده بالمصابيح الأحاديث الواردة في كتابه مما في المصابيح وغيره مشبهاً بها لأنها آيات نورانية ودلالات برهانية صدرت من مشكاة صدر الأنبياء ليقتدي[1] بها أمته من العلماء والأولياء في بيداء الضلالة وصحراء الجهالة، وبهذا المعنى ورد: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»، وشبه كتابه من حيث إنه جامع لها ومانع من تفرقها بالمشكاة وهي: الكوّة الغير النافذة، ويحتمل أن يقال: فيه معنى التورية، وهي: أن يؤتى [بكلمة] لها معنيان أحدهما قريب والآخر بعيد ويكون المراد البعيد. **(وأسأل الله التوفيق)** أي جعل أمور المريد على وفق المراد، وهو في عرف العلماء: «خلق قدرة العبد في الطاعة والعبادة». **(والإعانة)** أي في الدين والدنيا والآخرة، أو على ما قصدت **(والهداية)** أي الدلالة على ما أردت أو ثبات الهداية من البداية إلى النهاية **(والصيانة)** أي الحفظ والحماية من العقائد الدنية والأحوال الردية، أو العصمة عن الخطل والزلل، أو عما يمنع إتمام الكتاب من الموانع والعلل **(وتيسير ما أقصده)** بكسر الصاد، أي تسهيل ما أريده من التحرير والتفتيش والتنقير **(وأن ينفعني به)** أي الله بهذا الكتاب وغيره، وفي نسخة به، أي علماً وعملاً وتعليماً، وجوز أن يرجع ضمير ينفع إلى الكتاب على سبيل المجاز **(في الحياة)** أي بالمباشرة **(وبعد الممات)** بالسببية، أو في الحياة بأن يجعله سبباً لزيادة الأعمال وباعثاً للترقي إلى علو الأحوال وبعد الممات بوصول أعلى الدرجات وحصول أعلى المقامات **(وجميع المسلمين والمسلمات)** عطف على الضمير المنصوب في ينفعني، أي وأن ينفع بقراءته وكتابته ووقفه ونقله إلى البلدان ونحو ذلك **(حسبي الله)** وفي نسخة بواو العطف، أي الله كافيّ في جميع أموري **(ونعم الوكيل)** أي الموكول إليه، يعني هو المفوّض إليه والمعتمد عليه والمخصوص بالمدح محذوف هو هو **(ولا حول)** أي عن معصية الله **(ولا قوة)** أي على طاعته **(إلا بالله)** أي بعصمته ومعونته **(العزيز)** أي الغالب على ما يريد، أو البديع الذي ليس كمثله شيء **(الحكيم)** أي صاحب الحكم والحكمة على وجه الإتقان والإحكام، قال ابن حجر: «ذكر هذين الاسمين لأنهما الواردان في ختم هذه الكلمة دون ما اشتهر من ختمها بالعلي العظيم على أن في بعض نسخ الحصن الحصين للحافظ الجزري رواية ختمها بالعلي العظيم، فلعله رواية أخرى» اهـ.

اعلم أن الرواية الصحيحة هي «العزيز الحكيم»[2] على ما في مسلم كما نقله صاحب المصابيح وتبعه صاحب المشكاة، وكذا هو في أصل الحصن الحصين، وكتب على حاشيته العلي العظيم ونسب إلى البزار والله أعلم.

---

(١) في المخطوطة ليهتدي.

(٢) مسلم ٤/ ٢٠٧٢ حديث ٢٦٩٦.

١ ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه،

ولما كان ينبغي لكل مصنف كما صرح به جمع من الأئمة أن يبدأ كتابه بالحديث الآتي المسمى بطليعة كتب الحديث، تنبيهاً على تصحيح النية والإخلاص لكل من العالم والمتعلم، وإنه الأساس[1] الذي يبنى عليه جميع الأحوال من العقائد والأعمال، وعلى أن أوّل الواجبات قصد المقصد بالنظر الموصل إلى معرفة الصمد، فالقصد سابق وما بقي لاحق، وإن طالب الحديث حكم المهاجر إلى النبي ﷺ فعليه أن يراعي الإخلاص ليصل إلى مقام الاختصاص بدأ به المصنف اقتداء بالبغوي لا تبعاً للبخاري كما قاله ابن حجر فقال:

١ ـ **(عن عمر بن الخطاب)** وهو الناطق بالصواب المسمى بالفاروق على ما دل عليه الكتاب، وأوّل من سمي بأمير المؤمنين فيما بين الأصحاب **(رضي الله عنه)** وهو عدوي قرشي يجتمع مع النبي ﷺ في كعب بن لؤي، كناه النبي ﷺ بأبي حفص، وهو لغةً الأسد، ولقبه بالفاروق لفرقانه بين الحق والباطل، قال القاضي في تفسيره عند قوله تعالى: **﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾** [النساء ـ ٦٠] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن منافقاً خاصم يهودياً فدعاه اليهودي إلى النبي ﷺ، ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف، ثم إنهما احتكما إلى رسول الله ﷺ فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال: نتحاكم إلى عمر، فقال اليهودي لعمر: قضى لي رسول الله فلم يرض بقضائه وخاصم إليك، فقال عمر للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم، فقال: مكانكما حتى أخرج إليكما، فدخل فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال: هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله، فنزلت وقال جبريل: إن عمر فرق بين الحق والباطل، فسمي الفاروق، وقيل: بإسلامه إذ أمر المسلمين قبله كان في غاية من الخفاء، وبعده على غاية من الظهور والجلاء. أسلم بعد أربعين رجلاً وعشرة امرأة سنة ست من النبوّة، وقيل: أسلم مع النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت: **﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾** [الأنفال ـ ٦٤].

بويع له بالخلافة بعد موت الصديق بعهده إليه ونصه عليه سنة ثلاث عشرة من الهجرة، ففتح البلاد الكثيرة والفتوح الشهيرة، واستشهد على يد نصراني اسمه أبو لؤلؤة غلام مغيرة بن شعبة بالمدينة في صلاة الصبح من يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة عام ثلاث وعشرين من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين على الأصح، وكانت خلافته عشر سنين ونصفاً، وصلى عليه صهيب. روى عنه أبو بكر وباقي العشرة وخلق كثير من الصحابة والتابعين؛ أحاديثه المرفوعة خمسمائة وسبعة وثلاثون [له في الصحيحين أحد وثمانون انفرد البخاري منها بأربعة وثلاثين

---

(١) في المخطوطة اس.

الحديث رقم ١: أخرجه البخاري ١/ ١٣٥ حديث ٥٤ من غير لفظ «إنما». ومسلم في صحيحه ٣/ ١٥١٥ حديث ١٩٠٧ وأبو داود في سننه ٢/ ٦٥١ رقم ٢٢٠١. والنسائي في سننه ١/ ٨٥ حديث ٧٥ بالإفراد والترمذي ٤/ ١٥٤ حديث ١٦٤٧ وابن ماجة ٢/ ١٤١٣ حديث ٤٢٢٧. وأحمد في مسنده ١/ ٢٥.

قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمالُ بالنيات»

ومسلم بأحد وعشرين] نقش خاتمة كفى بالموت واعظاً. كان شديداً في أمر الله، عاقلاً مجتهداً صابراً محتسباً، جعل الحق على لسانه وأعز الدين به واستبشر أهل السماء بإسلامه، وله فضائل لا تحد وشمائل لا تعد.

(قال: قال رسول الله ﷺ: **إنما الأعمال بالنيات**) قيل: كلمة إنما بسيطة وقيل: مركبة من إن وما الكافة أو الزائدة للتأكيد، وقيل: مركبة من إن وما النافية فهي عاملة بركنيها إيجاباً ونفياً، فبحرف التحقيق. تثبت الشيء وبحرف النفي تنفي ما عداه، وما اعترض عليه من لزوم اجتماع الضدين على شيء واحد ومن أن إن وما كلاهما يقتضي الصدارة مدفوع بأن هذا إنما هو قبل التركيب وأما بعده فقد صار علماً مفرداً على إفادة الحصر، وتضاعيفه يفيد القصر لأنه ليس إلا تأكيداً للحكم على تأكيد. واتفق أهل العربية والأصول على أنها موضوعة للحصر خلافاً لما نقل عن أكثر النحاة لصحة إنما قام زيد في جواب هل قام عمرو: كما يجاب بما قام إلا زيد، ولورود قوله تعالى: ﴿إنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ [المائدة - ٩٢] ﴿وما على الرسول إلا البلاغ﴾ [النور - ٥٤] وإذا تقرر أنها للحصر فتثبت المذكور وتنفي الحكم عن غيره في نحو إنما قام زيد، أي لا عمرو، أو غير الحكم عن المذكور في نحو إنما زيد قائم أي لا قاعد؛ ومما يدل له حديث: «إنما الماء من الماء»[1] فإن الصحابة الآخذين بقضيته لم يعارضهم جمهورهم القائلون بوجوب الغسل وإن لم ينزل بأن إنما لا تفيده، وإنما عارضوهم بأدلة أخرى كحديث: «إذا التقى الختانان وجب الغسل»[2]. وقد استدل ابن عباس لما تفرد به، قيل: ورجع عنه لما اشتد إنكار أبي سعيد الخدري عليه بخبر: «إنما الربا في النسيئة»[3]، ولم تنازعه الصحابة فيه بل عارضوه في الحكم بأدلة أخرى فدل على اتفاقهم على أنها للحصر؛ فالتقدير: إن الأعمال تعتبر إذا كانت بنية ولا تعتبر إذا كانت بلا نية فتصير إنما بمعنى ما وإلا، وقيل: الحصر مستفاد من الجمع المحلى باللام فإنه مفيد للاستغراق وهو مستلزم للحصر، فالمعنى: ليست الأعمال حاصلة إلا بالنية، ولا يمكن هنا نفي نفس الأعمال لثبوتها حساً وصورةً من غير اقتران النية بها، فلا بد من إضمار شيء يتوجه إليه النفي ويتعلق به الجار، فقيل: التقدير صحيحة أو تصح كما هو رأي الشافعي وأتباعه، وقيل: كاملة أو تكمل على رأي أبي حنيفة وأصحابه، والأظهر أن المقدر معتبرة أو تعتبر ليشمل الأعمال كلها سواء كانت عبادات مستقلات كالصلاة والزكاة فإن النية تعتبر لصحتها إجماعاً أو شروطاً في الطاعات كالطهارة وستر العورة، فإنها تعتبر لحصول ثوابها اتفاقاً لعدم توقف الشروط على النية في الصحة خلافاً للشافعي في الطهارة فعليه بيان الفرق أو أموراً مباحة فإنها قد تنقلب بالنيات حسنات كما أنها قد تنقلب سيئات بلا خلاف. غاية ما في الباب أن متعلق الصحة والكمال يعرف من الخارج ولا محذور فيه، ويدل على ما قلنا إن الأعمال جمع محلى باللام فيستغرق كل عمل سواء كان

(١) مسلم راجع الحديث رقم ٤٣٠. (٢) الترمذي راجع الحديث ٤٤٢.

(٣) أخرجه مسلم ١٢١٨/٣ حديث (١٠٢، ١٥٩٦).

من العبادات أو غيرها. ويشمل المتروكات أيضاً فإنه لا ثواب في ترك الزنا والغصب ونحوهما إلا بالنية وإن كانت صحيحة بدونها، وكان هذا ملحظ من قال: المراد أعمال المكلفين، ويؤيده ما قال ابن دقيق العيد: «ولا تردّد عندي أن الحديث يشمل الأقوال».

ثم الباء للاستعانة وقيل: للمصاحبة ليعلم منه وجوب المقارنة، لكنها تشعر بوجوب استصحابها إلى آخر العمل لأنه الظاهر من المعية ولا قائل به؛ نعم يشترط اتفاقاً استصحابها مع العمل حكماً بأن لا يشيء منافياً، وأيضاً تشير إلى عدم جواز تقدمها على العمل، وهو منقوض بنية الزكاة فإنها جائزة عند إفراد مال الزكاة، وبنية الصوم في الليل فإنها أفضل بلا خلاف فالأولى هي الأولى، وأوقات النيات في العبادات مختلفة محل بسطها الكتب الفقهيات.

والنية ـ بتشديد الياء وقد تخفف ـ لغةً: القصد، وشرعاً توجه القلب نحو الفعل ابتغاء لوجه الله، والقصد بها تمييز العبادة عن العادة، فإن قيل: النية عمل من أعمال القلب فيحتاج إلى النية ويتسلسل، أجيب بأن المراد أعمال الجوارح بدلالة العقل، وبدليل الخبر المعتبر: «نية المؤمن خير من عمله»[1]، وبدليل أن في العرف لا يطلق العمل على فعل الناوي ا هـ. وفيه أن سائر أعمال القلوب لا تعتبر شرعاً إلا بالنية، وأن معنى الحديث عمل النية خير من عمل الجارحة لوجوه ذكرها الحجة في الإحياء، وأنه لا عبرة بالعرف مع أنه يختلف، فالأظهر في الجواب استثناء النية وكذا الأمور الاعتقادية للدلالة العقلية.

ثم لا يخفى أن النية باللسان مع غفلة الجنان غير معتبرة لما ورد من: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[2]، وفي رواية: «ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم»؛ فلو نوى الظهر بقلبه في وقته وتلفظ بنية العصر لا يضره بخلاف العكس. وهذا معنى قولهم: «ولا معتبر باللسان»، واختلفوا في التلفظ بما يدل على النية بعد اتفاقهم أن الجهر بالنية غير مشروع سواء يكون إماماً أو مأموماً أو منفرداً فالأكثرون على أن الجمع بينهما مستحب ليسهل تعقل معنى النية واستحضارها، قال صاحب الهداية: «ويحسن لاجتماع عزيمته»[3]، قال المحقق الإمام ابن الهمام: قال بعض الحفاظ: «لم يثبت عن رسول الله ﷺ بطريق صحيح ولا ضعيف أنه كان عليه الصلاة والسلام يقول عند الافتتاح أصلي كذا ولا عن أحد من الصحابة والتابعين، بل المنقول أنه كان عليه الصلاة والسلام إذا قام إلى الصلاة كبر وهذه بدعة»[4] ا هـ. قال: «وقد يفهم من قول المصنف لاجتماع عزيمته أنه لا يحسن لغير هذا القصد وهذا لأن الإنسان قد يغلب عليه تفرق خاطره فإذا ذكر بلسانه كان عوناً على جمعه، ثم رأيته في التجنيس، قال: والنية بالقلب لأنه عمله والتكلم لا معتبر به ومن اختاره اختاره لتجتمع عزيمته» ا هـ كلامه. وقيل: لا يجوز التلفظ بالنية فإنه بدعة، والمتابعة كما تكون في الفعل تكون

(١) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس ٤/ ٢٨٦ حديث ٦٨٤٣.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٨٧ حديث ٢٥٦٤.
(٣) الهداية ١/ ٤٥. (٤) فتح القدير ١/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

....

في الترك أيضاً، فمن واظب على فعل لم يفعله الشارع فهو مبتدع[و] قد يقال: نسلم أنها بدعة لكنها مستحسنة استحبها المشايخ للاستعانة على استحضار النية لمن احتاج إليها[1] وهو عليه الصلاة والسلام وأصحابه لما كانوا في مقام الجمع والحضور لم يكونوا محتاجين إلى الاستحضار المذكور، وقيل: التلفظ شرط لصحة الصلاة ونسبوه إلى الغلط والخطأ ومخالفة الإجماع، لكن له محمل عندنا مختص بمن ابتلي بالوسوسة في تحصيل النية وعجز عن أدائها فإنه قيل في حقه: إذا تلفظ بالنية سقط عنه الشرط دفعاً للحرج، وأغرب ابن حجر وقال: إنه عليه الصلاة والسلام نطق بالنية في الحج فقسنا عليه سائر العبادات، قلنا له: ثبت العرش ثم انقش[من جملة الواردات] فإنه ما ورد نويت الحج وإنما ورد اللهم إني «أريد الحج» الخ، وهو دعاء وإخبار لا يقوم مقام النية إلا بجعله إنشاء وهو يتوقف على العقد، والقصد الإنشائي غير معلوم فمع الاحتمال لا يصح الاستدلال، ومع عدم صحته جعله مقيساً محال. ثم قال: وعدم وروده لا يدل على عدم وقوعه، قلنا: هذا مردود بأن الأصل عدم وقوعه حتى يوجد دليل وروده، وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام قام إلى الصلاة فكبر فلو نطق بشيء آخر لنقلوه عنه، وورد في حديث المسيء صلاته أنه قال له: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر»[2]، فدل على عدم وجود التلفظ، وذكر أبو داود أنه قال: قلت للبخاري: هل تقول شيئاً قبل التكبير فقال: لا. انتهى. وبما ذكرناه يتبين فساد بقية كلام ابن حجر من قوله: «وأيضاً فهو عليه الصلاة والسلام لا يأتي إلا بالأكمل، وهو أفضل من تركه إجماعاً، والنقل الضروري حاصل بأنه لم يواظب على ترك الأفضل طول عمره، فثبت أنه أتى في نحو الوضوء والصلاة بالنية مع النطق ولم يثبت أنه تركه والشك لا يعارض اليقين» اهـ. وقد علمت أن الأفضل المكمل عدم النطق بالنية مع أن دعوى الإجماع غير صحيحة، فإن[3] المالكية [قالوا بكراهته]، والحنبلية نصوا على أنه بدعة غير مستحب، وإن أراد [به] الاتفاق بين الشافعية والحنفية فليس على الإطلاق بل محله إن احتاج إليه بالاستعانة عليه، وقد ثبت تركه عند الحفاظ المحدثين بلا ريب. فقوله: «والشك لا يعارض اليقين» مجازفة عظيمة من أعجب العجائب الذي يتحير فيه أولو الألباب، حيث جعل الوهم يقيناً وثبوت الحفاظ ريباً؛ لا يقال: المثبت مقدم على النافي لأنا نقول: محله إذا تعارض دليلان أحدهما على النفي والآخر على الإثبات، والخصم هنا سواء جعلناه مثبتاً أو نافياً ليس معه دليل، ودليلنا على النفي ثابت بنقل المحدثين المؤيد بالأصل الذي هو عدم الوقوع، فتأمل فإنه موضع زلل ومحل خطل. ثم رأيت ابن القيم ذكر في زاد المعاد في هدى خير العباد وهذا لفظه: «كان عليه الصلاة والسلام إذا قام إلى الصلاة قال: الله أكبر ولم يقل شيئاً قبلها ولا تلفظ بالنية ولا قال أصلي لله صلاة كذا مستقبل القبلة أربع ركعات إماماً أو مأموماً، ولا قال أداء ولا قضاء ولا فرض الوقت؛ وهذه عشر بدع لم ينقل عنه عليه الصلاة والسلام أحد قط بإسناد صحيح ولا ضعيف ولا مسند ولا مرسل

---

(١) في المخطوطة عليها.

(٢) يراجع حديث المسيء صلاته. (٣) في المخطوطة قال.

لفظة واحدة [منها] ألبتة، بل ولا عن أحد من الصحابة ولا استحبه أحد من التابعين ولا الأئمة الأربعة وإنما غرّ بعض المتأخرين قول الشافعي في الصلاة: «إنها ليست كالصيام لا يدخل فيها أحد إلا بذكر» فظن أن الذكر تلفظ المصلي بالنية، وأن مراد الشافعي بالذكر تكبيرة الإحرام ليس إلا، وكيف يستحب الشافعي أمراً لم يفعله رسول الله ﷺ في صلاة واحدة ولا أحد من خلفائه وأصحابه، وهذا هديهم وسيرتهم فإن أوجدنا أحد حرفاً واحداً عنهم في ذلك قبلناه وقابلناه بالقبول والتسليم ولا هدي أكمل من هديهم ولا سنة إلا ما تلقوه عن صاحب الشرع ﷺ» اهـ.
وصرح السيد جمال الدين المحدث بنفي رواية التلفظ بالنية عن المحدثين، وكذا ذكره الفيروزآبادي صاحب القاموس في كتابه المسمى بالصراط المستقيم، وقال القسطلاني في المواهب: «وبالجملة فلم ينقل أحد أنه عليه الصلاة والسلام تلفظ بالنية، ولا علم أحداً من أصحابه التلفظ بها ولا أقره على ذلك، بل المنقول عنه في السنن أنه قال: «مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم». نعم اختلف العلماء في التلفظ بها فقال قائلون: هو بدعة لأنه لم ينقل فعله، وقال آخرون: هو مستحب لأنه عون على استحضار النية القلبية، وعبادة للسان كما أنها[1] عبودية للقلب والأفعال المنوية عبادة الجوارح، وبنحو ذلك أجاب الشيخ تقي الدين السبكي والحافظ عماد الدين ابن كثير وأطنب ابن القيم في الهدى في رد الاستحباب وأكثر من الاستدلال بما في ذكره طول يخرجنا عن المقصود، لا سيما والذي استقر عليه أصحابنا استحباب النطق بها، وقاسه بعضهم على ما في الصحيحين من حديث أنس أنه سمع النبي ﷺ يلبي بالحج والعمرة جميعاً يقول: «لبيك عمرة وحجة»[2]، وهذا تصريح باللفظ والحكم كما يثبت بالنص يثبت بالقياس؛ لكنه تعقب هذا بأنه عليه الصلاة والسلام قال ذلك في ابتداء إحرامه تعليماً للصحابة ما يهلون به ويقصدونه [من النسك]، ولقد صلى عليه الصلاة والسلام ثلاثين ألف صلاة فلم ينقل عنه أنه قال: نويت أصلي صلاة كذا وكذا، وتركه سنة كما أن فعله سنة فليس لنا أن نسوي بين ما فعله وتركه فنأتي من القول في الموضع الذي تركه بنظير ما أتى به في الموضع الذي فعله، والفرق بين الحج والصلاة أظهر من أن يقاس أحدهما بالآخر.

ثم اللام في النيات عوض عن المضاف إليه أي إنما الأعمال بنياتها، أو الحديث من باب مقابلة الجمع بالجمع على حد ركب القوم دوابهم.

قال ابن الهمام: هذا حديث مشهور متفق على صحته، وأما ألفاظه: فإنما الأعمال بالنيات وبالنية والأعمال بالنية والعمل بالنية كلها في الصحيح، وأما الأعمال بالنيات كما في الكتاب يعني الهداية، فقال النووي في كتابه بستان العارفين ولم يكمله [ه] نقلاً عن الحافظ أبي موسى الأصفهاني: إنه لا يصح إسناده وأقره، ونظر بعضهم فيه إذ قد رواه كذلك ابن حبان في صحيحه، والحاكم في أربعينه ثم حكم بصحته قلت: وهو رواية عن إمام المذهب في مسند أبي حنيفة رحمه الله رواه عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة عن أبي

---

(١) في المخطوطة انه.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ٩٠٥ حديث ١٢٣٢.

وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: «الأعمال بالنيات»[١] الحديث، ورواه ابن الجارود في المنتقى: «إن الأعمال بالنيات وإن لكل امرىء ما نوى»[٢] اهـ. وروي عن الشافعي في فضل هذا الحديث أنه يدخل فيه نصف العلم، ووجهه أن النية عبودية القلب والعمل عبودية القالب، أو أن الدين إما ظاهر [وهو العمل] أو باطن وهو النية، فهو كقوله عليه الصلاة والسلام: «تعلموا الفرائض فإنها نصف العلم»[٣] لتعلقها بالموت المقابل للحياة، وروي عنه ما يدل على أنه ربع العلم كما قال:

عمدة الخير عندنا كلمات * أربع قالهن خير البرية
اتق الشبهات[٤] وازهد ودع ما * ليس يعنيك واعمل بنية

إشارة إلى الأحاديث الأربعة، فكأنه اعتبر اتقاء السيئات والزهد في المباحات وترك الفضولات والعمل بالنيات في جميع الحالات. وروي عنه وعن أحمد أنه ثلث الإسلام، أو ثلث العلم، ووجهه البيهقي بأن كسب العبد إما بقلبه كالنية أو بلسانه أو ببقية جوارحه، والأوّل أحد الثلاثة بل أرجحها لأنه عبادة بانفرادها وهذا وجه خبر: «نية المؤمن خير من عمله»، وفي رواية: «أبلغ»، وفي أخرى زيادة: «إن الله عزّ وجلّ ليعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله، وذلك أن النية لا رياء فيها والعمل يخالطه الرياء»[٥]، وله طرق ضعيفة يتقوّى بمجموعها، ولا يعارضه حديث: «من همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له واحدة، ومن عملها كتبت له عشرة»[٦]، الموهم أن العمل خير منها لأن كتابة العشر ليست على العمل وحده بل معها لأنها شرط لصحته وهو ليس شرطاً لصحتها ولهذا يثاب على النية المجرّدة، فانقلب هذا الحديث دليلاً على خيريتها وظهر فساد ما قيل: المراد أن النية خير من العمل بلا نية لا معها لئلا يلزم أن الشيء خير من نفسه مع غيره، والعجب من ابن حجر حيث ذكر هذا القيل وقرره بالتعليل. وأما قوله: «ومن خيريتها على العمل أنها تقتضي التخليد في الجنة أو النار إذ المؤمن ناوٍ الإيمان دائماً والكافر ناوٍ الكفر دائماً فقوبل التأبيد بالتأبيد، ولو نظر للعمل لكان الثواب أو العقاب بقدر مدته» فمدخول ومعلول، فإنه لا يقال: نية الكافر خير من عمله، بل مفهوم الحديث أن عمل الكافر خير من نيته، نعم ذكروا في جانب الجنة أن دخولها بالإيمان ودرجاتها بالأعمال وخلودها بالنية، أو من باب الإفضال فلا إشكال، وأما دخول الكفار في النار فلكفرهم ودركاتها على قدر أعمالهم السيئة، فكان مقتضى العقل في ظاهر العدل أن الكافر الذي عاش في الدنيا مائة سنة مثلاً أن يعذب قدرها فقالوا: التخليد في مقابلة نيته من التأبيد فإنه لو فرض أنه عاش أبد الآباد لاستمر على كفره المعتاد. ثم قيل: ضمير عمله لكافر معهود

(١) شرح مسند أبي حنيفة ص ٢٢١. (٢) المنتقى ص ٢٧ حديث رقم ٦٤.
(٣) أخرجه الدارقطني ٤/٦٧ حديث رقم ٢ من كتاب الفرائض.
(٤) في المخطوطة السيئات. (٥) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس ٤/٢٨٦ حديث ٦٨٤٣.
(٦) البخاري ١١/٣٢٣ حديث ٦٤٩١ ومسلم ١/١١٧ حديث ١٢٨.

وهو السابق كبناء[1] فنطرة عزم مسلم على بنائها، والقول بأن خير ليست بمعنى أفعل التفضيل، والمعنى: النية خير من جملة الخيرات ساقط عن الاعتبار من جميع الجهات.

قال ابن حجر: واختلفوا في نية السيئة، والحق أنه لا عقاب[2] عليها إلا إن انضم إليها عزم أو تصميم أي عزم على الفعل بالفعل أو تصميم على أنه سيفعل، وفيه أن النية لا تكون إلا مع العزيمة وإلا فمع التردد تسمى خطرة وهي مرفوعة بالإجماع. قال في المدارك[3] عند قوله تعالى: ﴿وإن تخفوا ما في صدوركم﴾ [آل عمران ـ ٢٩] الآية: «ولا تدخل الوساوس وحديث النفس فيما يخفيه الإنسان لأن ذلك مما ليس [في] وسعه الخلو عنه، و﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ولكن ما اعتقده وعزم عليه». والحاصل أن عزم الكفر كفر وخطرة الذنوب من غير عزم معفوّ عنها وعزم الذنب إذا ندم عليه ورجع عنه معفوّ عنه بل يثاب، فأما إذا همّ بسيئة وهو ثابت على ذلك إلا أنه منع عنه بمانع لا باختيار فإنه لا يعاقب على ذلك عقوبة فعله أي بالعزم على الزنا لا يعاقب عقوبة الزنا. وهل يعاقب عقوبة عزم الزنا؟ قيل: لا لقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله عفا عن أمتي ما حدثت به أنفسهم ما لم تعمل أو تتكلم به»[4]، والجمهور على أن الحديث في الخطرة دون العزم، وأن المؤاخذة في العزم ثابتة، وإليه مال الشيخ أبو منصور وشمس الأئمة الحلواني، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة﴾ [النور ـ ١٩] الآية.

ثم قال ابن حجر: فإن قلت: ونية الحسنة كذلك، قلت: فرق بأن ناوي الحسنة يثاب عليها وعلى نيتها، وناوي السيئة إنما يعاقب على نيتها [فقط] قلت: لا حاجة إلى الفرق فإن لكل امرىء ما نوى، ثم ما ذكره من الفرق غير صحيح لأنه إن أراد التعدد الحقيقي فهو غير ثابت، وإن أراد التعدد الحكمي وهو الزيادة في الكيفية دون الكمية كما أشار إليه بقوله: «ومعنى ثوابه على الأولين أنه يكتب له حسنة عظيمة لكن باعتبارين» فهذا جار في السيئة أيضاً.

ومن جملة الفروع المتعلقة بهذا الحديث أن من سبق لسانه بمكفر يدين خلافاً لبعض المالكية إذ لا نية له، ويؤيدنا خبر مسلم في الذي ضلت راحلته ثم وجدها فقال من شدة الفرح: «اللهم أنت عبدي وأنا ربك»، قال عليه الصلاة والسلام: «أخطأ من شدة الفرح»[5]، قال ابن حجر: فإن قلت: ظاهر كلام بعضهم قبول دعواه سبق اللسان هنا ولو من غير قرينة فينا فيه ما مر في نحو الطلاق أنه لا بد من قرينة فما الفرق؟ قلت: أما بالنسبة إلى الباطن فهما

---

(١) في المخطوطة «البناء».

(٢) في المخطوطة «لا عتاب».

(٣) وهو كتاب «مدارك التنزيل وحقائق التأويل» للإمام حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفي المتوفى (٧٠١). (كشف الظنون ٢/ ١٦٤٠).

(٤) البخاري ٩/ ٣٨٨ حديث ٥٢٦٩ مسلم ١/ ١١٦ حديث ١٢٧.

(٥) مسلم ٤/ ٢١٠٤ حديث ٢٧٤٧.

وإنما لامرىء ما نوى؛

على حد سواء فلا شيء عليه باطناً فيهما حيث سبق لسانه، وأما ظاهراً فلا بد من قرينة في الطلاق وكذا الكفر كما هو ظاهر، ويحتمل قبوله فيه ظاهراً مطلقاً، أو يفرق بأنه يغتفر في حق الله ما لا يغتفر في حق غيره لبناء حقه تعالى على المسامحة وحق الآدمي على المشاحة.

ومنها أن من وطىء أو شرب أو قتل بظن الحليلة ونحو الماء وغير المعصوم فبان محرماً[1] لا يأثم، وفي عكسه يأثم اعتباراً بالنية فيهما. وقال بعض العلماء استثني بعض الأعمال من هذا العموم كصريح الطلاق والعتاق، لأن تعيين الشارع هذه الألفاظ لأجل هذه المعاني بمنزلة النية، ولا يخفى أن هذا إنما هو بالنسبة إلى الصحة والجواز وأما بالنسبة إلى الثواب فلا بد من تصحيح النية والله أعلم.

(وإنما لامرىء) أي الشخص وفي رواية: «[وإنما] لكل امرىء» (ما نوى) أي جزاء الذي نواه من خير أو شر، أو جزاء عمل نواه أو نيته دون ما لم ينوه أو نواه غيره له؛ ففيه بيان لما تثمره النية من القبول والرد والثواب والعقاب وغير ذلك كإسقاط القضاء وعدمه، إذ لا يلزم من صحة العمل قبوله ووجود ثوابه لقوله تعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ [المائدة ـ ٢٧]، ففهم من الجملة الأولى أن الأعمال لا تكون محسوبة إلا بالنية ومن هذه أنها إنما تكون مقبولة بالإخلاص. وحاصل الفرق[2] أن النية في الأول متعلقة بنفس العمل وفي الثاني متوجهة إلى ما لأجله العمل من الأمل، وقيل هذه مؤكدة للأولى تنبيهاً على سر الإخلاص، ونوقش بأن تنبيهها على ذلك يمنع إطلاق كونها مؤكدة، وقيل: المراد بالأعمال العبادات وبالثاني الأمور المباحات فإنها لا تفيد المثوبات إلا إذا نوى بها فاعلها القربات كالمآكل والمشارب والمناكح وسائر اللذات إذا نوى بها القوة على الطاعات لاستيفاء الشهوات، وكالتطيب إذا قصد إقامة السنة ودفع الرائحة المؤذية عن عباد الله تعالى؛ ففي الجملة كل عمل صدر عنه لداعي الحق فهو الحق وكذا المتروكات لا يترتب عليها المثوبات إلا بالنيات. رُوي أن رجلاً من بني إسرائيل مر بكثبان رمل في مجاعة فقال في نفسه: لو كان هذا الرمل طعاماً لقسمته بين الناس، فأوحى الله إلى نبيهم قل: إن الله قد صدقك وشكر حسن صنيعك وأعطاك ثواب ما لو كان طعاماً فتصدقت به. وقال الخطابي في أعلام الحديث واختاره النووي: «إن هذه إشارة إلى إيجاب تعيين المنوي فلا بد أن ينوي في الفائتة من كونها ظهراً أو عصراً، ولولاه لدل إنما الأعمال على الصحة بلا تعيين أو أوهم ذلك» اهـ. وكذلك إذا عمل عملاً ذا وجهين أو وجوه من القربات كالتصدق على القريب الذي يكون جاراً له وفقيراً أو غير ذلك من الأوصاف التي يستحق بها الإحسان ولم ينو إلا وجهاً واحداً لم يحصل له ذلك بخلاف ما إذا نوى جميع الجهات، فعلم سر تأخير هذه الجملة وأنهما متغايرتان، قيل: المفهوم منه أن نية الخاص في ضمن نية العام غير معتبرة كما قال به بعض، وقال بعضهم: إنها معتبرة ويدل عليه حديث

(١) في المخطوطة «خلافه».

(٢) في المخطوطة «الفرض».

فمن كانت هجرته إلى الله وإلى رسوله،

«الخيل لثلاثة»[1] الخ والله أعلم، وقيل: النية في الحديث محمولة على معناها اللغوي ليحسن تطبيقه على ما بعده وتقسيمه بقوله.

(فمن كانت هجرته إلى الله و) إلى (رسوله) فإنه تفصيل ما أجمله واستنباط المقصود عما أصله؛ وتحريره أن قوله: إنما لامرىء ما نوى دل على أن الأعمال تحسب بحسب النية إن كانت خالصة لله فهي له تعالى وإن كانت للدنيا فهي لها وإن كانت لنظر الخلق فهي لذلك، فالتقدير: إذا تقرر أن لكل إنسان منوية من طاعة أو مباح أو غيرهما، فمن كانت هجرته من الهجر وهو الترك الذي هو ضد الوصل، والمراد هنا ترك الوطن الذي بدار الكفر إلى دار الإسلام، كهجرة الصحابة لما اشتد بهم أذى أهل مكة منها إلى الحبشة وإلى المدينة قبل هجرته عليه الصلاة والسلام وبعدها، ولما احتاجوا إلى تعلم العلوم[2] من أوطانهم إلى المدينة، وقد تطلق كما في أحاديث على هجرة ما نهى الله عنه. وفي معناها هجر المسلم أخاه، وهجر المرأة مضجع زوجها وعكسه، ومنها الهجرة من ديار البدعة إلى بلاد السنة، والهجرة لطلب العلم وترك الوطن لتحصيل الحج وفي معناه الاعتزال عن الناس. وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «لا هجرة بعد الفتح»[3] فمحمول على خصوص الهجرة من مكة إلى المدينة لأن عموم الانتقال من دار الكفر إلى دار الإيمان باق على حاله، وكذا الهجرة من المعاصي ثابتة لقوله عليه الصلاة والسلام: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[4] والمراد المهاجر الكامل [وهذا معنى حديث: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة]»[5] قيل: المراد منها ههنا إلى المدينة لذكر المرأة وحكاية أم قيس[6]، لكن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب.

والمعنى من قصد بهجرته وجه الله والتقرب إلى رضاه لا يخلطها بشيء من الأغراض الدنيوية فهو كناية عن تخليص النية، أو ذكر الله توطئة لذكر الرسول تخصيصاً له بالله وتعظيماً للهجرة إليه، أو ذكر الله للتزيين والإيماء إلى أن الهجرة إليه عليه الصلاة والسلام كالهجرة إلى الله تعالى كقوله: ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء - ٨٠]. ثم الثابت في النسخ المصححة إعادة الجار في الشرط والجزاء وهي تفيد الاستقلال في الحكم بمعنى أن كلا من الهجرتين تقوم مقام الأخرى في مرتبة القبول (فهجرته إلى الله و) إلى (رسوله) لم يقل إليهما استلذاذاً بتكرير اسمهما، وإلى متعلقة بهجرته إن قدرت كانت تامة، وبمحذوف هو خبرها إن كانت ناقصة أي منتسبة إليهما. والمراد أصل الكون لا بالنظر إلى زمن مخصوص، أو وضعه الأصلي من المضي، أو هنا من الاستقبال لوقوعها في حيز الشرط لفظاً أو معنى للإجماع على استواء الأزمنة في الأحكام الشرعية إلا لمانع.

---

(١) البخاري ٦/ ٦٣ حديث ٢٨٦٠. وأخرجه مسلم.
(٢) في المخطوطة «العلم».
(٣) البخاري ٦/ ١٨٩ حديث ٣٠٧٨. ولفظه: «لا هجرة بعد فتح مكة».
(٤) راجع حديث رقم ٦.
(٥) أخرج معناه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٤٤٤ حديث ٧٢٤٠.
(٦) ذكر الطبراني قصتها.

فهجرته إلى الله وإلى رسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها،

ثم من القواعد المقررة أنه لا بد من المغايرة بين الشرط والجزاء لحصول الفائدة فقيل: التقدير فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله قصداً ونية فهجرته إلى الله ورسوله ثمرة ومنفعة؛ فهو تمييز للنسبة ويجوز حذفه للقرينة، وقيل: فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله في الدنيا فهجرته إلى الله ورسوله في العقبى، وقيل: الجملة الجزائية كناية عن قوله: فهجرته مقبولة أو صحيحة فأقيم السبب مقام المسبب، وقيل: خبره مقدر من طرف الجزاء أي فهجرته إلى الله ورسوله مقبولة، أي فهي كما نواها وقد وقع أجره على الله سواء مات في الطريق أو وصل إلى الفريق كقوله تعالى: ﴿**ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله**﴾ [النساء - ١٠٠]، وقيل: اتحاد الشرط والجزاء لقصد التعظيم ولإرادة التحقير فيما سيأتي فيكون التغاير معنى بدليل قرائن السياق بأن يراد بالأول ما وجد خارجاً وبالثاني ما عهد ذهناً على حد أنت أنت أي الصديق الخالص وهم هم أي الذين لا يعرف قدرهم، ومنه أنا أبو النجم و [شعري] شعري أي شعري الآن هو شعري الذي كان والكبر ما غير اللسان، والحاصل أن يقال: فهجرته عظيمة ونتيجتها جسيمة.

(**ومن كانت هجرته إلى دنيا**) بضم الدال ويكسر وهي فعلى من الدنو، وهو القرب لدنوها إلى الزوال، أو لقربها من الآخرة منا، ولا تنوّن لأن ألفها مقصورة[١] للتأنيث، أو هي تأنيث أدنى وهي كافية في منع الصرف، وتنوينها في لغية شاذ، ولإجرائها مجرى الأسماء وخلعها عن الوصفية نكرت كرجعي ولو بقيت على وصفيتها لعرّفت كالحسنى.

واختلفوا في حقيقتها مع أنه لا حقيقة لها فقيل: وهي اسم مجموع هذا العالم المتناهي؛ ففي القاموس: الدنيا نقيض الآخرة ولو قال: ضدها لكان أولى إيماء إلى أنهما لا يجتمعان مع جواز إنهما يرتفعان، وقيل هي ما على الأرض من الجو والهواء، أو هي كل المخلوقات من الجواهر والأعراض الموجودة قبل الآخرة، قال النووي: وهذا هو الأظهر، ويطلق على كل جزء منها مجازاً، وأريد ههنا شيء من الحظوظ النفسانية كمال أو جاه، و [قد] تكون[٢] إشارة إلى العاجل والمرأة إيماء إلى الآجل وهو الآخرة لانضمام الروحانية إلى الجسمانية في كل منهما فيفيد حينئذ أن قصد ما سوى الله تعالى فيه انحطاط تام عمن لم يقصد غير وجهه [تعالى] وقليل ما هم، وعند محققي القوم ما تعلق دركه بالحس فهو دنيا وما تعلق دركه بالعقل فهو أخرى. وفي رواية: «ومن كانت هجرته لدنيا» أي لأجل عرضها وغرضها فاللام للتعليل أو بمعنى إلى لتقابل المقابل (**يصيبها**) أي يحصلها لكن لسرعة مبادرة النفس إليها بالجبلة الأصلية شبه حصولها بإصابة السهم للغرض، والأظهر أنه حال مقدرة أي يقصد إصابتها وفيه إيماء إلا أنه لو طلب الدنيا لأن يستعين بها على الأخرى فلا يذم مع أن تركها أولى لقول عيسى عليه الصلاة والسلام: «يا طالب الدنيا لتبر[٣] تركك الدنيا أبر» (**أو امرأة يتزوّجها**) خصت بالذكر تنبيهاً على سبب الحديث وإن كانت

(١) في المخطوطة المقصورة.
(٢) في المخطوطة يكون.
(٣) في المخطوطة «لبر».

أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

العبرة بعموم اللفظ كما رواه الطبراني بسند رجاله ثقات عن ابن مسعود: «كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها، قال: فكنا نسميه مهاجر أم قيس»، وفيه إشارة إلى أنه مع كونه قصد في ضمن الهجرة سنة عظيمة أبطل ثواب هجرته فكيف يكون غيره، أو دلالة[1] على أعظم فتن الدنيا لقوله تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء﴾ [آل عمران ـ ١٤] ولقوله عليه السلام: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»[2]، لكن المرأة إذا كانت صالحة تكون خير متاعها ولقوله عليه الصلاة والسلام: «الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»[3] **(فهجرته إلى ما هاجر إليه)** أي منصرفة إلى الغرض الذي هاجر إليه فلا ثواب له لقوله تعالى: ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب﴾ [الشورى ـ ٢٠] والمعنى: فهجرته مردودة أو قبيحة، قيل: إنما ذم لأنه طلب الدنيا في صورة الهجرة فأظهر العبادة للعقبى ومقصوده الحقيقي ما كان إلا الدنيا فاستحق الذم لمشابهته أهل النفاق، ولذا قال الحسن البصري لما رأى بهلواناً يلعب على الحبل: «هذا أحسن من أصحابنا فإنه يأكل الدنيا بالدنيا وأصحابنا يأكلون الدنيا بالدين»، وقال ابن عبد السلام: «متى اجتمع باعث الدنيا والآخرة فلا ثواب مطلقاً» للخبر الصحيح: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء هو للذي أشرك»[4]، وقال الغزالي: «يعتبر الباعث فإن غلب باعث الآخرة أثيب أو باعث الدنيا أو استويا لم يثب». قال ابن حجر: «يؤخذ من قول الشافعي وأصحابه: «من حج بنية التجارة كان ثوابه دون ثواب المتخلي عنها أن القصد المصاحب للعبادة إن كان محرماً كالرياء أسقطها مطلقاً وهو محمل الحديث المذكور كما يصرح به لفظه، أو غير محرم أثيب بقدر قصده الآخرة أخذاً بعموم قوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ [الزلزلة ـ ٧]» اهـ. وهو تفصيل حسن وتعليل مستحسن، هذا بلسان العلماء أرباب العبارة، وأما بلسان العرفاء أصحاب الإشارة فمعناه مجملاً أن أعمال ظاهر القالب متعلق بما يقع في القلوب من أنوار الغيوب.

والنية جمع الهم في تنفيذ العمل للمعمول له، وأن لا يسنح في السر ذكر غيره، وللناس فيما يعتقدون مذاهب. ثم نية العوام في طلب الأغراض مع نسيان الفضل والأعراض، ونية الجاهل التحصين عن سوء القضاء وترون البلاء، ونية أهل النفاق التزين عند الناس مع إضمار الشقاق، ونية العلماء إقامة الطاعات، ونية أهل التصوّف ترك الاعتماد على ما يظهر منهم من العبادات، ونية أهل الحقيقة ربوبية تولت عبودية، وإنما لكل امرىء ما نوى من مطالب السعداء؛

---

(١) في المخطوطة دلالته.

(٢) البخاري ٩/ ١٣٧ حديث ٥٠٩٦ ومسلم ٤/ ٢٠٩٧ حديث ٢٧٤٠.

(٣) مسلم ٢/ ١٠٩٠ حديث رقم ١٤٦٧.

(٤) مسلم ٤/ ٢٢٨٩ حديث ٢٩٨٥ وقال في آخره «تركة وشركة» الحديث في مسلم: «أنا... أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه».

متفق عليه.

وهي الخلاص عن الدركات السفلى من الكفر والشرك والجهل والمعاصي والسمعة والرياء والأخلاق الذميمة وحجب الأوصاف، والفوز بالدرجات العلى وهي المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات والأخلاق المحمودة وجذبات الحق والفناء عن إنابته والبقاء بهويته، أو من مقاصد الأشقياء وهي إجمالاً ما يبعد عن الحق. فمن كانت هجرته أي خروجه من مقامه الذي هو فيه سواء كان استعداده الذي جُبل عليه أو منزلاً من منازل النفس أو مقاماً من مقامات القلب إلى الله لتحصيل مراضيه[1] وتحسين الأخلاق والتوجه إلى توحيد الذات ورسوله [باتباع أعماله واقتفاء أخلاقه والتوجه إلى طلب الاستقامة في توحيد الصفات فهجرته إلى الله] ورسوله؛ فتخرجه العناية الإلهية من ظلمات الحدوث والفناء إلى أنوار[2] الشهود والبقاء، وتجذبه من حضيض العبودية إلى ذروة العندية، ويفنى في عالم اللاهوت ويبقى بالحي الذي لا يموت، ورجع إليه الأنس ونزل محلة القدس بدار القرار في جوار الملك الغفار، وأشرقت عليه سبحات الوجه الكريم وحل بقلبه روح الرضا العميم، ووجد فيها الروح المحمدي وأحباباً وعرف أن له مثوى ومآباً. ومن كانت هجرته لدنيا أي لتحصيل شهوة الحرص على المال والجاه، أو تحصيل لذة شهوة الفرج فيبقى مهجوراً عن الحق في أوطان الغربة وديار الظلمة، له نار الفرقة والقطيعة نار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة. وأنشد بعض المخلصين لبعض المخلطين:

يا غافل القلب عن ذكر المنيات * عما قليل ستثوى[3] بين أموات
إن الحمام له وقت إلى أجل * فاذكر مصائب أيام وساعات
لا تطمئن إلى الدنيا وزينتها * قد حان للموت يا ذا اللب أن يأتي
وكن حريصاً على الاخلاص في عمل * فإنما العمل الزاكي بنيات

وقد ورد في مسند أبي يعلى الموصلي مرفوعاً: «إن الله تعالى يقول للحفظة يوم القيامة اكتبوا لعبدي كذا وكذا من الأجر، فيقولون: ربنا لم نحفظ ذلك عنه ولا هو في صحيفتنا، فيقول: إنه نواه». ونقل الأستاذ أبو القاسم القشيري قدس الله سره العلي أن زبيدة رؤيت في المنام، فقيل لها: ما فعل الله بك، فقالت: غفر لي، فقيل لها: «بكثرة عمارتك الآبار والبرك والمصانع في طريق مكة وإنفاقك فيها، فقالت: هيهات هيهات ذهب ذلك كله إلى أربابه وإنما نفعنا منه النيات فغفر لي بها». اللهم فأحسن نياتنا ولا تؤاخذنا بدنياتنا واختم بالخير منياتنا.
(متفق عليه) أي اتفق البخاري ومسلم على روايته، ويعبر عن هذا القسم بالمتفق عليه أي بما اتفق عليه الشيخان لا بما اتفق عليه الأمة لكن اتفاقها عليه لازم ذلك لاتفاقها على تلقي ما اتفقا عليه بالقبول، وكذلك أخرجه الأربعة بقية الستة، وقيل: لم يبق من أصحاب الكتب المعتمد عليها من لم يخرجه سوى مالك. ففي الجملة حديث مشهور مجمع على صحته وما ذكره ابن

(١) في المخطوطة مرامية.
(٢) في المخطوطة «نور».
(٣) في المخطوطة «ستسوى».

ماكولا وغيره من التكلم فيه لا يلتفت إليه، وما قيل: إنه متواتر غير صحيح فإنه لم يروه من طريق صحيح عن النبي ﷺ إلا عمر ولم يروه عن عمر إلا علقمة ولم يروه عن علقمة إلا محمد بن إبراهيم التيمي ولم يروه عنه إلا يحيى بن سعيد الأنصاري، ثم تواتر عنه بحيث رواه عنه أكثر من مائة إنسان أكثرهم أئمة، وقال جماعة من الحفاظ: إنه رواه عنه سبعمائة إنسان من أعيانهم مالك والثوري والأوزاعي وابن المبارك والليث بن سعد وحماد بن زيد وسعيد وابن عيينة. وقد روي هذا الحديث عن عمر تسعة غير علقمة وعن علقمة اثنان غير التيمي وعن التيمي خمسة غير يحيى، فالحديث مشهور بالنسبة إلى آخره غريب بالنسبة إلى أوله.

ثم اعلم أن جمعاً من المحدثين وغيرهم ذهبوا إلى أن جميع ما وقع مسنداً في الصحيحين أو أحدهما من الأحاديث يقطع بصحته لتلقي الأمة له بالقبول من حيث الصحة وكذا العمل ما لم يمنع منه نحو نسخ أو تخصيص، وإجماع هذه الأمة معصوم عن الخطأ كما قال عليه الصلاة والسلام[1]، فقبولها للخبر الغير المتواتر يوجب العلم النظري، وعبارة الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني: «أهل الصنعة مجمعون على أن الأخبار التي اشتمل عليها الصحيحان مقطوع بصحة أصولها ومتونها، ولا يحصل الخلاف فيها بحال وإن حصل اختلاف فذلك اختلاف في طرقها أو رواتها، فمن خالف حكمه خبراً منهما وليس له تأويل سائغ نقضنا حكمه»، وقال إمام الحرمين[2]: «أجمع علماء المسلمين على صحتهما وقد قال عطاء: الإجماع أقوى من الإسناد فإذن أفاد العلم»، وقال الأكثرون والمحققون: «صحتهما ظنية لأن أخبارهما آحاد وهي لا تفيد إلا الظن وإن تلقتها الأئمة بالقبول لأنهم تلقوا بالقبول ما ظنت صحته من غيرهما، ولأن تصحيح الأئمة للخبر المستجمع لشروط الصحة إنما هو باعتبار الظاهر ولأن فيهما نحو مائتي حديث مسند طعن في صحتها فلم تتلق الأمة كلها ما فيهما بالقبول لكن بعض القائلين بالأول استثنوا هذه». قال شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني: «والتحقيق أن الخلاف لفظي لأن من أطلق عليهما العلم بالصحة جعله نظرياً وهو الناشىء عن الاستدلال ومن أبى هذا الإطلاق خص لفظ العلم بالمتواتر وما عداه عنده ظني».

واختلفوا هل يمكن التصحيح والتحسين والتضعيف في الأعصار المتأخرة، واختار ابن الصلاح أنه لا يمكن بل يقتصر على ما نص عليه الأئمة في تصانيفهم المعتمدة، ورده النووي وتبعوه وأطالوا في بيان رده، ومن ثم صحح جماعة من معاصريه كالقطان والضياء المقدسي ثم المنذري والدمياطي طبقة بعد طبقة، قيل: ولعله إنما اختار حسم المادة لئلا يتطفل على ذلك بعض الجهلة، قلت: ومن هذا القبيل اختلافهم هل يمكن لأحد الاجتهاد المطلق في الأزمنة المتأخرة، فقيل: يمكن، وقيل: لا والخلاف لفظي لأن الإمكان أمر عقلي ومنعه أمر عادي والله تعالى أعلم.

---

(١) لقوله ﷺ «لا تجتمع أمتي على ضلالة الخطأ».

(٢) هو الإمام الجويني رحمه الله.

كتاب الإيمان

كتاب الإيمان

الكتاب إما مأخوذ من الكَتْب بمعنى الجمع، أو الكتابة، والمعنى هذا مجموع أو مكتوب في الأحاديث الواردة في الإيمان، وإنما عنون به مع ذكره الإسلام أيضاً لأنهما بمعنى واحد في الشرع، وعلى اعتبار المعنى اللغوي من الفرق يكون فيه إشارة إلى أنه الأصل وعليه مدار الفصل، وقدمه لزيادة شرفه في الفضل، ولكونه شرطاً لصحة العبادات المتقدمة على المعاملات؛ وهو التصديق[1] الذي معه أمن وطمأنينة لغةً، وفي الشرع تصديق القلب بما جاء من عند الرب فكأن المؤمن يجعل به نفسه آمنة من العذاب في الدارين، أو من التكذيب والمخالفة وهو إفعال من الأمن يقال أمنت وآمنت غيري، ثم يقال: أمنه إذا صدقه، وقيل: معنى أمنت صرت ذا أمن ثم نقل إلى التصديق ويُعدّى باللام نحو: ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ [يوسف - ١٧] ﴿وقال فرعون ءامنتم له﴾ [الأعراف - ١٢٣] وقد يضمن معنى اعتراف فيُعدّى بالباء نحو: ﴿يؤمنون بالغيب﴾ [البقرة - ٣].

واختلف العلماء فيه على أقوال، أوّلها عليها الأكثرون والأشعري والمحققون. على أنه مجرد تصديق النبي عليه الصلاة والسلام فيما علم مجيئه به بالضرورة تفصيلاً في الأمور التفصيلية وإجمالاً في الإجمالية تصديقاً جازماً ولو لغير دليل حتى يدخل إيمان المقلد فهو صحيح على الأصح، وما نقل عن الأشعري من عدم صحته رُدّ بأنه كذب عليه؛ والحاصل أن من اعتقد أركان الدين من التوحيد والنبوّة ونحو الصلاة فإن جوّز ورود شبهة تفسد اعتقاده فهو كافر وإن لم يجوّز ذلك فهو مؤمن لكنه فاسق بتركه النظر وهذا مذهب الأئمة الأربعة والأكثرين، لأنه عليه الصلاة والسلام قبل الإيمان من غير تفحص عن الأدلة العقلية كذا ذكره ابن حجر، لكن في كونه فاسقاً بتركه النظر نظر ظاهر فتدبر. ثم فهم من قيد مجرد التصديق أنه لا يعتبر معه أعمال الجوارح ومن الضرورة أن ما ليس كذلك ككونه تعالى عالماً بذاته أو بالعلم الذي هو صفة زائدة على الذات أو مرئياً لا يكفر منكره إجماعاً، ومن الجزم أن التصديق الظني لا يكفي في حصول مسمى الإيمان. وثانيها: أنه عمل القلب واللسان معاً، فقيل: الإقرار شرط لإجراء الأحكام لا لصحة الإيمان فيما بين العبد وربه، قال حافظ الدين النسفي: وهذا

---

(١) في المخطوطة «الصدق».

الفصل الأول

٢ ـ (١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجلٌ

هو المروي عن أبي حنيفة، وإليه ذهب أبو منصور الماتريدي والأشعري في أصح الروايتين عنه، وقيل: هو ركن لكنه غير أصلي بل زائد ومن ثم يسقط عند الإكراه والعجز، ولهذا من صدق ومات فجأة على الفور فإنه مؤمن إجماعاً، قال بعضهم: والأول مذهب المتكلمين والثاني مذهب الفقهاء. والحق أنه ركن عند المطالبة به وشرط لإجراء الأحكام عند عدم المطالبة، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ الآية [القصص ـ ٥٦] حيث أجمع المفسرون على أنها نزلت في أبي طالب والله أعلم بالمطالب؛ وبهذا يلتئم القولان والخلافان لفظيان، وأما ما نقل عن الغزالي من أن الامتناع عن النطق كالمعاصي التي تجامع الإيمان فهو بظاهره خلاف الإجماع فيحمل على الامتناع عند عدم المطالبة، غاية ما في الباب أنه جعل الإقرار من الواجبات لا شرطاً ولا شطراً. وثالثها: أنه فعل القلب واللسان مع سائر الأركان، ونقل عن أصحاب الحديث ومالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وعن المعتزلة والخوارج، لكن المعتزلة على أن صاحب الكبيرة بين الإيمان والكفر بمعنى أنه لا يقال له مؤمن ولا كافر بل يقال له فاسق مخلد في النار، والخوارج على أنه كافر، وأهل السنة على أنه مؤمن فاسق داخل تحت المشيئة لقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء ـ ٤٨] قالوا: لا تظهر المغايرة بين قول أصحاب الحديث وبين سائر أهل السنة لأن امتثال الأوامر واجتناب الزواجر من كمال الإيمان اتفاقاً لا من ماهيته فالنزاع لفظي لا على حقيقته، وكذلك اختلافهم في نقصان الإيمان وزيادته، وكذا اقتران الإيمان بالمشيئة، وكذا الاختلاف في أن الإيمان مخلوق أو غير مخلوق، وكذا التفضيل بين الملك والبشر، ومحل بسط هذا المرام كتب الكلام.

(الفصل الأول)

٢ ـ (عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل) أصله بين فأشبعت الفتحة فقيل: بينا وزيدت ما فقيل: بينما، وهما ظرفا زمان بمعنى المفاجأة ويضافان إلى الجملة الاسمية تارة وإلى الفعلية أخرى، ويكون العامل معنى المفاجأة في إذ، فمعنى الحديث: وقت حضورنا في مجلس رسول الله ﷺ فاجأنا وقت طلوع ذلك الرجل، فبينا ظرف لهذا المقدر وإذ مفعول به بمعنى الوقت، كما قال صاحب

الحديث رقم ٢: أخرجه مسلم ٣٦/١ حديث ١ وأبو داود في السنن ٦٩/٥ حديث ٤٦٩٥ وابن ماجه ١/ ٢٤ حديث ٦٣ وأحمد في مسنده ٥١/١.

....

الكشاف[١] في قوله تعالى: ﴿وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾ [الزمر - ٤٥] أي وقت ذكر الذين من دونه فوجئوا وقت الاستبشار، فنحن مبتدأ، وعند ظرف مكان، وذات يوم ظرف لقوله «عند» باعتبار أن فيه معنى الاستقرار أي بين أوقات نحن حاضرون عنده، فنحن مخبر عنه بجملة ظرفية والمجموع صفة المضاف إليه المحذوف، وزيادة ذات لدفع توهم التجوز بأن يراد باليوم مطلق الزمان لا النهار كما في قولك: رأيت ذات زيد، وقيل: ذات مقحم، وقيل: بمعنى الساعة، وقيل: بين يضاف إلى متعدد لفظاً كقولك: جلست بين القوم، أو معنى كقولك: جئت بين العشاءين، وإذا قصد إضافته إلى جملة يزاد ألف أو ما عوضاً عن الأوقات التي تقتضيها بين، وقيل: فائدة المزيدتين إنما هي التهيؤ لدخول الجملتين، ويجوز دخول إذ في جوابه كما في الحديث الصحيح ويجوز تركه كما في الشعر الفصيح:

* وبينا نحن نرقبه أتانا *

وجاء في طريق: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ في آخر عمره». والحكمة في تأخير مجيئه إلى ما بعد إنزال جميع الأحكام تقرير أمور الدين التي بلغها متفرقة في مجلس واحد لتغبط[٢] وتضبط، وقيل: مجيئه كان في السنة العاشرة قبيل حجة الوداع. وسبب الحديث ما في مسلم أنه ﷺ قال: سلوني فهابوا أن يسألوه فجاءه جبريل[٣] ووقع في رواية ابن منده: «بينا رسول الله ﷺ يخطب أي يعظ إذ جاء رجل»، وفي رواية للبخاري: «كان رسول الله ﷺ يوماً بارزاً للناس»[٤]، وفي أخرى لأبي داود: «كان عليه الصلاة والسلام يجلس بين أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى رسول الله ﷺ أن يجعل لنا مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه، قال: فبنينا له دكاناً أي دكّة من طين يجلس عليه وكنا نجلس بجنبه»[٥]، واستنبط منه القرطبي أنه يسن للعالم الجلوس بمحل مرتفع مختص به إذا احتاج إليه للتعظيم ونحوه. ثم الطلوع بمعنى الظهور من كمال النور مستعار من طلعت الشمس، وفيه إيماء إلى كمال عظمته وعلو مرتبته، والتنوين في رجل للتعظيم ويحتمل التنكير لأن الراوي حين روايته وإن كان عارفاً بأنه جبريل لكنه حكى الحال الماضية كما يعلم من قوله: لا يعرفه منا أحد، وفيه دليل على أن الملك له أن يقتدر بقدرة الله تعالى على التشكل بما شاء، قال الله تعالى: ﴿فتمثل لها بشراً سوياً﴾ [مريم - ١٧] والحكمة في اختيار شكل البشر الاستئناس لأن الجنسية علة الضم، فالمعنى رجل في الصورة إذ هو جبريل كما عبر به في رواية وما وقع في رواية النسائي من أن جبريل نزل في صورة دحية الكلبي[٦] [معلول] بأنه وهم من راويه لقول

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٤٩.
(٢) أي تجتمع، وتدوم (لسان العرب).
(٣) مسلم ١/ ٤٠ حديث ١٠.
(٤) البخاري ١/ ١١٤ حديث ٥٠ ومسلم ١/ ٣٩ حديث ٩.
(٥) أبو داود ٥/ ٧٤ حديث ٤٦٩٨.
(٦) النسائي ٨/ ١٠١ حديث ٤٩٩١.

شديدُ بياضِ الثياب، شديدُ سوادِ الشعر، لا يُرى عليه أثرُ السفر، ولا يعرفُه منّا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ،

[عمر][١] الآتي: «ولا يعرفه منا أحد»، نعم كان غالباً يتمثل بصورة دحية لكمال جماله (شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر) بإضافة شديد إلى ما بعده إضافة لفظية مفيدة للتخفيف فقط صفة رجل، واللام في الموضعين عوض عن المضاف إليه العائد إلى الرجل أي شديد بياض ثيابه شديد سواد شعره، وفي نسخة بالتنوين في الصفتين المشبهتين ورفع ما بعدهما على الفاعلية.
وفيه استحباب البياض والنظافة في الثياب، وأن زمان طلب العلم أوان الشباب لقوّته على تحمل أعبائه وقدرته على تعمل أدائه، وقدم البياض على السواد لأنه خير الألوان ومحيط بالأبدان ولئلا يفتتح بغتة بلون متوحش، وجمع الثياب دون الشعر إشعاراً بأن جميعها كذلك. وفي رواية ابن حبان شديد سواد اللحية، وبها يتبين محل الشعر المذكور في الحديث المشهور والشعر بفتحتين أفصح من سكون الثاني، ويضم معه مراعاة للسجع في قوله (لا يرى عليه أثر السفر) رُوي بصيغة المجهول الغائب رفع الأثر وهو رواية الأكثر والأشهر، ورُوي بصيغة المتكلم المعلوم ونصب الأثر، والجملة حال من رجل، أو صفة له. والمراد بالآثار ظهور التعب والتغير والغبار، والسفر مأخوذ من السَفر وهو الكشف لأنه يكشف حالة أحوال الرجال وأخلاقهم عند مباشرة الأعمال (ولا يعرفه) عطف على ما قبله (منا) أي من الحاضرين في المجلس قدم للاهتمام على قوله (أحد) وقال أبو الفضائل علي بن عبدالله بن أحمد المصري المشتهر بزين العرب في شرحه للمصابيح: «أي من الصحابة وإلا فالرسول ﷺ قد عرفه». وقال السيد جمال الدين: «قد جاء صريحاً في بعض الروايات أن النبي ﷺ لم يعرفه حتى غاب جبريل كما أفاده الشيخ ابن حجر العسقلاني في شرحه للبخاري والمعنى تعجبنا من كيفية إتيانه، وترددنا في أنه من الملك أو من الجن إذ لو كان بشراً من المدينة لعرفناه، أو كان غريباً لكان عليه أثر السفر فإن قيل كيف علم عمر أنه لم يعرفه أحد منهم أجيب بأنه يحتمل أنه استند في ذلك إلى ظنه، أو إلى صريح قول الحاضرين، والثاني أولى فقد جاء كذلك في رواية عثمان بن غياث: «فنظر القوم بعضهم إلى بعض، فقالوا: ما نعرف هذا»، كذا قاله الشيخ ابن حجر العسقلاني. (حتى جلس) غاية لمحذوف دل عليه طلع أوله لأنه بمعنى أتى أي أقبل واستأذن، وفي مسند الإمام الأعظم عن حماد عن علقمه عن ابن مسعود قال: «جاء جبريل إلى النبي ﷺ في صورة شاب عليه ثياب بياض، فقال: السلام عليك يا رسول الله، فقال: رسول الله ﷺ: وعليك السلام، فقال: يا رسول الله أدنو، فقال: أدنُ»، فالتقدير: دنا حتى جلس متوجهاً[٢] أي مائلاً (إلى النبي ﷺ) والجلوس والقعود مترادفان وما ذكره التوربشتي وغيره أن القعود استعماله مع القيام والجلوس مع الاضطجاع محمول على أنه الأصل أو الغالب وفي رواية: «حتى برك بين يدي النبي ﷺ كما يجلس أحدنا للصلاة»[٣]، وقول زين العرب أي جلس إلى جانبه [أو معه] لا يلائمه قوله:

(١) في المخطوطة «لقوله». وأثبتنا هذا لأنه أتم للفائدة.
(٢) شرح مسند أبي حنيفة ص ٣٠. (٣) أحمد.

فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام.

(فأسند ركبتيه إلى ركبتيه) أي ركبتي رسول الله ﷺ لأن الجلوس على الركبة أقرب إلى التواضع والأدب وإيصال الركبة بالركبة أبلغ في الإصغاء، وأتم في حصول حضور القلب، وأكمل في الاستئناس، وألزم لمسارعة الجواب، ولأن الجلوس على هذه الهيئة يدل على شدة حاجة السائل، وإذا عرف المسؤول حاجته وحرصه اعتنى وبادر إليه **(ووضع كفيه)** أي كفي الرجل **(على فخذيه)** بفتح فكسر، وفي القاموس الفخذ ككتف ما بين الساق والورك، مؤنث كالفخذ، ويكسر أي فخذي الرجل، وهو المناسب لهيئة المتعلم بين يدي المعلم، أو على فخذي النبي ﷺ كما في رواية النسائي وغيره: «ثم وضع يديه على ركبتي النبي ﷺ» على ما بينه الشيخ ابن حجر العسقلاني وهو الملائم للتقرب لديه والإصغاء إليه وقصر النظر عليه **(وقال يا محمد)** قيل: ناداه باسمه إذ الحرمة تختص بالأمة في زمانه، أو مطلقاً وهو ملك معلم ويؤيده قوله تعالى: ﴿**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً**﴾ [النور - ٦٣] إذ الخطاب للآدميين فلا يشمل الملائكة إلا بدليل، أو قصد به المعنى الوصفي دون المعنى العلمي ولم أر من ذكره، وأمّا ما ورد في الصحاح من نداء بعض الصحابة باسمه فذاك قبل التحريم وقيل: آثره زيادة في التعمية إذ كانوا يعتقدون أنه لا يناديه به إلا العربي الجلف، ويحتمل أن يكون هذا قبل تحريم ندائه ﷺ باسمه، قيل: ولم يسلم[1] مبالغة في التعمية، أو بياناً أنه غير واجب، أو سلم ولم ينقله الراوي وهو الصحيح لما سبق من رواية الإمام؛ ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، ومن ذكره مقدم على من سكت عنه لأن معه زيادة علم، نعم في رواية قال: «السلام عليك يا محمد»، والجمع بأنه جمع بين اللفظين، فقال: «السلام عليك يا محمد السلام عليك يا رسول الله»، ووقع عند القرطبي أنه قال: «السلام عليكم يا محمد». وأخذ منه أنه يسن للداخل أن يعم بالسلام ثم يخص من شاء بالكلام، قال شيخ الإسلام في فتح الباري: «والذي وقفت عليه في الرواية إنما فيه الإفراد وهو السلام عليك يا محمد»[2]. أقول: وعلى تقدير ثبوته الظاهر من إيراد الجمع إرادة التعظيم لا قصد التعميم فكأن القرطبي جعله نظيراً لقوله تعالى: ﴿**يا أيها النبي إذا طلقتم النساء**﴾ [الطلاق - ١] في كون الخطاب خاصاً والحكم عاماً **(أخبرني)** أي أعلمني وصيغة الأمر للاستدعاء لما تقرر أن الرسول أفضل من الملائكة العلوية **(عن الإسلام)** وهو لغة الانقياد مطلقاً، وشرعاً الانقياد الظاهر بشرط انقياد الباطن المعبر عنه بالإيمان لقوله تعالى: ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم**﴾ [الحجرات - ١٤]، واللام فيه للحقيقة الشرعية ولذلك أجاب عنه بالأركان الخمسة الإسلامية.

ثم اعلم أن السؤال عن الإسلام وجوابه مقدم على الإيمان وجوابه في صحيح مسلم وكتاب الحميدي وجامع الأصول ورياض الصالحين وشرح السنة بخلاف المصابيح فإنه قدم فيه

(١) في المخطوطة «لم يسم» والأصح يسلم لما يدل عليه الحديث.

(٢) فتح الباري ١/١١٧.

قال: «الإسلام: أن تشهدَ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله،

الإيمان والتصديق وإن كان مقدماً لأنه أساس قاعدة الإسلام لكن المقام يقتضي تقديم الإسلام لأنه دليل [على] التصديق، وما جاء جبريل عليه السلام إلا لتعليم الشريعة، وهو عليه الصلاة والسلام كان يحكم بالظاهر على مقتضى الحكم التدريجية، فيبدأ بما هو الأهم ويترقى من الأدنى إلى الأعلى، فيكون الإسلام مقدماً على الإيمان، والإيمان على الإخلاص المعبر عنه بالإحسان، وجاء في رواية للبخاري بتأخير الإسلام عن الإيمان لكن عن أبي هريرة لا عن عمر؛ ففي إيراد الحديث بهذا اللفظ اعتراض فعلي من صاحب المشكاة على البغوي في المصابيح، وفي رواية بتوسط الإحسان بينهما، فقيل: إشارة إلى أن محله القلب فذكر في القلب، والأظهر أن وجه التوسط أن له تعلقاً بكل من الطرفين، قال جماعة من المحققين: «إن هذا التقديم والتأخير من الرواة لأن القضية واحدة فكان الواقع أمراً واحداً عبر الرواة عنه بأساليب مختلفة».

(قال الإسلام) أعاده ووضعه موضع ضميره إرادة لوضوحه **(أن تشهد)** أي أيها المخاطب خطاباً عاماً ولم يقل: تعلم، لأن الشهادة أبلغ في الانكشاف من مطلق العلم، ومن ثم لم يكف أعلم عن أشهد في أداء الشهادة، وأن مصدرية والتقدير الإسلام شهادة **(أن)** وهي مخففة من المثقلة أي أنه والضمير للشأن **(لا إله)** لا هي النافية للجنس على سبيل التنصيص على نفي كل فرد من أفراده **(إلا الله)** قيل: خبر لا، والحق أنه محذوف، والأحسن فيه لا إله معبود بالحق في الوجود إلا الله. ولكون الجلالة اسماً للذات المستجمع لكمال الصفات وعلماً للمعبود بالحق قيل: لو بدل بالرحمن لا يصح به التوحيد المطلق، ثم قيل: التوحيد هو الحكم بوحدانية الشيء والعلم بها، وإصطلاحاً إثبات ذات الله بوحدانيته متعوتاً بالتنزه عما يشابهه اعتقاداً فقولاً وعملاً فيقيناً وعرفاناً فمشاهدة وعياناً فثبوتاً ودواماً. قال الغزالي: «للتوحيد لبان وقشران كاللوز، فالقشرة العليا القول باللسان المجرد، والثانية الاعتقاد بالقلب جازماً، واللب أن ينكشف بنور الله سر التوحيد بأن يرى الأشياء الكثيرة صادرة عن فاعل واحد، ويعرف سلسلة الأسباب مرتبطة بمسبباتها، ولب اللب أن لا يرى في الوجود إلا واحداً، ويستغرق في الواحد الحق غير ملتفت إلى غيره» **(وأن محمداً رسول الله)** إيماء إلى النبوة، وهما أصلان متلازمان في إقامة الدين ضرورة توقف الإسلام على الشهادتين. وظاهر الحديث يؤيد من قال: الإقرار شرط لإجراء الأحكام عليه، وفي رواية البخاري: «أن تعبد الله ـ أي توحده ـ ولا تشرك به شيئاً» [أي] من الأشياء أو الإشراك. قال المحققون: مجرد التوحيد هو الاحتجاب بالجمع عن التفصيل، وهو محض الجبر المؤدي إلى الإباحة ومجرد إسناد القول والفعل إلى الرسول ﷺ وسائر الخلق احتجاب بالتفصيل عن الجمع الذي هو صرف القدرة المؤدي إلى التعطيل أو الثنوية، والجمع بينهما هو الحق المحض. قال في العوارف[1]: «الجمع اتصال لا يشاهد

---

(١) عوارف المعارف لأبي حفص عمر بن محمد بن عبدالله السهروردي ت (٦٣٢) وهو كتاب في التصوف دافع به عن علماء الصوفية والتصوف.

وتقيمَ الصلاة، وتؤتيَ الزكاة، وتصومَ رمضان، وتحجَّ البيت إن استطعتَ إليه سبيلاً».

صاحبه إلا الحق فمن شاهد غيره فما ثم جمع، والتفرقة شهود لما شاهد بالمباينة فقوله: ﴿آمنا بالله﴾ جمع ﴿وما أنزل إلينا﴾ [البقرة ـ ١٣٦] تفرقة» اهـ. وكذا قوله: ﴿إياك نعبد﴾ تفرقة ﴿وإياك نستعين﴾ [الفاتحة ـ ٥] جمع والأول رد على الجبرية، والثاني حط على القدرية. وقال الجنيد: «القرب بالوجد جمع وغيبته في البشرية تفرقة»، وكل جمع بلا تفرقة زندقة، وكل تفرقة بلا جمع تعطيل وحسبنا الله ونعم الوكيل (وتقيم) أي وأن تقيم (الصلاة) أي المعهودة شرعاً، وفي رواية لمسلم: «المكتوبة» تنبيهاً على أن النافلة وإن كانت من الإسلام لكنها ليست من أركانه، يعني بأن تؤديها وتحفظ شروطها وتعدل أركانها وتداوم عليها ولذا لم يقل وتصلي (وتؤتي الزكاة) أي وأن تعطيها، وفيه إشارة إلى أنه لا بد فيها من التمليك، وهي مأخوذة من زكي بمعنى طهر ونما وهو اسم للقدر المخرج من النصاب لأنه يظهر المخرج أو المخرج عنه ويزيد البركة، وفي رواية للبخاري ومسلم تقييدها بالمفروضة والظاهر أنها للتأكيد (وتصوم) بالنصب (رمضان) أي في شهره، وفيه جواز ذكره بلا كراهة من غير ذكر شهر وهو المعتمد، وهو من رمض إذا احترق من الرمضاء فأضيف إليه الشهر وسمي به لارتماضهم من حر الجوع، أو من حرارة الزمان الذي وقع فيه، أو لأنه تحترق به الذنوب وتنمحي به العيوب، أو لأنه تزول معه حرارة الشهوات. والصوم لغةً الإمساك وشرعاً إمساك مخصوص بوصف مخصوص (وتحج البيت) أي الحرام فأل فيه للعهد أو هو اسم جنس غلب على الكعبة علماً واللام فيه جزء كما في النجم، والحج لغةً: القصد، أو تكراره مطلقاً، أو إلى مُعظَّم، وشرعاً: قصد بيت الله في وقت معين بشرائط مخصوصة (إن استطعت إليه) أي إلى البيت أو إلى الحج أي إن أمكن لك الوصول إليه بأن وجدت زاداً وراحلةً كما في حديث صححه غير واحد (سبيلاً) تمييز عن نسبة الاستطاعة، فأخر عن الجار ليكون أوقع، وهي الطريق الذي فيه سهولة، وتستعمل في كل ما يتوصل به إلى شيء، وتنكيره للعموم إذ النكرة في الإثبات قد تفيد العموم كما ذكره الزمخشري في قوله تعالى: ﴿علمت نفس﴾ [الانفطار: ٥] لكنه مجاز وتقديم إليه عليه للاختصاص أي سبيلاً ما على أي وجه كان قريباً أو بعيداً ونحوهما بشرط اختصاص انتهائه إليه لا إلى غيره، وقيل: سبيلاً[١] مفعول بمعنى موصل أو مبلغ، قال الشافعي: إنه بالمال وأوجب الاستنابة على الزمِن الغني، وقال مالك: إنه بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق، وقال أبو حنيفة: إنه بمجموع الأمرين.

ثم الاستطاعة هي القدرة من طاع لك إذا سهل، يطلق على سلامة الأسباب وصحة الآلات ـ وهي قد تتقدم على الفعل ـ وعلى عرض في الحيوان يفعل به الأفعال الاختيارية ولا يكون إلا مع الفعل، وهي كما فسرت استطاعة خاصة بالمعنى الأول فلا يرد ما قيل: إن الاستطاعة التي بها يتمكن المكلف من فعل العبادة مشروطة في الكل فكيف خص الحج بها؟ قال الطيبي: فإن قلت: كيف خص الحج بالاستطاعة دون سائر الأركان الاسلامية مع أن

(١) في المخطوطة سبيل.

الاستطاعة التي بها يتمكن المكلفون من فعل الطاعة مشروطة في الكل؟ أجيب بأن المعنى بهذه الاستطاعة الزاد والراحلة وكان طائفة لا يعدونها منها ويثقلون على[1] الحاج فنهوا عن ذلك، أو علم الله تعالى أن ناساً في آخر الزمان يفعلون ذلك فصرح تسهيلاً على العباد؛ ومع ذلك ترى كثيراً من الناس لا يرفعون لهذا النص الجلي رأساً، ويلقون أنفسهم بأيديهم إلى التهلكة، أقول: ولعل في هذا حكمة وهي أن تكون حجة على الأغنياء التاركين للحج راساً مع أن الله تعالى أعطاهم مالاً وأثاثاً[2]. وإيراد الأفعال المضارعية لإفادة الاستمرار التجددي لكل من الأركان الإسلامية؛ ففي التوحيد المطلوب الاستمرار الدائم مدة الحياة، وفي الصلاة دونه، ثم في الصوم والزكاة دونها، وقدم الصوم لتعلقه بجميع المكلفين، وأخر ما وجب في العمرة مرة. وفي فتح الباري: «فإن قيل: السؤال عام لأنه سئل عن ماهية الاسلام والجواب خاص بقوله: أن تعبد وتشهد وكذا قال في الايمان: أن تؤمن، وفي الاحسان: أن تعبد، فالجواب أن ذلك لنكتة الفرق بين المصدر وأن والفعل لأن أن والفعل يدل على الاستقبال والمصدر لا يدل على الزمان على أن في رواية قال: شهادة أن لا إله إلا الله»[3] اهـ. وقيل: الأولى في الجواب أن يقال: القصد التعليم، وهو إنما يتعلق بالأمور المستقبلة فلذلك عدل عن المصدر المناسب للسؤال إلى ما يدل على الاستقبال ويسنح بالبال، والله أعلم بحقيقة الحال أن العدول عن المصدر المفيد للعلم إلى المضارع المقتضي للعمل إيماء إلى أنه لا يكفي مجرد المعرفة من غير أن يخرج من القوة إلى الفعل، وبنحو هذا العدول يعلم بلوغ بلاغته إلى أعلى الغايات وأعلى النهايات. ووقع في رواية حذف الحج، وفي أخرى حذف الصوم، وفي أخرى الاقتصار على الشهادتين، وفي أخرى على الصلاة والزكاة ولا تخالف لأن بعض الرواة ضبط ما لم يضبطه غيره ذهولاً أو نسياناً كذا قيل، أو يقال: لكل وجهة، فحذف الحج لأن وجوبه نادر وفي العمر مرة، وحذف الصوم اكتفاء بذكر الصلاة فإن كلاً منهما عبادة بدنية، والاقتصار على الشهادتين لأنهما أساس الإسلام، وعلى الصلاة والزكاة لأنهما عمدة العبادة البدنية والمالية، والمقصود ظاهر الطاعة والانقياد والعبادة لا استيفاء أفرادها، وإن كانت الخمسة هي معظم أركانها فالمراد بذكر بعضها مثلاً هو التنبيه على بقيتها ولذا ورد في رواية: «وتعتمر وتغتسل من الجنابة وتتم الوضوء» فيحمل الاختلاف اللفظي على التحديث المعنوي.

ثم اعلم أن لكل من تلك الأركان ظاهراً تبين أحكامه في الكتب الفقهية، وباطناً من حقائق وأسرار ذكرها أرباب القلوب الأمناء لأسرار الغيوب فنحن نذكر نبذة منها:

أما التوحيد: فهو ظهور فناء الخلق بتشعشع أنوار الحق وله مراتب كما ذكره ذوو المناقب.

---

(١) في المخطوطة عن.
(٢) في المخطوطة أساساً.
(٣) فتح الباري ١/١١٩.

(الأولى) التوحيد النظري إن علم بالاستدلال، أو التقليدي إن اعتقد بمجرد تصديق المخبر الصادق وسلم القلب من الشبهة والحيرة والريب؛ وهو أن يعتقد أن الله متفرد بوصف الألوهية، متوحد باستحقاق المعبودية، به يحقن الدماء والأموال ويتخلص من الشرك الجلي في الأحوال.

(الثانية) التوحيد العلمي وهو أن يصير العبد بخروجه من غشاوة صفاته، وخلاصه من سجن ظلمات ذاته، وانسلاخه عن لباس الاختيار، حيران في أنوار عظمة الجبار، ولهان تحت سبحات سطوات الأنوار، فيعرف أن الموجد المحقق والمؤثر المطلق هو الله تعالى، وأن كل ذات فرع من نور ذاته، وكل صفة من علم وقدرة وإرادة وسمع وبصر عكس من أنوار صفاته وأثر من آثار أفعاله، ومنشؤه نور المراقبة وهو دون المرتبة الحالية لكن مزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون وعند ذلك ينفي من الظلمة الوجودية ويرتفع بعض من الشرك الخفي.

(الثالثة) التوحيد الحالي وهو أن يصير التوحيد وصفاً لازماً لذات الموحد بتلاشي ظلمات رسوم وجود الغير إلا قليلاً في غلبة إشراق أنوار التوحيد، واستتار نور حاله في نور علم التوحيد كاستتار نور الكواكب في نور الشمس، فلما استنار الصبح أدرج ضوءه نور الكواكب. واستغراقه في مشاهدة جمال وجود الواحد بحيث لا يظهر عند شهوده إلا ذات الواحد، ويرى التوحيد صفة الواحد لا صفته بل لا يرى ذلك. قال الجنيد: «التوحيد معنى يضمحل فيه الرسوم، ويندرج فيه العلوم، ويكون الله كما لم يزل».

(الرابعة) التوحيد الإلهي وهو أن الله تعالى كان في الأزل موصوفاً بالوحدانية في الذات والأحدية في الصفات، كان ولم يكن معه شيء والآن كما كان ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص - ٨٨] ولم يقل يهلك لأن عزة وحدانيته لم تدع لغيره وجوداً. وفي هذا المعنى أنشد العارف الأنصاري لنفسه شعراً:

ما وحد الواحد من واحد * إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته * عارية أبطلها الواحد
توحيده إياه توحيده * ونعت من ينعته لاحد

وأما الصلاة فقد قيل: كان لرسول الله ﷺ معراجان: معراج في عالم الحس من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم إلى عالم الملكوت ومحل الملأ الأعلى، ومعراج في عالم الأرواح من الشهادة إلى الغيب ومن الغيب إلى غيب الغيب، فلما أراد أن يرجع قال الرب تبارك وتعالى: المسافر إذا عاد إلى وطنه أتحف أصحابه وإن تحفة أمتك الصلاة الجامعة بين المعراجين الجسماني بالآداب والأفعال، والروحاني بالأذكار والأحوال، ولهذا ورد: «الصلاة معراج المؤمن»، وأما الصوم فصوم الشريعة منافعه أكثر من أن تحصى، ولو لم يكن إلا التشبه بالملأ الأعلى لكفى به فضلاً، وصوم الطريقة فهو الإمساك عن الأكوان والإفطار بمشاهدة الرحمن:

قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه! قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: «أن تؤمن

صممت عن غيره فلما تجلى * كان لي شاغل عن الإفطار

وأما الزكاة فهي إشارة إلى تزكية أحوال الظاهر، والباطن بترك الأموال وصرفها إلى أسباب الوصول إلى الأحوال، وتخلية القلب عن الأغيار وتخلية الروح لظهور تجليات الأنوار، وأما الحج فهو إشارة إلى وجوب زيارة بيت الجليل على الخليل إن استطاع إليه السبيل بأن وجد شرائط السلوك وإمكانه، وآداب السفر وأركانه، وهي الإحرام بالخروج عن الرسوم والعادات والتجرد عن المألوفات والتوجه إلى الله تعالى بصفاء الطويات، والوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عتبة جبل الرحمة، والطواف بالخروج عن الأطوار السبعية بالأطواف السبعية حول كعبة الربوبية، والسعي بين صفا الصفات ومروة المروات، والحلق بمحو آثار العبودية بموسى الأنوار الإلهية، وقس عليه سائر المناسك ولله در القائل الناسك:

يا من إلى وجهه حجي ومعتمري * إن حج قوم إلى ترب وأحجار

لبيك لبيك من قرب ومن بعد * سرا بسر وإضماراً بإضمار

(قال صدقت) دفعاً لتوهم أن السائل ما عده من الصواب وحملاً للسامعين على حفظ الجواب (فعجبنا له) أي للسائل (يسأله ويصدقه) التعجب حالة للقلب تعرض عند الجهل بسبب الشيء، فوجه التعجب أن السؤال يقتضي الجهل غالباً بالمسؤول عنه، والتصديق يقتضي علم السائل به؛ لأن صدقت إنما يقال إذا عرف السائل أن المسؤول طابق ما عنده جملة وتفصيلاً وهذا خلاف عادة السائل، ومما يزيد التعجب أن ما أجابه ﷺ لا يعرف إلا من جهته وليس هذا الرجل ممن عرف بلقائه ﷺ فضلاً عن سماعه منه، وفي رواية: «لما سمعنا قول الرجل صدقت أنكرناه»[1]، وفي رواية أخرى: «أنظروا هو يسأله ويصدقه كأنه أعلم منه»، وفي أخرى: «ما رأينا رجلاً مثل هذا كأنه يعلم رسول الله ﷺ يقول له: صدقت صدقت»، قيل: هو من صنيع الشيخ إذا امتحن المعيد عند حضور الطلبة ليزيدوا طمأنينة وثقة في أنه يعيد الدرس، ويلقي المسألة من الشيخ بلا زيادة ونقصان، وفيه نسخة من قوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى﴾ [النجم ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥]. (قال فأخبرني عن الإيمان) وفي رواية: «ما الإيمان» واستشكلت بأن ما للسؤال عن الماهية فالجواب غير مطابق، ورد بأنه عليه الصلاة والسلام علم منه أنه إنما سأل عن متعلقات الإيمان لأنها الأحق بالتعليم، ولأن التصديق في ضمنها، والأظهر أنه لا فرق بين الروايتين والمطابقة حاصلة في الجهتين لأن الإيمان في!

(قال أن تؤمن) أريد به المعنى اللغوي، وقيل: المعنى الشرعي حتى لا يكون تفسير الشيء بنفسه ولا يكون الدور في تعريفه، وقول الطيبي: أي تعترف ولذا عُدي بالباء فيه أن الاعتراف من أجزاء الإسلام؛ فالتحقيق أن الإيمان هنا بمعنى التصديق وهو يتعدى بالباء، ففي

(١) النسائي ٨/١٠١ حديث ٤٩٩١.

بالله،

القاموس: آمن به إيماناً أي صدقه، نعم لو ضمن معنى الاعتراف لكان حسناً ويكون التقدير: أن تصدق معترفاً، أو تعترف مصدقاً فيفيد كون الإقرار شطراً أو شرطاً، قيل: والحديث يدل على مغايرة العمل للإيمان فإنه أجاب عن الإسلام ثم عن الإيمان وجعله تصديقاً (بالله) أي بتوحيد ذاته وتفريد صفاته وبوجوب وجوده وبثبوت كرمه وجوده وسائر صفات كماله من مقتضيات جلاله وجماله، قيل: الصفة إما حقيقية لا يتوقف تصورها على شيء كالحياة، أو إضافية يتوقف على ذلك كالوجوب والقدم، أو وجودية وهي صفات الإكرام، أو سلبية وهي صفات الجلال. وتنحصر الوجودية في ثمانية نظمها الشاعر في قوله:

حياة وعلم قدرة وإرادة * كلام وإبصار وسمع مع البقا

قال ابن الصلاح: «هذا الحديث بيان أصل الإيمان، وهو التصديق والإسلام، وهو الانقياد، وحكم الإسلام يثبت بالشهادتين وإنما أضاف إليهما الأعمال المذكورة لأنها أظهر شعائره.

ثم قيل: الإيمان قد يطلق على الإسلام كما في حديث عبد قيس[1]، واسم الإسلام يتناول أصل الإيمان وهو التصديق والطاعات فإن كل ذلك استسلام فعلم أنهما يجتمعان ويفترقان، وإن كل مؤمن مسلم من غير عكس، وهذا التحقيق موافق لمذهب جماهير العلماء» اهـ. والمشهور أنهما مترادفان في الشرع نقله ابن عبد البر عن الأكثرين لأن انقياد الظاهر لا ينفع بدون انقياد الباطن وكذا العكس، والحق أن الخلاف لفظي لأن مبنى الأول على الحكم الدنيوي ومدار الثاني على الأمر الأخروي، أو الأول بناؤه على اللغة والثاني مداره على الشريعة. وصنف في المسألة إمامان كبيران وأكثرا من الأدلة على أنهما متغايران أو مترادفان وتكافآ في ذلك، وقيل: التحقيق أنهما مختلفان باعتبار المفهوم متحدان في الما صدق والله أعلم.

ثم التصديق إذعان النفس وقبولها بما يجب قبوله وهو تقليدي وتحقيقي، والتحقيقي إما استدلالي أو ذوقي، والذوقي إما كشفي واقف على حد العلم أو الغيب، أو غيبي غير واقف عليه، والغيبي إما مشاهدة أو شهود، والأول هو الاعتقاد الجازم المطابق الممتنع الزوال، والثاني الاعتقاد الجازم الثابت بالبرهان، والثالث الممتنع الزوال الثابت بالوجدان، والثلاثة مراتب الإيمان بالغيب، والأخيران علم اليقين، والرابع هو المشاهدة الروحانية مع بقاء الأثنينية ويسمى عين اليقين، والخامس هو الشهود الحقاني عند تجلي الوحدة الذاتية وزوال الأثنينية ويسمى حق اليقين، هذا وإن للإيمان وجوداً غيبياً ووجوداً ذهنياً ووجوداً لفظياً، أما الأول فهو ما أشار إليه الشيخ الكبير أبو عبد الله الشيرازي في معتقده من أنه نور يُقذف في القلب من نور الذات، ومعناه: أن أصله نور يقذفه الحق من ملكوته إلى قلوب عباده فيباشر أسرارهم وهو

---

(١) يراجع الحديث رقم ١٧.

وملائكته،

متصل بالحضرة ثابت في قلوبهم، فإذا انكشف جمال الحق [له] ازداد ذلك النور فيتقوى إلى أن ينبسط وينشرح الصدر ويطلع العبد على حقائق الأشياء، ويتجلى له الغيب وغيب الغيب ويظهر له صدق الأنبياء، وينبعث من قلبه داعية الاتباع فينضاف إلى نور معرفته أنوار الأعمال والأخلاق، ﴿نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء﴾، وذلك القذف والكشف يتعلق بمراد الله في أحايين[1] نسيم الصفات لا يقدر على كسبه. نعم شرائطه مكتسبة وأما الوجود الذهني فملاحظة ذلك النور ومطالعته بالتصديق، وأما الوجود اللفظي فهو الشهادتان وكما أن إيمان العوام هو التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان، فإيمان الخواص عزوب النفس من[2] الدنيا وسلوكه طريق العقبى وشهود القلب مع المولى، وإيمان خواص الخواص ملازمة الظاهر والباطن في طاعة الله وإنابة الخلق إلى الفناء في الله وإخلاص السر للبقاء بالله ذوّقنا الله (وملائكته) جمع ملاك، وأصله مألك. [بتقديم الهمزة] من الألوكة، وهي الرسالة قدمت اللام على الهمزة وحذفت الهمزة بعد نقل حركتها إلى ما قبلها فصار ملك، ولما جمعت ردت الهمزة، وقيل: قلبت ألفا وقدمت اللام وجمع على فعائل كشمأل وشمائل، ثم تركت همزة المفرد لكثرة الاستعمال وألقيت حركتها إلى اللام والتاء لتأنيث الجمع، أو مزيدة لتأكيد معناه، أطلقت بالغلبة على الجواهر العلوية النورانية المبرأة عن الكدورات الجسمانية، وهي وسائط بين الله وبين أنبيائه وخاصة أصفيائه. وقال بعضهم: هي أجسام لطيفة نورانية مقتدرة على تشكلات مختلفة يجوز عليهم الصعود والنزول والتسبيح، لهم بمنزلة النفس منا فمشقة التكليف منتفية. والمعنى: نعتقد بوجودهم تفصيلاً فيما علم اسمه منهم ضرورة كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وإجمالاً في غيرهم، وأنهم عباد مكرمون يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأن منهم كراماً كاتبين، وحملة العرش المقربين، وأن لهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع، وأنهم منزهون عن وصف الأنوثة والذكورة. وأما كون الرسل أفضل منهم أو هم فلا يجب اعتقاد أحدهما فإن المسألة ظنية فإن قلت: ما الموجب لدخول الإيمان بها في مفهوم الإيمان الصحيح مع أن المقصود بالذات معرفة المبدأ والمعاد، فأجيب بأن الناس ينقسم إلى فطن يرى المعقول كالمحسوس ويدرك الغائب كالمشاهد وهم الأنبياء، وإلى من الغالب عليهم متابعة الحس ومتابعة الوهم فقط وهم أكثر الخلائق، فلا بد لهم من معلم يدعوهم إلى الحق ويذودهم عن الزيغ المطلق، ويكشف لهم المغيبات ويحل عن عقولهم الشبهات، وما هو إلا النبي المبعوث لهذا الأمر وهو وإن كان مشتعل القريحة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يحتاج إلى نور يظهر له الغائب وهو الوحي والكتاب، ولذلك سمي القرآن نوراً، ولا بد له من حامل وموصل، وهو الملك المتوسط وإليه الإشارة بقوله: [﴿إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾ [الجن ـ ٢٧] فالمراد لا يصير مؤمناً إلا إذا تعلم من النبي ما يحققه بإرشاد الكتاب الواصل إليه بتوسط الملك أن له

(١) في المخطوطة احايين. (٢) في المخطوطة عن.

وكتُبِهِ، ورُسلِه، واليوم الآخر،

إلهاً واجب الوجود فائض الجود إلى غير ذلك مما يثبت بالشرع (وكتبه) أي ونعتقد بوجود كتبه المنزلة على رسله تفصيلاً فيما علم يقيناً كالقرآن والتوراة والزبور والإنجيل، وإجمالاً فيما عداه، وأنها منسوخة بالقرآن، وأنه لا يجوز عليه نسخ[١] ولا تحريف إلى قيام الساعة لقوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر ـ ٩]. وأما كون كلام الله تعالى غير مخلوق ففيه اختلاف بين المعتزلة وأهل السنة] قيل: الكتب المنزلة مائة وأربعة كتب، منها عشر صحائف نزلت على آدم وخمسون على شيث وثلاثون على إدريس وعشرة على إبراهيم والأربعة السابقة وأفضلها القرآن (ورسله) بأن تعرف أنهم بلغوا ما أنزل الله إليهم، وأنهم معصومون، وتؤمن بوجودهم فيمن علم بنص أو تواتر تفصيلاً، وفي غيرهم إجمالاً.

وهذا الحديث يدل على ترادف الرسول والنبي فإنه كما يجب الإيمان بالرسل يجب بالأنبياء، وعن الإمام أحمد عن أبي أمامة قال أبو ذر: «قلت: يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء، قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً»[٢] اهـ. وهو ظاهر في التغاير وعليه الجمهور في الفرق بينهما بأن النبي: إنسان بعثه الله ولو لم يؤمر بالتبليغ، والرسول: من أمر به فكل رسول نبي ولا عكس، فلعل وجه التخصيص أن الرسول هو المقصود بالذات في الإيمان من حيث إنه مبلغ وأن الإيمان بالأنبياء إنما يعرف من جهة تبليغ الرسل فإنه لا تبليغ للأنبياء والله أعلم. وهذا لا ينافي حديث أحمد قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾ [غافر: ٧٨] لأن المنفي هو التفصيل والثابت هو الإجمال، أو النفي مقيد بالوحي الجلي والثبوت متحقق بالوحي الخفي. فإن قلت ما فائدة ذكر ما بعد الرسل وما قبلهم مع أن الإيمان بهم المستلزم للإيمان بجميع ما جاؤوا به يستلزم الإيمان بجميع ذلك؟ قلت: التنبيه على الترتيب الواقع فإن الله تعالى أرسل الملك بالكتاب إلى الرسول لمعرفة المبدأ والمعاد، وإن الخير والشر يجريان على العباد بمقتضى ما قدره وقضاه وأراده، ولهذا قدم الملائكة لا لكونهم أفضل من الرسل لأنه مختلف ولا من الكتب إذ لم يقل به أحد. وهذا الترتيب مما يقتضيه حكمة عالم التكليف والوسائط وإلا فمقام: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل» معلوم لنبينا ﷺ إذ فيه إشارة إلى تمكينه في وقت كشوف المشاهدة واستغراقه في بحر الوحدة حيث لا يبقى فيه أثر البشرية والكونين، وهذا محل استقامته في مشهد التمكين الذي أخبر الله عنه بقوله: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ [النجم ـ ٩] وليس هناك مقام جبريل وجميع الكروبيين ولا مقام الصفي والخليل ومن دونهم من الأنبياء، وكان أكثر أوقاته كذلك لكن يرده الله إلى تأديب أمته في بعض الأوقات ليجري عليهم أحكام التلوين ولا يذوب في أنوار كبرياء الأزل (واليوم الآخر) أي يوم القيامة لأنه آخر أيام الدنيا وهو الأحسن ليشمل أحوال البرزخ فإنه

---

(١) المراد هنا: أنه لا ينسخ بكتاب آخر والله أعلم.

(٢) أحمد في المسند ٥/٢٦٦.

وتؤمن بالقدر خيره وشره».

آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، ولأنه مقدمنه، أو لأنه أخر عنه الحساب والجزاء، وقيل: هو الأبد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الأوقات المحدودة وذلك بأن تؤمن بوجوده وبما فيه من البعث الجسماني والحساب والجنة والنار وغير ذلك مما جاءت به النصوص، وفي رواية البخاري «والبعث الآخر»[1] فهو تأكيد كأمس الذاهب، أو لإفادة تعدده؛ فإن الأول هو الإخراج من العدم إلى الوجود، أو من بطون الأمهات إلى الدنيا، والثاني البعث من بطون القبور إلى محل الحشر [والنشور]، وفي أخرى له: «وبلقائه وتؤمن بالبعث»[2] فاللقاء الانتقال إلى دار الجزاء، والبعث بعث الموتى من قبورهم وما بعد من حساب وميزان وجنة ونار، وقد صرح بهذه الأربعة في رواية، وقيل: اللقاء الحساب، وقيل: رؤية الله تعالى، وقيل: المراد بالبعث بعثة الأنبياء (وتؤمن) أي وأن تؤمن (بالقدر) بفتح الدال ويسكن ما قدره الله وقضاه وإعادة العامل إما لبعد العهد كقول الشاعر:

لقد علم الحي اليماني أنني * إذا قلت أما بعد إني خطيبها

أو لشرف قدره وتعاظم أمره وقع فيه الاهتمام لأنه محار الأفهام ومزال الأقدام، وقد علم عليه الصلاة والسلام أن الأمة سيخوضون فيه وبعضهم يتقونه فاهتم بشأنه ثم قرره بالإبدال [بقوله] (خيره وشره) أي نفعه وضره، وزيد في رواية: «وحلوه ومره» فإن البدل توضيح مع التوكيد المفيد للتعميم لتكرير العامل، وعندي أن إعادة العامل هنا أفادت أن هذا المؤمن به دون ما سبق، فإن من أنكر شيئاً مما تقدم كفر بخلاف من أنكر هذا فإنه لا يخرجه عن دائرة الإسلام فيكون بمنزلة التذييل والتكميل، وأما قول ابن الملك: «خيره وشره» بدل بعض فغير ظاهر إلا أن يقال باعتبار كل من [المعطوف] والمعطوف عليه، والأظهر أنه بدل الكل والرابطة بعد العطف، والمعنى: نعتقد أن الله قدر الخير والشر قبل خلق الخلائق، وأن جميع الكائنات متعلق بقضاء الله مرتبط بقدره. قال تعالى: ﴿**قل كل من عند الله**﴾ [النساء - ٧٨] وهو مريد لها لقوله تعالى: ﴿**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعّد في السماء**﴾ [الأنعام - ١٢٥] فالطاعات يحبها ويرضاها بخلاف الكفر والمعاصي، قال تعالى: ﴿**ولا يرضى لعباده الكفر**﴾ [الزمر - ٧] والإرادة لا تستلزم الرضا.

ثم القضاء هو الحكم بنظام جميع الموجودات على ترتيب خاص في أم الكتاب أولاً ثم في اللوح المحفوظ ثانياً على سبيل الإجمال، والقدر تعلق الإرادة بالأشياء في أوقاتها وهو تفصيل قضائه السابق بإيجادها في المواد الجزئية المسماة بلوح المحو والإثبات، كما يسمى الكتاب بلوح القضاء، واللوح المحفوظ بلوح القدر في وجه هذا تحقيق كلام القاضي. ولما

---

(١) البخاري ٨/ ٥١٣ حديث ٤٧٧٧.

(٢) البخاري ١/ ١١٤ حديث ٥٠.

. . . .

كان الإيمان بالقدر مستلزماً للإيمان بالقضاء لم يتعرض له، وذكر الراغب[1] أن القدر هو التقدير، والقضاء هو التفصيل فهو أخص، ومثل هذا بأن القدر ما أعد للبس والقضاء بمنزلة اللبس، ويؤيده ما ذكره الحكيم الترمذي: «إنه كان في البدء علم ثم ذكر [ثم مشيئة] ثم تدبير ثم مقادير ثم إثبات في اللوح ثم إرادة ثم قضاء»، فإذا قال: كن فكان على الهيئة التي علم فذكر ثم شاء فدبر ثم قدر [ثم][2] اثبت ثم قضى، فعلم منه أنه ما من شيء من حيث استقام في العلم الأزلي إلى أن استقام في اللوح ثم استبان إلا يتعلق به أمور من الله تعالى. قال بعض العارفين: إن القدر كتقدير النقاش الصورة في ذهنه، والقضاء كرسمه تلك الصورة للتلميذ بالأسرب، ووضع التلميذ الصبغ عليها متبعاً لرسم الأستاذ هو الكسب والاختيار، وهو في اختياره لا يخرج عن رسم الأستاذ، كذلك العبد في اختياره لا يمكنه الخروج عن القضاء والقدر ولكنه متردد بينهما.

هذا والقدرية فسروا القضاء بعلمه بنظام الموجودات وأنكروا تأثير قدرة الله تعالى في أفعال المخلوقات، ومعتقد أهل السنة والجماعة أن أفعال العباد خيرها وشرها مخلوقة لله تعالى مرادة له، ومع ذلك هي مكتسبة للعباد لأن لهم نوع اختيار في كسبها وإن رجع ذلك في الحقيقة إلى إرادته تعالى وخلقه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وهذا أوسط المذاهب وأعدلها وأوفقها للنصوص، والحق والصواب خلافاً للجبرية القائلين بأن العباد مجبورون على أفعالهم؛ إذ يلزمهم أن لا تكليف، ومن اعترف منهم بهذا اللازم فهو كافر بخلاف من زعم أن سلب قدرة العبد من أصلها إنما هو تعظيم لقدرة الله تعالى عن أن يشركه فيها أحد بوجه فإنه مبتدع، وخلافاً للقدرية النافين للقدر وهم المعتزلة القائلون بأن العبد يخلق أفعال نفسه، وأن قدرة الله تعالى لا تؤثر فيها، وأن إرادته لا تتعلق بها لاستقلال قدرة العبد بالإيجاد والتأثير في أفعاله؛ إذ يلزمهم أن له تعالى شركاء في ملكه سبحانه فمن اعتقد حقيقة الشركة قصداً فقد كفر أو تنزيه الله تعالى عن الفعل القبيح فهو مبتدع. رُوي أنه كتب الحسن البصري إلى الحسن بن علي رضي الله عنهم يسأله عن القضاء والقدر فكتب إليه الحسن بن علي: «من لم يؤمن بقضاء الله وقدره وخيره وشره فقد كفر، ومن حمل ذنبه على ربه فقد فجر، وأن الله تعالى لا يطاع استكراهاً ولا يعصى بغلبة لأنه تعالى مالك لما ملكهم وقادر على ما أقدرهم، فإن عملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما عملوا، وإن عملوا بالمعصية فلو شاء لحال بينهم وبين ما عملوا فإن لم يفعل فليس هو الذي جبرهم على ذلك، ولو جبر الله الخلق على الطاعة لأسقط عنهم الثواب، ولو جبرهم على المعصية لأسقط عنهم العقاب ولو أهملهم كان ذلك عجزاً في القدر، ولكن له فيهم المشيئة التي غيبها عنهم، فإن عملوا بالطاعة فله المنة عليهم وإن عملوا

---

(١) المقصود الراغب الأصبهاني وهو أبو القاسم الحسين بن محمد ت (٥٠٢) صاحب كتاب «المفردات في غريب القرآن».

(٢) وفي المخطوطة «فـ» بدل «ثم».

قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: «أن تعبدَ اللّهَ

بالمعصية فله الحجة عليهم والسلام». فهذه رسالة يظهر عليها أنوار مشكاة النبوّة والرسالة.

ثم اعلم أن الإيمان بالقدر يستلزم العلم بتوحيد ذات الحق؛ لأن إتيان المقدورات وأحكامها على ما هو حقها في أزمنة وأمكنة مخصوصة تدل على توحد الحكم بتقديرها المقتضي لتوحد المقدِّر والعلم بصفاته، كسعة علمه ورحمته على العالمين وآثار قدرته وحكمته للمخلوقين، ونفوذ قضائه فيهم والعلم بكمال صنعه وأفعاله، وأن الحوادث مستندة إلى الأسباب الإلهية، فيعلم أن الحذر لا يقطع القدر ولا ينازع أحداً في طلب شيء من اللذات ولا يأنس بها إذا وجدها، ولا يغضب بسبب فوت شيء من المطالب، ولا بوقوع شيء من المهارب، قال الله تعالى: ﴿لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ [الحديد: ٢٣]، وورد في الحديث: «ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»[1]، فيكون مستسلماً للحق فيما أراده من القضاء المطلق وحسن الخلق مع سائر الخلق، قال بعض العارفين: «إن الله قدر وجود مخلوقاته لمظاهر تجلي أسمائه وصفاته، فلكل منها مقدار مقدر لمظاهر تجلي ما علمه الله له [من] الأسماء والصفات مما يليق به وهو مستعد له، وبذلك يسبح [له] كما قال: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ [الإسراء - ٤٤] ولكل ذرة لسانٌ ملكوتي ناطق بالتسبيح والتحميد تنزيهاً لصانعه وحمداً له على ما أولاه من مظهريتها للصفات الجمالية والجلالية؛ فالأشياء كلها مقادير لأسماء الله تعالى وصفاته دون ذاته فإنه لا يسعها إلا قلب المؤمن: «لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»، ولذا قيل: «قلب المؤمن عرش الله»، وقال أبو يزيد قدس سره[2]: «لو وقع العالم ألف ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به». (قال صدقت قال فأخبرني عن الإحسان) قيل: أي المعهود ذهناً في الآيات القرآنية من قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى﴾ [يونس - ٢٦] ﴿وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ [الرحمن - ٦٠] ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ [المائدة - ٥٣] والأظهر أن المراد به في الآيات ما اشتمل على الإيمان والإسلام وغيرهما من الأعمال والأخلاق والأحوال، والمراد في الحديث المعنى الأخص فقيل: أراد به الإخلاص فإنه شرط في صحة الإيمان والإسلام. معاً لأن من تلفظ بالكلمة وجاء بالعمل من غير نية إلا لخلاص لم يكن إيمانه صحيحاً قاله في النهاية، فكأن المخلص في الطاعة يوصل الفعل الحسن إلى نفسه والمرائي يبطل عمل نفسه. والإخلاص تصفية العمل من طلب عوض وغرض عرض ورؤية رياء، والأظهر أن المراد به إحسان العمل وهو إحكامه وإتقانه، وهو يشمل الإخلاص وما فوقه من مرتبة الحضور مع الله تعالى، ونفي الشعور عما سواه ويدل عليه الجواب.

(قال أن تعبد الله) أي توحده وتطيعه في أوامره وزواجره، وفي رواية: «أن تخشى الله» ومآلهما واحد لأن العبادة أثر الخشية وهي منتجة للعبادة وهي الطاعة مع الخضوع والمذلة، قال

---

(١) ابن ماجة في مقدمة سننه ١/ ٢٩ حديث ٧٧.
(٢) لعله أبو يزيد البسطامي.

كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

الراغب: «العبادة فعل اختياري مناف للشهوات البدنية، تصدر عن نية يراد بها التقرب إلى الله تعالى طاعة للشريعة»، وقال بعض المحققين: «وهي الغاية القصوى من إبداع الخلق وإرسال الرسل، وكلما ازداد العبد معرفة ازداد عبودية، ولذا خص الأنبياء وأولو العزم بخصائص في العبادة، ولا ينفك العبد عنها ما دام حياً بل في البرزخ عليه عبودية أخرى لما سأله الملكان عن ربه ودينه ونبيه، وفي القيامة يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود، وإذا دخل الجنة كانت عبوديته سبحانك اللهم مقروناً بأنفاسه وفي كلام الصوفية: إن العبادة حفظ الحدود، والوفاء بالعهود، وقطع العلائق والشركاء عن شرك والفناء عن مشاهدتك في مشاهدة الحق وله ثلاث مراتب، لأنه إما أن يعبده رهبة من العقاب ورغبة في الثواب وهو المسمى بالعبادة وهذه لمن له علم اليقين، أو يعبده تشرُفاً بعبادته وقبول تكاليفه وتسمى بالعبودية وهذه لمن له عين اليقين، أو يعبده لكونه إلهاً وكونه عبداً والإلهية توجب العبودية وتسمى بالعبودة وهذه لمن له حق اليقين، والشرك رؤية ضر أو نفع مما سواه، وإثبات وجود غير الله ذاتاً أو صفةً أو فعلاً» **(كأنك تراه)** مفعول مطلق أي عبادة شبيهة بعبادتك حين تراه، أو حال من الفاعل أي حال كونك مشبهاً بمن ينظر إلى الله خوفاً منه وحياء وخضوعاً وخشوعاً وأدباً ووفاء وهذا من جوامع الكلم؛ فإن العبد إذا قام بين يدي مولاه لم يترك شيئاً مما قدر عليه من إحسان العمل ولا يلتفت إلى ما سواه، وهذا المعنى موجود في عبادة العبد مع عدم رؤيته فينبغي أن يعمل بمقتضاه، إذ لا يخفى أن من يرى من يعمل له العمل يعمل له أحسن ما يمكن عمله، ولا شك أن ذلك التحسين لرؤية المعمول له العامل حتى لو كان العامل يعلم أن المعمول له ينظر إليه من حيث لا يراه يجتهد في إحسانه[1] العمل أيضاً، ولذا قال: **(فإن لم تكن تراه)** أي تعامله معاملة من تراه **(فإنه يراك)** أي فعامل معاملة من يراك، أو فأحسنْ في عملك فإنه يراك، وفي رواية: «فإن لم تره» أي بأن غفلت عن تلك المشاهدة المحصلة لغاية الكمال فلا تغفل عما يجعل لك أصل الكمال، فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله، بل استمر على إحسان العبادة مهما أمكن فإنه يراك أي دائماً فاستحضر ذلك لتستحيي [منه] حتى لا تغفل عن مراقبته ولا تقصر في إحسان طاعته. وحاصل الكلام فإن لم تكن تراه مثل الرؤية المعنوية فلا تغفل فإنه يراك؛ فالفاء دليل الجواب وتعليل الجزاء، لأن ما بعدها لا يصلح للجواب، لأن رؤية الله للعبد حاصلة سواء رآه العبد أم لا، بل الجواب محذوف استغناء عنه بالمذكور لازمه، وقيل: التقدير فكن بحيث إنه يراك وهو موهم، قال السيد جمال الدين: «وليس معناه فإن لم تكن تعبد الله كأنك تراه فاعبده كأنه يراك كما ظن فإنه خطأ بين» اهـ. وأراد به الرد على الطيبي، وبيانه أن رؤية الله تعالى لنا متحققة دائماً حالة العبادة وغيرها فالتعبير بكأنه يراك خطأ والصواب فإنه يراك، ووهم بعضهم أيضاً فقال بعد قوله: كأنك تراه: أي كأنك تراه ويراك فحذف الثاني لدلالة الأول عليه وهو غلط قبيح لما تقدم، فالصواب أن يقال: وهو يراك.

(١) في المخطوطة احسان.

قال: فأخبرني عن الساعة.

وحاصل جميع الأقوال الحث على الإخلاص في الأعمال ومراقبة العبد ربه في جميع الأحوال. قال بعض العارفين: الأوّل إشارة إلى مقام المكاشفة ومعناه إخلاص العبودية ورؤية[1] الغير بنعت إدراك القلب عيان جلال ذات الحق وفنائه عن الرسوم فيه، والثاني إلى مقام المراقبة إلى الإجلال وحصول الحياء من العلم بإطلاع ذي الجلال. قيل: المعنى فإن لم تكن بأن تكون فانياً تراه باقياً فإنه يراك في كل حال من غير نقصان وزوال، وما قيل من أنه لا يساعده الرسم بالألف فمدفوع بحمله على لغة، أو على إشباع حركة، أو على حذف مبتدأ وهو أنت. وجاز حذف الفاء من الجملة الإسمية الواقعة موقع الجزاء، والمعنى أن تعبد الله في حال شعورك بوجودك لقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر - ٩٩] أي الموت بإجماع المفسرين، فإذا فنيت ومت موتاً حقيقياً تراه رؤية حقيقية وترتفع العبادات التكليفية و [التكلفية]، وإذا مت موتاً مجازياً ودخلت في حال الفناء وبقيت في مقام البقاء تراه رؤية مشاهدة غيبية تسقط عنك ثقل العبادات البدنية، أو نفس الأعمال الظاهرية عند غلبات الجذبات الباطنية، وقوله: «فإنه يراك» متعلق بالكلام السابق وإن كان له تعلق مّا أيضاً باللاحق، وإنما أطنبت في المقام لتخطئة بعض الشراح في ذلك الكلام، ولا ينافيه ما ورد في بعض الروايات: «فإنك أن لا تراه فإنه يراك»، وفي بعضها: «فإن لم تره فإنه يراك» فإن القائل بما تقدم ما ادعى المراد من الحديث المؤدي بالعبارة بل ذكر معنى يؤخذ من فحوى الكلام بطريق الإشارة، قيل: وفي قوله: «كأنك تراه» دليل لما هو الحق من أن رؤية الله تعالى في الدنيا تقع لحديث مسلم: «واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»[2]، قال الإمام مالك: «لأن البصر في الدنيا خلق للفناء فلم يقدر على رؤية الباقي بخلافه في الآخرة، فإنه لما خلق للبقاء الأبدي قوي وقدر على نظر الباقي سبحانه، فرؤيته ﷺ ليلة الإسراء بعين رأسه على القول به إما على أنه مستثنى، وإما لكونه في الملكوت الأعلى الذي لا يصدق عليه الدنيا، ونزاع المعتزلة معروف في هذه المسألة. هذا وقد جاء في كثير من الروايات أن جبريل هنا أيضاً قال: صدقت ولعل بعض الرواة لم يذكره نسياناً أو اختصاراً أو اعتماداً على المذكور، وفي بعض روايات [صحيح] مسلم وشرح السنة مسطور، وقيل: إنما لم يقل ههنا صدقت لأن الإحسان هو الإخلاص وهو سر من أسرار الله تعالى لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل كما جاء في الحديث المسلسل الرباني: «الإخلاص سر من أسراري أودعته قلب من أحببت من عبادي» اهـ. وما ذكر أولاً هو الأولى (قال فأخبرني عن الساعة) أي عن وقت قيامها لما في رواية: «متى الساعة» لا وجودها لأنه مقطوع به، وقيل: لأنه علم من قوله السابق: «واليوم الآخر» وهي جزء من أجزاء الزمان عبر بها عنها وإن طال زمنها اعتباراً بأوّل زمانها فإنها تقع بغتة، أو لسرعة حسابها، أو على العكس لطولها، أو تفاؤلاً كالمفازة للمهلكة، [أ] و لأنها عند الله كساعة عند الخلق، كذا في الكشاف. والساعة لغة مقدار غير معين من الزمان، وعرفاً جزء من أربعة وعشرين جزءاً من

---

(١) في المخطوطة عن رؤية.

(٢) مسلم ٤/ ٢٢٤٤ حديث ٢٩٣١.

قال: «ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائل».

أوقات الليل والنهار، قيل: والساعة كما تطلق على القيامة وهي الساعة الكبرى تطلق على موت أهل القرن الواحد، وهي الساعة الوسطى كما في قوله عليه الصلاة والسلام حين سألوه عن الساعة فأشار إلى أصغرهم: «إن يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم»[١] إذ المراد انقضاء عصرهم، ولذا أضاف إليهم، وعلى الموت وهي الساعة الصغرى وورد: «من مات فقد قامت قيامته»[٢].

(قال ما المسؤول عنها) أي عن وقتها، قيل: حق الظاهر أن يقول: «ما المسؤول عنه» ليرجع الضمير إلى اللام أجيب بأنه كما يقال: سألت عن زيد المسألة يقال: سألته عنها، وهو الاستعمال الأكثر، فالضمير المرفوع راجع إلى اللام والمجرور [إلى] الساعة وما نافية أي ليس الذي سئل عنها **(بأعلم من السائل)** نفي أن يكون صالحاً لأن يسأل عنه في أمر الساعة لأنها من مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو وقد قال تعالى: ﴿**أكاد أخفيها**﴾ [طه ـ ١٥] قيل: أي عن ذاتي مبالغة على سبيل الكناية لما عرف أن المسؤول عنه يجب في الجملة أن يكون أعلم من السائل فلا يقال: لا يلزم من نفي الأعلمية نفي أصل العلم عنها مع أنهما متساويان في انتفاء العلم بذلك، ومساق الكلام يقتضي أن يقول: لست أعلم بعلم الساعة منك، لكنه عدل ليفيد العموم لأن المعنى: كل سائل ومسؤول سيان في ذلك، وفي رواية: فنكس فلم يجبه، ثم أعاد فلم يجبه شيئاً، ثم رفع رأسه وقال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» والباء مزيدة لتأكيد النفي، قيل: وما أنهمه من أنهما مستويان في العلم به غير مراد فإنهما مستويان في نفي العلم به، أو في العلم بأن الله استأثر به، فتعين أن المراد استواؤهما في القدر الذي يعلمانه منه وهو نفس وجودها، وهذا وقع بين عيسى وجبريل أيضاً إلا أن عيسى كان سائلاً وجبريل مسؤولاً فانتفض بأجنحته، فقال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل رواه الحميدي عن سفيان عن[٣] مالك بن مغول عن إسماعيل بن رجاء عن الشعبي؛ فإن قلت: فلم سأل جبريل عن الساعة مع علمه بأنه لا يعلمها إلا هو؟ وما التوفيق بين الآية وبين ما اشتهر عن العرفاء من الأخبار الغيبية كما قال الشيخ الكبير أبو عبدالله في معتقده: «ونعتقد أن العبد ينقل في الأحوال حتى يصير إلى نعت الروحانية فيعلم الغيب وتطوى له الأرض ويمشي على الماء ويغيب عن الأبصار»؟ فالجواب أما عن الأول فلتنبيههم بذلك على أنه ليس له الجواب عما لا علم له به ولا الاستنكاف من قول لا أدري الذي هو نصف العلم، كما نبههم بما له الجواب عنه مما قد سلف بحسن السؤال الذي هو [نصف] العلم فتم العلم بذلك، وأما عن الثاني فلأن للغيب مبادي ولواحق فمباديه لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وأما اللواحق فهو ما أظهره الله على بعض أحبائه لوحة علمه وخرج ذلك عن الغيب المطلق وصار غيباً إضافياً؛ وذلك إذا تنوّر الروح القدسية وازداد نوريتها وإشراقها بالإعراض عن ظلمة عالم الحس وتحلية مرآة القلب عن صدأ الطبيعة،

---

(١) مسلم ٤/٢٢٦٩ حديث ٢٩٥٢ و ٢٩٥٣. (٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/٢٦٧، ٢٦٨.

(٣) في المخطوطة «بن».

قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: «أنْ تَلِدَ الأمةُ ربتها»

والمواظبة على العلم والعمل وفيضان الأنوار الإلهية حتى يقوى النور وينبسط في فضاء قلبه، فتنعكس فيه النقوش المرتسمة في اللوح المحفوظ ويطلع على المغيبات ويتصرف في أجسام العالم السفلي، بل يتجلى حينئذ الفياض الأقدس بمعرفته التي هي أشرف العطايا فكيف بغيرها (قال: فأخبرني عن أماراتها) بفتح الهمزة جمع أمارة أي علامة، وفي رواية: «عن أشراطها»[(١)] وهو جمع شَرَط بالفتح بمعنى العلامة، والمراد شيء من علاماتها الدالة على قربها ولذا قيل: أي مقدماتها، وقيل صفات شرطها: [وقيل صغار أمورها]، وفي رواية: «وسأخبرك»[(٢)]، وفي أخرى: «وسأحدثك عن أشراطها»[(٣)]، وجمع بأنه ابتدأه بقوله: «وسأخبرك» فقال السائل: «فأخبرني» ويدل عليه ما في رواية: «ولكن إن شئت نبأتك عن أشراطها» قال: «أجل»، وفي رواية: «فحدثني».

(قال أن تلد الأمة ربتها) أي من جملة علاماتها [أ] و إحدى أماراتها ولادة الأمة مالكها ومولاها، وقيل: التقدير علاماتها ولادة الأمة ورؤية الحفاة فاحتاج إلى أن يقول: أخبر عن الجمع باثنين لأنهما أقله كما يدل عليه جمع، وتأنيثها في هذه الرواية وإن ذكر في روايات أخر باعتبار التسمية ليشمل الذكور والإناث، أو فراراً من شركة لفظ رب العباد وإن جوز إطلاقه على غيره تعالى بالإضافة دون التعريف لأنه من ألفاظ الجاهلية، أو أراد البنت فيعرف الابن بالأولى، والإضافة إما لأجل أنه سبب عتقها، أو لأنه ولد ربها، أو مولاها بعد الأب. وفسر هذا القول كثير من الناس بأن السبي يكثر بعد اتساع رقعة الإسلام فيستولد الناس إماءهم فيكون الولد كالسيد لأمه لأن ملكها راجع إليه في التقدير، وذلك إشارة إلى قوّة الدين واستيلاء المسلمين؛ وهي من الأمارات لأن بلوغ الغاية منذر بالتراجع والانحطاط المؤذن بقيام الساعة، أو إلى أن الأعزة تصير أذلة لأن الأم مربية للولد مدبرة أمره فإذا صار الولد ربها سيما إذا كان بنتاً ينقلب الأمر، كما أن القرينة الثانية على عكس ذلك وهي أن الأذلة ينقلبون أعزة ملوك الأرض فيتلاءم المعطوفان، وهذا إخبار بتغير الزمان وانقلاب أحوال الناس بحيث لا يشاهد قبله، ويؤيده ما ورد من حديث أنه: «إذا ضيعت الأمانة ووُسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»[(٤)]، وقيل: سمي ولدها سيدها لأن له ولاءها بإرثه له عن أبيه إذا مات، أو أنه كسيدها لصيرورة مال أبيه إليه غالباً فتصير أمه كأنها أمته، وقيل: معناه أن الإماء تلدن الملوك فتكون أمه من جملة رعيته، وأيد بأن الرؤساء في الصدر الأوّل كانوا يستنكفون غالباً من وطء الإماء ويتنافسون في الحرائر، ثم انعكس الأمر سيما من أثناء دولة بني العباس، ويقرب منه القول بأن السبي إذا كثر قد يسبي الولد صغيراً ثم يعتق ويصير رئيساً بل ملكاً ثم يسبي أمه فيشتريها عالماً

(١) البيهقي في شعب الإيمان ١/ ٥٢ حديث ١٩.
(٢) البخاري من حديث أبي هريرة ١/ ١١٤ حديث ٥٠.
(٣) مسلم ١/ ٣٩ حديث ٩ وهي في المخطوطة عن «شرطها».
(٤) البخاري ١/ ١٤١ حديث رقم ٥٩.

وأن ترى الحفاةَ العُراةَ العالةَ رعاء الشاء يتطاولون في البنيان».

أو جاهلاً بها، ثم يستخدمها وقد يطؤها أو يعتقها ويتزوّجها، وقيل: معناه فساد الأحوال بكثرة بيع أمهات الأولاد فتردد في أيدي المشترين حتى يشتريها ابنها أو يطأها وهو لا يعلم، ويؤيده رواية: «بعلها»[1] وإن فسر بسيدها، وقيل: معناه الإشارة إلى كثرة عقوق الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الخدمة وغيرها، وخص بولد الأمة لأن العقوق فيه أغلب، وعبر في رواية البخاري «بإذا» بدل أن المفتوحة إشارة إلى تحقق الوقوع، ولذلك قالوا: يقال: إذا قامت القيامة، ولا يقال: إن بالكسر لأنه كفر لإشعاره بالشك، قال ابن حجر: «وفي جزمهم بأن ذلك كفر نظر، ويتعين حمله على من عرف هذا المعنى واعتقده وإلا فكثيراً ما يستعمل إن موضع إذا وبالعكس لأغراض بينت في علم المعاني» **(وأن ترى)** خطاب عام ليدل على بلوغ الخطب في العلم مبلغاً لا يختص به رؤية راء **(الحفاة)** بضم الحاء جمع الحافي وهو من لا نعل له **(العراة)** جمع العاري وهو صادق على من يكون بعض بدنه مكشوفاً مما يحسن. وينبغي أن يكون ملبوساً **(العالة)** جمع عائل وهو الفقير من عال يعيل إذا افتقر أو من عال يعول إذا افتقر وكثر عياله **(رعاء الشاء)** بكسر الراء والمد جمع راع كتاجر وتجار والشاء جمع شاة، والأظهر أنه اسم جنس، وفي رواية: «الإبل البهم»[2] بضمِ الباء أي السود وهو بجر الميم ورفعها وصفاً للرعاة جمع بهيم، فيكون كناية عن جهلهم وأنه لا يعرف لهم أصل من أبهم الأمر إذا لم يعرف حقيقته، وقال القرطبي: الأولى حمله على سواد اللون لأن الأدمة غالب ألوان العرب أو للإبل جمع بهماء إذ السود شرها عندهم وخيرها عندهم الحمر، ومن ثم ورد: «خير من حمر النعم»[3] وفي رواية: «البَهم»[4] بفتح الباء ولا وجه له مع ذكر الإبل بل مع حذفه الذي هو رواية مسلم إذ هو جمع بهمة وهي صغار الضأن والمعز، ورجحت هذه على تلك لأن رعاء الغنم أضعف أهل البادية بخلاف رعاء الإبل فإنهم أهل فخر وخيلاء **(يتطاولون في البنيان)** أي يتفاضلون في ارتفاعه وكثرته، ويتفاخرون في حسنه وزينته، وهو مفعول ثانٍ إن جعلت الرؤية فعل البصيرة، أو حال أن جعلتها فعل الباصرة، ومعناه إن أهل البادية وأشباههم من أهل الفاقة تبسط لهم الدنيا مُلْكاً أو مِلْكاً فيتوطنون البلاد ويبنون القصور المرتفعة ويتباهون فيها؛ فهو إشارة إلى تغلب الأراذل وتذلل الأشراف وتولي الرياسة من لا يستحقها أو تعاطي السياسة من لا يستحسنها، كما أن قوله: «أن تلد الأمة ربتها» إشارة إلى عكس ذلك، وقيل: كلاهما إشارة إلى اتساع دين الإسلام فيتناسب المتعاطفان في الكلام، ولعل تخصيصهما لجلالة[5] خطبهما ونباهة شأنهما وقرب وقوعهما. ويحتمل أن تكون الأولى إيماء إلى كثرة الظلم والفسق والجهل وبلوغها مبالغ العليا، والثانية إلى غلبة محبة الدنيا ونسيان منازل العقبى، ويقال: تطاول الرجل إذا تكبر فلا يرد ما ذكره ابن حجر من قوله: «التفاعل فيه بين أفراد العراة الموصوفين بما ذكر

(١) مسلم ١/ ٣٩ حديث (٦. ٩).
(٢) البخاري ١/ ١١٤ حديث ٥٠.
(٣) منها ما أخرجه البخاري ٧/ ٧٠ حديث ٣٧٠١.
(٤) مسلم ١/ ٤٠ حديث ١٠.
(٥) في المخطوطة «بجلالة».

قال: ثم انطلق، فلبثتُ ملياً، ثم قال لي: «يا عمر! أتدري من السائل»؟ قلتُ: اللَّهُ ورسولُه أعلم. قال: «فإنه جبريل

لا بينهم وبين غيرهم ممن كان عزيزاً فذل خلافاً لمن وهم فيه»، وقال: المعنى أن أهل البادية العارين عن القيام بالديانة بسكنون البلاد ويتخذون[١] القصور الرفيعة ويتكبرون على العباد والزهاد.

وحاصل الكلام أن انقلاب الدنيا من النظام، يؤذن بأن لا يناسب فيها المقام، فلا عيش إلا عيش الآخرة عند العقلاء الكرام، كما أنشدت الملكة حرقة بنت النعمان لما سبيت وأحضرت عند سعد بن أبي وقاص:

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا * إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

فأف لدنيا لا يدوم نعيمها * تقلب تارات بنا وتصرّف

فهنيئاً لمن جعل الدنيا كساعة، واشتغل فيها بالطاعة، قياماً بأمر الحبيب، فإن كل ما هو آت قريب، قال تعالى: **﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون﴾** [الأنبياء ـ ١ ـ ٢].

(قال) أي عمر **(ثم انطلق)** أي السائل **(فلبثت)** أي أنا، وفي رواية: «فلبث» أي هو **(ملياً)** بفتح الميم وتشديد الياء من الملاوة إذ المهموز بمعنى الغنى أي زماناً، أو مكثاً طويلاً وبينته رواية أبي داود والنسائي والترمذي قال عمر: «فلبثت ثلاثاً»، وفي رواية للترمذي: «فلقيني النبي ﷺ بعد ثلاث»، وفي أخرى: «فلبثت ليالي فلقيني النبي ﷺ بعد ثلاث»، وفي أخرى لابن حبان: «بعد ثالثة»، وفي أخرى لابن منده: «بعد ثلاثة أيام»، وفي ورود هذه الروايات رد على من وهم أن رواية ثلاثاً مصحفة من رواية ملياً والمعنى أني لم أستخبر منه[٢] عليه الصلاة والسلام مهابة، وفي شرح مسلم: «وهذا مخالف لرواية أبي هريرة من أنه عليه الصلاة والسلام ذكره في المجلس اللهم إلا أن يقال: إن عمر لم يحضر في الحال بل قام فأخبر الصحابة، ثم أخبر عمر بعد ثلاثة أيام» **(ثم قال لي يا عمر أتدري)** أي أتعلم، وفي العدول نكتة لا تخفى [**(من السائل)** أي ما يقال في جواب هذا السؤال] **(قلت الله ورسوله أعلم)** لأن الأمارات السابقة والتعجب أوقعهم في التردد، أهو بشر أم ملك، وهذا القدر يكفي في الشركة على أن اسم التفضيل كثيراً يراد به أصل الفعل من غير شركة **(قال فإنه جبريل)** أي إذا فوّضتم العلم إلى الله ورسوله فإنه جبريل على تأويل الإخبار أي تفويضكم ذلك سبب للإخبار به وقرينة المحذوف قوله الله ورسوله أعلم، فالفاء فصيحة لأنها تفصح عن شرط محذوف، وأكد الكلام لأن السائل طالب متردد، وفي رواية: «ردوه فأخذوا ليردوه فما رأوا شيئاً» قال القاضي: «وجبريل ملك متوسط بين الله ورسله، ومن خواص الملك أن يتمثل للبشر فيراه جسماً» اهـ. قيل: والسر في التوسط أن المكالمة تقتضي مناسبة بين المتخاطبين، فاقتضت الحكمة توسط جبريل ليتلقف

---

(١) في المخطوطة «يسكنون».

(٢) في المخطوطة عنه.

أتاكم يعلمكم دينكم» رواه مسلم.

الوحي بوجهه الذي في عالم القدرة من الله سبحانه تلقفاً روحانياً، أو من اللوح ويلقيه بوجهه الذي في عالم الحكمة إلى النبي ﷺ، فربما ينزل الملك إلى صورة البشر وربما يرتقي النبي ﷺ إلى رتبة الملكية، ويتعرى عن الكسوة البشرية فيرد الوحي على القلب في لبسة الجلال وأبهة الكبرياء والكمال ويأخذ بمجامعه، فإذا سُرّيَ عنه وجد المنزل ملقى في الروع[1] كما في المسموع، وهذا معنى قوله: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»[2]. ثم جبريل بكسر الجيم وفتحها مع كسر الراء بعدها ياء وبفتحها وهمزة مكسورة مع ياء وتركها أربع لغات متواترات والأوّل أشهر وأكثر (أتاكم) استئناف بيان، أو خبر لجبريل على أنه ضمير الشأن (يعلمكم دينكم) جملة حالية من الضمير المرفوع في أتاكم أي عازماً تعليمكم، فهو حال مقدرة لأنه لم يكن وقت الإتيان معلماً، أو مفعول له بتقدير اللام كما في رواية والمراد تثبيتهم على علمهم وتقريره بطريق السؤال والجواب ليتمكن غاية التمكن في نفوسهم، لأن المحصول بعد الطلب أعز من المنساق بلا تعب، وإسناد التعليم إليه مجاز لأنه السبب، وأضاف الدين إليهم لأنهم المختصون بالدين القيم دون سائر الناس، أو الخطاب مخصوص بالصحابة خصوصاً، أو عموماً فإن سائر الناس يأخذون دينهم منهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وفيه إيماء إلى أن الإيمان والإسلام والإحسان يسمى ديناً فقوله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران ـ ١٩] المراد به الكامل، وكذا قوله عزّ وجلّ: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾ [آل عمران ـ ٨٥]، وفي رواية: «أراد أن تعلموا إذا لم تسألوا» وفي أخرى: «والذي بعث محمداً بالحق ما كنت بأعلم به من رجل منكم [وإنه لجبريل]» وفي أخرى: «ثم ولى فلما لم ير طريقه»، قال النبي ﷺ: «سبحان الله هذا جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم، خذوا عنه فوالذي نفسي بيده ما شبه عليّ منذ أتاني قبل مرتي هذه وما عرفته حتى ولى» (رواه مسلم) أي عن عمر، ورواه البخاري في كتاب الزكاة مع تغيير كذا قاله بعض شراح الأربعين، وقال ابن حجر: «ولم يخرجه البخاري عن عمر لاختلاف فيه على بعض رواته»، وقال السيد جمال الدين: وقد رواه البزار في مسنده من طريق أنس بن مالك، وأبو عوانة الإسفراييني في صحيحه من طريق جرير بن عبد الله البجلي، والنسائي في سننه من طريق أبي ذر الغفاري، وأحمد بن حنبل في مسنده من طريق ابن عباس؛ وكل واحد من الطرق مشتمل على فوائد غزيرة وفرائد[3] كثيرة لم توجد في طريق عمر وأبي هريرة. وهذا حديث جليل سُمي حديث جبريل، وأم الأحاديث، وأم الجوامع، لأنه متضمن للشريعة والطريقة والحقيقة بياناً إجمالياً على الوجه الأتم الذي علم تفاصيلها من السنن النبوية والشرائع المصطفوية، على صاحبها ألوف التحية، كما أن فاتحة الكتاب تسمى أم القرآن وأم الكتاب لاشتمالها على المعاني القرآنية والحكم الفرقانية بالدلالات الإجمالية، فحديث إنما الأعمال

---

(١) في المخطوطة الروح.

(٢) البخاري ١/ ٨ حديث ٢. مسلم ٤/ ١٨١٦.

(٣) في المخطوطة «عزيزة وفوائد».

٣ ـ (٢) ورواه أبو هريرة مع اختلاف، وفيه: «وإذا رأيتَ الحُفاةَ العُراةَ الصمَّ البُكْمَ مُلوكَ الأرض في خمسٍ

[بالنيات] بمنزلة البسملة، وهذا الحديث بمنزلة الفاتحة المصدرة بالحمدلة، وهذا وجه وجيه وتنبيه نبيه لاختيارهما في صدر الكتاب ومفتتح الأبواب.

٣ ـ **(ورواه أبو هريرة)** أي هذا الحديث أيضاً **(مع اختلاف)** أي بين بعض ألفاظهما **(وفيه)** أي في مروي أبي هريرة «ردوا عليّ الرجل» فأخذوا يرادونه فلم يروا شيئاً فأخبرهم أنه جبريل ذكره ابن حجر، وتقدم الجمع عن النووي مع أن كون هذا الإخبار في المجلس غير صريح فلا ينافي ما تقدم من إعلام عمر بعد ثلاثة أيام في الصحيح، وفيه أيضاً **(وإذا رأيت الحفاة العراة الصم)** أي عن قبول الحق **(البكم)** أي عن النطق بالصدق، جُعلوا لبلادتهم وحماقتهم وعدم تمييزهم كأنه أصيبت مشاعرهم مع كونها سليمة تدرك ما ينتفعون به **(ملوك الأرض)** منصوب على أنه مفعول ثان لرأيت، أو على أنه حال والمراد بأولئك أهل البادية لما في رواية: «قال: ما الحفاة العراة، قال: العريب» مصغر العرب **(في خمس)** هو في موضع النصب على الحال أي تراهم ملوك الأرض متفكرين في خمس كلمات إذ من شأن الملوك الجهال التفكر في أشياء لا تعنيهم ولا تغنيهم، أو متعلق بأعلم أي ما المسؤول عنها بأعلم من السائل في علم خمس، فإن العلم بها مختص به تعالى، وفيه إشارة ظاهرة إلى إبطال الكهانة والتنجيم[1] ونحوهما من كل ما فيه تسوّر على علم شيء كلي أو جزئي من هذه الخمس، وإرشاد للأمة وتحذير لهم عن إتيان من يدعي علم الغيب لقوله تعالى: **﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾** [النمل ـ ٦٥] فإن قلت قد أخبر الأنبياء والأولياء بشيء كثير من ذلك فكيف الحصر؟ قلت: الحصر باعتبار كلياتها دون جزئياتها، قال تعالى: **﴿فلا يُظهِرُ على غَيبِهِ أحداً * إلا مَنِ ارْتَضى مِن رسول﴾** [الجن ـ ٢٦ ـ ٢٧] بناء على اتصال الاستثناء الذي هو الأصل وأخرج أحمد عن ابن مسعود: «أوتي نبيكم علم كل شيء سوى هذه الخمس»[2]، وأخرجه عن ابن عمر بنحوه مرفوعاً، وقال القرطبي: «من ادعى علم شيء منها غير مستند إليه عليه الصلاة والسلام كان كاذباً في دعواه»، قال: «وأما[3] ظن الغيب فقد يجوز من المنجم وغيره إذا كان

الحديث رقم ٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١/١١٤ حديث رقم ٥٠ ومسلم ١/٣٩ حديث رقم ٩.

(١) وهو يراد منه مناسبة الأرواح البشرية مع الأرواح المجردة (الجن والشياطين) والاستعلام بهم عن الأحوال الجزئية الحادثة في عالم الكون والفساد المخصوصة بالمستقبل. والتنجيم هو النظر بالنجوم. وقد حرم الإسلام ذلك كله قال الله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ [النمل: ٦٥] وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سأل ناس رسول الله ﷺ عن الكهان فقال: ليس بشيء. فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدثوننا أحياناً بشيء فيكون حقاً. فقال رسول الله ﷺ تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه. فيخلطون معها مائة كذبة».

(٢) أخرجه أحمد بمسنده ١/٣٨٦ و١/٤٤٥.

(٣) في المخطوطة «ما».

لا يعلمُهُنّ إلا الله. ثم قرأ. ﴿إنّ اللّهَ عنده علمُ السّاعةِ

عن أمر عادي وليس ذلك بعلم، وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على تحريم أخذ الأجرة والجعل وإعطائها في ذلك» اهـ. ويؤيده ما أخرجه حميد بن زنجويه: «أن بعض الصحابة ذكر العلم بوقت الكسوف قبل ظهوره فأنكر عليه، فقال: إنما الغيب خمس وتلا هذه الآية، وما عدا ذلك غيب يعلمه قوم ويجهله قوم» اهـ. وما ذكره بعض الأولياء من باب الكرامة بإخبار بعض الجزئيات من مضمون كليات الآية فلعله بطريق المكاشفة، أو الإلهام، أو المنام التي هي ظنيات لا تسمى علوماً يقينية. وقيل: الجار متعلق بمقدر أي ذكر الله ذلك في خمس، أو تجد علم ذلك في خمس، وقيل: في بمعنى مع، وقيل: بمعنى من أي من جملة خمس، وقيل: هو مرفوع المحل على الخبرية أي الساعة ثابتة، أو معدودة في خمس، ويؤيده رواية: «هي في خمس من الغيب»[1] أي علم وقت الساعة مندرج في جملة خمس كلمات (لا يعلمهن إلا الله) كما أفاده تقديم: «عنده» في الآية الآتية إذ الظرف خبر مقدم لإفادة الحصر، لأن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، وعطف «ينزل» وما بعده بتقدير أن المصدرية على الساعة، وجملة وما تدري المقصود منهما إثبات ذلك المنفي عن الغير فيهما لله تعالى. وهذا كله إنما يحتاج إليه إن لم يفسر الخمس بمفاتيح الغيب في قوله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ [الأنعام - ٥٩] وأما إذا فسرت بها فالحصر جلي لا يحتاج إلى الاستدلال عليه. واعلم أن الجواب تضمن زيادة على السؤال اهتماماً بذلك وإرشاداً للأمة لما يترتب على ذلك من المصلحة الكثيرة الفوائد العظيمة العوائد (ثم قرأ) أي النبي ﷺ ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ أي آية تلك الخمس بكمالها كما دل عليه السياق بياناً لها، ويحتمل أن يكون فاعل قرأ أبو هريرة فتكون الآية استشهاداً ومصداقاً للحديث ﴿وينزل الغيث﴾ قرىء بالتشديد والتخفيف أي وهو ينزل المطر الذي يغيث الناس في أمكنته وأزمنته لا يعلمها إلا هو (الآية) من قول أحد الرواة بالنصب [على] تقدير أعني، أو يعني، أو اقرأ، أو قرأ، أو على أنه بدل مما قبله وبالرفع أي الآية معلومة مشهورة إذا قرأها، وقيل: بالجر والتقدير قرأ، أو اقرأ إلى الآية أي آخرها، وفي رواية لمسلم: «إلى خبير»، وأخرى للبخاري: «إلى الأرحام» والأولى أولى لأن فيها زيادة ثقة وإفادة والروايتان تدلان على أن لفظة الآية ليست من قول المصنف كما ظن بعضهم وتمامها: ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ أي وهو يعلم تفصيل ما في أرحام الإناث من ذكر أو أنثى وواحد ومتعدد وكامل وناقص ومؤمن وكافر وطويل وقصير وغير ذلك، قال [الله] تعالى: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام﴾ أي تنقص ﴿وما تزداد﴾ أي من مدة الحمل والجثة والعدد ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ [الرعد - ٨] أي بقدر وحدٍ لا يتجاوزه وعدل عن العلم في قوله: ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ [لقمان - ٣٤] لأن الدراية اكتساب علم الشيء بحيلة، فإذا انتفى ذلك عن كل نفس مع كونه مختصاً بها ولم يقع منه على علم كان عدم إطلاعها على غير ذلك من باب أولى. والمراد بالنفس ذات النفس أو ذات الروح

---

(١) مسلم ١/٤٠ حديث ١٠.

﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ الآية. متفق عليه.

٤ ـ (٣) وعن ابن عمر، قال:

وبهذين المعنيين لا يجوز إطلاق النفس على الله تعالى، ولذا قيل: بالمشاكلة في قوله تعالى: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ [المائدة ـ ١١٦] وأما إذا أريد بها الذات المطلق فيصح إطلاقه على الله تعالى كما ورد: «سبحانك لا أحصي[1] ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[2] ﴿إن الله عليم﴾ أي بهذه الأشياء من جزئياتها وكلياتها خصوصاً وبغيرها عموماً ﴿خبير﴾ أي بباطنها كما أنه عالم بظاهرها، أو معناه يخبر ببعضها من جزئياتها لبعض عباده المخصوصين وقد أخبر في مواضع كتابه أن علم الساعة مما استأثر الله تعالى به، وفي رواية: «ثم أدبر فقال ردّوه فلم يروا شيئاً»[3] (متفق عليه) أي اتفق الشيخان على مروي أبي هريرة الذي فيه هذه الزيادة، لكن استدركه ميرك وقال: إلا أن البخاري لم يقل الصم البكم ملوك الأرض، بل قال في كتاب الإيمان: «وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان»، وفي كتاب التفسير: «وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس فذلك من أشراطها» وأخرجه أبو داود والنسائي بمعناه.

٤ ـ (وعن) أي وروي عن (ابن عمر رضي الله عنهما) أسلم مع أبيه بمكة وهو صغير، وأول مشاهدة الخندق على الصحيح، وكان من أهل الورع والعلم والزهد، قال جابر: «ما من[4] أحد إلا مالت به الدنيا ومال بها ما خلا عمر وابنه عبد الله»[5]، وقال نافع: «ما مات ابن عمر حتى أعتق ألف إنسان أو زاد»[6]. ولد قبل الوحي بسنة ومات سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر، وكان أوصى أن يدفن في الحل فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين. وكان الحجاج قد أمر رجلاً فسم زج[7] رمحه وزاحمه في الطريق ووضع الزج في ظهر قدمه، وذلك أن الحجاج خطب يوماً وأخر الصلاة فقال ابن عمر: أن الشمس لا تنتظرك، فقال له الحجاج: لقد هممت أن أضرب الذي في عينك قال: لا تفعل فإنك سفيه مسلط، وقيل: إنه أخفى قوله ذلك عن الحجاج ولم يسمعه؛ وكان يتقدمه في المواقف بعرفة وغيرها إلى المواضع التي كان النبي ﷺ وقف فيها، وكان ذلك يعز على الحجاج، والحاصل أنه كان يخاف عليه أن يدعي الخلافة فحصل له الشهادة وله أربع وثمانون

---

(١) في المخطوطة نحصي.

(٢) مسلم ١/٣٥٢ حديث ٤٨٦. (٣) مسلم ١/٣٩ حديث ٩.

الحديث رقم ٤: أخرجه البخاري ١/٤٩ حديث رقم ٨. ومسلم في صحيحه ١/٤٥ حديث (٢١ ـ ١٦) والنسائي في سننه ٨/١٠٧ حديث رقم ٥٠٠١. والترمذي في الجامع الصحيح ٥/٨ حديث رقم ٢٦٠٩ وأحمد في المسند ٢/٢٦.

(٤) في المخطوطة منا.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ١٢/١٤٨ حديث رقم ١٢٣٨٢ ولم يذكر عمر.

(٦) أبو نعيم في الحلية ١/٢٩٦.

(٧) الزج: الحديدة التي تركب أسفل الرمح (لسان العرب).

قال رسول الله ﷺ: «بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ: شهادةِ أنْ لا إلهَ إلا الله وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، وإقامِ الصَّلاةِ،

سنة، روى عنه خلق كثير. (قال: قال رسول الله ﷺ: بني الإسلام) هو اسم للشريعة دون الإيمان، وقد يطلق على الإذعان بالقلب والاستسلام بجميع القوى والجوارح في كل الأحوال، وهو الذي أمر به إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث قال له ربه: أسلم وهذا أخص من الأول، والمراد به الإسلام الكامل لأن حقيقته مبنية على الشهادتين فقط، وإنما اقتصر على بيان أركانه مع إيماء إلى بقية شعب إيمانه، فلا يتوجه ما قيل: إنما يصح الحديث على مذهب الشافعي وغيره من أن الإسلام عبارة عن مجموع الثلاث (على خمس) أي خمس دعائم كما في رواية، أو خصال، أو قواعد، وفي رواية لمسلم بالتاء أي خمسة أشياء، أو أركان، أو أصول، وإنما جاز هنا لحذف المعدود. شبهت حالة الإسلام مع أركانه الخمس على وجه الدوام بحال خباء أقيم على خمسة أعمدة، وقطبها الذي تدور عليه[1] الأركان هي الشهادة الناشئة عن صميم القلب الشاهد عليه لفظ الشهادة المشبهة بالعمود الوسط للخيمة، وبقية شعب الإيمان بمنزلة الأوتاد للخباء. قال الحسن رضي الله عنه في مجمع شهود جنازة للفرزدق: «ما أعددت لهذا المقام». فقال: «شهادة أن لا إله إلا الله منذ كذا سنة»، فقال الحسن: «هذا العمود فأين الأطناب»، وهو تمثيل شبه الإسلام بخيمة عمودها كلمة التوحيد والأطناب الأعمال الصالحة.

(شهادة أن لا إله إلا الله) بالجر وهو الأشهر على أنه عطف بيان، أو بدل من خمس بدل كل وهو مجموع المجرورات المتعاطفة من كل، ويصح أن يكون بدل بعض مع ملاحظة الربط قبل العطف لعدم الرابط، وبالنصب على تقدير أعني، وبالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وهو هي، أو إحداها، أو على أنه مبتدأ خبره محذوف أي منها شهادة أن لا إله إلا الله، وأن مخففة ولا نافية للجنس وإله اسمها ركب معها تركيب خمسة عشر ففتحته فتحة بناء لا إعراب خلافاً للزجاج حيث زعم أنه نصب بها لفظاً، وخبرها محذوف اتفاقاً تقديره موجود إنْ أريد بالإله المعبود بحق، وإلا فتقديره معبود بحق، وإلا حرف استثناء، وقيل: بمعنى غير، وهي مع ما بعدها صفة إله وخبره محذوف، وجوّز نصب الجلالة نعتاً لإله على أن إلا بمعنى غير، وقيل: على الاستثناء، والله مرفوع على البدلية من ضمير الخبر المستتر فيه، وقيل: بدل من اسم لا باعتبار محله قبلها، وقيل: على أنه خبر لا (وأن محمداً عبده) أي الكامل (ورسوله) أي المكمل، ولتلازم الشهادتين شرعاً جعلتا خصلة واحدة، واقتصر في رواية على إحدى الشهادتين اكتفاء أو نسياناً، قيل: وأخذ من جمعهما كذلك في أكثر الروايات أنه لا بد في صحة الإسلام من الإتيان بهما على التوالي والترتيب.

(وإقام الصلاة) أي المفروضة، وحذفت تاء الإقامة المعوّضة عن عين الفعل المحذوفة عند الإضافة لطول العبارة، هذا هو التحقيق على ما قاله الزجاج، وقيل: هما مصدران.

---

(١) في المخطوطة يدور عليها.

وإيتاءِ الزكاةِ، والحجِّ، وصوم رمضان».

(وإيتاء الزكاة) أي إعطائها وتمليكها لمصارفها، والمراد بها الصدقة المكتوبة.

(والحج) بفتح الحاء وكسرها مصدران، وفي رواية: «وحج البيت» أي قصده لأداء النسك، فاللام عوض عن المضاف إليه، وقيل: اللام للعهد الذهني والواو لمطلق الجمع، فلا يرد أن الصوم فرض قبل الزكاة وهي قبل الحج، ولعل النكتة في التقديم الذكري هي الإشارة إلى أن العبادة إما بدنية فقط، أو مالية فقط، أو مركبة منهما، أو إيماء إلى أن الطاعة المثلثة إما يومية أو سنوية أو عمرية؛ ولم يذكر الاستطاعة لشهرتها، أو لاعتبارها في كل طاعة.

(وصوم رمضان) أي أيامه بشرائط وأركان معلومة، قيل: فيه حذف شهر، وفيه أن رمضان اسم للشهر وقوله تعالى: ﴿شهر رمضان﴾ [البقرة ـ ١٨٥] إضافته بيانية، وقد ورد في بعض الروايات تقديمه على الحج وكلاهما صحيح لما تقدم ولذا قدم البخاري كتاب الحج على الصوم، والجمهور أخروه عن جميع العبادات لكون وجوبه يتعلق بآخر العمر. قال النووي: «ذكر البخاري هذا الحديث في مفتتح كتاب الإيمان ليبين أن الإسلام يطلق على الأفعال، وأن الإسلام والإيمان قد يكونان بمعنى واحد»، وقال ابن حجر: «وجه ذكر الأربعة الأخيرة مع الشهادتين، وإن توقف الدخول في الإسلام عليهما فقط التنبيه على تعظيم شأنها، وأنها أظهر شعائر الإسلام، إذ بها يتم الاستسلام، وبترك بعضها ينحل قيد الانقياد، وإن لم يؤد إلى كفر حيث لا إنكار إجماعاً إلا ما جاء عن أحمد وغيره في ترك الصلاة فإنه لدليل خاص كقوله عليه الصلاة والسلام: «من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر»[1]، ولم يذكر الجهاد لأنه فرض كفاية إلا في بعض الأحوال، والكلام في فروض العين التي هي أعظم شعائر الإسلام، ولهذا زيد في آخره في رواية: «وأن الجهاد من العمل الحسن»، قيل: وجه الحصر في تلك الخمسة أن العبادة إما فعل أو ترك، الثاني الصوم، والأول إما لساني وهو الشهادتان أو بدني وهو الصلاة، أو مالي وهو الزكاة، أو مالي وبدني وهو الحج وقدمت الشهادتان لأنهما الأصل، ثم الصلاة لأنها العماد الأعظم ومن ثم جاء في حديث: «وعمودها الصلاة»، وفي حديث: «الصلاة عماد الدين»[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت ـ ٤٥] ولذا سميت أم العبادات كما سميت الخمر أم الخبائث، ثم الزكاة لأنها قرينتها في مواضع من القرآن وللمناسبة البدنية والمالية في القرآن، ثم الحج لكونه مجمعاً للعبادتين ومحلاً للمشقتين، ولأن تاركه من غير عذر على مدرجة خاتمة السوء كما يدل عليه الحديث الذي اختلف في ضعفه وصحته: «من استطاع الحج فلم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً»، ويدل على أصالة الحديث قوله تعالى: ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ [آل عمران ـ ٩٧] حيث وضع من كفر موضع من لم يحج مع إفادة مبالغة التهديد في قوله: ﴿عن العالمين﴾ حيث عدل

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣/ ١٢٤ حديث ٥٠٠٨.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٣٩ حديث ٢٨٠٧.

متفق عليه.

٥ - (٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه،

عن عنه، وأما تأخيره عن الصوم كما في رواية صحيحة فرعاية للترتيب؛ فإن الصوم فرض في السنة الثانية والحج فرض سنة خمس أو ست أو ثمان أو تسع (**متفق عليه**) ورواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي أيضاً، والأحاديث الثلاثة المتقدمة من جملة الأحاديث الأربعينية النووية.

٥ - (**وعن أبي هريرة [رضي الله عنه]**) تصغير هرة، قال المؤلف: قد اختلف الناس في اسم أبي هريرة ونسبه اختلافاً كثيراً، وأشهر ما قيل فيه أنه كان في الجاهلية عبد شمس أو عبد عمرو، وفي الإسلام عبد الله أو عبد الرحمن وهو دوسي، قال الحاكم أبو أحمد: أصح شيء عندنا في اسم أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر، وغلبت عليه كنيته فهو كمن لا اسم له أسلم عام خيبر وشهدها مع النبي ﷺ ثم لزمه وواظب عليه راغباً في العلم راضياً بشبع بطنه، وكان يدور معه حيثما دار، وكان من أحفظ الصحابة؛ قال البخاري: روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل ما بين صحابي وتابعي، فمنهم ابن عباس وابن عمر وجابر وأنس، قيل: سبب تلقيبه بذلك ما رواه ابن عبد البر عنه أنه قال: كنت أحمل يوماً هرة في كمي فرآني رسول الله ﷺ، فقال: ما هذه، فقلت: هرة، فقال: يا أبا هريرة، وفي رواية ابن إسحاق: وجدت هرة وحملتها في كمي، فقيل لي: ما هذه، فقلت: هرة، فقيل لي: أنت أبو هريرة، ورجح بعضهم الأول، وقيل: وكان يلعب بها وهو صغير[١] وقيل: كان يحسن إليها، وقيل: المكني له بذلك والده.

ثم جر هريرة هو الأصل وصوّبه جماعة لأنه جزء علم، واختار آخرون منع صرفه كما هو الشائع على ألسنة العلماء من المحدثين وغيرهم، لأن الكل صار كالكلمة الواحدة، واعترض بأنه يلزم عليه رعاية الأصل والحال معاً في كلمة واحدة بل في لفظة، لأن أبا هريرة إذا وقعت فاعلاً مثلاً فإنها تعرب إعراب المضاف إليه نظراً للحال ونظيره خفي، وأجيب بأن الممتنع رعايتهما من جهة واحدة لا من جهتين كما هنا، وكان الحامل عليه الخفة واشتهار الكنية حتى نسي الاسم الأصلي بحيث اختلف فيه اختلافاً كثيراً حتى قال النووي: اسمه عبد الرحمن بن

الحديث رقم ٥: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٦٣ حديث رقم ٥٨ وزاد «أو بضع وستون». وروى البخاري في صحيحه ١/ ٥١ حديث رقم ٩ «الإيمان بضع وستون شعبة. والحياء شعبة من الإيمان» وأبو داود ٥/ ٥٥ حديث رقم ٤٦٧٦. والنسائي ٨/ ١١٠ حديث رقم ٥٠٠٥ والترمذي بنحوه ٥/ ١٢ حديث ٢٦١٤ وابن ماجة كذلك ١/ ٢٢ حديث رقم ٥٧ وأحمد في مسنده ٢/ ٣٧٩.

(١) أخرج الترمذي عن عبد الله بن رافع قال: قلت لأبي هريرة: لم كنيت أبا هريرة قال: اما تفرق مني؟ قلت بلى والله إني لأهابك. قال: كنت أرعى غنم أهلي فكانت لي هريرة صغيرة فكنت أضعها بالليل في شجرة. فإذا كان النهار ذهبت بها معي فلعبت بها فكنوني أبا هريرة. قال الترمذي حديث حسن غريب أخرجه في سننه ٥/ ٦٤٤ حديث رقم ٣٨٤٠.

قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمانُ بِضعٌ وسبعونَ شعبةً، فأفضلُها: قولُ لا إله إلا الله،

صخر على الأصح من خمسة وثلاثين قولاً.

وبلغ ما رواه خمسة آلاف حديث وثلثمائة وأربعة وستين والصحيح أنه توفي بالمدينة سنة تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين، ودفن بالبقيع وما قيل: إن قبره بقرب عسفان لا أصل له كما ذكره السخاوي وغيره.

(**قال: قال رسول الله ﷺ: الإيمان**) أي ثمراته وفروعه فأطلق الإيمان وهو التصديق والإقرار عليها مجازاً لأنها من حقوقه ولوازمه (**بضع وسبعون**) وفي رواية بضعة، والباء مكسورة فيهما وقد تفتح وهي القطعة، ثم استعملا في العدد لما بين الثلاثة والعشرة وفي القاموس: «هو ما بين الثلاث إلى التسع أو إلى الخمس، أو ما بين الواحد إلى الأربعة، أو من أربع إلى تسع، أو هو سبع» اهـ. ويؤيده أنه جاء في بعض الروايات: «سبع وسبعون» والذي في الأصل هو رواية مسلم جرى عليها أبو داود والترمذي والنسائي، ورواية البخاري: «بضع وستون» ورجحت بأنها المتيقن، وصوب القاضي عياض الأولى بأنها التي في سائر الأحاديث، ورجحها جماعة منهم النووي بأن فيها زيادة ثقات، واعترضه الكرماني بأن زيادة الثقة أن يزاد لفظ في الرواية، وإنما هذا من اختلاف الروايتين مع عدم تناف بينهما في المعنى إذ ذكر الأقل لا ينفي الأكثر، وأنه ﷺ أخبر أولاً بالستين، ثم أعلم بزيادة فأخبر بها، ويجاب بأن هذا متضمن للزيادة كما اعترف به الكرماني فصح ما قاله النووي؛ والأظهر والله أعلم أن المراد [به] التكثير لا التحديد، ويحمل الاختلاف على تعدد القضية ولو من جهة راوٍ واحد. وقوله (**شعبة**) هي في الأصل غصن الشجر وفرع كل أصل وأريد بها هنا الخصلة الحميدة أي الإيمان ذو خصال متعددة، وفي رواية صحيحة: «بضع وسبعون باباً»[(١)]، وفي أخرى: «أربع وستون باباً»[(٢)] أي نوعاً من خصال الكمال، وفي أخرى: «ثلاث وثلاثون شريعة، من وافى الله بشريعة منها دخل الجنة»[(٣)]، وروى ابن شاهين: «أن لله تعالى مائة خلق من أتى بخلق منها دخل الجنة»[(٤)]، وفسرت بنحو الحياء والرحمة والسخاء والتسامح وغيرها من أخلاقه تعالى المذكورة في أسمائه الحسنى وصفاته العليا (**فأفضلها**) الفاء تفصيلية، أو تفريعية، وقيل: إنها جزائية يقال لها الفصيحة أي إذا كان الإيمان ذا شعب فأفضلها (**قول لا إله إلا الله**) أي هذا الذكر فوضع القول موضعه، ويؤيده ما ورد بلفظ: «أفضل الذكر لا إله إلا الله» لا موضع الشهادة لأنها من أصله لا من شعبه، والتصديق القلبي خارج عنها بالإجماع كذا قيل، وهو مبني على جعل الإقرار شطر الإيمان، وأما على القول بأنه شرط فلا مانع من أن يكون المراد بالقول الشهادة لإنهائه عن التوحيد المتعين على كل مكلف الذي لا يصح غيره إلا بعد صحته؛ فهو الأصل الذي يبنى

---

(١) الترمذي راجع تخريج الحديث. (٢) أحمد ٢/ ٣٧٩.

(٣) أخرج البيهقي في شعب الإيمان: «الإيمان ثلاثمائة وثلاث وثلاثون شريعة من وفي الله بشريعة منهن دخل الجنة» ٦/ ٣٦٦ حديث رقم ٨٥٤٩.

(٤) وأخرج البيهقي نحوه في شعب الإيمان ٦/ ٣٦٧ حديث رقم ٨٥٥٠ إلا أنه زاد مئة وسبعة عشر.

وأدناها: إماطةُ الأذى عن الطريقِ، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان».

عليه سائر الشعب، أو لتضمنه شرعاً معنى التوحيد الذي هو التصديق والتزامه عرفاً سائر العبادات على التحقيق، ويجوز أن يكون المراد أنه أفضلها من وجه وهو أنه يوجب عصمة الدم والمال لا أنه أفضل من كل الوجوه وإلا يلزم أن يكون أفضل من الصوم والصلاة وليس كذلك، ويجوز أن يقصد الزيادة المطلقة لا على ما أضيف إليه أي المشهور من بينها بالفضل في الأديان قول لا إله إلا الله. **(وأدناها)** أي أقربها منزلة وأدونها مقداراً ومرتبةً بمعنى أقربها تناولاً وأسهلها تواصلاً من الدنو بمعنى القرب فهو ضد فلان بعيد المنزلة أي رفيعها، ومن ثم رواه ابن ماجة مكان أفضلها بلفظ: «فأرفعها»، وفي رواية: «فأقصاها»، أو من الدناءة أي أقلها فائدة لأنها دفع أدنى ضرر **(إماطة الأذى)** أي إزالته، وهو مصدر بمعنى المؤذي، أو مبالغة، أو اسم لما يؤذى به كشوكة أو حجر أو قذر، قال الحسن البصري في تفسير الأبرار: «هم الذين لا يؤذون الذر، ولا يرضون الضر»، وفي رواية: «إماطة العظم»[1] أي مثلاً **(عن الطريق)** وفي طريق أهل التحقيق أريد بالأذى النفس التي هي منبع الأذى لصاحبها وغيره؛ فالشعبة الأولى من العبادات القولية والثانية من الطاعات الفعلية، أو الأولى فعلية والثانية تركية، أو الأولى من المعاملة مع الحق والثانية من المجاملة مع الخلق، أو الأولى من التعظيم لأمر الله والثانية من الشفقة على خلق الله، أو الأولى من القيام بحق الله والثانية من القيام بحق العباد فمن قام بهما صدقاً كان من الصالحين حقاً.

(والحياء) بالمد **(شعبة)** أي عظيمة **(من الإيمان)** أي من شعبه، والمراد به الحياء الإيماني، وهو خلق يمنع الشخص من الفعل القبيح بسبب الإيمان كالحياء عن كشف العورة والجماع بين الناس، لا النفساني الذي خلقه الله في النفوس، وهو تغير وانكسار يعتري المرء من خوف ما يلام ويعاب عليه، وإنما أفرد من سائر الشعب لأنه الداعي إلى الكل فإن الحي يخاف فضيحة الدنيا وفظاعة العقبى فينزجر عن المناهي ويرتدع عن الملاهي. ولذا قيل: حقيقة الحياء أن مولاك لا يراك حيث نهاك، وهذا مقام الإحسان المسمى بالمشاهدة الناشىء عن حال المحاسبة والمراقبة، فهذا الحديث الجليل مجمل حديث جبريل، فأفضلها مشير إلى الإيمان، وأدناها مشعر إلى الإسلام، والحياء موم إلى الإحسان، ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام: «استحيوا من الله حق الحياء، قالوا: إنا لنستحي من الله حق الحياء يا رسول الله والحمد لله، قال: ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن يحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى ويذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا وآثر الآخرة على الأولى، فمن يعمل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء»[2] رواه الترمذي وصح: «الحياء خير كله»[3]، قال ابن حبان: «تتبعت معنى هذا الحديث مدة وعددت الطاعات فإذا هي تزيد على البضع والسبعين شيئاً كثيراً، فرجعت إلى السنة فعددت كل طاعة عدها رسول الله ﷺ من الإيمان فإذا

---

(١) أبو داود راجع تخريج الحديث.
(٢) أخرجه الترمذي ٤/ ٥٥٠ حديث رقم ٢٤٥٨.
(٣) مسلم ١/ ٦٤ حديث (٦١ . ٣٧).

متفق عليه.

هي تنقص، فضممت ما في الكتاب والسنة فإذا هي سبع وسبعون فعلمت أنه المراد»، قال السيوطي: قد تكلف جماعة عدها بطريق الاجتهاد يعني البيضاوي والكرماني وغيرهما وأقربهم عداً بن حبان حيث ذكر كل خصلة سميت في الكتاب أو السنة إيماناً، وقد تبعه شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر في شرح البخاري وتبعناهما، وذلك الإيمان بالله وصفاته، وحدوث ما دونه وبملائكته وكتبه ورسله والقدر، وباليوم الآخر، ومحبة الله والحب في الله والبغض فيه، ومحبة النبي ﷺ واعتقاد تعظيمه، وفيه الصلاة عليه واتباع سنته، والإخلاص وفيه ترك الرياء والنفاق، والتوبة والخوف، والرجاء والشكر، والوفاء والصبر والرضا بالقضاء، والحياء والتوكل والرحمة والتواضع، وفيه توقير الكبير ورحمة الصغير، وترك الكبر والعجب، وترك الحسد والحقد، وترك الغضب، والنطق بالتوحيد وتلاوة القرآن وتعلم العلم وتعليمه والدعاء والذكر، وفيه الاستغفار واجتناب اللغو والتطهر حساً وحكماً، وفيه اجتناب النجاسات وستر العورة والصلاة فرضاً ونفلاً، والزكاة كذلك، وفك الرقاب والجود، وفيه الإطعام والضيافة، والصيام فرضاً ونفلاً والاعتكاف والتماس ليلة القدر، والحج والعمرة والطواف، والفرار بالدين وفيه الهجرة، والوفاء بالنذر والتحري في الإيمان وأداء الكفارات، والتعفف بالنكاح والقيام بحقوق العيال، وبر الوالدين وتربية الأولاد وصلة الرحم، وطاعة السادة والرفق بالعبيد، والقيام بالإمرة مع العدل، ومتابعة الجماعة وطاعة أولي الأمر، والإصلاح بين الناس وفيه قتال الخوارج والبغاة والمعاونة على البر وفيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود والجهاد وفيه المرابطة، وأداء الأمانة ومنها الخمس، والقرض مع وفائه، وإكرام الجار وحسن المعاملة وفيه جمع المال من حله، وإنفاق المال في حقه وفيه ترك التبذير والسرف، ورد السلام وتشميت العاطس، وكف الضرر عن الناس، واجتناب اللهو، وإماطة الأذى عن الطريق» اهـ. ما ذكره السيوطي في كتابه النقاية وأدلتها مذكورة في شرحها إتمام الدراية وتجيء في هذا الكتاب متفرقة؛ ولكن ذكرتها لك مجملة لتتأمل فيها مفصلة، فما رأيت نفسك متصفة بها فاشكر الله على ذلك، وما رأيت على خلافها فاطلب من الله التوفيق على تحصيل ما هنالك، لأن من وجدت فيه هذه الشعب فهو مؤمن كامل، ومن نقص منه بعضها فهو مؤمن ناقص.

وأغرب النووي حيث قال: الحديث نص في إطلاق اسم الإيمان الشرعي على الأعمال، وتعقبه ابن حجر وقال: «تمسك به القائلون بأن الإيمان فعل جميع الطاعات، والقائلون بأنه مركب من الإقرار والتصديق والعمل، وليس كما زعموا لأن الكلام في شعب الإيمان لا في ذاته، إذ التقدير شعب الإيمان حتى يصح الإخبار عنه ببسعون شعبة إذ يرجع حاصله في الحقيقة إلى أن شعب الإيمان كذا وشعب الشيء غيره» اهـ. وفي الحديث تشبيه الإيمان بشجرة ذات أغصان وشعب كما أن في القرآن تشبيه الكلمة الدالة على حقيقة الإيمان بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، أي أصلها ثابت في القلب وفرعها أي شعبها مرفوعة في السماء. (متفق عليه) قال ميرك: وفيه نظر لأن قوله: «بضع وسبعون شعبة» من أفراد مسلم،

٦ - (٥) وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلمُ من سَلِمَ المسلمونَ من لِسانِهِ ويدِهِ».

وفي البخاري: «بضع وستون شعبة» وكذا قوله: «فأفضلها» إلى قوله: «عن الطريق» من أفراد مسلم فلا يكون متفقاً عليه، ورواه الأربعة أيضاً إلا أن الترمذي أسقط قوله: «والحياء شعبة من الإيمان» اهـ. وذكر العيني أن قوله: «بضع وسبعون» من طريق أبي ذر الهروي، وقال السيوطي: «بضع وستون، أو بضع وسبعون شعبة» رواه البخاري هكذا على الشك من حديث أبي هريرة، ورواه أصحاب السنن الثلاثة بلفظ: «بضع وسبعون» بلا شك، وأبو عوانة في صحيحه بلفظ: «ست وسبعون»، أو «سبع وسبعون» والترمذي بلفظ: «أربع وستون» اهـ. فيؤول كلام المصنف بأن أصله من روايتهما دون زيادة: «فأفضلها» الخ.

٦ - **(وعن عبد الله بن عمرو)** وكتب بالواو ليتميز عن عمر، ومن ثمة لم يكتب حالة النصب لتميزه عنه بالألف، وهو ابن العاص القرشي **(رضي الله عنهما)** أسلم قبل أبيه وتوفي بمكة، أو الطائف، أو مصر سنة خمس وستين، أو ثلاث وسبعين، وبينه وبين أبيه في السن إحدى عشرة سنة كما جزم به بعضهم، قيل: وهذا من خواصه كذا ذكره ابن حجر، وقال المصنف: كان أبوه أكبر منه بثلاث عشر سنة، وقيل: باثنتي عشر سنة. وكان غزير العلم كثير الاجتهاد في العبادة، عمي آخر عمره، وكان أكثر حديثاً من أبي هريرة لأنه كان يكتب لكن ما رُوي عنه وهو سبعمائة حديث قليل بالنسبة لما رُوي عن أبي هريرة، قال المصنف: كان ممن قرأ الكتب، واستأذن النبي ﷺ في أن يكتب حديثه فأذن له.

(قال: قال رسول الله ﷺ: المسلم) أي الكامل لما تقدم من معنى الإسلام، أو المسلم الحقيقي المتصف بمعناه اللغوي **(من سلم المسلمون)** أي والمسلمات إما تغليباً، وإما تبعاً ويلحق بهم أهل الذمة حكماً وفي رواية ابن حبان: «من سلم الناس» **(من لسانه)** أي بالشتم واللعن والغيبة والبهتان والنميمة والسعي إلى السلطان وغير ذلك حتى قيل: أوّل بدعة ظهرت قول الناس الطريق الطريق **(ويده)** بالضرب والقتل والهدم والدفع والكتابة بالباطل ونحوها، وخُصّا لأن أكثر الأذى بهما، أو أريد بهما مثلاً وقدم اللسان لأن الإيذاء به أكثر وأسهل ولأنه أشد نكاية كما قال:

جراحات السنان لها التئامٌ * ولا يلتام ما جرح اللسان

ولأنه يعم الأحياء والأموات، وابتلي به الخاص والعام خصوصاً في هذه الأيام، وعبر به دون القول ليشمل إخراجه استهزاء بغيره، وقيل: كنى باليد عن سائر الجوارح لأن سلطنة الأفعال إنما تظهر بها، إذ بها البطش والقطع والوصل والمنع والأخذ، فقيل في كل عمل: هذا مما عملته أيديهم وإن لم يكن وقوعه بها، وفيه أن الأيدي واليدين توضعان موضع الأنفس

الحديث رقم ٦: أخرجه البخاري ١/ ٥٣ حديث رقم ١٠. ومسلم ١/ ٦٥ حديث (٦٥ - ٤١). وأبو داود في سننه ٣/ ٩ حديث رقم ٢٤٨١. والنسائي في سننه ٨/ ١٠٥ حديث رقم ٤٩٩٦ وأحمد ٢/ ١٨٧.

والمهاجرُ من هَجَرَ ما نهى اللَّهُ عنه» هذا لفظ البخاري. ولمسلم قال: «إن رجلاً سأل النبيّ ﷺ: أيّ المسلمين خير؟ قال: من سَلِمَ المسلمونَ من لسانِهِ ويدِهِ».

٧ ـ (٦) وعن أنسٍ رضي الله عنه،

والنفس لأن أكثر الأفعال يزاول[١] بهما ولا يعرف استعمال اليد المفردة بهذا المعنى. ثم الحد والتعزير وتأديب الأطفال والدفع لنحو الصيال[٢] ونحوها فهي استصلاح وطلب للسلامة، أو مستثنى شرعاً، أو لا يطلق عليه الأذى عرفاً (والمهاجر) أي الكامل، أو حقيقة لشموله[٣] أنواع الهجرة لأن فضله على الدوام (من هجر) أي ترك (ما نهى الله عنه) أي في الكتاب، أو السنة، وفي رواية: «ما حرم الله عليه» وأريد بالمفاعلة المبالغة حيث لم تصح المغالبة (هذا لفظ البخاري) ورواه أبو داود والنسائي.

(ولمسلم) أي في صحيحه بعضه، فإنه أخرج شطره الأوّل عن جابر مرفوعاً بلفظه، وبمعناه عن عبد الله بن عمرو (قال: إن رجلاً سأل النبي) وفي نسخة رسول الله (ﷺ أي المسلمين) أي أيُّ أفراد هذا الجنس، أو أيُّ قسمي هذا النوع (خير) أي أفضل وأكمل (قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده) ورواه البخاري بلفظ أي الإسلام أفضل، قال: «من سلم» الخ أي إسلام من سلم، وقيل: لكون أي لا تدخل إلا على متعدد كان فيه حذف تقديره أي أصحاب الإسلام، [وقيل: أي خصال الإسلام]، وقيل: الإسلام بمعنى المسلم كعَدْل بمعنى عادل مبالغة، وفرق بين خير وأفضل مع أن كلاهما أفعل تفضيل بأن الأوّل من الكيفية إذ هو النفع في مقابلة الشر والمضرة، والثاني من الكمية إذ هو كثرة الثواب في مقابلة القلة، وفي الروايتين جميعاً دلالة على أن المسلم في الرواية السابقة المراد بها الكامل، ومن ثم قال الخطابي: إن هذا على حد قولهم: الناس العرب أي هم أفضل الناس، فههنا المراد أفضل المسلمين من جمع إلى أداء حقوق الحق أداء حقوق الخلق، والاقتصار على الثاني إما لأن الأوّل مفهوم بالطريق الأولى، أو لأن تركه أقرب إلى العفو، أو لأن الثاني يتعلق به الحقان فخص للاهتمام والاعتناء به ولحصول السلامة الدنيوية والأخروية بوجوده، أو إشارة إلى أن علامة الإسلام هي السلامة من إيذاء الخلائق كما أن الكذب والخيانة وخلف الوعد علامة المنافق.

٧ ـ (وعن أنس رضي الله عنه) أي ابن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي النجاري بنون مفتوحة قبل جيم مشددة، خادم رسول الله ﷺ عشر سنين بعد ما قدم رسول الله ﷺ المدينة

(١) في المخطوطة يزال.
(٢) الصيال الذي يضرب الناس ويتطاول عليهم.
(٣) في المخطوطة لشمول.

الحديث رقم ٧: أخرجه البخاري ١/ ٥٨ حديث رقم ١٤ ومسلم في صحيحه ١/ ٦٧ حديث (٦٩ . ٤٤) والنسائي في سننه ٨/ ١١٤ حديث رقم ٥٠١٣. وابن ماجة في سننه ١/ ٢٦ حديث رقم ٦٧. وأحمد في مسنده ٣/ ٢٠٧.

قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمنُ أحدُكُم حتّى أكونَ أحبَّ إليهِ من والدِهِ وولدِهِ والناسِ أجمعين».

وهو ابن عشر سنين، وقالت أمه: يا رسول الله خويدمك ادع الله له، فقال: اللهم بارك في ماله وولده، وأطل عمره واغفر ذنبه، فقال: لقد دفنت من صلبي مائة إلا اثنين، وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرتين ولقد بقيت حتى سئمت الحياة، وأنا أرجو الرابعة أي المغفرة قيل: عمر مائة سنة وزيادة وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة سنة ثلاث وتسعين، انتقل إلى البصرة في خلافة عمر ليفقه الناس، روى عنه خلق كثير وكنيته أبو حمزة وهي اسم بقلة حِرِّيفية، ومنه حديث أنس: كناني رسول الله ﷺ ببقلة كنت أجتنيها.

(قال: قال رسول الله ﷺ: **لا يؤمن أحدكم**) وفي رواية: «الرجل»، وفي أخرى: «أحد» وهي أشمل منهما والأولى أخص، أي إيماناً كاملاً (**حتى أكون**) بالنصب بأن مضمرة وحتى جارة (**أحب إليه**) أفعل التفضيل بمعنى المفعول، وللتوسع في الظرف قدم الجار على معمول أفعل وهو قوله (**من والده**) أي أبيه وخص عن الأم لأنه أشرف فمحبته أعظم، أو المراد به ما يشملهما وهو ذو ولد (**وولده**) أي الذكر والأنثى وقدم الوالد لأنه أشرف وأسبق في الوجود، وتقديم الولد في رواية النسائي لأن محبته أكثر وخُصّا لأنهما أعز من غيرهما غالباً، وأبدلا في رواية: «بالمال والأهل» تعميماً لكل ما تحبه النفس؛ فذكرهما إنما هو على سبيل التمثيل وكأنه قال: «حتى أكون أحب إليه من جميع أعزته»، ومن ثم أكد ذلك تأكيداً واستغراقاً بقوله (**والناس أجمعين**) عطفاً للعام على الخاص.

ثم النفس داخلة في هذا العموم لغةً وإن كانت خارجة عرفاً لما سيأتي في الحديث الآتي الموافق لقوله تعالى: ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾ [الأحزاب - ٦] وقوله تعالى: ﴿**قل إن كان آباؤكم**﴾ الآية [التوبة - ٢٤]، وليس المراد الحب الطبيعي لأنه لا يدخل تحت الاختيار و﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾، بل المراد الحب العقلي الذي يوجب إيثار ما يقتضي العقل رجحانه ويستدعي اختياره وإن كان على خلاف الهوى كحب المريض الدواء فإنه يميل إليه باختياره ويتناوله بمقتضى عقله لما علم وظن أن صلاحه فيه. وإن نفر عنه طبعه، مثلاً لو أمره ﷺ بقتل أبويه وأولاده الكافرين، أو بأن يقاتل الكفار حتى يكون شهيداً لأحب أن يختار ذلك لعلمه أن السلامة في امتثال أمره ﷺ، أو المراد الحب الايماني الناشىء عن الإجلال والتوقير والإحسان والرحمة، وهو إيثار جميع أغراض المحبوب على جميع أغراض غيره حتى القريب والنفس. ولما كان ﷺ جامعاً لموجبات المحبة من حسن الصورة والسيرة وكمال الفضل والإحسان ما لم يبلغه غيره استحق أن يكون أحب إلى المؤمن من نفسه فضلاً عن غيره، سيما وهو الرسول من عند المحبوب الحقيقي الهادي إليه والدال عليه والمكرم لديه، قال القاضي: «ومن محبته نصر سنته والذب عن شريعته، وتمني إدراكه في حياته ليبذل نفسه وماله دونه» اهـ. وممن ارتقى إلى غاية هذه المرتبة ونهاية هذه المزية سيدنا عمر رضي الله عنه، فإنه لما سمع هذا الحديث أخبر بالصدق حتى وصل ببركة صدقه إلى كمال ذلك، فقال بمقتضى الأمر الطبيعي: «لأنت يا رسول الله أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال: لا والذي نفسي

متفق عليه.

بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال عمر: فإنك الآن [والله] أحب إليّ من نفسي، فقال: الآن يا عمر [تم إيمانك]» رواه البخاري، وهو يحتمل احتمالين أحدهما: أنه فهم أوّلاً أن المراد به الحب الطبيعي، ثم علم أن المراد الحب الإيماني والعقلي فأظهر بما أضمر، وثانيهما: أنه أوصله الله تعالى إلى مقام الأتم ببركة توجهه عليه الصلاة والسلام فطبع في قلبه حبه حتى صار كأنه حياته ولبه، ولهذا[1] قيل: فهذه المحبة منه رضي الله عنه ليست اعتقاد الأعظمية فحسب لأنها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك قطعاً، بل أمر يترتب على ذلك به يفنى المتحلي به عن حظ نفسه، وتصير خالية عن غير محبوبه، قال القرطبي: وكل من صح إيمانه به عليه الصلاة والسلام لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، وإن استغرق بالشهوات وحجب بالغفلات في أكثر الأوقات، بدليل أنا نرى أكثرهم إذا ذكر ﷺ اشتاق إلى رؤيته وآثرها على أهله وماله وولده ووالده، وأوقع نفسه في المهالك والمخاوف مع وجدانه من نفسه الطمأنينة بذلك وجداناً لا تردد فيه، وشاهد ذلك في الخارج إيثار كثيرين لزيارة قبره الشريف ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر لما وقر في قلوبهم من محبته، غير أن قلوبهم لما توالت غفلاتها وكثرت شهواتها كانت في أكثر أوقاتها مشتغلة بلهوها، ذاهلة عما ينفعها، ومع ذلك هم في بركة ذلك النوع من المحبة فيرجى لهم كل خير إن شاء الله تعالى، ولا شك أن حظ الصحابة رضي الله عنهم من هذا المعنى أتم، لأنه ثمرة المعرفة وهم بقدره ومنزلته أعلم، وقال النووي: «في الحديث تلميح إلى صفة النفس المطمئنة والأمارة؛ فمن رجح جانب نفسه المطمئنة كان حبه عليه الصلاة والسلام راجحاً، ومن رجح جانب نفسه الأمارة كان بالعكس» اهـ. واللوّامة حالة بينهما مترتبة عليهما ولذا لم يذكرها معهما **(متفق عليه)** ورواه أحمد والنسائي وابن ماجة، قال النووي: مذهب أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحداً دخل الجنة قطعاً على كل حال، فإن كان سالماً عن المعاصي كالصغير والمجنون الذي اتصل جنونه بالبلوغ، والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث بعد توبته، والموفق الذي ما لمّ بمعصية قط، فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلاً لكنهم يردونها على الخلاف في الورود، والصحيح أن المراد به المرور على الصراط، وهو جسر منصوب على ظهر جهنم نعوذ بالله منها، وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى؛ إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه بالقدر الذي يريده سبحانه، ثم يدخل الجنة فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل، كما لا يدخل الجنة من مات على الكفر ولو عمل ما عمل من أعمال البر، وهذا هو المذهب الذي تظاهرت عليه أدلة الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به بحيث حصل العلم القطعي، فإن خالفه ظاهر حديث وجب تأويله جمعاً بين الأدلة.

---

(١) في المخطوطة لذا.

٨ - (٧) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ من كنَّ فيهِ وجدَ [بهنَّ] حلاوةَ الإيمانِ: من كان اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه مما سِواهُما،

٨ - **(وعنه)** أي عن أنس **(قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاث من كن فيه)** مبتدأ والشرطية خبر وجاز مع أنه نكرة لأن التقدير: خصال ثلاث، قال ابن مالك: مثال الابتداء بنكرة هي وصف قول العرب ضعيف عاذ بحرملة أي إنسان ضعيف التجأ إلى ضعيف، والحرملة شجرة ضعيفة، أو ثلاث خصال والتنوين عوض عن المضاف إليه على ما قاله ابن حجر، وفيه أنه لم يعرف هذا في غير كل وبعض، أو تنوينه للتعظيم فساغ الابتداء به، ويجوز أن تكون الشرطية صفة لثلاث ويكون الخبر من كان والمعنى: ثلاث من وجدن واجتمعن فيه **(وجد)** أي أدرك وصادف وذاق **(بهن)** أي بسبب وجودهن في نفسه **(حلاوة الإيمان)** أي لذته ورغبته، زاد النسائي: «وطعمه» وأوثرت الحلاوة لأنها أظهر اللذات الحسية، وقد ورد: «إن حلاوة الإيمان إذا دخلت قلباً لا تخرج منه أبداً» ففيه إشارة إلى بشارة حسن الخاتمة له، وقيل: معنى حلاوة الإيمان استلذاذاً الطاعات وإيثارها على جميع الشهوات والمستلذات، وتحمل المشاق في مرضاة الله ورسوله، وتجرّع المرارات في المصيبات، والرضا بالقضاء في جميع الحالات، وفيه تلميح إلى قصة الصحيح الذي يدرك الطعوم على ما هي عليه، والمريض الصفراوي الذي يضده إذ يجد طعم العسل من نقص ذوقه بقدر نقص صحته، فالقلب السليم من أمراض الغفلة والهوى يذوق طعمه ويتلذذ منه، ويتنعم به كما يذوق الفم طعم العسل وغيره من لذيذ الأطعمة ويتنعم بها، بل تلك اللذة الإيمانية أعلى فإن في جنبها يترك لذات الدنيا بل جميع نعيم الأخرى.

(من كان) لا بد من تقدير مضاف قبله لأنه على الوجه الأوّل أما بدل، أو بيان، أو خبر لمبتدأ محذوف هو هي، أو هن، أو إحداها، وعلى الثاني خبر أي محبة من كان **(الله ورسوله أحب إليه)** بالنصب على أنه خبر وإفراده لأنه وصل بمن، والمراد الحب الاختياري المذكور **(مما سواهما)** يعم ذوي العقول وغيرهم من المال والجاه وسائر الشهوات والمرادات، وقد جمع النبي ﷺ بين الله ونفسه بلفظ الضمير في ما سواهما مع نهيه عنه قائلاً: «ومن عصاهما فقد غوى» لأنه قد يجوز له ما لا يجوز لغيره، ولذا قال عليه الصلاة والسلام في خطبة النكاح: «من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فلا يضر إلاّ نفسه»، ووجه التخصيص أنه لا يتطرق إليه إيهام التسوية بخلاف غيره لو جمع، وإليه مال ابن عبد السلام، ولذا قيل: العمل بخبر المنع أولى لأن الخبر الآخر يحتمل الخصوص، ولأنه قول والثاني فعل، وقيل: تثنية الضمير هنا للإيماء إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة فإنها وحدها ضائعة لاغية، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم**

الحديث رقم ٨: أخرجه البخاري ١/ ٦٠ حديث رقم ١٦. ومسلم في صحيحه ١/ ٦٦ حديث (٦٧ . ٤٣). والنسائي ٨/ ٩٦ حديث رقم ٤٩٨٨ والترمذي ٥/ ١٦ حديث رقم ٢٦٤٤. وابن ماجة ٢/ ١٣٣٨ حديث رقم ٤٠٣٣ وأحمد في مسنده ٣/ ١٧٢.

ومَنْ أحبَّ عبداً لا يُحبُّهُ إلا للهِ، ومن يكرهُ أن يعودَ في الكُفرِ بعد أن أنقذَهُ اللَّهُ منه كما يكرهُ أن يُلقى في النارِ».

الله﴾ [آل عمران ـ ٣١]، والأمر بالإفراد هنالك للإشعار بأن كلاً من العصيانين مستقل باستلزام الغواية، فإن العطف يفيد تكرير العامل واستقلاله بالحكم، فهو في قوّة التكرار فكأنه قال: من عصى الله فقد غوى، ومن عصى رسوله فقد غوى، لا يقال: عصيان أحدهما عصيان للآخر فلا يتصوّر الانفراد لأنا نقول كذلك، لكن المراد تفظيع المعصية بأنه لو فرض وجودها من رسوله وحده لكانت مستقلة بالإغواء فكيف وهي لا توجد إلا[1] منهما وهو معنى دقيق في غاية التحقيق، وفيه إيماء لطيف وإنهاء شريف إلى أن المحبة مادة الاجتماع على وجه الكمال بحيث إنه لا يحتمل المغايرة ولذا قيل:

* أنا من أهوى ومن أهوى أنا *

والمخالفة موجبة للافتراق ولذا قال: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ [الكهف ـ ٧٨] ولتلك المحبة علامات من أظهرها ما أشار إليه يحيى بن معاذ الرازي بقوله: حقيقة المحبة أن لا تزيد بالعطاء، ولا تنقص بالجفاء، ولا يتم هذا إلا لصديق جذبته أزمة العناية حتى أوقفته على عتبة الولاية، وأحلته في رياض الشهود المطلق، فرأى أن محبوبه هو الحق وما سواه باطل محقق.

(ومن أحب) أي وثانيتهما محبة من أحب (عبداً) أي موسوماً بالعبودية لله حراً كان أم مملوكاً (لا يحبه) أي لشيء (إلا لله) والاستثناء مفرغ، أي لا يحبه لغرض وعرض وعوض، ولا يشوب محبته حظ دنيوي ولا أمر بشري، بل محبته تكون خالصة لله تعالى، فيكون متصفاً بالحب في الله وداخلاً في المتحابين لله. والجملة حال من الفاعل، أو المفعول، أو منهما.

(ومن يكره) أي وثالثتهما كراهة من يكره (أن يعود) أي يرجع، أو يتحول (في الكفر) وقيل أن يصير بدليل تعديته بفي على حد ﴿أو لتعودن في ملتنا﴾ [الأعراف ـ ٨٨] فيشمل من لم يسبق له كفر أيضاً ولا ينافيه قوله (بعد أن أنقذه الله منه) أي أخلصه ونجاه من الكفر لأن أنقذ بمعنى حفظ بالعصمة ابتداء بأن يولد على الإسلام، ويستمر بهذا الوصف على الدوام، أو بالإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، أو لا يشمله ولكنه مفهوم من طريق المساواة بل الأولى. وفيه إيماء إلى قوله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ [البقرة ـ ٢٥٧] أي بهدايته وتوفيقه، فهو يعم الابتداء والانتهاء (كما يكره أن يلقى في النار) أي وكراهة من يكره الصيرورة في الكفر مثل كراهة الرمي والطرح في النار، وفي رواية البخاري: «حتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه»[2]، وفي أخرى لهما: «من كان يكره أن يلقى في النار أحب إليه من أن يرجع إليه يهودياً أو نصرانياً»[3]، وفي رواية النسائي: «وأن توقد نار عظيمة فيقع فيها أحب إليه من أن يشرك بالله شيئاً» يعني أن

---

(١) في المخطوطة إلى.

(٢) البخاري في صحيحه ١٠/٤٦٣ حديث رقم ٦٠٤١.

(٣) مسلم ١/٦٦ حديث (٦٨ ـ ٤٣).

متفق عليه.

٩ ـ (٨) وعن العباس بن عبد المطلب، قال: قال رسول الله ﷺ: «ذاقَ طعْمَ الإيمانِ من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ رسولاً»

الوقوع في نار الدنيا أولى بالإيثار من العود في الكفر. وفيه إيماء إلى قول السادة الصوفية: الحجاب أشد العذاب.

ثم اعلم أن الخصلتين الأوليين من أبواب التحلي بالفواضل والفضائل، والخصلة الأخيرة من أنواع التخلي من الرذائل؛ ففيها تحثيث وتحريض، وترغيب وتحريص على تحصيل بقية الشمائل، وإيماء إلى أن المذكورات أمهات لغير المسطورات. **(متفق عليه)** ورواه أحمد والنسائي والترمذي وابن ماجة بلفظ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان؛ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار» كذا في الجامع الصغير للسيوطي.

٩ ـ **(وعن العباس بن عبد المطلب)** أي عم النبي ﷺ، وكان أسن من النبي ﷺ بسنتين. ومن لطافة فهمه ومتانة علمه أنه لما سئل: أنت أكبر أم النبي ﷺ؟ قال: هو أكبر وأنا أسن. وأمه أول امرأة كست الكعبة الحرير والديباج وأصناف الكسوة؛ وذلك أن العباس ضل وهو صبي فنذرت إنْ وجدته أن تكسو البيت الحرام فوجدته ففعلت ذلك. وكان العباس رئيساً في الجاهلية، وإليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية؛ أما السقاية فهي معروفة بسقاية الحاج، وأما العمارة فإنه كان يحمل قريشاً على عمارته وبالخير وترك السباب فيه وقول الهجر. قال مجاهد: «عتق العباس عند موته سبعين مملوكاً».

ولد قبل سنة الفيل، ومات يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من رجب سنة اثنتين وثلاثين، وهو ابن ثمان وثمانين، ودفن بالبقيع. وكان أسلم قديماً وكتم إسلامه وخرج مع المشركين يوم بدر مكرهاً، فقال النبي ﷺ: «من لقي العباس فلا يقتله فإنه خرج مكرهاً»، فأسره أبو اليسر كعب بن عمرو، ففادى نفسه ورجع إلى مكة، ثم أقبل إلى المدينة مهاجراً وروى عنه جماعة.

(قال: قال رسول الله ﷺ: ذاق طعم الإيمان) أي نال وأدرك وأصاب ووجد حلاوته ولذته؛ وأصل الذوق وجود أدنى طعم في الفم، والمراد به الذوق المعنوي، وأغرب ابن حجر حيث قال: ذوقاً حسياً، أو معنوياً **(من رضي)** أي قنع نفسه وطاب قلبه وانشرح صدره واكتفى **(بالله رباً)** أي مالكاً وسيداً ومتصرفاً، ونصبه على التميز وكذا أخواته **(وبالإسلام)** أي الشامل للإيمان **(ديناً)** عطف عام على خاص **(وبمحمد ﷺ)** والظاهر أنه ملحق وليس لفظ النبوة **(رسولاً)** عطف خاص على عام، والمقصود من الرضا الانقياد الباطني والظاهري، والكمال أن يكون صابراً على بلائه وشاكراً على نعمائه، وراضياً بقدره وقضائه ومنعه

الحديث رقم ٩: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٦٢ حديث رقم (٥٦ ـ ٣٤). والترمذي ٥/ ١٦ حديث ٢٦٢٣ وأحمد في مسنده ١/ ٢٠٨.

رواه مسلم.

١٠ - (٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ، لا يسمعُ بي

وإعطائه[١]، وأن يعمل بجميع شرائع الإسلام بامتثال الأوامر واجتناب الزواجر، وأن يتبع الحبيب حق متابعته في سننه وآدابه وأخلاقه ومعاشرته، والزهد في الدنيا والتوجه الكلي إلى العقبى (رواه مسلم) وكذا أحمد والترمذي، وأخرج الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر مرفوعاً: «ألظوا ألسنتكم قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأن الله ربنا والإسلام ديننا ومحمداً نبينا، فإنكم تسئلون عنها في قبوركم»، قال السيوطي في سنده عثمان بن مطر.

١٠ - (وعن أبي هريرة [رضي الله عنه]) مر ذكره (قال: قال رسول الله ﷺ: والذي) أي والله الذي (نفس محمد) أي روحه وذاته وصفاته وحالاته وإرادته وحركاته وسكناته (بيده) أي كائنة بنعمته وحاصلة بقدرته وثابتة بإرادته؛ ووجه استعارة اليد للقدرة أن أكثر ما يظهر سلطانها في أيدينا، وهي من المتشابهات ومذهب السلف فيها تفويض علمه إلى الله تعالى مع التنزيه عن ظاهره، وهو أسلم حذراً من أن يعين له غير مراد له تعالى، ويؤيده وقف الجمهور على الجلالة في قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ [آل عمران - ٧] وعدوه وقفاً لازماً وهو ما في وصله إيهام معنى فاسد، ومن ثم قال أبو حنيفة رحمه الله: «تأويل اليد بالقدرة يؤدي إلى تعطيل ما أثبته تعالى لنفسه، وإنما الذي ينبغي الإيمان بما ذكره الله تعالى من ذلك ونحوه على ما أراده، ولا يشتغل بتأويله فنقول له يد على ما أراده لا كيد المخلوقين، ومذهب الخلف فيها تأويله بما يليق بجلال الله تعالى، وتنزيهه عن الجسم والجهة ولوازمها بناء على أن الوقف على الراسخون في العلم، وكان ابن عباس يقول: «أنا أعلم تأويله، وأنا من الراسخين في العلم»[٢]. قيل: وهذا أعلم وأحكم، أي يحتاج إلى مزيد علم وحكمة حتى يطابق التأويل سياق ذلك النص، وليس المعنى أن مذهب الخلف أكثر علماً؛ فالمذهبان متفقان على التنزيه، وإنما الخلاف في أن الأولى ماذا؟ أهو التفويض أم التأويل؟ ويمكن حمل الخلاف على اختلاف الزمان، فكان التفويض في زمان السلف أولى لسلامة صدورهم وعدم ظهور البدع في زمانهم، والتأويل في زمان الخلف أولى لكثرة العوام وأخذهم بما يتبادر إلى الأفهام، وغلو المبتدعة بين الأنام، والله أعلم بالمرام. ثم هو قسم جوابه (لا يسمع بي) وكان الأصل أن يقول والذي نفسي، لكنه جرد من نفسه النفيسة من اسمه محمد، وهو هو ليكون أبلغ وأوقع في النفس، ثم التفت من الغيبة إلى التكلم تنزيلاً من[٣] مقام الجمع إلى التفرقة، ومن الكون مع الحق إلى الاشتغال بدعوة الخلق، والانتقال من خزانة الكمال إلى منصة التكميل. قال العارف السهروردي: «الجمع

---

(١) في المخطوطة وعطائه.

الحديث رقم ١٠: أخرجه مسلم ١/١٣٤ حديث رقم (٢٤٠ - ١٥٣).

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/٣٤٧. (٣) في المخطوطة في.

أحدٌ من هذه الأمَّة، يهوديٌ ولا نصرانيٌ، ثم يموتُ ولم يُؤمِن بالذي أُرسِلْتُ به؛ إلا كانَ مِنْ أصحابِ النَّارِ». رواه مسلم.

١١ ـ (١٠) وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لهم أجرانِ:

اتصال لا يشاهد صاحبه إلا الحق، فمتى شاهد غيره فما ثَمّ جمع، فقوله: ﴿آمنا بالله﴾ جمع ﴿وما أنزل إلينا﴾ [المائدة ـ ٥٩] تفرقة. وقال الجنيدي قدس [الله] سره ويُسمى سيد الطائفة لأنه لم ينطق قط بما لا يطابق الكتاب والسنة: «القرب بالوجد جمع، وغيبته في البشرية تفرقة، وكل جمع بلا تفرقة زندقة، وكل تفرقة بلا جمع تعطيل».

ثم قيل: الباء زائدة، أو بمعنى من، والأظهر أنها لتأكيد التعدية كما في قوله تعالى: ﴿ما سمعنا بهذا﴾ [المؤمنون ـ ٢٤] أو ضمن معنى الأخبار أي ما يسمع مخبراً بيعثي. وحاصل المعنى: لا يعلم رسالتي (أحد) أي [ممن هو] موجود، أو سيوجد (من هذه الأمة) أي أمة الدعوة ومن تبعضية، وقيل: بيانية (يهودي ولا نصراني) صفتان لأحد، وحكم المعطلة وعبدة الأوثان وثان يعلم بالطريق الأولى، أو بدلان عنه بدل البعض من الكل، وخُصّاً لأن كفرهما أقبح وعلى كل لا زائدة لتأكيد الحكم (ثم يموت) فيه إشارة إلى أنه ولو تراخى إيمانه ووقع قبل الغرغرة نفعه (ولم يؤمن بالذي أرسلت به) أي من الدين المرضي، والجملة حال، أو عطف (إلا كان) أي في علم الله، أو بمعنى يكون، وتعبيره بالمضي لتحقق وقوعه، وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال (من أصحاب النار) أي ملازميها بالخلود فيها وأما الذي سمع وآمن فحكمه على العكس، وأما الذي لم يسمع ولم يؤمن فهو خارج عن هذا الوعيد.

ثم اعلم أن «لا» في «لا يسمع» بمعنى ليس، «وثم يموت» عطف على يسمع المثبت، «ولم يؤمن» عطف على يموت، أو حال من فاعله وليس لنفي هذا المجموع، وتقديره: ليس أحد يسمع بي ثم يموت ولم يؤمن، أو غير مؤمن كائناً من أصحاب شيء إلا من أصحاب النار (رواه مسلم).

١١ ـ (وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه) أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة، ثم قدم مع أهل السفينة ورسول الله ﷺ بخيبر. ولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة عشرين؛ فافتتح أبو موسى الأهواز ولم يزل على البصرة إلى صدر من خلافة عثمان، ثم عزل عنها، فانتقل إلى الكوفة، فأقام بها. وكان والياً على أهل الكوفة إلى أن قتل عثمان، ثم انتقل أبو موسى إلى مكة بعد التحكيم، فلم يزل بها إلى أن مات سنة اثنين وخمسين.

(قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة) أي أشخاص ثلاثة مبتدأ خبره (لهم أجران) أي لكل

الحديث رقم ١١: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٩٠ حديث ٩٧. وأخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٣٤ حديث (٢٤١. ١٥٤) والترمذي ٣/ ٤٢٤ حديث رقم ١١١٦. والدارمي في سننه ٢/ ٢٠٦ حديث رقم ٢٢٤٤. وأحمد في المسند ٤/ ٤٠٢.

رجلٌ من أهلِ الكتابِ آمنَ بنبيِّهِ

واحد أجران عظيمان مختصان به لا مشاركة لغيره فيهما.

(رجل) بدل من المبتدأ بدل بعض والعطف بعد الربط، أو بدل كل والربط بعد العطف، أو خبر مبتدأ محذوف أي أحدهم، أو مبتدأ موصوف محذوف الخبر أي منهم، أو هو خبر المبتدأ ولهم أجران صفته ـ والمرأة في حكم الرجل ـ (من أهل الكتاب آمن بنبيه) خبر بعد خبر، واختلف الشراح أن المراد هو النصراني أو اليهودي أيضاً، وإلى الأول جنح صاحب الأزهار وأيده بالدلائل العقلية والنقلية، ومال غيره إلى الثاني وأيده بمؤيدات نقلية، والخلاف مبني على أن النصرانية هل هي ناسخة لليهودية أم لا، وعلى كل فمن كذبه منهم واستمر على يهوديته لم يكن مؤمناً بنبيه؛ فإن قلت يؤيد إرادة الإنجيل وحده رواية البخاري: «فإذا آمن بعيسى ثم آمن بي فله أجران»[1]، قلت لا يؤيده لأن النص على عيسى إنما هو لحكمة هي بعد بقاء مؤمن بموسى دون عيسى مع صحة إيمانه بأن لم يبلغه دعوة عيسى إلى بعثة نبينا فآمن به، وهذا وإن استبعد وجوده لكن في حمل أهل الكتاب على ما يشمله فائدة هي أن اليهود من بني إسرائيل ومن دخل في اليهودية من غيرهم ولم يبلغه دعوة عيسى يصدق عليه أنه يهودي مؤمن بنبيه موسى ولم يكذب نبياً آخر بعده؛ فإذا أدرك بعثة نبينا وآمن به تناوله الخبر المذكور، والأجر المسطور، ومن هؤلاء عرب نحو اليمن متهوّدون ولم تبلغهم دعوة عيسى لاختصاص رسالته ببني إسرائيل إجماعاً دون غيرهم، فاتضح بهذا أن المراد التوراة والإنجيل كما هو المعهود ذهناً في نصوص الكتاب والسنة، ومما يصرح بالعموم الآية النازلة في عبد الله بن سلام وأشباهه وهي: ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾ [القصص ـ ٥٢] إلى قوله: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين﴾ [القصص ـ ٥٤]. روى الطبراني من حديث رفاعة القرظي قال: «نزلت هذه الآية فيّ وفيمن آمن بي»، وروى الطبراني أنها نزلت في سلمان وابن سلام، ولا تنافي لأن الأول كان نصرانياً والثاني كان يهودياً، فإن قلت يهود المدينة لم يؤمنوا بعيسى فكيف استحقوا الأجرين؟ قلت: لا نسلم عدم إيمانهم به، وحاشا مثل ابن سلام وأضرابه مع سعة علومهم وكمال عقولهم أن يكفروا بعيسى، كذا حققه ابن حجر.

والمراد من آمن بنبيه إيماناً صحيحاً بأن يؤمن اليهودي بموسى عليه الصلاة والسلام قبل العلم بنسخ شرعه بالإنجيل بناء على أنه ناسخ وإلا فقبل نسخه بشريعتنا، واليهودي والنصراني بعيسى عليه الصلاة والسلام بالنسبة لمن علم رسالته إليه قبل نسخ شرعه بشريعتنا، وإنما قيدوا بما قبل النسخ لأن المؤمن بنبي بعد أن بلغته دعوة غيره الناسخة له لا أجر له على إيمانه به، لأنه لا يصدق عليه حينئذ أنه آمن بنبيه. قيل: «ويحتمل أنه لا يحتاج إلى هذا التقييد، إذ لا يبعد أن يكون طرق الإيمان بنبينا عليه الصلاة والسلام سبباً لثوابه على الإيمان السابق، كما أن الكافر إذا أسلم يثاب على حسناته السابقة في الكفر» اهـ. ويؤيده عموم قوله تعالى: ﴿يا أيها

---

(١) البخاري ٦/٤٧٨ حديث ٣٤٤٦.

وآمنَ بمحمدٍ، والعبدُ المملوكُ إذا أدّى حقَّ اللهِ وحقَّ مواليهِ، ورجلٌ كانت عندهُ أمَةٌ يطؤها، فأدّبها فأحسنَ تأديبَها، وَعلَّمَها فأحسنَ تعليمَها، ثم أعتقَها فتزوَّجها؛ فلهُ أجرانِ».

الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته﴾ [الحديد - ٢٨] وكذا كتابه عليه الصلاة والسلام إلى هرقل: «أسلم يؤتك الله أجرك مرتين»[1]، وقومه لم يكونوا من بني إسرائيل، وإنما دخلوا في النصرانية بعد التبديل كما صرح به شيخ الإسلام البلقيني وغيره، وهذا هو الظاهر، وقيل: يحتمل أن يكون تضعيف الأجر له من جهة إسلامه، ومن جهة أن يكون إسلامه سبباً لإسلام أتباعه (وآمن بمحمد) أي إيماناً صحيحاً أيضاً، وإنما لم يقل وبمحمد مع أنه أخصر للإشعار بتخصيص كل من النبيين بالإيمان على سبيل الاستقلال دون التبعية. ثم الإيمان به متضمن للإيمان بجميع الأنبياء، فالمقصود أن إيمانه السابق مثاب عليه فإنه كان حقاً.

(والعبد المملوك) وصف به لأنه المراد لا مطلق العبد إذ جميع الناس عباد الله (إذا أدى حق الله) من صلاة وصوم ونحوهما (وحق مواليه) أي أسياده وملاكه ومتولي أمره من خدمتهم الجائزة جهده وطاقته، وجمع الموالي لأن أل في العبد للجنس، فلكل عبد مولى عند التوزيع، أو للإشارة إلى أنه لو كان مشتركاً بين جماعة فلا بد أن يؤدي حقوق جميعهم فيعلم المنفرد بالأولى، أو للإيماء إلى أنه إذا تعدد مواليه بالمناوبة على جري العادة الغالبة فيقوم بحق كل منهم.

(ورجل كانت عنده أمة يطؤها) أي يجامعها، وفائدة هذا القيد أنه مع هذا أيضاً يحصل له الثواب في تربيتها، وقيل: ليس المراد وقوع الوطء بالفعل بل بالقوة، ويؤيده إسقاطه من رواية البخاري وهي: «إذا أدب الرجل أمته فأحسن تأديبها ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران» (فأدبها) أي علمها الخصال الحميدة مما يتعلق بآداب الخدمة، إذ الأدب: هو حسن الأحوال من القيام والقعود وحسن الأخلاق. (فأحسن تأديبها) بأن يكون بلطف من غير عنف (وعلمها) ما لا بد من أحكام الشريعة لها، (فأحسن تعليمها) بتقديم الأهم فالأهم (ثم أعتقها) أي بعد ذلك كله ابتغاء لمرضاة الله (فتزوجها) تحصيناً لها ورحمة عليها (فله) أي فللرجل الأخير (أجران) أجر على عتقه وأجر على تزوّجه كذا قالوه، وقيل: أجر على تأديبه وما بعده وأجر على عتقه وما بعده؛ ويكون هذا هو فائدة العطف بثُمّ إشارة إلى بعد ما بين المرتبتين، قيل: وفي تكرير الحكم اهتمام بشأن الأمة وتزوّجها، وقيل: يجوز أن يعود الضمير في «فله» إلى كل واحد من الثلاثة فيكون التكرير للتأكيد، أو لطول الكلام فيكون كالفذلكة، كقوله تعالى: ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم﴾ [البقرة - ٨٩] الآية، ويمكن أن يكون من باب اختصار الراوي، أو نسيانه، وقيل: إنما ذكر في الأمة «فله أجران» دون ما سبق تأكيداً لحالها، فإن ما يوجب الأجرين فيها مستحب جائز الترك وهو الإعتاق والتزوج، فاحتيج إلى التأكيد لئلا يترك

(١) البخاري ١/ ٣١ حديث رقم ٧ ومسلم ٣/ ١٣٩٣ حديث ١٧٧٣.

متفق عليه.

بخلاف ما سبق فإنه واجب لا يجوز تركه، أو إشعاراً بأن ما يوجب الأجرين مختصاً بالأمة من جملة ما ذكر فيها من الأمور الأربعة هو الإعتاق والتزوّج، فلذا ذكر عقيبهما «فله أجران» بخلاف التأديب والتعليم فإنهما موجبان للأجر في الأجنبي والأولاد وجميع الناس فلا يكون مختصاً بالإماء، ومن ثمة اتجه سياق الشعبي لهذا الحديث رداً على من قال: «إن المتزوّج لعتيقته كالراكب لبدنته» أي فلا أجر له وكان هذا هو الحامل لهم على ما مر من تفسيرهم الأجرين بواحد على العتق وآخر على التزوّج لأنه يصير محسناً إليها إحساناً أعظم بعد إحسان أعظم بالعتق لأن الأول فيه تخليص من قهر الرق وأسره، والثاني فيه الترقي إلى إلحاق المقهور بقاهره، قال تعالى في الزوجات: ﴿**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف**﴾ [البقرة ـ ٢٢٨] قال الكرماني: «فإن قلت ما العلة في تخصيص هؤلاء الثلاثة والحال أن غيرهم أيضاً كذلك مثل من صلى وصام فإن للصلاة أجراً وللصوم أجراً وكذا مثل الولد إذا أدى حق الله وحق والده؟ قلت: الفرق بين هذه الثلاثة وغيرهم أن الفاعل من كل منهم جامع بين أمرين بينهما مخالفة عظيمة كان الفاعل لهما فاعل للضدين» اهـ.

وفيه أن هذه الضدية بعينها موجودة في حق الله تعالى وحق الوالد، فالأحسن أن يقال [المراد] هذه الأشياء وأمثالها [و] ليس المقصود بذكرها نفي ما عداها على ما عليه الجمهور، ولذا قال المهلب: «في الحديث دليل على أن من أحسن في معنيين من أي فعل كان من أفعال البركان له أجره مرتين»، وقال السيد جمال الدين: «يمكن أن يقال إن هذه الطوائف الثلاثة لكل منها أجران بسبب عمل واحد بشرط مقارنة عمل آخر، فالذي آمن من أهل الكتاب وآمن بمحمد له أجران بسبب الإيمان بنبينا، لكن بشرط الإيمان بنبيه، والعبد المملوك له أجران بسبب أداء حق الله لكن بشرط أداء حق مولاه تأمل» اهـ. وأنت إذا تأملت ظهر لك أن المقارنة ليست بشرط أصلاً، وأن الأجرين إنما هو في مقابلة الإيمانين وأداء الحقين، فالوجه ما قدمناه. ويمكن أن يقال: لما كان يتوهم من نسخ الأديان المتقدمة أن لا ثواب لأصحابها مطلقاً دفعه بهذا القول، وكذا المشهور عند العامة أن ثواب عبادة المملوك للمالك فلذا خصه بالذكر، وربما كان يقال: إن إعتاق الجارية وتزوّجها لغرض نفسه وهو طبعه فلا يكون فيهما أجر فرفعه وبالغ فيه وقال: له أجران، أو يقال: لما كان كل واحد من هؤلاء المذكورين في زمان الجاهلية ممتنعاً من العمل الثاني فخصهم بالذكر وحضهم على الفعل بقوله: «لهم أجران» والله أعلم. قيل: وإنما لم يضم مع هؤلاء الثلاث أمهات المؤمنين مع أن لهن الأجر مرتين لأن ذلك خاص بهن وما هنا عام. (متفق عليه) قال السيوطي في الجامع الصغير: رواه الشيخان وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة بلفظ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله وحق سيده فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها، ثم أدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها وتزوّجها فله أجران».

١٢ ـ (١١) وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أن أُقاتِلَ النّاسَ حتّى يشهدوا أن لا إله إلا اللّه وأنَّ محمداً رسولُ اللّهِ، ويُقيموا الصَّلاةَ، ويُؤتُوا الزَّكاةَ.

١٢ ـ (**وعن ابن عمر [رضي الله عنهما]**) مر ذكره (**قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت**) لم يذكر الآمر للعلم به أي أمرني ربي بالوحي الجلي، أو الخفي (**أن أقاتل الناس**) أي بأن أجاهدهم وأحاربهم؛ فأن مصدرية، أو مفسرة لما في الأمر من معنى القول (**حتى يشهدوا**) [وفي رواية: «حتى يقولوا»][(١)] (**أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**) أكثر الشراح على أن المراد بالناس عبدة الأوثان دون أهل الكتاب لأنهم يقولون لا إله إلا الله، ولا يرفع عنهم السيف إلا بالإقرار بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام، أو إعطاء الجزية، ويؤيده رواية النسائي: «أمرت أن أقاتل المشركين»[(٢)]، ولا يتم هذا إلا على رواية لم يوجد فيها: «وأن محمداً رسول الله»، وقال الطيبي: المراد الأعم لكن خص منه أهل الكتاب بالآية، قيل: وهو الأولى لأن الأمر بالقتال نزل بالمدينة مع كل من يخالف الإسلام، قال ابن الصباغ في الشامل[(٣)] لما بعث النبي ﷺ فرض عليه التوحيد والتبليغ وقراءة القرآن بقوله: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾ [العلق ـ ١] ثم فرض الصلاة بمكة، وفرض الصوم بعد سنتين من الهجرة، والحج في السنة السادسة أو الخامسة، وأما الزكاة فقيل: بعد الصيام، وقيل: قبله، وأما الجهاد فلم يؤذن له بمكة وأذن له بالمدينة لمن ابتدأ به، ثم ابتدأهم به دون الحرم والأشهر الحرم، ثم نسخ ذلك وأبيح ابتداؤهم في الأشهر الحرم والحرم. وقال ابن حجر: «حتى غاية لأمرت، أو أقاتل وهو أولى أي إلى أن يأتوا بأربعة أشياء؛ ما لم يعطوا الجزية إن كانوا من أهلها، أو يعقد لهم أمان، أو هدنة إن كانوا من غير أهلها كما استفيد من أدلة أخرى» اهـ. وقوله: وهو أولى خلاف الأولى لأن الغاية تتعين للمقاتلة القابلة للاستمرار ولا يصح أن يكون غاية للأمر لعدم الاستقرار (**ويقيموا الصلاة**) أي المفروضة بأن يأتوا بشرائطها وأركانها المجمع عليها، قيل: فيه دليل لمذهب الشافعي أن تارك الصلاة يقتل بشرطه المقرر في الفقه، وفيه أن الكلام في المقاتلة لا في القتل، ومقاتلة الإمام لتاركي الصلاة إلى أن يأتوا بها محل وفاق مع أنه منقوض بترك الزكاة، فإنه لم يقل به أحد. (**ويؤتوا الزكاة**) وهي لا تكون إلا مفروضة وفيه دليل لقتال مانعيها ولا نزاع فيه، ومن ثم قاتلهم الصديق وأجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم، وقيل: معناه حتى

الحديث رقم ١٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٧٥ حديث ٢٥. ومسلم ١/ ٥٣ حديث (٣٦ . ٢٢) وأبو داود في سننه ٣/ ١٠١ حديث ٢٦٤١ والترمذي حديث رقم ٢٦٤١ والنسائي ٧/ ٧٨ حديث ٣٩٧٣ وابن ماجة حديث رقم (٧١) والدارمي ٢/ ٢٨٧ حديث ٢٤٤٦ وأحمد ٢/ ٣٤٥ إلا أن الأربعة لم يرووه عن ابن عمر بل عن أبي هريرة وأنس.

(١) راجع التخريج. (٢) راجع التخريج.

(٣) الشامل في فروع الشافعية لأبي نصر عبد السيد ابن الصباغ يليه شرح لأبي بكر محمد بن أحمد البغدادي الشاشي يعرف بالشافي.

فإذا فَعَلُوا ذلك عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُم وأموالَهُم إلاّ بحقِّ الإسلامِ، وحِسَابُهم على اللَّهِ».

يقبلوا فرضيتهما، ثم قيل: أراد الخمسة التي بني الإسلام عليها وإنما خصتا بالذكر لأنهما أم العبادات البدنية والمالية وأساسهما والعنوان على غيرهما، ولذا سمى «الصلاة عماد الدين»[١] «والزكاة قنطرة الإسلام»[٢] وقرن بينهما في القرآن كثيراً، أو لكبر شأنهما على النفوس لتكررهما، أو لم يكن الصوم والحج مفروضين حينئذ، والمراد حتى يسلموا ويدل عليه رواية البخاري: «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به» ولهذا حذفتا في رواية استغناء عنهما بالشهادتين لأنهما الأصل، والتحقيق أن يقال: الشهادة إشارة إلى تخلية لوح القلب عن الشرك الجلي والخفي وسائر النقوش الفاسدة الردية، ثم تحليته بالمعارف اليقينية والحكم الإلهية والاعتقادات الحقية، وأحوال المعاد وما يتعلق بالأمور الغيبية والأحوال الأخروية، لأن من أثبت ذات الله بجميع أسمائه وصفاته التي دل عليها اسم الله، ونفي غيره وصدق رسالة النبي بنعت الصدق والأمانة فقد وفى بعهدة عهده، وبذل نهاية جهده في بداية جهده، وآمن بجميع ما وجب من الكتب والرسل والمعاد، ولذا لم يتعرض لإعداد سائر الأعداد، وإقامة الصلاة إرشاد إلى ترك الراحات البدنية وإتعاب الآلات الجسدية وهي أم العبادات التي إذا وجدت لم يتأخر عنها البواقي، ولذا استغنى عن عدها وترك السيئات، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وإيتاء الزكاة هو الإعراض عن الفضول المالية بل عن كل موجود وهمي بالموجود الحقيقي، وبذل المال الذي هو شقيق الروح لاستفتاح أبواب الفتوح واللام فيهما للعهد، أو للجنس فينصرف إلى الكامل كقولهم: هو الرجل كأن ما عدا صلاة المسلمين وزكاتهم ليس صلاة ولا زكاة. **(فإذا فعلوا ذلك)** أي المذكور من الشهادتين والصلاة والزكاة، ويسمى القول فعلاً لأنه عمل اللسان، أو تغليباً. **(عصموا)** بفتح الصاد أي حفظوا أو منعوا **(مني)** أي من أتباعي، أو من قبلي وجهة ديني **(دماءهم وأموالهم)** أي استباحتهم بالسفك والنهب المفهوم من المقاتلة **(إلا بحق الإسلام)** أي دينه، والإضافة لامية، والاستثناء مفرغ من أعم عام الجار والمجرور أي إذا فعلوا ذلك لا يجوز إهدار دمائهم واستباحة أموالهم بسبب من الأسباب إلا بحق الإسلام من استيفاء قصاص نفس أو طرف إذا قتل أو قطع ومن أخذ مال إذا غصب إلى غير ذلك من الحقوق الإسلامية؛ كقتل لنحو زنا محصن وقطع لنحو سرقة وتغريم مال لنحو إتلاف مال الغير المحترم. وقال ابن مالك: الاستثناء من الدماء والأموال بحذف موصوف أي إلا دماء أو أموالاً ملتبسة بحق **(وحسابهم)** أي فيما يسترون من الكفر والمعاصي بعد ذلك **(على الله)** والجملة مستأنفة، أو معطوفة على جزاء الشرط، والمعنى: أنا نحكم بظاهر الحال والإيمان القولي ونرفع عنهم ما على الكفار، ونؤاخذهم بحقوق الإسلام بحسب ما يقتضيه ظاهر حالهم لا أنهم مخلصون، والله يتولى حسابهم فيثيب المخلص ويعاقب المنافق، ويجازي المصرّ بفسقه أو يعفو عنه، وفيه دليل على أن من أظهر الإسلام وأبطن الكفر

---

(١) البيهقي في شعب الإيمان.

(٢) الطبراني في الكبير ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٢٨١ حديث ١٥٨٩.

متفق عليه. إلا أن مسلماً لم يذكر: «إلا بحق الإسلام».

يقبل إسلامه في الظاهر، وذهب مالك إلى أنه لا تقبل توبة الزنديق، وهو من يظهر الإسلام ويخفي الكفر ويعلم ذلك بأن يقرّ أو يُطلَع منه على كفر كان يخفيه، فقيل: لا تقبل ويتحتم قتله، لكنه إن صدق في توبته نفعه في الآخرة، وقيل: يقبل منه مرة فقط، وقيل: ما لم يكن تحت السيف، وقيل: ما لم يكن داعية للضلال، وقيل: «معنى الحديث أن القتال والعصمة إنما هما في الأحكام الدنيوية، وأما الأمور الأخروية من الثواب والعقاب وكميتها وكيفيتها فهو مفوّض إلى الله تعالى لا دخل لنا فيه» ا هـ. وقد يرجع إلى المعنى الأوّل فتأمل، وقيل: معناه أن الحساب كالواجب في تحقق الوقوع، وقيل: هو واجب شرعاً بحسب وعدة تعالى به فيجب أن يقع لا أنه تعالى يجب عليه شيء فلا حجة فيه للمعتزلة في زعمهم وجوبه على الله تعالى عقلاً. ثم الحساب مصدر كالمحاسبة وهو العد، قيل: ومعنى حسابهم على الله أن يعلمهم مالهم وما عليهم بأن يخلق العلم الضروري في قلوبهم بمقادير أعمالهم وبمالهم من الثواب والعقاب، عن ابن عباس أنه قال: «لا حساب على الخلق بل يقفون بين يدي الله ويُعطَوْن كتبهم بأيمانهم، فيقال: قد تجاوزت عنها، ثم يعطون حسناتهم. فيقال: قد ضعفتها لكم». فيكون مجازاً من باب إطلاق السبب على المسبب لأن الحساب سبب لحصول علم الإنسان بماله أو عليه، أو أنه يجازيهم إذ الحساب سبب للأخذ والإعطاء. قال تعالى: ﴿والله سريع الحساب﴾ [النور - ٣٩] ومعنى سرعته أن قدرته تعالى متعلقة بجميع الممكنات من غير أن يفتقر في إحداث شيء إلى فكر وروية ومدة وعدّة، ولذا ورد أنه: «يحاسب الخلق في مقدار حلبة شاة، أو في لمحة» (متفق عليه) أي اتفق البخاري ومسلم على رواية جميع الحديث المذكور (إلا أن مسلماً لم يذكر إلا بحق الإسلام) لكنه مراد ورواه النسائي وابن ماجة من حديث جابر، وهذا الحديث موافق لقوله تعالى: ﴿فإن تابوا﴾ أي عن الكفر بإتيان الشهادتين ﴿وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ [التوبة - ٥] وفي الجامع الصغير رواه الجماعة عن أبي هريرة، وهو متواتر أي معنوي بلفظ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»[١]. وفي الجامع الكبير روى ابن جرير والطبراني في الأوسط عن أنس وحسنه بلفظ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»، قيل: وما حقها، قال: «زنا بعد إحصان أو كفر بعد إسلام، أو قتل نفس فيقتل بها» ا هـ.

ففي هذا الحديث دلالة ظاهرة على أن الإقرار شرط لصحة الإسلام وترتب الأحكام، ورد بليغ على المرجئة في قولهم: إن الإيمان غير مفتقر إلى الأعمال، ودليل على عدم تكفير أهل البدع من أهل القبلة المقرين بالتوحيد الملتزمين للشرائع.

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٠٢ حديث ١٦٣٠.

١٣ ـ (١٢) وعن أنس، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صَلَّى صلاتَنا، واستقبلَ قِبلتَنا، وأكَلَ ذبيحتَنا؛ فذلك المسلمُ الذي لهُ ذِمَّةُ اللّهِ وذِمَّةُ رسولِهِ، فلا تُخفِرُوا الله في ذِمَّتِهِ». رواه البخاري.

١٤ ـ (١٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أتى أعرابيٌّ النبيَّ ﷺ، فقال: دُلّني على عملٍ إذا عملتُهُ دخلتُ الجنّة. قال: «تعبدُ اللّهَ

---

١٣ ـ (وعن أنس) مر ذكره (أنه) هو ثابت في النسخ المصححة (قال: قال رسول الله ﷺ: من صلى صلاتنا) أي كما نصلي، ولا توجد إلا من موحّد معترف بنبوّته، ومن اعترف به فقد اعترف بجميع ما جاء به فلذا جعل الصلاة علماً لإسلامه ولم يذكر الشهادتين لدخولهما في الصلاة حقيقة أو حكماً (واستقبل قبلتنا) إنما ذكره مع اندراجه في الصلاة لأن القبلة أعرف، إذ كل أحد يعرف قبلته وإن لم يعرف صلاته، ولأن في صلاتنا ما يوجد في صلاة غيرنا، واستقبال قبلتنا مخصوص بنا، ولم يتعرض للزكاة وغيرها من الأركان اكتفاء بالصلاة التي هي عماد الدين، أو لتأخر وجوب تلك الفرائض عن زمن صدور هذا القول. ثم لما ميز المسلم عن غيره عبادة ذكر ما يميزه عبادة وعادة بقوله (وأكل ذبيحتنا) فإن التوقف عن أكل الذبائح كما هو من العبادات فكذلك من العادات الثابتة في الملل المتقدمات، والذبيحة فعيلة بمعنى مفعولة، والتاء للجنس كما في الشاة (فذلك) أي من جمع هذه الأوصاف الثلاثة مبتدأ خبره (المسلم) أو هو صفته وخبره (الذي له ذمة الله وذمة رسوله) أي أمانهما وعهدهما من وبال الكفار وما شرع لهم من القتل والقتال وغيرهما، أي يرتفع عنه؛ هذا وكرر لفظة ذمة إشعاراً بأن كلا منهما مقصود، وأن الأصل هو الأول، وأنهما متلازمان ولذا اقتصر عليه في قوله (فلا تخفروا الله في ذمته) من الإخفار أي لا تخونوا الله في عهده، ولا تتعرضوا في حقه من ماله ودمه وعرضه، أو الضمير للمسلم أي فلا تنقضوا عهد الله بحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه في ذمته أي ما دام هو في أمانة (رواه البخاري) وأبو داود والترمذي والنسائي بمعناه.

١٤ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه) مر ذكره (قال أتى أعرابي) أي بدوي منسوب إلى الأعراب وهم سكان البادية، كما أن العرب سكان البلد (النبي) أي جاءه وفي نسخة إلى النبي (ﷺ فقال: دلني) بضم الدال وفتح اللام المشدّدة أي أرشدني بالدلالة (على عمل) صفته أنه (إذا عملته دخلت الجنة) أي دخولاً أوّلياً غير مسبوق بنوع من العذاب (قال تعبد الله) خبر بمعنى الأمر، أو في تأويل المصدر بتقدير أن، ولما حذفت رفع الفعل، وقيل: مع بقاء أثره من

الحديث رقم ١٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٤٩٦ حديث رقم ٣٩١. ورواه النسائي ٨/ ١٠٥ حديث ٤٩٩٧ لقوله فذلكم المسلم.

الحديث رقم ١٤: البخاري في صحيحه ٣/ ٢٦١ حديث رقم ١٣٩٧ ومسلم في صحيحه ١/ ٤٤ حديث (١٥ . ١٤).

ولا تشركُ به شيئاً، وتقيمُ الصَّلاةَ المكتُوبةَ، وتؤدّي الزكاةَ المفروضَةَ، وتصومُ رمضانَ»

قال: والذي نفسي بيدِهِ لا أزيدُ على هذا شيئاً ولا أنقُصُ منه.

النصب، أو تنزيلاً منزلة المصدر بذكر الفعل وإرادة الحدث، كما في «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه»، وكقوله تعالى: ﴿ومن آياته يريكم البرق﴾ [الروم - ٢٤] وهو في الحديث مرفوع المحل بالخبرية لمبتدأ محذوف أي هو يعني العمل الذي إذا عملته دخلت الجنة هو عبادة الله الخ، ثم قيل: المراد بالعبادة التوحيد للعطف والأصل المغايرة، وهو شامل للنبوّة لأنه لا يعتبر بدونها، فذكره مُغنٍ عن ذكرها، وقيل: السائل كان مؤمناً فذكره لشرفه وكونه أصلاً، وقيل: إنه من باب عطف الخاص على العام (ولا تشرك به شيئاً) أي من الأشياء، أو من الشرك جلياً أو خفياً، والجملة حالية أي غير مشرك، وهو يؤيد أن المراد بالعبادة التوحيد، وهذه الجملة تفيد التأكيد وعلى الثاني قيل: إنما ذكره رداً على الكفار حيث قالوا: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ [الزمر - ٣] وبياناً لأن العبادة لا تكمل إلا إذا سلمت من طرق الرياء، قال تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ [الكهف - ١١٠] قال العارفون: التعبد إما لنيل الثواب، أو التخلص من العقاب وهي أنزل الدرجات، وتسمى عبادة لأن معبوده في الحقيقة ذلك المطلوب، بل نقل الفخر الرازي إجماع المتكلمين على عدم صحة عبادته، أو للتشرف بخدمته تعالى والانتساب إليه وتسمى عبودية، وهي أرفع من الأولى ولكنها ليست خالصةً له، أو لوجهه تعالى وحده من غير ملاحظة شيء آخر وتسمى عبودة وهي أعلى المقامات وأرفع الحالات. (وتقيم الصلاة المكتوبة) أي المفروضة على الأعيان بشرائطها وأركانها المعلومة (وتؤدي) أي تعطي (الزكاة المفروضة) والتغاير بينهما للتفنن، وهي هنا للتأكيد لئلا يتوهم المعنى اللغوي وهو مطلق الصدقة بخلاف الأولى فإنها احترازية، والمعنى أداء مقدارها المعينة لمصارفها المقررة (وتصوم رمضان) ولا يكون إلا مفروضاً، ولذا لم يقيده ومن ثم صح صومه بنية مطلقة (قال:) أي الأعرابي (والذي نفسي بيده) فيه جواز اليمين لغير ضرورة (لا أزيد على هذا) أي ما ذكر (شيئاً) أي من عندي (ولا أنقص منه) وقيل: لا أزيد على هذا السؤال ولا أنقص في العمل مما سمعته، أو كان الرجل وفداً فالمعنى لا أزيد على ما سمعت في تبليغه ولا أنقص منه، ولما كانت العبادة شاملة لفعل الواجبات وترك المنكرات، أو أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر صح إثبات النجاة له بمجرد ذلك، ويؤيده رواية البخاري: فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام، فأدبر الرجل وهو يقول: «والله لا أزيد ولا أنقص مما فرض الله تعالى عليّ شيئاً»، وقيل: قصد به المبالغة في التصديق والقبول أي قبلت قولك فيما سألتك عنه قبولاً لا مزيد عليه من جهة السؤال، ولا نقص فيه من طريق القبول، قيل: وهذا قبل مشروعية النوافل، ولا حاجة إلى هذا فإنها متممات ومكملات للفرائض لا زيادة عليها مع أنه قد يقال مراده أنه لا يزيد على الأجناس المذكورة، ولم يذكر هنا الحج ولا الصوم في رواية - ولا الزكاة - في أخرى، ولا الإيمان في أخرى، وذكر في بعضها صلة الرحم، وفي بعضها أداء الخمس، وأجاب ابن الصلاح كالقاضي عياض بأن سبب ذلك تفاوت الرواة حفظاً وإتقاناً.

فلما وَلَّى، قال النبيُّ ﷺ: «من سَرَّهُ أن ينظُرَ إلى رجلٍ من أهل الجنة فَلْينظُرْ إلى هذا». مُتفقٌ عليه.

١٥ ـ (١٤) وعن سفيان بن عبد الله الثقفيِّ، قال: قلتُ: يا رسول الله! قلْ لي في الإسلام قولاً لا أسألُ عنه أحداً بعدَك. وفي رواية: غيرَك. قال: «قُلْ: آمنتُ بالله ثُمَّ استقِمْ».

(فلما ولى) أي أدبر الأعرابي وذهب (قال النبي ﷺ: من سره) أي أوقعه في السرور وأعجبه والفاعل هو (أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر) جواب الشرط أو خبر متضمنة (إلى هذا) أي هذا الرجل لعزمه على فعل المأمورات وترك المحظورات؛ فعلى من أراد اللحوق به في ذلك أن يصمم على ما صمم عليه [ليكون] من الناجين وليحشر مع السابقين، فيحتمل أن تكون الإشارة إلى الفرد الجنسي وهو ظاهر، أو إلى الفرد الشخصي وهو الأظهر، ويكون العلم أما بالوحي، أو بغلبة الظن (متفق عليه).

١٥ ـ (وعن سفيان) بتثليث السين والضم هو المشهور (ابن عبد الله) أي ابن ربيعة (الثقفي) بفتحتين نسبة إلى قبيلة ثقيف، يكنى أبا عمرو، وقيل أبا عمرة، يعد في أهل الطائف له صحبة. وكان عاملاً لعمر بن الخطاب على الطائف، مروياته خمسة أحاديث (قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام) أي فيما يكمل به الإسلام ويراعى به حقوقه ويستدل به على توابعه، وقيل: التقدير في مبادىء الإسلام وغاياته (قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك) أي قولاً جامعاً لا أحتاج فيه إلى سؤال أحد بعد سؤالك هذا، كقوله تعالى: ﴿وما يُمسك فلا مرسل له من بعده﴾ [فاطر ـ ٢] [أي] من بعد إمساكه (وفي رواية: «غيرك») أي لا أسأل عنه أحداً غيرك، والأول مستلزم لهذا لأنه إذا لم يسأل أحداً بعد سؤاله لم يسأل غيره، وبهذا يظهر وجه أولوية الأول بجعله أصلاً، والثاني رواية خلافاً لما فعل النووي في أربعينه (قال: قل: آمنت بالله) أي بجميع ما يجب الإيمان به (ثم استقم) هذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ يعني على امتثال الأوامر واجتناب الزواجر ﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [الأحقاف ـ ١٣]، وفي آية أخرى: ﴿تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ الآيات [فصلت ـ ٣٠]. رُوي عن علي رضي الله عنه أنه قال: «قلت: يا رسول الله أوصني، فقال: قل: ربي الله ثم استقم، قال: قلت: ربي الله وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، فقال: ليهنك العلم أبا الحسن»[1].

وهذا الحديث من جوامع الكلم الشامل لأصول الإسلام التي هي التوحيد والطاعة؛ فالتوحيد حاصل بقوله: «آمنت بالله»، والطاعة بأنواعها مندرجة تحت قوله: «ثم استقم»، لأن

الحديث رقم ١٥: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٦٥ حديث (٦٢ ـ ٣٨). والترمذي بلفظ آخر ٤/ ٥٢٤ حديث ٢٤١٠. وابن ماجة ٢/ ١٣١٤ حديث ٣٩٧٢ وأحمد في المسند ٣/ ٤١٣.

(١) أبو نعيم في الحلية ١/ ٦٥.

. . . .

الاستقامة امتثال كل مأمور واجتناب كل محذور فيدخل فيه أعمال القلوب والأبدان من الإيمان والإسلام والإحسان، إذ لا تحصل الاستقامة مع شيء من الاعوجاج، ولذا قالت الصوفية: «الاستقامة خير من ألف كرامة»، أو تقول: «آمنت بالله» شامل للإتيان بكل الطاعات والاجتناب عن كل المنهيات، وقوله: «ثم استقم» محمول على الثبات فيهما.

ولعظمة أمر الاستقامة قال عليه السلام: «شيبتني سورة هود»، لأنه نزل فيها: ﴿فاستقم كما أمرت﴾[1]، وهي جامعة لجميع أنواع التكاليف. وقالت الصوفية: «لأن الدعوة إلى الله مع كون المدعوّ على الصراط المستقيم أمر صعب لا يمكن إلا إذا كان الداعي على بصيرة يرى أنه يدعوه من اسم إلى اسم»، قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ [هود - ١١٢]: «ما نزل على رسول الله في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية»[2]، ولذا قال عليه الصلاة والسلام لما قالوا له: قد أسرع إليك الشيب: «شيبتني هود وأخواتها»[3]. وقال الفخر الرازي: «الاستقامة أمر صعب شديد لشمولها العقائد بأن يجتنب التشبيه والتعطيل، والأعمال بأن يحترز عن التغيير والتبديل، والأخلاق بأن يبعد عن طرفي الإفراط والتفريط»، وقال الغزالي: «الاستقامة على الصراط في الدنيا صعب كالمرور على صراط جهنم، وكل واحد منهما أدق من الشعر وأحد من السيف» ا هـ. ومما يؤيد صعوبة هذا المرقى خبر: «استقيموا ولن تحصوا» أي ولن تطيقوا أن تستقيموا حق الاستقامة، ولكن اجتهدوا في الطاعة حق الإطاعة، فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله. وفيه تنبيه نبيه على أن أحداً لا يظن بنفسه الاستقامة، ولا يتوهم أنه خرج بالكلية من صفة النفس اللوّامة فيقع في العجب والغرور اللذين هما أقبح من كل ما يترتب عليه الملامة، نسأل الله السلامة. وقد يقال: السين لطلب القيام والثبات على الحالات والمقامات في جميع الساعات إلى الممات، ثم قد يقال: الحكمة في عدم الإطاقة على دوام الإطاعة أن تراب الإنسان عجن بماء النسيان الناشيء عنه العصيان، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «كلكم خطاؤن وخير الخطائين التوّابون»[4]؛ فجنس الإنسان كنوع النسوان التي خلقن من الضلع الأعوج، فلا يتصوّر منهن الاستقامة على صفة الإدامة، «وكلّ ميسرّ لما خلق له»[5]، ولا يزول طبع عما جبل عليه كما ورد في حديث الإشارة إليه هذا.

ولفظة ثم مستعارة للتراخي الرتبي؛ لأن الاستقامة أفضل من قوله: «آمنت بالله» لشمولها العقائد والأعمال والأخلاق ذكره الزمخشري والإمام، وهي لغة ضد الإعوجاج أي الاستواء في

---

(١) القرطبي ٩/ ١٠٧ (الجامع لأحكام القرآن).

(٢) الفخر الرازي في تفسيره ١٨/ ٧٢.

(٣) أخرجه الترمذي ٥/ ٣٧٥ حديث ٣٢٩٧.

(٤) أخرجه الترمذي ٤/ ٥٦٨ حديث ٢٤٩٩ وأخرجه ابن ماجة أيضاً.

(٥) البخاري ١٠/ ٥٩٧ حديث ٦٢١٧. ومسلم ٤/ ٢٠٤٠ حديث ٢٦٤٧.

رواه مسلم.

١٦ ـ (١٥) وعن طلحة بن عُبيد الله رضي الله عنه،

جهة الانتصاب، وتنقسم إلى استقامة العمل وهو الاقتصاد فيه غير متعد من منهج السنة ولا متجاوز عن حد الإخلاص إلى الرياء والسمعة، أو رجاء العوض، أو طلب الغرض، واستقامة القلب وهي الثبات على الصواب وعند المحققين هي استواء القصد في السير إلى الله، وثبات القوى على حدودها بالأمر والنهي، وهي دون الاستقامة في السير في الله؛ لأن هذه في الطريق والسلوك إليه بأحدية الطريق المستقيم، وأما السير في الله فهو الإنصاف بصفاته، والاستقامة في الله دون الاستقامة في السير في الله المأمور بها نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ لأن تلك في مقام جمع الجمع والبقاء بعد الفناء، والأولى للمريدين والثانية للمتوسطين، واستقامة الروح وهي الثبات على الحق والسر وهي الثبات على الحقيقة. قال القشيري: الاستقامة درجة بها كمال الأمور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ومن لم يكن مستقيماً ضاع سعيه وخاب جهده وأنشد:

إذا أفشيت سرك ضيق صدر * أصابتك الملامة والندامة
وإن أخلصت يوماً في فعال * تنال جزاءه بالاستقامة

وقال بعض العارفين: معنى الحديث أنه إذا وقفت بالتوحيد ورؤية جلال قدمه قدر مع الحق حيث دار أما قضاء وأما رضاء، ولا تنزل عن مقام الرضا إلى فترة النفس والهوى. وقال الغزالي: «العزة الاستقامة والاحتياج إليها في كل حالة أمر الله تعالى عباده بقراءة الفاتحة المتضمنة للدعاء بالاستقامة أمر وجوب في الأوقات الخمسة». نسأل الله تعالى الاستقامة الشاملة بحسن الخاتمة (رواه مسلم) ورواه النسائي والترمذي وابن ماجة وزاد: «قلت: يا رسول الله، ما أخوف ما أخاف علي، فأخذ بلسانه ثم قال: هذا». وقال الترمذي حسن صحيح، وزاد[١] في الإحياء قلت: «ما أتقي» فأومأ بيده إلى لسانه.

١٦ ـ (**وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه**) يكنى أبا محمد القرشي، أحد العشرة المبشرة بالجنة، أسلم قديماً وشهد المشاهد كلها غير بدر، وضرب له ﷺ سهمه لأن النبي ﷺ كان بعثه مع سعيد بن زيد يتعرّفان خبر العير التي كانت لقريش مع أبي سفيان بن حرب فعادا يوم اللقاء ببدر، ووقى النبي ﷺ يوم أحد بيده فشلت أصبعه وجرح يومئذ أربعة وعشرين جراحة، وقيل: كانت فيه خمس وسبعون [بين] طعنة وضربة ورمية، وسماه النبي ﷺ طلحة الخير وطلحة الجود، قتل في وقعة الجمل سنة ست وثلاثين، ودفن بالبصرة وله أربع وستون

(١) أي الترمذي.

الحديث رقم ١٩: أخرجه البخاري ١/١٠٦ حديث رقم ٤٦. ومسلم في صحيحه ١/٤٠ حديث (٨. ١١). ورواه أبو داود ١/٣٧٢ حديث رقم ٣٩١ والنسائي في سننه ١/٢٢٦ حديث ٤٥٨. ومالك في الموطأ ١/١٧٥ حديث رقم ٩٤ ورواه الدارمي ١/٤٤٧ حديث ١٥٧٨ وأحمد في مسنده ١/١٦٢.

قال: جاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، من أهلِ نجدٍ، ثائرُ الرأسِ، نسمعُ دَوِيَّ صوتِهِ ولا نفقَهُ ما يقولُ، حتى دنا من رسول الله ﷺ، فإذا هو يسألُ عن الإسلام. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «خمسُ صلواتٍ في اليوم والليلة». فقال: هل عليَّ غيرُهنَّ؟ فقال: «لا،

سنة، روى عنه جماعة. (قال: جاء رجل) قيل: هو ضمام بن ثعلبة وافد بني سعد بن بكر (إلى رسول الله ﷺ) متعلق بجاء (من أهل نجد) صفة رجل، والنجد في الأصل ما ارتفع من الأرض ضد التهامة، وهو الغور سميت به الأرض الواقعة بين تهامة أي مكة وبين العراق (ثائر الرأس) بالثاء المثلثة من ثار الغبار إذا ارتفع وانتشر أي منتشر شعر الرأس غير مرجلة بحذف المضاف، أو سمي الشعر رأساً مجازاً تسمية للحال باسم المحل، أو مبالغة بجعل الرأس كأنه المنتشر، وهو مرفوع على أنه صفة عند الأكثر، وقيل: إنه منصوب على الحالية من رجل لوصفه، وقيل: إنه الرواية (نسمع دوي صوته) أي شدته وبعده في الهواء فلا يفهم منه شيء كدوي النحل والذباب، وهو بفتح الدال وضمه رواية ضعيفة، وبكسر الواو وتشديد الياء، وهو منصوب على المفعولية، ونسمع بصيغة المتكلم المعلوم على الصحيح، وفي بعض النسخ بالياء مجهولاً، ورفع دويّ على النيابة، وكذا الوجهان في قوله (ولا نفقه) أي لا نفهم من جهة البعد (ما يقول) لضعف صوته (حتى دنا) أي (من رسول الله ﷺ) كما في نسخة صحيحة، أي إلى أن قرب ففهمنا (فإذا) للمفاجأة (هو) أي الرجل (يسأل عن الإسلام) أي عن فرائضه التي فرضت على من وحد الله وصدق رسوله لا عن حقيقته، ولذا لم يذكر الشهادتين ولكون السائل متصفاً به فلا حاجة إلى ذكره، ويؤيده رواية البخاري أيضاً: «أخبرني ماذا فرض الله عليّ» ويمكن أنه سأل عن ماهية الإسلام وقد ذكر الشهادة ولم يسمعها الراوي، أو نسيها، أو اختصرها لكونها معلومة عند كل أحد، وقيل: لم يذكر الحج لأن الحديث حكاية حال الرجل خاصة لقوله عليّ: «فأجابه عليه الصلاة والسلام بما عرف من حاله»، ولعله لم يكن ممن يجب الحج عليه، أو لأنه لم يفرض حينئذ، أو أسقط من[1] بعض الرواة، ويؤيده رواية البخاري: «فأخبره النبي ﷺ بشرائع الإسلام» (فقال: رسول الله ﷺ: خمس صلوات في اليوم والليلة) بالرفع على الصحيح، وهو خبر مبتدأ محذوف أي الإسلام، والمراد فرضه إقامة خمس صلوات، أو مبتدأ محذوف الخبر أي من شرائعه أداء خمس صلوات، ويجوز نصبه بتقدير خذ أو اعمل أو صل، وهو أحسن، وأغرب ابن حجر فأعرب بقوله: «بالجر بدلاً من الإسلام أو بقسيميه أي هو أو خذ» اهـ. والذي اختاره من الجر لا يصح رواية ودراية؛ أما الأول فيظهر لك من تتبع النسخ المصححة، وأما الثاني فلأن البدل والمبدل لا يكونان إلا في كلام شخص واحد، وأن المقول لا يكون إلا جملة، فأحد جزأيه الموجود يتعين أن يكون مرفوعاً، وأنه إذا جعل بدلاً لا يبقى للسؤال جواباً فلا يتفرع عليه قوله (فقال:) أي الرجل (هل عليّ) أي يجب من الصلاة (غيرهن) أي في اليوم والليلة، أو الجاز خبر مقدم وغيرهن مبتدأ مؤخر (فقال ﷺ: (لا) أي لا لشيء عليك غيرها، وهذا قبل وجوب الوتر، أو أنه تابع للعشاء، وصلاة العيد

---

(١) في المخطوطة عن.

إلاّ أن تطوّعَ. قال رسولُ الله ﷺ: وصيامُ شهرِ رمضانَ». قال: هل عليَّ غيرُهُ؟ قال: «لا، إلا أن تطوّعَ». قال: وذكر له رسولُ اللهِ ﷺ الزكاةَ، فقال: هل عليَّ غيرُها؟ قال: «لا! إلا أن تطوّعَ». قال: فأدبرَ الرجُلُ وهو يقولُ: والله لا أزيدُ على هذا ولا أنقُصُ منه.

ليست من الفرائض اليومية بل هي من الواجبات السنوية **(إلا أن)** بفتح الهمزة **(تطوع)** بتشديد الطاء والواو، وأصله تتطوّع بتاءين فأبدلت وأدغمت، ورُوي بحذف إحداهما وتخفيف الطاء، والمعنى إلا أن تشرع في التطوّع فإنه يجب عليك إتمامه لقوله تعالى: **﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾** [محمد ـ ٣٣] ولإجماع الصحابة على وجوب الإتمام.

وقول ابن حجر: «هذا مجرد دعوى بلا سند» مردود لأن ذكر السند ليس بشرط لصحة الإجماع، مع أن الآية المذكورة سند معتمد لصحة الإجماع المسطور. وقول ابن حجر: «إن النهي فيه للتنزيه» مخالف للأصل الذي عليه الجمهور، وقوله: «على أنه يلزم الحنفية حيث استدلوا به أن يقولوا إن الإتمام فرض، وهم إنما يقولون بوجوبه» مدفوع بأن الآية قطعية والدلالة ظنية، وقوله: «واستثناء الواجب من الفرض منقطع» ممنوع، فإن الواجب عندنا فرض عملي لا اعتقادي، وبهذا الاعتبار يطلق عليه أنه فرض، فالمراد بالفرض في الحديث المعنى الأعم والله أعلم؛ مع أنه لا محذور في جعل الاستثناء منقطعاً لصحة الكلام كما اختاره في هذا المقام، وقوله: «على أنه من النفي لا يفيد الإثبات، بل الحكم مسكوت عنه عندهم» مدخول، فإن هذا إنما يرد عليهم لو استدلوا بهذا الحديث، وتقدم أن دليلهم الآية والإجماع، وإنما حملوا لفظ الحديث على المعنى المستفاد منهما. ثم هذا مطرد في جميع العبادات عندنا حيث يلزم النفل بالشروع، ووافقنا الشافعي في الحج والعمرة فعليه الفرق، وإلا فيكفينا قياس سائر العبادات عليهما أيضاً أو المعنى إلا أن توجب على نفسك بالنذر، والأصل في الاستثناء أن يكون متصلاً وعدل عنه ابن حجر فقال: «لكن التطوّع مستحب فهو استثناء من مدخول لا منقطع، وحينئذ فلا يدل على إيجاب إتمام التطوّع بالشروع فيه»، أقول: يحتمل أن يكون الاستثناء منقطعاً، والمعنى لكن التطوّع باختيارك أي ابتداء كما هو مذهبنا، أو انتهاء أيضاً كما هو مذهب الشافعي. وفيه حث على الخيرات وترك الوقوف على مجرد الواجبات **(قال رسول الله ﷺ: وصيام شهر رمضان)** عطف على خمس، وجملة السؤال والجواب معترضة **(قال: هل عليّ غيره)** أي هل عليّ صوم فرض سوى صوم رمضان **(قال:)** بحذف الفاء في الأصول الحاضرة **(لا)** فلا يجب صوم عاشوراء سواء كان واجباً قبل رمضان أم لا **(إلا أن تطوع، قال:)** أي طلحة **(وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة)** هذا قول الراوي فإنه نسي ما نص عليه رسول الله ﷺ، أو التبس عليه فقال: ذكر الزكاة، وهذا يؤذن بأن مراعاة الألفاظ معتبرة في الرواية، فإذا التبس عليه بعضها يشير في ألفاظه إلى ما ينبىء عنه كما فعل راوي هذا الحديث **(فقال: هل عليّ غيرها، قال: لا)** قيل: يعلم منه أنه ليس في المال حق سوى الزكاة بشروطها، وهو ظاهر إن أريد به الحقوق الأصلية المتكررة تكررها، وإلا فحقوق المال كثيرة كصدقة الفطر ونفقة ذوي الأرحام والأضحية **(إلا أن تطوع، قال:)** أي طلحة **(فأدبر الرجل وهو)** أي والحال أن ذلك الرجل **(يقول: والله لا أزيد على هذا)** أي في الإبلاغ، أو في نفس الفرضية **(ولا أنقص منه)** أي شيئاً، وفي رواية

فقال رسولُ الله ﷺ: «أفلحَ الرجلُ إنْ صدقَ». مُتفقٌ عليه.

١٧ - (١٦) وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إنَّ وَفْدَ عبدِ القيس

البخاري: «لا أتطوّع شيئاً، ولا أنقص مما فرض الله عليَّ شيئاً» **(فقال رسول الله ﷺ: أفلح الرجل)** أي دخل في الفلاح، والمعنى فاز وظفر وأدرك بغيته، وهي ضربان: دنيوي وهو الظفر بما يطيب[1] معه الحياة والأسباب، وأخروي وهو ما يحصل به النجاة من العذاب والفوز بالثواب، قالوا: ولا كلمة أجمع للخيرات منه، ومن ثم فسر بأنه بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل. وفي رواية: «أفلح والله»، وفي أخرى: «صحيحة بلا شك»، وفي رواية: «أفلح وأبيه»[2] وفيه إشكال لأنه ورد: «من حلف بغير الله فقد أشرك»[3] فقيل: إنه قبل النهي. وقيل: فيه حذف مضاف أي ورب أبيه، وقيل: إنه والله وإن الكاتب قصر اللامين، وقيل: إن الكراهة في غير الشارع كما نقله البيهقي عن بعض مشايخه، وأغرب ابن حجر فضعف الأقوال المذكورة جميعها وحمل على أن هذا وقع من غير قصد، وهو في غاية من البعد. **(إن صدق)** بكسر الهمزة على الصحيح، وفي نسخة بفتحها أي لصدقه ولا إشكال فيه، وعلى الأول قيل: إنما حكم عليه الصلاة والسلام بكونه من أهل الجنة مطلقاً في رواية أبي هريرة، وهنا علق الفلاح بصدقه، والحال أنه روي أن الحديثين واحد لأنه يحتمل أنه قال بحضور الأعرابي لئلا يغتر فيشكل عليه، فلما ذهب قال: «من سره» الخ، وقيل: يحتمل أن يكون قبل أن يطلعه الله على صدقه، ثم أطلعه الله عليه، ويمكن أن يقال: لا يلزم من كون الرجل من أهل الجنة أن يكون مفلحاً لأن المفلح هو الناجي من السخط والعذاب، فكل مؤمن من أهل الجنة وليس كل مؤمن مفلحاً، ولذا قال تعالى: ﴿**قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون**﴾ الآيات [المؤمنون - ١ - ٢]، وقال: ﴿**هدى للمتقين**﴾ الآيات [البقرة - ٢]، ثم قال: ﴿**وأولئك هم المفلحون**﴾ [البقرة - ٥] **(متفق عليه)** ورواه أبو داود والنسائي.

١٧ - **(وعن ابن عباس رضي الله عنهما)** هو عبد الله بن عباس ابن عم النبي ﷺ، وأمه لبابة بنت الحرث أخت ميمونة زوج النبي ﷺ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وقيل خمس عشرة سنة، وقيل عشر. كان حبر هذه الأمة وعالمها، ودعا له النبي ﷺ بالحكمة والفقه والتأويل، ورأى جبريل عليه السلام مرتين، وكان عمر بن الخطاب يقربه ويشاوره بين أجلة الصحابة، وكُفَّ بصره في آخر عمره، ومات بالطائف سنة ثمان وستين في أيام ابن الزبير، وهو ابن إحدى وسبعين سنة. وروى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين **(قال: إن وفد عبد القيس)** الوفد جمع وافد وهو الذي أتى إلى الأمير برسالة

---

(١) في المخطوطة يطلب. (٢) مسلم ١/ ٤١ حديث (٩ . ١١).

(٣) أخرجه الترمذي ٤/ ٩٣ حديث ١٥٣٥ وقال حسن.

الحديث رقم ١٧: أخرجه البخاري ١/ ١٢٩ حديث ٥٣ ومسلم في صحيحه ١/ ٤٧ حديث رقم (٢٤ . ١٧).

لما أتوا النبيَّ ﷺ؛ قال رسولُ الله ﷺ: «مَنِ القومُ؟ - أو: مَنِ الوَفْدُ؟ -» قالوا: ربيعةُ. قال: «مرحباً بالقوم - أو: بالوفدِ - غيرَ خَزايا ولا نَدامى». قالوا: يا رسولَ اللهِ! إنّا لا نستطيعُ أن نأتيَكَ إلا في الشهرِ الحرامِ،

من قوم، وقيل رهط كرام؛ وعبد القيس أبو قبيلة عظيمة تنتهي إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وربيعة قبيلة عظيمة في مقابلة مضر، وكان قبيلة عبد القيس ينزلون البحرين وحوالي القطيف وما بين هجر إلى الديار المضرية[1]، وكانت وفادتهم سنة ثمان. وسببها أن منقذ بن حيان منهم كان يتجر إلى المدينة فمر به النبي ﷺ فقام[2] إليه فسأله عن أشراف قومه مسمياً له بأسمائهم، فأسلم وتعلم الفاتحة و﴿اقرأ باسم ربك﴾، ثم رحل إلى هجر ومعه كتابه عليه الصلاة والسلام فكتمه أياماً، لكن أنكرت زوجته صلاته ومقدماتها، فذكرت ذلك لأبيها المنذر رئيسهم، فتجاذبا فوقع الإسلام في قلبه، ثم ذهب بالكتاب إلى قومه وقرأه عليهم فأسلموا وأجمعوا على المسير إليه عليه الصلاة والسلام، فتوجه منهم أربعة عشر راكباً، فحين قربوا من المدينة قال عليه الصلاة والسلام لجلسائه: «أتاكم وفد عبد القيس خير أهل المشرق وفيهم الأشج» أي المنذر سماه عليه الصلاة والسلام بذلك لأثر بوجهه. ورُوي أنهم أربعون وجمع بأن لهم وفادتين، أو بأن أشرافهم أربعة عشر. (**لما أتوا النبي ﷺ**) أي حضروه (**قال**) أي (**رسول الله**) كما في نسخة (ﷺ **من القوم**) بفتح الميم (**أو من الوفد**) شك من الراوي، والظاهر أنه ابن عباس والسؤال إنما هو للاستئناس (**قالوا: ربيعة**) أي قال بعض الوفد: نحن ربيعة، أو وفد ربيعة، أو قال بعض الصحابة: هم ربيعة، أو وفد ربيعة على حذف مضاف. وفي نسخة بالنصب أي تُسمى ربيعة، أو يُسمَّون ربيعة (**قال: مرحبا بالقوم، أو بالوفد**) أي أصاب الوفد رحباً وسعة، أو أتى القوم موضعاً واسعاً؛ فالباء زائدة في الفاعل، ومرحبا مفعول به لمقدر، أو أتى الله بالقوم مرحبا فالباء للتعدية، ومرحبا مفعول مطلق، وقيل: هو من المفاعيل المنصوبة بمضمر وجوباً لكثرة دورانه على الألسنة، ويقال هذا للتأنيس وإزالة الحزن والاستحياء عن نفس من أتاهم من وافد، أو باغي خير، أو قاصد حاجة. وتقدير ابن حجر صادفتم، أو أصبتم غير ظاهر مع وجود القوم (**غير خزايا**) بفتح الخاء جمع خزيان من الخزي وهو الذل والإهانة، ونصبه على الحال من الوفد، والعامل فيه الفعل المقدر في مرحبا. وفي رواية للبخاري: «بالوفد الذين جاؤوا غير خزايا»، وجوّز جره على أنه بدل من القوم، وأغرب ابن حجر فقال: «ورُوي بالكسر صفة»، ووجه غرابته أن المحققين على أن غير متوغلة في النكرة بحيث إنها لا تصير معرفة بالإضافة ولو إلى المعرفة (**ولا ندامى**) جمع ندمان بمعنى نادم، أو جمع نادم على غير قياس، إذ قياسه نادمين ازدواجاً للخزايا، والمعنى ما كانوا بالإتيان إلينا خاسرين خائبين لأنهم ما تأخروا عن الإسلام، ولا أصابهم قتال ولا سبي فيوجب استحياء، أو افتضاحاً، أو ذلاً، أو ندماً. (**قالوا: يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك**) أي في جميع الأزمنة (**إلا في الشهر**) من الشهرة والظهور (**الحرام**) والمراد به الجنس لأن الأشهر الحرام أربعة ذو القعدة وذو

---

(١) في المخطوطة المصرية.

(٢) في المخطوطة فقال.

وبيننا وبينَكَ هذا الحيُّ من كُفَّارِ مُضَرَ؛ فمُرْنا بأمرٍ فصلٍ نُخْبِرْ به مَن وراءنا وندخلْ به الجنة،

الحجة ومحرم متوالية ورجب فرد، قال تعالى: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم﴾ [التوبة - ٣٦] وإنما قالوا ذلك اعتذاراً عن عدم الإتيان إليه عليه الصلاة والسلام في غير هذا الوقت، لأن الجاهلية كانوا يحاربون بعضهم بعضاً، ويكفون في الأشهر الحرم تعظيماً لها وتسهيلاً على زوّار البيت الحرام من الحروب والغارات الواقعة منهم في غيرها فلا يأمن بعضهم بعضاً في المسالك والمراحل إلا فيها، ومن ثم كان يمكن مجيء هؤلاء إليه عليه الصلاة والسلام فيها دون ما عداها لأمنهم فيها من كفار مضر الحاجزين بين منازلهم وبين المدينة، وكان هذا التعظيم في أول الإسلام ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ **(وبيننا وبينك هذا الحي)** الجملة حال من فاعل نأتيك، أو بيان لوجه عدم الاستطاعة. وأصل الحي منزل القبيلة، سميت به اتساعاً لأن بعضهم يحيا ببعض، أو يحيي بعضهم بعضاً **(من كفار مضر)** تبعيضية، أو بيانية وهو الأظهر، ومضر غير منصرف على الأصح، وهو ابن نزار بن [معد بن] عدنان فهو أخو ربيعة أبي عبد القيس **(فمرنا بأمر)** الأظهر أن الأمر بمعنى الشأن واحد الأمور، والباء صلة والتنكير للتعظيم، والمراد به معنى اللفظ ومورده، وقيل: الأمر واحد الأوامر أي القول الطالب للفعل، والتنكير للتقليل والباء للاستعانة والمراد به اللفظ والمأمور به محذوف أي مرنا نعمل بقولك آمنوا، أو قولوا آمنا. وأغرب ابن حجر في قوله: «ومن ثم قال الراوي أمرهم بالإيمان» ا هـ، فإنه يدل على أن الأمر بمعنى الشأن، لأنه لو كان كما قال لقال الراوي: قال عليه الصلاة والسلام لهم: [آمنوا، أو قولوا آمنا]. **(فصل)** بمعنى فاصل بين الحق والباطل، وهو صفة لأمر أي أمر قاطع، أو بمعنى مفصل لتفصيله ﷺ الإيمان بأركانه الخمسة، أو مفصول أي مبين واضح يفصل به المراد من غيره وحكي الإضافة **(نخبر)** بالرفع على أنه صفة ثانية لأمر، أو استئناف وبالجزم على جواب الأمر **(به)** أي بسببه كذا قيل، والظاهر أنها للتعدية **(من وراءنا)** بفتح الميم والهمزة أي من خلفنا من قومنا، أو من بعدنا ممن يدركنا، قال ابن حجر: «وفي رواية أخرى بكسرهما» ا هـ. وهو غير موجود في النسخ المصححة ويحتاج إلى تقدير المفعول **(وندخل)** عطف على نخبر بصيغة الفاعل، وفي نسخة بصيغة المفعول **(به)** أي بسبب قبول أمرك والعمل به، أو بالإخبار به المفهوم من نخبر **(الجنة)** [أي مع الفائزين، وقال ابن حجر: «مع الناجين» اهـ، وفيه مناقشة لا تخفى]، ودخول الجنة إنما هو بفضل الله، لكن العمل الصالح سببه، كما أن الأكل سبب الشبع والمشبع هو الله تعالى بفضله إذ لا يجب على الله سبحانه، أو المضاف مقدر أي درجاتها [فإنها] في مقابلة الأعمال ودخول الجنة بالإفضال، قال ابن حجر: «وهذا على حد: ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ [الزخرف: ٧٢]» أي بعملكم، ولا ينافيه خبر: «لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله»[1] لأن المراد نفي كون العمل سبباً مستقلاً في

(١) البخاري ١١/ ٢٩٤ حديث ٦٤٦٤ ومسلم ٤/ ٢١٧٠ حديث (٧٥. ٢٨١٦).

وسألوهُ عن الأشربةِ. فأمرَهم بأربعٍ، ونهاهُم عن أربعٍ:

أمرهم بالإيمان باللّهِ وحدَه، قال: «أتدرون ما الإيمانُ بالله وحدَه؟» قالوا: اللّهُ ورسولُهُ أعلمُ. قال: «شهادةُ أن لا إله إلا اللّهُ وأنَّ محمداً رسولُ الله، وإقامُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاةِ، وصيامُ رمضانَ،

الدخول بدليل قالوا: «ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»، وهذا أولى من الجواب بأن الباء في الآية للملابسة أي أورثتموها ملابسة لأعمالكم أي لثوابها، أو للمقابلة كبعته بدرهم، أو المراد الجنة العالية، أو بأن درجاتها بالعمل ودخولها بالفضل، وقال النووي: «الدخول بسبب العمل، والعمل من رحمته تعالى أي فلم يقع الدخول إلا برحمة الله، واعترض بأن المقدمة الأولى خلاف صريح الحديث، ويدفع بأن المراد به ما تقرر من انتفاء كونه سبباً مستقلاً مع قطع النظر عن كونه من الرحمة إذ القصد به الرد على من يرى عمله متكفلاً بدخولها من غير ملاحظة لكونه من جملة رحمة الله» اهـ. والتحقيق أن المراد بالحديث انتفاء دخولها بالعمل على وجه العدل وإثباته على طريق الفضل فما بينهما تناف يقبل الفصل (وسألوه) أي الوفد (عن الأشربة) جمع شراب وهو ما يشرب، أي عن حكم ظروفها بحذف المضاف، أو عن الأشربة التي تكون في الأواني المختلفة بحذف الصفة والمراد عن حكمها (فأمرهم بأربع) أي بأربع خصال تنبيهاً على أنها الأهم بالسؤال والأتم في تحصيل الكمال (ونهاهم عن أربع) أي أربع خصال، وهي أنواع الشرب باعتبار أصناف الظروف الآتية (أمرهم بالإيمان بالله وحده) نصب على الحال أي واحداً في الذات منفرداً في الصفات لا شريك له في الأفعال، وهذا الأمر توطئة فإن الأمر والنهي من فروع التكاليف، وهي موقوفة على الإيمان فإنه شرط صحتها ومبدأ ثبوتها (قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟) ذكره تنبيهاً لهم على تفريغ[1] أذهانهم لضبط ما يلقى إليهم فيكون أوقع في نفوسهم (قالوا: الله ورسوله أعلم) تأدباً وطلباً للسماع منه ﷺ، لأن القوم كانوا مؤمنين فلا وجه لقول ابن حجر: هو بمعنى عالم على حد: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ [الأنعام ـ ١٢٤]، ثم أغرب في قوله: «ويؤخذ منه الرد على من نازع في قول الفقهاء عقب نحو فتاويهم وأبحاثهم والله أعلم، وعلى من فصل فقال: يقول المجيب في العقائد وبالله التوفيق وفي الفروع والله أعلم» اهـ. فإنه تناقض بين تأويله وأخذه (قال) [قيل] أي الإيمان بالله وحده الذي هو بمعنى الإسلام، إذ كلّ يطلق بمعنى الآخر، ومن ثم فسره عليه الصلاة والسلام في بعض الأحاديث بما فسر به الإيمان هنا كذا قاله ابن حجر، وهو تأويل حسن لولا قوله: «بالله وحده» قال: (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) برفع شهادة [لا غير] على أنها خبر مبتدأ محذوف هو هو (وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان) بجر الثلاثة، وهو الأظهر، أو برفعها على ما سيأتي بيانها، قال القاضي عياض: وإنما لم يذكر الحج لأن وفادة عبد القيس كانت عام الفتح ونزلت فريضة الحج سنة تسع بعدها على

---

(١) في المخطوطة تفريع.

وأن تُعطوا من المغنم الخُمسَ».

ونهاهُم عن أربعٍ: عن الحَنْتَم، والدُّبَّاءِ، والنَّقِيرِ،

الأشهر **(وأن تعطوا من المغنم)** بفتح الميم والنون أي الغنيمة **(الخمس)** بضم الميم وسكونها، قال ابن الصلاح: «وأن تعطوا عطف على قوله: «بأربع» فلا يكون واحداً منها، وإن كان واحداً من مطلق شعب الإيمان» اهـ. فيكون هذا من باب زيادة الإفادة، قال الطيبي: في الحديث إشكالان: أولهما أن المأمور به واحد والأركان تفسير للإيمان بدلالة قوله: «أتدرون ما الإيمان»، وثانيهما أن الأركان [أي المذكورة] خمسة وقد ذكر أربعة أي أوّلاً، وأجيب عن الأول بأنه جعل الإيمان أربعاً نظراً إلى أجزائه المفصلة، وعن الثاني بأن عادة البلغاء إذا كان الكلام منصباً لغرض من الأغراض جعلوا سياقه له وكأن ما سواه مطروح، فههنا ذكر الشهادتين ليس مقصوداً لأن القوم كانوا مؤمنين مقرين بكلمتي الشهادة [بدليل] قولهم: «الله ورسوله أعلم» اهـ. ويدل عليه ما جاء في رواية للبخاري: «أمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع، أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان وأعطوا خمس ما غنمتم، ولا تشربوا في الدباء والحنتم والنقير والمزفت»[1] اهـ. وبهذه الرواية تندفع الإشكالات، ويرجع إليها التأويلات، لكني ما أقول ما قاله الطيبي من أن ذكر الشهادتين ليس مقصوداً بل أقول: هو المقصود بالذات، وإنما المذكورات بيان شعبها المعظمة وأركانها المفخمة، ومحمل كلام الطيبي أنه ليس مقصوداً من الأربع بل هو جملة معترضة بين الأربع وبين مبينها [و] قال السيد جمال الدين: «قيل هذا الحديث لا يخلو عن إشكال لأنه إن قرىء: «وإقام الصلاة» الخ بالرفع على أنها معطوفة على شهادة ليكون المجموع من الإيمان فأين الثلاثة الباقية؟، وإن قرئت بالجر على أنها معطوفة على قوله بالإيمان يكون المذكور خمسة لا أربعة، وأجيب على التقدير الأول بأن الثلاثة الباقية حذفها الراوي اختصاراً، أو نسياناً، وعلى التقدير الثاني بأنه عد الأربع التي وعدهم، ثم زادهم خامسة وهي أداء الخمس لأنهم كانوا مجاورين لكفار مضر وكانوا أهل جهاد وغنائم» اهـ. والأظهر اختيار الجر والمجرورات الأربعة بالعطف هي المأمورات، ويكون ذكر الإيمان لشرفه وفضله وبيان أساسه وأصله، سواء كانوا مؤمنين أو مرتدين، ويكون قوله: «أمرهم بالإيمان إلى آخر الشهادتين» كجملة معترضة، ويكون التقدير أمرهم بالإيمان أيضاً بدليل اتفاق أهل السنة على أن الأركان[2] ليست من أجزاء الإيمان، وللرواية السابقة عن البخاري. **(ونهاهم عن أربع)** أي خصال وهي الانتباذ في الظروف الأربعة والشرب منها **(عن الحنتم)** بدل بإعادة الجار، وهو بفتح الحاء الجرة مطلقاً، أو خضراء، أو حمراء أعناقها في جنوبها يجلب فيها الخمر [من مضر، أو أفواهها في جنوبها يجلب فيها الخمر] من الطائف، أو جرار تعمل من طين وأدم وشعر أقوال للصحابة وغيرهم، ولعلهم كانوا ينتبذون في ذلك كله **(والدباء)** بضم الدال وتشديد الباء ويمد ويقصر وعاء القرع، وهو اليقطين اليابس **(والنقير)** بفتح فكسر جذع ينقر وسطه وينبذ

---

(١) البخاري ١/١٢٩ حديث ٥٣.

(٢) في المخطوطة من أنها.

والمزفّتِ وقال: «احفظوهنّ وأخبروا بهنّ مَن وراءكم». متفق عليه. ولفظه للبخاري.

١٨ - (١٧) وعن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ، وحوله عِصابةٌ

فيه (والمزفت) بتشديد الفاء المفتوحة المطلي بالزفت، ويقال له القار والقير وربما قال[1] ابن عباس: المقير بدل المزفت، والمراد بالنهي ليس استعمالها مطلقاً بل النقيع فيها والشرب منها ما يسكر، وإضافة الحكم إليها خصوصاً إما لاعتيادهم استعمالها في المسكرات، أو لأنها أوعية تسرع بالاشتداد فيما يستنقع لأنها غليظة لا يترشح منها الماء ولا ينفذ فيه الهواء، فلعلها تغير النقيع في زمان قليل ويتناوله صاحبه على غفلة بخلاف السقاء فإن التغير فيه يحدث على مهل، والدليل على ذلك ما رُوي أنه قال: «نهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء فاشربوا في الأسقية كلها، ولا تشربوا مسكراً»[2]، وقيل: هذه الظروف كانت مختصة بالخمر فلما حرمت الخمر حرم النبي ﷺ استعمال هذه الظروف؛ إما لأن في استعمالها تشبيهاً بشرب الخمر، وإما لأن هذه الظروف كانت فيها أثر الخمر فلما مضت مدة أباح النبي ﷺ استعمال هذه الظروف، فإن أثر الخمر زال عنها. وأيضاً في ابتداء تحريم شيء يبالغ ويشدد ليتركه الناس مرة، فإذا تركه الناس واستقر الأمر يزول التشديد بعد حصول المقصود. هذا وذهب مالك وأحمد إلى أن تحريم الإنتباذ في هذه الظروف باق لم ينسخ لأن ابن عباس استفتى عن الانتباذ فذكره، فلو نسخ لم يذكره، ويرد بأنه لم يبلغه النسخ فلا يكون إيراده له حجة على من بلغه (وقال) أي النبي ﷺ (احفظوهن) أي الكلمات المذكورات من المأمورات والمنهيات واعملوا بهن (وأخبروا بهن) أي أعلموهن (من وراءكم) أي الذين خلفكم من القوم لتكونوا عالمين معلمين وكاملين مكملين، وفي بعض النسخ بكسر الميم وجر ما بعده، وهو غير ظاهر لاحتياجه إلى تقدير المفعول (متفق عليه) ورواه أبو داود والترمذي والنسائي (ولفظه) أي لفظ الحديث (للبخاري) يعني ولمسلم معناه، فبهذا المعنى صار الحديث متفقاً عليه.

١٨ - (وعن عبادة بن الصامت) [رضي الله عنه] بضم العين وتخفيف الموحدة، يكنى أبا الوليد الأنصاري، كان نقيباً وشهد العقبة الأولى والثانية والثالثة، وشهد بدراً والمشاهد كلها، ثم وجهه عمر إلى الشام قاضياً ومعلماً فأقام بحمص ثم انتقل إلى فلسطين ومات بها في الرملة، وقيل: ببيت المقدس سنة أربع وثلاثين وهو ابن ثنتين وسبعين. روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين [رضي الله عنه] (قال: قال رسول الله ﷺ: وحوله) نصبه على الظرف وهو خبر لقوله (عصابة) بالكسر اسم جمع كالعصبة لما بين العشرة إلى الأربعين من العصب وهو الشد، كأن بعضهم يشد بعضاً، أو من العصب لأنه يشد الأعضاء، والجملة حالية (من

---

(١) في المخطوطة قاله.
(٢) مسلم في صحيحه ٣/ ١٥٨٤ حديث ٩٧٧.

الحديث رقم ١٨: أخرجه البخاري ١/ ٦٤ حديث رقم ١٨. ومسلم ٣/ ١٣٣٣ حديث (٤١) والترمذي ٤/ ٣٦ حديث ١٤٣٩ والنسائي ٧/ ١٦٠ حديث ٤٢٠٥. وأحمد في المسند ٥/ ٣١٤.

من أصحابه: «بايعوني على أن لا تُشركوا باللّهِ شيئاً، ولا تَسرِقوا، ولا تَزنوا، ولا تَقتُلوا أولادَكم، ولا تأتوا بِبُهتانٍ تفترونَهُ بين أيديكم وأرجُلِكم، ولا تَعصُوا في مَعروف. فمنْ وَفَى منكم فأجرُهُ على اللّهِ، ومَنْ أصابَ مِن ذلك شيئاً فعُوقِبَ به في الدُّنيا؛ [فهو كَفَّارةٌ له، ومَنْ أصابَ مِنْ ذلك شيئاً ثم سَتَرَهُ اللّهُ عليه في الدنيا]

أصحابه) صفة لعصابة **(بايعوني)** [أي عاقدوني وعاهدوني تشبيهاً لنيل الثواب في مقابلة الطاعة بعقد البيع الذي هو مقابلة مال بمال، ووجه المفاعلة أن كلاً من المتبايعين يصير كأنه باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته، قال الله تعالى: **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم﴾** الآية [التوبة ـ ١١١] **(على أن لا تشركوا بالله شيئاً)** مفعول به، أو مفعول مطلق، قيل: الصحيح أن المراد به الرياء **(ولا تسرقوا)** وهو أخذ مال الغير محرزاً بخفية **(ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم)** بدفنهم أحياء؛ فصبيانكم خشية إملاق وافتقار، وبناتكم خوف لحوق عار وعيب **(ولا تأتوا ببهتان)** الباء للتعدية وهو الكذب الذي يبهت سامعه، قيل: المراد به القذف **(تفترونه)** أي تختلقونه وتخترعونه صفة بهتان **(بين أيديكم وأرجلكم)** أي من عند أنفسكم، وعبر بهما عن الذات والنفس لأن معظم الأفعال تزاول وتعالج باليد والرجل، وقيل: معناه لا تبهتوا الناس بالعيوب كفاحاً وشفاهاً كيلا يشاجر بعضكم بعضاً كما يقال: فعلت هذا بين يديك أي بحضرتك، وهذا النوع أشد البهت، أو لا تنسبوه مبنياً على ظن [فاسد] وغش مبطن من ضمائركم وقلوبكم التي هي بين أيديكم وأرجلكم، وقيل: معناه ولا تلحقوا بالرجال الأولاد من غير أصلابهم فإن إحداهن في الجاهلية كانت تلتقط المولود وتقول لزوجها: هو ولدي منك، فعبر بالبهتان المفتري بين يديها ورجلها عن الولد الذي تلحقه بزوجها كذباً، لأن بطنها الذي يحمله بين يديها وفرجها الذي تلد منه بين رجليها **(ولا تعصوا)** بضم الصاد تعميم بعد تخصيص **(في معروف)** ما عرف في الشرع حسنه أو قبحه **(فمن وفى منكم)** بالتخفيف ويشدد **(فأجره على الله)** قال الطيبي: «لفظ «وفى» دل على أن الأجر إنما ينال بالوفاء بالجميع، لأن الوفاء هو الإتيان بجميع ما التزمه من العهود والحقوق، وأما العقاب فإنه ينال بترك أي واحد كان» ا هـ. وفيه أنه إن كان المراد بالأجر كماله فالأمر كذلك، وإلا فلا يتوقف أجر امتثال طاعة أو اجتناب معصية على الآخر، ويدل عليه المذهب الصحيح أن التوبة عن بعض الذنوب صحيحة خلافاً للخوارج **(ومن أصاب من ذلك)** أي المذكور **(شيئاً فعوقب)** أي **(به)** كما في نسخة صحيحة يعني أقيم عليه الحد **(في الدنيا فهو)** أي الحد أو العقاب **(كفارة له)** وزاد في نسخة: «وطهور» بفتح الطاء أي يكفر إثم ذلك ولم يعاقب به في الآخرة، وهذا خاص بغير الشرك. وأخذ أكثر العلماء من هذا أن الحدود كفارات وخبر: «لا أدري الحدود كفارات أم لا» أجابوا عنه بأنه قبل هذا الحديث لأنه فيه نفي العلم، وفي هذا إثباته، والمعنى: لا يعاقب عليه في الآخرة بل على عدم التوبة منه إن مات قبلها، لأن تركها ذنب آخر غير ما وقع العقاب عليه لقوله تعالى: **﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾** [الحجرات ـ ١١] ويمكن أن يجعل الخلاف لفظياً والله أعلم. **(ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله)** أي ذلك الشيء المصاب أي **(عليه)** كما في نسخة، وعلى غيرها أي ستر الله ذلك المصيب أي ذنبه بأن لم يقم الحد عليه

فَهُوَ إلى اللَّهِ: إن شاءَ عَفا عنه، وإنْ شاءَ عاقَبَهُ» فبايعناهُ على ذلكَ. متفق عليه.

١٩ ـ (١٨) وعن أبي سعيد الخدري، قال: خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ في أضحى ـ أو فِطرٍ ـ إلى المصلى، فمرَّ على النّساءِ، فقال: «يا معشرَ النّساءِ! تصدَّقْنَ، فإنّي أُرِيتُكُنَّ أكثرَ أهلِ النارِ» فقلن: وَبِمَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «تُكثِرْنَ اللعنَ،

(فهو) أي المستور **(إلى الله)** أي أمره وحكمه من العفو والعقاب مفوّض إليه، فلا يجب عليه سبحانه عقاب عاص كما لا يجب عليه ثواب مطيع على المذهب الحق **(إن شاء عفا عنه)** قدم لسبق رحمته **(وإن شاء عاقبه)** رد على المعتزلة **(فبايعناه على ذلك)** وتسمى بيعة النساء كما في سورة الممتحنة، ولذا قيل: «عليكم بدين العجائز» **(متفق عليه)** ورواه الترمذي والنسائي.

١٩ ـ **(وعن أبي سعيد الخدري)** منسوب إلى خُدْرة بضم الخاء وسكون الدال المهملة حي من الأنصار. هو سعد بن مالك الأنصاري اشتهر بكنيته، كان من الحفاظ المكثرين، روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين، مات سنة أربع وستين ودفن بالبقيع وله أربع وثمانون سنة [رضي الله عنه] **(قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى)** بفتح الهمزة والتنوين واحده أضحاة لغة في الأضحية أي في عيد أضحى على حذف المضاف، بل غلب على عيد النحر فحينئذ مغن عن التقدير كالفطر، وفي بعض النسخ بترك التنوين سُمّي بذلك لأنه يفعل وقت الضحى وهو ارتفاع النهار **(أو فطر)** شك من الراوي **(إلى المصلى)** أي المسجد الذي يصلي فيه صلاة العيد، وهو الموجود إلى اليوم خارج السور في المدينة المشرفة **(فمر على النساء)** مر يتعدى بعلى كالباء، ويحتمل أنه قصدهن للوعظ، أو لما مر بهن وعظهن **(فقال: يا معشر النساء)** أي جماعتهن، والخطاب عام غلبت الحاضرات على الغيب **(تصدقن)** أمر لهن أي اعطين الصدقة **(فإني أريتكن)** على طريق الكشف، أو على سبيل الوحي **(أكثر أهل النار)** على صيغة المجهول من أرى إذا أعلم وله ثلاثة مفاعيل، أحدها التاء القائمة مقام الفاعل، والثاني كن، والثالث أكثر أي أعلمت [بأنكن أكثر دخولاً في النار من الرجال، والصدقة تقي منها كل امرىء في ظل صدقته حتى يقضي بين الناس اتقوا النار ولو بشق تمرة، ولأن علة كونهن أكثر أهل النار محبتهن للدنيا وبالتصدق يزول، أو ينقص رذيلة البخل الناشىء عن محبتها المذمومة، ولهذه النكتة ورد: «اليد العليا خير من اليد السفلى»[1]] **(فقلن: وبم يا رسول الله)** أصله بما حذفت ألف ما الاستفهامية بدخول حرف الجر عليها تخفيفاً، والباء للسببية متعلقة بمقدر بعدها، والواو إما للعطف على مقدر قبله، والتقدير فقلن: كيف يكون ذلك؟ وبأي شيء نكن أكثر أهل النار؟، أو زائدة ليدل على أنه متصل بما قبله لا سؤال مستقل بنفسه منقطع عما قبله **(قال: تكثرن اللعن)** أصله إبعاد الله تعالى العبد من رحمته بسخطه، ومن الإنسان الدعاء بالسخط

الحديث رقم ١٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٤٠٥ حديث رقم ٣٠٤. ومسلم ١/ ٨٦ حديث (١٣٢. ٧٩) والترمذي عن أبي هريرة ٥/ ١١ حديث رقم ٢٦١٣ وابن ماجة عن ابن عمر ٢/ ١٣٢٦ حديث ٤٠٠٣.

(١) البخاري ٣/ ٢٩٤ حديث ١٤٢٩. ومسلم ٢/ ٧١٧ حديث ١٠٣٤.

وتكفُرْنَ العشيرَ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين اذْهَبَ لِلُبِّ الرجلِ الحازمِ من إحداكُنَّ».

قلن: وما نُقصانُ ديننا وعقلِنا؟ يا رسولَ الله!

والإبعاد على نفسه أو غيره. وفيه مصادرة لسعة رحمته التي سبقت غضبه؛ ومن ثم اتفق العلماء على تحريمه لمعين ولو كافراً لم يعلم موته على الكفر يقيناً، إذ كيف يبعد من رحمة الله من لا يعرف خاتمة أمره وإن كان كافراً في الحالة الراهنة لاحتمال أن يموت مسلماً بخلاف من علم من الشارع موته كافراً كأبي جهل، أو أنه سيموت كذلك كإبليس فإنه لا حرج في لعنه، وبخلاف اللعن لا لمعين بل بوصف كلعن الله الواصلة وآكل الربا والكاذب، لأنه يتصرف إلى الجنس، ولعل وجه التقييد بالإكثار أن اللعن يجري على ألسنتهن لاعتيادهن من غير قصد لمعناه السابق فخفف الشارع عنهن ولم يتوعدهن بذلك إلا عند إكثاره، ونظيره ما قاله بعض الأئمة: إن الغيبة صغيرة، ووجهوه بأن الناس ابتلوا بها فلو كانت كبيرة على الإطلاق كما جرى عليه كثيرون، بل حُكي عليه الإجماع للزم تفسيق الناس كلهم أو غالبهم، وفي ذلك حرج أي حرج، وقد يستعمل في الشتم والكلام القبيح يعني: عادتكن إكثار اللعن والشتم والإيذاء باللسان **(وتكفرن)** بضم الفاء **(العشير)** أي المعاشر الملازم وهو الزوج ههنا، وكفرانه جحد نعمته وإنكارها، أو سترها بترك شكرها، و [في الحديث]: «ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله»[1] يعني شكراً كاملاً فإنه شكر المسبب ولم يشكر السبب، واستعمال الكفران في النعمة والكفر في الدين أكثر **(ما رأيت من ناقصات عقل ودين)** من مزيدة للاستغراق صفة لمفعوله المحذوف أي ما رأيت أحداً من ناقصات، وقيل: يحتمل أن يكون بياناً لإحداكن على المبالغة، أو بالعكس وقوله **(أذهب)** صفة لمحذوف أي أحداً، وعلى الأول صفة أخرى له إن كان بمعنى أبصرت، ومفعول ثانٍ لرأيت إن كان بمعنى علمت، والمفضل عليه مفروض مقدر وهو أفعل التفضيل من الإذهاب لمكان اللام في قوله **(للب الرجل)** فمعناه أكثر إذهاباً للب، وهذا جائز على رأي سيبويه كهو أعطاهم للدرهم، ثم العقل غريزة يدرك بها المعنى ويمنع عن القبائح، وهو نور الله في قلب المؤمن، واللب العقل الخالص من شوب الهوى **(الحازم)** صفة الرجل أي الضابط أمره، وفي ذكره مع ذكر اللب إشعار بأن فتنتهن عظيمة تذهب بعقول الحازمين فما ظنك بغيرهم **(من إحداكن)** متعلق بأذهب، وإنما لم يقل منكن لأن الواحدة إذا كانت على هذه الصفة الذميمة فكونهن عليها أولى من غير عكس. وما أحسن قول جرير في وصف عيوبهن:

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله أركانا

(قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟) مع أن ديننا ودين الرجل واحد، وكلنا معدودون من ذوي العقول؛ ولعلهن خالفن الترتيب السابق الموافق للاحق إشارة إلى الاهتمام بأمر الدين ليتداركن إن كان مما يمكنه التدارك، أو إيماء إلى نقصان عقلهن حيث ما راعين

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٩٩/٤ حديث ١٩٥٥ وقال حسن صحيح.

قال: «أليس شهادةُ المرأةِ [مثل] نصفِ شهادةِ الرجلِ؟». قلن: بلى قال: «فذلك من نُقصانِ عقلِها. قال: أليسَ إذا حاضَتْ لم تُصَلِّ ولم تَصُمْ؟». قلن: بلى. قال: «فذلك من نُقصانِ دينِها». متفق عليه.

٢٠ - (١٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: كذَّبني ابنُ آدمَ ولم يكنْ له ذلك،

كلام النبوة وما فهمن وجه الترتيب من أن نقصان العقل أمر جبلي مقدم في الوجود، ونقصان الدين أمر حادث، أو لأن الغالب إنما ينشأ نقصان الدين من نقصان العقل.

ثم هذا السؤال من حذاقة أولئك الحاضرات، ومن ثمة مدحهن ﷺ بقوله: «نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»[1]، وفي هذا وما قبله حث للمتعلم على مراجعة العالم فيما لم يظهر له معناه (قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل) لقوله تعالى: ﴿فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان﴾ [البقرة - ٢٨٢] (قلن: بلى، قال: فذلك) إشارة إلى الحكم السابق، والكاف لخطاب العام، ويحتمل الكسر ولذا لم يقل ذلكن مع كون الخطاب للنساء، وقال العسقلاني بكسر الكاف خطاب للواحدة التي تولت الخطاب، ويجوز فتحها على أنه خطاب للعام (من نقصان عقلها) ولذا قال تعالى: ﴿أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾ [البقرة - ٢٨٢] (قال) لعل إعادة قال ليدل على أنه قول مستقل راجع إلى نظيره السابق وليس من تتمة هذا القول [القريب]، وهو موجود في أكثر النسخ وأما في[2] أصل السيد جمال الدين ومتن صحيح البخاري فغير موجود والله أعلم (أليس) اسمها ضمير الشأن وخبرها قوله (إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى، قال: فذلك) أي كونها غير مصلية ولا صائمة (من نقصان دينها) يعني في الجملة لأنها حرمت من ثواب الصلاة، فإنها لا تقضي ومن كمال ثواب الصوم حيث لم يقع في وقت الفضيلة مع مشاركة المؤمنين في الطاعة، ولعل هذا وجه إيراده في هذا الباب والله أعلم بالصواب (متفق عليه) ورواه النسائي وابن ماجة.

٢٠ - (وعن أبي هريرة) مر ذكره [رضي الله عنه] (قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى:) هذا حديث قدسي، والفرق بينه وبين القرآن أن الأول يكون بالهام أو منام أو بواسطة ملك بالمعنى؛ فيعبره بلفظه وينسبه إلى ربه، والثاني لا يكون إلا بإنزال جبريل باللفظ المعين، وهو أيضاً متواتر بخلاف الأول فلا يكون حكمه حكمه في الفروع (كذبني) بسكون الياء ويجوز فتحها أي نسبني إلى الكذب (ابن آدم)[3] أي هذا الجنس، والتكذيب هو الأخبار عن كون خبر متكلم غير مطابق للواقع (ولم يكن له ذلك) أي ما صح وما استقام وما كان ينبغي التكذيب له

---

(١) ابن ماجة ١/ ٢١٠ حديث ٦٤٢. (٢) في المخطوطة ما.

الحديث رقم ٢٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٧٣٩ حديث رقم ٤٩٧٤، والنسائي في سننه ٤/ ١٢ حديث رقم ٢٠٧٨ وأحمد في مسنده.

(٣) ذكر في المخطوطة «عبدي» بدل ابن آدم.

وشتمني ولم يكن له ذلك ؛ فأما تكذيبُهُ إيّايَ فقولُهُ: لن يُعيدَني كما بَدَأني ، وليسَ أوّلُ الخلقِ بأهوَن عليَّ من إعادتِه. وأما شتمُهُ إيّايَ: فقولُهُ: اتخذ اللهُ ولداً، وأنا الأحدُ الصَّمدُ

(وشتمني) الشتم توصيف الشيء بما هو إزراء ونقص فيه، وإثبات الولد له كذلك لأنه قول بمماثلة الولد في تمام حقيقته، وهي مستلزمة للإمكان المتداعي إلى الحدوث (ولم يكن) لائقاً وحقاً (له ذلك) الشتم (فأما تكذيبه إياي) تفصيل لما أجمله (فقوله: لن يعيدني) الإعادة هي الإيجاد بعد العدم المسبوق بالوجود، فالمعنى لن يحييني بعد موتي (كما بدأني) أي أوجدني عن عدم وخلقني ابتداء أي كالحالة التي كنت عليها حين بدأني، أو إعادة مثل بدئه إياي، أو لن يعيدني مماثلاً لما بدأني عليه، أو لبدئه لي من تراب أي لا يقدر على ذلك، أو لا يريد الإعادة من أصلها، أو إعادة الأجسام. وكل ذلك كفر وتكذيب بالآيات القرآنية الدالة على الإعادة الجسمانية خلافاً لما ذهب[1] إليه حمقى كالأنعام بل هم أضل ولذا رد عليهم بقوله (وليس أول الخلق) يجوز أن يكون من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف أي ليس الخلق الأوّل للمخلوقات، أو من قبيل حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أي ليس أوّل خلق الخلق والخلق بمعنى المخلوق، أو اللام عوض عن المضاف إليه أي أول خلق الشيء (بأهون) الباء زائدة للتأكيد من هان الأمر يهون إذا سهل أي ليس أسهل (عليّ من إعادته) أي المخلوق، أو الشيء بل هما مستويان في قدرتي بل الإعادة أسهل عادة لوجود أصل البنية وأثرها، أو أهون على زعمكم وبالنسبة إليكم، أو أسهل على المخلوق فإن العود يكون آنياً بخلاف الإيجاد فإنه يكون تدريجياً، وفيه اقتباس من الآية ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ [الروم ـ ٢٧]، وقيل: فيه تنبيه على مثال يرشد النبيه إلى فهم الحق، وتقريره عنده وهو ما يشاهده إن من اخترع صنعة لم ير مثلها ولم يجد لها أصلاً ولا عدداً صعبت عليه وتعب فيها غاية التعب، والتقر إلى مكابدة أعمال ومعاونة أعوان ومرور أزمان ومع ذلك فكثيراً لا يتم له مقصوده ولا يظفر منه بطائل، وشاهد ذلك ما وقع واستقرىء لأكثر طالبي صنعة الكيمياء حتى أن بعضهم لما توهم بعد فناء عمره وماله في معرفتها أنها صحت معه أزعجه الفرح بها إلى أن وقع من علو كان فيه فاندقت عنقه، وأما من أراد إصلاح منكسر وإعادة متهدم وعنده عدد ذلك وأصوله فيهون عليه ذلك، ويتم له مقصوده في أسرع وقت. فمن تدبر ذلك علم أن الإعادة أسهل من البداءة بالنسبة إلينا، والحاصل أن إنكارهم الإعادة بعد أن أقروا بالبداية تكذيب منهم له تعالى، والجملة حالية وعاملها قوله في «فقوله»، وصاحبها الضمير المضاف إليه في قوله (وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً) أي اختاره سبحانه، قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت العرب: الملائكة بنات الله (وأنا الأحد الصمد) الذي غير محتاج إلى والد وولد، والجملة حالية كما مر، واتخاذ الولد نقص لاستدعائه محالين أحدهما مماثلته للولد وتمام حقيقته فيلزم إمكانه وحدوثه، وثانيهما استخلافه لخلف يقوم بأمره من بعده، إذ الغرض من التوالد بقاء النوع فيلزم زواله وفناؤه سبحانه، ولذا قال تعالى: ﴿تكاد السموات يتفطرن منه﴾

(١) في المخطوطة ثمن.

الذي لم أَلِدْ ولم أولَدْ، ولم يكنْ لي كُفؤاً أحد».

٢١ ـ (٢٠) وفي رواية عن ابن عباس: «وأما شتمُهُ إيّايَ فقولُه: لي ولَدٌ، وسبحاني أن أتخِذَ صاحبةً أو ولداً». رواه البخاري.

الآية [مريم ـ ٩٠]، والأحد المنفرد المطلق ذاتاً وصفاتاً، وفرق بين الأحد والواحد بأن الواحد لنفي مفتتح العدد، والأحد لنفي كل عدد، فالواحد ينبىء عن تفرد الذات عن المثل والنظير، والأحد ينبيء عن تفردها عن كل نقص وإتصافها بكل كمال، فكيف مع ذلك يحتاج إلى الولد، والصمد هو الذي يحتاج إليه كل أحد وهو غني عنهم (الذي لم ألد) من قبيل

* أنا الذي سمتني أمي حيدرة *

أي لم أكن والداً لأحد لأن القديم لا يكون محل الحادث (ولم أولد) أي ولم أكن ولداً لأحد، لأنه أوّل قديم بلا ابتداء كما أنه آخر بلا انتهاء (ولم يكن لي كفوًا) بضم الكاف والفاء، وسكونها مع الهمزة، وبضمهما مع الواو ثلاث لغات متواترات، يعني مثلاً وهو خبر كان وقوله (أحد) اسمها ونفي الكفء يعم الوالدية والولدية والزوجية وغيرها.

٢١ ـ (وفي رواية ابن عباس) أي في هذا الحديث بعد قوله: «اتخذ الله ولداً» (وأما شتمه إياي فقوله: لي ولد) وهو اسم جنس يشمل الذكر والأنثى (وسبحاني) وفي نسخة صحيحة بالفاء اي نزهت ذاتي (أن أتخذ) أي من أن أتخذ (صاحبة) أي زوجة لعدم الاحتياج ونفي الجنسية (أو ولداً) قال ابن الملك: شك من الراوي والظاهر أن أو للنوع ويدل عليه ما في جامع الحميدي ولا ولداً، قال الطيبي: زيد لا لما في «سبحاني» من معنى التنزيه أي المرادف للنفي المقتضي للعطف في خبره بلا، وفي الحديث من سعة حلمه تعالى ما يبهر العقل، إذ لو وقع مثل ذلك لأدنى خلقه من غيره لحمله غضبه فيه على استئصاله من أصله مع ضعفه وعجزه ولم يفعل تعالى شأنه بمن قال ذلك شيئاً بل أرشده للحق ودل عليه بأبلغ دليل وأوضحه (رواه البخاري) اعلم أن رواية البخاري عن أبي هريرة بلفظ: «قال الله تعالى: شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني، وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني، أما شتمه إياي فقوله: إن لي ولداً وأنا الله الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد، وأما تكذيبه إياي فقوله: ليس يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته» وكذا رواه أحمد والنسائي، وأما رواية البخاري عن ابن عباس فلفظه: قال الله تعالى: «كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله: لي ولد وسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً» كذا في الجامع الصغير[1] فتأمل يظهر لك حقيقة الروايتين.

الحديث رقم ٢١: البخاري ٨/١٦٨ حديث رقم ٤٤٨٢.

(١) الجامع الصغير ٢/٢٧٣ حديث رقم ٦٠١٤.

٢٢ . (٢١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «قال الله تعالى: يُؤذيني ابنُ آدمَ يَسُبُّ الدَّهرَ، وأنا الدَّهرُ، بيدي الأمرُ، أُقلِّبُ اللّيلَ والنّهارَ». متفق عليه.

٢٣ . (٢٢) وعن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحدٌ أصبرَ

---

٢٢ ـ **(وعن أبي هريرة)** [وإنما] لم يقل وعنه لئلا يتوهم مرجعه إلى ابن عباس فإنه أقرب مذكور، وإن كان أبو هريرة هو المعنون في العنوان **(قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: يؤذيني)** بالهمز ويبدل أي يقول في حقي **(ابن آدم)** ما أكره وينسب إليّ ما لا يليق بي، أو ما يتأذى به من يصح في حقه التأذي، ولذا قيل هذا الحديث من المتشابه، لأن تأذي الله تعالى محال فإما أن يفوّض وإما أن يؤوّل كما تقدم. وقد يطلق الإيذاء على إيصال المكروه للغير بقول أو فعل وإن لم يتأثر به، فإيذاء الله تعالى فعل ما يكرهه وكذا إيذاء رسول الله ﷺ، ومنه قوله تعالى: **﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة﴾** [الأحزاب ـ ٥٧] **(يسب الدهر)** بصيغة المضارع استئناف بيان، ورُوي بحرف الجر وفتح السين وجر الدهر يعني ظناً منه أن الدهر يعطي ويمنع ويضر وينفع **(وأنا الدهر)** يُروى برفع الراء، قيل هو الصواب وهو مضاف إليه أقيم مقام المضاف أي أنا خالق الدهر، أو مصرف الدهر [أو مقلبه، أو مدبر الأمور التي تنسبوها إليه؛ فمن سبه بكونه فاعلها عاد سبه إليّ لأني الفاعل لها، وإنما الدهر زمان جعل ظرفاً لمواقع الأمور]، وأتى بأداة الدهر مبالغة في الرد على من يسبه، وهم صنفان: دهرية لا يعرفون للدهر خالقاً. ويقولون: ما يهلكنا إلا الدهر، أو معترفون بالله تعالى لكنهم ينزهونه عن نسبة المكاره إليه، فيقولون تباً له وبؤساً وخيبةً ونحو ذلك، وقد يقع من بعض عوام المؤمنين جهالة وغفلة. ويُروى بنصب الدهر على الظرفية أي أنا الفاعل، أو المتصرف [في الدهر، وقيل الدهر: الثاني غير الأول فإنه بمعنى زمان مدة العالم من مبدأ التكوين إلى أن ينقرض، أو الزمن الطويل المشتمل على تعاقب الليالي والأيام، بل هو مصدر بمعنى الفاعل ومعناه أنا الداهر المتصرف] المدبر المفيض لما يحدث، وقال الراغب: الأظهر أن معناه أنا فاعل ما يضاف إلى الدهر من الخير والشر والمسرة والمساءة، فإذا سببتم الذي تعتقدون أنه فاعل ذلك فقد سببتموني **(بيدي الأمر)** بالإفراد وفتح الياء وقد تسكن، وجوز التثنية وفتح الياء المشددة للتأكيد والمبالغة، أي الأمور كلها خيرها وشرها حلوها ومرها تحت تصرفي **(أقلب الليل والنهار)** كما أشاء بأن أنقص فيهما، أو أزيد وأقلب قلوب أهلهما كما أريد **(متفق عليه)** ورواه أحمد وأبو داود، ورواه مسلم عنه أيضاً بلفظ: قال الله تعالى: «يؤذيني ابن آدم، يقول: يا خيبة الدهر، فلا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فإذا شئت قبضتهما».

٢٣ ـ **(وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: ما أحد أصبر)** أي ليس أحد

الحديث رقم ٢٢: أخرجه البخاري ٨/ ٥٧٤ حديث رقم ٤٨٢٦ ومسلم ٤/ ١٧٦٢ حديث (٢ ـ ٢٢٤٦) وأبو داود ٥/ ٥٢٣ حديث رقم ٥٢٧٤ وأحمد في المسند ٢/ ٢٧٢.

الحديث رقم ٢٣: أخرجه البخاري ١/ ٥١١ حديث ٦٠٩٩. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٦٠ حديث (٤٩ ـ ٢٨٠٤) وأحمد في المسند ٤/ ٤٠٦.

على أذىً يَسمعه مِن اللّٰهِ تعالى يَدْعونَ له الولدَ، ثمّ يعافيهم ويرزقُهم». متفق عليه.

٢٤ ـ (٢٣) وعن معاذ رضي الله عنه قال: كنتُ رِدْفَ النبي ﷺ على حمارٍ، ليس بيني وبينه إلا مُؤخِرَةُ الرَّحْلِ، فقال: «يا معاذُ! هل تدري ما حقُّ اللّٰهِ على عبادِهِ؟ وما حقُّ العبادِ على اللّٰهِ؟»

أشد صبراً، والصبر حبس النفس عما تشتهيه، أو على ما تكره؛ وهو في صفة الباري تأخير العذاب عن مستحقة (**على أذى**) قيل: إنه اسم مصدر آذى يؤذي بمعنى المؤذي صفة محذوف أي كلام مؤذ قبيح صادر من الكفار وقوله (**يسمعه**) صفة أذى وهو تتميم لأن المؤذي إذا كان بمسمع من المؤذي كان تأثير الأذى أشد، وهذا بالنسبة إلينا وإلا فالمسموع وغيره معلوم عنده تعالى (**من الله**) متعلق بقوله: «أصبر»، لا «بيسمعه» (**يدعون**) بسكون الدال، وقيل بتشديدها (**له الولد**)[1] والجملة استئناف بيان للأذى (**ثم يعافيهم**) بدفع المضرة عنهم (**ويرزقهم**) بإيصال المنفعة إليهم؛ انظر فضله وإنعامه في معاملته مع من يؤذيه فما ظنك بمن يحتمل الأذى عمن يعصيه، ويمتثل ارتكاب طاعاته واجتناب مناهيه. وفيه إرشاد لنا إلى تحمل الأذى، وعدم المكافأة والتخلق بأخلاق الله تعالى (**متفق عليه**) ورواه النسائي.

٢٤ ـ (**وعن معاذ**) أي ابن جبل [يكنى أبا عبد الله الأنصاري الخزرجي، وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد، وبعثه إلى اليمن قاضياً ومعلماً. روى عنه عمر وابن عمر وابن عباس وخلق سواهم، مات وله ثمان وثلاثون سنة]. (**قال: كنت ردف النبي ﷺ**) وهو بكسر الراء وسكون الدال الذي يركب خلف الراكب من الردف وهو العجز، أي كنت رديفه (**على حمار**)[2] إشارة إلى كمال التذكر بالقصة، وإشعار بتواضعه عليه الصلاة والسلام (**ليس بيني وبينه**) أراد شدة القرب فيكون الضبط أكثر (**إلا مؤخرة الرحل**) استثناء مفرغ، وهو العود الذي يكون خلف الراكب بضم الميم بعدها همزة ساكنة وقد تبدل ثم خاء مكسورة هذا هو الصحيح، وفيه لغة أخرى بفتح الهمزة والخاء المشددة المكسورة وقد تفتح (**فقال: يا معاذ هل تدري**) أي أتعرف (**ما حق الله على عباده**) قال الزمخشري: الدراية معرفة تحصل بضرب من الخداع ولذا لا يوصف الباري بها، أي ولا بالمعرفة لاستدعائها سبق جهل بخلاف العلم، أو لتعلق المعرفة بالجزئيات والله تعالى يعلم الجزئيات والكليات (**وما حق العباد على الله؟**) حق الله بمعنى الواجب واللازم، وحق العباد بمعنى الجدير واللائق؛ لأن الإحسان إلى من لا يتخذ رباً سواه جدير في الحكمة أن يفعله، ولا يجب على الله شيء خلافاً للمعتزلة، وقيل: حق العباد ما وعدهم به. ومن صفة وعده أن يكون واجب الإنجاز فهو حق

---

(١) في المخطوطة الوالد.

الحديث رقم ٢٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٨ حديث ٢٨٥٦ ومسلم في صحيحه ١/ ٥٨ حديث (٤٨ . ٣٠) والترمذي ٥/ ٢٦ حديث رقم ٢٦٤٣. وابن ماجة في سننه ٢/ ١٤٣٥ حديث ٤٢٩٦.

(٢) جاء في الصحيحين أن الحمار اسمه عفير.

قلتُ: اللهُ ورسولُهُ أعلم. قال: «فإنّ حَقّ اللهِ على العبادِ أن يعبُدُوه ولا يُشرِكُوا به شيئاً، وحقُ العبادِ على اللهِ أن لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشرِكُ به شيئاً» فقلت: يا رسولَ اللهِ! أفلا أُبَشِّرُ به الناسَ؟ قال: «لا تُبشِّرْهُم فيتّكِلُوا».

بوعده الحق وقال النووي: حق العباد على جهة المشاكلة والمقابلة لحقه عليهم، ويجوز أن يكون من قول الرجل حقك وأجب عليّ أي قيامي به متأكد، ومنه قول النبي ﷺ: «حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام»[(١)] (**قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن**) أي إذا فوضت فاعلم أن (**حق الله على العباد أن يعبدوه**) أي يوحدوه، أو يقوموا بعبادته وعبوديته بمقتضى إلهيته وربوبيته (**ولا يشركوا به شيئاً**) الواو لمطلق الجمع، وهو تأكيد أو تخصيص (**وحق العباد**) بالنصب ويجوز رفعه (**على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً**) من الأشياء، أو الإشراك أي عذاباً مخلداً فلا ينافي دخول جماعة النار من عصاة هذه الأمة، كما ثبت به الأحاديث الصحيحة بل المتواترة، ومن ثمة أوجبوا الإيمان به. فإن قلت: كيف هذا مع قول البيضاوي: وليس بحتم عندنا أن يدخل النار أحد من الأمة بل العفو عن الجميع بموجب وعده ﴿**ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ [النساء ـ ٤٨] ﴿**يغفر الذنوب جميعاً**﴾ [الزمر ـ ٥٣] مرجو؟ قلت: البيضاوي لم ينف الدخول، وإنما نفى تحتمه، وجوّز العفو عن الجميع من حيث عموم الوعد، وأما من حيث إخباره عليه الصلاة والسلام بأنه لا بد من دخول جمع من العصاة النار فلم يتعرض له البيضاوي على أنه قال: اللازم على الوعد المذكور عموم العفو، وهو لا يستلزم عدم الدخول لجواز العفو عن البعض بعد الدخول وقبل استيفاء العقاب. اهـ. وفيه مع ذلك نظر لأن النصوص دلت على دخول جمع النار وتعذيبهم بها وقد أسودت أبدانهم حتى صارت كالفحم فيجب الإيمان بذلك (**فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس؟**) أي عمومهم، والفاء في جواب الشرط المقدر أي إذا كان كذلك أفلا أبشرهم بما ذكرت من حق العباد؛ والبشارة إيصال خبر إلى أحد يظهر أثر السرور منه على بشرته، وأما قوله تعالى: ﴿**فبشرهم بعذاب أليم**﴾ [آل عمران ـ ٢١] فتهكم أو تجريد[(٢)] (**قال: لا تبشرهم**) قال: بعض النهي مخصوص ببعض الناس، وبه احتج البخاري على أن للعالم أن يخص بالعلم قوماً دون قوم كراهة أن لا يفهموا، وقد يتخذ أمثال هذه الأحاديث البطلة والمباحية ذريعة إلى ترك التكاليف ورفع الأحكام، وذلك يفضي إلى خراب الدنيا بعد خراب العقبى (**فيتكلوا**) منصوب في جواب النهي بتقدير أن بعد الفاء، أي يعتمدوا ويتركوا الاجتهاد في حق الله تعالى، فالنهي منصب على السبب والمسبب معاً أي لا يكن منك تبشير فاتكال منهم، وإنما رواه معاذ مع كونه منهياً عنه لأنه علم منه أن هذا الأخبار يتغير بتغير الزمان والأحوال، والقوم يومئذ كانوا حديثي العهد بالإسلام لم يعتادوا بتكاليفه فلما تثبتوا واستقاموا أخبرهم، أو رواه بعد ورود الأمر بالتبليغ والوعيد على الكتمان. ثم إن معاذاً مع جلالة قدره لا يخفى عليه ثواب نشر العلم ووبال كتمه،

---

(١) البخاري ٢/ ٣٨٢ حديث ٨٩٧ ومسلم ٢/ ٥٨٢ حديث ٨٤٩.

(٢) في المخطوطة تحرير.

متفق عليه.

٢٥ ـ (٢٤) وعن أنسٍ رضي الله عنه: أن النبيَّ ﷺ، ومعاذٌ رديفُه على الرحلِ، قالَ: «يا معاذ!» قال: لبيك يا رسولَ الله وسعديْك. قال: «يا معاذ!» قال: لبيك يا رسول الله وسعديْك قال: «يا معاذ!» قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثلاثاً. قال: قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله، صِدْقاً من قلبه إلا حَرَّمه الله على النار». قال: يا رسول الله! أفلا أخبرُ به الناسَ فيستبشروا؟

فرأى التحدث واجباً في الجملة، ويؤيده ما رُوي في الحديث الذي يتلوه: «فأخبر معاذ عند موته تأثماً»، وقيل: إنما نهى النبي ﷺ معاذاً عن التبشير، وأخبر به معاذ بعد تبشير النبي ﷺ المؤمنين فلا يلزم ارتكاب المنهي لأن النهي عن التبشير لا عن الإخبار (متفق عليه) ورواه أبو داود والترمذي والنسائي.

٢٥ ـ (وعن أنس) مر ذكره (أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل) الجملة حالية معترضة بين اسم إن وخبرها (قال: يا معاذ، قال:) أي معاذ (لبيك) مثنى مضاف بُني للتكرير من غير حصر من لَبَّ أجاب، أو أقام أي أجيبت لك إجابة بعد إجابة، أو أقمت على طاعتك إقامة بعد إقامة (رسول الله) بحذف حرف النداء لكمال القرب (وسعديك) عطف على لبيك أي ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة (قال: يا معاذ، قال: لبيك رسول الله وسعديك) تكرير النداء لتأكيد الاهتمام بما يخبر وليكمل تنبيه معاذ فيما يسمعه فيكون أوقع في النفس وأشدّ في الضبط والحفظ (قال: يا معاذ، قال: لبيك رسول الله وسعديك ثلاثاً) أي وقع هذا النداء والجواب ثلاث مرات وفي النسخ المصححة كلها بحذف حرف النداء في رسول الله، ووقع في نسخة ابن حجر وجودها في الثالثة فأطنب في توجيهه (قال:) وفي نسخة «قال» مكرراً أي قال أنس (قال) النبي ﷺ: (ما من أحد) من زائدة لاستغراق النفي واحد مبتدأ وصفته (يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً) مصدر فعل محذوف أي يصدق صدقاً وقوله (من قلبه) صفة صدقاً لأن الصدق قد لا يكون من قلب أي اعتقاد كقول المنافق إنك لرسول الله، أو يكون بمعنى صادقاً حال من فاعل يشهد وخبر المبتدأ قوله (إلا حرمه الله على النار) وهو استثناء مفرغ أي ما من أحد يشهد محرم على شيء إلا محرماً على النار، والتحريم بمعنى المنع حُكي عن جماعة من السلف منهم ابن المسيب أن هذا كان قبل نزول الفرائض والأمر والنهي، وقال بعضهم: معناه من قال الكلمة وأدى حقها وفريضتها فيكون الامتثال والانتهاء مندرجين تحت الشهادتين وهذا قول الحسن البصري، وقيل: إن ذلك لمن قالها عند الندم والتوبة ومات على ذلك قبل أن يتمكن من الاتيان بفرض آخر وهذا قول البخاري، والأقرب أن يراد تحريم الخلود. (قال: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس) في وضع «أخبر» موضع «أبشر» تجريد، أو رجوع إلى أصل اللغة، أو اكتفاء بقوله (فيستبشروا؟) أي يفرحوا بحيث يظهر أثر السرور على

الحديث رقم ٢٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٢٢٦ حديث ١٢٨ ومسلم ١/ ٦١ حديث (٥٣ ـ ٣٢).

قال: «اذاً يتكلوا». فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً. متفق عليه.

٢٦ ـ (٢٥) وعن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: أتيتُ النبي ﷺ، وعليه ثوبٌ أبيضُ، وهو نائمٌ، ثم أتيتُه وقد استيقظ، فقال: «ما مِن عبدٍ قال: لا إله إلا اللّهُ، ثم ماتَ على ذلك؛ إلا دخلَ الجنّة»

بشرتهم لما فيه من عظيم العفو إذ لم يسمعوا به قبل ذلك (قال: إذاً يتكلوا) إذن حرف جواب وجزاء، وقد يستعمل لمحض الجواب كما هنا أي لا تخبرهم بذلك لأنك إن أخبرتهم وبهذه البشارة بشرتهم يعتمدوا على ألطاف الربوبية ويتركوا حق العبودية، فينجروا[1] إلى نقصان درجاتهم وتنزل حالاتهم، وهذا حكم الأغلب من العوام وإلا فالخواص كلما بشروا زادوا في العبادة كما وقع للعشرة المبشرة وغيرهم، ولذا قال ﷺ في جواب من قال له: أتقوم في الليل حتى تتورم قدماك وقد[2] غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ أفلا أكون عبداً شكوراً؟[3] (فأخبر بها) أي بهذه الجملة أو القصة أو البشارة (معاذ عند موته) لبعض أصحابه، والظاهر أن ضمير موته إلى معاذ. وقال الكرماني: يحتمل أن يعود إلى النبي ﷺ (تأثماً) مفعول له أي تجنباً وتحرزاً عن إثم كتم العلم، إذ في الحديث «من كتم علماً ألجم بلجام من نار»[4] (متفق عليه).

٢٦ ـ (وعن أبي ذر) هو جندب بن جنادة الغفاري، وهو من أعلام الصحابة وزهادهم، أسلم قديماً بمكة، يقال: كان خامساً في الإسلام، ثم انصرف إلى قومه فأقام عندهم إلى أن قدم المدينة على النبي ﷺ بعد الخندق، ثم سكن ربذة إلى أن مات بها سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان، وكان يتعبد قبل أن يبعث النبي ﷺ. روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين (قال: أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض) حال من النبي ﷺ؛ قال الشراح هذا ليس من الزوائد التي لا طائل تحتها، بل قصد الراوي بذلك أن يقرر التثبت والإتقان فيما يرويه ليتمكن في قلوب السامعين، قلت: أو أراد التذكر بإحضار طلعته الشريفة واستحضار خلعته اللطيفة فيكون كأنه حاضر لديه وواقف بين يديه (وهو نائم) عطف على الحال، وهو بضم الهاء ويسكن أي فرجعت (ثم أتيته) بعد زمان (وقد استيقظ) حال من الضمير المنصوب، والمعنى فوجدته منتبهاً من النوم (فقال: ما من عبد قال: لا إله إلا الله) وإنما لم يذكر محمد رسول الله لأنه معلوم أنه بدونه لا ينفع (ثم مات على ذلك) أي الاعتقاد، وثم للتراخي في الرتبة لأن العبرة بالخواتيم (إلا دخل الجنة) استثناء مفرغ أي لا يكون له حال من الأحوال إلا حال استحقاق دخول الجنة، ففيه بشارة إلى أن عاقبته دخول الجنة وإن كان له ذنوب جمة، لكن أمره إلى الله إن شاء عفا

---

(١) في المخطوطة فينجر. (٢) في المخطوطة فقد وما أثبت الصواب.

(٣) البخاري ٣/ ١٤ حديث ١١٣٠ ومسلم ٤/ ٢١٧١ حديث ٢٨١٩.

(٤) أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٦٧ حديث ٣٦٥٨.

الحديث رقم ٢٦: البخاري في صحيحه ١٠/ ٢٨٣ حديث رقم ٥٨٢٧. ومسلم في صحيحه ١/ ٩٥ حديث رقم (١٥٤ ـ ٩٤) وأحمد في المسند ٥/ ١٦٦.

قلت: وإنْ زَنى وإن سَرَق؟ قال: «وإن زَنى وإن سَرق». قلت: وإنْ زنى وإنْ سَرقَ؟ قال: «وإن زنى وإن سَرَق» قلتُ: وإنْ زنى وإنْ سَرق؟! قال: «وإن زنى وإن سرق على رَغْمِ أنفِ أبي ذرّ». وكان أبو ذر إذا حدَّثَ بهذا قال: وإن رَغِمَ أنفُ أبي ذرَ. متفق عليه.

٢٧ ـ (٢٦) وعن عُبادة بن الصَّامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهِدَ أنْ لا إله إلا اللَّهُ وحدَهُ لا شريكَ له وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، وأنَّ عيسى عبدُ اللَّهِ ورسولُه وابنُ أَمَتِه وكلمتُه

[عنه] وادخله الجنة وإن شاء عذبه بقدر ذنبه ثم أدخله الجنة (**قلت: وإن زنى**) قال ابن مالك: حرف الاستفهام في قوله «وإن زنى» مقدر، ولا بد من تقديره أي ادخل الجنة وإن زنى (**وإن سرق**) أو التقدير أو إن زنى وإن سرق دخل الجنة، وتسمى هذه الواو واو المبالغة وإن بعدها تسمى وصلية وجزاؤها محذوف لدلالة ما قبلها عليه (**قال: وإن زنى وإن سرق**) وتخصيصهما لأن الذنب إما حق الله وهو الزنا، أو حق العباد وهو أخذ مالهم بغير حق، وفي ذكرهما معنى الاستيعاب كما في قوله تعالى: ﴿**ولهم رزقهم فيها بكرة وعشية**﴾ [مريم ـ ٦٢] أي دائماً (**قلت: وإن زنى وإن سرق، قال: وإن زنى وإن سرق**) أما تكرير أبي ذر فلاستعظام شأن دخول الجنة مع مباشرة الكبائر، وقيل: لظنه أنه لو كرر لأجابه بجواب آخر فيجد فائدة أخرى، وأما تكرير رسول الله ﷺ فإنكار لاستعظامه أي أتبخل برحمة الله؟ فرحمة الله واسعة على خلقه وأن كرهت ذلك (**قلت: وإن زنى وإن سرق، قال: وإن زنى وإن سرق**) فيه دلالة على أن أهل الكبائر لا يسلب عنهم اسم الإيمان، فإن من ليس بمؤمن لا يدخل الجنة وفاقاً، وعلى أنها لا تحبط الطاعات لتعميمه عليه الصلاة والسلام الحكم وعدم تفصيله (**على رغم أنف أبي ذر**) الرغم بالفتح أشهر من الضم وحُكي الكسر أي الكره ففرح بذلك أبو ذر (**وكان أبو ذر إذا حدث**) أي بهذا كما في نسخة صحيحة (**قال**) تفاخراً (**وإن رغم**) بكسر الغين، وقيل: بالضم والفتح (**أنف أبي ذر**) أي لصق بالرغام بالفتح، وهو التراب ويستعمل مجازاً بمعنى كره أو ذل إطلاقاً لاسم السبب على المسبب (**متفق عليه**).

٢٧ ـ (**وعن عبادة بن الصامت**) مر ذكره (**قال: قال رسول الله ﷺ: من شهد أن لا إله إلا الله وحده**) حال أي ينفرد منفرداً (**لا شريك له**) تأكيد بعد تأكيد (**وإن محمداً عبده**) الأجل (**ورسوله**) الأكمل (**وإن عيسى عبد الله**) لم يضمر ليكون أصرح في المقصود، وهو تعريض بالنصارى وتقرير لعبديته، وإشعار إلى إبطال ما يقولون له من اتخاذ أمة صاحبة (**ورسوله**) تعريض باليهود[1] (**وابن أمته**) كذا في نسخة صحيحة، والإضافة في أمته للتشريف رداً على اليهود في القذف (**وكلمته**) سُمي عيسى بالكلمة لأنه حجة الله على عباده؛ أبدعه من غير أب

الحديث رقم ٢٧: أخرجه البخاري ٦/ ٤٧٤ حديث رقم ٣٤٣٥. ومسلم ١/ ٥٧ حديث (٤٦ ـ ٢٨) وأخرجه أحمد في المسند ٥/ ٣١٤. وأخرجه النسائي «في اليوم والليلة» ص ٦٠٣ حديث ١١٣٠.

(١) في المخطوطة بالنصارى.

ألقاها إلى مريمَ، وروحٌ منه، والجنةُ حق والنارُ حق؛ أدخلَه اللّهُ الجنةَ على ما كانَ من العمل». متفق عليه.

وأنطقه في غير أوانه، فالإضافة للتشريف، وقيل: لكونه موجداً بكن، وقيل: لما انتفع بكلامه سُمي به كما يقال: فلان سيف الله وأسد الله، وقيل: لما خصه به في صغره حيث قال: ﴿إني عبد الله﴾ (ألقاها إلى مريم) استئناف بيان أي أوصلها الله [تعالى] إليها[1] وحصلها فيها (وروح منه) أي مبتدأ من محض إرادته فإن سائر الأرواح البشرية هي كالمتولدة عن أرواح آبائهم لا سيما على مذهب من زعم أن الأرواح أجسام سارية في البدن سريان ماء الورد، وقيل: سُمي بالروح لما كان له من إحياء الموتى بإذن الله فكان كالروح، أو لأنه ذو روح وجسد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة عن حي، وإنما اختُرع اختراعاً من عند الله تعالى، أو لأنه أحدث في نفخ الروح بإرساله جبريل إلى أمه فنفخ في درعها مشقوقاً إلى قدامها فوصل النفخ إليها فحملت به مقدساً عن لوث النطفة والتقلب في أطوار الخلقة من العلقة والمضغة، ووصفه بقوله: «منه» إشارة إلى أنه مقربه وحبيبه تعريضاً باليهود.

روي أن عظيماً من النصارى سمع قارئاً يقرأ ﴿وروح منه﴾ قال: أفغير هذا دين النصارى، يعني أن هذا دين النصارى، يعني أن هذا يدل على أن عيسى بعض منه، فأجاب علي بن الحسين بن واقد: إن الله تعالى قال: ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾ [الجاثية - ١٣] فلو أريد بقوله وروح منه أنه بعضه أو جزء منه لكان معنى جميعاً منه أن الجميع بعض منه، أو جزء منه فأسلم النصراني. ومعنى الآية أن تسخير هذه الأشياء كائن منه وحاصل من عنده يعني أنه مكونها وموجدها (والجنة) منصوب ويرفع (والنار حق) مبالغة كزيد عدل أو صفة مشبهة أي ثابت وأفرد لأنه مصدر، أو لإرادة كل واحدة منهما. وفي كلام أهل التحقيق أن الجنة جنة الوصول إلى معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله، والملائكة الكروبية والروحانية وطبقات الأرواح وعالم السموات بحيث يصير روح السالك كالمرآة المحاذية لعالم القدس، وأشجارها الملكات الحميدة والأخلاق السعيدة ونحوها من المكاسب، وأثمارها المكاشفات والمشاهدات والإشارات وغيرها من المواهب، ومن رضي بالجنة الحسية فهو أبله، ومن أعرض عن الحق وانتقل من روح المحبة والقرب إلى سياسة القهر[2] والبعد وانحط عن الجهة العلوية إلى عالم النار يعذب بنار روحانية نشأت من استيلاء صفة القهر الإلهي، فيكون أشد وأدوم إيلاماً من النار الجسمانية لأن حرارتها تابعة لنار روحانية ملكوتية هي شرر من نار غضب الله بعد تنزلها في مراتب كثيرة كتنزلها في مرتبة النفس بصورة الغضب وهي غير متناهية، وهذا معنى ما يقال إن نار جهنم غسلت بالماء سبعين مرة ثم أنزلت إلى الدنيا ليمكن الانتفاع بها (أدخله الله الجنة) ابتداء وانتهاء والجملة جواب الشرط، أو خبر المبتدأ (على ما كان) حال من ضمير المفعول من قوله: «أدخله الله» أي كائناً على ما كان عليه موصوفاً به (من العمل) حسناً أو شيئاً قليلاً أو كثيراً صغيراً أو كبيراً، وفيه رد على المعتزلة والخوارج (متفق عليه) ورواه النسائي.

---

(١) في المخطوطة إليه. (٢) في المخطوطة القرب.

٢٨ ـ (٢٧) وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ، فقلت: ابْسُطْ يمينك فَلأبايعْكَ، فبسطَ يمينَهُ، فقبضتُ يدي، فقال: «ما لكَ يا عمرو؟» قلت: أردتُ أن أشترطَ. فقال: «تشترطُ ماذا؟» قلت: أن يُغفر لي. قال: «أمَا علمتَ يا عمرو أن الإسلامَ يهدِمُ

---

٢٨ ـ (وعن عمرو بن العاص) الأصح عدم ثبوت الياء، إما تخفيفاً أو بناء على أنه أجوف، ويدل عليه ما في القاموس الأعياص من قريش أولاد أمية بن عبد شمس [الأكبر وهم] العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص، فعلى هذا لا يجوز كتابة العاص بالياء ولا قراءته بها لا وقفاً ولا وصلاً فإنه معتل العين بخلاف ما يتوهم بعض الناس أنه اسم فاعل من عصى فحينئذ يجوز إثبات الياء وحذفه وقفاً ووصلاً بناء على أنه معتل اللام (رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ، فقلت:) أي له كما في نسخة (ابسط يمينك) أي افتحها ومدها لأضع يمبني عليها كما هو العادة في البيعة (فلأبايعك) بكسر اللام وفتح العين على الصحيح والتقدير لأبايعك تعليلاً للأمر والفاء مقحمة، وقيل: بضم العين والتقدير: «فأنا أبايعك»، وأقحم اللام توكيداً، ويحتمل أن تكون[1] لام الأمر فيجزم، ويحتمل أن تكون اللام مفتوحة والعين مضمومة والتقدير: «فإني لأبايعك» والفاء للجزاء كقولك ائتني فإني أكرمك، أو اللام للقسم، وقيل: التقدير فلأجل أن أبايعك طلبت بسط يمينك (فبسط يمينه) أي الكريمة (فقبضت يدي) بسكون الياء وتفتح أي إلى جهتي، وقال ابن ملك: أي نفسي وهو غير ظاهر (فقال:) أي عليه الصلاة والسلام (ما لك يا عمرو؟) أي أي شيء خطر لك حتى امتنعت من البيعة (قلت: أردت أن أشترط) مفعوله محذوف أي شرطاً أو شيئاً، والمعنى أردت بذلك الامتناع أن أشترط لنفسي ما يحصل لها من الانتفاع (قال: تشترط ماذا؟) قيل: حق ماذا أن يكون مقدماً على تشترط لأنه يتضمن معنى الاستفهام وهو يقتضي الصدارة فحذف ماذا وأعيد بعد تشترط تفسيراً للمحذوف، وقيل: كأنه عليه الصلاة والسلام لم يستحسن منه الاشتراط في الإيمان، فقال: أتشترط إنكاراً فحذف الهمزة، ثم ابتدأ فقال: ماذا؟ أي ما الذي تشترط؟ أو أي شيء تشترط؟ وقال المالكي في قول عائشة: «أقول ماذا؟» شاهد أن ما الاستفهامية إذا ركبت مع ذا تفارق وجوب التصدير فيعمل فيها ما قبلها رفعاً ونصباً؛ فالرفع كقولك: كان ماذا، والنصب كما في الحديث ويؤيده قول بعض العلماء: يجوز وقوعها تمييزاً كقولك لمن قال: عندي [عشرون] عشرون، ماذا؟ (قلت: أن يغفر) بالبناء للمفعول، وقيل للفاعل أي الله كما في نسخة (لي) أي اشترط غفران ذنوبي إن أسلمت (قال: أما علمت يا عمرو) أي من حقك مع رزانة عقلك وجودة رأيك وكمال حذقك الذي لم يلحقك فيه أحد من العرب أن لا يكون خفي عن علمك (أن الإسلام) أي إسلام الحربي لأن إسلام الذمي لا يسقط عنه شيئاً من حقوق العباد (يهدم) بكسر الدال أي

الحديث رقم ٢٨: أخرجه مسلم ١/١١٢ حديث رقم (١٩٢ . ١٢١) وأخرجه أحمد في المسند ٤/٢٠٥.

(١) في المخطوطة يكون.

ما كانَ قبلَهُ، وأنَّ الهِجرةَ تهدِمُ ما كانَ قبلَها، وأنَّ الحجَّ يَهدِمُ ما كانَ قبلَهُ؟!». رواه مسلم.

والحديثان المرويان عن أبي هريرة، قال: «قال الله تعالى: أنا أغنى

يمحو (ما كان قبله) أي من السيئات (وأن الهجرة) أي إلى في حياتي وبعد وفاتي من دار الحرب إلى دار الإسلام، وأما خبر: «لا هجرة بعد الفتح»[1] فمعناه لا هجرة من مكة لأن أهلها صاروا مسلمين (تهدم ما كان قبلها) أي مما وقع قبلها وبعد الإسلام ما عدا المظالم أي من الخطيئات (وأن الحج يهدم ما كان قبله) أي من التقصيرات، سقط لفظ «كان» من أصل ابن حجر فتكلف له وجهاً وهو موجود في جميع النسخ الحاضرة المصححة المقروءة على المشايخ؛ قال الشيخ التوربشتي من أئمتنا [رحمهم الله] «الإسلام يهدم ما كان قبله مطلقاً مظلمة كانت أو غيرها صغيرة أو كبيرة، وأما الهجرة والحج فإنهما لا يكفران المظالم ولا يقطع فيهما بغفران الكبائر التي بين العبد ومولاه، فيحمل الحديث على هدمهما الصغيرة المتقدمة، ويحتمل هدمهما الكبائر التي تتعلق بحقوق العباد بشرط التوبة، عرفنا ذلك من أصول الدين فرددنا المجمل إلى المفصل وعليه اتفاق الشارحين». وقال بعض علمائنا: «يمحو الإسلام ما كان قبله من كفر وعصيان وما ترتب عليهما من العقوبات التي هي حقوق الله، وأما حقوق العباد فلا تسقط بالحج والهجرة إجماعاً ولا بالإسلام لو كان المسلم ذمياً سواء كان الحق عليه مالياً أو غير مالي كالقصاص، أو كان المسلم حربياً وكان الحق مالياً بالاستقراض أو الشراء وكان المال غير الخمر». وقال ابن حجر: «الحج يهدم ما قبله مما وقع قبله، وبعد الإسلام ما عدا المظالم لكن بشرط ما ذكر في حديث: «من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»، مع ذلك فالذي عليه أهل السنة كما نقله غير واحد من الأئمة كالنووي وعياض أن محل ذلك في غير التبعات بل الكبائر إذ لا يكفرها إلا التوبة، وعبارة بعض الشارحين حقوق المالية لا تنهدم بالهجرة والحج، وفي الإسلام خلاف، وأما حقوق العباد فلا تسقط بالهجرة والحج إجماعاً» اهـ. نعم يجوز بل يقع كما دل عليه بعض الأحاديث: «إن الله تعالى إذا أراد لعاصٍ أن يعفو عنه وعليه تبعات عوّض صاحبها من جزيل ثوابه ما يكون سبباً لعفوه ورضاه»، وأما قول جماعة من الشافعية وغيرهم أن الحج يكفر التبعات واستدلوا بخبر ابن ماجة أنه عليه الصلاة والسلام دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة فاستجيب له ما خلا المظالم فلم يجب لمغفرتها فدعا صبيحة مزدلفة بذلك، فضحك عليه الصلاة والسلام لما رأى من جزع إبليس لما شاهده من عموم تلك المغفرة[2]، فيرده أن الحديث سنده ضعيف. اهـ. وعلى تقدير صحته يمكن حمل المظالم على ما لا يمكن تداركه، أو يقيد بالتوبة، أو التخصيص بمن كان معه عليه الصلاة والسلام من أمته في حجته فإنه لا يعرف أحد منهم أن يكون مصراً على معصية ولذا قال الجمهور: «إن الصحابة كلهم عدول» والله [تعالى] أعلم (رواه مسلم والحديثان المرويان) أي المذكوران هنا في المصابيح (عن أبي هريرة) أولهما (قال الله تعالى: أنا أغنى

---

(١) البخاري ٦/ ١٨٩ حديث ٣٠٧٨.

(٢) أخرجه ابن ماجة ١/ ١٠٠٢ حديث رقم ٣٠١٣.

الشركاءِ عن الشرك» والآخر: «الكبرياءُ ردائي» سنذكرهما في باب الرياء والكبر إن شاء الله تعالى.

الفصل الثاني

٢٩ ـ (٢٨) عن معاذ رضي الله عنه قال: قلتُ يا رسولَ الله! أخبِرني بعملٍ يُدخِلُني الجنّة،

الشركاء عن الشرك) الخ (والآخر الكبرياء ردائي) الخ (سنذكرهما في باب الرياء والكبر إن شاء الله تعالى) لف ونشر مرتب، يعني الحديث الأوّل نذكره في باب الرياء، والثاني نذكره في باب الكبر؛ فإن الحديثين أنسب بالبابين من هذا الباب والله أعلم بالصواب.

(الفصل الثاني)

أي المعبر به عن قوله من الحسان في المصابيح.

٢٩ ـ (عن معاذ) أي ابن جبل (رضي الله عنه قال: قلت:) وفي رواية قال: «بينما نحن نخرج مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وقد أصابنا الحرّ، فتفرق القوم فإذا رسول الله ﷺ أقربهم مني فدنوت منه وقلت»: (يا رسول الله أخبرني بعمل) التنوين للتعظيم، أو للنوع أي عمل عظيم، أو معتبر في الشرع فلا يرد ما ذكره المظهر من أنه إذا جعل «يدخلني» جواب الأمر يبقى «بعمل» نكرة غير موصوفة وهي لا تفيد (يدخلني الجنة) بالرفع على أنه صفة عمل إما مخصصة أو مادحة أو كاشفة، فإن العمل إذا لم يكن بهذه الحيثية كأنه لا عمل، وبالجزم جزاء شرط محذوف هو صفته أي أخبرني بعمل إن أعمله يدخلني [الجنة]، وقيل جزم باعتبار أنه جواب الأمر أي أخبرني بعمل إن تخبرني يدخلني الجنة يعني أن الخبر وسيلة إلى العمل والعمل إلى الإدخال، وإسناد الإدخال إلى العمل إسناد إلى السبب، أو شبه العمل لكونه سبباً للمطلوب بالفاعل الحقيقي، أو المعنى يدخلني لا لذاته بل لفضل [الله][1] بجعله سبباً لدخولها، وقيل: الجزم غير صحيح رواية ودراية. أقول فكأنه نظر في عدم صحته دراية أن الإخبار ليس سبباً لدخول الجنة بل العمل وفيه نظر لأن أخباره عليه الصلاة والسلام وسيلة إلى فعل ذلك العمل الذي هو ذريعة إلى دخول الجنة، فالإخبار سبب بوجهما[2] لادخال الجنة ومن ثم جعل ابن الحاجب ﴿يقيموا﴾ في ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾ [إبراهيم ـ ٣١] وغيره ﴿يغفر لكم﴾ في ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم﴾ الآية [الصف ـ ١٠ ـ ١٢] هو

الحديث رقم ٢٩: أخرجه الترمذي ٥/ ١٣ حديث رقم ٢٦١٦. وابن ماجة في سننه ٢/ ١٣١٤ حديث رقم ٣٩٧٣ وأحمد في مسنده ٥/ ٢٣١.

(١) في المخطوطة «فضله».

(٢) هكذا وردت في المخطوطة والأصح بوجه ما.

وَيُباعِدُني عن النار. قال: «لقد سألتَ عن أمرٍ عظيم، وإنه ليسيرٌ على من يسَّره اللّٰهُ [تعالى] عليه: تعبدُ اللّٰهَ ولا تشركُ به شيئاً، وتقيمُ الصلاةَ، وتؤتي الزكاةَ، وتصومُ رمضانَ، وتحجُّ البيتَ» ثم قال: «ألا أدُلُّكَ

الجزاء [لأن المؤمن الكامل لما كان مظنة للامتثال نزل منزلة المحقق منه ذلك] **(ويباعدني من النار)** عطف على «يدخلني» بالوجهين، وقول ابن ملك هنا بالرفع فقط مع تجويزه الوجهين أوّلاً في غاية من السقوط، ثم العطف يفيد أن مراده دخول الجنة من غير سابقة عذاب، ويؤيده أنه أخرج على صيغة المغالبة للمبالغة **(قال)** أي [رسول الله] ﷺ **(لقد سألت)** أي مني **(عن عظيم)** أي شيء عظيم، أو سؤال عظيم متعسر الجواب لأن الدخول والتباعد أمر عظيم؛ فسببه الذي هو اجتناب كل محظور وامتثال كل مأمور أيضاً كذلك، أو لأن معرفة العمل المدخل من علم الغيب والأولى أن يقال عن عمل عظيم فعله على النفوس ليطابق السابق واللاحق. والعظيم ضد الحقير كالكبير نقيض الصغير، وكما أن الحقير دون الصغير فكذلك العظيم فوق الكبير، ويستعملان في الصور والمعاني تقول: رجل عظيم وكبير. أي جثته أو قدره **(وإنه)** [أي جوابه أو فعله] **(ليسير)** أي هين وسهل **(على من يسره الله)** وفي نسخة **(تعالى)** أي جعله سهلاً **(عليه تعبد الله)** إما بمعنى الأمر وكذا ما بعده، وإما خبر مبتدأ محذوف [تعويلاً على أقوى الدليلين] أي هو أن تعبد أي العمل الذي يدخلك الجنة عبادتك الله بحذف أن، أو تنزيل الفعل منزلة المصدر وعدل عن صيغة الأمر تنبيهاً على أن المأمور كأنه متسارع إلى الامتثال وهو يخبر عنه إظهاراً لرغبته في وقوعه، وفصله عن الجملة الأولى لكونه بياناً، أو استئنافاً وفيه براعة الاستهلال لدلالته على مضمون الكلام بطريق الإجمال، كما أن قوله: «كف عليك» يدل على حسن القطع. والعبادة أقصى غاية الخضوع والمراد به التوحيد لقوله **(ولا تشرك به شيئاً)**، أو الأعم منه ليعم امتثال كل مأمور واجتناب كل محظور، والضمير في به إما أن يعود إلى الله أو إلى العبادة، والثاني هو الأولى لأنه إذا لم يشرك في العبادة فلأن لا يشرك بالله أولى، والتنوين في شيئاً للإفراد شخصاً كما أن في قوله «عظيم» للتعظيم وفي «يسير» للتقليل. **(وتقيم الصلاة)** من باب عطف الخاص على العام تنبيهاً على إنافته إن عمم العبادة والمراد بها المكتوبة، وهذا الحكم ليس مخصوصاً بمعاذ بل يعم كل مؤمن إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ثم توقف دخول الجنة على الأعمال إنما هو بقيد الدخول الأولي كما سبقت الإشارة إليه [فلا مستمسك للمعتزلة والخوارج لديه] **(وتؤتي الزكاة)** أي المفروضة **(وتصوم رمضان)** أي الأيام المعدودة **(وتحج البيت)** أي بالأفعال المعلومة على شرط الاستطاعة في العمر مرة **(ثم قال:)** أي عليه الصلاة والسلام زيادة على الإفادة بالحث على النوافل لتحصيل الدرجات العالية، أو لتكميل العبادات البدنية والمالية **(ألا أدلك)** الهمزة للاستفهام الإنكاري ولا للنفي وهو لتحقيق ما بعدها، ولعل قوله: «قلت: بلى» كان موجوداً هنا أيضاً كما في الموضعين بعده فنسي الراوي كذا قيل، وقيل المعنى: لا ينبغي [لي] أن لا أدلك مع إني المرشد الكامل، والأظهر أنه للتنبيه لئلا ينسب الرواة إلى النسيان مع أن الجواب ليس بلازم لأنه أمر ظاهر معلوم مطلوبية إدلالته، أو يقال وإنما لم يتوقف عليه الصلاة والسلام حتى يقول

على أبواب الخير؟ الصومُ جُنَّةٌ، والصَّدقةُ تُطفيءِ الخطيئةَ كما يُطفيءُ الماءُ النارَ، وصلاةُ الرجُلِ في جَوْفِ اللَّيلِ» ثم تلا: ﴿تتجافى جُنُوبُهُمْ عن المضاجعِ﴾

معاذ: «بلى» [هنا] تنبيهاً على أنه لا ينبغي أن ينتظر تصديقه اهتماماً بمضمونه (على أبواب الخير:) أي الطرق الموصلة به؛ شبه الخير بدارٍ فيها كل ما يتمناه النفس، واللام فيه للجنس جعل الأمور الآتية أبواب الخير لأن الصوم شديد على النفس، وكذا إخراج المال في الصدقة لا سيما الزيادة على الزكاة، وكذا الصلاة في جوف الليل الذي محل راحة النفس والبعد من الرياء، فمن اعتادها يسهل عليه كل خير لأن المشقة في دخول الدار تكون[1] بفتح الباب (الصوم جنة) أي ستر، وإنما جعل الصوم جنة من النار، أو من الشيطان لأن في الجوع سد مجاري الشيطان، فإذا سد مجاريه لم يدخل فلم يكن سبباً للعصيان الذي هو سبب لدخول النار، قيل: التقدير صوم النفل فاللام تدل على المضاف إليه، قال بعض المحققين من شراح الأربعين ـ ولعل قائله كوفي ـ قال في الكشاف في قوله تعالى: ﴿فإن الجحيم هي المأوى﴾ [النازعات ـ ٣] أي مأواه فإن اللام ليس يدل على المضاف إليه بل للتعريف العهدي، لأنه لما علم أن الطاغي صاحب المأوى تركت الإضافة فكذا ههنا، لأنه لما ذكر الفرائض أولاً علم أن المذكور بعدها من النوافل، فاللام للعهد الخارجي ولا يجب فيه تقديم المعهود كما ظن بل قد يستغنى عنه لعلم المخاطب بالقرائن كقولك لمن دخل البيت أغلق الباب وكم مثلها وقوله «جُنّة» أي وقاية من سورة[2] الشهوة في الدنيا والنار في العقبى كالجنة، ففيه تشبيه المعقول بالمحسوس عند المتكلمين، واختار بعض الأفاضل أن مثله استعارة، فمن كان الصوم جنته سد طرق الشياطين عن قلبه فيكشف بعد إزالة ظلمتهم يرى بنور الغيب خزائن لطائف حكم الصفات فيستتر بأنوارها عن جميع المخالفات والآفات (والصدقة تطفيء الخطيئة) أي التي تجر إلى النار يعني تذهبها وتمحو أثرها، أي إذا كانت متعلقة بحق الله تعالى، وإذا كانت من حقوق العباد فتدفع تلك الحسنة إلى خصمه عوضاً عن مظلمته (كما يطفيء الماء النار) لتنافي آثارهما بإيجاد الله [تعالى] سبحانه إذ الأشياء لا تعمل بطبعها فلا الماء يروي ولا الخبز يشبع ولا النار تحرق (وصلاة الرجل) مبتدأ خبره محذوف أي وصلاة الرجل (في جوف الليل) كذلك أي تطفيء الخطيئة، أو هي من أبواب الخير والأوّل أظهر، قال القاضي: وقيل: الأظهر أن يقدر الخبر شعار الصالحين كما في جامع الأصول (ثم تلا) أي قرأ عليه الصلاة والسلام (﴿تتجافى جنوبهم﴾) أي تتباعد، وفي النسبة مبالغة لا تخفى (﴿عن المضاجع﴾) أي المفارش والمراقد، والجمهور على أن المراد صلاة التهجد، وقال بعضهم: المراد إحياء ما بين العشاءين (﴿يدعون ربهم﴾) بالصلاة والذكر والقراءة والدعاء (﴿خوفاً﴾) من سخطه (﴿وطمعاً﴾) في رحمته (﴿ومما رزقناهم﴾) وبعض ما أعطيناهم (﴿ينفقون﴾) يصرفون في وجوه الخير، أي أنهم جامعون بين العبادات البدنية والمالية عابدون زاهدون (﴿فلا تعلم نفس﴾) أي لا ملك ولا نبي (﴿ما أخفي لهم﴾) جمهور القراء على أنه ماض مجهول، وقرأ حمزة على المتكلم المعلوم

---

(١) في المخطوطة «تكون».

(٢) السورة: الحدة والشدة. (لسان العرب).

حتى بلغ ﴿يعملون﴾ ثم قال: «ألا أدُلُّكَ برأسِ الأمرِ وعَمودِهِ وذِرْوَةِ سنامِهِ؟» قلت: بلى يا رسول الله! قال: «رأسُ الأمرِ الإسلامُ، وعمودُه الصلاةُ، وذِرْوَةُ سَنامِهِ الجهادُ.» ثم قال: «ألا أخبرك بملاكِ ذلك كُلِّه؟» قلت: بلى يا نبيَّ اللهِ!

(من قرة أعين) من اللذات التي تقر أعينهم وتشتهيه أنفسهم، وفي الحديث القدسي: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» (حتى بلغ ﴿يعملون﴾) وهو قوله [تعالى]: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ [السجدة - ١٦] أي جوزوا جزاء بسبب أعمالهم وبمقابلة أفعالهم وموافقة لأحوالهم (ثم قال:) أي عليه الصلاة والسلام (ألا أدلك برأس الأمر) أي مخبراً بأصل كل أمر (وعموده) بفتح أوّله، أي ما يقوم به ويعتمد عليه (وذروة سنامه؟) الذروة بكسر الذال وهو الأشهر وبضمها وحُكي فتحها أعلى الشيء، والسنام بالفتح ما ارتفع من ظهر الجمل قريب عنقه (قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر) أي أمر الدين (الإسلام) يعني الشهادتين، وهو من باب التشبيه المقلوب إذ المقصود تشبيه الإسلام برأس الأمر ليشعر بأنه من سائر الأعمال بمنزلة الرأس من الجسد في احتياجه إليه وعدم بقائه دونه (وعموده الصلاة) يعني الإسلام هو أصل الدين إلا أنه ليس له قوّة وكمال كالبيت الذي ليس له عمود، فإذا صلى وداوم قوي دينه ولم يكن له رفعة، فإذا جاهد حصل لدينه رفعة وهو معنى قوله (وذروة سنامه الجهاد) وفيه إشعار إلى صعوبة الجهاد وعلو أمره وتفوقه على سائر الأعمال. والجهاد من الجهد بالفتح وهو المشقة، أو بالضم وهو الطاقة لأنه يبذل الطاقة في قتال العدوّ عند فعل العدوّ مثل ذلك، أو بضم جهده إلى جهد أخيه في نصرة دين الله كالمساعدة، وهي ضم ساعده إلى ساعد أخيه لتحصيل القوّة. وله أنواع من جهاد الأعداء ليكون الدين كله لله، وجهاد النفس بحملها على اتباع الأحكام وترك الحظوظ وتكليف الخصلة المذمومة المفرطة خلاف مقتضاها والعمل بنقيض موجبها حتى اعتدلت وتناسقت قوّة العلم والغضب والشهوة والعدل، وهو أشد من الأوّل ولذا ورد: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الأكبر» لأن النفس كالملك في داخل الإنسان وعسكره الروح الحيوانية[1] والطبيعية والهوى والشهوة، وهي في نفسها عمياء لا تبصر المهالك، ولا تميز الخير من الشر إلى أن ينوّر الله بلطيف حكمته بصيرتها فتبصر الأعداء والمعارف وتجد البنيان الإنساني مملوءاً من خنازير الحرص وتكالب الكلب ونمر الغضب والشهوة الحمارية وحية الشيطان، فكنستها من الرذائل وزينتها بالفضائل، وأما جهاد القلب فتصفيته وقطع تعلقه عن الأغيار، وجهاد الروح بإفناء الوجود في وجود الواحد القهار (ثم قال:) أي عليه الصلاة والسلام (ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟) الملاك ما به إحكام الشيء، أو تقويته من ملك العجين إذا أحسن عجنه وبالغ فيه، وأهل اللغة يكسرون الميم ويفتحونها والرواية بالكسر، وذلك إشارة إلى ما ذكر من أوّل الحديث إلى هنا من العبادات وأكده بقوله: «كله» لئلا يظن خلاف الشمول أي بما تقوم به تلك العبادات جميعها (قلت: بلى يا نبي الله) لا يخفى مناسبة نبي الله بالإخبار كمناسبة الرسالة بالدلالة

---

(١) في المخطوطة الروحانية.

فأخذ بلسانه فقال: «كُفَّ عليكَ هذا» فقلت: يا نبيَّ الله! وإنا لمؤاخذون بما نتكلَّمُ به؟ قال: «ثكلَتْكَ أمُّك يا معاذُ! وهل يُكَبُّ الناسَ في النار على وجوهِهم، أو على مناخِرِهم، إلا حصائدُ ألسنتِهم؟»

(فأخذ) أي النبي ﷺ (بلسانه) الباء زائدة والضمير راجع إلى النبي ﷺ، وقيل: الباء لتضمين معنى التعلق (وقال: كف) الرواية بفتح الفاء المشددة أي امنع (عليك هذا) إشارة إلى اللسان أي لسانك، وتقديم المجرور على المنصوب للاهتمام به، وتعديته بعلى للتضمين، أو بمعنى عن. وإيراد اسم الإشارة لمزيد التعيين، أو للتحقير. وهو مفعول كُفّ، وإنما أخذ عليه الصلاة والسلام بلسانه وأشار إليه من غير اكتفاء بالقول تنبيهاً على أن أمر اللسان صعب، والمعنى: لا تتكلم بما لا يعنيك، فإن من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت[1] ذنوبه. ولكثرة الكلام مفاسد لا تحصى ومن أراد الاستقصاء فعليه بالإحياء، ولذا قال الصديق: «ليتني كنت أخرس إلا عن ذكر الله» (فقلت: يا نبي الله) أتقول هذا (وإنا لمؤاخذون) بالهمز ويبدل أي هل يؤاخذنا ويعاقبنا، أو يحاسبنا ربنا (بما نتكلم به؟) يعني بجميعه، إذ لا يخفى على معاذ المؤاخذة ببعض الكلام (قال:) أي عليه الصلاة والسلام (ثكلتك أمك) بكسر العين (يا معاذ) أي فقدتك وهو[2] دعاء عليه بالموت على ظاهره ولا يراد وقوعه بل هو تأديب وتنبيه من الغفلة وتعجيب وتعظيم للأمر (وهل يكب) بفتح الياء وضم الكاف من كبه[3] إذا صرعه على وجهه بخلاف أكب فإن معناه سقط على وجهه، وهو من النوادر وهو عطف على مقدر أي هل تظن غير ما قلت؟ وهل يكب (الناس) أي يلقيهم ويسقطهم ويصرعهم (في النار على وجوههم، أو على مناخرهم) شك من الراوي، والمنخر بفتح الميم وكسر الخاء وفتحها ثقب الأنف، والمراد هنا الأنف، والاستفهام للنفي خصهما بالكب لأنهما أوّل الأعضاء سقوطاً (إلا حصائد ألسنتهم) أي محصوداتها؛ شبه ما يتكلم به الإنسان بالزرع المحصود بالمنجل، وهو من بلاغة النبوّة فكما أن المنجل يقطع ولا يميز بين الرطب واليابس والجيد والرديء فكذلك لسان بعض الناس يتكلم بكل نوع من الكلام حسناً وقبحاً، والمعنى: لا يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم من الكفر والقذف والشتم والغيبة [والنميمة] والبهتان ونحوها. والاستثناء مفرّغ، وهذا الحكم وارد على الأغلب [أي على الأكثر] لأنك إذا جربت لم تجد أحداً حفظ لسانه عن السوء، ولا يصدر عنه[4] شيء يوجب دخول النار إلا نادراً، ولعمرك أن هذه الخاتمة فاتحة السعادة الكبرى فاتحة منها نسائم الكرامة العظمى، لأنه إذا نظر إلى الشريعة فكف اللسان نعم العون على حفظها، وإذا نظر إلى الطريقة فهو الركن المشار إليه والقطب المدار عليه، لأنه [إذا] سكت اللسان نطق القلب ويحصل له المسامرة مع الرب ويمطر عليه سحائب الرحمة بقطرات النور ويمتلىء من الخيور والحبور، ولو نظر إلى الحقيقة فهو نهاية مراتب السالكين وغاية منازل السائرين، ولذا ورد: من عرف الله كَلَّ لسانه أي عن ذكر غير الله، وهو في مقام المراقبة، وكل

---

(١) في المخطوطة «كثر».
(٢) في المخطوطة «هذا».
(٣) في المخطوطة «اكبه».
(٤) في المخطوطة «منه».

رواه أحمدُ، والترمذي، وابن ماجة.

٣٠ - (٢٩) وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحبَّ للهِ، وأبغضَ لله، وأعطى لله، ومنعَ لله؛ فقد استكملَ الإيمانَ» رواه أبو داود.

٣١ - (٣٠) ورواه الترمذي عن معاذ بن أنس مع تقديم وتأخير، وفيه:

لسانه عن مقام الدعوى وهو في مقام الهيبة، وكل لسانه عن نشر حالة وبيان مقامه وهو مقام صولة المحبة، وعن وصف الله وثنائه وهو مقام الحيرة في المعرفة، كما قال عليه الصلاة والسلام في أقصى الدنو لما رأى الحق بالحق، وفني عن الصفات في الذات، ووجد معنى من معاني البقاء: «لا أحصي ثناء عليك» لأن ثناءه يصدر عن الحدوثية، وثناء الخليقة لا يليق إلا بهم، ثم قطع لسان الثناء بمقراض التنزيه عجزا في جلال الأبد، وأضاف ثناءه تعالى إليه لأنه لا يعرف الله إلا هو، فقال: «أنت كما أثنيت على نفسك». وفي معنى الحديث أنشد الشافعي:

احفظ لسانك أيها الإنسان * لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

(رواه أحمد والترمذي وابن ماجة) ورواه النسائي، وقال الترمذي حسن صحيح.

٣٠ - (وعن أبي أمامة [رضي الله عنه]) بضم الهمزة وتفخيم الميم، باهلي سكن بمصر ثم انتقل إلى حمص ومات بها. وكان من المكثرين في الرواية، وأكثر حديثه عن الشاميين. روى عنه خلق كثير، مات سنة ست وثمانين وله إحدى وسبعون، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام. (قال: قال رسول الله ﷺ: من أحب) أي شيئاً أو شخصاً، فحذف المفعول [ليذهب] لوهم كل مذهب (لله) لا لغرض سواه ولا لشهوة طبعه وهواه (وأبغض لله) كذلك (وأعطى لله ومنع لله) وكذلك سائر الأعمال فتكلم لله وسكت لله واختلط بالناس لله واعتزل عن الخلق لله كقوله تعالى حاكياً: ﴿إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله﴾ [الأنعام - ١٦٢]. وإنما خص الأفعال الأربعة لأنها حظوظ نفسانية إذ قلما يمحضها الإنسان لله، فإذا محضها مع صعوبة تمحيضها كان تمحيض غيرها بالطريق الأولى، ولذا أشار إلى استكمال الدين بتمحيضها بقوله (فقد استكمل الإيمان) بالنصب أي أكمله، وعدى إليه للمبالغة لزيادة السين المستدعية لتجريده من نفسه شخصاً آخر يطلب منه إكمال الإيمان ونظيره: ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾ [البقرة - ٨٩] أي يطلبون من أنفسهم الفتح عليهم، وقيل: بالرفع أي تكمل إيمانه (رواه أبو داود) وسكت عليه وصححه الحاكم وحسنه الترمذي (ورواه الترمذي) لا عن أبي أمامة بل.

٣١ - (عن معاذ بن أنس مع تقديم وتأخير وفيه) أي في حديث الترمذي، أو في مروي

الحديث رقم ٣٠: أخرجه أبو داود في سننه ٥/ ٦٠ حديث رقم ٤٦٨١.

الحديث رقم ٣١: أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح ٤/ ٥٧٨ حديث رقم ٢٥٢١ وقال عنه حسن. وأحمد في المسند ٣/ ٤٤٠.

«فقد استكمل إيمانه».

٣٢ ـ (٣١) وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضلُ الأعمالِ الحبُّ في اللّهِ والبغضُ في اللّهِ». رواه أبو داود.

٣٣ ـ (٣٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم من سلِم المسلمونَ من لسانه ويدِهِ، والمؤمن من أمِنَهُ الناسُ على دمائِهِم وأموالِهِم». رواه الترمذي، والنسائي.

معاذ (فقد استكمل إيمانه) بالإضافة.

٣٢ ـ (**وعن أبي ذر** [رضي الله عنه] **قال: قال رسول الله ﷺ: أفضل الأعمال**) [أي الباطنية التي يتوصل بها إلى حقائق المعرفة والشهود، فأل للعهد الذهني، وقيل: التقدير من أفضل الأعمال إذ الصلاة أفضل الأعمال مطلقاً بعد أداء الشهادتين] (**الحب في الله**) أي لوجهه وفي سبيله (**والبغض في الله**) أي لأجله وفي حقه، والعطاء والمنع متفرعان على الحب والبغض، ولذا اكتفى في هذا الحديث بالأصلين (**رواه أبو داود**) [عن مجاهد عن رجل عن أبي ذر، وهذا الرجل المجهول هو والله أعلم عبد الله بن عباس كما رواه الطبراني بإسناد جيد من رواية عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر: «أيّ عرا الإيمان أشرف بل أوثق، قال: الله ورسوله أعلم، قال: الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله»[1] اهـ. والفرق بين الموالاة والحب أنها تكون بين اثنين والحب أعم].

٣٣ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**) تقدم الكلام عليه (**والمؤمن**) أي الكامل (**من أمنه الناس**) كعلمه أي ائتمنه يعني جعلوه أميناً وصاروا منه على أمن (**على دمائهم وأموالهم**) لكمال أمانته وديانته وعدم خيانته. وحاصل الفقرتين إنما هو التنبيه على تصحيح اشتقاق[2] الاسمين؛ فمن زعم أنه متصف به ينبغي أن يطالب نفسه بما هو مشتق منه، فإن لم يوجد فيه فهو كمن زعم أنه كريم ولا كرم له (**رواه الترمذي والنسائي**) قال في التصحيح: هذا الحديث لم يكن بهذا السياق في واحد من الكتب الستة بل هو مقطع فيها، فتقدم في الصحيحين منه من حديث عبد الله بن عمرو: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» وباقية جاء مقطعاً في السنن من حديث فضالة وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص، لكن

الحديث رقم ٣٢: أخرجه أبو داود في سننه ٥/ ٦ حديث رقم ٤٥٩٩.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٦٩ حديث رقم ٩٥١١.

الحديث رقم ٣٣: الترمذي في الجامع الصحيح ٥/ ١٨ حديث ٢٦٢٧. والنسائي ٨/ ١٠٥ حديث رقم ٤٩٩٦ عن ابن عمر.

(٢) في المخطوطة «اشتقاق تصحيح».

٣٤ ـ (٣٣) وزاد البيهقي في «شعب الإيمان» برواية فضالة: «والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجرُ من هجرَ الخطايا والذنوبَ».

٣٥ ـ (٣٤) وعن أنسٍ رضي اللَّهُ عنه، قال: قلَّما خَطَبَنا رسولُ الله ﷺ إلا قال: «لا إيمانَ لمن لا أمانَةَ له، ولا دِينَ لمن لا عهد له».

الحديث بجملته رواه الحاكم في مستدركه بإسناد على شرط مسلم عن فضالة بن عبيد، وساقه بلفظه إلا أنه قدم المؤمن في روايته على المسلم، وهو حديث جليل اشتمل على أصول كثيرة في الدين يطول ذكرها.

٣٤ ـ (**وزاد البيهقي في شعب الإيمان برواية فضالة**) بفتح الفاء هو فضالة بن عبيد الأنصاري الأوسي، أول مشاهدة أحد ثم شهد ما بعدها وبايع تحت الشجرة، ثم خرج إلى الشام مجاهداً ثم انتقل إلى الشام فسكن دمشق وقضى بها لمعاوية زمن خروجه بصفين، ومات بها في عهد معاوية سنة ثلاث وخمسين، روى عنه ميسرة مولاه وغيره (**والمجاهد**) أي الحقيقي (**من جاهد نفسه في طاعة الله**) إذ هو الجهاد الأكبر وينشأ منه الجهاد الأصغر (**والمهاجر**) أي الكامل (**من هجر الخطايا والذنوب**) أي ترك الصغائر والكبائر، وقيل: الذنب أعم من الخطيئة لأنه يكون عن عمد بخلاف الخطيئة، لأن الحكمة من الهجرة التمكن من الطاعة بلا مانع، والتبري عن صحبة الأشرار المؤثرة في اكتساب الخطايا، فالهجرة التحرز عنها فالمهاجر الحقيقي هو المتجانب عنها.

٣٥ ـ (**وعن أنس**) [رضي الله عنه] (**قال: قلما خطبنا**) ما مصدرية أي قل خطبة خطبنا (**رسول الله ﷺ**) ويجوز أن تكون كافة، وهو يستعمل في النفي ويدل عليه الاستثناء، أي ما وعظنا (**إلا قال:**) أي فيها، ولعل الحصر غالبي (**لا إيمان**) أي على وجه الكمال (**لمن لا أمانة له**) في النفس والأهل والمال، وقيل: فيما استؤمن عليه من حقوق الله وحقوق العباد التي كلف بها، وقد قال تعالى: ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السموات**﴾ الآية [الأحزاب ـ ٧٢]. والإنسان فيها هو آدم ثم ذريته، ومع كونه ﴿**ظلوماً**﴾ أي ظلم نفسه بالتزامه بحمل ما فيه كافة عظيمة عليها، المؤدي إلى عدم قيامها به، لا سيما على الوجه الأكمل ﴿**جهولاً**﴾ لأنه جهل خطر تلك الأمانة ومشقة رعايتها عند تحمله لها، وإنما انتفى كمال الدين بانتفائها لأنه يؤدي إلى استباحة الأموال والأعراض والأبضاع والنفوس وهذه فواحش تنقص الإيمان وتقهقره إلى أن لا يبقى منه إلا أقله، بل ربما أدت إلى الكفر ومن ثم قيل: المعاصي بريد الكفر (**ولا دين**) على طريق اليقين (**لمن لا عهد له**) بأن غدر في العهد واليمين، قيل: هذا الكلام وأمثاله وعيد لا يراد به الانقلاع بل الزجر. ونفي الفضيلة دون الحقيقة، وقيل: يحتمل أن يراد به الحقيقة فإن من اعتاد

الحديث رقم ٣٤: البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٤٩٩ ضمن حديث رقم ١١١٢٢ ولفظه «ألا أخبركم بالمؤمن» وذكر الحديث من غير المسلم من سلم المسلمون من لسانه. وأخرجه أحمد في المسند ٦/ ٢١.

الحديث رقم ٣٥: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٧٨ حديث ٤٣٥٤. وأحمد في المسند ٣/ ١٥٤.

رواه البيهقي في «شُعَبِ الإيمان».

الفصل الثالث

٣٦ ـ (٣٥) عن عُبادَةَ بن الصامت [رضي الله عنهُ]، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ شهدَ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللَّهِ،

هذه الأمور لم يؤمن عليه أن يقع ثاني الحال في الكفر كما في الحديث: «من يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه»[1] (رواه البيهقي في شعب الإيمان) وكذا رواه محيي السنة أي صاحب المصابيح بإسناده في شرح السنة، وورواه الطبراني في معجمه الكبير من حديث ابن مسعود بزيادات لا بأس بذكرها. ولفظه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له، والذي نفس محمد بيده لا يستقيم دين عبد حتى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه، ولا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه، فقيل: ما البوائق يا رسول الله؟ قال: غشمه[2] وظلمه، وأيما رجل أصاب مالاً من حرام وأنفق منه لم يبارك له فيه وإن تصدق منه لم يقبل منه، وما بقي فزاده إلى النار، ألا أن الخبيث لا يكفر الخبيث ولكن الطيب يكفره».

(الفصل الثالث)

المراد به الأحاديث الملحقة بالباب ألحقها صاحب الكتاب غير مقيدة بأن تكون مما أخرجها الشيخان، أو غيرهما من أصحاب السنن ولا بأن تكون عن صحابي أو تابعي.

٣٦ ـ (عن عبادة بن الصامت) رضي الله عنه (قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:) هذا مما يتكرر كثيراً، وقد اختلف في المنصوبين بعد سمعت، فالجمهور على أن الأول مفعول وجملة «يقول» حال أي سمعت كلامه، لأن السمع لا يقع على الذوات، ثم بين هذا المحذوف بالحال المذكورة فهي حال مبينة لا يجوز حذفها، واختار الفارسي إن ما بعد «سمعت» إن كان مما يسمع كسمعت القرآن تعدت إلى مفعول واحد وإلا كما هنا تعدت إلى مفعولين فجملة «يقول» على هذا مفعول ثان، وقيل: ينبغي جواز حذف «يقول» هذه خطأ كما يجوز حذف «قال» خطأ في نحو حدثنا مفعول «قال» أي قال حدثنا، ورد بأن حذف «يقول» ملبس لأنه لا يدري حينئذ أهو يقول أم قال بخلاف حذف «قال» مما ذكر فإنه اشتهر فلا يلبس، ومن ثم جوّز حذفها حتى في القرآن كما صححه ابن الصلاح في فتاويه والنووي (من شهد) أي بلسانه مطابقاً لجنانه (أن لا إله إلا الله) والتزم جميع ما جاء من عند الله (وأن محمداً رسول الله) وقبل ما ثبت

---

(١) من حديث أخرجه البخاري ١/١٢٦ حديث ٥٢ ومسلم ٣/١٢١٩ حديث ١٥٩٩.

(٢) في المخطوطة غشه.

الحديث رقم ٣٦: أخرجه مسلم في صحيحه ١/٥٧ حديث (٤٧ ـ ٢٩). والترمذي ٥/٢٣ حديث ٢٦٣٨.

حرّمَ اللَّهُ عليهِ النارَ». رواه مسلم.

٣٧ - (٣٦) وعن عثمانَ رضي الله عنهُ، قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ مات وهو يعلمُ أنه لا إلهَ إلا اللَّهُ دخلَ الجنةَ».

عن[1] رسول الله (حرم الله عليه النار) أي الخلود فيها كالكفار، بل مآله إلى الجنة مع الأبرار ولو عمل ما عمل من أعمال الفجار، وكذا دخولها إن مات مطيعاً، وأما إذا مات فاسقاً فهو تحت المشيئة. وفي الحديث دلالة على أن من ترك التلفظ بالشهادتين على القدرة عليه يخلد في النار على ما فيه من خلاف حُكي عن جمع من متأخري المذاهب الأربعة كأنهم لم يروا حكاية النووي الإجماع على الأول ذكره ابن حجر، وفيه نظر يعلم مما تقدم في أول الباب وتقرر (رواه مسلم).

٣٧ - (وعن عثمان [رضي الله عنه]) هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ويُكنى أبا عبد الله الأموي القرشي، وكان إسلامه في أول الإسلام على يدي أبي بكر قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين، ولم يشهد بدراً لأنه تخلف بمرض رقية بنت النبي ﷺ، وضرب له النبي ﷺ فيها بسهم، ولم يشهد الحديبية بيعة الرضوان لأن النبي ﷺ [كان] بعثه إلى مكة في أمر الصلح فلما كانت البيعة ضرب النبي ﷺ يده على يده وقال: «هذه لعثمان»، وسُمي ذا النورين لجمعه بين بنتي رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم. كان أبيض ربعة حسن الوجه، استُخلف أول يوم من المحرم سنة أربع وعشرين، وقتله الأسود التجيبي من أهل مصر، وقيل: غيره، ودفن ليلة السبت بالبقيع وله يومئذ من العمر اثنتان وثمانون [سنة]، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا أياماً، وروى عنه خلق كثير. (قال: قال رسول الله ﷺ: من مات وهو يعلم) أي علماً يقيناً سواء قدر على الإقرار اللساني وأقر أو لم يقدر عليه واكتفى بالقلب، أو جهل وجوبه، أو لم يطالب به، أو أتى به إذ ليس فيه ما ينفي تلفظه به (أنه لا إله إلا الله) وهذه الكلمة علم [لـ] كلمتي الشهادة ولذا اقتصر عليها (دخل الجنة) إما دخولاً أولياً إن لم يصدر عنه ذنب بعد الإيمان أو أذنب وتاب أو عفا الله عنه، أو دخولاً أخروياً فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، أو معناه استحق دخول الجنة. قال الشيخ أبو حامد في الإحياء: من يوجد منه التصديق بالقلب فقبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالعبادة مات فهل هو مؤمن بينه وبين الله تعالى؟ ففيه اختلاف؛ فمن شرط القول لتمام الإيمان يقول: هذا مات قبل الإيمان، وهذا فاسد إذ قال عليه الصلاة والسلام: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان» وهذا قلبه طافح بالإيمان، ومن صدق بالقلب وساعده الوقت للنطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبهما ولكنه لم ينطق بهما فيحتمل أن يجعل امتناعه عن النطق بمنزلة امتناعه عن الصلاة و [يقال]: «هو مؤمن غير مخلد في النار» اهـ. وفيه أنه قياس مع الفارق فإن الإقرار

---

(١) في المخطوطة «من».

الحديث رقم ٣٧: أخرجه مسلم ١/ ٥٥ حديث (٤٣ . ٢٦) وأحمد في مسنده ١/ ٦٩.

رواه مسلم.

٣٨ ـ (٣٧) وعن [جابرٍ رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ «ثِنْتانِ موجِبتان». قال رجلٌ: يا رسولَ الله! ما الموجِبتان؟ قال: «مَنْ ماتَ يشركُ بالله شيئاً دخلَ النارَ، ومن ماتَ لا يشركُ باللهِ شيئاً دخلَ الجنّةَ». رواه مسلم.

٣٩ ـ (٣٨) وعن أبي هريرة [رضي الله عنه]، قال: كُنَّا قُعوداً حولَ رسولِ الله ﷺ ومعنا أبو بكرٍ وعمر [رضي الله عنهما] في نَفَرٍ، فقام رسولُ الله ﷺ من بين أظهرِنا، فأبطأَ علينا، وخَشِينا أن يُقْتَطع دُونَنا،

إما شرط للإيمان، أو شطر وليس كذلك الصلاة للإيمان والله أعلم، وكأنه عند الإمام[١] من واجبات الإسلام. وفيه أنه لو كان كذلك لما قيل بكفر أبي طالب، فلو عبر بتركه بدل امتناعه كان له وجه وجيه (رواه مسلم).

٣٨ ـ (وعن جابر [رضي الله عنه]) هو جابر بن عبد الله، [كنيته أبو عبد الله] الأنصاري السلمي من مشاهير الصحابة وأحد المكثرين من الرواية، شهد بدراً وما بعدها مع النبي ﷺ ثماني عشرة غزوة، وقدم الشام ومصر، وكُفَّ بصره آخر عمره. روى عنه خلق كثير، مات بالمدينة سنة أربع وسبعين وله أربع وتسعون سنة، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة في قول. (قال: قال رسول الله ﷺ: ثنتان) صفة مبتدأ محذوف، أي خصلتان (موجبتان) يقال أوجب الرجل إذا عمل ما يجب به الجنة [أو النار]، ويقال للحسنة والسيئة موجبة؛ فالوجوب عند أهل السنة بالوعد والوعيد، وعند المعتزلة بالعمل. (قال رجل: يا رسول الله ما الموجبتان؟) أي السببان فإن الموجب الحقيقي هو الله تعالى (قال: من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار) فالموت على الشرك الأكبر سبب لدخول النار وخلودها (ومن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة) فالموت على التوحيد سبب لدخول الجنة (رواه مسلم).

٣٩ ـ (وعن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال: كنا قعوداً) أي ذوي قعود أو قاعدين (حول رسول الله ﷺ ومعنا أبو بكر وعمر) بالرفع (في نفر) أي مع جماعة، أو في جملة نفر من الصحابة رضي الله عنهم (فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا) أظهر زائد للتأكيد أي من بيننا (فابطأ) بالهمزة (علينا) أي مكث وتوقف عنا كثيراً (وخشينا) الخشية خوف مع تعظيم (أن يقتطع) على البناء للمفعول أي من أن يقتطع وقوله (دوننا) حال من الضمير المستتر في يقتطع، أي خشينا أن يصاب[٢] بمكروه من عدوّ أو غيره متجاوزاً عنا وبعيداً منا[٣]، وفي الكشاف معنى

---

(١) في المخطوطة الإيمان.

الحديث رقم ٣٨: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٩٤ حديث رقم (١٥١ ـ ٩٣) وأحمد في المسند ٣/ ٣٩١.

الحديث رقم ٣٩: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٥٩ حديث رقم (٥٢ ـ ٣١).

(٢) في المخطوطة «يصيب».

(٣) في المخطوطة «عنا».

فَفَزِعْنا فقُمْنا، فكُنتُ أوّلَ من فَزِعَ، فخرجتُ أبتغي رسولَ الله ﷺ، حتى أتيتُ حائطاً للأنصار لبني النجار، فدُرتُ به، هل أجد له باباً؟ فلم أجدْ، فإذا ربيعٌ يدخُلُ في جوف حائطٍ من بئرٍ خارجةٍ ـ والربيعُ الجدولُ ـ قال: فاحتفزْتُ فدخلتُ على رسول الله. فقال: «أبو هريرة؟» فقلتُ: نعم يا رسول الله! قال: «ما شأنُك؟» قلتُ: كنتَ بين أظهرنا فَقُمْتَ فأبطأتَ علينا،

دون أدنى مكان الشيء، ومنه الشيء الدون، واستعير للتفاوت في الأحوال والرتب يقال: زيد دون عمرو في الشرف والعلم، ثم اتسع فيه واستعمل في كل تجاوز حد إلى حد. **(وفزعنا)** أي اضطربنا، قال الطيبي: «عطف أحد المترادفين على الآخر لإرادة الاستمرار كما في قوله تعالى: **﴿كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا﴾** [القمر ـ ٩] أي كذبوه تكذيباً غب تكذيب» اهـ. ويمكن أن يغاير بينهما بحمل الخشية على خوف الباطن والفزع على اضطراب الظاهر وهو الظاهر؛ لأن التأسيس أولى من التأكيد سيما مع تغاير اللفظين. وهو بكسر الزاي، وفي نسخة «ففزعنا»، ووجه العطف بالفاء أن الثاني مترتب على الأول فهو سبب له **(فقمنا)** أي للتجسس والتفحص **(فكنت)** أي لكثرة خشيتي عليه **(أول من فزع)** وقام للطلب **(فخرجت)** أي من المجلس **(أبتغي)** أي أطلب **(رسول الله)** أتتبع أثره وخبره لأعلم حقيقة إبطائه ﷺ **(حتى أتيت حائطاً)** أي بستاناً له حيطان أي جدران **(للأنصار لبني النجار)** تخصيص بعد عام، أو بدل بعض أي وظننت أنه عليه الصلاة والسلام فيه **(فدرت به)** أي بحول الحائط قائلاً في نفسي **(هل أجد له باباً)** أدخل منه **(فلم أجد)** له باباً **(فإذا)** [إذا] للمفاجأة أي فاجأ عدم وجودي للباب رؤية **(ربيع)** نهر صغير **(يدخل في جوف حائط)** أي بستان آخر إلى ذلك الحائط، أو في جوف جدار من جدران ذلك الحائط، مبتدأ أو مستمد ذلك النهر **(من بئر)** بالهمز وتبدل **(خارجة)** ضبطناه بالتنوين في بئر وخارجة، وعلى أن خارجة صفة لبئر هكذا نقله الشيخ أبو عمرو بن الصلاح، وذكر الحافظ أبو موسى الأصفهاني وغيره أنه رُوي على ثلاثة أوجه: الأول ما ذكرناه، والثاني بتنوين في بئر وبهاء مضمومة في خارجه، وهي هاء ضمير للحائط أي البئر في موضع خارج عن الحائط، والثالث بإضافة بئر إلى خارجة آخره تاء التأنيث وهو اسم رجل، والوجه الأول هو المشهور الظاهر كذا ذكره الشيخ محيي الدين النووي، وقيل: البئر هنا البستان سمي بما فيها من الآبار يقولون: بئر بضاعة وبئر خارجة وهما بستانان، والحائط هنا البستان من النخيل إذا كان عليه جدار. **(والربيع الجدول)** هذا تفسير من بعض الرواة **(قال)** أبو هريرة **(فاحتفزت)** قال النووي روي بالزاء المعجمة والراء المهملة والصواب الأول ومعناه تضاممت ليسعني المدخل **(فدخلت على رسول الله ﷺ فقال أبو هريرة)** أي فقال النبي ﷺ: أأنت أبو هريرة؟ والاستفهام إما على حقيقته لأنه عليه الصلاة والسلام كان غائباً عن بشريته بسبب إيحاء هذه البشارة فلم يشعر بأنه هو، وإما للتقرير وهو ظاهر، وإما للتعجب لاستغرابه أنه من أين دخل عليه والطرق مسدودة **(فقلت: نعم يا رسول الله)** أنا أبو هريرة **(قال ما شأنك؟)** بالهمز ويبدل أي أيّ شيء حالك وما سبب مأتاك واضطرابك **(قلت: كنت)** أي أنت **(بين أظهرنا)** أي كان ظهورنا مستندة إليك [وقلوبنا معتمدة عليك وصدورنا منشرحة لديك] **(فقمت)** أي عنا **(فأبطأت علينا)**

فخشينا أن تُقتطعَ دوننا، ففزِعنا، فكنتُ أولَ من فزع، فأتيتُ هذا الحائط، فاحتفزتُ كما يحتفِزُ الثعلبُ، وهؤلاء الناسُ ورائي. فقال: «يا أبا هريرة!» وأعطاني نعلَيْه، فقال: «اذهب بنعليَّ هاتين، فمن لقيَك من وراء هذا الحائط يَشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ مُستيقِناً بها قلبُه؛ فبشِّرْهُ بالجنة» فكان أولَ من لقيتُ عمرُ فقال: ما هاتان النَّعْلان

وفتحت باب الاضطراب لدينا (**فخشينا**) عليك أوّلاً وعلينا ثانياً (**أن تقتطع**) أي يقطعك أعداؤك عن أحبابك وتهلك (**دوننا**) أي من غير اطلاعنا، أو دون أن تهلك بين يديك لأجلك (**ففزعنا**) أي لذلك وتسارعنا إلى تعرّف خبرك (**فكنت أوّل من فزع**) من المشتاقين وأوّل من قام من الخائفين (**فأتيت هذا الحائط**) بناء على ظني أنك فيه (**فاحتفزت**) لما لم أجد له باباً (**كما يحتفز الثعلب**) في تحصيل المطلب (**وهؤلاء الناس ورائي**) أي ينتظرون علم ما وقع لك، وهو اقتباس من قوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿**هؤلاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى**﴾ [طه ـ ٨٤].

(**فقال: يا أبا هريرة**) يقرأ بالهمز ولا يكتب (**وأعطاني نعليه**) الجملة حال وهو إشارة إلى [البشارة] للمحبين (**فقال:**) تأكيد للأوّل (**اذهب بنعلي**) الباء للتعدية (**هاتين**) تأكيد للتنبيه، ولعله عليه الصلاة والسلام حصل له التجلي الطوري في ذلك المقام النوري فخلع النعلين. وأعطى لأصحابه الكونين، أو إيماء إلى ثباتهم على دينهم وبذلهم الجهد في السعي إليه بإقدامهم. وقال الطيبي: لعل فائدة بعثة النعلين الدلالة على صدقه وإن كان خبره مقبولاً بدون ذلك، وتخصيصهما بالإرسال إما لأنه لم يكن عنده غيرهما، وإما للإشارة إلى أن بعثته وقدومه لم يكن إلا تبشيراً وتسهيلاً على الأمة ورفعاً للآصار التي كانت في الأمم السابقة، وإما للإشارة إلى ثبات القدم والاستقامة بعد الاقرار كقوله عليه الصلاة والسلام: «قل آمنت بالله ثم استقم»[1] والله أعلم بأسراره وأسرار أبراره. (**فمن لقيك**) أي رآك أو رأيته (**من وراء هذا الحائط**) قيد واقعي، أو المراد إيمان غيبي[2] يتميز به المخلص عن المنافق (**يشهد**) أي حال كونه (**أن لا إله إلا الله**) ويلزم منه شهادة أن محمداً رسول الله (**مستيقناً بها**) أي بمضمون هذه الكلمة (**قلبه**) أي منشرحاً بها صدره غير شاك ومتردد في التوحيد والنبوّة اللذين هما الإيمان الإجمالي (**فبشره بالجنة**) معناه أخبر أن من كان هذه صفته فهو من أهل الجنة، وإلا فأبو هريرة لا يعلم استيقانهم، وفي هذا دلالة ظاهرة لمذهب أهل الحق أن اعتقاد التوحيد لا ينفع دون النطق عند القدرة أو عند الطلب، ولا النطق دون الاعتقاد بالإجماع بل لا بد منهما. غاية الأمر أن النطق فيه خلاف إنه شرط أو شطر [و] قد يسقط بعذر، وذكر القلب هنا للتأكيد ونفي توهم المجاز وإلا فالاستيقان لا يكون إلا بالقلب كقوله: رأيت بعيني. (**فكان أوّل من لقيت**) أي من الناس (**عمر**) منصوب على أنه خبر كان، وقيل: مرفوع على الاسمية وأوّل بالعكس، قيل: وهو أولى لأنه وصف وهو بالخبرية أحرى (**فقال:**) مبادراً (**ما هاتان النعلان**) أي شأنهما

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٦٥ حديث رقم ٣٨.

(٢) في المخطوطة «حسي».

يا أبا هُريرة؟ قلت: هاتان نعلا رسول الله ﷺ بعثني بهما، من لقيتُ يشهد أن لا إله إلا الله مُستيقناً بها قلبُه، بشّرتهُ بالجنة، فضرب عمرُ بين ثدييّ، فخررت لاستي. فقال: ارجع يا أبا هريرةَ! فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ فأجهشتُ بالبكاء،

وخبرهما (يا أبا هريرة؟ قلت: هاتان نعلا رسول الله ﷺ بعثني بهما) حال كوني قائلاً أو مبلغاً أو مأموراً بأن (من لقيت) أي أنا (يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجنة، فضرب عمر) لا بد هنا من تقدير يدل عليه السياق من السباق واللحاق يعني: فقال عمر ارجع قصداً للمراجعة، بناء على رأيه الموافق للكتاب ونطقه المطابق للصواب، فأبيت وامتنعت عن حكمه امتثالاً لظاهر أمره عليه الصلاة والسلام المقدم على كل أمر آمر فضرب عمر بيده (بين ثديي) بالتثنية أي في صدري فإنه يبعد كل البعد ضربه ابتداء من غير باعث (فخررت) بفتح الراء (لاستي) بهمزة وصل أي سقطت على مقعدي من شدة ضربه لي. (فقال: ارجع يا أبا هريرة) [تأكيداً]، قال الطيبي: «ليس فعل عمرو مراجعته النبي ﷺ اعتراضاً عليه ورداً لأمره إذ ليس ما بعث به أبا هريرة إلا لتطييب قلوب الأمة وبشراهم، فرأى عمر [رضي الله عنه] إن كتمه هذا أصلح لئلا يتكلوا» ا هـ. والحاصل أنه عليه الصلاة والسلام لكونه رحمةً للعالمين ورحيماً بالمؤمنين ومظهراً للجمال على وجه الكمال، وطبيباً لأمته على كل حال لما بلغه خوفهم وفزعهم واضطرابهم أراد معالجتهم[1] [بإشارة] البشارة لإزالة الخوف والنذارة، فإن المعالجة بالأضداد، ولما كان عمر مظهراً للجلال وعلم أن الغالب على الخلق التكاسل والإتكال، فرأى أن الأصلح لأكثر الخلق المعجون المركب بل غلبة الخوف بالنسبة إليهم أنسب، فوافقه ﷺ، وهذه مرتبة علية ومزية جلية لعمر رضي الله عنه. وأما قول ابن حجر: «وكان وجه استباحة عمر لذلك أنه لأبي هريرة بمنزلة الشيخ والمعلم، وللشيخ والمعلم أن يؤدب المتعلم بمثل ذلك إذا رأى منه خلاف الأدب، وهو هنا المبادرة إلى إشاعة هذا الخبر قبل تفهم المراد من النبي ﷺ مع إشكاله وما يترتب عليه من إتكال الناس وإعراضهم عن الأعمال، وكان حقه إذا أمر بتبليغه أن يتفهم المراد به ليورده في موارده دون غيرها، فاقتضى اجتهاد عمر أن إخلاله بذلك مقتض لتأديبه فأدبه بذلك» فتطويل لا طائل تحته؛ فإنه مع تسليم ما ذكر كله لا يعقل ضربه ابتداء من الشيخ الحقيقي فضلاً عن غيره، ثم قوله أيضاً: «ويحتمل أن عمر استبعد صدور هذا العموم منه عليه الصلاة والسلام بدليل قوله الآتي: «أبعثت» الخ ونسبه إلى تصرف أبي هريرة فأدبه لذلك» مستبعد غاية البعد، فإنه يؤدي إلى سوء الظن وعدم قبول خبر الواحد في الديانات ومع هذا كيف يتصور ضربه على ذلك. ثم من الغريب أنه فرع عليه أيضاً بأن للأفاضل من الأتباع تأديب من دونهم إذا كانوا لهم بمنزلة التلامذة، وإن للشيخ أن يؤدب تلميذه ولو بالضرب، ونقل جواز ذلك عن بعض أئمته. ا هـ. ولا ريب أن الضرب على عدم فهم المراد، أو على سوء الظن من غير بيان مخالف للإجماع والله أعلم. (فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأجهشت بالبكاء) [والباء للمصاحبة، والبكاء إما لشدة الإيلام، أو لقلة الاحترام] ويروى

---

(١) في المخطوطة «معاملتهم».

وركِبَني عمرُ، وإذا هو على أثري، فقال رسول الله ﷺ: «ما لك يا أبا هريرة؟» فقلت: لقيتُ عمرَ فأخبرتهُ بالذي بعثتني به، فضرب بين ثدييْ ضربةً خررت لاستي. فقال: ارجعْ. فقال رسول الله ﷺ: «يا عمر! ما حمَلك على ما فعلت؟» قال: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي، أبعثت أبا هريرةَ بنعليك، من لَقي يشهد أن لا إله إلا اللّهُ مستيقناً بها قلبُه بشَّرَهُ بالجنة؟ قال: «نعم». قال: فلا تفعل، فإني أخشى أن يتَّكل الناسُ عليها، فخلِّهم يعملون. فقال رسولُ الله ﷺ: «فخلِّهِمْ». رواه مسلم.

جهشت بكسر الهاء وغير همز وهما صحيحان وكلاهما بصيغة الفاعل. والجهش كالإجهاش أن يفزع الإنسان إلى إنسان ويلجأ إليه ومع ذلك يريد البكاء كما يفزع الصبي إلى أمه. **(وركبني عمر)** أي أثقلني عدو عمر من بعيد خوفاً واستشعاراً منه، كما يقال ركبته الديون أي أثقلته يعني تبعني عمر. **(وإذا هو)** أي عمر وإذا للمفاجأة، وفي نسخة بالفاء بيان لوصوله إليه أي فنظرت فإذا هو **(على أثري)** فيه لغتان فصيحتان فتحهما وهو الأفصح وكسر الهمزة وسكون الثاء أي عقبي **(فقال رسول الله ﷺ: ما لك رجعت)** وأي شيء رجع بك على هذه الحالة المنكرة **(يا أبا هريرة؟ قلت:)** وفي نسخة «فقلت» **(لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به فضرب بين ثديي ضربة خررت لاستي فقال:)** أي عمر **(ارجع قال:)** وفي نسخة «فقال» بالفاء **(رسول الله ﷺ: يا عمر ما حملك على ما فعلت؟)** أي من الأمر بالرجوع والمنع من التبليغ **(قال)** وفي نسخة «فقال» **(يا رسول الله بأبي أنت وأمي)** الباء متعلقة بمحذوف، قيل: هو اسم تقديره أنت مفدىً بأبي، وقيل: فعل أي فديتك بأبي وحذف هذا المقدر تخفيفاً لكثرة الاستعمال وعلم المخاطب به. **(أبعثت أبا هريرة بنعليك)** والاستفهام للتقرير والتحقيق **(من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره؟)** بصيغة الماضي أي من لقيه بشره **(بالجنة قال: نعم، قال:)** أي عمر **(فلا تفعل فإني أخشى أن يتكل الناس عليها)** أي على هذه البشارة الإجمالية، ويعتمد العامة على هذه الرحمة الجمالية، ويتركوا القيام بوظائف العبودية التي تقتضي الصفات الربوبية، وحينئذ ينخرم نظام الدنيا والعقبى حيث أكثرهم يقعون في الملة الإباحية، كما هو مذهب بعض الجهلة من الصوفية. **(فخلهم)** من غير البشارة **(يعملون)** حال فإن العوام إذا بشروا يتركون العمل بخلاف الخواص فإنهم إذا بشروا يزيدون في العمل كما تقدم **(فقال رسول الله ﷺ: فخلهم رواه مسلم)** كان المناسب لدأبه أن يقول روى الأحاديث الأربعة مسلم، قال النووي: في الحديث اهتمام الأتباع بحال متبوعهم، والاعتناء بتحصيل مصالحه ورفع مفاسده، وفيه جواز دخول الإنسان ملك غيره بغير اذنه إذا علم أنه يرضى بذلك لمودة بينهما أو غيرها، فإن أبا هريرة دخل الحائط وأقره النبي ﷺ على ذلك ولم ينقل أنه أنكر عليه، وهذا غير مختص بدخول الأرض بل له انتفاع بأدواته وأكل طعامه والحمل من طعامه إلى بيته وركوب دابته ونحو ذلك من التصرف الذي يعلم أنه لا يشق عليه، اتفق على ذلك السلف والخلف. قال ابن عبد البر: وأجمعوا أنه لا يتجاوز الطعام ونحوه إلى الدراهم والدنانير وأشباهها، ولعل هذا إنما يكون في الدراهم الكثيرة التي يشك في رضاه بها، وفيه جواز قول الرجل للآخر بأبي أنت وأمي سواء كان المفدي به مسلماً أو كافراً أو حياً أو ميتاً.

٤٠ ـ (٣٩) وعن معاذِ بن جبل رضي الله عنه، قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «مفاتيحُ الجنّة شهادةُ أنْ لا إله إلا الله» رواه أحمد.

٤١ ـ (٤٠) وعن عثمانَ، رضي الله عنه، قال: إن رجالاً من أصحابِ النبي ﷺ حين تُوفي حَزِنوا عليه، حتى كاد بعضُهم يُوَسوِس قال عثمانُ: وكنتُ منهم، فبينا أنا جالسٌ مرَّ عليَّ عمرُ، وسلَّمَ فلم

---

٤٠ ـ (وعن معاذ بن جبل) رضي الله عنه (قال: قال لي) في قوله «لي» إشارة إلى أنه كان [معه] وحده أو كان هو المقصود بالخطاب (رسول الله ﷺ: مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله) قال الطيبي: «مفاتيح الجنة مبتدأ، وشهادة خبره وليس بينهما مطابقة من حيث الجمع والإفراد فهو من قبيل قول الشاعر * ومعى جياعاً * جعل الناقة الضامرة من الجوع كأن كل جزء من معاها معى[1] واحد من شدة الجوع، وكذا جعلت[2] الشهادة المستتبعة للأعمال الصالحة التي هي كأسنان المفاتيح كل جزء منها بمنزلة مفتاح واحد» اهـ. والأظهر أن المراد بالشهادة الجنس؛ فشهادة كل أحد مفتاح لدخوله الجنة إما ابتداء أو انتهاء، والأعمال إنما هي لرفع الدرجات ومراتب اللذات في الوصال، أو لأن الشهادة لما كانت مفتاح أبواب الجنة فكأنها مفاتيح، أو لأن الشهادة مصدر فهو لشموله القليل والكثير يخبر به عن الجمع وغيره. وشبه الشهادة بالمفاتيح بجامع أن كلاً سبب للدخول، ثم حذفت أداة التشبيه، وقلبه زيادة في تحقيق معنى المشبه والمبالغة فيه، وفيه الاستغناء بأحد المتلازمين عن الآخر إذ لا يعتد بإحدى الشهادتين إلا مع الأخرى (رواه أحمد).

٤١ ـ (وعن عثمان [رضي الله عنه] أن رجالا) بفتح الهمزة، وفي نسخة صحيحة قال: «إن رجالاً» بكسر الهمزة (من أصحاب النبي ﷺ حين توفي) بضم التاء، والواو ماض مجهول (حزنوا) بكسر الزاي (عليه) أي على موته وغيبة طلعته وفقدان حضرته. وعدم وجدان إفادته العلوم الظاهرية وإفاضته المعارف الباطنية (حتى كاد) أي قارب (بعضهم يوسوس) أي يقع في الوسوسة بأن يقع في نفسه انقضاء هذا الدين وانطفاء نور الشريعة الغراء بموته عليه الصلاة والسلام، وخطور هذا بالنفوس الكاملة مهلك لها حتى يتغير حاله ويختلط كلامه، ويدهش في أمره ويختل عقله، ويجيء [أحوال بقيتهم] في آخر [الكتاب] من أن بعضهم أقعد وأسكت وبعضهم أنكر موته عليه الصلاة والسلام، وأظهر الله فضل الصدِّيق بثبات قدم صدقه. قال الطيبي: «الوسوسة حديث النفس وهو لازم»، قال الجوهري: يقال يوسوس: بالكسر والفتح لحن. (قال عثمان: وكنت منهم) أي من ذلك البعض الذي اشتد حزنه حتى كاد أن يوسوس ويذهل عن الحس (فبينا) أي بين أوقات (أنا جالس) أي متفكر متحير (مر عليّ عمر وسلم فلم

الحديث رقم ٤٠: أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٤٢.

(١) في المخطوطة «جعله». (٢) في المخطوطة «جامعاً».

الحديث رقم ٤١: أخرجه أحمد في مسنده ١٠/٦.

أشعر به، فاشتكى عمرُ إلى أبي بكرٍ رضي الله عنهما، ثم أقبلا حتى سلّما عليّ جميعاً، فقال أبو بكر: ما حملَكَ على أنْ لا تَرُدَّ على أخيك عمرَ سلامَه؟ قلتُ: ما فعلت. فقال عمرُ: بلى، واللّهِ لقد فعلت. قال: قلتُ: والله ما شعرتُ أنك مَرَرت ولا سلّمتَ. قال أبو بكر: صدق عثمانُ، قد شغلك عن ذلك أمرٌ. فقلت: أجل. قال: ما هو؟ قلتُ: توفّي الله تعالى نبيّه ﷺ قبل أن نسأله عن نجاةِ هذا الأمر. قال أبو بكر: قد سألتُهُ عن ذلك. فقمتُ إليه وقلتُ له: بأبي أنت وأمي، أنتَ أحقُّ بها. قال أبو بكر: قلتُ يا رسولَ الله! ما نجاةُ هذا الأمر؟ فقال رسولُ الله ﷺ «مَن قَبِل مني الكلمةَ التي عرَضتُ على عمي فردَّها، فهي له نجاةٌ»

أشعر) أي لشدة ما أصابني من الذهول لذلك الهول **(به)** أي بمروره، أو سلامه، أو بهما وهو الأظهر **(فاشتكى عمر)** معاتبة **(إلى أبي بكر [رضي الله عنهما] ثم أقبلا)** كلاهما **(حتى سلما علي جميعاً)** أي فرددت عليهما **(فقال أبو بكر: ما حملك على أن لا ترد على أخيك عمر سلامه؟)** أي قبل ذلك **(فقلت: ما فعلت)** أي ما وقع مني هذا الفعل وهو ترك رد السلام، وهذا بناء على عدم شعوره بسلامه **(فقال عمر: بلى والله لقد فعلت)** بناء على حقيقة الحال **(قال)** أي عثمان، وهو متروك في بعض النسخ **(قلت: والله ما شعرت)** بفتح العين ويضم أي ما علمت ولا فطنت **(إنك مررت)** أي بي كما في نسخة **(ولا سلمت)** كان يكفيه أن يقول: ما شعرت أنك مررت، ولكن جيء به توكيداً أي ما نظرت إليك ولا سمعت كلامك كذا قاله الطيبي، وفيه نظر إذ يمكن الشعور بأحدهما دون الآخر مع أنه لا يلزم من النظر الشعور **(قال أبو بكر:)** أي لعمر **(صدق عثمان)** أي في اعتذاره بعدم شعوره وقال [لي] على وجه الالتفات **(قد شغلك عن ذلك)** أي عن الشعور **(أمر)** أي عظيم **(فقلت: أجل)** أي نعم الأمر كذلك **(قال: ما هو)** أي ذلك الأمر العظيم **(قلت: توفى الله تعالى نبيه)** أي قبض روحه **(ﷺ قبل أن نسأله عن نجاة هذا الأمر)** يجوز أن يراد بالأمر ما عليه المؤمنون أي عما نتخلص به من النار، وهو مختص بهذا الدين، وأن يراد ما عليه الناس من غرور الشيطان وحب الدنيا والتهالك فيها والركون إلى شهواتها وركوب المعاصي وتبعاتها، أي نسأله عن نجاة هذا الأمر الهائل. ولعمري كلمة التقوى تؤثر في النفس اليقظة، وفي القلب جلاء الصدأ والرين، وفي السر محو الأثر والعين، ولا يعقل ذلك إلا السائرون إلى الله تعالى والعارفون به، ومن ثم ألزموها وكانوا أحق بها وأهلها **(قال أبو بكر: قد سألته عن ذلك)** أي وأجابني **(فقمت)** أي من كمال الفرح متوجهاً **(إليه)** ومتمثلاً بين يديه **(وقلت له: بأبي أنت وأمي أنت أحق بها)** أي بالمسألة والسبق بها والبحث عنها فإنك إلى كل خير أسبق. **(قال أبو بكر: قلت: يا رسول الله ما نجاة هذا الأمر؟ فقال:)** أي رسول الله كما في نسخة **(ﷺ من قبل مني)** أي بطوع ورغبة من غير نفاق وريبة **(الكلمة التي عرضت)** وفي نسخة عرضتها **(على عمي)** أي أبي طالب **(فردها)** ونزل فيه ﴿**إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء**﴾ **(فهي)** أي هذه الكلمة، وهي كلمة الشهادة المعبر عنها بالكلمة الطيبة **(له)** أي لمن قبلها **(نجاة)** وأي نجاة فإنها هداية لا تحصل إلا بعناية إما في بداية أو نهاية سيما إذا كانت مقرونة بحسن رعاية، فكأنه عليه الصلاة والسلام يقول:

رواه أحمد.

٤٢ ـ (٤١) وعن المقداد رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يَبقى على ظهر الأرض بيتُ مَدَر ولا وبر إلا أدخله الله كلمةَ الإسلام، بعز عزيز وذُل ذليل، إمّا يعزهم اللهُ فيجعلُهم من أهلها، أو يُذلُّهم فيدينون لها». قلت:

النجاة في الكلمة التي عرضتها على مثل أبي طالب وقد زاد على السبعين في الكفر، ولو قالها مرة كانت له حجة عند الله لاستخلاصه ونجاة له من عذابه، فكيف بالمؤمن المسلم وهي مخلوطة بلحمه ودمه، فلو صرح بها في كلامه لم يفخم هذا التفخيم. وهذا الحديث رواه الصحابي عن الصحابي يعني عثمان عن أبي بكر رضي الله عنهما **(رواه أحمد)**.

٤٢ ـ **(وعن المقداد [رضي الله عنه])** هو المقداد بن عمرو الكندي، وذلك أن أباه حالف كندة فنسب إليها وإنما سمي ابن الأسود لأنه كان حليفه، أو لأنه كان في حجره[١]، وقيل: بل كان عبداً فتبناه. وكان سادساً في الإسلام. روى عنه علي وطارق بن شهاب وغيرهما، ومات بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة، فحمل على رقاب الناس ودفن بالبقيع سنة ثلاث وسبعين وهو ابن تسعين سنة. **(أنه سمع رسول الله)** أي كلامه **(ﷺ يقول:)** حال، وقيل: مفعول ثان **(لا يبقى على ظهر الأرض)** أي وجهها من جزيرة العرب وما قرب منها فلا ينافي ما قيل: إن وراء الصين قوماً لم تبلغهم إلى الآن بعثته عليه الصلاة والسلام **(بيت مدر ولا وبر)** أي المدن والقرى والبوادي وهو من وبر الإبل، أي شعرها لأنهم كانوا يتخذون منه ومن نحوه خيامهم غالباً، والمدر جمع مدرة وهي اللبنة. **(إلا أدخله)** فاعل أدخل هو الله تعالى وإن لم يجر له ذكر بدليل تفصيله بقوله: «أما يعزهم الله»، وفي بعض النسخ أدخله الله **(كلمة الإسلام)** مفعوله، والضمير المنصوب ظرف وقوله **(بعز عزيز)** حال، أي أدخل الله تعالى كلمة الإسلام في البيت ملتبسة بعز شخص عزيز، أي يعزه الله بها حيث قبلها من غير سبي وقتال **(وذل ذليل)** أي أو يذله الله بها حيث أباها وهو يشمل الحربي والذمي، والمعنى: يذله الله بسبب اباتها بذل سبي أو قتال حتى ينقاد إليها كرهاً أو طوعاً، أو يذعن لها[٢] ببذل الجزية. والحديث مقتبس من قوله تعالى: ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾ [التوبة ـ ٣٣] ثم فسر العز والذل بقوله **(إما يعزهم الله)** أي قوماً أعزوا الكلمة بالقبول **(فيجعلهم من أهلها)** بالثبات إلى الممات **(أو يذلهم)** أي قوماً آخرين لم يلتفتوا إلى الكلمة وما قبلوها فكأنهم أذلوها فجوزوا بالإذلال جزاءً وفاقاً **(فيدينون لها)** بفتح الياء، أي يطيعون وينقادون لها، ومن المعلوم أن إسلام الحربي مكرهاً خشية السيف صحيح، وفيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿**حتى يعطوا الجزية عن يد**﴾ أي من غير إرسال، أو مع ضرب كف في عنق، أو لطم يد في وجه ﴿**وهم صاغرون**﴾ أي أذلاء مهانون ومحتقرون **(قلت:)** القائل المقداد[٣]، والظاهر أنه قاله في

الحديث رقم ٤٢: أخرجه أحمد في مسنده ٦ / ٤.

(١) في المخطوطة «حليفه». (٢) في المخطوطة «له». (٣) في المخطوطة «مقداد».

فيكون الدينُ كله لله». رواه أحمد.

٤٣ ـ (٤٢) وعن وهب بن مُنَبِّه رضي الله عنه، قيل له: أليس لا إله إلا اللهُ مفتاحَ الجنة؟ قال: بلى، ولكن ليس مفتاحٌ إلا وله أسنان، فإن جئتَ بمفتاح له أسنانٌ فُتح لك، وإلا لم يفتح لك. رواه البخاري في ترجمة باب.

٤٤ ـ (٤٣) وعن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أحسنَ

غير حضرته عليه الصلاة والسلام بل عند روايته فلهذا ما ذكر له جواب (فيكون الدين كله لله) أي إذا كان الأمر كذلك فتكون الغلبة لدين الله طوعاً أو كرهاً، وقيل: إن في آخر الزمان لم يبق على وجه الأرض محل الكفر بل جميع الخلائق يصيرون مسلمين إما بالطوع والرغبة ظاهراً وباطناً، وإما بالإكراه والجبر، وإذا كان كذلك فيكون الدين كله لله (رواه أحمد) كان الظاهر أن يقول روى الأحاديث الثلاثة أحمد.

٤٣ ـ (وعن وهب بن منبه) بكسر الموحدة المشددة، يكنى أبا عبد الله الصنعاني، من أبناء فارس، سمع جابر بن عبد الله وابن عباس، مات سنة أربع عشرة ومائة، ذكره المصنف في التابعين. (قيل له: أليس لا إله إلا الله) أي المقرون بمحمد رسول الله، ومحله الرفع على أنه اسم ليس وخبرها (مفتاح الجنة؟) وقيل: بالعكس وقدم لشرفه (قال: بلى، ولكن) أي أقول بموجب ذلك وأنها مفتاحها كما تقدم في الحديث السابق، ولكن لا يغتر أحد بذلك، ويظن أنه بمجرد تلفظه بتلك الكلمة التي هي المفتاح يفتح له الجنة حتى يدخلها مع الناجين وإن لم يعمل عملهم، لأنه وإن أتى بالمفتاح غير نافع له لأنه (ليس مفتاح) أي من خشب أو حديد (إلا وله أسنان) أي غالباً، أو عادة هي الفاتحة في الحقيقة (فإن جئت بمفتاح له أسنان) قال الطيبي: المعنى بها الأركان الأربعة أي الصلاة والصوم والزكاة والحج، وقيل: مطلق الأعمال الصالحة المتضمنة لترك الأعمال السيئة (فتح لك) أي أولاً (وإلا) أي وإن لم تجيء بمفتاح له أسنان مما ذكر ولو فقدت منه سن واحدة (لم يفتح لك) أي ابتداء، ولا بد من هذا التأويل ليستقيم على مذهب أهل السنة والجماعة. هذا ولا يخفى عليك أن التشبيه ظاهره يأبى عن القيد الأولي فالأولى أن يقال المراد بالأسنان إنما هو تصديق القلب من غير ترديد بالوفاق، والإقرار باللسان من غير نفاق، وانقياد لأحكام الإسلام من غير كره وشقاق. فالكلمة حينئذ بهذه الأوصاف المشبهة بالأسنان يكون مفتاحاً إما أولاً أو آخراً على وفق الاذن من الفتاح العليم (رواه البخاري في ترجمة باب) بفتح الجيم، أي من عادته أن يذكر بعد الباب حديثاً معلقاً بغير إسناد فيه بيان ما يشتمل عليه أحاديث الباب، ويضيف إليه الباب، واختلف في صحة تعليقاته، والأصح ما ذكره بصيغة التمريض كرُوي وذُكر، وقيل: فهو ضعيف وما لا فلا.

٤٤ ـ (وعن أبي هريرة) [رضي الله عنه] (قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أحسن

الحديث رقم ٤٣: أخرجه البخاري ٣/ ١٠٩.

الحديث رقم ٤٤: أخرجه البخاري ١/ ١٠٠ حديث رقم ٤٢. ومسلم ١/ ١١٧ حديث (٢٠٥ ـ ١٢٩).

أحدُكم إسلامَه، فكلُّ حسنةٍ يعملُها تُكتَبُ له بعشرِ أمثالِها إلى سبعمائة ضعفٍ، وكلُّ سيئةٍ يعمَلُها تُكتَبُ بمثلِها حتى لَقِيَ اللَّهَ». متفق عليه.

٤٥ - (٤٤) وعن أبي أمامة [رضي الله عنه]، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: ما الإيمان؟ قال: «إذا سَرَّتْك حَسَنَتُك، وساءَتْك سيئتُك، فأنتَ مُؤمنٌ». قال: يا رسول الله! فما الإثم؟ قال: «إذا حاكَ في نفسِكَ شيءٌ فدَعْهُ».

أحدكم إسلامه) أي أجاده، وأخلص كقوله تعالى: ﴿**بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن**﴾ [البقرة - ١١٢] **(فكل حسنة يعملها تكتب)** أي له كما في نسخة **(بعشر أمثالها)** فضلاً من الله ونعمة **(إلى سبعمائة ضعف)** إلى لانتهاء الغاية؛ فيكون ما بين العشرة إلى سبعمائة درجات بحسب الأعمال والأشخاص والأحوال، أو لمجرد الإفضال والله يضاعف لمن يشاء. حكى الماوردي أن الضعف لا يتجاوز عن سبعمائة، قال النووي: هذا غلط لما في مسلم: «إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة» اهـ. فالمراد بسبعمائة الكثرة وفيه الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ**﴾ [البقرة - ٢٦١] والمراد هنا بالضعف المثل، وخص حسنات الحرم بمائة ألف، قال ابن حجر: وصح: «صلاة واحدة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة في مسجد رسول الله ﷺ»، وأخذت من هذا كأحاديث أخر أنها في مكة بمائة ألف ألف ألف صلاة كما يأتي، فالعشرة لا ينقص عنها والزيادة لا منتهى لها، وما بين العشرة إلى سبعمائة فأكثر درجات بحسب كمال الأعمال وما يصحبها من الإخلاص وغيره. اهـ. ولا يخفى أن الحسنات تختلف كيفياتها أيضاً **(وكل سيئة يعلمها تكتب**[1] **بمثلها)** أي كمية فضلاً منه تعالى ومنة ورحمة، وإن كانت السيئات تتفاوت كيفية باختلاف الزمان والمكان وأشخاص الإنسان ومراتب العصيان. **(حتى لقي الله)** أي إلى أن يلقى الله يوم القيامة فيجازيه، أو يعفو عنه. والعدول إلى الماضي لتحقق وقوعه كقوله تعالى: ﴿**أتى أمر الله**﴾ [النحل - ١] ولا يبعد تعلق «حتى» بالجملتين وإرادة اللقي بمعنى الموت **(متفق عليه)**.

٤٥ - **(وعن أبي أمامة أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ ما الإيمان؟)** أي علامته **(قال: إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك)** أي إذا عملت حسنة وحصل لك فرح ومسرة بتوفيق الطاعة، وإذا فعلت سيئة ووقع في قلبك حزن ومساءة خوفاً من العقوبة **(فأنت مؤمن)** فإن المؤمن الكامل يميز بين الطاعة والمعصية، ويعتقد المجازاة عليهما يوم القيامة بخلاف الكافر فإنه لا يفرق بينهما ولا يبالي بفعلهما **(قال: يا رسول الله فما الإثم؟)** أي ما علامته إذا لم يكن نص صريح أو نقل صحيح واشتبه أمره والتبس حكمه **(قال: إذا حاك)** أي تردد **(في نفسك شيء)** ولم يطمئن به قلبك، وأثر فيه تأثيراً يديم تنفيراً **(فدعه)** أي اتركه، وهو كقوله عليه الصلاة

---

(١) في المخطوطة يكتب.

الحديث رقم ٤٥: أخرجه أحمد في مسنده ٥/٢٥١ وفيه تقديم وتأخير.

رواه أحمد.

٤٦ ـ (٤٥) وعن عمرو بنَ عَبَسة [رضي الله عنه]، قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلت: يا رسولَ الله! مَنْ معَك على هذا الأمر؟ قال: «حُرٌّ وعَبْدٌ». قلت: ما الإسلام؟ قال: «طيبُ الكلام، وإطعامُ الطعام». قلتُ: ما الإيمانُ؟ قال: «الصَّبرُ والسَّماحَةُ». قال: قلتُ: أيُّ الإسلامِ أفضلُ؟ قال: «من سَلِمَ المسلمونَ من لسانِه ويدِه». قال: قلت: أيُّ الإيمانِ أفضلُ؟ قال: «خُلُقٌ حَسَنٌ».

والسلام: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[١]، وهذا بالنسبة إلى أرباب البواطن الصافية والقلوب الزاكية، أو المعنى اتركه احتياطاً إذا كان الأحوط تركه وإذا كان الفعل أولى فاترك ضده لئلا تقع في الإثم، وقيل: الجوابان من أسلوب الحكيم. وقد تصحف على السيد السند فقرأ «حاك» جاءك بصيغة الماضي من المجيء (رواه أحمد).

٤٦ ـ (وعن عمرو بن عبسة) بفتحات، كنيته أبو نجيح السلمي أسلم قديماً في أول الإسلام، قيل: كان رابع أربعة في الإسلام ثم رجع إلى قومه بني سليم، وقال له النبي ﷺ: «إذا سمعت أني خرجت فاتبعني»، فلم يزل مقيماً بقومه حتى انقضت خيبر، فقدم بعد ذلك على النبي عليه الصلاة والسلام، وأقام بالمدينة وعداده في الشاميين، روى عنه جماعة. (رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ) أي جئته لطلب العلم (فقلت: يا رسول الله من معك على هذا الأمر؟) أي من يوافقك على ما أنت عليه من أمر الدين (قال: حر وعبد) أي كل حر وعبد يعني مأمور بالموافقة، وقيل: أبو بكر وزيد، أو أبو بكر وبلال، ويؤيده ما في إحدى روايات مسلم: «ومعه يومئذ أبو بكر وبلال»، ولعل علياً رضي الله عنه لم يذكر لصغره، وكذا خديجة لسترها وعدم ظهورها (قلت: ما الإسلام؟) أي علامته، أو شعبه، أو كماله (قال: طيب الكلام وإطعام الطعام) فيهما إشارة إلى الحث على مكارم الأخلاق، وإظهار الإحسان لأفراد الإنسان ولو بحلاوة اللسان (قلت: ما الإيمان؟) أي ثمرته ونتيجته (قال: الصبر) أي على الطاعة وعن المعصية وفي المصيبة (والسماحة) أي السخاوة بالزهد في الدنيا والإحسان والكرم للفقراء، وقيل: الصبر على المفقود والسماحة بالموجود (قال: قلت: أي الإسلام) أي خصاله، أو أهله وهو أولى (أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده، قال: قلت: أي الإيمان أفضل؟) أي أيّ أخلاقه، أو خصاله (قال: خلق حسن) بضم اللام وتسكن، وهو صفة جامعة للخصال السنية والشمائل البهية، قال تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم ـ ٤] ولذا قالت[٢] الصديقة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن»[٣]، أي يأتمر بما أمر الله تعالى فيه وينتهي عما نهى

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٧٦ حديث رقم ٢٥١٨.

الحديث رقم ٤٦: أخرجه أحمد في مسنده.

(٢) في المخطوطة «قال» والصواب قالت لأن المقصود السيدة عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه مسلم ١/ ٥١٢ حديث ٧٤٦.

قال: قلتُ: أيُّ الصلاةِ أفضلُ؟ قال: «طولُ القنوتِ». قال: قلت: أي الهجرةِ أفضلُ؟ قال: «أن تهجرَ ما كَرِهَ ربُّك». قال: فقلت: فأي الجهادِ أفضلُ؟ قال: «من عُقِرَ جوادُه وأُهريقَ دمُه».

الله عنه، وذكر شيخ مشايخنا خاتمة المحدثين وآخر المجتهدين جلال الدين السيوطي رحمه الله. أنه حديث حسن، رواه الحسن عن الحسن عن أبي الحسن عن جد الحسن «أن أحسن الحسن الخلق الحسن»[1]. وقال بعض المحققين: الخلق الحسن هو بسط الوجه المسمى بالمحيا، وبذل الندى والعطاء، وكف الأذى، وأن لا يخاصم لشدة معرفته بالله تعالى، ولذا قيل: الصوفي لا يخاصِم ولا يخاصَم، أو إرضاء الخلق في السراء والضراء. وقال سهل: أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه. والتحقيق أنه قد لاح وبان عند أرباب العرفان بطوالع الوحي ولوائح الوجدان، أن الإنسان جوهر لطيف نوراني من عالم الأمر شبيه بالجواهر القدسية الملكوتية، وله قوّتان يحظى بكمالهما ويشقى بسبب اختلالهما؛ قوة عاقلة تدرك حقائق الموجودات بأجناسها وأنواعها وتنتقل منها إلى معرفة من اشتغل بإبداعها، وعاملة تدرك النافع نافعاً فتميل إليه والضار مضراً فتنفر عنه، وذلك أمور معاشية تتعلق بحفظ النوع وكمال البدن، ولذا ورد «خالق الناس بخلق حسن»[2]، أو ملكات فاضلة وأحوال باطنة هي الخلق الحسن؛ وهو إما تزكية النفس عن الرذائل وأصولها عشرة الطعام والكلام والغضب والحسد والبخل وحب المال والجاه والكبر والعجب والرياء، أو تحليتها بالفضائل وأمهاتها عشرة التوبة والخوف والزهد والصبر والشكر والإخلاص والتوكل والمحبة والرضا بالقضاء وذكر الموت. والخلق ملكة تصدر بها الأفعال عن النفس بسهولة من غير سبق روية، وتنقسم إلى فضيلة هي الوسط ورذيلة وهي الأطراف، ولذا قال تعالى: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ [القلم - ٤] (**قال: قلت: أي الصلاة**) [أي] أيُّ أركانها، أو كيفيتها (**أفضل؟**) أي أكثر ثواباً [وفضلاً] (**قال: طول القنوت**) أي القيام، أو القراءة، أو الخشوع (**قال: قلت أي الهجرة**) أي أفرادها (**أفضل؟**) فإن الهجرة أنواع، إلى الحبشة عند إيذاء الكفار للصحابة، ومن مكة إلى المدينة، وفي معناه الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، وهجرة القبائل لتعلم المسائل من النبي ﷺ، والهجرة عما نهى الله عنه. (**قال: أن تهجر ما كره ربك**) كراهة تحريم أو تنزيه، وهذا النوع هو الأفضل لأنه الأعم الأشمل (**قال: فقلت:**) وفي نسخة قلت (**فأي الجهاد**) أي أنواعه، أو أهله (**أفضل؟ قال: من عُقر**) [بالبناء للمفعول] (**جواده**) أي قُتِل فرسه (**وأهريق دمه**) بضم الهمزة وسكون الهاء، وقيل: بفتحها وهو وهم، أي صب وسكب يقال: أراق يريق وهراق[3] يهريق بقلب الهمزة هاء[4]، وإهراق يهريق بزيادتها كما زيدت السين في استطاع. والهاء في مضارع الأول محركة وفي مضارع الثاني مسكنة كذا قاله

---

(١) عزاه السيوطي في الجامع الصغير لابن عساكر ١/ ١٣٣ حديث ٢١٨٣.

(٢) الترمذي ٤/ ٣١٢ حديث ١٩٨٧.

(٣) في المخطوطة «اهراق».

(٤) في المخطوطة «ياء».

قال: قلت: أي الساعات أفضلُ؟ قال: «جوفُ الليل الآخر» رواه أحمد.

٤٧ ـ (٤٦) وعن معاذ بن جبل، رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من لَقِيَ الله لا يُشركُ به شيئاً، ويُصلي الخمسَ، ويصومُ رمضانَ؛ غُفرَ له». قلت: أفلا أبشرهم يا رسولَ الله؟ قال: «دَعْهُمْ يَعْملوا». رواه أحمد.

٤٨ ـ (٤٧) وعنه أنه سألَ النبيَ ﷺ عن أفضل الإيمان؟ قال: «أن تُحبَّ للهِ،

صاحب الفائق[1]، وقال الحجازي في حاشية الشفاء: لا تفتح الهاء مع الهمزة. وإنما كان هذا الجهاد أفضل لاشتماله على الجهادين جهاد فارس وجهاد راجل، أو لجمعه بين الإنفاق في سبيل الله والشهادة في مرضاة مولاه (**قال: قلت: أي الساعات**) أي لتحصيل الطاعات (**أفضل؟ قال: جوف الليل**) أي وسطه، لأنه أقرب إلى الصفاء وأبعد عن الرياء (**الآخر**) صفة جوف، أي النصف الأخير من الليل، فإنه أشق على النفس وأخلى من الخلق وأقرب إلى تنزل رحمة الله (**رواه أحمد**).

٤٧ ـ (**وعن معاذ بن جبل** [رضي الله عنه] **قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من لقي الله**) يعني من مات (**لا يشرك به شيئاً**) أي جلياً أو خفياً، أي حال كونه غير مشرك يعني يكون موحداً مؤمناً (**ويصلي الخمس**) أي خمس صلوات كل يوم وليلة في خمسة أوقات بركعات معدودات مقرونة بشرائط وأركان معلومات (**ويصوم رمضان**) أي شهره في كل سنة أياماً معدودات، ولعل ترك الزكاة والحج لأنهما مختصان بالأغنياء، أو كان قبل فرضيتهما (**غفر له**) أي غفر الله له ذنوبه الصغائر التي بين كل صلاة وصلاة وكل صوم وصوم، أو الكبائر التي بينه وبين الله تعالى إن شاء، وأما حقوق العباد فيمكن أن يرضيهم الله تعالى من فضله (**قلت:**) ذكرت ذلك (**أفلا أبشرهم**) أي عموم الناس (**يا رسول الله؟**) حتى يفرحوا بهذه البشارة (**قال: دعهم**) أي اتركهم بلا بشارة (**يعملوا**) مجزوم على جواب الأمر، أي يجتهدوا في زيادة العبادة ولا يتكلوا على هذا الإجمال ولا يرتكبوا من قبائح الأفعال، فإن هذا دأب العوام في غالب الأحوال بخلاف الخواص وأصحاب الاختصاص، إذ لو فرض وقدر أن ليس هناك جنة ولا نار ما عصوا الله تعالى ساعة في ليل ولا نهار، وقد ورد في الحديث: «رحم الله صهيباً لو لم يخف الله لم يعصه»[2]، بل يزيدون في العبادة بعد البشارة شكراً لهذه الإشارة، ويخافون أن البشارة تكون مقيدة بقيد مطوي تحت العبارة امتحاناً من رب العباد والله رؤوف بالعباد. (**رواه أحمد**).

٤٨ ـ (**وعنه**) أي عن معاذ [رضي الله عنه] (**أنه سأل النبي ﷺ عن أفضل الإيمان**) أي عن شُعَبه ومراتبه وأحواله، أو خصال أهله (**قال: أن تحب**) أي كل ما تحبه (**لله**) لا لغرض سواه

---

(١) لعله كتاب الفائق في غريب الحديث لأبي قاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨).

الحديث رقم ٤٧: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٣٢.

(٢) ويروى «نعم العبد صهيباً». وهو حديث ليس له إسناد راجع المقاصد الحسنة وكشف الخفاء (منهج النقد ص ٤١١).

الحديث رقم ٤٨: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٤٧ وزاد «أن تقول خيراً أو تصمت».

وتُبْغِضَ للهِ، وتُعمِلَ لسانَكَ في ذكرِ الله». قال: وما ذا يا رسولَ الله؟ قال: «أن تُحبَّ للناسِ ما تحبُّ لنفسِكَ، وتكرَهَ لهم ما تكرهُ لنفسِك». رواه أحمد.

(١) باب الكبائر وعلامات النفاق

الفصل الأول

٤٩ ـ (١) عن عبدِ الله بن مسعود، رضي الله عنه،

(وتبغض) أي مبغوضك **(لله)** لا لطبع وهوى **(وتعمل)** من الأعمال بمعنى الاستعمال والأشغال **(لسانك)** ليصل بركته إلى جنانك **(في ذكر الله)** بأن لا يزال رطباً به بشرط الحضور فيكون نوراً على نور، وإلا فاشتغال عضو بالعبادة نوع من العناية ومن شكر هذه النعمة حصل له مزيد الرعاية **(قال: وماذا يا رسول الله؟)** أي وماذا أصنع بعد ذلك؟ وماذا إما منصوب باصنع، أو مرفوع أي أيّ شيء أصنعه فعلى الأول مقول **(قال: وأن تحب)** يكون منصوباً، وعلى الثاني مرفوعاً والواو للعطف على مقدر، والتقدير: أن تستقيم على ما قلنا وأن تحب **(للناس)** يحتمل التعميم ويحتمل التخصيص بالمؤمنين **(ما تحب لنفسك)** أي مثله **(وتكره لهم ما تكره لنفسك رواه أحمد)**.

(باب الكبائر)

جمع كبيرة، وهي السيئة العظيمة التي خطيئتها في نفسها كبيرة، وعقوبة فاعلها عظيمة بالنسبة إلى معصية ليست بكبيرة. وقيل: الكبير ما أوعد عليه الشارع بخصوصه، وقيل: ما عين له حد، وقيل: النسبة إضافية فقد يكون الذنب كبيرة بالنسبة لما دونه صغيرة بالنسبة إلى ما فوقه، وقد يتفاوت باعتبار الأشخاص والأحوال، كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين، وقد يتفاوت باعتبار المفعول فإن إهانة السادات والعلماء ليست كإهانة السوقة والجهلاء، وللشيخ ابن حجر كتاب نفيس في هذا الباب يسمى الزواجر عن الكبائر، وقيل: كل معصية كبيرة نظراً إلى عظمة الله تعالى، وقيل: لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار، وقيل: بإبهام الكبيرة من بين الذنوب لئلا يرتفع الخوف من القلوب **(وعلامات النفاق)** تخصيص بعد تعميم، أو بينهما عموم وخصوص من وجه.

(الفصل الأوّل)

٤٩ ـ **(عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه)** [يُكنى أبا عبد الرحمن الهذلي، كان إسلامه

الحديث رقم ٤٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١٢/ ١٨٧ حديث رقم ٦٨٦١ ومسلم في صحيحه ١/ ٩١ حديث رقم (١٤٢ ـ ٨٦). والترمذي في السنن ٥/ ٣١٤ حديث ٣١٨٢. والنسائي ٧/ ٩٠ حديث رقم ٤٠١٣. وأبو داود في سننه ٢/ ٧٣٢ حديث رقم ٢٣١٠. وأحمد في المسند ١/ ٣٨٠.

قال: قال رجلٌ: يا رسولَ الله! أيُّ الذَّنبِ أكبرُ عندَ الله؟ قال: «أن تدعُوَ للَّهِ نِدّاً وهو خَلَقَك». قال: ثم أيٌّ؟ قال: «أن تقتلَ ولَدَكَ خَشيةَ أن يَطعَمَ معك».

قديماً في أول الإسلام قبل دخول النبي ﷺ في دار الأرقم وقبل عمر بزمان، وقيل: كان سادساً في الإسلام ثم ضم إليه رسول الله ﷺ سواكه ونعليه وطهوره في السفر، هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وقال رسول الله ﷺ: «رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد، وسخطت لها ما سخط لها ابن أم عبد»[1] يعني ابن مسعود، وكان يشبه بالنبي ﷺ في سمته ودله وهديه، وكان خفيف اللحم قصيراً شديد الأدمة نحيفاً طوال الرجال توازيه جالساً. ولي القضاء بالكوفة وبيت مالها لعمر وصدراً من خلافة عثمان، ثم صار إلى المدينة فمات بها سنة اثنتين وثلاثين، ودفن بالبقيع وله بضع وستون سنة. روى عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومن بعدهم من الصحابة والتابعين، وهو عندنا أفقه الصحابة بعد الخلفاء الأربعة]. (قال: «قال رجل: يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله؟) الذنب ما يذم به الآتي به شرعاً، وهو أربعة أقسام: قسم لا يُغفر بلا توبة وهو الكفر، وقسم يُرجى أن يغفر بالاستغفار وسائر الحسنات وهو الصغائر، وقسم يُغفر بالتوبة وبدونها تحت المشيئة وهو الكبائر من حق الله تعالى، وقسم يحتاج إلى التراد وهو حق الآدمي، والتراد إما في الدنيا بالاستحلال أو رد العين أو بدله، وإما في الآخرة برد ثواب الظالم للمظلوم، أو إيقاع سيئة المظلوم على الظالم، أو أنه تعالى يرضيه بفضله وكرمه. (قال: أن تدعو) أي تجعل (لله ندّاً) بالكسر أي مثلاً ونظيراً في دعائك وعبادتك، وقيل: الند المثل المزاحم الذي يضاده في أموره من ند نفر. وأما الضد فهو أحد متقابلين لا يمكن اجتماعهما. (وهو خلقك) الجملة حال من الله، أو من فاعل أن تدعو، وفيه إشارة إلى ما استحق به تعالى أن تتخذه رباً وتعبده فإنه خلقك، أو إلى ما به امتيازه تعالى عن غيره في كونه إلهاً، أو إلى ضعف الند أي أن تدعو له نداً وقد خلقك غيره وهو لا يقدر على خلق شيء، والمراد أن أكبر الكبائر [هو] الشرك بالله بل الكفر مطلقاً، وإنما خص فإن الشرك لظلم عظيم. (قال: ثم أي؟) استفهام بالتنوين يدل من المضاف إليه لكن يحذف التنوين [وقفاً] بمعنى أيُّ شيء من الذنوب أكبر بعد الكفر (قال: أن تقتل ولدك خشية) منصوب على أنه مفعول له (أن يطعم) بفتح أوله، أي يأكل (معك) لا خلاف أن أكبر الذنوب بعد الكفر قتل نفس المسلم بغير حق، فالمعنى أن قتل الولد أكبر من سائر الذنوب، وقتله من خوف أن يطعم أيضاً ذنب لأنه لا يرى الرزق من الله تعالى، وليس «ثم» في هذا الحديث لتراخي الزمان إذ لا يتصوّر ههنا، ولا لتراخي الرتبة لوجوب كون المعطوف بها أعلى مرتبة وههنا بالعكس بل هي للتراخي في الإخبار كأنه قيل: أخبرني عن أوجب ما يهمني السؤال عنه من الذنوب ثم الأوجب فالأوجب، كذا قاله الطيبي. والأظهر أنه لتراخي الرتبة، وقد يكون المعطوف بها أدنى مرتبة كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «أشد

---

(١) الحاكم في المستدرك ٣/ ٣١٧.

قال: ثم أيٌّ؟ قال: «أن تُزاني حليلة جارك». فأنزل اللّهُ [تعالى] تصديقها: ﴿والذين لا يدعونَ مع الله إلهاً آخرَ ولا يقتلونَ النفسَ التي حَرَّمَ اللّهُ إلا بالحَقِّ ولا يزنون﴾ الآية [متفق عليه].

الناس بلاء الأنبياء، ثم الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل»[1]. وحاصل الكلام أن قتل النفس المسلمة بغير حق كبيرة، وأفحش أنواعه قتل القريب لأنك ضممت إلى معصية القتل معصية قطيعة الرحم، وأفحش أنواع قتل القريب قتل الوالد ثم قتل الولد؛ فكون قتل الولد أكبر الكبائر بعد الكفر إنما هو بضم العلة المذكورة، فإنه يضم إلى تلك القبائح عدم رؤية الرزق من الله تعالى، وانتفاء التوكل والاعتماد عليه في أمره، مع دلالته على كمال قساوته بقتل نفس زكية صغيرة بأقبح أنواع القتل وهو دفنه حياً. (**قال ثم أي؟ قال: أن تزاني**) أي تزني (**حليلة جارك**) أي زوجته، من حل يحِل بالكسر إذ كل منهما حلال للآخر، أو من حل يحُل بالضم لأن كل واحد منهما حال عند الآخر، فمطلق الزنا ذنب كبير وخاصة مع من سكن جوارك والتجأ بأمانتك، فهو زنا وإبطال حق الجوار والخيانة معه أقبح.

(فحاصل القيود من الند والولد والجار كمال تقبيح هذه الأصناف من هذه الأنواع لا أنها قيود احترازية. وإلا فأفحش الزنا أن يكون بالمحارم، ثم في الاتيان بقوله: «أن تزاني» بصيغة المفاعلة مبالغة لا تخفى، فالحديث كقوله تعالى: ﴿**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق**﴾ [الإسراء - ٣١] أو رعاية لحال السائل ولذا قيد الكبائر في بعض الأحاديث بكونها سبعاً واقتصر في بعضها على ثلاث منها كما هنا، أو أربع كما يأتي بناء على بيان المحتاج إليه منها وقت ذكره، وقد قال ابن عباس: هي إلى السبعين أقرب[2]، وقال سعيد بن جبير: إلى السبعمائة أقرب، قيل: يعني باعتبار أصناف أنواعها، وقيل: بل هو على حقيقته والله أعلم. (**فأنزل الله**) وفي نسخة عزَّ وجلَّ (**تصديقها**) أي تصديق هذه المسألة، أو الأحكام، أو الواقعة. ونصبه على أنه مفعول له أي أنزل الله هذه الآية تصديقاً لها، وفيه دليل على جواز تقرير السنة وتصديقها بالكتاب كذا قاله الطيبي، ولا أعرف له مخالفاً في هذا المقال ليحتاج إلى الاستدلال. ويمكن أن يراد بالتصديق المطابقة والتوفيق، وتكون السنة مقتبسة من الآية مع زيادة التنبيه على أقبح الأفراد. (﴿**والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر**﴾) هذا من جملة الأخبار عن المبتدأ المتقدم وهو عباد الرحمن (﴿**ولا يقتلون النفس**﴾) يعني نفس المسلم والذمي والمعاهد (﴿**التي حرم الله**﴾) أي قتلها، والمعنى لا يقتلون نفس غير الحربي بوجه من الوجوه فهو استثناء مفرغ (﴿**إلا بالحق**﴾) أو متعلق بالقتل المقدر، وقيل: «بلا يقتلون» أي بإحدى الخصال الثلاثة؛ وهي الردة وزنا الإحصان والقصاص (﴿**ولا يزنون الآية**﴾)[3] بتمامها في سورة الفرقان، وفي كون هذه الآية

---

(١) أخرجه الترمذي من غير لفظ الأولياء ٢/ ٥٢٠ حديث رقم ٢٣٩٨ وأخرجه البخاري تعليقاً.

(٢) أخرجه عبد الرزاق ١٠/ ٤٦٠ حديث رقم ١٩٧٠٢.

(٣) سورة الفرقان آية ٦٨.

٥٠ ـ (٢) وعن عبدِ الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الكبائرُ: الإشراكُ باللهِ، وعقوقُ الوالدَيْنِ، وقتْلُ النَّفْسِ، واليَمينُ الغَموسُ». رواه البخاري.

٥١ ـ (٣) وفي رواية أنسٍ: «وشهادةُ الزُّور» بدل: «اليمينُ الغَمُوسُ». متفق عليه

مصدقة للحديث دليل واضح لما تقدم من أن ذكر الولد والخشية وحليلة الجار إنما هو لبيان زيادة الفحش لا للتقييد وإلا لم تكن الآية الدالة على أكبرية القتل والزنا إلاّ بقيد مطابقة للحديث حتى تصدقه، بل كان الحديث مقيداً لها. (متفق عليه) ورواه الترمذي والنسائي.

٥٠ ـ (وعن عبد الله بن عمرو) [رضي الله عنه] (قال: قال رسول الله ﷺ: «الكبائر الإشراك بالله) هو جعل أحد شريكاً للآخر، والمراد ههنا اتخاذ إله غير الله، وأراد به الكفر، واختار لفظ الإشراك لأنه كان غالباً في العرب. (وعقوق الوالدين) أي قطع صلتهما مأخوذ من العق وهو الشق والقطع، والمراد عقوق أحدهما، قيل: هو إيذاء لا يتحمل مثله من الولد عادة، وقيل: عقوقهما مخالفة أمرهما فيما لم يكن معصية، وفي معناهما الأجداد والجدات. ثم اقترانه بالإشراك لما بينهما من المناسبة إذ في كل قطع عقوق السبب في الإيجاد والإمداد، وإن كان ذلك لله حقيقة وللوالدين صورة ونظيره قوله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً﴾ [النساء ـ ٣٦] وقوله عزّ وجلّ: ﴿أن أشكر لي ولوالديك﴾ [لقمان ـ ١٤] (وقتل النفس) أي بغير حق (واليمين الغموس») الذي يغمس صاحبه في الإثم ثم في النار، وقيل: في الكفارة بناء على مذهب الشافعي، ومعناه: أن يحلف على الماضي عالماً بكذبه، وقيل: أن يحلف كاذباً متعمداً ليذهب بمال أحد. واعلم أن الأولى أن يقال: الكبيرة لا تنحصر في عدد، وما قاله عليه الصلاة والسلام من عدد فذلك بسبب الوحي، أو اقتضاء المقام. والأنسب أن يضبط ذلك ويقاس الذنب إلى مفسدة المنصوص عليها، فإن نقصت عن أقل المفاسد فهي من الصغائر وإلا فهي من الكبائر هذا حاصل ما قاله الإمام عز الدين بن عبد السلام. (رواه البخاري) والترمذي والنسائي أيضاً.

٥١ ـ (وفي رواية أنس رضي الله عنه) الجار والمجرور خبر مقدم والمبتدأ قوله (وشهادة الزور) أي الكذب، وسُمي زوراً لميلانه عن جهة الحق وقوله (بدل اليمين الغموس) منصوب على الظرف وعامله معنى الفعل الذي فيْ، وفي رواية أنس، أي مكان اليمين على الرفع حكاية، وعلى الجر عملاً بالإضافة، وإطلاق البدل على المكان على سبيل الكناية لأن من أبدل شيئاً بشيء فقد وضعه مكانه، قيل: ولعل مخالفة أنس لابن عمر لاختلاف المجلس، أو تعدد

الحديث رقم ٥٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٥٥٥ حديث رقم٦٦٧٥. وأورده الترمذي بلفظ قريب مع نقص «قتل النفس». وأخرجه النسائي في سننه ٧/ ٨٩ حديث رقم ٤٠١١. والدارمي ٢/ ٢٥١ حديث رقم ٢٣٦٠ وأحمد في المسند ٢/ ٢٠١.

الحديث رقم ٥١: رواه البخاري في صحيحه ٥/ ٢٦١ حديث رقم ٢٦٥٤ ورواه مسلم في صحيحه ١/ ٩١ حديث (١٤٤ ـ ٨٨).

متفق عليه.

٥٢ ـ (٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبُوا السَّبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله وما هنّ؟ قال: «الشِّركُ بالله، والسِّحرُ،

الحديث، أو نسيان كل منهما (متفق عليه) قال ميرك: «يفهم من كلام الشيخ الجزري أن هذه الرواية من أفراد البخاري».

٥٢ ـ (وعن أبي هريرة) [رضي الله عنه] (قال: قال رسول الله ﷺ: اجتنبوا السبع) أي احذروا فعلها (الموبقات) أي المهلكات، أجمل بها ثم فصلها ليكون أوقع في النفس، قال ابن عمر: الكبائر سبع، وقال ابن عباس: هي أقرب إلى السبعين، وقال الشيخ أبو طالب المكي صاحب قوت القلوب الذي هو أصل إحياء العلوم للغزالي: «قد جمعت جميع الأحاديث الواردة في هذا الباب فوجدت سبعة عشر؛ أربعة في القلب: الشرك ونية الإصرار على المعصية واليأس من رحمة الله والأمن من مكر الله، وأربعة في اللسان: شهادة الزور وقذف المحصن واليمين الغموس والسحر، وثلاثة في البطن: شرب الخمر وأكل مال اليتيم وأكل مال الربا، واثنان في الفرج: الزنا واللواط، واثنان في اليد القتل بغير الحق والسرقة، وواحد في الرجل: وهو الفرار من الكفار يوم الزحف، وواحد يشمل البدن: وهو عقوق الوالدين». (قالوا) يعني بعض الصحابة، وفي نسخة «قال» أي رجل، أو أبو هريرة (يا رسول الله: وما هن[(١)]؟) أي تلك السبع (قال: الشرك بالله) أي الكفر به (والسحر) قال في المدارك: «إن كان في قول الساحر أو فعله رد ما لزم في شرط الإيمان فهو كفر وإلا فلا»، وقال ابن حجر: وهو يقع كما قاله القرافي على حقائق مختلفة؛ السيمياء، والهيمياء، وخواص الحقائق من الحيوانات [وغيرها]، والطلسمات والأوفاق، والرقي التي تحدث ضرراً، والعزائم، والاستخدامات. ثم بين هذه الأنواع بما ذكرته عنه في كتابي الآتي ذكره، ثم قال: وقد يقع للسحرة أنهم يجمعون عقاقير ويجعلونها في نهر أو بئر أو قبر أو باب يفتح للشرق فيحدث عنها آثار بخواص نفوسهم التي طبعها الله على الربط بينها وبين تلك الآثار عند صدق العزم، وقد يأتي الساحر بفعل أو قول يضر بحال المسحور فيمرض ويموت منه، إما بواصل إلى بدنه من دخان أو غيره أو بدونه. وقال الحنابلة: الساحر بفعل من يركب مكنسة فتسير به في الهواء أو نحوه، وكذا معزم على [الجن] ومن يجمعها بزعمه وأنه يأمرها فتطيعه، وكاهن وعراف ومنجم ومشعبذ، وقائل بزجر الطير وضارب عصا وشعير وقداح، ومن يسحر بدواء أو تدخين أو سقي مضر. قال بعض أئمتهم: ومن السحر السعي بالنميمة والإفساد بين الناس

الحديث رقم ٥٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٣٩٣ حديث رقم ٢٧٦٦ ومسلم في صحيحه ١/ ٩٢ حديث رقم (١٤٥ . ٨٩). وأبو داود في سننه ٣/ ٢٩٤ حديث ٢٨٧٤. والنسائي في سننه ٦/ ٢٥٧ حديث رقم ٣٦٧١.

(١) في المخطوطة «قالوا: «وما هن يا رسول الله».

وقَتْلُ النَّفْسِ التي حَرَّمَ اللَّهُ إلا بالحق، وأكلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ اليتيم، والتَّولِّي يوْمَ الزَّحفِ، وقذفُ المُحصناتِ الغافلات المؤمنات». متفق عليه.

لقول جمع من السلف: يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسده الساحر في سنة.

واعلم أن للسحر حقيقة عند عامة العلماء خلافاً للمعتزلة وأبي جعفر الأسترآبادي. ثم ظاهر عطف السحر على الشرك أنه ليس بكفر، وقد كثر اختلاف العلماء في ذلك، وحاصل مذهبنا أن فعله فسق. وفي الحديث: ليس منا من سحر أو سحر له[١]، ويحرم تعلمه خلافاً للغزالي لخوف الافتتان والإضرار، ولا كفر في فعله وتعلمه وتعليمه إلا أن اشتمل على عبادة مخلوق أو تعظيمه كما يعظم الله سبحانه، أو اعتقاد أن له تأثيراً بذاته، أو أنه مباح بجميع أنواعه. وأطلق مالك وجماعة أن الساحر كافر، وإن السحر كفر، وإن تعلمه وتعليمه كفر، وإن الساحر يقتل ولا يستتاب سواء سحر مسلماً أم ذمياً. وقالت الحنفية: إن أعتقد أن الشيطان[٢] يفعل له ما يشاء فهو كافر، وإن أعتقد أن السحر مجرد تخييل وتمويه لم يكفر. واختلف الحنابلة في كفره، وفي التنقيح من كتبهم: ولا تقبل توبة ساحر يكفر بسحره، ويقتل ساحر مسلم يركب المكنسة فتسير به في الهواء ونحوه، ويكفر هو ومن يعتقد حله، وفي الفروع لهم أيضاً: أن من أوهم قوماً بطريقته أنه يعلم الغيب فللإمام قتله لسعيه بالفساد. وبقي لهذا المبحث متممات بسطتها مع ذكر فروق بين المعجزة والسحر في كتابي الأعلام بقواطع الإسلام **(وقتل النفس التي حرم الله)** بوجه من الوجوه **(إلا بالحق)** وهو أن يجوز قتلها شرعاً بالقصاص وغيره **(وأكل الربا)** وتفصيله في كتب الفقه **(وأكل مال اليتيم)** إلا بالمعروف، وهو صغير لا أب له. والتعبير فيهما بالأكل والمراد به سائر وجوه الاستعمال لأنه أغلبها المقصود منها **(والتولي)** بكسر اللام، أي الإدبار للفرار **(يوم الزحف)** وهو الجماعة التي يزحفون إلى العدوّ، أي يمشون إليهم بمشقة من زحف الصبي إذا دب على إسته، وقيل: سُمي به لأنه لكثرته وثقل حركته كأنه يزحف، وسموا بالمصدر مبالغة وإذا كان بإزاء كل مسلم أكثر من كافرين جاز التولي **(وقذف المحصنات)** أي العفائف، يعني رميهن بالزنا، وهي بفتح الصاد وتكسر، أي أحصنها الله وحفظها. أو التي حفظت فرجها من الزنا **(المؤمنات)** احتراز عن قذف الكافرات؛ فإن قذفهن ليس من الكبائر فإن كانت ذمية فقذفها من الصغائر ولا يوجب الحد. وفي قذف الأمة المسلمة التعزير دون الحد، ويتعلق باجتهاد الإمام. وإذا كان المقذوف رجلاً يكون القذف أيضاً من الكبائر، ويجب الحد أيضاً فتخصيصهن لمراعاة الآية والعادة. **(الغافلات)** عن الاهتمام بالفاحشة كناية عن البريات، فإن البريء غافل عما بهت به، والغافلات مؤخر عن المؤمنات في الحديث عكس الآية على ما في النسخ المصححة، ووقع في شرح ابن حجر بالعكس وفق الآية. **(متفق عليه)**.

---

(١) الطبراني.

(٢) في المخطوطة «شيطان».

٥٣ ـ (٥) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزني الزاني حينَ يزني وهو مُؤمنٌ، ولا يسرِقُ السَّارقُ حين يَسرِقُ وهو مؤمنٌ، ولا يشربُ الخمرَ حين يشربُها وهو مؤمنٌ، ولا ينتهِبُ نُهبةً يرفعُ الناسُ إليه فيها أبصارَهم

---

٥٣ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة (**قال: قال رسول الله ﷺ: لا يزني**) بإثبات الياء خطأ (**الزاني حين يزني وهو مؤمن**) الواو للحال، وظاهره دليل [على] أن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن، وأصحابنا أوّلوه بأن المراد المؤمن الكامل في إيمانه، أو ذو أمن من عذاب الله تعالى، أو المراد المؤمن المطيع لله يقال آمن له إذا أنقاد وأطاع، أو معناه الزجر والوعيد، أو الإنذار لمرتكب هذه الكبائر بسوء العاقبة إذ مرتكبها لا يؤمن عليه أن يقع في الكفر الذي هو ضد الإيمان، أو أن الإيمان إذا زنى الرجل خرج منه وكان فوق رأسه مثل الظلة فإذا انقلع رجع إليه وسيأتي تقريره، وقيل: معنى مؤمن مستحي من الله تعالى لأن الحياء شعبة من الإيمان، فلو استحى منه واعتقد أنه ناظر لم يرتكب هذا الفعل الشنيع. وفيه بحث إذ سئل الجنيد أيزني العارف فقال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً، مع أن هذا يرجع إلى القول الأوّل لأنه إذا انتفى تلك الشعبة انتفى كمال الإيمان، لأن الكل ينتفي بانتفاء جزئه، ونظيره: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»[1]، وقيل: إن صيغ الأفعال وإن كانت واردة على طريق الإخبار فالمراد منها النهي، ويشهد له أنه رُوي: «لا يزنِ» بحذف الياء «ولا يشربِ» بكسر الباء توفيقاً بينه وبين ما سبق من الدلائل على أن الإيمان هو التصديق والأعمال خارجة عنه، وقوله تعالى: ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا**﴾ [الحجرات ـ ٩] ونظائره وفي حمله على النهي نظر لأنه يفهم منه جواز المنهي عنه وهو ليس بمؤمن كقول الطبيب: لا تشرب اللبن وأنت محموم، وأما حذف الياء فإن صح فهو على أسلوب: لا تكذب وأنت عالم، أي أن كذبك عالماً أفحش منه غير عالم (**ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**) أي ولا يشرب الشارب الخمر وكذا في غيره، وحذف وإن كان فاعلاً لدلالة المقام عليه، ويجوز أن يكون في كل منهما ضمير مستتر يعود إلى مؤمن. قال المالكي: ومن حذف الفاعل قوله عليه السلام: «ولا يشرب ولا ينتهب ولا يغل ولا يقتل» أي شارب وناهب وغال وقاتل، كقوله تعالى: ﴿**ولا يحسبن الذين قتلوا**﴾ [آل عمران ـ ١٦٩] في قراءة هشام، أي حاسب كذا نقله الطيبي وقوله غال سهو إذ فاعله موجود في الحديث وهو أحدكم وقوله قراءة هشام يعني بالغيبة في أحد وجهيه (**ولا ينتهب**) انتهب ونهب إذا أغار على أحد أخذ ماله قهراً (**نهبة**) بالضم، المال الذي ينهب فهو مفعول به، وبالفتح المصدر (**يرفع الناس**) صفة نهبة (**إليه**) أي إلى المنتهب (**فيها**) أي بسببها ولأجلها، أو في حال فعلها أو أخذها (**أبصارهم**) أي تعجباً

الحديث رقم ٥٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١١٩٥ حديث رقم ٢٤٧٥. ومسلم في صحيحه ١/ ٧٦ حديث (١٠٠. ٥٧). وأخرج أبو داود بعضه ٥/ ٦٤ حديث ٤٦٨٩ والترمذي ٥/ ١٦ حديث رقم ٢٦٢٥. وابن ماجة في سننه ٢/ ١٢٩٨ حديث رقم ٣٩٣٦ والنسائي في السنن ٨/ ٦٤ حديث رقم ٤٨٧٠.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٧٨ حديث ٤٣٥٤.

حين ينتهبها وهو مُؤمنٌ، ولا يَغُلُّ أحدُكُم حين يَغُلُّ وهو مؤمنٌ؛ فإيَّاكُم إيَّاكُم». متفق عليه.

٥٤ . (٦) وفي رواية ابن عباس: «ولا يقتُل حين يقتُل وهو مؤمنٌ». قال عكرمة: قلت لابن عباس: كيف ينزعُ الإيمان منه؟ قال هكذا، وشبَّك بين أصابعه ثم أخرجها، فإن تاب عاد إليه هكذا، وشبك بين أصابعه. وقال أبو عبد الله: لا يكون هذا مؤمناً تاماً، ولا يكون له نورُ الإيمان. هذا لفظ البخاري.

من جراءته، أو خوفاً من سطوته، وهو مفعول برفع **(حين ينتهبها وهو مؤمن)** والمعنى: لا يأخذ رجل مال قوم قهراً وهم ينظرون إليه ويتضرعون لديه ويبكون ولا يقدرون على دفعه وهو مؤمن، فإن هذا ظلم عظيم لا يليق بحال المؤمن **(ولا يَغُل أحدكم)** الغلول الجناية، أو الخيانة في المغنم، والغل الحقد، ومضارع الأول بالضم وهو المراد والثاني بالكسر **(حين يغل)** أي يسرق شيئاً من غنيمة، أو يخون في أمانة **(وهو مؤمن فإياكم إياكم)** نصبه على التحذير، والتكرير توكيد ومبالغة أي احذركم من فعل هذه الأشياء المذكورة **(متفق عليه)** إلا قوله: «ولا يغل» فإنه من أفراد مسلم كذا قاله ميرك.

٥٤ ـ **(وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما)** زيادة **(«ولا يقتل حين يقتل وهو مؤمن» قال عكرمة)** مولى ابن عباس **(قلت لابن عباس: كيف ينزع الإيمان منه؟ قال: هكذا)** أي تفسيره **(وشبك)** أو قال: «هكذا» أو فعل التشبيك، يعني جمع بين قوله هكذا وفعل التشبيك **(بين أصابعه ثم أخرجها)** تعبير للأمر المعنوي بالمدرك الحسي[1] تقريباً للفهم **(قال)** كذا في نسخة صحيحة، أي ابن عباس **(فإن تاب عاد إليه هكذا وشبك بين أصابعه)** ظاهر كلامه أن الإيمان يخرج عن مرتكب هذه الأشياء حين الارتكاب ولا يعود إليه إلا بالتوبة، وهو غير مستقيم على قواعد أهل السنة؛ فالتأويل أن كمال الإيمان ونوره وثمرته ونتيجته من الحياء والخوف والرحمة والشفقة والديانة تفارقه في تلك الحالة، «والتائب من الذنب كمن لا ذنب له»[2]، وينصره قول الحسن البصري: إن المعنى ينزع[3] عنه اسم المدح الذي يسمى به أولياؤه المؤمنون، ويستحق اسم الذم فيقال: سارق وزانٍ وفاسق **(وقال أبو عبد الله)** أي البخاري **(لا يكون هذا مؤمناً تاماً)** أي كاملاً **(ولا يكون له نور الإيمان)** أي بهاؤه وبهجته وضياؤه وثمرته **(هذا لفظ البخاري)** في قول المصنف، وفي رواية: وقوله وقال: وكذا في قوله وهذا لفظ البخاري سماجة[4] لا تخفى قاله ميرك.

الحديث رقم ٥٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١٢/ ١١٤ حديث رقم ٦٨٠٩.

(١) في المخطوطة الحسني والصواب الحسي كما يدل عليه لسياق الكلام.

(٢) أخرجه ابن ماجة ٢/ ١٤١٩ حديث رقم ٤٢٥٠.

(٣) في المخطوطة «نزع». (٤) في المخطوطة «سماحة».

٥٥ - (٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «آية المنافقِ ثلاثٌ». زاد مسلم: «وإن صامَ وصلى وزعم أنه مسلم»، ثم اتفقا: «إذا حدَّث كذَبَ، وإذا وَعَدَ أخلَفَ، وإذا اؤتُمن

٥٥ - (وعن أبي هريرة [رضي الله عنه]) وإنما لم يقل: «وعنه» لئلا يتوهم رجوع الضمير إلى ابن عباس أو البخاري (قال: قال رسول الله ﷺ: «آية المنافق) أي علامة نفاقه الدال على قبح نيته وفساد طويته، وأصله من يظهر خلاف ما يضمر، ثم غلب على من يظهر الإسلام ويبطن الكفر (ثلاث) أي خصال، والآية العلامة وإفرادها إما على إرادة الجنس أي كل واحد منها آية، وإن العلامة إنما تحصل باجتماع الثلاث ويؤيد الأوّل ما ورد في صحيح أبي عوانة بلفظ: «علامات المنافق ثلاث»، فإن قيل ظاهره الحصر في الثلاث فكيف جاء في الحديث الآخر بلفظ: «أربع من كن فيه الحديث» أجاب القرطبي باحتمال أنه عليه الصلاة والسلام استجد له العلم بخصالهم ما لم يكن عنده، وقال الشيخ ابن حجر العسقلاني: ليس بين الحديثين تعارض لأنه لا يلزم من عد الخصلة كونها علامة على أن في رواية مسلم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ما يدل على عدم إرادة المحصر؛ فإن لفظه: «من علامة المنافق ثلاث» فيكون قد أخبر ببعض العلامات في وقت وبعضها في وقت آخر (زاد مسلم: وإن صام وصلى)[1] التثنية للتكرير والاستيعاب، أي وإن عمل عمل المسلمين من الصوم والصلاة وغيرهما من العبادات، وفي رواية: «وإن صلى وصام وحج واعتمر وقال إني مسلم» وهذا الشرط اعتراض وارد للمبالغة لا يستدعي الجواب (وزعم) أي ادعى (أنه مسلم) أي كامل (ثم اتفقا) أي البخاري ومسلم فقالا: (إذا حدث كذب) وهو أقبح الثلاثة، والجملة خبر بعد خبر (وإذا وعد) أي أخبر بخبر في المستقبل إذ وعد يغلب في الخير وأوعد في الشر وأيضاً الخلف في الوعيد من مكارم الأخلاق، قال الشاعر:

وإني إذا أوعدته أو وعدته * لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

(أخلف) أي جعل الوعد خلافاً بأن لم يف بوعده، ووجه المغايرة بين هذه وما قبلها أن الإخلاف قد يكون بالفعل، وهو غير الكذب الذي هو لازم التحديث، وليس فيه ما يدل على وجوب الوفاء بالوعد لأن ذم الإخلاف إنما هو من حيث تضمنه الكذب المذموم إن عزم على الإخلاف حال الوعد لا إن طرأ له كما هو واضح، على أن علامة النفاق لا يلزم تحريمها إذ المكروه لكونه يجر إلى الحرام يصح أن يكون علامة على المحرم، ونظيره علامات الساعة فإن منها ما ليس بمحرم (وإذا اؤتمن) بالبناء للمجهول، أي جعل أميناً، قال ابن حجر: وفي رواية:

الحديث رقم ٥٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٨٩ حديث رقم ٣٣. وأخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٧٨ حديث رقم (١٠٧ - ٥٩). وأخرجه الترمذي ٥/ ٢٠ حديث رقم ٢٦٣١. والنسائي في سننه ٨/ ١١٦ حديث رقم ٥٠٢١ وأحمد في المسند ٢/ ٣٥٧.

(١) مسلم ١/ ٧٩ حديث رقم (١١٠ - ٥٩).

خان».

«أتمن» بتشديد التاء لقلب همزته الثانية واواً وإبدالها تاء وإدغام التاء في التاء. ا هـ. ولعل هذا الإعلال قبل دخول إذا عليه ومع هذا قال البيضاوي في قوله تعالى: ﴿فليؤد الذي ائتمن﴾ [البقرة - ٢٨٣] قرأ ورش والسوسي الذي «يتمن»[١] بقلب الهمزة ياء وقرىء «والذتمن» بادغام وهو خطأ لأن المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم. ا هـ. ولذا قال المحققون من القراء قراءة هذا بالتشديد مخالف للرواية والدراية؛ فالصحيح في الرواية هنا إما بالهمزة الساكنة أو إبدالها ألفاً (خان) ورواه ابن ماجة والترمذي، وإنما خص هذه الثلاثة بالذكر لاشتمالها على المخالفة التي هي عليها مبنى النفاق من مخالفة السر العلن، فالكذب الاخبار على خلاف الواقع، وحق الأمانة أن تؤدي إلى أهلها فالخيانة مخالفة لها، وإخلاف الوعد ظاهر ولهذا صرح «بأخلف»، فإن قيل: هذا الحديث مشكل من حيث إن هذه الخصال قد توجد في المسلم المجمع على عدم الحكم بكفره، قلنا: اللام في المنافق إما أن تكون للجنس فهو إما على التشبيه لنفاق العمل الذي لا ينافي الإسلام بنفاق الاعتقاد الذي ينافيه بجامع أن كلا فيه إظهار بخلاف ما أبطن، أو أن المراد الاعتياد ولذا قيد هذا بإذا المقتضية للتكرار، يعني أن النفاق العملي إذا وقع كثيراً بحيث إنه يصير عادة قد يجر إلى النفاق الحقيقي بخلاف من وقعت له هذه الخصال أو بعضها نادراً، فالحديث محمول على من غلبت عليه هذه الخصال. وقال البيضاوي: يحتمل أن يكون عاماً لينزجر الكل عن هذه الخصال على آكد وجه إيذاناً بأنها طلائع النفاق الذي هو أسمج القبائح، لأنه كفر ضموا إليه الاستهزاء والخداع برب الأرباب ومسبب الأسباب، فيعلم من ذلك أنها منافية لحال المسلمين، فينبغي للمسلم أن لا يرتع حولها، فإن «من رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه». ويحتمل أن المراد بالمنافق [المنافق] العرفي وهو من يخالف سره علنه مطلقاً، ويشهد له قوله: «ومن كانت فيه خصلة». وكذا قوله: «خالصاً» لأن الخصال التي تتم بها المخالفة بين السر والعلن لا تزيد على هذا [قال النووي: حصل من الحديثين خمس خصال، وقال في شرح مسلم: «إذا عاهد غدر» داخل في «إذا ائتمن خان» وباعتبار ذلك يرجع إلى ثلاث، بل إلى واحدة هي أقبحها وهي الكذب. قيل: لكن الحق أنها خمسة باعتبار تغايرها عرفاً، أو تغاير أوصافها ولوازمها، ولا تنافي بين قوله «ثمة ثلاث» و «هنا أربع» لأن مفهوم العدد ليس بحجة عند الأكثرين، وعلى مقابلة الذي صححه غير واحد فيحتمل أنه ﷺ أعلم بالوحي بثلاث ثم بأربع]، أو معناه الإنذار والتحذير من أن يعتاد هذه الخصال فتفضي به إلى النفاق الخالص، وأما للمعهد إما من منافقي زمن رسول الله ﷺ وإما من منافق خاص شخص بعينه، أو المراد بالنفاق هو النفاق العملي لا الإيماني، أو المراد النفاق العرفي وهو ما يكون سره خلاف علنه، واستحسن هذا لأن النفاق شرعي وهو الاعتقادي الذي هو إبطان الكفر وإظهار الإسلام، وعرفي وهو العملي الذي هو إبطان المعصية

---

(١) تقلب «الهمزة» «ياء» عند ورش والسوسي في حالة الوصل. أما الرسم لكلمة «أؤتمن» فلم تكتب بياء في المصحف. فيكون الأصح والله اعلم «تمن» وهي كذلك في المخطوطة.

متفق عليه.

وإظهار الطاعة، فإرادته هنا أولى. وإطلاق النفاق على العملي كإطلاق الكفر على بعض كبائر الذنوب في نحو قوله عليه الصلاة والسلام: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[1]، وأبي الحسن البصري مرة هذا الإطلاق ومرة قال به فسمى صاحب الكبيرة منافقاً، ويحكى أنه رجع عن الأول لما أرسل له عطاء إذ بلغه عنه ذلك أن أخوة يوسف عليهم الصلاة والسلام وجدت فيهم تلك الثلاثة افتراهم منافقين فسر بما نبهه عليه عطاء، وروي إن مقاتلاً قال لابن جبير: إن هذا الحديث أفسد عليّ معيشتي لأني أظن أن لا أسلم من هذه الثلاث أو بعضها، فضحك وقال: قد أهمني ذلك فسألت عنه ابن عمر وابن عباس، فضحكا. وقالا: أهمنا ذلك فسألنا عنه النبي ﷺ، فضحك فقال: «ما لكم وما لهن، أما قولي: إذا حدث كذب فذلك فيما أنزل الله عليّ ﴿والله يشهد أن المنافقين لكاذبون﴾ [المنافقون - ١] وأما إذا وعد أخلف فذلك في قوله تعالى: ﴿فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم﴾ الآية [التوبة - ٧٧] وأما إذا اؤتمن خان فذلك فيما أنزل الله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة﴾ الآية [الأحزاب - ٧٢] وأنتم براء من ذلك».

قال ابن حجر: وما ذكر في أولاد يعقوب مبني على القول بأنهم غير أنبياء، أما على القول بأنهم أنبياء فيتعين تأويل ما صدر منهم بحمله على محامل التجوزات والكنايات التي تقتضي عدم وقوع حقائق ذلك منهم، إذ الأنبياء معصومون قبل النبوّة بعدها عن كبائر الذنوب وصغائرها ولو سهواً على ما هو الحق عند المحققين، وإن كان الأكثرون على خلافه ويزيد القول بثبوتهم بل يصرح به قوله تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط﴾ [البقرة - ١٣٦] وهم أعني الأسباط أولاد يعقوب، فالآية مصرحة بوجوب الإيمان بما أنزل إليهم ويلزم من الإنزال إليهم نبوتهم كلهم. ا هـ. وفيه نظر لأن السبط على ما هو المعروف في العرف واللغة ولد الولد؛ ففي القاموس السبط بالكسر ولد الولد والقبيلة من اليهود وجمعه أسباط، وفي النهاية الأسباط في أولاد إسحاق بن إبراهيم بمنزلة القبائل من ولد إسماعيل وأحدهم سبط فهو واقع على أمة. ا هـ. ولا يلزم من الإنزال إليهم أن يكونوا كلهم أنبياء، إذ يمكن أن يكون أحدهم نبياً والباقون مأمورون بأتباعه كما في قوله تعالى: ﴿وما أنزل إلينا﴾ [ثم على ثبوت نبوتهم جميعاً وعدم تجويز الصغيرة ولو سهواً ينسد باب تأويل ما صدر منهم من العقوق وقطع صلة الرحم وبيع الحر وقولهم: ﴿أكله الذئب﴾ [يوسف - ١٧] ووعدهم بالحفظ بقولهم: ﴿وإنا له لحافظون﴾ وإتيانهم عشاء يبكون إظهاراً للحزن، وقولهم: ﴿ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون﴾ وقولهم: ﴿اقتلوا يوسف﴾ وطرحهم إياه في البئر مع أن تأويلها يخالف أقوال السلف من إلزام عطاء والتزام الحسن؛ فالصحيح قول الجمهور وهو تجويز وقوع الكبائر من الأنبياء سهواً والصغائر عمداً بعد الوحي، وأما قبل الوحي فلا دليل على امتناع صدور الكبيرة، وذهب المعتزلة إلى امتناعها ومنعت الشيعة صدور الصغيرة والكبيرة قبل الوحي وبعده].

---

(١) أخرجه مسلم ١/٨١ حديث ٦٤.

٥٦ ـ (٨) وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعٌ مَنْ كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خَصْلةٌ منهن كانت فيه خَصْلةٌ من النفاق حتى يدعَها: إذا اؤتمنَ خانَ، وإذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا عاهدَ غدَرَ، وإذا خاصمَ فَجَرَ». متفق عليه.

٥٧ ـ (٩) وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «مثلُ المنافق كالشاة العائرة بين الغنمين

---

٥٦ ـ (**وعن عبد الله بن عمرو**) بالواو (**رضي الله عنهما**[1] **قال: قال رسول الله ﷺ: أربع**) أي خصال أربع، أو أربع من الخصال فساغ الابتداء به (**من كن فيه**) قيل: بتأويل اعتقاد استحلالهن (**كان منافقاً خالصاً**) ويمكن أن لا يجتمعن في مؤمن خصوصاً على وجه الاعتياد ويؤيده قوله (**ومن كانت فيه خصلة منهن**) أي من تلك الخصال الأربع (**كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها**) أي يتركها (**إذا ائتمن**) بالبناء للمفعول، أي وضع عنده أمانة (**خان**) أي بالتصرف الغير الشرعي (**وإذا حدث كذب**) أي عمداً من غير عذر (**وإذا عاهد غدر**) أي نقض العهد ابتداء، وقال ابن حجر: إذا حالف ترك الوفاء (**وإذا خاصم فجر**) أي شتم ورمى بالأشياء القبيحة، قال التوربشتي: من اجتمعت فيه هذه الخصال واستمرت فبالحري أن يكون منافقاً، وأما المؤمن المفتون بها فإنه لا يصر عليها، وإن وجدت فيه خصلة منها عدم الأخرى، قيل: ويحتمل أن يكون المراد كالمنافق بحذف أداة التشبيه مثل زيد أسد، ويحتمل أن يكون هذا مختصاً بأهل زمانه فإنه عليه الصلاة والسلام عرف بنور الوحي بواطن أحوالهم وميز بين من آمن به صدقاً ومن أذعن له نفاقاً، وأراد إطلاع أصحابه عليهم ليحذروا منهم، ولم يصرح بأسمائهم لعلمه بأن بعضهم يتوب فلم يفضحهم بين الناس، ولأن ترك التصريح أوقع في النصيحة وأدل على الشفقة وأجلب إلى الدعوة إلى الإيمان وأبعد عن النفور والمخاصمة والالتحاق بالمخالفين. (**متفق عليه**) واللفظ للبخاري، ورواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي، ولفظهم: «إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر».

٥٧ ـ (**وعن ابن عمر**) رضي الله عنهما (**قال: قال رسول الله ﷺ: مثل المنافق**) بفتح المثلثة أي صفته العجيبة الشأن (**كالشاة العائرة**[2]) أي الطالبة للفحل المترددة من عار ذهب وبعد (**بين الغنمين**) أي القطعتين، فإن الغنم اسم جنس يقع على الواحد والجمع لا تدري أيهما

الحديث رقم ٥٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٨٩ حديث رقم ٣٤. ومسلم في صحيحه ١/ ٧٨ حديث (١٠٧ ـ ٥٩) وأبو داود ٥/ ٦٤ حديث رقم ٤٦٨٨. والنسائي في سننه ٨/ ١١٦ حديث رقم ٥٠٢٠ والترمذي ٥/ ٢١ حديث رقم ٢٦٣٢ وأحمد في المسند ٢/ ١٨٩.

(١) في المخطوطة «عنهما».

الحديث رقم ٥٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٤٦ حديث (١٧).

والنسائي في سننه ٨/ ١٢٤ حديث رقم ٥٠٣٧. وأحمد في المسند ٢/ ٤٧.

(٢) في المخطوطة لفظ «كالشاة العائرة» قبل لفظ «العجيبة الشأن».

تَعِيرُ إلى هذه مرّةً وإلى هذه مرّةً». رواه مسلم.

الفصل الثاني

٥٨ ـ (١٠) عن صفوانَ بن عسّال رضي الله عنه، قال: قال يهوديّ لصاحبه: إذْهَبْ بنا إلى هذا النبي ﷺ. فقال له صاحبُهُ: لا تقل: نبي، إنّه لو سمعكَ لكان لهُ أربعُ أعيُنٍ. فأتَيا رسولَ الله ﷺ، فسألاه عن [تسع] آياتٍ بيّناتٍ،

تتبع (تعير) بفتح أوله، أي تنفر وتشرد (إلى هذه) أي القطعة (مرة وإلى هذه) أي القطعة الأخرى (مرة) أخرى ليضربها فحلها فلاتثبت لها على حالة واحدة، وإنما هي أسير شهوتها، وهو تشبيه مركب محسوس بمعنى معقول تقريباً إلى فهم المخاطب؛ فشبه تردده بين الطائفتين أي المسلمين والكافرين تبعاً لهواه ومراداته وقصداً إلى شهواته بتردد الشاة العائرة التي لا تستقر على حال، وبذلك وصفهم الله تعالى في قوله: ﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾ (رواه مسلم) وكذا أحمد والنسائي وزاد: «لا تدري أيهما تتبع».

(الفصل الثاني)

٥٨ ـ (عن صفوان بن عسال) بالمهملتين وتشديد الثانية، هو المرادي وسكن الكوفة وحديثه فيهم (رضي الله عنه قال: قال يهودي:) أي أحد من اليهود (لصاحبه) من اليهود (اذهب بنا) الباء للمصاحبة، أو التعدية (إلى هذا النبي ﷺ) أي لنسأله عن مسائل (فقال له صاحبه لا تقل) أي له كما في رواية (نبي) أي هو نبي (إنه) بكسر الهمزة استئناف. فيه معنى التعليل أي لأن[1] النبي (لو سمعك) أي سمع قولك إني هذا النبي (لكان له أربع أعين) أي يسر بقولك هذا النبي سروراً يمدّ الباصرة فيزداد به نوراً على نور كذي عينين أصبح يبصر بأربع، فإن الفرح يمدّ الباصرة كما أن الهم والحزن يخل بها، ولذا يقال لمن أحاطت به الهموم أظلمت عليه الدنيا (فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه) أي امتحاناً (عن تسع آيات بينات) أي واضحات، والآية العلامة الظاهرة تستعمل في المحسوسات كعلامة الطريق والمعقولات كالحكم الواضح والمسألة الواضحة، فيقال لكل ما تتفاوت فيه[2] المعرفة بحسب التفكر فيه والتأمل، وحسب منازل الناس في العلم آية وللمعجزة آية، ولكل جملة دالة على حكم من أحكام الله آية، ولكل كلام منفصل [بفصل] لفظي آية. والمراد بالآيات ههنا إما المعجزات التسع وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنون ونقص من الثمرات، وعلى هذا فقوله: «لا

الحديث رقم ٥٨: أخرجه الترمذي ٥/ ٧٢ حديث رقم ٢٧٣٣ وقال حسن صحيح. والنسائي في سننه ٧/ ١١١ حديث رقم ٤٠٧٨. وأحمد في مسنده ٤/ ٢٣٩.

(١) في المخطوطة «أنه».

(٢) في المخطوطة «منه».

فقال رسول الله ﷺ: «لا تُشركوا باللهِ شيئاً، ولا تَسرِقُوا، ولا تَزنُوا، ولا تقتلوا النَّفسَ التي حرَّمَ اللَّهُ إلا بالحقِّ، ولا تمشُوا ببريءٍ إلى ذي سلطانٍ ليقتُلَهُ، ولا تَسْحَروا، ولا تأكلوا الرِّبا، ولا تقذِفوا مُحصَنةً، ولا تَوَلوا للفرارِ يومَ الزَّحفِ، وعليكم خاصَّةً اليهودَ أن لا تعتدوا في السبتِ». قال: فقبَّلا يديه ورجليه، وقالا: نشهد أنَّكَ نبيٌّ. قال: «فما يمنعكم

تشركوا» كلام مستأنف ذكره عقيب الجواب، ولم يذكر الراوي الجواب استغناء بما في القرآن أو بغيره، ويؤيده ما في خبر الترمذي: أنهما سألاه عن هذه الآية يعني: ﴿**ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات**﴾. وأما الأحكام العامة الشاملة للملل الثابتة في كل الشرائع وبيانها ما بعدها سميت بذلك لأنها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الآخرة من السعادة والشقاوة، وقوله: «وعليكم خاصة» حكم مستأنف زائد على الجواب ولذا غير السياق (**فقال رسول الله ﷺ: لا تشركوا بالله**) أي بذاته وصفاته وعبادته (**شيئاً**) من الأشياء، أو الإشراك (**ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق**) سبق (**ولا تمشوا ببريء**) بهمزة وإدغام، أي بمتبرىء من الإثم الباء للتعدية، أي لا تسعوا ولا تتكلموا بسوء فيمن[1] ليس له ذنب (**إلى ذي سلطان**) أي صاحب قوة وقدرة وغلبة وشوكة (**ليقتله**) يعني كيلا يقتله مثلاً (**ولا تسحروا**) بفتح الحاء، فإن بعض أنواعه كفر وبعضها فسق (**ولا تأكلوا الربا**) فإنه سحق ومحق (**ولا تقذفوا**) [بكسر الذال] (**محصنة**) بفتح الصاد وتكسر، أي لا ترموا بالزنا عفيفة (**ولا تولوا للفرار**) أي لأجله من التولي، وهو الإعراض والإدبار أصله تتولوا فحذف إحدى التاءين، وقيل: بضم التاء واللام من ولى تولية إذا أدبر أي ولا تولوا أدباركم، وفي بعض النسخ: «الفرار» بلا لام العلة منصوباً على أنه مفعول له (**يوم الزحف**) أي الحرب مع الكفار (**وعليكم**) ظرف وقع خبراً مقدماً (**خاصة**) منوناً حال، [والمستتر في الظرف العائد إلى المبتدأ أي مخصوصين بهذه العاشرة، أو حال كون عدم الاعتداء مختصاً بكم من دون غيركم من الملل، أو تمييز. والخاصة ضد العامة] (**اليهود**) [نصب على التخصيص والتفسير، أي أعني اليهود، ويجوز أن يكون خاصة بمعنى خصوصاً ويكون اليهود معمولاً لفعله أي أخص اليهود خصوصاً، وفي بعض طرق هذا الحديث يهود مضموماً بلا لام على أنه منادى]، وقوله (**أن لا تعتدوا**) بتأويل المصدر في محل الرفع على أنه المبتدأ من الاعتداء، وفي نسخة صحيحة: «أن لا تعدوا بسكون العين وتخفيف الدال، وفي نسخة بفتح العين وتشديد الدال (**في السبت**) أي لا تتجاوزوا أمر الله في تعظيم السبت بأن لا تصيدوا السمك فيه، وقيل: عليكم اسم فعل بمعنى خذوا وإن لا تعتدوا مفعوله أي الزموا ترك الاعتداء، ويمكن أن يكون السؤال عن الآيات التسع والأحكام العامة جميعاً، وأخبروا عن إحداها وأضمروا عن أخراها على طريق التورية، فأجابهم عن الأمرين وحذف الراوي الأول، أو أجابهم عن المشكل أو المضمر وترك المشهور إما لظهوره أو على أسلوب الحكيم ولذا أذعنا له في الظاهر (**قال**) صفوان (**فقبلا**) أي اليهوديان (**يديه ورجليه**) ﷺ (**وقالا: نشهد إنك نبي**) إذ هذا العلم من الأمي معجزة لكن [نشهد إنك] نبي إلى العرب (**قال: فما يمنعكم**)

---

(١) في المخطوطة «ممن».

أن تتَّبعوني؟». قالا: إنَّ داود عليه السلام دعا ربَّه أن لا يزالَ من ذريته نبي، وإنا نخاف إن تبعناك أن تقتُلَنا اليهودُ. رواه الترمذي، وأبو داود، والنسائي.

٥٩ - (١١) وعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ من أصل الإيمان: الكَفُّ عمَّن قال: لا إله إلا الله، لا تُكفِّرْهُ بذنب، ولا تُخرجه من الإسلام بعمل. والجهادُ ماضٍ مُذْ بعثَنِيَ اللَّهُ إلى أن يقاتلَ آخِرَ هذه الأمة الدجَّالَ،

فيه إن أقل الجمع اثنان، أو المراد أنتما وقومكما (أن تتبعوني؟) بتشديد التاء، وقيل: بالتخفيف أي من أن تقبلوا نبوّتي بالنسبة إليكم وتتبعوني في الأحكام الشرعية التي هي واجبة عليكم (قالا: إن داود عليه الصلاة والسلام دعا ربه أن لا يزال) [أي بأن لا ينقطع] (من ذريته نبي) إلى يوم القيامة فيكون مستجاباً فيكون من ذريته نبي ويتبعه اليهود وربما يكون لهم الغلبة والشوكة (وإنا نخاف إن تبعناك أن تقتلنا اليهود») أي فإن تركنا دينهم واتبعناك لقتلنا اليهود إذا ظهر لهم نبي وقوّة، وهذا[1] افتراء محض على داود عليه الصلاة والسلام لأنه قرأ في التوراة والزبور بعث محمد ﷺ النبي وإنه خاتم النبيين وإنه ينسخ به الأديان، فكيف يدعو بخلاف ما أخبر الله تعالى به من شأن محمد ﷺ؟ ولئن سلم فعيسى من ذريته وهو نبي [باق] إلى يوم الدين (رواه الترمذي) وقال: حسن صحيح (وأبو داود والنسائي) وكذا الحاكم[2]، وقال: صحيح لا يعرف له علة بوجه من الوجوه ولم يخرجاه.

٥٩ - (وعن أنس [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث) أي خصال (من أصل الإيمان) أي أساسه وقاعدته إحداها، أو منها (الكف عمن قال لا إله إلا الله) أي الامتناع عن التعرض بأهل الإسلام (لا تكفره) بالتاء نهي، وبالنون نفي، وكلاهما مروي وهو بيان للكف، ولذا قطعه عنه، والإكفار والتكفير نسبة أحد إلى الكفر (بذنب) أي سوى الكفر ولو كبيرة خلافاً للخوارج (ولا تخرجه) بالوجهين (من الإسلام بعمل) أي ولو كبيرة سوى الكفر خلافاً للمعتزلة في إخراج صاحب الكبيرة إلى منزلة بين المنزلتين (والجهاد ماض) أي الخصلة الثانية اعتقاد كون الجهاد ماضياً، أو ثانيتها الجهاد، أو الجهاد من أصل الإيمان، وماض خبر مبتدأ محذوف أي هو ماض ونافذ وجار ومستمر (مذ) وفي نسخة بالنون، أي من ابتداء زمان (بعثني الله) إلى المدينة، أو بالجهاد فمذ حرف جر، أو أول مدة نفاذ الجهاد زمان بعثني الله فمذ مبتدأ والزمان المقدر خبره والجملة خبر آخر لمبتدأ ماض (إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة) أي أمة الإجابة يعني عيسى أو المهدي (الدجال) وبعد قتل الدجال لا يكون الجهاد باقياً؛ أما على يأجوج ومأجوج فلعدم القدرة والطاقة عليهم وعند ذلك لا وجوب عليهم بنص آية الأنفال، وأما بعد إهلاك الله إياهم لا يبقى على وجه الأرض كافر ما دام عيسى عليه الصلاة والسلام حياً في الأرض، وأما على من كفر من المسلمين بعد عيسى عليه الصلاة والسلام فلموت المسلمين كلهم عن قريب

---

(١) في المخطوطة «هو».
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٩.

الحديث رقم ٥٩: أخرجه أبو داود في السنن ٣/ ٤٠ حديث رقم ٢٥٣٢.

لا يُبطِلهُ جَوْرُ جائرٍ، ولا عَدْلُ عادلٍ. والإيمانُ بالأقدارِ». رواه أبو داود.

٦٠ ـ (١٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا زنى العبدُ خرجَ منه الإيمانُ،

بريح طيبة وبقاء الكفار إلى قيام الساعة، وتجيء هذه الحكاية في ذكر الدجال. (لا يبطله) بضم أوّله (جور جائر ولا عدل عادل) أي لا يسقط الجهاد كون الإمام ظالماً أو عادلاً، وهو صفة ماض، أو خبر بعد خبر وقد ورد في الخبر: «الجهاد واجب عليكم مع كل أمير براً كان أو فاجراً»[1]، وفيه رد على المنافقين وبعض الكفرة فإنهم زعموا أن دولة الإسلام تنقرض بعد أيام قلائل كأنه قيل: الجهاد ماض أي أعلام دولته منشورة وأولياء أمته منصورة وأعداء ملته مقهورة إلى يوم الدين، ولعل محيي السنة أورد هذا الحديث في باب علامات النفاق لهذا المعنى وكذا الحديث السابق، فإن اليهوديين نافقا بقولهما: نشهد أنك نبي، ثم قولهما: إن داود عليه الصلاة والسلام دعا ربه لأنه يدل الحديث على أنهما لم يقولا ذلك عن اعتقاد كذا قاله الطيبي. وفيه تكلف وتعسف والظاهر أن الباب موضوع لشيئين للكبائر وعلامات النفاق، فهذا الحديث مناسبته للكبائر في غاية الوضوح كما ظهر من مخالفة الخوارج والمعتزلة، وكذا الجهاد فرض كفاية وقد يصير فرض عين وتركه من الكبائر. وأما الحديث السابق ففيه الآيات التسع التي كلها كبائر، واليهوديان قد صرحا بثبوتهما على كفرهما فلا يكونان منافقين وليس توجد[2] دلالة في دعاء داود على أنهما لم يقولا ذلك عن اعتقاد والله أعلم.

وقيل: معنى «لا يبطله» الخ لا يجوز ترك الجهاد بأن يكون الإمام ظالماً، بل يجب عليهم الموافقة فيه ولا بأن يكن الإمام عادلاً فلا يخافون من الكفار ولا يحتاجون إلى الغنائم، لأن القصد من الجهاد هو إعلاء كلمة الله فاحتيج لهذا نفياً لهذا التوهم، وإن كان من شأن عدل العادل أنه لا يتوهم فيه إبطال الجهاد بل تقويته. ولما نظر شارح لهذا قال: تتميم وإلا فعدل العادل لا يتوهم فيه إبطال، وقيل: فعلى هذا يكون النفي بمعنى النهي (والإيمان بالأقدار) أي الخصلة الثالثة، أو الإيمان بالأقدار من أصل الإيمان، يعني بأن جميع ما يجري في العالم هو من قضاء الله وقدره، وفيه رد على المعتزلة لإثباتهم للعباد القدرة المستقلة بإيجاد المعصية (رواه أبو داود).

٦٠ ـ (وعن أبي هريرة) [رضي الله عنه] (قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا زنى) أي أخذ وشرع في الزنا (العبد) أي المؤمن (خرج منه الإيمان) أي نوره وكماله، أو أعظم شعبه، وهو الحياء من الله تعالى، أو يصير كأنه خرج إذ لا يمنع إيمانه عن ذلك كما لا يمنع من خرج منه

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن ٣/ ٤٠ حديث رقم ٢٥٣٣.

(٢) في المخطوطة «يوجود».

الحديث رقم ٦٠: أخرجه أبو داود في سننه ٥/ ٦٦ حديث ٤٦٩٠. والترمذي تعليقاً ٥/ ١٧ ضمن حديث رقم ٢٦٢٥.

فكان فوقَ رأسِه كالظُّلّةِ، فإذا خرج من ذلكَ العملِ رجعَ إليه الإيمانُ». رواه الترمذي، وأبو داود.

الفصل الثالث

٦١ ـ (١٣) عن معاذ، قال رضي الله عنه: أوصاني رسول الله ﷺ بعشر كلمات، قال: «لا تشركْ بالله شيئاً وإن قُتلت وحُرِّقت،

الإيمان، أو أنه من باب التغليظ في الوعيد. قال التوربشتي: هذا من باب الزجر والتهديد، وهو كقول القائل لمن اشتهر بالرجولية والمروءة ثم فعل ما ينافي شيمته عدم عنه الرجولية والمروءة تعييراً وتنكيراً لينتهي عما صنع واعتباراً وزجراً للسامعين ولطفاً بهم وتنبيهاً على أن الزنا من شيم أهل الكفر وأعمالهم؛ فالجمع بينه وبين الإيمان كالجمع بين المتنافيين، وفي قوله ﷺ **(فكان فوق رأسه كالظلة)** وهو أول سحابة تظل إشارة إلى أنه وإن خالف حكم الإيمان فإنه تحت ظله لا يزول عنه حكم الإيمان ولا يرتفع عنه اسمه **(فإذا خرج من ذلك العمل)** قيل: أي بالتوبة **(رجع إليه الإيمان)** قيل: هذا تشبيه المعنى بالمحسوس بجامع معنوي، وهو الإشراف على الزوال. وفيه إيماء بأن المؤمن في حالة اشتغاله بالمعصية يصير كالفاقد للإيمان، لكن لا يزول حكمه واسمه بل هو بعد في ظل رعايته وكنف بركته إذا نصب فوقه كالسحابة تظله، فإذا فرغ من معصيته عاد الإيمان إليه. قلت: وفيه إشارة إلى أنه في خطر من الكفر نعوذ بالله لأنه صدر عنه ما قد يكون سبباً لعدم رجوع الإيمان إليه، ولذا قالوا: المعاصي بريد الكفر. **(رواه الترمذي)** أي تعليقاً **(وأبو داود)** وسكت عليه هو والمنذري ورواه الحاكم[١] وقال: صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي.

(الفصل الثالث)

٦١ ـ **(عن معاذ)** رضي الله عنه **(قال: أوصاني رسول الله ﷺ)** أي أمرني **(بعشر كلمات)** أي بعشرة أحكام من الأوامر والنواهي لاعمل بها[٢] وأعلمها الناس **(قال: لا تشرك بالله شيئاً)** أي بقلبك، أو بلسانك أيضاً فإنه أفضل عند الإكراه **(وإن قتلت وحرقت)** أي وإن عرضت للقتل والتحريق، شرط جيء به للمبالغة فلا يطلب جواباً. قال ابن حجر: شرط للمبالغة باعتبار الأكمل من صبر المكره على الكفر على ما هدد به، وهذا فيمن لم يحصل بموته وهن الإسلام وإلا كعالم وشجاع يحصل بموته ذلك فالأولى له أن يأتي بما أكره عليه ولا يصبر على ما هدد به رعاية لأخف المفسدتين، وأما باعتبار أصل الجواز فيجوز له أن يتلفظ وأن يفعل ما يقتضي

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٢٢.

الحديث رقم ٦١: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٣٨.

(٢) في المخطوطة «لا عملها».

ولا تعقَّنَّ والدَيْك وإن أمراكَ أن تخرُجَ من أهلكَ ومالك، ولا تتركنَّ صلاةً مكتوبةً متعمِّداً؛ فإنَّ من ترك صلاةً مكتوبةً متعمِّداً فقد برئت منه ذمَّةُ الله، ولا تشربنَّ خمراً فانه رأسُ كلِّ فاحشة، وإياكَ والمعصية؛ فإنَّ بالمعصية حلَّ سخطُ الله، وإياكَ والفرارَ من الزحف وإن

الكفر كتب الإسلام وسجود الصنم إذا هدد ولو بنحو ضرب شديد، أو أخذ مال له وقع كما أفاد ذلك قوله تعالى: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ الآية.

(ولا تعقن[1] والديك) أي لا تخالفهما أو أحدهما فيما لم يكن معصية إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، (وإن أمراك أن تخرج من أهلك) أي امرأتك أو جاريتك أو عبدك بالطلاق أو البيع أو العتق أو غيرها (ومالك) بالتصرف في مرضاتهما. قال ابن حجر: شرط للمبالغة باعتبار الأكمل أيضاً، أي لا تخالف واحداً منهما وإن غلا في شيء أمرك به وإن كان فراق زوجة أو هبة مال، أما باعتبار أصل الجواز فلا يلزمه طلاق زوجة امرأة بفراقها وإن تأذيا ببقائها إيذاء شديداً لأنه يحصل له ضرر بها فلا يكلفه لأجلهما إذ من شأن شفقتهما أنهما لو تحققا ذلك لم يأمراه به، فالزامهما له به مع ذلك حمق منهما ولا يلتفت إليه وكذلك إخراج ماله. (ولا تتركن صلاة مكتوبة) أي مفروضة (متعمداً) احتراز من السهو والنسيان والضرورة (فإن من ترك صلاة مكتوبة) أي مفروضة ولو نذراً عن وقتها (متعمداً فقد برئت منه ذمة الله) أي لا يبقى في أمن من الله في الدنيا باستحقاق التعزير والملامة وفي العقبى باستحقاق العقوبة. قال ابن حجر: كناية عن سقوط احترامه لأنه بذلك الترك عرض نفسه للعقوبة بالحبس عند جماعة من العلماء، ولقتله حداً لا كفراً بشرط إخراجها عن وقتها الضروري وأمره بها في الوقت عند أئمتنا ولقتله كفراً فلا يصلى عليه ولا يدفن بمقابر المسلمين عند أحمد وآخرين. (ولا تشربن خمراً فإنه) أي شربها (رأس كل فاحشة) أي قبيحة، لأن المانع من الفواحش هو العقل ولذا سمي عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن القبائح؛ فبزواله عن الإنسان يقع في كل فاحشة عرضت له ولذا سميت أم الخبائث كما سميت الصلاة أم العبادات لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر. (وإياك والمعصية) تحذير وتعميم بعد تخصيص وإيذان بأن المعاصي السابقة أعظمها ضرراً (فإن بالمعصية حل سخط الله) أي نزل وثبت على فاعلها، واسم إن ضمير الشأن المحذوف أي فإنه وقيل: ضمير الشأن لا يحذف لأن المقصود به تعظيم الكلام فينا في الاختصار، ورد بحذفه في قوله تعالى: ﴿ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم﴾ [التوبة ـ ١١٧] وأما قول ابن الحاجب: وحذفه منصوباً ضعيف فقد ضعفوه أيضاً كيف يقول ذلك وقد جاء في كلامه عليه الصلاة والسلام في النهي عن الصلاة في أوقات الكراهة في خبر مسلم: «اقصر عن الصلاة فإن حينئذ تسجر جهنم»[2] أي فإن الأمر والشأن، قال ابن حجر: ولك أن تجيب عنه بأنه ضعيف قياساً لا استعمالاً ومثله واقع في القرآن في ﴿قتل أولادهم شركاؤهم﴾ [الأنعام ـ ١٣٧] بنصب أولاد الفاصل بين المضاف والمضاف إليه. اهـ. وأراد به قراءة ابن عامر، وأظهر منه وجود أبي يأبى في القرآن مع كونه شاذاً في القياس بلا خلاف (وإياك والفرار من الزحف) تخصيص بعد تعميم (وإن

---

(١) في المخطوطة «تعق».
(٢) مسلم ١/ ٥٦٩ حديث رقم ٨٣٢.

هلك الناس، وإذا أصاب الناسَ موتٌ وأنت فيهم، فاثبت، وأنفِقْ على عيالك من طَوْلِكَ ولا ترفع عنهم عصاك أدباً وأخِفْهم في الله». رواه أحمد.

٦٢ - (١٤) وعن حُذيفة رضي الله عنه، قال: إنما النفاقُ كان على عَهد رسول الله ﷺ،

هلك الناس) أي بالفرار أو القتل وأن وصلية. قال ابن حجر: شرط للمبالغة باعتبار الأكمل أيضاً وإلا فقد علم من قوله تعالى: ﴿الآن خفف الله عنكم﴾ الآية [الأنفال: ٦٦] إن الكفار حيث زادوا على المثلين جاز الانصراف (وإذا أصاب الناس موت) أي طاعون ووباء (وأنت فيهم) الجملة حالية (فاثبت) لقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا وقع الطاعون ببلد وأنتم فيه فلا تخرجوا منه وإذا وقع ببلد ولستم فيه فلا تدخلوا إليه»[1]. وحكمة الأول أن أهل البلد لو مكنوا من ذلك لذهبوا وتركوا المرضى فيضيعوا، والثاني أن من قدم ربما أصابه فيسند ذلك إلى قدومه فيزل قدمه. ومحل الأمرين حيث لا ضرورة إلى الخروج أو الدخول وإلا فلا إثم كما هو الظاهر (وانفق على عيالك) بكسر العين، أي من تجب عليك نفقته شرعاً ومحل بسطه كتب الفقه. (من طولك) بفتح أوله، أي فضل مالك، وفي معناه الكسب بقدر الوسع والطاقة على طريق الاقتصاد والوسط في المعتاد. (ولا ترفع[2] عنهم عصاك أدباً) مفعول له، أي للتأديب لا للتعذيب. والمعنى إذا استحقوا الأدب بالضرب فلا تسامحهم كقوله تعالى: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن﴾ [النساء - ٣٤] على الترتيب الذكري (وأخفهم في الله) أي أنذرهم في مخالفة أوامر الله ونواهيه بالنصيحة والتعليم وبالحمل على مكارم الأخلاق من إطعام الفقير وإحسان اليتيم وبر الجيران وغير ذلك (رواه أحمد) وكذا الطبراني في الكبير وإسناد أحمد صحيح لو سلم من الانقطاع، فإن عبد الرحمن بن جبير بن نفير لم يسمع من معاذ.

٦٢ - (وعن حذيفة) [رضي الله عنه] موقوفاً هو حذيفة بن اليمان، واسم اليمان حسيل بالتصغير واليمان لقبه وكنية حذيفة أبو عبد الله العبسي بفتح العين وسكون الباء، هو صاحب سر رسول الله ﷺ روى عنه عمر وعلي وأبو الدرداء وغيرهم من الصحابة والتابعين، ومات بالمدائن وبها قبره سنة خمس وثلاثين بعد قتل عثمان بأربعين ليلة. (قال: إنما النفاق كان على عهد رسول الله ﷺ) يعني أن حكم المنافقين من إبقاء أرواحهم وإجراء أحكام المسلمين عليهم إنما كان على عهد رسول الله ﷺ بناء على مصالح منها أن المؤمنين إذا ستروا على المنافقين أحوالهم خفي على المخالفين حالهم وحسبوا أنهم من جملة المسلمين فيجتنبوا عن مخاشنتهم لكثرتهم بل أدى ذلك إلى أن يخافوا[3] وتقل شوكتهم ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله

---

(١) البخاري ١٠/ ١٧٨ حديث رقم ٥٧٢٨. (٢) في المخطوطة «ترجع».

الحديث رقم ٦٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٦٩ حديث ٧١١٤.

(٣) في المخطوطة «يخافون» والصواب ما ذكر لعمل أن.

فأما اليوم، فإنما هو الكفر، أو الإيمان. رواه البخاري.

(٢) باب الوسوسة

الفصل الأول

٦٣ ـ (١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله [تعالى] تجاوز عن أمّتي ما وَسْوَسَتْ به صُدورُها،

ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم»[1]، ومنها أن الكفار إذ سمعوا [مخاشنة] المسلمين مع من يصحبهم كان ذلك سبباً لنفرتهم منه، ومنها أن من شاهد حسن خلقه عليه الصلاة والسلام مع مخالفة رغب في صحبته ووافق معه سراً وعلانية ودخل في دين الله بوفور ونشاط **(فأما اليوم)** أي بعد وفاة النبي ﷺ **(فإنما هو)** أي الأمر والحكم بدل عليه سياق الكلام، أي الشأن الذي استقر عليه الشرع [**(الكفر أو الإيمان)**] والضمير مبهم يفسره ما بعده، أي ليس الكائن اليوم إلا الكفر أو الإيمان ولا ثالث لهما يعني الكفر الصريح والقتل أو الإيمان سراً وعلانية، وأو للتنويع كما في قوله تعالى: ﴿**تقاتلونهم أو يسلمون**﴾ [الفتح ـ ١٦] **(رواه البخاري)** في كتاب الفتن.

(باب في الوسوسة)

الخواطر إن كانت تدعو إلى الرذائل فهي وسوسة، وإن كانت إلى الفضائل فهي إلهام والأصح أنه ليس بحجة من غير المعصوم لأنه لاثقة بخواطره.

(الفصل الأول)

٦٣ ـ **(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز)** أي عفا **(عن أمتي)** أي أمة الإجابة، وفي رواية: «تجاوز لي عن أمتي» أي لم يؤاخذهم بذلك لأجلي فله المنة العظمى التي لا منتهى لها علينا **(ما وسوست به صدورها)** بالرفع فاعلاً، أي ما خطر في قلوبهم من الخواطر الرديئة، فهو من مجاز المجاورة ويجوز نصبه مفعولاً به، قيل: فيه نظر

---

(١) الطبراني.

الحديث رقم ٦٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ١٦٠ حديث رقم ٢٥٢٨. وأخرجه مسلم ١/ ١١٦ حديث (٢٠٢ ـ ١٢٧) وأخرجه أبو داود في السنن ٢/ ٦٥٧ حديث رقم ٢٢٠٩. وأخرجه النسائي في سننه ٦/ ١٥٦ حديث رقم ٣٤٣٤. وأخرجه الترمذي في السنن ٣/ ٤٨٩ حديث رقم ١١٨٣. وابن ماجة في السنن ١/ ٦٥٨ حديث رقم ٢٠٤٠ وأحمد في مسنده ٢/ ٢٩٣.

ما لم تَعمل به أو تَتَكَلَّمْ».

لأن الوسوسة لازم، نعم وجه النصب الظرفية إن ساعدته الرواية ورُوي: «ما حدثت به أنفسها» بالرفع والنصب بدله (ما لم تعمل به) أي ما دام لم يتعلق [به] العمل إن كان فعلياً (أو تتكلم) به أي ما لم تتكلم به إن كان قولياً، كذا في الأزهار قال صاحب الروضة في شرح صحيح البخاري: المذهب الصحيح المختار الذي عليه الجمهور أن أفعال القلوب إذا استقرت يؤاخذ بها، فقوله ﷺ: «إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به صدورها» محمول على ما إذا لم تستقر ذلك معفو بلا شك لأنه لا يمكن الانفكاك عنه بخلاف الاستقرار. ثم نقل صاحب الأزهار عن الأحياء ما حاصله أن لأعمال القلب أربع مراتب: الأول الخاطر كما لو خطر له صورة امرأة مثلاً خلف ظهره في الطريق لو التفت إليها يراها، والثاني: هيجان الرغبة إلى الالتفات إليها ونسميه ميل الطبع والأول حديث النفس، والثالث: حكم القلب بأن يفعل أي ينظر إليها فإن الطبع إذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف وهي الحياء والخوف من الله تعالى أو من عباده ونسميه اعتقاداً، والرابع: تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه ونسميه عزماً بالقلب. أما الخاطر فلا يؤاخذ به وكذا الميل وهيجان الرغبة لأنهما لا يدخلان تحت الاختيار وهما المرادان بقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله تجاوز عن أمتي» الحديث، وأما الثالث وهو الاعتقاد فهو مردد بين أن يكون اختياراً لا ينكره واضطراراً ينكره؛ فالاختياري يؤاخذ والاضطراري لا يؤاخذ، وأما الرابع وهو العزم والهم بالفعل فإنه يؤاخذ به وعليه تنزل الآيات التي دلت على مؤاخذة أعمال القلوب، إلا أنه إن ترك خوفاً من الله تعالى كتبت له حسنة لأن همه سيئة وامتناعه عنها مجاهدة مع نفسه فتكون حسنة تزيد عليها، وإن تركها لعائق أوفاتها ذلك لعدم الحصول كتبت عليه سيئة للعزم والهمة الجازمة[1]، والدليل القاطع على ذلك قول رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح المتفق على صحته: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قيل: يا رسول الله فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه»[2] وهذا صريح في أنه صار إلى النار ووقع فيها بمجرد العزم والنية وإن مات ولم يعمل وقتل مظلوماً، وكيف لا يؤاخذ بأعمال القلب الجازمة؟[3] والكبر والعجب والنفاق والحسد وغيرها من الأوصاف الذميمة يؤاخذ بها، وقال رسول الله ﷺ: «الإثم ما حاك في الصدر»[4] وقال: «البر ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في نفسك وتردد في صدرك وإن أفتاك الناس»[5] اهـ. أقول الاستدلال بالحديث الأخير فيه نظر لأنه جعل الإثم عين ما تردد في الصدر، وتقدم إن ما لم يستقر لا يكون إثماً، فمعنى الحديث إن ما تردد في الصدر أنه إثم أو غير إثم ففعله، أثم احتياطاً، كما إذا تعارض دليل التحريم والتحليل في شيء

---

(١) في المخطوطة «الجارية».

(٢) البخاري في صحيحه ١٠/ ١٨٤ حديث رقم ٣١. ومسلم ٤/ ٢٢١٤.

(٣) في المخطوطة «فإن».

(٤) مسلم ٤/ ١٩٨٠ حديث رقم ٢٥٥٣.

(٥) أحمد في المسند ٤/ ٢٢٨.

فيحرم، قيل: الحديث يدل على أن التجاوز المذكور خاصية هذه الأمة، وعلى التوجيه الذي نقله صاحب الأزهار من الروضة والأحياء يلزم أنه يكون عاماً لجميع الأمم لأن ما لا يدخل تحت الاختيار لا يؤاخذ به شخص من الأشخاص لقوله تعالى: **﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾** [البقرة - ٢٨٦] فالصواب ما قاله الطيبي: من أن الوسوسة ضرورية واختيارية؛ فالضرورية ما يجري في الصدور من الخواطر ابتداء ولا يقدر الإنسان على دفعه فهو معفو عن جميع الأمم، والاختيارية هي التي تجري في القلب وتستمر وهو يقصد ويعمل به ويتلذذ منه كما يجري في قلبه حب امرأة ويدوم عليه ويقصد الوصول إليها وما أشبه ذلك من المعاصي، فهذا النوع عفا الله عن هذه الأمة خاصة تعظيماً وتكريماً لنبينا عليه الصلاة والسلام وأمته إليه ينظر قوله تعالى: **﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾** [البقرة - ٢٨٦] وأما العقائد الفاسدة ومساوىء الأخلاق وما ينضم إلى ذلك فإنها بمعزل عن[1] الدخول في جملة ما وسوست به الصدور اهـ. وهو كلام حسن ولهذا قيده النبي ﷺ بقوله: «ما لم تعمل أو تكلم» إشارة إلى أن وسوسة الأعمال والأقوال معفوة قبل ارتكابها، وأما الوسوسة التي لا تعلق لها بالعمل والكلام من الأخلاق والعقائد فهي ذنوب بالاستقرار. وذكر الإمام النووي أن مذهب القاضي أبي بكر بن الطيب إن من عزم على المعصية ووطن نفسه عليها أثم في اعتقاده وعزمه، ويحمل ما وقع في أمثال قوله عليه الصلاة والسلام: «إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوا عليه فإن عملها فاكتبوها سيئة»[2] الحديث فيمن لم يوطن نفسه على المعصية وإنما مر ذلك بفكره من غير استقرار ويسمى هذا هماً، ويفرق بين الهم والعزم وهذا مذهب القاضي أبي بكر وخالفه كثير من الفقهاء والمحدثين وأخذوا بظاهر الحديث. وقال القاضي عياض: عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين على ما ذهب إليه القاضي أبو بكر للأحاديث الدالة على المؤاخذة بأعمال القلوب لكنهم قالوا إن هذا العزم يكتب سيئة وليست السيئة التي هم بها لكونها لم يعملها وقطع عنها قاطع غير خوف الله تعالى والإنابة، لكن الإصرار والعزم معصية فصار تركه لخوف الله تعالى ومجاهدته نفسه الأمارة حسنة؛ فأما الهم الذي لا يكتب فهي الخواطر التي لا يوطن النفس عليها ولا يصحبها عقد ولا نية وعزم، وذكر بعض المتكلمين خلافاً فيما إذا تركها لغير خوف الله تعالى بل لخوف الناس هل تكتب حسنة؟ قال: لا، لأنه إنما حمله على تركها الحياء. وهذا الخلاف ضعيف لا وجه له هذا آخر كلام القاضي وهو ظاهر حسن لا مزيد عليه. وقد تظاهرت نصوص الشرع بالمؤاخذة بعزم القلب المستقر من ذلك قوله تعالى: **﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم﴾** [النور - ١٩] وقوله: **﴿اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾** [الحجرات - ١٢] والآيات في هذا كثيرة، وقد تظاهرت نصوص الشرع وإجماع العلماء على تحريم الحسد واحتقار المسلمين وإرادة المكروه بهم وغير ذلك من أعمال القلوب وعزمها، وقد تقدم الفرق بين ماله تعلق

(١) في المخطوطة «من». (٢) مسلم ١/ ١١٧ حديث رقم ١٢٨.

متفق عليه.

٦٤ ـ (٢) وعنه، قال: جاء ناسٌ من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ إلى النبي ﷺ، فسألوه: إنا نَجِدُ في أنفسنا ما يتعاظَمُ أحدُنا أن يتكلَّمَ به! قال: «أوَ قَدْ وجدتموه؟» قالوا: نعم. قال: «ذاك صريحُ الإيمان».

بالعمل وبين ما ليس له تعلق به والله تعالى أعلم. وقيل: يؤاخذ بالهم بالمعصية في حرم مكة دون غيرها، وهو رواية عن أحمد، وبه قال ابن مسعود لقوله تعالى: ﴿**ومن يرد فيه بإلحاد بظلم**﴾ الآية [الحج ـ ٢٥] ويرد بأن الإرادة هي القصد وهو العزم الذي هو أخص من الهم. (**متفق عليه**) في الجامع الصغير رواه الجماعة عن أبي هريرة بلفظ: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به»[1].

٦٤ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (**قال: جاء ناس**) أي جماعة (**من أصحاب رسول الله ﷺ إلى النبي عليه الصلاة والسلام فسألوه: إنا نجد**) واقع موقع الحال، أي سألوه مخبرين أنا نجد، أو قائلين على احتمال فتح الهمزة والكسر، وقيل: على الفتح مفعول ثان لسألوه، ثم الكسر أوجه حتى يكون بياناً للمسؤول عنه وهو مجمل يفسره الحديثان الآتيان (**في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به**) أي نجد في قلوبنا أشياء قبيحة نحو من خلق الله؟ وكيف هو؟ ومن أي شيء؟ وما أشبه ذلك مما يتعاظم [النطق] به لعلمنا أنه قبيح لا يليق شيء منها أن نعتقده، ونعلم أنه قديم خالق الأشياء غير مخلوق، فما حكم جريان ذلك في خواطرنا؟ وتعاظم تفاعل بمعنى المبالغة لأن زيادة المبنى لزيادة المعنى فإن الفعل الواحد إذا جرى بين اثنين يكون مزاولته أشق من مزاولته وحده، ولذا قيل: المفاعلة إذا لم تكن للمغالبة فهي للمبالغة، أي نستعظم غاية الاستعظام، وقوله: «أحدنا» رُوي برفع الدال، ومعناه يجد أحدنا التكلم به عظيماً لقبحه، ويجوز النصب على نزع الخافض، أي يعظم ويشق التكلم به على أحدنا (**قال: أو قد وجدتموه؟**) الهمزة للاستفهام التقريري، والواو المقرونة بها للعطف على مقدر، أي أحصل ذلك وقد وجدتموه؟ والضمير لما يتعاظم، أي ذلك الخاطر في أنفسكم تقريراً وتأكيداً، فالوجدان بمعنى المصادفة، أو المعنى أحصل ذلك الخاطر القبيح وعلمتم أن ذلك مذموم غير مرضي؟ فالوجدان بمعنى العلم (**قالوا: نعم، قال: ذاك**[2]) إشارة إلى مصدر وجد، أي وجدانكم قبح ذلك الخاطر، أو مصدر يتعاظم، أي علمكم بفساد تلك الوساوس وامتناع نفوسكم وتجافيها عن التفوّه بها (**صريح الإيمان**) أي خالصه يعني أنه إمارته الدالة صريحاً على رسوخه في قلوبكم وخلوصها من التشبيه والتعطيل، لأن الكافر يصر على ما في قلبه من تشبيه الله سبحانه بالمخلوقات ويعتقده حسناً. ومن استقبحها وتعاظمها لعلمه بقبحها

---

(١) الجامع الصغير ١/١٠٦ حديث رقم ١٧٠٤.
الحديث رقم ٦٤: أخرجه مسلم في صحيحه ١/١١٩ حديث رقم (٢٠٩. ١٣٢).
(٢) في المخطوطة «ذلك».

رواه مسلم.

٦٥ - (٣) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي الشيطانُ أحَدَكُم، فيقول: من خَلَقَ كَذَا؟ منْ خلق كذا؟ حتى يقول: مَنْ خَلَقَ ربَّك؟ فإذا بلغه؛ فليستعِذْ بِاللَّهِ ولْيَنْتَهِ».

وأنها لا تليق به تعالى كان مؤمناً حقاً وموقناً صدقاً فلا تزعزعه شبهة وإن قويت، ولا تحل عقد قلبه ريبة وإن موّهت، ولأن من كان إيمانه مشوباً يقبل الوسوسة ولا يردها، وقيل: المعنى أن الوسوسة أمارة الإيمان لأن اللص لا يدخل البيت الخالي، ولذا روي عن علي [رضي الله عنه] وكرم الله وجهه: «إن الصلاة التي لا وسوسة فيها إنما هي صلاة اليهود والنصارى» (رواه مسلم).

٦٥ - **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: يأتي الشيطان)** أي يوسوس إبليس أو أحد أعوانه من شياطين الأنس والجن على طريق التلبيس **(أحدكم فيقول: من خلق كذا)** يعني السماء مثلاً **(من خلق كذا؟)** يعني الأرض، وغرضه أن يوقعه في الغلط والكفر ويكثر السؤال على هذا المنوال **(حتى يقول: من خلق ربك؟)** وهو قديم خالق كل شيء **(فإذا بلغه)** ضمير الفاعل لأحدكم، وضمير المفعول راجع إلى مصدر «يقول» أي إذا بلغ أحدكم هذا القول يعني من خلق ربك، أو التقدير بلغ الشيطان هذا القول **(فليستعذ بالله)** طرداً للشيطان إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**إلا عبادك منهم المخلصين**﴾ [الحجر - ٤٠] وإيماء إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «لا حول ولا قوّة إلا بالله» فإن العبد بحوله وقوّته ليس له قوّة المغالبة مع الشيطان ومجادلته، فيجب عليه أن يلتجيء إلى مولاه يعتصم بالله من الشيطان الذي أوقعه في هذا الخاطر الذي لا أقبح منه فيقول بلسانه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ويلوذ بجنانه إلى جنابه أن يدفع عنه شره وكيده فإنه مع اللطف الإلهي لا أضعف منه ولا أذل، فإنه مشبه بالكلب الواقف على الباب، ولذا قال تعالى: ﴿**إن كيد الشيطان كان ضعيفاً**﴾ [النساء - ٧٦] أي بالنسبة إلى القوّة الإلهية فلا ينافي قوله تعالى حكاية: ﴿**إن كيدكن عظيم**﴾ [يوسف - ٢٨] **(ولينته)** بسكون اللام وتكسر، أي ليترك التفكر في هذا الخاطر وليشتغل بأمر آخر لئلا يستحوذ عليه الشيطان فإنه إنما أوقعه فيه رجاء أن يقف معه ويتمكن في نفسه فيحصل لها شك وريب في تنزيهه تعالى عن سمات الحدوث وإن دقت وخفيت، فمن تنبه وكف عن الاسترسال مع ذلك الخاطر وأشغل نفسه حتى انصرفت عنه فقد خلص ومن لا فقد ارتبك فيخشى عليه مزلة القدم في قعر جهنم، وإنما أمر بذينك دون الاحتجاج والتأمل لأمرين: أحدهما أن العلم باستغناء الله تعالى عن المؤثر والموجد ضروري لا يقبل احتجاجاً، وإنما ذلك شيء يلقيه الشيطان إما ليحجك إن جادلته لأنه مسلط على القلوب بإلقاء الوساوس عليها ليختبر إيمانها ووساوسه غير متناهية فمتى عارضته بمسلك وجد مسلكاً آخر إلى ما يريده من المغالطة والتشكيك، وإما ليضيع وقتك ويكدر عيشك إن استرسلت معه، وإن حججته فلا أخلص لك

الحديث رقم ٦٥: البخاري في صحيحه ٦/ ٣٣٦ حديث رقم ٣٢٧٦. ومسلم في صحيحه ١/ ١٢٠ حديث (٢١٤ - ١٣٤).

متفق عليه.

٦٦ - (٤) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزالُ الناسُ يتساءلونَ حتى يُقالَ: هذا خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، فمن خَلَقَ اللَّهَ؟ فمن وجدَ من ذلك شيئاً؛ فليقلْ: آمنتُ باللَّهِ ورُسُلِهِ».

من الإعراض عنه جملة والالتجاء إلى الله تعالى بالاستعاذة منه كما قال عز من قائل: ﴿**وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله**﴾ [الأعراف - ٢٠٠] ثانيهما أن الغالب في موارد هذه الخواطر أنه إنما ينشأ من ركود النفس وعدم اشتغالها بالمهمات المطلوبة منها؛ فهذا لا يزيده فكره في ذلك إلا الزيغ عن الحق فلا علاج له إلا الالتجاء بحول الله وقوّته والاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله. قال الخطابي: لو أذن رسول الله ﷺ في محاجته لكان الجواب سهلاً على كل موحد أي بإثبات البراهين القاطعة على أن لا خالق له تعالى بإبطال التسلسل ونحوه، كاستحضار أن جميع المخلوقات داخله تحت اسم الخلق، فلو جاز أن يقال: «من خلق الخالق» لأدى إلى ما لا يتناهى وهو باطل قطعاً، وفيه إشعار بمذمة علم الكلام ودلالة على حرمة المراء والمجادلة فيما يتعلق بذات الله وصفاته وإيماء إلى صحة إيمان المقلد (**متفق عليه**).

٦٦ - (**وعنه**) أي عن أبي هريرة [رضي الله عنه] (**قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الناس يتساءلون**) أي يسأل بعضهم بعضاً عن العلوم والموجودات والتساؤل جريان السؤال بين الاثنين فصاعداً، ويجوز أن يكون بين العبد والشيطان أو النفس أو إنسان آخر أي يجري بينهما السؤال في كل نوع (**حتى**) يبلغ السؤال إلى أن (**يقال: هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله؟**) قيل: لفظ «هذا» مع عطف بيانه المحذوف وهو المقول مفعول «يقال» أقيم مقام الفاعل وخلق الله تفسير لهذا، أو بيان، أو بدل، وقيل: مبتدأ حذف خبره، أي هذا القول، أو قولك هذا خلق الله الخلق معلوم مشهور فمن خلق الله؟ والجملة أقيمت مقام فاعل «يقال» (**فمن وجد من ذلك شيئاً**) إشارة إلى القول المذكور ومن ذلك حال من شيئاً أي من صادف شيئاً من ذلك القول والسؤال، أو وجد في خاطره شيئاً من جنس ذلك المقال (**فليقل**) أي فوراً من حينه (**آمنت بالله ورسله**») أي آمنت بالذي قال الله ورسله من وصفه تعالى بالتوحيد والقدم وقوله سبحانه وإجماع الرسل هو الصدق والحق: ﴿**فماذا بعد الحق إلا الضلال**﴾. ثم هذا القول يحتمل أن يكون على وجه العلم والتحقيق، ويحتمل أن يكون على طريق التقليد، هذا الذي ظهر لي في هذا المقام، وأما ما ذكره الطيبي وتبعه ابن حجر من أن هذا القول كفر فمن تكلم به فليتداركه بكلمة الإيمان ففي كونه مراداً نظر ظاهر، لأنه لا يصح بالنسبة إلى السائل المجادل الذي هو من جملة شياطين الأنس أو الجن على التغليب كما يتصوره الحديث السابق ولا من

الحديث رقم ٦٦: الحديث ليس موجود في صحيح البخاري إنما الموجود رواية أنس «لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا، هذا الله خالق كل شيء فمن خلق الله». حديث رقم ٧٢٩٦. وأخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١١٩ حديث رقم (٢١٢ - ١٣٤). وأبو داود في سننه ٥/ ٩١ حديث رقم ٤٧٢١ وأحمد في المسند ٢/ ٢٨٢.

متفق عليه.

٦٧ ـ (٥) وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكُم منْ أحدٍ إلا وقد وكّلَ به قرينُهُ من الجنّ وقرينُهُ من الملائكةِ». قالوا: وإياكَ يا رسولَ الله؟ قال: «وإيّايَ،

المسؤول [لأنه مؤمن صريح الإيمان، ولأن قوله في هذا الحديث «فليقل» إنما هو بالنسبة إلى المسؤول]، كقوله: [«فليستعذ»] في الحديث الذي تقدم والله أعلم. ولذا قيل: يسن له أن يستعيذ ثم يقول: آمنت بالله ورسله، ورواه ابن أبي الدنيا عن ابن عمر[1] وزاد في آخره: «فإن ذلك يذهب عنه» (متفق عليه) روى مسلم هذا الحديث على هذا السياق عن أبي هريرة ورواه أيضاً عن أنس، وفي روايته: «حتى يقال هذا الله خلق الخلق»، وكذلك رواه البخاري في كتابه عن أبي هريرة والحديث على هذا السياق محتمل لغير ما ذكر وهو أن يكون «هذا الله» مبتدأ وخبراً، أو هذا مبتدأ والله عطف بيان وخلق الخلق خبره، وأكثر رواة هذا الحديث يروونه على هذا السياق فيرجح إذن على السياق المذكور في المصابيح وإن كلاهما من الصحاح.

٦٧ ـ (وعن ابن مسعود) [رضي الله عنه] (قال: قال رسول الله ﷺ: ما منكم من أحد) ما نافية ومن زائدة لاستغراق النفي لجميع الأفراد، ومن في «منكم» تبعيضية، أي ما أحد منكم (إلا وقد وكل به) على بناء المجهول لأن فاعله معلوم من التوكيل بمعنى التسليط (قرينه من الجن) أي صاحبه منهم ليأمره بالشر واسمه الوسواس وهو ولد يولد لإبليس حين يولد لبني آدم ولد وقوله (وقرينه من الملائكة) أي ليأمره بالخير واسمه الملهم، وليس هذا في المصابيح لكن ذكره الحميدي في كتابه، والصغاني في المشارق عن مسلم، كذا نقله الطيبي وذكر ابن الملك في شرح المصابيح: وفي رواية: «قد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة»[2] رواه ابن مسعود. اهـ. فصاحب المشكاة اختار هذه الرواية الجامعة والله أعلم. ثم الحكمة في ذلك ظهور خسة العاصي وشرف الطائع (قالوا: وإياك يا رسول الله؟) أي لك قرين من الجن والقياس وأنت يا رسول الله بصيغة المرفوع المنفصل، وكذا في الجواب يعني (قال: وإياي) أي ولي ذلك، والقياس أن يقول: وأنا فأقام الضمير المنصوب مقام المرفوع المنفصل وهو سائغ شائع، ويحتمل أن يكون المعنى: وإياك نعني في هذا الخطاب فقال [نعم] وإياي، لأن الخطاب في «منكم» عام لا يخص المخاطبين من الصحابة بل كل من يصح أن يخاطب داخل فيه كأنه قيل: ما منكم يا بني آدم من أحد، وهذا إن قلنا إن المتكلم لا يدخل في عموم الخطاب، وقيل: عطف على محل الضمير المجرور المقدّر تقديره قالوا: قد وكل به وإياك

---

(١) في المخطوطة «عمرو».

الحديث رقم ٦٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٦٧ حديث ٦٩. والدارمي في سننه ٢/ ٣٩٦ حديث رقم ٢٧٣٤ وأحمد في المسند ١/ ٣٨٥.

(٢) مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٦٨ حديث رقم ٢٨١٤.

ولكنَّ اللَّهَ أعانني عليه فأسلم، فلا يأمُرني إلا بخيرٍ». رواهُ مسلم.

٦٨ ـ (٦) وعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الشيطانَ يجري من الإنسانِ مجرَى الدمِ».

قال: وكل به وإياي (ولكن الله) بالتشديد ويخفف (أعانني عليه) أي بالعصمة، أو بالخصوصية (فأسلم) بضم الميم أو فتحها في جامع الترمذي، قال ابن عيينة: فأسلم بالضم، أي أسلم أنا منه والشيطان لا يسلم، وفي جامع الدارمي[1] قال أبو محمد: أسلم بالفتح أي استسلم وذل وانقاد، والخطابي ذهب إلى الأول والقاضي عياض إلى الثاني، وهما روايتان مشهورتان، قال التوربشتي: الله تعالى قادر على كل شيء فلا يستبعد من فضله أن يخص نبيه بهذه الكرامة، أعني إسلام قرينه وبما فوقها، قيل: ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام (فلا يأمرني إلا بخير) قلت: الأظهر أنه مؤيد للأول فتأمل، وقيل: أسلم أفعل تفضيل خبر مبتدأ محذوف، أي فأنا أسلم منكم لأن النبي ﷺ كان يجري بعض الزلات في بعض الساعات بوسوسة، فيكون المراد بقوله: «فلا يأمرني إلا بخير» في أعم الأوقات كذا قيل، وفيه نظر إذ يحتمل كون الوسوسة من النفس دون الشيطان، وعن بعض المشايخ أن القرين من الجن ربما يدعوه إلى الخير وقصده في ذلك الشر بأن يدعوه إلى المفضول فيمنعه عن الفاضل، أو أن يدعوه إلى الخير ليجره إلى ذنب عظيم لا يفي خيره بذلك الشر من عجب أو غيره، ولذا قيل: معصية أو ورثت ذلاً واستحقاراً خير من طاعة أورثت عجباً واستكباراً، قال ابن حجر: الظاهر أن استبعاد سفيان لإسلامه إنما هو لكونه عفريتاً لا لكونه من ذرية إبليس لما في حديث حسن أن هامة بن إبليس جاء للنبي ﷺ وذكر أنه حضر قتل هابيل وأنه اجتمع بنوح فمن بعده، ثم طلب من النبي ﷺ بعد أن نقل السلام من عيسى فرد عليه الصلاة والسلام، وطلب أن يعلمه شيئاً من القرآن فعلمه الواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت والمعوذتين وقل هو الله أحد (رواه مسلم).

٦٨ ـ (وعن أنس) رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: إن الشيطان) أي كيده ووسواسه (يجري) أي يسري (من الإنسان) أي فيه، وقيل عدي يجري بمن على تضمين معنى التمكن، أي يتمكن من الإنسان في جريانه (مجرى الدم) أي في جميع عروقه، والمجرى إما مصدر ميمي أي يجري مثل جريان الدم فإنه لا يحس بجريه كالدم في الأعضاء، شبه سريان كيده وجريان وساوسه في الإنسان بجريان دمه في عروقه وجميع أعضائه فهو كناية عن تمكنه من إغواء الإنسان وإضلاله تمكناً تاماً وتصرفه فيه تصرفاً كاملاً بواسطة نفسه الأمارة بالسوء

---

(١) في المخطوطة «الترمذي». والصواب الدارمي والله أعلم.

الحديث رقم ٦٨: البخاري أخرجه عن صفية بنت حيي زوجة الرسول ﷺ ٦/ ٣٣٦ حديث ٣٢٨١ وهي الرواية التي اتفق عليها الشيخان. ورواية أنس أخرجه مسلم ٤/ ١٧١٢ حديث رقم ٢٣. وأخرجه أبو داود في سننه ٢/ ٨٣٤ حديث ٢٤٧٠. وأخرجه ابن ماجة في سننه ١/ ٥٦٦ حديث رقم ١٧٧٩ وأحمد في مسنده ٣/ ١٥٦.

متفق عليه.

٦٩ - (٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من بَني آدمَ مولودٌ إلا يَمَسُّهُ الشيطانُ حين يولدُ، فيَستهِلُّ صارخاً من مَسِّ الشيطانِ»

الناشيء قواها من الدم. ولقد صدق يحيى بن معاذ حيث قال: الشيطان فارغ وأنت مشغول، وهو يراك وأنت لا تراه، وأنت تنسى الشيطان وهو لا ينساك، ومن نفسك للشيطان عليك عون وقد قال تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّاً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ [فاطر - ٦] وقال عزّ وجلّ: ﴿ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ [المجادلة - ٢٢]، أو اسم مكان ظرف ليجري ومن الإنسان حال منه، أي يجري في الإنسان مجرى الدم كائناً من الإنسان، أو بدل البعض من الإنسان، أي يجري في الإنسان حيث يجري فيه الدم، أو معناه أن الشيطان لا ينفك عن الإنسان ما جرى دمه في عروقه أي ما دام حياً، وقيل: يجوز إرادة الحقيقة فإن الشياطين أجسام لطيفة قادرة بإقدار الله تعالى على كمال التصرف ابتلاء للبشر (متفق عليه) وفي الجامع الصغير: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[١] رواه أحمد والشيخان وأبو داود عن أنس، ورواه الشيخان وأبو داود وابن ماجة عن صفية.

٦٩ - (وعن أبي هريرة) رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من بني آدم) أي ما من أولاده والمراد هذا الجنس (مولود إلا يمسه الشيطان) رفع مولود على أنه فاعل الظرف لاعتماده على حرف النفي والمستثنى منه أعم عام الوصف فالاستثناء مفرغ، يعني: ما وجد من بني آدم مولود متصف بشيء من الأوصاف حال ولادته إلا بهذا الوصف، أي مس الشيطان له، كأنه عليه الصلاة والسلام يرد على من زعم أن الأنبياء والأولياء لا يمسهم الشيطان، فهو من قصر القلب الذي يلقي لمعتقد العكس، وقيل: ما هي غير عاملة هنا حتى عند الحجازية لتقدم الخبر وهو من بني آدم على مبتدئه وهو مولود (حين يولد) قالوا: المراد بالمس الحسي لقوله عليه الصلاة والسلام: «كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبه حين يولد»[٢]. وقال ابن الملك[٣] الوجه أن يراد من المس الطمع في الإغواء فيرده ظاهر قوله (فيستهل) أي يصيح (صارخاً) رافعاً صوته بالبكاء، وهو حال مؤكدة أو مؤسسة، أي مبالغة في رفعه، أو المراد بالاستهلال مجرد رفع الصوت بالصراخ البكاء (من مس الشيطان) أي لأجله قال الطيبي: وفي التصريح بالصراخ إشارة إلى أن المس عبارة عن الإصابة بما يؤذيه لا كما قالت المعتزلة من أن مس الشيطان تخييل واستهلاله صارخاً من مسه تصوير لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن أغويه، وأما قول ابن الرومي:

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٢٥ حديث رقم ٢٠٣٦.

الحديث رقم ٦٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٦٩ حديث رقم ٣٤٣١. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٣٨ حديث رقم ١٤٦. وأحمد في المسند ٢/ ٢٣٣.

(٢) البخاري. (٣) في المخطوطة ابن ملك.

غيرَ مريمَ وابنِها». متفق عليه.

٧٠ ـ (٨) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «صياح المولودِ حينَ يَقعُ نَزْغةٌ مِنَ الشيطانِ».

لأن يؤذن الدنيا بها من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد
إذا أبصر الدنيا استهل كأنه * بما هو لاق من أذاها يهدد
وإلا فما يبكيه منها وإنه * لأوسع مما كان فيه وأرغد

فمن باب حسن التعليل فلا يستقيم تنزيل الحديث عليه مع أنه لا ينافيه (غير مريم وابنها) حال من مفعول يمس، قال ابن حجر واستثناؤهما لاستعاذة أمها حيث قالت: ﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ وتفرد عيسى وأمه بالعصمة عن المس لا يدل على فضلهما على نبينا ﷺ، إذ له فضائل ومعجزات لم تكن لأحد، ولا يلزم أن يكون في الفاضل جميع صفات المفضول كذا قاله الطيبي. ونظيره خبر الطبراني: «ما أحد من بني آدم إلا وقد أخطأ أوهم بخطيئة إلا يحيى بن زكريا»[1]، قلت: وأبلغ من هذا أن شيطانه أسلم (متفق عليه) قال ابن حجر وفي رواية للبخاري: «كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه باصبعيه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب»، وفي أخرى للحاكم[2] وغيره: «كل وليد الشيطان نائل منه تلك الطعنة ولها يستهل المولود صارخاً إلا ما كان من مريم وابنها فإن أمها حين وضعتها قالت: إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فضرب دونها حجاب فطعن» [اهـ] ولعل الله تعالى ألهمها بأن دعت هذا الدعاء حال الوضع لا بعده فقوله: «حين وضعتها»، أي أرادت وضعها فلا يشكل أن المس يكون حال الوضع فكيف امتنع لأجل ذلك الدعاء وقوله في الآية: ﴿وإني أعيذها﴾ [آل عمران ـ ٣٦] بمعنى أعذتها وعدل إلى المضارع لإرادة الاستمرار، أو لحكاية الحال الماضية والله أعلم. والمفهوم من الجامع الصغير أن الحديث باللفظ المذكور سابقاً هو من أفراد البخاري فقوله: «متفق عليه» محل نظر إلا أن يقال مراده أنه متفق عليه معنى واللفظ للبخاري، لكن ذكر أن لفظ: «كل بني آدم» الخ أيضاً من أفراد البخاري فتأمل.

٧٠ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة [رضي الله عنه] (قال: قال رسول الله ﷺ: «صياح المولود) أي سبب صيحته في بكائه (حين يقع) أي يسقط وينفصل عن أمه (نزغة[3] من الشيطان») أي إصابة بما يؤذيه، وقيل: النزغ طعنة خفيفة، أو وسوسة فإن النزغ[4] هو الدخول في أمر الفساد، والشيطان إنما يبغي بلمته فساد ما ولد المولود عليه من الفطرة. اهـ. والمعول

---

(١) ابن أبي شيبة ٦/٣٤٦ حديث رقم ٣١٩٠٩.

(٢) الحاكم ٢/٥٩٤.

الحديث رقم ٧٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٨٣٨ حديث ١٤٨.

(٣) في المخطوطة «نزعه» والصواب نزغة. (٤) في المخطوطة «النزع».

متفق عليه.

٧١ ـ (٩) وعن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبليسَ يضعُ عرشَهُ على الماءِ، ثم يبعثُ سَراياه يَفْتِنونَ الناسَ، فأدناهم منه مَنْزِلةً أعظمُهم فِتْنةً يجيءُ أحدُهُم فيقولُ: فعلتُ كذا وكذا. فيقولُ: ما صنعتَ شيئاً. قال: ثمّ يجيءُ أحدُهُم فيقولُ: ما تركتُه حتى فرَّقتُ بينه وبينَ امرأتِهِ. قال: فيُدنيه منه،

هو الأوّل إذ لا إفساد عند الولادة (متفق عليه) المذكور في الجامع الصغير أنه من أفراد البخاري[1].

٧١ ـ (وعن جابر) [رضي الله عنه] (قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه) أي سريره (على الماء) وفي رواية: «على البحر»، والصحيح حمله على ظاهره ويكون من جملة تمرده وطغيانه وضع عرشه على الماء، يعني جعله الله تعالى قادراً عليه استدراجاً ليغتر بأن له عرشاً على هيئة عرش الرحمن كما في قوله تعالى: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ [هود ـ ٧] ويغر بعض السالكين الجاهلين بالله أنه الرحمن كما وقع لبعض الصوفية على ما ذكر في النفحات الأنسية في الحضرات القدسية، ويؤيده قصة ابن صياد حيث قال لرسول الله ﷺ: «أرى عرشاً على الماء، فقال له عليه الصلاة والسلام: ترى عرش إبليس»، وقيل: عبر عن استيلائه على الخلق وتسلطه على إضلالهم بهذه العبارة. (ثم يبعث) أي يرسل سراياه جمع سرية وهي قطعة من الجيش توجه نحو العدوّ لتنال منه وفي النهاية هي طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدوّ، وسموا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء السري وهو النفيس، وقيل: لأنهم يبعثون سراً، ورد بأن لامه راء ولامها ياء (يفتنون الناس) بفتح الياء وكسر التاء، أي يضلونهم أو يمتحنونهم بتزيين المعاصي إليهم حتى يقعوا فيها (فأدناهم) أي أقربهم (منه) أي من إبليس (منزلة) مرتبة (أعظمهم فتنة) أي أكبرهم إضلالاً، أو أشدهم ابتلاء. (يجيء أحدهم) جملة مبينة لقوله: «أعظمهم فتنة» (فيقول) أي أحدهم (فعلت كذا وكذا) أي أمرت بالسرقة وشرب الخمر مثلاً (فيقول) أي إبليس (ما صنعت شيئاً) أي أمراً كبيراً، أو شيئاً معتداً به (قال) أي النبي ﷺ (ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته) أي فلاناً (حتى فرقت بينه وبين امرأته) هذا وإن كان بحسب الظاهر أمراً مباحاً وظاهره خير، ولذا قال تعالى: ﴿وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته﴾ [النساء ـ ١٣٠] ولكنه من حيث إنه قد يجر إلى المفاسد يصير مذموماً ويحث عليه الشياطين ويفرح به كبيرهم، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق»[2]، وقال تعالى: ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ [البقرة ـ ١٠٢] (قال) عليه الصلاة والسلام (فيدنيه منه) أي فيقرب إبليس ذلك

---

(١) في الجامع الصغير من أفراد مسلم وليس من أفراد البخاري ٢/ ٣١٥ حديث رقم ٥١١٣.

الحديث رقم ٧١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٦٧ حديث ٦٧ وأحمد في مسنده ٣/ ٣١٤.

(٢) أخرجه أبو داود ٢/ ٦٣١ حديث رقم ٢١٧٨.

ويقول: نعم أنت». قال الأعمش: أراه قال «فيلتزمُه». رواه مسلم.

٧٢ - (١٠) وعنه، قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطانَ قد أيسَ من أن يعبدَهُ المصلُّونَ في جزيرةِ العَرَب،

المغوي من نفسه من الإدناء وهو التقريب (فيقول) وفي نسخة صحيحة: «ويقول» أي إبليس للمغوي (نعم أنت) أي نعم الولد، أو العون أنت على أنه فعل مدح وفاعله مضمر على خلاف القياس، وقيل: حرف إيجاب وأنت مبتدأ خبره محذوف، أي أنت صنعت شيئاً عظيماً، وقول ابن الملك: هو الصواب هو الخطأ لأنه مخالف للنسخ المصححة الدالة على الرواية ومع احتياجه إلى التكلف والتعسف في توجيه صحة الدراية. (قال الأعمش) وهو أحد رواة هذا الحديث (أراه) بضم أوّله، أي أظن أبا سفيان طلحة بن نافع المكي وهو الراوي عن جابر كذا في الأزهار نقله السيد جمال الدين، وقال الطيبي: ضمير الفاعل للأعمش وضمير المفعول لجابر، وقيل: أظن النبي عليه الصلاة والسلام وهو الظاهر من قوله (قال: فيلتزمه») فإنه إما عطف على «فيدنيه»، أو بدل منه كذا قيل، والأقرب أنه عطف على «فيقول» والله أعلم. والمعنى فيعانقه من غاية حبه التفريق بين الزوجين، وذلك لأنه يحب كثرة الزنا وغلبة أولاد الزنا ليفسدوا في الأرض ويهتكوا حدود الشرع، ومن ثم ورد عن النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة ولد زانية» رواه الدارمي في سننه لأن ولد الزنا يعسر عليه اكتساب الفضائل ويتيسر له أخلاق الرذائل (رواه مسلم) وكذا أحمد.

٧٢ - (وعنه) أي عن جابر [رضي الله عنه] (قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان) يحتمل الجنس والأظهر أن المراد به إبليس رئيسهم (قد أيس) أي صار محروماً ويئس (من أن يعبده المصلون) اختصر القاضي كلام الشراح وقال: عبادة الشيطان عبادة الصنم لأنه الآمر به والداعي إليه بدليل قوله: ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان﴾ [مريم - ٤٤] والمراد بالمصلين المؤمنون كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «نهيتكم عن قتل المصلين»، سموا بذلك لأن الصلاة أشرف الأعمال وأظهر الأفعال الدالة على الإيمان، ومعنى الحديث: أيس من أن يعود أحد من المؤمنين إلى عبادة الصنم ويرتد إلى شركه (في جزيرة العرب) ولا يرد على ذلك ارتداد أصحاب مسيلمة ومانعي الزكاة وغيرهم ممن ارتدوا بعد النبي ﷺ لأنهم لم يعبدوا الصنم. اهـ. وفيه أن دعوة الشيطان عامة إلى أنواع الكفر غير مختص بعبادة الصنم فالأولى أن يقال: المراد أن المصلين لا يجمعون بين الصلاة وعبادة الشيطان كما فعلته اليهود والنصارى. ثم الجزيرة هي كل أرض حولها الماء فعيلة بمعنى مفعولة من جزر عنها الماء، أي ذهب وقد اكتنفت تلك الجزيرة البحار والأنهار كبحر البصرة وعمان وعدن إلى بركة بني إسرائيل التي أهلك الله فرعون بها وبحر الشام والنيل ودجلة والفرات أضيفت إلى العرب لأنها مسكنهم، ونقل عن الإمام

الحديث رقم ٧٢: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٦٦ حديث ٦٥. والترمذي ٤/ ٢٩١ حديث رقم ١٩٣٧ وأحمد في المسند ٣/ ٣١٣.

ولكنْ في التحريشِ بينهم». رواه مسلم.

الفصل الثاني

٧٣ - (١١) عن ابن عباس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ جاءه رجلٌ، فقال: إني أحدّثُ نفسي بالشيء لأن أكون حُمَمَةً أحبُّ إليّ من أن أتكلّم به. قال: «الحمدُ للهِ الذي ردَّ أمْرَهُ إلى الوسوسَةِ».

مالك [رضي الله عنه] أن جزيرة العرب مكة والمدينة واليمن، قيل: إنما خص جزيرة العرب لأن الدين يومئذ لم يتعد عنها، وقيل: لأنها معدن العبادة ومهبط الوحي. (**ولكن في التحريش**) خبر لمبتدأ محذوف، أي هو في التحريش، أو ظرف لمقدر أي يسعى في التحريش (**بينهم**») أي في إغراء بعضهم على بعض، والتحريض بالشر بين الناس من قتل وخصومة. والمعنى لكن الشيطان غير آيس من إغراء المؤمنين وحملهم على الفتن، بل له مطمع في ذلك، قيل: ولعله ﷺ أخبر عما يجري فيما بعده من التحريش الذي وقع بين أصحابه، أي أيس الشيطان أن يعبد فيها لكن طمع في التحريش بين ساكنيها وكان كما أخبر فكان معجزة له عليه الصلاة والسلام (**رواه مسلم**) وكذا أحمد والترمذي.

(الفصل الثاني)

٧٣ - (**عن ابن عباس**) [رضي الله عنهما] (**أن النبي ﷺ جاءه رجل فقال:**) أي الرجل («**إني أحدث نفسي**) أي أكلمها بالسر، يعني توسوسني فإنه غير اختياري، أو معناه أرد عليها (**بالشيء**) هو في قوة النكرة معنى وإن كان معرفة لفظاً لأن أل فيه للجنس والجملة الإسمية بعده صفة له وهي قوله (**لأن أكون حممة**) بضم ففتح أي فحماً (**أحبُّ إلي من أن أتكلم به**) أي بشيء لكوني حممة أحب إليّ من التكلم بذلك الشيء من غاية قبحه لتعلقه بالخوض في ذات الله تعالى وما لا يليق به سبحانه من تجسم وتشبيه أو تعطيل ونحوها، واللام للقسم أو للابتداء، وأما قول ابن الملك: اللام موطئة للقسم فغير صحيح لأنها إنما تدخل على أداة الشرط للإيذان بأن الجواب بعدها مبني على قسم قبلها لا على الشرط، ومن ثم تسمى لام المؤذنة وتسمى الموطئة لأنها وطأت الجواب للقسم أي مهدته له نحو ﴿**لئن أخرجوا لا يخرجون معهم**﴾ الآية [الحشر - ١٢] كذا ذكره في مغني اللبيب[1] (**قال**) عليه الصلاة والسلام: (**الحمد لله**) شكراً لما أنعم عليه على أمته (**الذي رد أمره إلى الوسوسة**») الضمير فيه يحتمل أن

الحديث رقم ٧٣: أخرجه أبو داود في سننه ٥/ ٣٣٦ حديث رقم ٥١١٢ وفيه زيادة ثلاث تكبيرات قبل «الحمد لله» وأحمد في المسند ١/ ٣٤٠.

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام النحوي ت (٧٦٢). وهو كتاب في النحو.

رواه أبو داود.

٧٤ - (١٢) وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للشيطان لَمَّةً بابن آدم، وللملَك لَمَّةً: فأما لَمَّةُ الشيطان فإيعادٌ بالشر، وتكذيبٌ بالحقِّ. وأما لَمَّةُ الملَكِ فإيعادٌ بالخيرِ وتصديقٌ بالحقِّ. فمن وجد ذلك؛ فليَعلمْ أنه من الله، فليحمد الله،

يكون للشيطان وإن لم يجر له ذكر لدلالة السياق عليه، ويحتمل أن يكون للرجل، والأمر يحتمل أن يكون واحد الأوامر، وأن يكون بمعنى الشأن يعني كان الشيطان يأمر الناس بالكفر قبل هذا وأما الآن فلا سبيل إليهم سوى الوسوسة ولا بأس بها مع العلم بأنها قبيحة والتعوّذ بالله منها، أو المعنى الحمد لله الذي رد شأن هذا الرجل من الكفر إلى الوسوسة وهي معفوّة. (**رواه أبو داود**).

٧٤ - (**وعن ابن مسعود [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للشيطان**) أي إبليس أو بعض جنده (**لمة**) اللمة بالفتح من الإلمام، ومعناه النزول والقرب والإصابة، والمراد بها ما يقع في القلب بواسطة الشيطان أو الملك. (**بابن آدم**) أي بهذا الجنس فالمراد به الإنسان (**وللملك لمة**) فلمة الشيطان تسمى وسوسة ولمة الملك إلهاماً (**فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر**) كالكفر والفسق والظلم (**وتكذيب بالحق**) أي في حق الله، أو حق الخلق، أو بالأمر الثابت كالتوحيد والنبوّة والبعث والقيامة والنار والجنة (**وأما لمة الملك فإيعاد بالخير**) كالصلاة والصوم (**وتصديق بالحق**) ككتب الله ورسوله والإيعاد في اللمتين من باب الأفعال والوعيد في الاشتقاق كالوعد إلا أن الإيعاد اختص بالشر عرفاً يقال أو وعد إذا وعد بشر إلا أنه استعمله في الخير للازدواج والأمن عن الاشتباه بذكر الخير بعده كذا قالوا، والظاهر أن هذا التفصيل عند الإطلاق كما قال الشاعر:

وإنـــي وإن أوعـــدتـــه أو وعـــدتـــه * لـمـخـلـف إيـعـادي ومـنـجـز مـوعـدي

وأما عند التقييد فالأولى أن يقال بالتجريد فيهما، أو بأصل اللغة واختيار الزيادة لاختيار المبالغة (**فمن وجد**) أي في نفسه أو أدرك وعرف (**ذلك**) أي لمة الملك على تأويل الإلمام أو المذكور (**فليعلم أنه من الله**) أي منة جسيمة ونعمة عظيمة واصلة إليه ونازلة عليه إذ أمر الملك بأن يلهمه (**فليحمد الله**) أي على هذه النعمة الجليلة حيث أهله لهداية الملك ودلالته على ذلك الخير تصديقاً وتحصيلاً.

ثم معرفة الخواطر والتمييز بينها محل بسطها كتب الصوفية وقيد بينها الغزالي في منهاج العابدين[1] تبييناً لطيفاً، واتفق المشايخ على أن من كان مأكله من الحرام لا يميز بين الوسوسة والإلهام، بل قال الدقاق: من كان قوته معلوماً، أي بأن لم يتوكل على الله حق توكله لا يفرق

الحديث رقم ٧٤: أخرجه الترمذي ٥/ ٢٠٤ حديث رقم ٢٩٨٨.

(١) منهاج العابدين للإمام أبي حامد الغزالي ت (٥٠٥) ويقال إنه آخر تآليفه.

ومن وجد الأخرى؛ فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم». ثم قرأ: ﴿**الشيطانُ يعدكُم الفقرَ ويأمُركم بالفَحشاءِ**﴾. رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

٧٥ - (١٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال الناسُ يتساءلونَ، حتى يقال: هذا خلَقَ اللّهُ الخلْقَ، فمن خَلَقَ اللّهَ؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا: اللّهُ أحدٌ، الله الصمدُ، لم يَلدْ ولم

بينها وبين الإلهام وإن كان غير معتبر في حق الأحكام لكنه معتبر في معرفة وساوس النفس ومكائد الشيطان، وإنما قدمها هنا وأخرها أوّلاً لأن لمة الشيطان شر والابتلاء بها أكثر فكانت الحاجة ببيانها أمس. ولما فرغ منه قدم لمة الملك تعظيماً لشأنها وإشعاراً بأن رحمته سبقت غضبه (**ومن وجد الأخرى**) أي لمة الشيطان (**فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم**) وليخالفه، وفيه إيماء إلى أن الكل من الله تعالى وإنما الشيطان عبد مسخر أعطي له التسليط على بعض أفراد الإنسان كما قال تعالى: ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان**﴾ [الحجر - ٤٢] وإنما لم يقل هنا: فليعلم أنه من الله تأدباً معه إذ لا يضاف إليه إلا الخير (**ثم قرأ**) ﷺ استشهاداً ﴿**الشيطان يعدكم الفقر**﴾ أي يخوفكم به ﴿**ويأمركم بالفحشاء**﴾ أي بالبخل والحرص وسائر المعاصي؛ فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة، أو معناه الشيطان يعدكم الفقر ليمنعكم عن الإنفاق في وجوه الخيرات ويخوفكم الحاجة لكم أو لأولادكم في ثاني الحال سيما في كبر السن وكثرة العيال ويأمركم بالفحشاء أي المعاصي. وهذا الوعد[1] والأمر هما المرادان بالشر في الحديث وتتمة الآية (**والله يعدكم مغفرة**) أي لذنوبكم على الصبر في الفقر والطاعة (**منه**) أي من عنده عدلاً (**وفضلاً**) أي يعدكم زيادة الخير على المغفرة وثواب الطاعة بالأضعاف المضاعفة، أو خلفاً في الدنيا وعوضاً في العقبى (**والله واسع عليم**)[2] تذييل للكلام السابق، إشارة إلى سعة مغفرته ورحمته ووفور علمه بأحوال العباد ومصالحهم (**رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب**) وتعريف الغرابة وتفصيلها متناً وإسناداً مذكور في أصول الحديث.

٧٥ - (**وعن أبي هريرة**) رضي الله عنه (**عن رسول الله ﷺ قال: لا يزال الناس يتساءلون**) أي لا ينقطعون عن سؤال[3] بعضهم بعضاً في أشياء (**حتى يقال: هذا خلق الله الخلق**) مر البيان فيه (**فمن خلق الله؟**) فلما جر كثرة السؤال إلى الجرأة على[4] الملك المتعال نهى رسول الله ﷺ عن كثرة السؤال وعن قيل وقال: أو المراد بالتساؤل حكاية النفس وحديثها ووسوستها وهذا هو الظاهر من النقل والاستعاذة ويؤيد الأول قوله (**فإذا قالوا ذلك فقولوا: الله أحد**) يعني قولوا في رد هذه المقالة أو الوسوسة الله تعالى ليس مخلوقاً بل هو أحد والأحد هو الذي لا ثاني له في الذات ولا في الصفات (**الله الصمد**) المرجع في الحوائج المستغني عن كل أحد (**لم يلد ولم**

---

(١) في المخطوطة «الوعيد». (٢) سورة البقرة آية ٢٦٨.

الحديث رقم ٧٥: أخرجه أبو داود في سننه ٥/ ٩٢ حديث رقم ٤٧٢٢.

(٣) في المخطوطة «السؤال». (٤) في المخطوطة «إلى».

يولَد، ولم يكن له كفواً أحدٌ، ثم ليتفُلْ عن يسارِهِ ثلاثاً، وليستعذ بالله من الشيطانِ الرَّجيمِ». رواه أبو داود. وسنذكر حديث عمرو بن الأحوص في باب خطبة يوم النحر إن شاء الله تعالى.

الفصل الثالث

٧٦ . (١٤) عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يبرحَ الناسُ يتساءلون، حتى يقولوا: هذا الله خَلَقَ كلَّ شيء، فمن خلق اللّهَ عزَّ وجل؟» رواه البخاري. ولمسلم: «قال: قال الله عزَّ وجل: إنَّ أمتك لا يزالون يقولون: ما

يولد ولم يكن له كفواً أحد) تقدم (ثم ليتفل) بسكون اللام الأولى وتكسر وبضم الفاء وتكسر، أي ليبصق أحدكم أو هذا الرجل يعني الموسوس (عن يساره) كرامة لليمين، وقيل: اللمة الشيطانية عن يسار القلب والرحمانية عن يمينه[1] (ثلاثاً) أي ليلق البزاق من الفم ثلاث مرات، وهو عبارة عن كراهة الشيء والنفور عنه كمن يجد جيفة، والتكرار مراغمة للشيطان وتبعيد له لينفر منه ويعلم أنه لا يطيعه فيه ويكره الكلام المذكور منه. (وليستعذ) ضبط بالوجهين (بالله من الشيطان الرجيم) والاستعاذة طلب المعاونة على دفع الشيطان (رواه أبو داود وسنذكر حديث عمرو بن الأحوص): «ألا لا يجني جان إلا على نفسه» (في باب خطبة يوم النحر إن شاء الله تعالى).

(الفصل الثالث)

٧٦ ـ (عن أنس) [رضي الله عنه] (قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يبرح الناس) أي لن يزالوا ولن ينقطعوا، وإفادته الإثبات لأنه كزال يفيد معنى النفي وإذا دخل عليه نفي آخر أثبته لأن نفي النفي إثبات (يتساءلون) أي متسائلين يسأل بعضهم بعضاً، أو تحدثهم أنفسهم بالوسوسة (حتى يقولوا: هذا الله) مبتدأ وخبره (خلق كل شيء) استئناف أو حال وقد مقدرة والعامل معنى اسم الإشارة، أو هذا مبتدأ والله عطف بيان وخلق كل شيء خبره كذا قاله الطيبي، والثاني هو الظاهر. (فمن خلق الله عزّ وجلّ؟») قاسوا القديم على الحادث فإنه يحتاج إلى محدث ويتسلسل إلى أن ينتهي إلى خالق قديم واجب الوجود لذاته، ومحل تحقيق هذا المرام كتب الكلام. (رواه البخاري ولمسلم قال:) أي النبي ﷺ (قال الله عزّ وجلّ:) فيكون الحديث قدسياً (إن أمتك) أي أمة الدعوة أو بعض أمة الإجابة بطريق الجهالة أو الوسوسة من الأمور العامة (لا يزالون يقولون) أي بعضهم لبعض، أو في خواطرهم من غير اختيارهم (ما

---

(١) في المخطوطة «يساره».

الحديث رقم ٧٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٢٦٥ حديث رقم ٧٢٩٦. ومسلم ١/ ١٢١ حديث (٢١٧ ـ ١٣٦).

كذا؟ ما كذا؟ حتى يقولوا: هذا اللّهُ خَلَقَ الخلق، فمن خلق اللّهَ عزَّ وجل؟».

٧٧ ـ (١٥) وعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله! إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يَلْبِسُها عليَّ، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك شيطان يقالُ له خِنْزَب، فإذا أحسَسْتَه فتعوذ بالله منه،

كذا ما كذا؟) كناية عن كثرة السؤال وقيل وقال، أي ما شأنه ومن خلقه **(حتى يقولوا:)** أي حتى يتجاوزوا الحد وينتهوا إلى أن يقولوا **(هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله عز وجل؟)** والمقصود من الحديث إعلامه تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام بما سيقع من أمته ليحذرهم منه.

٧٧ ـ **(وعن عثمان بن أبي العاص)** هو الثقفي استعمله النبي ﷺ على الطائف فلم يزل عليها حياة رسول الله ﷺ وخلافة أبي بكر وستتين من خلافة عمر، ثم عزله عمر وولاه عمان والبحرين. وكان وفد على النبي ﷺ في وفد ثقيف وهو أحدثهم سناً وله تسع وعشرون سنة وذلك سنة عشر. وسكن البصرة ومات بها سنة إحدى وخمسين[1]، ولما مات النبي ﷺ وعزمت ثقيف على الردة قال لهم: يا معشر ثقيف كنتم آخر الناس إسلاماً فلا تكونوا أول الناس ردة، فامتنعوا عن الردة روى عنه جماعة من التابعين رضي الله عنه **(قال: «قلت: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي)** أي يمنعني من الدخول في الصلاة، أو من الشروع في القراءة بدليل تثليث التفل وإن كان في الصلاة وليتفل ثلاث مرات غير متواليات، ويمكن حمل التفل والتعوّذ على ما بعد الصلاة، والمعنى جعل بيني وبين كمالهما حاجزاً من وسوسته المانعة من روح العبادة وسرها وهو الخشوع والخضوع **(يلبسها علي)** بالتشديد للمبالغة، وفي نسخة صحيحة ظاهرة بفتح أوله وكسر ثالثه، أي يخلطني ويشككني فيها، أي في الصلاة أو القراءة أو كل واحدة والجملة بيان لقوله حال وما يتصل به **(فقال رسول الله ﷺ: ذاك شيطان)**[2] أي الملبس، أي خاص من الشياطين لا رئيسهم **(يقال له خنزب)** بخاء معجمة مكسورة ثم نون ساكنة ثم زاي مكسورة أو مفتوحة كذا في النسخ المصححة، وهو[3] من الأوزان الرباعية كزبرج ودرهم، ويقال أيضاً بفتح الخاء والزاي حكاه القاضي عياض، ونظيره جعفر ويقال أيضاً بضم الخاء وفتح الزاي على ما في النهاية، قال ابن حجر: ويصح فتح الخاء مع ضم الزاي وفيه أنه لم يوجد هذا الوزن في الرباعي المجرد وليس في النسخ المصححة وهو في اللغة الجريء على الفجور على ما يفهم من القاموس **(فإذا أحسسته)** أي أدركته وعلمته **(فتعوذ بالله منه)** فإنه لاخلاص من وسوسته إلا بحول الله وقوته

الحديث رقم ٧٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٧٢٨ حديث ٦٨. وأحمد في المسند ٤/٢١٦.

(١) في المخطوطة «خمسون». (٢) في المخطوطة «الشيطان».

(٣) في المخطوطة «عماه».

واتفلْ على يسارك ثلاثاً» ففعلتُ ذلك فأذهبه الله عني. رواه مسلم.

٧٨ . (١٦) وعن القاسم بن محمد: أن رجلاً سأله فقال: إني أهِمُ في صلاتي فيكثرُ ذلك عليَّ، فقال له: امضِ في صلاتك، فإنه لن يذهبَ ذلك عنك حتى تنصرفَ وأنت تقول: ما أتممتُ صلاتي. رواه مالك.

(٣) باب الايمان بالقدر

وحفظه ومعونته (واتفل) بضم الفاء وبكسر (على يسارك) أي عن يسارك كما في نسخة إشارة إلى التنفر والتبعد عن الوسوسة التي تجر إلى كتابة صاحب اليسار، أو إلى طريقة أصحاب الشمال (ثلاثاً) أي ثلاث مرات لزيادة المبالغة في المباعدة (ففعلت ذلك) أي ما ذكر من التعوذ والتفل (فأذهبه الله) أي الوسواس (عني) ببركته عليه الصلاة والسلام (رواه مسلم).

٧٨ - (وعن القاسم بن محمد) أي ابن أبي بكر الصديق أحد الفقهاء السبعة المشهورين بالمدينة من أكابر التابعين، وكان أفضل أهل زمانه. قال يحيى بن سعيد: ما أدركنا بالمدينة أحداً نفضله على القاسم بن محمد. روى عن جماعة من الصحابة منهم عائشة ومعاوية وعنه خلق كثير، مات سنة إحدى ومائة وله سبعون سنة. («أن رجلاً سأله فقال: إني أهم) بكسر الهاء وتخفيف الميم (في صلاتي) يقال وهمت في الشيء بالفتح أهم وهما إذا ذهب وهمك إليه وأنت تريد غيره، ويقال وهمت في الحساب أو هم وهما إذا غلطت فيه وسهوت. (فيكبر) بالموحدة المضمومة أي يعظم (ذلك) أي الوهم (علي) وروي بالمثلثة من الكثرة، أي يقع كثيراً هذا الوهم علي (فقال له: امض في صلاتك) سواء كانت الوسوسة خارج الصلاة أو داخلها ولا تلتفت إلى موانعها (فإنه لن يذهب ذلك عنك) فإنه ضمير للشأن والجملة تفسير له، وذلك إشارة إلى الوهم المعني به الوسوسة. والمعنى لا يذهب عنك تلك الخطرات الشيطانية (حتى تنصرف) أي تفرغ من الصلاة (وأنت تقول[1]) للشيطان صدقت (ما أتممت صلاتي») لكن ما أقبل قولك ولا أتمها إرغاماً لك ونقضاً لما أردته مني، وهذا أصل عظيم لدفع الوساوس وقمع هواجس الشيطان في سائر الطاعات. والحاصل أن الخلاص من الشيطان إنما هو بعون الرحمن والإعتصام بظواهر الشريعة وعدم الالتفات إلى الخطرات والوساوس الذميمة ولا حول ولا قوة إلا بالله [العلي العظيم] (رواه مالك).

(باب الإيمان بالقدر)

هذا نوع تخصيص بعد تعميم، أو ذكر جزئي بعد الكلي اهتماماً به واعتناء باتصافه لما وقع فيه من الاختلاف الناشيء عن التحير في هذا الأمر الذي هو عظيم الشأن بين أهل

الحديث رقم ٧٨: أخرجه مالك في الموطأ ١/ ١٠٠ حديث رقم ٣ من كتاب السهو.

(١) في المخطوطة «تقولها».

الفصل الأول

٧٩ ـ (١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «كتبَ اللهُ مقاديرَ الخلائقِ قبل أن يخلُقَ السمواتِ والأرضَ

الإيمان. والقدر بالفتح ويسكن ما يقدره الله تعالى من القضايا، قال في شرح السنة: الإيمان بالقدر فرض لازم وهو أن يعتقد أن الله تعالى خالق أعمال العباد خيرها وشرها وكتبها في اللوح المحفوظ قبل أن خلقهم، والكل بقضائه وقدره وإرادته ومشيئته غير أنه يرضى الإيمان والطاعة ووعد عليهما الثواب، ولا يرضى الكفر والمعصية وأوعد عليهما العقاب. والقدر سر من أسرار الله تعالى لم يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً، ولا يجوز الخوض فيه والبحث عنه بطريق العقل، بل يجب أن يعتقد أن الله تعالى خلق الخلق فجعلهم فرقتين فرقة خلقهم للنعيم فضلاً وفرقة للجحيم عدلاً. وسأل [رجل] علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: أخبرني عن القدر، قال: طريق مظلم لا تسلكه، وأعاد السؤال، فقال: بحر عميق لا تلجه، فأعاد السؤال فقال: سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه. ولله در من قال:

تبارك من أجرى الأمور بحكمه ✽ كما شاء لا ظلماً أراد ولا هضما
فما لك شيء غير ما الله شاءه ✽ فإن شئت طب نفساً وإن شئت مت كظما

(الفصل الأول)

٧٩ ـ (عن عبد الله بن عمرو) [رضي الله عنهما] (قال: قال رسول الله ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق) جمع مقدار، وهو الشيء الذي يعرف به قدر الشيء وكميته كالمكيال والميزان، وقد يستعمل بمعنى القدر نفسه وهو الكمية والكيفية (قبل أن يخلق السموات والأرض) ومعنى كتب الله أجرى الله القلم على اللوح المحفوظ بإيجاد ما بينهما من التعلق، وأثبت فيه مقادير الخلق ما كان وما هو كائن إلى الأبد على وفق ما تعلقت به إرادته أزلاً، كإثبات الكاتب ما في ذهنه بقلمه على لوحه، وقيل: أمر الله القلم أن يثبت في اللوح ما سيوجد من الخلائق ذاتاً وصفة وفعلاً وخيراً وشراً على ما تعلقت به إرادته. وحكمة ذلك إطلاع الملائكة على ما سيقع ليزدادوا بوقوعه إيماناً وتصديقاً ويعلموا من يستحق المدح والذم فيعرفوا لكل مرتبته، أو قدر وعين مقاديرهم تعييناً بتاً لا يتأتى خلافه بالنسبة لما في علمه القديم المعبر عنه بأم الكتاب، أو معلقاً كأن يكتب في اللوح المحفوظ فلان يعيش عشرين سنة إن حج وخمسة عشر إن لم يحج وهذا هو الذي يقبل المحو والإثبات المذكورين في قوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ [الرعد ـ ٣٩] أي التي لا محو فيها ولا إثبات فلا يقع فيهما إلا ما يوافق ما أبرم فيها كذا ذكره ابن حجر. وفي كلامه خفاء إذ المعلق والمبرم كل منهما مثبت في اللوح غير قابل للمحو، نعم المعلق في الحقيقة مبرم بالنسبة إلى علمه تعالى

الحديث رقم ٧٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٤٤ حديث ١٦. من غير «كان».

بخمسينَ ألفِ سنةٍ» قال: «وكان عرشُهُ على الماء». رواه مسلم.

٨٠ - (٢) وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ شيءٍ بِقَدَرٍ حتى العَجْزُ والكَيْسُ».

فتعبيره بالمحو إنما هو من الترديد الواقع في اللوح إلى تحقيق الأمر المبرم المبهم الذي هو معلوم في أم الكتاب، أو محو أحد الشقين الذي ليس في علمه تعالى فتأمل فإنه دقيق وبالتحقيق حقيق. (**وقوله بخمسين ألف سنة**) معناه طول الأمد ما بين التقدير والخلق من المدد، أو تقديره ببرهة من الدهر الذي يوم منه كألف سنة مما تعدون وهو الزمان، أو من الزمان نفسه، فإن قلت: كيف يحمل على الزمان ولم يخلق الزمان ولا ما يتحدد به من الأيام والشهور والسنين؟ قلت: يحمل الزمان حينئذ على مقدار حركة الفلك الأعظم الذي هو العرش وهو موجود حينئذ بدليل أنه (**قال**) أي النبي ﷺ (**وعرشه على الماء**) وفي المصابيح: «وكان عرشه على الماء» يعني كان عرش الله قبل أن يخلق السموات والأرض على وجه الماء، والماء على متن الريح، والريح على القدرة؛ وهذا يدل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلقهما، وقيل: ذلك الماء هو القلم، وقيل: فيه دليل لمن زعم أن أول ما خلق الله في العالم الماء وإنما أوجد سائر الأجسام منه تارة بالتلطيف وتارة بالتكثيف. قال ابن حجر: اختلفت الروايات في أول المخلوقات وحاصلها كما بينتها في شرح شمائل الترمذي أن أولها النور الذي خلق منه عليه الصلاة والسلام. ثم الماء ثم العرش. (**رواه مسلم**).

٨٠ - (**وعن ابن عمر**) [رضي الله عنهما] (**قال: قال رسول الله ﷺ: كل شيء بقدر**) بفتح الدال، أي بمقدار مرتب مكتوب في اللوح المحفوظ قبل أن يوجد في الخارج على حسب ما اقتضته الحكمة (**حتى العجز والكيس**) بفتح الكاف، رُوي برفعهما عطفاً على كل، أو على أنه مبتدأ حذف خبره أي حتى العجز والكيس كذلك أي كائنان بقدر الله تعالى، وبجرهما عطفاً على شيء، قيل: والأوجه أن يكون حتى هنا جارة بمعنى إلى، لأن معنى الحديث يقتضي الغاية، لأنه أراد بذلك أن اكتساب العباد وأفعالهم كلها بتقدير خالقهم حتى الكيس الذي يتوسل صاحبه به إلى البغية، والعجز الذي يتأخر به عنها. وقيل: المراد من العجز هنا عدم القدرة، أو ترك ما يجب فعله والتسويف به والتأخير عن وقته، أو العجز عن الطاعة، والكيس ضد العجز وهو النشاط والحذق بالأمور ومعناه: أن العاجز قد قدر عجزه والكيس قد قدر كيسه، وقيل: الكيس هو كمال العقل وشدة معرفة الأمور وتمييز ما فيه النفع مما فيه الضر والعجز مقابله، قوبل الكيس بالعجز على المعنى لأن المقابل الحقيقي للكيس البلادة وللعجز القوة، وفائدة هذا الأسلوب تقييد كل من اللفظين بما يقابل الآخر كأنه قيل: حتى الكيس والقوة والعجز والبلادة من قدر الله تعالى، فهو رد على من أثبت القدرة والاختيار للعباد لأن

الحديث رقم ٨٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٤٥ حديث ١٨. وأخرجه الإمام مالك في الموطأ ٢/ ٨٩٩ كتاب القدر حديث رقم ٤. وأحمد في مسنده ٢/ ١١٠.

رواه مسلم.

٨١ - (٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «احتجَّ آدمُ وموسى عند ربّهما، فحجَّ آدمُ موسى؛ قال موسى: أنت آدمُ الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه،

مصدر الفعل الداعية ومنشؤها القلب الموصوف بالكياسة والبلادة، ثم القوّة والضعف ومكانها الأعضاء والجوارح. وإذا كان الكل بقضاء الله وقدره فأي شيء يخرج منهما، وقال التوربشتي: الكيس جودة القريحة وإنما قوبل بالعجز لأنه الخصلة التي تفضي بصاحبها إلى الجلادة وإتيان الأمور من أبوابها وذلك نقيض العجز. والعجز هنا عدم القدرة، وقال المظهر: يعني أن من كان عاجزاً وضعيفاً في الجثة، أو الرأي والتمييز، أو ناقص الخلقة لا تعيره، فإن ذلك بتقدير الله تعالى وخلقه إياه على هذه الصفة، ومن كان كامل العقل بصيراً بالأمور تام الجثة فهو أيضاً بتقدير الله تعالى وليس ذلك بقوّته وقدرته فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله. قيل: الوجه ما ذكره التوربشتي. **(رواه مسلم)** وكذا أحمد.

٨١ - **(وعن أبي هريرة)** [رضي الله عنه] **(قال: قال رسول الله ﷺ: «احتج)** أي تحاج **(آدم وموسى)** أي طلب كل منهما الحجة من صاحبه على ما يقول، قيل: هذه المحاجة كانت روحانية في عالم الغيب ويؤيده قوله **(عند ربهما)** أي عند تجليه تعالى عليهما حال تفاوضهما، ويجوز أن تكون جسمانية بأن أحياهما، أو أحيا آدم في حياة موسى واجتمعا في حضائر القدس كما ثبت في حديث الإسراء أنه عليه الصلاة والسلام اجتمع مع الأنبياء، أو لأن الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون[1]. **(فحج آدم موسى)** أي غلبه في الحجة بأن ألزمه بأنه لم يكن مستقلاً فيما صدر عنه متمكناً من تركه، بل كان أمراً مقضياً فاللوم بعد زوال التكليف والتوبة والعفو عنه لا سيما ممن شاهد سر الله من وراء الأستار في القدر المحتوم مما لا يحسن عقلاً، وأما ما ترتب عليه شرعاً من الحدود والتعزير فحسنه من الشارع لا يتوقف على غرض وإن كان فيه فائدة **(قال موسى:)** الخ جملة مبينة لمعنى ما قبلها **(أنت آدم الذي خلقك الله بيده)** أي قدرته خصه بالذكر إكراماً وتشريفاً له وأنه خلق إبداعاً من غير واسطة أب وأم، والقياس خلقه ليعود الضمير على الموصول حتى يصح وقوع الجملة صلة، فالتفت تلذذاً بخطاب الأب الحائز لهذا الشرف الأكبر كذا قيل، والأظهر أنه لغة كقول علي رضي الله عنه:

* أنا الذي سمتني أمي حيدرة *

(ونفخ فيك من روحه) الإضافة للتشريف والتخصيص، أي من الروح الذي هو مخلوق

الحديث رقم ٨١: أخرجه البخاري في صحيحه بشيء من الاختصار ١١/٥٠٥ حديث رقم ٦٦١٤. وأخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٠٤٣ حديث ١٥. وأخرجه أبو داود مختصراً ٥/٧٦ حديث ٤٧٠١. والترمذي ٤/٣٨٦ حديث رقم ٢١٣٤. وابن ماجة في مقدمته ١/٣١ حديث رقم ٨٠.

(١) الديلمي في مسند الفردوس.

وأسجَدَ لك ملائكتَهُ، وأسكنَكَ في جنَّتِهِ، ثم أهبطتَ الناسَ بخطيئتِكَ إلى الأرضِ؟ قالَ آدم: أنت موسى الذي اصطفاكَ اللّهُ برسالتِهِ وبكلامِهِ، وأعطاكَ الألواحَ فيها تِبيانُ كلِّ شيءٍ، وقرَّبكَ نجيّاً، فَبِكَمْ وجدتَ الله كتبَ التوراة

ولا يد لأحد فيه، ولا يخفى ما في الحديث من الإشارة إلى ما في القرآن: **(وأسجد لك ملائكته)** أي أمرهم أن يسجدوا لك، أو إليك تعظيماً. قال ابن عباس: كان سجودهم له انحناء لآخر وراً على الذقن. وقال ابن مسعود: أمروا بأن يأتموا به فسجد وسجدوا لله، فالتقدير: أمرهم بأن يسجدوا لله لأجل سجودك إياه، أو اللام للتوقيت. وقال أبي بن كعب: خضعوا له وأقروا بفضله فالسجدة لغوية بمعنى الانقياد. **(وأسكنك)** أي جعلك ساكناً، أو جعل لك سكنى **(في جنته)** الخاصة به، وفيه رد لفظاً ومعنى على المعتزلة حيث قالوا: في بستان من بساتين الدنيا **(ثم أهبطت الناس بخطيئتك)** أي التي صدرت منك غير لائقة بعلو مقامك وهي أكلك من الشجرة وإن كان نسياناً أو خطأً في الاجتهاد لأن الكمل يعاتبون ويؤاخذون بما لا يؤاخذ به غيرهم، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين، أي صرت سبباً لإهباطهم وإنزالهم وإسقاطهم فإنهم وإن لم يكونوا موجودين لكنهم كانوا على شرف الوجود فكأنه جعلهم مهبطين منها. **(إلى الأرض)** متعلق بأهبطت، يعني أن الله تعالى أنعم عليك بهذه النعم الجليلة وأنت عصيته بأكل الشجرة حتى أخرجت من الجنة بسببها وبقي أولادك في دار المشقة والبلوى والابتلاء من الله تعالى بالفقر والمرض وغير ذلك، ولو استمروا في الجنة لم يحصل لهم شيء من ذلك بل كانوا في غاية من النعيم الذي لا نعيم فوقه، وليس في هذا ما يخل بالأدب مع الأب لأن مقام الاحتجاج يسامح فيه بمثل ذلك. **(قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك)** أي اختارك **(الله برسالاته)** بالجمع لإرادة الأنواع، أو بالإفراد لإرادة الجنس كما قرىء بالوجهين في قوله تعالى: **﴿يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي﴾** [الأعراف ـ ١٤٤] والجمهور على الجمع وليس فيه ما ينفي رسالة آدم لأن كلا ذكر ما هو الأشرف من صفات صاحبه، وتخصيص الشيء بالذكر لا ينفي ما عداه مع أنه يمكن أن يكون المراد اصطفاه بالجمع بين الرسالة والتكليم، واختص بذلك لأنه لم يسمع كلام الله القديم أحد في الأرض غيره، وفيه تلميح إلى قوله تعالى: **﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾** [النساء ـ ١٦٤] **(وبكلامه)** أي بتكليمه إياك **(وأعطاك الألواح)** وهي ألواح التوراة **(فيها تبيان كل شيء)** أي بيانه على وجه المبالغة، لأن زيادة الحرف تدل على زيادة المعنى، والجملة استئنافية مبينة أو صفة، أي الألواح التي فيها إظهار كل شيء مما يحتاج إليه في أمر الدين من الإخبار بالغيوب والقصص والمواعظ والعقائد والحلال والحرام والحدود والأحكام وغير ذلك، وهذا مستمد من قوله تعالى: **﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء﴾** [الأعراف ـ ١٤٥] **(وقربك نجياً)** النجي المناجي يستوي فيه الواحد والجمع، وهو من يجري بينك وبينه كلام في السر، أي وكلمك الله من غير واسطة ملك، أو المعنى وخصك بالنجوى كما قال تعالى: **﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً﴾** [مريم ـ ٥٢] حال من الفاعل أو المفعول. **(فبكم)** مميزه محذوف، أي فبكم زماناً، أو فبأي زمان **(وجدت الله)** أي علمته، أو صادفت حكمه **(كتب التوراة)** أي أمر بكتب

قبل أن أُخلق؟ قال موسى: بأربعين عاماً. قال آدم: فهل وجدتَ فيها ﴿وعصى آدمُ ربَّهُ فغوى﴾؟ قال: نعم. قال: أفتلومُني على أن عملتُ عملاً كتبه اللّٰهُ عليَّ أن أعمَلَه قبل أن يخلُقَني بأربعين سنة؟» قال رسول الله ﷺ: «فحجَّ آدمُ موسى».

التوراة في الألواح لما سبق أن ما في اللوح المحفوظ كتب قبل ذلك بخمسين ألف سنة (**قبل أن أخلق؟**) على صيغة المجهول (**قال موسى: بأربعين عاماً**) المراد منه التحديد، أو التكثير (**قال آدم: فهل وجدت فيها**) أي في التوراة وقرأت وعلمت مضمون قوله تعالى ﴿**وعصى آدم ربه**﴾ أي بمخالفة أمره ﴿**فغوى**﴾؟[1] أي فخرج بالعصيان من أن يكون راشداً في فعله، وليس المراد أن لفظه بهذا التركيب بل معناه بالعبرية. قال ابن حجر: وهذا منه في غاية التواضع لله وإذعان لما جاء عن الله وله تعالى أن يخاطب عبيده ويصفهم بما يشاء، إذ المعصية والغواية يطلقان على مطلق المخالفة ولو مع النسيان كما هنا فإن آدم لم يتعمد الأكل من الشجرة المنهي عنها، بل تأوّل أو نسي قال تعالى: ﴿**ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي**﴾ [طه - ١١٥] ومع ذلك وصفه ربه بأنه عصى وغوى إقامة لناموس الربوبية عليه لا ليتأسى به الناس في وصفه بذلك لعصمة الأنبياء من الكبائر والصغائر قبل النبوّة وبعدها فلم يوصف بذلك في غير القرآن لأنه يوهم العامة وقوع معصية منه عليه الصلاة والسلام. (**قال:**) أي موسى (**نعم قال:**) أي آدم (**أفتلومني**) أي أتجد في التوراة هذا فتلومني (**على أن عملت عملاً كتبه الله علي**) أي في الألواح (**أن أعمله**) بدل من ضمير كتبه المنصوب (**قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟**) قال التوربشتي: ليس معنى قول آدم كتبه الله عليّ ألزمه إياي وأوجبه عليّ فلم يكن لي في تناول الشجرة كسب واختيار، وإنما المعنى إن الله تعالى أثبته في أم الكتاب قبل كوني وحكم بأنه كائن لا محالة فهل يمكن أن يصدر عني خلاف علم الله تعالى؟ فكيف تغفل عن العلم السابق وتذكر الكسب الذي هو السبب وتنسى الأصل الذي هو القدر وأنت ممن اصطفاك الله ومن المصطفين الذين يشاهدون سر الله من وراء الأستار؟.

واعلم أن هذه القصة تشتمل على معانٍ محرزة لدعوى آدم عليه الصلاة والسلام مقررة لحجته؛ منها أن هذه المحاجة لم تكن في عالم الأسباب الذي لم يجوّز فيه قطع النظر عن الوسائط والاكتساب بل في عالم العلوي عند ملتقى الأرواح ومنها أن آدم عليه الصلاة والسلام احتج بذلك بعد اندفاع مواجب الكسب منه وارتفاع أحكام التكليف[2] [عنه، ومنها أن اللائمة كانت بعد سقوط الذنب وموجب المغفرة، قيل: مذهب أهل الجبر إثبات التقدير لله تعالى ونفي القدرة] عن العبد أصلاً، والمعتزلة على خلافه. وكلاهما على شرف جرفٍ هارٍ والطريق المستقيم القصد بين الأمرين كما هو مذهب أهل السنة إذ لا يجوز إسقاط الأصل الذي هو القدر ولا إبطال الكسب الذي هو السبب. (**قال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى**) لامتناع رد علم الله في حقه حيث أخبر به عنه أنه إنما خلقه للأرض وأنه لا يتركه في الجنة بل إنه ينقله

---

(١) وهي الآية ١٢١ من سورة طه.

(٢) في المخطوطة القدرة.

رواه مسلم.

٨٢ - (٤) وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: حدثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق: «إنَّ خلْقَ أحدِكُم يُجمعُ في بطن أمّهِ أربعينَ يوماً

منها إلى الأرض ليكون خليفته تعالى فيها، قال الطيبي: إعادته فذلكة للتفصيل تثبتاً للأنفس على هذا الاعتقاد، ويحتمل أن يقال: إن قوله: «فحج» أولاً تحرير للدعوى، وثانياً إثبات لها، فالفاء في الأول للعطف وفي الأخير للنتيجة. اهـ. وهما متغايران في المعنى (رواه مسلم).

٨٢ - (وعن ابن مسعود) [رضي الله عنه] (قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق) الأولى أن تجعل هذه الجملة اعتراضية لا حالية لتعم الأحوال كلها، وأن يكون من عادته ذلك فما أحسن موقعه ههنا، ومعناه الصادق في جميع أفعاله حتى قبل النبوّة لما كان مشهوراً فيما بينهم بمحمد الأمين المصدوق في جميع ما أتاه من الوحي الكريم صدقه زيد راست كفت باوزيد قال النبي ﷺ في أبي العاص بن الربيع: «فصدقني» وقال في حديث أبي هريرة: «صدقك وهو كذوب»[١]، وقال علي رضي الله عنه للنبي ﷺ في حديث الإفك: «سل الجارية تصدقك»[٢] ونظائره كثيرة. كذا قال السيد جمال الدين، وفيه رد على ما قيل إن الجمع بينهما تأكيد إذ يلزم من أحدهما الآخر اللهم إلا أن يخص به (إن خلق أحدكم) بكسر الهمزة فتكون من جملة التحديث. ويجوز فتحها أي مادة خلق أحدكم، أو ما يخلق منه أحدكم (يجمع في بطن أمه) أي يقرر ويحرز في رحمها، وقال في النهاية: ويجوز أن يريد بالجمع مكث النطفة في الرحم (أربعين يوماً) يتخمر فيها حتى يتهيأ للخلق، قال الطيبي: وقد روي عن ابن مسعود في تفسير هذا الحديث أن النطفة إذا وقعت في الرحم فأراد الله أن يخلق منها بشراً طارت في بشرة المرأة تحت كل ظفر وشعر، ثم تمكث أربعين ليلة ثم تنزل دماً في الرحم فذلك جمعها، والصحابة أعلم الناس بتفسير ما سمعوه وأحقهم بتأويله وأكثرهم احتياطاً فليس لمن بعدهم أن يرد عليهم. قال ابن حجر: والحديث رواه ابن أبي حاتم وغيره، وصح تفسير الجمع بمعنى آخر وهو ما تضمنه قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله تعالى إذا أراد خلق عبد فجامع الرجل المرأة طار ماؤه في كل عرق وعضو منها، فإذا كان يوم السابع جمعه الله ثم أحضره كل عرق له دون آدم في أي صورة ما شاء ركبك»، ويشهد لهذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام: لمن قال له: ولدت امرأتي غلاماً أسود «لعله نزعه عرق»[٣]. وأصل النطفة الماء القليل سُمي بها المني لقلته، وقيل: لنطافته أي سيلانه لأنه ينطف نطفاً أي يسيل، قال

الحديث رقم ٨٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٠٣ حديث رقم ٣٢٠٨. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٣٦ حديث ١ وأخرجه أبو داود في سننه ٥/ ٨٢ حديث رقم ٤٧٠٨. وأخرجه الترمذي ٤/ ٣٨٨ حديث رقم ٢١٣٧ وابن ماجة في مقدمة سننه ١/ ٢٩ حديث رقم ٧٦.

(١) البخاري ٦/ ٣٣٥ حديث رقم ٣٢٧٥.

(٢) البخاري ٧/ ٤٣١ حديث ٤١٤١. (٣) البخاري ١٣/ ٢٩٦ حديث ٧٣١٤ ومسلم.

نطفةً، ثمّ يكونُ علقةً مثلَ ذلك، ثمّ يكونُ مُضغةً مثلَ ذلك، ثم يَبْعَثُ اللَّهُ إليه مَلَكاً

الصوفية [خصوصية] الأربعين لموافقته تخمير طينة آدم وميقات موسى، ثم إنه يعجن النطفة بتراب قبره كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿منها خلقناكم﴾ [طه ـ ٥٥] أن الملك يأخذ من تراب مدفنه فيبددها على النطفة، ولكونه سلالة من الطين [جاء] مختلف الألوان والأخلاق حسب اختلاف أجزاء الطين، بل بحسب اختلاف المركبات من الطين فيه حرص النملة والفأرة وشهوة العصفور وغضب الفهد وكبر النمر وبخل الكلب وشره الخنزير وحقد الحية وغير ذلك من ذمائم الصفات، وفيه شجاعة الأسد وسخاوة الديك وقناعة البوم وحلم الجمل وتواضع الهرة ووفاء الكلب وبكور الغراب وهمة البازي ونحوها من محاسن الأخلاق. (**نطفة**) حال من فاعل يجمع (**ثم يكون**) أي خلق أحدكم (**علقة**) أي دماً غليظاً جامداً، قال ابن حجر: أي ثم عقب هذه الأربعين يكون في ذلك المحل الذي اجتمعت فيه النطفة علقة، والأظهر أن قوله: «يكون» بمعنى يصير، والضمير إلى ما جمع في [بطن] أمه نطفة، وقيل: يصير خلقه علقة لأنها إذ ذاك تعلق بالرحم. ا هـ. وفيه أنه يلزم منه أن الصيرورة في أربعين وليس كذلك فالظاهر أن يقدر ويبقى أو يمكث (**مثل ذلك**) إشارة إلى محذوف، أي مثل ذلك الزمان يعني أربعين يوماً. (**ثم يكون مضغة**) أي قطعة لحم قدر ما يمضغ (**مثل ذلك**) ويظهر التصوير في هذه الأربعين، قال المظهر: في هذا التحويل مع قدرته على خلقه في لمحة فوائد وعبر؛ منها أنه لو خلقه دفعة لشق على الأم لعدم اعتيادها وربما تظن علة فجعل أولاً نطفة لتعتاد بها مدة وهكذا إلى الولادة، ومنها إظهار قدرته ونعمته ليعبدوه ويشكروه حيث قلبهم من تلك الأطوار إلى كونهم إنساناً حسن الصورة متحلياً بالعقل والشهامة، ومنها إرشاد الناس وتنبيههم على كمال قدرته على الحشر لأن من قدر على خلق الإنسان من ماء مهين ثم من علقة ثم من مضغة مهيأة لنفخ الروح فيه [يقدر على حشره ونفخ الروح فيه]، قلت: ومنها بل أظهرها اظهرها لتعليم العباد في تدريج الأمور وعدم تعجيلهم فيها، فإنه تعالى مع كمال قدرته وقوته على خلقه دفعة حيث خلقه مدرجاً فإن الإنسان أولى به التأني في فعله كما قالوا مثل هذا[1] في قوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾ [الأعراف ـ ٥٤] فحصلت المطابقة والمناسبة والموافقة بين الآيات الآفاقية والدلالات الأنفسية، قال تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ [فصلت ـ ٥٣] ومنها تنبيههم وتفهيمهم أصلهم وفرعهم فلا يغتروا بقوة أبدانهم وأعضائهم وحواسهم ويعرفوا أنها كلها عطايا وهدايا بل على وجه العارية موجودة عندهم لينظروا في مبدئهم كما قال تعالى: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾ [الطارق ـ ٥] وفي الحديث: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» (**ثم يبعث الله إليه**) أي إلى خلق أحدكم، أو إلى أحدكم يعني في الطور الرابع حين ما يتكامل بنيانه ويتشكل أعضاؤه (**ملكاً**) وفي الأربعين: «ثم يرسل إليه الملك»، والمراد بالإرسال أمره بها والتصرف فيها لأنه ثبت في الصحيحين: أنه موكل بالرحم حين كان نطفة أو[2]، ذاك ملك آخر غير ملك الحفظ فإن قلت

(١) في المخطوطة «ذلك».
(٢) في المخطوطة «إذ».

بأربعِ كلماتٍ: فيكتُبُ عملَهُ، وأجلَهُ ورزقَهُ، وشقيٌّ أو سعيد،

قد ورد في صحيح مسلم برواية حذيفة ابن أسيد خلاف ابن مسعود كما في المشارق: أنه إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكاً فصوّرها وخلق سمعها وبصرها وجلدها وعظامها، ثم يقول: يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء، ثم يكتب أجله ورزقه. فعلم منه أن التصوير بعد الأربعين الأولى وهو مناف لهذه الرواية، فجوابه أن لتصرف الملك أوقاتاً أحدها حين يكون نطفة ثم ينقلب علقة وهو أوّل علم الملك بأنه ولد وذلك عقيب الأربعين الأولى وحينئذ يبعث إليه ربه يكتب رزقه وأجله وعمله وخلقته وصورته، ثم يتصرف فيه بتصويره وخلق أعضائه وذلك في الأربعين الثالثة، ثم ينفخ فيه الروح؛ فالمراد بتصويرها بعده أنه يكتب ذلك ثم يفعله في وقت آخر لأن التصوير الأوّل بعد الأربعين الأولى غير موجود عادة كذا في شرح مسلم، ولا يخفى ما فيه. وقد استفاض بين النساء أن النطفة إذا قدرت ذكراً تتصوّر بعد الأربعين الأولى بحيث يشاهد منه كل شيء حتى السوأة فتحمل رواية ابن مسعود على البنات أو الغالب **(بأربع كلمات)** أي بكتابتها، وكل قضية تسمى كلمة قولاً كان أو فعلاً **(فيكتب عمله)** من الخير والشر **(وأجله)** مدة حياته، أو انتهاء عمره **(ورزقه)** يعني أنه قليل أو كثير وغيرهما مما ينتفع به حلالاً كان أو حراماً مأكولاً أو غيره فيعين له وينقش فيه بعد أن كانت مكتوبة في اللوح المحفوظ ما يليق به من الأعمال والأعمار والأرزاق حسب ما اقتضته حكمته وسبقت كلمته؛ فمن وجده مستعداً لقبول الحق وأتباعه ورآه أهلاً للخير وأسباب الصلاح متوجهاً إليه أثبته في عداد السعداء، ومن وجده متجافياً قاسي القلب متأبياً عن الحق أثبته في ديوان الأشقياء، وكتب ما يتوقع منه من الشرور والمعاصي، هذا إذا لم يعلم من حاله ما يقتضي تغير ذلك وإن علم من ذلك شيئاً كتب له أوائل أمره وأواخره وحكم عليه حسب ما يتم به عمله فإن ملاك العمل خواتيمه وهو الذي يسبق إليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة والنار، وقيل: المراد بكتبه هذه الأشياء إظهاره للملك وإلا فقضاؤه سابق على ذلك، قال مجاهد: يكتب هذه الكلمات في ورقة وتعلق في عنقه بحيث لا يراها الناس، قال تعالى: ﴿**وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه**﴾ [الإسراء - ١٣] قال أهل المعاني: أراد بالطائر ما قضى عليه أنه عامله وهو صائر إليه من سعادة أو شقاوة، وخص العنق لأنه موضع القلادة والأطواق. قلت: وهو كناية عن الذمة فكأن هذه الأشياء في ذمته أن يفعلها ولا يقدر أن ينفك عنها، وقيل: يؤمر بكتابة الأحكام المقدرة له على جبهته أو بطن كفه.

واعلم أن الكتابة التي في أم الكتاب تعم الأشياء كلها وهذا ما يخص به كل إنسان، إذ لكل كتابة سابقة وهي ما في اللوح، ولاحقة تكتب ليلة القدر، ومتوسطة أشير إليها في الحديث، وفي أصل الأربعين: «يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»، وهو بدل كل من قوله: «أربع» إذ المضاف مقدر فيه، ويُروى يكتب على الاستئناف. **(وشقي)** خبره مبتدأ محذوف، أي يكتب هو شقي **(أو سعيد)** قيل: كان من حق الظاهر أن يقال: ويكتب سعادته وشقاوته فعدل إما حكاية لصورة ما يكتبه الملك لأنه يكتب أشقي أو سعيد؟

ثم يُنفَخُ فيهِ الروحُ، فوالذي لا إله غيره إن أحدَكم ليعمَلُ بعمل أهلِ الجنّة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسْبِقُ عليه الكتابُ،

و[1]التقدير: أنه شقي أو سعيد فعدل لأن الكلام مسوق إليهما، والتفصيل وهو قوله: «فوالذي» الخ وارد عليهما. [والسعادة معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخيرات، وتضادها الشقاوة وهي إما قلبية، أو بدنية، أو ما حول البدن؛ فالقلبية هي المعارف، والحكم والكمالات العلمية والعملية القلبية والخلقية والبدنية الصحة والقوّة واللذات الجسمانية، وما حول البدن من الأموال والأسباب. وقدم الشقاوة ليعلم أن الشر كالخير من عند الله، وتقديره رداً على الثنوية المثبتين شريكاً فاعلاً للشر لأنهم طلبوا الحكمة في أفعال الله فقالوا: مدبر العالم لو كان واحداً لم يخص هذا بأنواع الخيرات والصحة والغنى وذلك بأصناف الشرور، فرد عليهم الرب بقوله: ﴿لا يسئل عما يفعل﴾ وما أحسن قول الشاعر:

كم من أديب فهم قلبه * مستكمل العقل مقل عديم
وكم جهول مكثر ماله * ذلك تقدير العزيز العليم

وتحقيق هذا المقام أن يقال: إن لله صفتي لطف وقهر، والحكمة تقتضي أن يكون الملك سيما ملك الملوك كذلك إذ كل منهما من أوصاف الكمال ولا يقوم أحدهما مقام الآخر، ولا يتحقق كل منهما إلا بوجود الآخر كما لا تتبين اللذة إلا بالألم وبضدها تتبين الأشياء ولا بد لكل منهما من مظهر فالسعداء وأعمالهم مظاهر اللطف وفائدة بعثة الأنبياء والكتب ترجع إليهم: ﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾ [النازعات ـ ٤٥] كما أن فائدة نور الشمس لأهل البصر، والأشقياء وأفعالهم مظاهر القهر، وفائدة البعثة لهم إلزام الحجة لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وهي في الحقيقة نعي عليهم بالشقاوة] (**ثم ينفخ**) على البناء للمجهول، وقيل: إنه معلوم (**فيه الروح**) بالوجهين أي ثم بعد هذا البعث لا قبله وعكس ذلك الواقع في رواية البيهقي المراد به ترتيب الأخبار فقط، على أن رواية الشيخين مقدمة على غيرها كذا ذكره ابن حجر، لكن وقع في الأربعين النووية بلفظ: «فينفخ فيه الروح ويؤمر» الخ ونسب إلى الشيخين فتأمل فلعلهما روايتان والله أعلم. (**فوالذي لا إله غيره**) القسم لإفادة التحقيق وتأكيد التصديق وليعلم في أمر القضاء إن الكسب لا مدخل له في الحقيقة أي إذا كان الشقاوة والسعادة مكتوبة (**إن أحدكم**) ولفظ المصابيح: «فإن الرجل» أي الشخص (**ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون**) في الموضعين بالرفع لا لأن ما النافية كافة عن العمل بل لأن المعنى على حكاية حال الرجل لا الإخبار عن المستقبل كذا قاله السيد جمال الدين. وقال المظهر: حتى هي الناصبة وما نافية ولفظة «يكون» منصوبة بحتى وما غير مانعة لها من العمل. وقال ابن الملك: الأوجه أنها عاطفة ويكون بالرفع عطف على ما قبله. (**بينه وبينها**) أي بين الرجل وبين الجنة (**إلا ذراع**) تمثيل لغاية قربها (**فيسبق عليه الكتاب**) ضمن معنى يغلب، ولذا عدي بعلى وإلا فهو متعد

(١) في المخطوطة «أو».

فيعملُ بعملِ أهلِ النار فيدخلُها. وإنَّ أحدَكم ليعمل بعمل أهل النَّارِ حتى ما يكونُ بينَهُ وبينها إلا ذراعٌ، فيسبقُ عليه الكتابُ، فيعملُ بعملِ أهل الجنَّةِ فيدخلُها». متفق عليه.

٨٣ ـ (٥) وعن سهل بن سعد

بنفسه، أي يغلب عليه كتاب الشقاوة، والتعريف للعهد، والكتاب بمعنى المكتوب أي المقدر أو التقدير أي التقدير الأزلي. والفاء للتعقيب يدل على حصول السبق بلا مهلة **(فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها)** فيه إشارة إلى أن دخول النار لا يكون بمجرد تعلق العلم الإلهي بل لا بد من ظهور العمل المخلوقي فلا يكون جبراً محضاً ولا قدراً بحتاً وهذا مما سنح لي، وقيل [لأن بذر الشقاوة والسعادة قد اختفى في الأطوار الإنسانية لا يبرز إلا إذا انتهى إلى الغاية الإيمانية، أو الطغيانية] والله أعلم **(وإن أحدكم)** أي الآخر **(ليعمل بعمل أهل النار)** من الكفر والمعاصي **(حتى ما يكون)** بالوجهين **(بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب)** قيل: فيه دلالة ظاهرة على أن الأعمال أمارات لا موجبات، وإن مصيرها إلى ما جرى به المقادير في البداية. **(فيعمل بعمل أهل الجنة)** بأن يستغفر ويتوب **(فيدخلها)** أقول في الحديث تنبيه على أن السالك ينبغي أن لا يغتر بأعماله الحسنة ويجتنب العجب والتكبر والأخلاق السيئة ويكون بين الخوف والرجاء ومسلماً بالرضا تحت حكم القضاء، وكذا إذا صدرت منه الأعمال السيئة فلا ييأس من روح الله تعالى الطيبة فإنها إذ أبدت عين العناية ألحقت الآخرة بالسابقة، وكذا الحال بالنسبة إلى الغير في الأعمال فلا يحكم لأحد بأنه من أهل الجنة والدرجات وإن عمل ما عمل من الطاعات، أو ظهر عليه من خوارق العادات، ولا يجزم في حق أحد بأنه من أهل النار والعقوبات ولو صدر منه جميع السيئات والمظالم والتبعات، فإن العبرة بخواتيم الحالات ولا يطلع عليها غير عالم الغيب والشهادات [ثم اعلم أن ما يجري في العالم من الإيمان والكفر والسعادة والشقاوة ومن الكليات والجزئيات بتقدير الله وإيجاده، إذ لا مؤثر في الوجود إلا الله المتعالي عن الشريك ذاتاً وصفةً وفعلاً، يفعل الله ما يشاء لا علة لفعله ولا معقب لحكمه، لا يسأل عما يفعل، ولا مجال للعقل في تحسين الأفعال وتقبيحها بل يحسن صدورها كلها عنه، والاستقلال للعبد في الأفعال والمدح والذم باعتبار المحلية لا باعتبار الفاعلية، كما يمدح الشيء بحسنه. والثواب والعقاب كسائر الأمور العادية؛ فإن الله أجرى عادته بأن يوجد الأسباب أوّلاً ثم يوجد المسببات عقيبها فكل منهما صادر عنه ابتداء. وأما البعثة والتكليف فلأن الله يجب اتصافه بالأمر والنهي والوعد والوعيد ولا بد لها من مظهر كما كان كذلك في جميع الصفات فكلف العباد بهما ورتب عليه الوعد والوعيد إظهاراً لمقتضى سلطنته كما قال: كنت كنزاً مخفياً فأردت أن أعرف فخلقت الخلق لأن أعرف] **(متفق عليه)**.

٨٣ ـ **(وعن سهل بن سعد)** أي الساعدي الأنصاري، يُكنى أبا العباس، وكان اسمه حزناً

الحديث رقم ٨٣: أخرجه البخاري من حديث طويل ١١/ ٤٩٩ حديث ٦٦٠٧. ورواه مسلم من غير «إنما الأعمال بخواتيمها» ١/ ١٠٦ حديث (١٧٩ . ١١٢).

رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبدَ ليعملُ عملَ أهلِ النارِ وإنَّهُ من أهلِ الجنّةِ، ويعملُ عملَ أهلِ الجنّةِ وإنّهُ من أهلِ النّارِ، وإنّما الأعمالُ بالخواتيم». متفق عليه.

٨٤ ـ (٦) وعن عائشةَ، رضي الله عنها، قالت: دُعِيَ رسولُ الله ﷺ إلى جَنازةِ صَبيٍّ من الأنصارِ، فقلت: يا رسولَ اللهِ! طُوبَى لهذا،

فسماه النبي ﷺ سهلاً، ومات النبي ﷺ وله خمس عشرة سنة، ومات سهل بالمدينة سنة إحدى وتسعين وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة، روى عنه ابنه العباس والزهري وأبو حازم. **(رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد)** أي عبد من عبيد الله **(ليعمل عمل أهل النار)** أي ظاهراً وصورة أو، أوّلاً، أو في نظر الخلق. **(وإنه من أهل الجنة)** أي باطناً، ومعنى، أو آخراً، أو في علم الله تعالى. والواو حالية وإن مكسورة بعدها. **(ويعمل)** أي عبد آخر **(عمل[1] أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال)** أي اعتبارها **(بالخواتيم»)** أي بما يختم عليه أمر عملها، وهو تذييل لما قبله مشتمل على حاصله؛ فرب كافر متعند يسلم في آخر عمره ورب مسلم متعبد يكفر في غاية أمره، قيل: في هذا الحديث حث على مواظبة الطاعات ومحافظة الأوقات عن المعاصي والسيئات خوفاً من أن يكون ذلك آخر عمله، وفيه زجر عن العجب فإن العبد لا يدري ماذا يصيبه في العاقبة، وفيه أنه لا يجوز الشهادة لأحد[2] بالجنة ولا بالنار، قيل: وفيه أيضاً أنه تعالى يتصرف في ملكه كيف يشاء وكل ذلك عدل وصواب ولا اعتراض بل لا نجاة إلا بالتسليم لقضاء الله تعالى وقدره. **(متفق عليه)**.

٨٤ ـ **(وعن عائشة [رضي الله عنها])** هي أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق، وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر خطبها النبي ﷺ وتزوّجها بمكة في شهر شوّال سنة عشر من النبوّة وقبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: غير ذلك، وأعرس بها بالمدينة في شوّال سنة اثنتين من الهجرة على رأس ثمانية عشرة شهراً ولها تسع سنين، وبقيت معه تسع سنين ومات عنها ولها ثماني عشرة سنة ولم يتزوّج[3] بكراً غيرها. وكانت فقيهة عالمة فصيحة فاضلة كثيرة الحديث عن رسول الله ﷺ عارفة بأيام العرب وأشعارها، روى عنها جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين، وماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان، وأمرت أن تدفن ليلاً فدفنت بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة وكان يومئذ خليفة مروان على المدينة في أيام معاوية، مروياتها ألف ومائتا حديث وعشرة أحاديث. **(قالت: «دُعي)** مجهول **(رسول الله ﷺ)** أي للصلاة **(إلى جنازة صبي)** بفتح الجيم وتكسر **(من الأنصار، فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا)** طوبى فعلى من طاب يطيب، قلبت الياء واواً وكسرت الباء كما في بيض

---

(١) في المخطوطة «يعمل». (٢) في المخطوطة «لا حد الشهادة».

الحديث رقم ٨٤: أخرجه مسلم في الصحيح ٤/ ٢٠٥٠ حديث وأخرجه النسائي في سننه ٤/ ٥٧ حديث رقم ١٩٤٧ وابن ماجة ١/ ٣٢ حديث رقم ٨٢. وأحمد في المسند ٦/ ٢٠٨.

(٣) في المخطوطة يزوجها.

عُصفورٌ من عصافير الجنة، لم يعمل السوء ولم يُدركه. فقال: «أو غير ذلك

جمع أبيض إبقاءً للأصل. واختلفوا في معناه فقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿طوبى لهم﴾ [الرعد - ٢٩] معناه فرح وقرة عين لهم، وقيل: الحسنى لهم، وقيل: خير وكرامة لهم، وقيل: اسم الجنة بالحبشية، وقيل: اسمها بالهندية، وقيل: اسم شجر في الجنة، وقيل: معناه أصيب خيراً على الكناية لأن إصابة الخير مستلزمة لطيب العيش ولأنه يقال في حق المصيب طوبى لك فاطلق اللازم على الملزوم، وقيل: طوبى تأنيث أطيب أي الراحة وطيب العيش حاصل لهذا الصبي (**هو عصفور**) أي طير صغير (**من عصافير الجنة**) أي هو مثلها من حيث إنه لا ذنب عليه وينزل في الجنة حيث يشاء، قال ابن الملك: شبهته بالعصفور كما هو صغير إما بالنسبة إلى ما هو أكبر منه من الطيور، وإما لكونه خالياً من الذنوب من عدم كونه مكلفاً. اهـ. والأظهر الثاني فهو تشبيه بليغ، وما قيل من أن هذا ليس من باب التشبيه لأنه لا عصفور في الجنة فممنوع لما ورد في الحديث: «إن في الجنة طيراً كأمثال البخت تأتي الرجل فيصيب منها ثم تذهب كأن لم ينقص منها شيء»، وقد قال تعالى: ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ [الواقعة - ٢١] وأما ما ذكره ابن حجر من حديث: «إن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر»[1]، وخبر: «نسمة المؤمن - أي روحه - طائر تعلق في شجر الجنة»[2] فليس يصلح سنداً للمنع كما لا يخفى (**لم يعمل السوء**) بضم السين ويجوز فتحه، أي الذنب قال المظهر: أي لم يعمل ذنباً يتعلق بحقوق الله وأما حقوق العباد كإتلاف مال مسلم وقتل نفس فيؤخذ منه الغرم والدية وإذا سرق يؤخذ منه المال ولا تقطع يده لأنه من حقوق الله، قلت: لا تسمى هذه الأفعال منه ذنوباً فتأمل. (**ولم يدركه**) أي ولم يلحقه السوء فيكون تأكيداً، أو لم يدرك هو السوء أي وقته لموته، قيل: التكليف فضلاً[3] عن عمله والتأسيس أولى ومع إفادة المبالغة أحرى. (**فقال: أو غير ذلك؟**) بفتح الواو وضم الراء وكسر الكاف هو الصحيح المشهور من الروايات، والتقدير: أتعتقدين ما قلت؟ والحق غير ذلك وهو عدم الجزم بكونه من أهل الجنة فالواو للحال، في الفائق: الهمزة للاستفهام، أي الإنكاري والواو عاطفة على محذوف وغير مرفوع بضمير تقديره، أو وقع هذا ويحتمل غير ذلك، قيل: ورُوي أو بسكون الواو التي لأحد الأمرين، أي الواقع هذا أو غير ذلك، وقيل: التقدير أو هو غير ذلك؟ ورُوي بنصب غير أي أو يكون غير ذلك؟ أو التقدير: أو غير ما قلت؟ وقيل: يجوز أن يكون أو بمعنى بل كقوله تعالى: ﴿مائة ألف أو يزيدون﴾ [الصافات - ١٤٧] أي بل غير ذلك محتمل، أو يحتمل غير ذلك وكأنه عليه الصلاة والسلام لم يرتض قولها لما فيه من الحكم بالجزم بتعيين إيمان أبوي الصبي أو أحدهما إذ هو تبع لهما، ومرجع معنى الاستفهام إلى هذا لأنه للإنكار للجزم وتقرير لعدم التعيين، قلت: وفيه دلالة على أن أولاد الكفار ليسوا من أهل الجنة بل إنهم من أهل النار كما يدل عليه

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٥٠٢ حديث ١٨٨٧.
(٢) ابن ماجة ٢/ ١٤٢٨ حديث ٤٢٧١ والنسائي.
(٣) في المخطوطة فرضاً.

يا عائشة! إن اللّهَ خلقَ للجنَّةِ أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلابِ آبائهم، وخلقَ للنَّارِ أهلاً، خلقهم ولها وهم في أصلابِ آبائهم». رواه مسلم.

٨٥ . (٧) وعن علي، رضي الله عنه،

قوله (يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلاً) يدخلونها ويتنعمون بها (خلقهم لها) كرره لإناطة أمر زائد به وهو قوله (وهم في أصلاب آبائهم) والجملة حال اهتماماً قبل، ويحتمل أن يراد به خلق الذر في ظهر آدم واستخرجها ذرية من صلب كل واحد إلى انقراض العالم، وقيل: عين في الأزل من سيكون من أهل الجنة ومن سيكون من أهل النار فعبر عن الأزل بأصلاب الآباء تقريباً لأفهام العامة. (وخلق للنار أهلاً) فيه إيماء إلى أنه لا اعتراض فإنهم أهل لها أهلية لا يعلمها إلا خالقها (خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم) وإنما يظهر منهم من الأعمال ما قدر لهم في الأزل، قال القاضي: في حديث عائشة رضي الله عنها إشارة إلى أن الثواب والعقاب لأجل [الأعمال] وإلا لكان ذراري المسلمين والكافرين لا من أهل الجنة ولا من أهل النار بل الموجب هو اللطف الرباني والخذلان الإلهي المقدر لهم وهم في الأصلاب، فالواجب التوقف وعدم الجزم. وقال النووي: «أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة، وتوقف في ذلك بعض لهذا الحديث، وأجابوا عنه بأنه لعله نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع، ويحتمل أنه عليه الصلاة والسلام قال هذا قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة» اهـ. والأصح ما تقدم من أنه لم يرتض هذا القول منها لما فيه من الحكم بالغيب والجزم بإيمان أصل الولد لأنها أشارت إلى طفل معين فالحكم على شخص معين بأنه من أهل الجنة لا يجوز من غير ورود النص لأنه من علم الغيب، وقد يقال التبعية في الدنيا من الإيمان والكفر وحكمها من أمور الآخرة، ففيه إرشاد للأمة إلى التوقف في الأمور المبهمة والسكوت عما لا علم لهم به وحسن الأدب بين يدي علام الغيوب. قال ابن حجر: ولعل هذا كان قبل ما نزل عليه في ولدان المؤمنين والكفار إذ هم في الجنة إجماعاً في الأوّل وعلى الأصح في الثاني (رواه مسلم).

٨٥ ـ (وعن علي رضي الله عنه) هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يكنى أبا الحسن وأبا تراب القرشي، وهو أوّل من أسلم من الذكور في أكثر الأقوال ومن الصبيان في جميعها. وقد اختلف في سنة يومئذ فقيل: كان له خمس عشرة سنة، وقيل: ثمان سنين، وقيل: عشر سنين. شهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها غير تبوك فإنه خلفه في أهله وفيها قال له: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»[1]. كان آدم شديد الأدمة عظيم العينين، أقرب إلى القصر من الطول ذا بطن كثير الشعر عريض اللحية أصلع أبيض الرأس واللحية، استخلف يوم

الحديث رقم ٨٥: أخرجه البخاري في الصحيح ٣/ ٢٢٥ حديث ١٣٦٢ ومسلم ٤/ ٢٠٣٩ حديث ٦ والترمذي بعضه ٤/ ٣٨٧ حديث ٢١٣٥ وكذلك ابن ماجة ١/ ٣١ حديث رقم ٣١.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٧١ حديث رقم ٣٧٠٦.

قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلا وقد كُتِبَ مقعدُهُ من النّارِ ومقعدُهُ من الجنّةِ». قالوا: يا رسولَ اللهِ! أفلا نتّكِلُ على كتابِنا ونَدَعُ العملَ؟ قال: «اعملوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له»؛

قتل عثمان وهو يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي بالكوفة صبيحة الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربعين ومات بعد ثلاث ليال من ضربته، وغسله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن، ودفن سحراً وله من العمر ثلاث وستون سنة. وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وأياماً، روى عنه بنوه الحسن والحسين ومحمد وخلائق من الصحابة والتابعين. **(قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد)** من مزيدة لاستغراق النفي **(إلا وقد كتب مقعده من النار)** الواو للحال والاستثناء مفرغ، أي ما وجد أحد منكم في حال من الأحوال إلا في هذه الحالة، أي إلا وقد قدر مقعده من النار **(ومقعده)** الواو بمعنى أو بدليل قوله في الحديث: «أفلا نتكل»، وقد ورد في بعض الروايات [بلفظ] أو كذا حرره السيد جمال الدين، أي موضع قعوده. **(من الجنة»)** قال الطيبي: كنى عن كونه من أهل الجنة أو النار باستقراره فيها، وظاهر الكلام يقتضي أن يكون لكل أحد مقعد من النار ومقعد من الجنة وهذا وإن ورد في حديث آخر يعني في عذاب القبر رواه أنس[1]، لكن التفصيل الآتي يأبى حمله على ذلك فيجب أن يقال: إن الواو بمعنى أو قال المظهر: قد ورد هذا الحديث بلفظ [الواو] في بعض الروايات وليس في شرح السنة إلا بلفظ: «أو» **(قالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا)** المقدر لنا في الأزل، قيل: الفاء في جواب الشرط، أي إذا كان الأمر كما ذكرت يا رسول الله أفلا نعتمد على ما كتب لنا في الأزل؟ **(وندع العمل؟)** أي نتركه لأنه لا فائدة في إتعاب أنفسنا بالأعمال لأن قضاياه لا تتغير فلم يرخص عليه السلام في ذلك الإتكال وترك الأعمال حيث **(قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له)** بل أمرهم بالتزام ما يجب على العبد من[2] امتثال أمر مولاه من العبودية عاجلاً وتفويض الأمر إليه بحكم الربوبية آجلاً، وأعلمهم بأن ههنا أمرين لا يبطل أحدهما الآخر باطن وهو حكم الربوبية وظاهر وهو سمة العبودية، فأمر بكليهما ليتعلق الخوف بالباطن المغيب والرجاء بالظاهر البادي ليستكمل العبد بذلك صفات الإيمان ونعوت الإيقان ومراتب الإحسان؛ يعني عليكم بالتزام ما أمرتم واجتناب ما نهيتم من التكاليف الشرعية بمقتضى العبودية، وإياكم والتصرف في الأمور الربوبية ولا تجعلوا الأعمال أسباباً للسعادة والشقاوة بل أمارات لهما وعلامات، فكل موفق ومهيأ لما خُلق له أي لأمر قدر ذلك الأمر له من الخير والشر، والفاء في «فكل» للسببية والتنوين عوض عن المضاف إليه. والحاصل أن الأمر المبهم الذي ورد عليه البيان من هذا الحديث عن النبي ﷺ هو أنه بين أن القدر في حق العباد واقع

---

(١) البخاري في صحيحه ٨/٢٠٨ حديث رقم ٤٩٤٦.

(٢) في المخطوطة «في».

أمّا من كان من أهل السعادةِ فسيُيسَّر لعملِ السّعادةِ، وأما من كان من أهل الشقاوة فسيُيَسَّر لعملِ الشَّقاوةِ، ثم قرأ: ﴿فأما مَن أعطى واتَّقى وصَدَّقَ بالحُسنى﴾ الآية». متفق عليه.

٨٦ ـ (٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب على ابن آدمَ حظَّهُ من الزِّنا،

على تدبير الربوبية وذلك لا يبطل تكليفهم العمل بحق العبودية، فكل من الخلق ميسر لما دبر له في الغيب فيسوقه العمل إلى ما كتب له في الأزل من سعادة أو شقاوة، فمعنى العمل التعرض للثواب والعقاب ونظيره الرزق المقسوم مع الأمر بالكسب. ثم فصل عليه الصلاة والسلام ما أجمله بقوله (**أما من كان**) أي في علم الله، أو كتابه، أو في آخر أمره وخاتمة عمله (**من أهل السعادة**) أي الإيمان في الدنيا والجنة في العقبى (**فييسر**) أي يسهل ويوافق ويهيأ (**لعمل السعادة**) أي لعمل أهلها (**وأما من كان من أهل الشقاوة**) وهو ضد السعادة، وفي المصابيح بلفظ «الشقوة» بكسر الشين: وهو مصدر بمعنى الشقاوة (**فييسر لعمل الشقاوة**) أي أهلها من الكفرة والفجرة (**ثم قرأ**) أي النبي ﷺ استشهاداً، أو اعتضاداً ﴿**فأما من أعطى**﴾ أي حق الله من المال أو الامتثال ﴿**واتقى**﴾ أي خاف مخالفته أو عقوبته واجتنب معصيته ﴿**وصدق بالحسنى**﴾ أي بكلمة لا إله إلا الله، وأخر في الذكر ترقياً أو إشارة إلى حسن الخاتمة (**الآية**)[1] لا يخفى أن الحسنى رأس آية، فالمراد ما بعدها من الآيات المتعلقة بها المناسبة لها وهي (**فسنيسره لليسرى**) قال البيضاوي: أي فسنهيئه للخلة التي تؤدي إلى يسر وراحة كدخول الجنة (**وأما من بخل**) أي بما أمر به (**واستغنى**) بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (**وكذب بالحسنى**) أي بكلمة التوحيد (**فنيسره للعسرى**) أي للخلة المؤدية إلى العسر والشدة كدخول النار، وفي الكشاف سمى طريقة الخير باليسر لأن عاقبته اليسر وطريقة الشر بالعسرى لأن عاقبته العسر وفي المعالم، فسنيسره أي نهيئه في الدنيا لليسرى للخلة اليسرى وهو العمل بما يرضاه، وأما من بخل بالنفقة الخير واستغنى عن ثواب الله تعالى ولم يرغب فيه فسنيسره للعسرى، أي سنهيئه للشر بأن نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضى الله ويستوجب به النار. قال مقاتل: يعسر عليه بأن يأتي خيراً. ا هـ. ولا يخفى أن ما في البيضاوي غير ملائم لمعنى الحديث لانعكاسه بالمعنى المقصود منه فالمدار على ما في المعالم والكشاف لكن السين في الآية تحمل على مجرد التأكيد لا على الاستقبال والله أعلم بالحال (**متفق عليه**).

٨٦ ـ (**وعن أبي هريرة**) [رضي الله عنه] (**قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب**) أي أثبت في اللوح المحفوظ (**على ابن آدم حظه**) أي نصيبه (**من الزنا**) بالقصر على الأفصح، ومن

---

(١) سورة الليل الآيات ٥ ـ ١٠.

الحديث رقم ٨٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٦ حديث رقم ٦٣٤٣. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٤٦ حديث ٢٠ والرواية الثانية ٤/ ٢٠٤٧ وأخرجه أبو داود ٢/ ٦١١ حديث ٢١٥٢ وأحمد في المسند ٢/ ٢٧٦.

أدركَ ذلك لا محالة، فزنا العين النَّظر، وزنا اللِّسان النطقُ، والنفسُ تمنَّى وتشتهي، والفرجُ يصدق ذلك ويكذِّبُهُ».

بيانية وما يتصل بها حال من حظه وجعلها تبعيضية كما ذكره ابن حجر غير ظاهر، والمراد من الحظ مقدمات الزنا من التمني والتخطي والتكلم لأجله والنظر واللمس والتخلي، وقيل: أثبت فيه سببه وهو الشهوة والميل إلى النساء وخلق فيه العينين والأذنين والقلب والفرج وهي التي تجد لذة الزنا، أو المعنى قدر في الأزل أن يجري عليه الزنا في الجملة **(أدرك)** أي أصاب ابن آدم ووجد **(ذلك)** أي ما كتبه الله وقدره وقضاه أو حظه **(لا محالة)** بفتح الميم وتضم، أي لا بد له ولا فراق ولا احتيال منه فهو واقع ألبتة **(فزنا العين)** بالإفراد لإرادة الجنس، وفي نسخة بالتثنية **(النظر)** أي حظها النظر على قصد الشهوة فيما لا يحل له، وقد ورد: «النظر سهم مسموم من سهام إبليس»[1]، لأن النظر قد يجر إلى الزنا فتسمية مقدمة الزنا بالزنا مبالغة، أو إطلاق للمسبب على السبب. **(وزنا اللسان المنطق)** أي التكلم على وجه الحرمة كالمواعدة **(والنفس)** أي القلب، كما في الرواية الآتية ولعل النفس إذا طلبت[2] تبعها القلب **(تمني)** بحذف أحد التاءين **(وتشتهي)** لعله عدل عن سنن السابق لإفادة التجدد، أي زنا النفس تمنيها واشتهاؤها وقوع الزنا الحقيقي. والتمني أعم من الاشتهاء لأنه قد يكون في الممتنعات دونه، وفيه دلالة على أن التمني إذا استقر في الباطن وأصر صاحبه عليه ولم يدفعه يسمى زنا فيكون معصية ويترتب عليه عقوبة ولو لم يعمل [فتأمل] **(والفرج يصدق ذلك أو يكذبه)** قال الطيبي: سمى هذه الأشياء باسم الزنا لأنها مقدمات له مؤذنة بوقوعه، ونسب التصديق والتكذيب إلى الفرج لأنه[3] منشؤه ومكانه، أي يصدقه بالإتيان بما هو المراد منه ويكذبه بالكف عنه، وقيل: معناه إن فعل بالفرج ما هو المقصود من ذلك فقد صار الفرج مصدقاً لتلك الأعضاء، وإن ترك ما هو المقصود من ذلك فقد صار الفرج مكذباً. قال ابن حجر: فإن حقق زناه فيوقع صاحبه في تلك الكبيرة، وإن كذبه بأن لا يزني فيستمر زنا تلك الأعضاء على كونها صغيرة. أقول: الأظهر أن يقال: والفرج أي عمله يصدق ذلك التمني ويكذبه، وهو أقرب لفظاً وأنسب معنى، وقيل: معنى كتب أنه أثبت عليه ذلك بأن خلق له الحواس التي يجدبها لذة ذلك الشيء وأعطاه القوى التي بها يقدر على ذلك الفعل، فبالعينين وبما ركب فيهما من القوة الباصرة تجد لذة النظر، وعلى هذا وليس المعنى أنه ألجأه إليه وأجبره عليه بل ركز في جبلته حب الشهوات، ثم إنه تعالى برحمته وفضله يعصم من يشاء كذا قاله بعض الشراح. وقيل: هذا ليس على عمومه فإن الخواص معصومون عن الزنا ومقدماته، ويحتمل أن يبقى على عمومه بأن يقال: كتب الله على كل فرد من بني آدم صدور نفس الزنا، فمن عصمه الله عنه بفضله صدر عنه من مقدماته الظاهرة، ومن عصمه بمزيد فضله ورحمته عن صدور مقدماته وهم خواص عباده صدر عنه لا محالة بمقتضى الجبلة مقدماته الباطنة وهي تمني النفس واشتهاؤها. اهـ. قلت: المراد

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣١٤.

(٢) في المخطوطة «غلبت».

(٣) في المخطوطة «لأنها».

متفق عليه.

وفي رواية لمسلم قال: «كُتب على ابن آدم نصيبُه من الزنا، يدركه ذلك لا محالة، العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليدُ زناها البطش، والرجلُ زناها الخُطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرجُ ويكذبه».

٨٧ ـ (٩) وعن عمرانَ بن حُصَيْن رضي الله عنه، أنّ رجلَيْن من مُزَيْنة قالا: يا رسولَ اللهِ! أرأيتَ مَا يَعملُ الناسُ اليومَ ويَكْدَحُونَ فيه؟ أشيءٌ

بالمقدمات الباطنة الخواطر الذميمة التي هي غير اختيارية ويؤيده قوله تعالى: ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ [يوسف ـ ٢٤] (متفق عليه) ورواه أبو داود (وفي رواية) أخرى (لمسلم قال: «كُتب) مجهول، وقيل معلوم (على ابن آدم) أي هذا الجنس، أو كل فرد من أفراده واستثنى الأنبياء (نصيبه) أي حظه، أو مقدار ما قدر له (من الزنا مدرك) بالتنوين، ويجوز الإضافة (ذلك) يعني هو، أي ابن آدم واصله حظه ونصيبه، أو نصيبه المقدر يدركه ويصيبه (لا محالة) أي لا حائل بينه وبينه، أو لا حيلة له في دفعه فلا بد منه إذ لا حذر من القدر ولا قضاء مع القضاء (العينان زناهما النظر) فإنه حظهما ولذتهما (والأذنان) بضم الذال وتسكن (زناهما الاستماع) أي إلى كلام الزانية، أو الواسطة فهو حظهما ولذتهما به. قال ابن حجر: أي إلى صوت المرأة الأجنبية مطلقاً بناء على أنه عورة، أو بشرط الفتنة بناء على الأصح أنه ليس بعورة (واللسان زناه الكلام) أي مع الأجنبية بالمواعدة على الزنا، أو مع من يتوصل به إليها على وجه الحرام ويدخل فيه إنشاء الشعر وإنشاده فيها (واليد زناها البطش) أي الأخذ واللمس ويدخل فيه الكتابة إليها ورمي الحصا عليها ونحوهما (والرجل زناها الخطا) جمع خطوة، وهي ما بين القدمين يعني زناهما نقل الخطا، أي المشي، أو الركوب إلى ما فيه الزنا (والقلب يهوى) بفتح الواو، أي يحب ويشتهي (ويتمنى ويصدق ذلك) أي ما ذكر من المقدمات، أي ما تتمناه النفس وتدعو إليه الحواس وهو الجماع (الفرج) أي يوافقه ويطابقه بالفعل (ويكذبه») أي بالترك والكف عنه، فإن تركه خوفاً من الله فيثاب عليه، وإن تركه اضطراراً لا يعاقب عليه فقط.

٨٧ ـ (وعن عمران بن حصين) مصغراً رضي الله عنهما، يُكنى أبا نجيد بضم النون وفتح الجيم وسكون الياء بعدها دال مهملة، الخزاعي الكعبي، أسلم عام خيبر سكن البصرة إلى أن مات بها سنة اثنتين وخمسين، وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم. أسلم هو وأبوه، روى عنه أبو رجاء ومطرف وزرارة بن أبي أوفى. (أن رجلين من مزينة) بالتصغير اسم قبيلة (قالا: «يا رسول الله أرأيت) أي أخبرني من إطلاق اسم السبب على المسبب لأن مشاهدة الأشياء طريق إلى الإخبار عنها، والهمزة فيه مقررة أي قد رأيت ذلك فأخبرني به (ما يعمل الناس) من الخير والشر (اليوم) أي في الدنيا (ويكدحون فيه) أي يسعون في تحصيله بجهد وكدّ (أشيء) خبر

الحديث رقم ٨٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٤١ حديث ١٠.

قُضِيَ عَليهِمْ ومضى فيهم من قَدَرٍ سَبَقَ، أو فيما يستقبلون به

مبتدأ محذوف، أي أهو شيء (قُضي عليهم) بصيغة المجهول، أي قدر فعله عليهم (ومضى فيهم) بصيغة الفاعل أي نفذ في حقهم (من قدر سبق) أي في الأزل، ومن إما بيانية لشيء ويكون القضاء والقدر شيئاً واحداً كما قاله بعضهم، أو على الإطلاق اللغوي، وإما تعليلية متعلقة بقضي أي قضي عليهم لأجل قدر سبق، وإما ابتدائية أي القضاء نشأ وابتدأ من خلق مقدر فيكون القدر سابقاً على القضاء. قال في النهاية: المراد بالقدر التقدير وبالقضاء الخلق لقوله تعالى: ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ [فصلت ـ ١٢] فالقضاء والقدر متلازمان لأن أحدهما وهو القدر بمنزلة الأساس والآخر وهو القضاء بمنزلة البناء، وقال الراغب: القضاء من الله تعالى أخص من القدر [لأنه الفصل من التقدير] والقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع. وقد ذكر بعض العلماء أن القدر بمنزلة المعد للكيل والقضاء بمنزلة الكيل، ولهذا لما قال أبو عبيدة لعمر رضي الله عنهما[1] لما أراد الفرار من الطاعون بالشام: أتفر من القضاء؟ قال: أفر من قضاء الله إلى قدر الله[2]. تنبيهاً على أن القدر ما لم يكن قضاء فمرجوّ أن يدفعه الله فأما إذا قضي فلا يندفع ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وكان أمراً مقضياً﴾ [مريم ـ ٢١] وقوله: ﴿حتماً مقضياً﴾ [مريم ـ ٧١] تنبيهاً على أنه صار بحيث لا يمكن تلافيه، وهذا مخالف لما نقلناه عن القاضي في حديث جبريل عليه السلام. قال بعض العارفين: القدر كتقدير النقاش الصورة في ذهنه والقضاء كرسمه تلك الصورة للتلميذ بالأسرب ووضع التلميذ الصبغ عليها متبعاً لرسم الأستاذ هو الكسب والاختيار، والتلميذ في اختياره لا يخرج عن رسم الأستاذ كذلك العبد في اختياره لا يمكنه الخروج عن القضاء والقدر (أو فيما يستقبلون به) قال السيد جمال الدين: كذا وقع بصيغة المجهول في أصل سماعنا من صحيح مسلم، وهو الأرجح معنى أيضاً لكن وقع في أكثر نسخ المشكاة بصيغة المعروف، وقال الطيبي: كذا يعني «أو» في صحيح مسلم وكتاب الحميدي وجامع الأصول، ووقع في نسخ المصابيح: «أم فيما يستقبلون»، قيل: على كلتا الروايتين ليس السؤال عن تعيين أحد الأمرين لأن جوابه عليه الصلاة والسلام وهو قوله لا غير مطابق له فنقول: أم منقطعة، وأو بمعنى بل، فإن السائل لما رأى أن الرسل يأمرون أممهم وينهون اعتقد أن الأمر أنف كما زعمت المعتزلة، فاضرب عن السؤال الأول والهمزة للتقرير والإثبات فلذلك نفى رسول الله ﷺ ما أثبته وقرره وأكده «ببل» ولو كان السؤال عن التعيين لقال السائل: أشيء قضي عليهم أم شيء يستقبلونه؟ وقيل: كان حق العبارة أشيء قضي علينا أم شيء نستقبله بالتكلم؟ فغير العبارة وعدل عن التكلم إلى الغيبة، وعمم الأمم كلها وأنبياءهم فدل ذلك على صحة ما قيل من الإضراب، وقيل: وهو الأظهر أن المعنى أم شيء لم يقض عليهم في الأزل بل هو كائن فيما يستقبلون من الزمان فيه

(١) في المخطوطة «عنه».

(٢) من حديث أخرجه الشيخان ولفظه «نفر من قدر الله إلى قدر الله». البخاري ١٠/ ١٧٩ حديث رقم ٥٧٢٩.

مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجةُ عليهم؟ فقال: «لا، بل شيء قُضِيَ عليهم ومَضَى فيهم، وتصديقُ ذلك في كتابِ اللهِ عزَّ وَجَلَّ: ﴿ونفسٍ وما سوّاها فألهَمَها فُجورَها وتقواها﴾». رواه مسلم.

٨٨ - (١٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله! إني رجلٌ شابٌ، وأنا أخافُ على نفسي العنت، ولا أجدُ ما أتزوج به النساء، كأنه يستأذنه في الاختصاء، قال: فسكت عني، ثم قلتُ مثلَ ذلكَ، فسكتَ عني، ثم قلت مثل ذلك،

يتوجهون إلى العمل ويقصدون من غير سبق تقدير قبل ذلك. (**مما أتاهم**) أي جاءهم (**به نبيهم**) الباء للتعدية ولفظ من في «مما أتاهم» بيان لما في قوله: «ما يعمل الناس»، أو بيان لما في قوله: «ما يستقبلون»، والأوّل أولى كما قال السيد جمال الدين (**وثبتت الحجة عليهم**) قال تعالى: ﴿**قل فلله الحجة البالغة**﴾ [الأنعام - ١٤٩] (**فقال: لا**) أي لا تردد (**بل شيء قضي**) أي قدر (**عليهم ومضى**) أي سبق (**فيهم وتصديق ذلك**) إشارة إلى ما ذكر أنه قضي عليهم (**في كتاب الله عزّ وجل**: ﴿**ونفس**﴾) بالجر على الحكاية (﴿**وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها**﴾)[1] وجه الاستدلال من النبي ﷺ بالآية أن «ألهمها» بلفظ الماضي يدل على أن ما يعملونه من الخير والشر قد [جرى] في الأزل، والواو في «ونفس» للقسم أو للعطف على المقسم به، والمراد نفس آدم لأنه الأصل فالتنوين للتقليل، وقيل: المراد جميع النفوس كقوله[2] تعالى: ﴿**علمت نفس ما أحضرت**﴾ [التكوير - ١٤] فالتنوين للتنكير «وما» في «ما سوّاها» بمعنى من، أي ومن خلقها يعني به ذاته تعالى أي خلقها على أحسن صورة وزينها بالعقل والتمييز وفي الحديث: «اللهم آت نفسي تقواها وزكها فأنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها»[3] (**رواه مسلم**).

٨٨ - (**وعن أبي هريرة**) [رضي الله عنه] (**قال**: «**قلت: يا رسول الله إني رجل شاب**) أي قوي الشهوة (**وأنا أخاف**) قال الشيخ: وفي البخاري: «وإني أخاف» (**على نفسي**) بفتح الفاء وتسكن (**العنت**) بفتحتين، أي الزنا، أو مقدماته. وأصل العنت المشقة سُمّي به الزنا لأنه سبب العذاب في الدنيا والعقبى (**ولا أجد**) أي من المال (**ما أتزوّج به النساء**) أراد به الجنس، أي مقدار ما أتزوّج به امرأة وأنفق عليها فإذا عجز عن تزوّج المرأة فالعجز عن شراء الجارية أولى (**كأنه يستأذنه في الاختصاء**) بالمد، أي قطع الانثيين، أو سلهما، أو يحتمل قطع الذكر أيضاً فيكون الاختصاء تغليباً هذا كلام الراوي عن أبي هريرة قال الأبهري: وليس هذا في البخاري (**قال**) [أي] أبو هريرة (**فسكت**) أي النبي ﷺ (**عني**) أي عن جوابي (**ثم قلت: مثل ذلك**) أي

---

(١) سورة الشمس آية ٧ - ٨. (٢) في المخطوطة «لقوله».

(٣) مسلم ٤/ ٢٠٨٨ حديث رقم ٢٧٢٣.

الحديث رقم ٨٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٩/ ١١٧ حديث رقم ٥٠٧٦. والنسائي في سننه ٦/ ٨٩ حديث رقم ٣٢١٥.

فسكتَ عني، ثم قلت مثلَ ذلك، فقال النبي ﷺ: «يا أبا هريرة! جفَّ القلم بما أنت لاقٍ فاختص على ذلك أو ذَر»[1]. رواه البخاري.

٨٩ - (١١) وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قلوبَ بني آدم كلَّها

المقول (فسكت عني) ثانياً (ثم قلت: مثل ذلك) لعله يجيبني (فسكت عني) ثالثاً (ثم قلت: مثل ذلك) أي إلحاحاً ومبالغة (فقال النبي:) وفي نسخة رسول الله (ﷺ: يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق) أي ملاق بما تفعله وتقوله ويجري عليك، قال التوربشتي: جف القلم كناية عن جريان القلم بالمقادير وإمضائها والفراغ منها لأن الفروغ بعد الشروع يستلزم جفاف القلم عن مداده، فأطلق اللازم على الملزوم وهذه العبارة من مقتضيات الفصاحة النبوية. (فاختص) قال التوربشتي: الرواية الصحيحة «فاختص» بتخفيف الصاد من الاختصاء. وقد صحفه بعض أهل النقل فرواه على ما هو في المصابيح يعني «فاختصر» بزيادة الراء، قال: ولا يشتبه ذلك إلا على عوام[2] أصحاب النقل، وفي شرح الطيبي: قال المؤلف: الحديث في البخاري وكتاب الحميدي وشرح السنة وبعض نسخ المصابيح كما ذكره التوربشتي (على ذلك) في موضع الحال يعني إذا علمت أن كل شيء مقدر فاختص حاله كون فعلك وتركك واقعاً على ما جف القلم (أو ذر) أي اترك الاختصاء وأذعن وسلم للقضاء وأو للتخيير، قال المظهر: أي ما كان وما يكون مقدر في الأزل فلا فائدة في الاختصاء فإن شئت فاختص وإن شئت فاترك، وليس هذا إذناً في الاختصاء بل توبيخ ولوم على الاستئذان في قطع عضو بلا فائدة، وقيل: «أو» للتسوية على ما ذكر في أكثر نسخ المصابيح من قوله: «فاختصر أو ذر» بمعنى أن الاختصار على التقدير والتسليم له وتركه والإعراض عنه سواء، فإن ما قدر لك من خير أو شر فهو لا محالة لاقيك وما لا فلا. وذكر أن عبد الله بن الطاهر دعا الحسين بن الفضل فقال: أشكل عليّ قوله تعالى ﴿كل يوم هو في شأن﴾ [الرحمن - ٢٩] وقول النبي ﷺ: «جف القلم بما أنت لاق» فأجاب بأنها شؤون يبديها لا شؤون يبتديء بها، فقام عبد الله وقبل رأسه. (رواه البخاري).

٨٩ - (وعن عبد الله بن عمرو) رضي الله تعالى عنهما (قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قلوب بني آدم) أي هذا الجنس وخص لخصوصية قابلية التقليب به، وأكد بقوله (كلها) ليشمل الأنبياء والأولياء والفجرة والكفرة من الأشقياء، قال التوربشتي: ليس هذا الحديث مما يتنزه السلف عن تأويله كأحاديث السمع والبصر واليد وما يقاربها في الصحة والوضوح، فإن ذلك يحمل على ظاهره من غير أن يشبه بمسميات الجنس، أو يحمل على معنى الاتساع والمجاز، بل يعتقد أنها صفات الله لا كيفية لها. وإنما تنزهوا عن تأويل القسم الأول لأنه لا يلتئم معه ولا يحمل ذلك على وجه يرتضيه العقل إلا ويمنع منه الكتاب والسنة من وجه آخر، وأما مثل

---

(١) في المخطوطة «ذرة». (٢) في المخطوطة «الأعوام».

الحديث رقم ٨٩: أخرجه مسلم في الصحيح ٤/ ٢٠٤٥ حديث ١٧ وأحمد في المسند ٢/ ١٦٨.

بين إصبعين من أصابع الرّحمن

هذا الحديث فليس في الحقيقة من أقسام الصفات ولكن ألفاظ مشاكلة لها في وضع الاسم، فوجب تخريجه على وجه يناسب نسق الكلام. قيل: المتشابه قسمان: الأول لا يقبل التأويل ولا يعلم تأويله إلا الله كالنفس في قوله: ﴿ولا أعلم ما في نفسك﴾ [المائدة - ١١٦] والمجيء في ﴿جاء ربك﴾ [الفجر - ٢٢] وفواتح السور، والثاني: يقبله. ذكر شيخ الشيوخ السهروردي قدس الله سره أخبر الله ورسوله بالاستواء والنزول واليد والقدم والتعجب وكل ما ورد من هذا القبيل دلائل التوحيد فلا يتصرف فيه بتشبيه وتعطيل. قيل: هذا هو المذهب المعول وعليه السلف الصالح، ومن ذهب إلى القول الأول شرط في التأويل أن كل ما يؤدي إلى تعظيم الله فهو جائز وإلا فلا. قال ابن حجر: أكثر السلف لعدم ظهور أهل البدع في أزمنتهم يفوّضون علمها إلى الله تعالى مع تنزيهه سبحانه عن ظاهرها الذي لا يليق بجلال ذاته، وأكثر الخلف يؤوّلونها بحملها على محامل تليق بذلك الجلال الأقدس والكمال الأنفس لاضطرارهم إلى ذلك لكثرة أهل الزيغ والبدع في أزمنتهم، ومن ثم قال إمام الحرمين: لو بقي الناس على ما كانوا عليه لم نؤمر بالاشتغال بعلم الكلام. وأما الآن فقد كثرت البدع فلا سبيل إلى ترك أمواج الفتن تلتطم.

وأصل هذا اختلافهم في الوقف في قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾ [آل عمران - ٧] فالأكثرون على الوقف على الجلالة، والأقلون على الوقف على العلم ومن أجلهم ابن عباس فكان يقف عليه ويقول حملاً للناس على سؤاله والأخذ عنه: أنا من الراسخين في العلم؛ على أنه يمكن رفع الخلاف بأن المتشابه على قسمين: ما لا يقبل تأويلاً قريباً فهذا محمل الوقف الأول، وما يقبله فهذا محمل الثاني. ومن ثم اختار بعض المحققين قبول التأويل إن قرب من اللفظ واحتمله وضعاً ورده إن بعد عنه. والحاصل أن السلف والخلف مؤوّلون لإجماعهم على صرف اللفظ عن ظاهره، ولكن تأويل السلف إجمالي لتفويضهم إلى الله تعالى وتأويل الخلف تفصيلي لاضطرارهم إليه لكثرة المبتدعين. (بين إصبعين) بكسر الهمزة وفتح الباء هو المشهور وإلا ففيه تسع لغات، قال في القاموس: الأصبع مثلث الهمزة والباء (من أصابع الرحمن) إطلاق الأصبع عليه تعالى مجاز، أي تقليب القلوب في قدرته يسير، يعني أنه تعالى متصرف في قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا يمتنع منها شيء ولا يفوته ما أراده، كما يقال: فلان في قبضتي أي كفي لا يراد أنه في كفه، بل المراد أنه تحت قدرتي وفلان بين أصبعي أقلبه[1] كيف شئت، أي أنه هين عليّ قهره والتصرف فيه كيف شئت. وقيل: المراد بأصبعين صفتا الله وهما صفة الجلال والإكرام، فبصفة الجلال يلهمها فجورها وبصفة الإكرام يلهمها تقواها، أي يقلبها تارة من فجورها إلى تقواها وتارة من تقواها إلى فجورها، وقيل: معناه بين أثرين من آثار رحمته وقهره، أي قادر أن يقلبها من حال إلى حال [من الإيمان] والكفر والطاعة والعصيان. قال القاضي: نسب تقليب القلوب إليه تعالى

(١) في المخطوطة «قلبه».

كقلبٍ واحدٍ، يُصَرِّفُهُ كيف يشاء» ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهمّ مصرفَ القلوب صَرِّفْ قلوبَنا على طاعتِكَ». رواه مسلم.

٩٠ - (١٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولودٍ إلا يُولَدُ على الفِطْرَةِ،

إشعاراً بأنه تعالى تولى بذاته أمر قلوبهم ولم يكله إلى أحد من ملائكته، وخص الرحمن بالذكر إيذاناً بأن ذلك التولي محض رحمته كيلا يطلع أحد غيره على سرائرهم ولا يكتب عليهم ما في ضمائرهم. وقوله (كقلب واحد) بالوصف يعني كما أن أحدكم يقدر على شيء واحد الله تعالى يقدر على جميع الأشياء دفعة واحدة لا يشغله شأن عن شأن، ونظيره قوله تعالى: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ [لقمان - ٢٨] قيل: ليس المراد أن التصرف في القلب الواحد أسهل بالقياس إليه إذ لا صعوبة بالقياس إليه تعالى بل ذلك راجع إلى العباد وإلى ما عرفوه فيما بينهم. (يصرفه) بالتشديد، أي يقلب القلب الواحد، أو جنس القلب. وفي بعض نسخ المصابيح بتأنيث الضمير، أي القلوب كذا ذكره العيني وهو تحقيق لوجه الشبه. (كيف يشاء) حال على تأويل هيناً سهلاً لا يمنعه مانع، أو مصدر أي تقليباً سريعاً سهلاً، وفي كتاب الحميدي وفي مسلم: «حيث يشاء» قاله العيني. (ثم قال رسول الله ﷺ: اللهم) أصله يا الله فحذف حرف النداء وعوّض عنه الميم ولذا لا يجتمعان، وقيل: أصله يا الله أمنا بخير، أي اقصدنا فحذف ما حذف اختصاراً (مصرف القلوب) بالإضافة صفة اللهم عند المبرد والأخفش، لأن يا لا يمنع من الوصف فكذا بدلها، ومنادى برأسه عند سيبويه وقد حذف منه النداء لأن ضم الميم للجلالة منع وصفها. (صرف قلوبنا على طاعتك) أي إليها، أو ضمن معنى التثبيت ويؤيده ما ورد: «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»[1]، قيل: وفيه إرشاد للأمة والظاهر أن كل أحد من العباد كما أنه مفتقر إليه تعالى في الإيجاد لا يستغني عنه ساعة من الإمداد (رواه مسلم).

٩٠ - (وعن أبي هريرة) [رضي الله عنه] (قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود) أي من الثقلين (إلا يولد على الفطرة) قيل: مولود مبتدأ خبره يولد، أي ما من مولود يوجد على أمر من الأمور إلا على هذا الأمر. والفطرة تدل على نوع من الابتداء والاختراع الذي هو معنى الفطرة كالجلسة، واللام فيها إشارة إلى معهود وهو قوله: ﴿فطرة الله﴾ [الروم: ٣٠] وهي الإيمان إذ المراد بـ ﴿أقم وجهك للدين حنيفاً﴾ [الروم - ٣٠] اثبت على إيمانك القديم الواقع منك في عالم الذر يوم ﴿ألست بربكم﴾ [الأعراف - ١٧٢] ويؤيد ذلك رواية الترمذي وغيره الملة بدل الفطرة لأن ما صدقهما واحد، قال تعالى: ﴿ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً﴾ [الأنعام -

---

(١) أخرجه الترمذي ٤/ ٣٩٠ حديث ٢١٤٠.

الحديث رقم ٩٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ٢١٩ حديث رقم ١٣٥٨ وأخرجه مسلم في الصحيح ٤/ ٢٠٤٧ حديث رقم ٢٢. وأحمد في المسند ٢/ ٣٥١.

فأبواه يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ، كما تُنْتَجُ البهيمةُ بهيمةً جمعاءَ، هل تُحِسُّونَ فيها من جَدْعاءَ؟ ثم يقول:

١٦١] [كذا] ذكره ابن حجر. والظاهر أن الملة أخص من الدين ولذا قيل: باتحاد دين الأنبياء وهو الإسلام والتوحيد واختلاف مللهم لاختلاف شرائعهم، وفي معنى هذا الحديث: «خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم». والمعنى: ما أحد يولد إلا على هذا الأمر الذي هو تمكن الناس من الهدى في أصل الجبلة والتهيؤ لقبول الدين فلو ترك على تمكنه وتهيؤه المذكورين لاستمر على الهدى والدين ولم يفارقه إلى غيره، لأن حسنه ركز في النفوس فلم يقع لها عدول عنه إلا لآفة بشرية أو تقليد للغير، ولذا قال تعالى: ﴿**أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى**﴾ [البقرة - ١٦] فجعل الهدى رأس المال الحاصل عندهم ثم عرضوه للزوال ببذله في أخذهم الضلالة البعيدة عنهم. (**فأبواه يهوّدانه**) بتشديد الواو، أي يعلمانه اليهودية ويجعلانه يهودياً (**أو ينصرانه أو يمجسانه**) والفاء إما للتعقيب وهو ظاهر، وإما للتسبب، أي إذا كان كذا فمن تغير كان بسبب أبويه غالباً (**كما تنتج البهيمة**) صفة لمصدر محذوف وما مصدرية، أي يولد على الفطرة ولادة مثل نتاج البهيمة، أو يغيرانه تغييراً كتغيير البهيمة، وقيل: حال أي مشبهاً، شبه ولادته على الفطرة بولادة البهيمة السليمة غير أن السلامة حسية ومعنوية وعلى التقديرين الأفعال الثلاثة أي يهوّدانه وما عطف عليه تنازعت في كما تنتج المفيد لتشبيه ذلك المعقول بهذا المحسوس المعاين ليتضح به أن ظهوره بلغ في الكشف والبيان مبلغ هذا المحسوس المشاهد في العيان، وهو يُروى على البناء للفاعل وهو الأصح، وعلى بناء المفعول يقال: نتج الناقة ينتجها إذا تولى نتاجها حتى وضعت فهو ناتج وهو للبهائم كالقابلة للنساء، والأصل نتجها أهلها ولداً ولذا يتعدى إلى مفعولين فإذا بني للمفعول الأول، قيل: نتجت ولداً إذا وضعت، وإذا بني للثاني، قيل: نتج الولد إذا وضعته. (**بهيمة**)[1] وقيل: مصغرة ونصبها على أنه مفعول ثان لتنتج والأول أقيم مقام فاعله، وقيل: إنه منصوب على الحال بتقدير كون تنتج مجهولاً أي ولدت في حال كونها بهيمة، أو على أنه مفعول إذا كان معروفاً من نتج إذا ولد. وأغرب ابن حجر حيث قال: كما تنتج بالبناء للمفعول لا غير. (**جمعاء**) أي سليمة الأعضاء كاملتها، سميت بذلك لاجتماع سلامة اعضائها من نحو جدع وكي[2] (**هل تحسون فيها**) أي في البهيمة الجمعاء، والمراد بها الجنس وتحسون بضم التاء وكسر الحاء، وقيل: بفتح التاء وضم الحاء، أي هل تدركون؟ والجملة في موضع الحال أي بهيمة سليمة مقولاً في حقها هذا القول، وفيه نوع من التأكيد يعني كل من نظر إليها قال هذا القول لظهور سلامتها، وقيل: هو صفة أخرى بتقدير مقولاً في حقها (**من جدعاء؟**) بالمهملة، أي مقطوعة الاذن. وفي المصابيح حتى تكونوا أنتم تجدعونها، قيل: تخصيص الجدع إيماء إلى أن تصميمهم على الكفر إنما كان لصممهم عن الحق (**ثم يقول:**) ظاهره أنه من بقية الحديث المرفوع وليس كذلك بل هو من كلام أبي هريرة أدرجه في الحديث بينه مسلم من طريق

(١) في المخطوطة «بهمة».
(٢) في المخطوطة «ولي».

﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾.

الترمذي عن الزهري. ولفظه: «ثم يقول أبو هريرة اقرؤوا إن شئتم **﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾** الآية [الروم - ٣٠]» كذا قاله الشيخ ابن حجر في شرح صحيح البخاري. أقول: وكذا وقع التصريح بذلك في رواية البخاري من طريق يونس عن الزهري عن أبي سلمة الرازي عن أبي هريرة ولفظه: «ثم يقول أبو هريرة فطرة الله التي فطر الناس عليها» أخرجه في كتاب الجنائز كذا حققه ميرك شاه. قال الطيبي: الظاهر «ثم قرأ» فعدل إلى القول وأتى بالمضارع لحكاية الحال استحضاراً كأنه يسمع منه عليه الصلاة والسلام الآن. ا هـ. وفيه أن العلة المذكورة لا تصلح أن تكون للعدول إلى القول فالأظهر ما قاله ابن حجر: إن ظاهر السياق «ثم قرأ» فعدل عنه لفظاً إشارة فيما يظهر والله أعلم أن[1] اللفظ القرآني في مقام الاستدلال لا تجري عليه أحكام القرآن لأن ذكره للاستدلال به صارف له عن القرآنية. ا هـ. ويؤيده ترك الاستعاذة في ابتدائه ثم قوله (**فطرة الله**) أي الزموها وهي ما ذكر من الاستعداد للمعرفة (**التي فطر الناس عليها**) أي خلقهم ابتداء وجبلهم عليها (**لا تبديل لخلق الله**) أي فيكم من قبول الإسلام. وهو مؤوّل بأنه من شأنه، أو الغالب فيه أنه لا يبدل، أو يقال الخبر بمعنى النهي ولا يجوز أن يكون إخباراً محضاً لحصول التبديل. قال حماد بن سلمة في معنى الحديث: هذا عندنا حيث أخذ الله العهد في أصلاب آبائهم فقالوا: بلى، قال الخطابي: هذا معنى حسن وكأنه ذهب إلى أنه لا عبرة بالإيمان الفطري في أحكام الدنيا، وإنما يعتبر الإيمان الشرعي المكتسب بالإرادة ألا ترى أنه يقول فأبواه يهوّدانه في حكم الدنيا؛ فهو مع وجود الإيمان الفطري فيه محكوم له بحكم أبويه الكافرين، قيل: وتلخيصه أن العالم إما عالم الغيب وإما عالم الشهادة، فإذا نزل الحديث على عالم الغيب أشكل معناه، وإذا صرف إلى عالم الشهادة الذي عليه مبنى ظاهر الشرع سهل تعاطيه. وتحريره أن الناظر إذا نظر إلى المولود نفسه من غير اعتبار عالم الغيب، وإنه ولد على الخلقة التي خلق الله [الناس] عليها من الاستعداد للمعرفة وقبول الحق والتأبي عن الباطل والتمييز بين الخطأ والصواب حكم بأنه لو ترك على ما هو عليه ولم يعتوره من الخارج ما يصده عن النظر الصحيح من التقليد والألف بالمحسوسات والانهماك في الشهوات استمر على ما كان عليه من الفطرة السليمة ولم يختر عليه شيئاً، وينظر فيما نصب من الدلائل على التوحيد وصدق الرسول وغير ذلك نظراً صحيحاً يوصله إلى الحق ويهديه إلى الرشد وعرف الصواب واتبع الحق ودخل في الملة الحنيفية ولم يلتفت إلى ما سواها، لكن يصده عن ذلك أمثال هذه العوائق؛ ونظير ذلك أم الغلام الذي قتله الخضر فإن موسى عليه الصلاة والسلام نظر إلى عالم الشهادة وظاهر الشرع فأنكره، والخضر عليه الصلاة والسلام نظر إلى عالم الغيب وأنه طبع كافراً فقتله ولذلك لما اعتذر الخضر بالعلم الخفي الغائب أمسك موسى عليه الصلاة والسلام عن الاعتراض كذا قالوه. ولعل معنى أنه طبع كافراً، أي خلق وقدر وجبل أنه لو عاش يصير كافراً لئلا يناقضه هذا الحديث (**ذلك**) أي التوحيد الذي هو معنى الفطرة هو (**الدين القيم**) أي

(١) في المخطوطة «إذ».

متفق عليه.

٩١ ـ (١٣) وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمسِ كلماتٍ فقال: «إن اللهَ لا ينامُ، ولا ينبغي له أن ينام، يُخَفِضُ القِسْطَ ويرفعُهُ،

المستقيم الذي لا عوج له ولا ميل إلى تشبيه وتعطيل ولا قدر ولا جبر. (متفق عليه).

٩١ ـ (وعن أبي موسى) أي الأشعري رضي الله عنه كما في نسخة (قال: «قام فينا رسول الله ﷺ) وكان إذا وعظ قام (بخمس كلمات) والكلمة الجملة المفيدة، أي متفوّهاً بخمس فصول، وقيل: قام فينا كناية عن التذكير، أي خطبنا وذكرنا بخمس كلمات، وقال الطيبي: قوله: «فينا» و «بخمس» إما حالان مترادفان، أو متداخلان أي قام خطيباً مذكراً لنا، وإما أن يتعلق «فينا» بقام على تضمين قام معنى خطب ويكون بخمس حالاً، وقام على الوجهين بمعنى القيام، وهناك وجه ثالث وهو أن يتعلق «بخمس» «بقام» ويكون «فينا» بياناً كأنه لما قيل: قام بخمس، قيل: في حق من؟ فقيل: في حقنا، وعلى هذا «قام» بمعنى قام بالأمر، أي نشمر له، أي قام بحفظ تلك الكلمات فينا، قال ابن حجر: ويؤيد الحقيقة حديث «كان عليه الصلاة والسلام ينصرف إلينا بعد العشاء فيحدثنا قائماً على رجليه حتى يراوح بين قدميه من طول القيام»[1]، وفيه أن كون القيام حقيقة في بعض المقام لا يستلزم استمراره في المرام (فقال: إن الله لا ينام) قال تعالى: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ [البقرة ـ ٢٥٥] والسنة النعاس وهو نوم خفيف، أو مقدمة النوم (ولا ينبغي له أن ينام) نفي للجواز تأكيداً لنفي الوقوع على سبيل التتميم، أي لا يكون ولا يصح ولا يستقيم ولا يمكن له النوم، لأن النوم أخو الموت[2] ولأن النوم لاستراحة القوي والله تعالى منزه عن ذلك، وهذه الثانية من الخمس وأغرب ابن حجر بقوله: اعتراض فتأمل والثالثة هي قوله (يخفض القسط ويرفعه) قال التوربشتي: فسر بعضهم القسط[3] بالرزق، أي يقتره ويوسعه، وعبر به عن الرزق لأنه قسط كل مخلوق، أي نصيبه. وفسره بعضهم بالميزان، ويُسمى الميزان قسطاً لما يقع به من المعدلة بالقسط، أي في القسمة وغيرها. وهذا المعنى أولى لما في حديث أبي هريرة: «يرفع الميزان ويخفضه»، والمراد من الميزان ما يوزن من أرزاق العباد النازلة من عنده وأعمالهم المرتفعة إليه، يعني فيخفضه تارة بتقتير الرزق والخذلان بالمعصية ويرفعه أخرى بتوسيع الرزق والتوفيق للطاعة. وفي الخفض والرفع هنا وفيما بعده تضاد ومطابقة وهما مستعاران من المعاني من الأعيان، ويحتمل أنه أراد الإشارة إلى أنه تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ [الرحمن ـ ٢٩]. وأنه يحكم في خلقه بميزان العدل، وبين المعنى بما شوهد من وزن الميزان الذي يزن فيخفض يده ويرفعها، قيل: وهذا

الحديث رقم ٩١: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٦١ حديث (٢٩٣ . ١٧٩). وابن ماجة ١/ ٧٠ حديث رقم ١٩٥ وأحمد في المسند ٤/ ٤٠٥.

(١) ابن ماجة ١/ ٤٢٧ حديث ١٣٤٥.

(٢) في المخطوطة «اخ الموت». (٣) في المخطوطة «القول».

يُرْفَعُ إليه عملُ اللَّيلِ قبلَ عَمَلِ النَّهارِ، وعملُ النهارِ قبلَ عملِ الليلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لو كَشَفَهُ لأحرقت سُبُحَاتُ وجهِهِ

التأويل يناسب قوله: «ولا ينبغي له أن ينام» أي كيف يجوز عليه ذلك وهو الذي يتصرف أبداً في ملكه بميزان العدل والرابعة (**يرفع إليه**) قال القاضي: أي إلى خزائنه كما يقال: حمل المال إلى الملك (**عمل الليل**) أي المعمول فيه (**قبل عمل النهار**) أي قبل أن يؤتي بعمل النهار فيضبط إلى يوم الجزاء، أو يعرض عليه وإن كان هو أعلم به ليأمر ملائكته بإمضاء ما قضى لفاعله جزاء على فعله، وقيل: معناه يقبل الله أعمال المؤمنين فيكون عبارة عن سرعة الإجابة (**وعمل النهار**) عطف على عمل الليل (**قبل عمل الليل**) إشارة إلى السرعة في الرفع والعروج إلى ما فوق السموات فإنه لا فاصل بين الليل والنهار، وقيل: قبل رفع عمل الليل والأوّل أبلغ، قال ابن حجر: وهو بيان لمسارعة الملائكة الموكلين برفع أعمال النهار بعد العصر والليل بعد الصبح وأنهم يقطعون في هذا الزمن القليل تلك المسافة الطويلة التي تزيد على سبعة آلاف سنة على ما رُوي: «أن مسيرة ما بين الأرض والسماء الدنيا خمسمائة سنة، وما بين كل سماءين كذلك وسمك كل سماء كذلك»[1] وتقدير رفع في الأول ورفع، أو فعل في الثاني هو الذي دل عليه الحديث الآخر أن أعمال النهار ترفع بعد صلاة العصر، وأعمال الليل ترفع بعد صلاة الصبح، فلا يقع رفع عمل الليل إلا بعد فعل من عمل النهار، وأما رفع عمل النهار فيقع قبل فعل، أو رفع شيء من عمل الليل لأن بين ابتداء رفعها وعمل الليل فاصلاً يسع ذلك بالنسبة إلى القدرة الباهرة. فالحاصل أن قوله: «قبل عمل النهار» يتعين فيه تقدير رفع ولا يصح تقدير فعل فيه، وقوله: «قبل عمل الليل» يصح فيه كل منهما وتقدير الفعل أبلغ لأن الزمن أقصر فتأمل ذلك لتعلم فساد ما أطلقه بعض الشارحين. اهـ. كلامه والخامسة (**حجابه النور**) أي المعنوي (**لو كشفه**) استئناف جواباً عمن قال: لم لا نشاهده؟ أي لو أزال الحجاب ورفعه (**لأحرقت سبحات وجهه**) بضم أوليه جمع سبحة بالضم، أي أنوار وجهه والوجه الذات وقد قال بعض أهل التحقيق: هي الأنوار التي إذا رآها الراؤون من الملائكة سبحوا وهللوا لما يروعهم من جلال الله وعظمته، لأن كلمة سبحان الله كلمة تعجب وتعجيب على ما قاله ابن الأثير. وقال الكشاف: فيها معنى التعجب، والأصل في ذلك أن يسبح الله في رؤية العجب من صنائعه، ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه، وقيل: حجابه النور، أي حجابه خلاف الحجب المعهودة؛ فهو محتجب عن خلقه بأنوار عزه وجلاله ولو كشف ذلك الحجاب وتجلى لما وراءه من حقائق الصفات وعظمة الذات لم يبق مخلوق إلا احترق. وأصل الحجاب الستر الحائل بين الرائي والمرئي وهو ههنا يرجع إلى منع الأبصار من الإصابة بالرؤية، فهو كناية عن منع رؤيته تعالى في الدنيا، أو عن الإحاطة بذاته في الدنيا والعقبى. وجملة: «لو كشفه» الخ استئنافية مبينة للكلام السابق كأنه قيل: لم خص حجابه بالنور أو لم يكشف ذلك الحجاب؟ فأجيب: بأنه لو كان من غيره أو لو كشفه لأحترق العالم، وإنما أورد الجمل السابقة فعلية

---

(١) أخرج الترمذي نحوه ٥/ ٣٧٤ حديث رقم ٣٢٩٤.

ما انتهى إليه بصرُهُ من خلقه». رواه مسلم.

٩٢ ـ (١٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يدُ الله ملأى لا تَغيضُها نفقةٌ، سَحَّاءُ الليلَ والنهارَ، أرأيتُم ما أنفقَ مُذْ خَلقَ السَّماءَ والأرضَ؟ فإنه لم يَغِضْ ما في يَدِهِ»

مضارعية لإفادة التجدد مع الاستمرار، وأما هذه الجملة الاسمية فتدل على الثبات والدوام في هذا العالم. وإذا صفت المؤمنون عن الكدورات البشرية في دار الثواب فيرونه بلا حجاب كما أن النبي عليه الصلاة والسلام رآه في الدنيا لانقلابه نوراً كما قال في الدعاء: «اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي بشري نوراً» إلى قوله: «واجعلني نوراً»[1] (ما انتهى) أي وصل (إليه) الضمير لما (بصره) تعالى، وقيل: الضمير في بصره راجع إلى ما، وهو موصول مفعول به لأحرقت وضمير إليه راجع إلى وجهه تعالى و (ومن خلقه») بيان لما، أو متعلق بأحرقت؛ والمراد من خلقه جميع الموجودات (رواه مسلم) قيل: معناه مسبوك من معنى آية الكرسي فهو سيد الأحاديث كما أنها سيدة الآيات.

٩٢ ـ (وعن أبي هريرة) [رضي الله عنه] (قال: قال رسول الله ﷺ: «يد الله) كناية عن محل عطائه، أي خزائنه (ملأى) على زنة فعلى تأنيث ملآن، كناية عن كثرة تلك النعمة وعمومها (لا تغيضها) بالتأنيث، وقيل: بالياء، أي لا تنقصها (نفقة) أي انفاق (سحاء) بالمهملتين والمد من سح الماء إذا سال من فوق ومن سححت الماء أي صببته صفة لنفقة، أو ليد وهو الأصح وقوله (الليل والنهار) [منصوبان على الظرف، أي دائمة الصب في الليل والنهار]، وثبت في صحيح مسلم «سحاً» بلفظ المصدر، وفي رواية لمسلم: «سح الليل والنهار»[2] بفتح الحاء والإضافة قاله الأبهري، وفيه إشارة إلى أنها المعطية عن ظهر غنى، لأن الماء إذا انصب من فوق انصب بسهولة وإلى جزالة عطاياه، لأن السح يستعمل فيما بلغ وارتفع عن القطر حد السيلان وإلى أنه لا مانع لاعطائه، لأن الماء إذا أخذ في الإنصباب لم يستطع أحد أن يرده. (أرأيتم) أخبروني، وقيل: أعلمتم وأبصرتم (ما أنفق) ما مصدرية، أي انفاق الله، وقيل: ما موصولة متضمنة معنى الشرط (مذ خلق السماء والأرض) أي من أول زمان خلق أعلنهما (فإنه) أي الإنفاق (لم يغض) [بفتح الياء] وكسر الغين لم ينقص (ما في يده) موصولة مفعول، أي في خزائنه. وقال الطيبي: يد الله ملأى، أي نعمته غزيرة كقوله تعالى: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ [المائدة: ٦٤] فإن بسط اليد مجاز عن الجود ولا قصد إلى إثبات يد ولا بسط كذا

---

(١) البخاري ١١/١١٦ حديث ٦٣١٦.

الحديث رقم ٩٢: أخرجه البخاري في الصحيح ٨/٣٥٢ حديث ٤٦٨٤. ومسلم في الصحيح ٢/٦٩١ حديث ٣٧ والترمذي ٤/٢٣٤ حديث ٣٠٤٥ وابن ماجة ١/٧١ حديث رقم ١١٧ وأحمد في المسند ٢/٣١٣.

(٢) مسلم ٣/١٤٥٨ حديث رقم ١٨٢٧.

وكان عرشُهُ على الماءِ، وبيدِهِ الميزانُ يَخفِضُ ويَرْفَعُ». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «يمين الله ملأى - قال ابن نُمَير ملآن - سحاء لا يَغيضُها شيء الليل والنهار».

٩٣ - (١٥) وعنه، قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ عن ذَرارِيِّ المشركين،

في الكشاف، وقال المظهر: يد الله أي خزائن الله، قيل: إطلاق اليد على الخزائن لتصرفها فيها والمعنى بالخزائن قوله: ﴿كن فيكون﴾ [الأنعام - ٧٣] لأنه له القدرة على إيجاد المعدوم ولذلك لا ينقص أبداً، وقوله: «ملأى ولا تغيضها وسحاء وأرأيتم» على تأويل القول، أي مقول فيها أخبار مترادفة ليد الله، ويجوز أن تكون الثلاثة الأخيرة وصفاً لملأى وأن يكون أرأيتم استئنافاً وقوله (وكان عرشه على الماء) حال من ضمير خلق وكذا قوله (وبيده الميزان) حال منه، أو من خبر كان، أو من اسمه على رأي سيبويه وسيأتي تحقيق معنى قوله: «وكان عرشه على الماء» في باب بدء الخلق، ومعنى قوله: «بيده الميزان» بقدرته وتصرفه ميزان الأعمال والأرزاق. (يخفض ويرفع) أي ينقص النصيب والرزق باعتبار ما كان يمنحه قبل ذلك ويزيد بالنظر إليه بمقتضى قدره الذي هو تفصيل لقضائه الأول، أو يخفض ويرفع ميزان أعمال العباد المرتفعة إليه يقللها لمن يشاء ويكثرها لمن يشاء كمن بيده الميزان يخفض تارة ويرفع أخرى، وقيل: المراد به العدل يعني ينقص العدل في الأرض تارة بغلبة الجور وأهله ويرفعه تارة بغلبة العدل وأهله. (متفق عليه وفي رواية لمسلم: يمين الله ملأى) قيل: خص اليمين لأنها مظنة العطاء، أو إشارة إلى يمن العطاء وبركته فمن تلقاه بالقبول والرضا بورك له في قليله حتى فاق على كثير ليس كذلك على ما هو مشاهد، وورد في الحديث: «وكلتا يديه يمين» أي مباركة قوية قادرة لا مزية لأحداهما على الأخرى، ولعله أراد باليدين التصرفين من إعطاء الجزيل والقليل. (قال ابن نمير) بالتصغير أي عبد الله في روايته (ملآن) أي رواه كذا، قال النووي: قالوا: هذا غلط منه وصوابه ملأى بالتأنيث كما في سائر الروايات، قال الطيبي: إن أرادوا رده رواية ونقلاً فلا نزاع وإن أرادوا رده لعدم المطابقة فإن اليد مؤنثة فأمره سهل لأن معنى يد الله إحسانه وإفضاله، قلت: وفيه أنه لا يلائمه قوله: «سحاء» (لا يغيضها شيء الليل والنهار).

٩٣ - (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال: سئل رسول الله ﷺ عن ذراري المشركين) جمع ذرية وهي نسل الأنس والجن ويقع على الصغار والكبار، إما من الذر بمعنى التفريق لأن الله تعالى فرقهم في الأرض، أو من الذرء بمعنى الخلق فتركت الهمزة، أو أبدلت، والمراد عن حكم أولادهم إذا ماتوا قبل البلوغ أنهم من أهل النار أو الجنة.

واعلم أن الولد تابع لأشرف الأبوين ديناً فيما يرجع إلى أمور الدنيا وهو معنى قوله ﷺ

الحديث رقم ٩٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ٢٤٥ حديث رقم ١٣٨٤. وأخرجه مسلم في الصحيح ٤/ ٢٠٤٩ حديث ٢٦ وأخرجه أبو داود ٥/ ٨٤ حديث رقم ٤٧١١ والنسائي ٤/ ٥٨ حديث رقم ١٩٥٠ وأحمد في المسند ٢/ ٣٩٣.

قال: «الله أعلمُ بما كانوا عاملين». متفق عليه.

الفصل الثاني

٩٤ ـ (١٦) وعن عُبادة بن الصامت، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أولَ ما خلق اللهُ القلمُ،

في بعض الروايات: «هم من آبائهم»، وأما فيما يرجع إلى أمور الآخرة من الثواب والعقاب فموقوف موكول إلى علم الله تعالى لأن السعادة والشقاوة ليستا معللتين عندنا بالأعمال، بل الله تعالى خلق من شاء شقياً ومن شاء سعيداً. وجعل الأعمال دليلاً على السعادة والشقاوة. (**قال: الله أعلم بما كانوا عاملين**) أي الله أعلم بما هم صائرون إليه من دخول الجنة أو النار أو الترك بين المنزلتين. وقد اختلفوا في ذلك فقيل: إنهم من أهل النار تبعاً للأبوين، وقيل: من أهل الجنة نظراً إلى أصل الفطرة، وقيل: إنهم خدام أهل الجنة، وقيل: إنهم يكونون بين الجنة والنار لا منعمين ولا معذبين، وقيل: من علم الله منه أنه يؤمن ويموت عليه إن عاش أدخل الجنة ومن علم منه أنه يعجز ويكفر أدخله النار، وقيل: بالتوقف في أمرهم وعدم القطع بشيء وهو الأولى لعدم التوقيف من جهة الرسول ﷺ فلم يقطع عليه الصلاة والسلام بكونهم من أهل الجنة ولا من أهل النار بل أمرهم بالاعتقاد الذي عليه أكثر أهل السنة من التوقف في أمرهم كذا ذكره ابن الملك في شرح المصابيح. وفيه أن الترك بين المنزلتين غير ثابت في الكتاب والسنة وأهل الأعراف مآلهم الجنة، وقيل: إنهم يمتحنون بدخول النار في تلك الدار والله أعلم. وقال ابن حجر: هذا قبل أن ينزل فيهم شيء فلا ينافي أن الأصح أنهم من أهل الجنة. (**متفق عليه**).

(الفصل الثاني)

٩٤ ـ (**عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما خلق الله القلم**) بالرفع وهو ظاهر وروي بالنصب، قال بعض المغاربة: رفع القلم هو الرواية فإن صح النصب كان على لغة من ينصب خبر إن، وقال المالكي: يجوز نصبه بتقدير كان على مذهب الكسائي كقوله:

* يا ليت أيام الصبا رواجعا *

وقال المغربي: لا يجوز أن يكون القلم مفعول «خلق» لأن المراد أن القلم أول مخلوق، وإذا جعل مفعولاً لخلق أوجب أن يقال: اسم إن ضمير الشأن، وأول ظرف فينبغي أن تسقط الفاء من قوله: «فقال» إذ يرجع المعنى إلى أنه قال له: اكتب حين خلقه فلا أخبار بكونه أول مخلوق. اهـ. وإنما أوجب ما ذكر لأنه بدونه يفسد أصل المعنى؛ إذ يصير التقدير إن أول

الحديث رقم ٩٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٩٨ حديث رقم ٢١٥٥. وقال غريب من هذا الوجه. وأخرجه أحمد في المسند ٥/ ٣١٧.

فقال له: اكتُب. فقال: ما أكتب؟ قال: اكتُب القدر. فكتبَ ما كان وما هو كائنٌ إلى الأبد»[1].

شيء خلق الله القلم وهو غير صحيح، وقيل: لو صحت الرواية بالنصب لم تمتع الفاء ذلك إذ يقدر قبل فقال: أمره. وهو العامل في الظرف كذا حققه الطيبي. وفيه أنه حينئذ لا يكون تنصيص على أوّلية خلق القلم الذي يدل عليه رواية الرفع الصحيحة، وفي الأزهار: «أوّل ما خلق الله القلم» يعني بعد العرش والماء والريح لقوله عليه الصلاة والسلام: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأراضين بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء»[2] رواه مسلم، وعن ابن عباس سئل عن قوله تعالى: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ [هود ـ ٧] «على أي شيء كان الماء؟ قال: على متن الريح» رواه البيهقي ذكره الأبهري، فالأوّلية إضافية والأوّل الحقيقي هو النور المحمدي على ما بينته في المورد للمولد **(فقال)** أي الله وفي نسخة صحيحة **(له)** أي للقلم **(اكتب)** أمر بالكتابة **(قال)** وفي نسخة بالفاء **(ما أكتب)** ما استفهامية مفعول مقدم على الفعل **(قال: اكتب القدر)** أي المقدر المقضي، وفي المصابيح قال: «القدر ما كان» الخ قال شراحة، أي اكتب القدر فنصبه بفعل مقدر وما كان بدل من المقدر، أو عطف بيان. **(فكتب ما كان)** المضي بالنسبة إليه عليه الصلاة والسلام قال الطيبي: ليس حكاية عما أمر به القلم وإلا لقيل فكتب ما يكون، وإنما هو أخبار باعتبار حالة عليه الصلاة والسلام، أي قبل تكلم النبي ﷺ بذلك لا قبل القلم، لأن الغرض أنه أوّل مخلوق، نعم إذا كانت الأوّلية نسبية صح أن يراد ما كان قبل [القلم] **(وما هو كائن)** ما موصولة **(إلى الأبد)** قال الأبهري: ما كان يعني العرش والماء والريح وذات الله وصفاته. اهـ. ويمكن أن يحمل ما كان على القضاء وما هو كائن على القدر والله أعلم.

* ظهر لي * فيه إشكال والله أعلم بالحال وهو أن ما لا يتناهى في المآل كيف ينحصر وينضبط تحت القلم في الاستقبال سيما مع قوله عليه الصلاة والسلام: «جف القلم»[3] اللهم إلا أن يقال: المراد به كتابة الأمور الإجمالية الكلية لا الأحوال التفصيلية الجزئية وهو خلاف ظواهر الأدلة المروية، ثم رأيت الأبهري نقل عن زين العرب أن الأبد هو الزمان المستمر غير المنقطع، فالجمع بينه وبين إلى ممتنع لأنه لا يمكن وصول شيء إليه حتى ينتهي، قلت: يحمل الأبد على الزمان الطويل. ا هـ. وفيه أن الزمان الطويل والله أعلم أنه انقراض العالم، أو استقرار الفريقين في الموضعين، ويلزم منه أن لا تكون أحوال الدارين مكتوبة والله أعلم. ثم رأيت في الدر المنثور[4] نقلاً عن ابن عباس: «إن أول شيء خلقه الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: يا رب وما أكتب، قال: اكتب القدر يجري من ذلك بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة،

---

(١) في المخطوطة إلى يوم القيامة بدل إلى الأبد.

(٢) راجع الحديث رقم ٧٩.

(٣) من حديث أخرجه الترمذي ٥/ ٢٦ حديث رقم ٢٦٤٢.

(٤) «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» للإمام جلال الدين السيوطي.

رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ إسناداً.

٩٥ ـ (١٧) وعن مسلم بن يسار رضي الله عنه، قال: سُئِل عمرُ بن الخطاب [رضي الله عنه] عن هذه الآية: ﴿وإذ أخذ ربُّك من بني آدم من ظُهورِهم ذُرِّيتَهُم﴾ الآية، قال عمرُ: سمعت رسول الله ﷺ يُسأل عنها فقال: «إن الله خلق آدمَ، ثم مسح ظَهرَهُ بيمينِهِ،

ثم طوى الكتاب ورفع القلم» رواه البيهقي وغيره والحاكم وصححه، وفي الدر أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول شيء خلق الله القلم ثم النون وهي الدواة»، ثم قال له: اكتب، قال: وما أكتب، قال: ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل أو أثر أو رزق أو أجل، فكتب ما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم ختم على فم القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة» أخرجه الحكيم الترمذي[(١)] هذا وروي «أن أوّل ما خلق الله العقل، وأن أوّل ما خلق الله نوري وأن أوّل ما خلق الله روحي، وأن أوّل ما خلق الله العرش»، والأوّلية من الأمور الإضافية فيؤوّل أن كل واحد مما ذكر خلق قبل ما هو من جنسه؛ فالقلم خلق قبل جنس الأقلام ونوره قبل الأنوار وإلا فقد ثبت أن العرش قبل خلق السموات والأرض، فنطلق الأوّلية على كل واحد بشرط التقييد فيقال: أوّل المعاني كذا، وأوّل الأنوار كذا، ومنه قوله: «أوّل ما خلق الله نوري»، وفي رواية: «روحي» ومعناهما واحد، فإن الأرواح نورانية، أي أوّل ما خلق الله من الأرواح روحي (**رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب إسناداً**) أي لا متناً، والمراد به حديث يعرف متنه عن جماعة من الصحابة، وانفرد واحد بروايته عن صحابي آخر، ومنه قول الترمذي: غريب من هذا الوجه، واستيفاء هذا البحث في أصول الحديث.

٩٥ ـ (**وعن مسلم بن يسار**) أي الجهني قال الترمذي: حديثه حسن إلا أنه لم يسمع عمر كذا ذكره المصنف في التابعين. (**قال: سئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن هذه الآية**) أي عن كيفية أخذ الله ذرية بني آدم من ظهورهم المذكور في الآية (﴿**وإذ أخذ**﴾) أي أخرج (﴿**ربك من بني آدم من ظهورهم**﴾) بدل البعض قاله ابن الملك وكذا ذكره البيضاوي، وقال السيوطي: إنه بدل الاشتمال ووافقه أبو البقاء وهو الأظهر معنى. وإن كان الأوّل أظهر لفظاً وقد حققته في حاشيتي الجمالين على الجلالين[(٢)]. (﴿**ذريتهم**﴾) الجمهور على الإفراد وبعضهم على الجمع (**الآية**) بالحركات الثلاث (**قال عمر: سمعت رسول الله ﷺ يسأل**) بصيغة المفعول (**عنها**) أي عن هذه الآية (**فقال: إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره**) أي ظهر آدم (**بيمينه**) أي بقدرته وقوّته، قال الطيبي ينسب الخير إلى اليمين، ففيه تنبيه على تخصيص آدم بالكرامة، وقيل: بيد بعض

(١) وفي المستدرك نحوه ٢/ ٤٩٨.

الحديث رقم ٩٥: أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٨٩٨ حديث رقم ٢ من كتاب القدر والترمذي ٥/ ٢٤٨ حديث رقم ٣٠٧٥ وقال حديث حسن وأبو داود في السنن ٥/ ٧٩ حديث ٤٧٠٣ وأحمد في المسند ١/ ٤٤.

(٢) الجمالين على الجلالين لنور الدين علي بن سلطان محمد القاري ت (١٠١٠).

فاستخرَجَ منه ذُرِّيَّةً،

ملائكته وهو الملك الموكل على تصوير الأجنة أسند إليه تعالى للتشريف، أو لأنه الآمر والمتصرف كما أسند إليه التوفي في قوله تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس﴾ [الزمر ـ ٤٢] وقال تعالى: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾ [النحل ـ ٢٨] ويحتمل أن يكون الماسح هو الله تعالى. والمسح من باب التصوير والتمثيل. وقيل: هو من المساحة بمعنى التقدير كأنه قال: قدر وبين ما في ظهره من الذرية، وقال البيضاوي في تفسيره: إن معنى الآية أنه نزل تمكين بني آدم من العلم بربوبيته بنصب الدلائل وخلق الاستعداد فيهم وتمكنهم من معرفتها والإقرار بها منزلة الإشهاد والاعتراف تمثيلاً وتخييلاً فلا [قول] ثمّ ولا شهادة حقيقة. ا هـ. وفيه أن هذا يرجع إلى مذهب المعتزلة وإن كان أصله نقل عن الحسن البصري؛ وقال الإمام الرازي: أطبقت المعتزلة على أنه لا يجوز تفسير هذه الآية بهذا الحديث، لأن قوله ﴿من ظهورهم﴾ بدل من ﴿بني آدم﴾ فالمعنى: وإذ أخذ ربك من ظهور بني آدم، فلم يذكر أنه أخذ من ظهر آدم شيئاً ولو كان المراد الأخذ من ظهر آدم لقيل: من ظهره، وأجاب بأن ظاهر الآية يدل على أنه تعالى أخرج الذرية من ظهور بني آدم، وأما أنه أخرج تلك الذرية من ظهر آدم فلا تدل الآية على إثباته أو نفيه، والخبر قد دل على ثبوته فوجب القول بهما معاً بأن بعض الذر من ظهر بعض الذر، والكل من ظهر آدم صوناً للآية، والحديث عن الاختلاف. قال بعض المحققين: إن بني آدم من ظهره فكل ما أخرج من ظهورهم فيما لا يزال إلى يوم القيامة هم الذين أخرجهم الله تعالى في الأزل من صلب آدم، وأخذ منهم الميثاق الأزلي ليعرف منه أن النسل المخرج فيما لا يزال من أصلاب بنيه هو المخرج في الأزل من صلبه وأخذ منهم الميثاق الأوّل وهو المقالي الأزلي، كما أخذ منهم فيما لا يزال بالتدريج حين أخرجوا الميثاق الثاني وهو الحالي الإنزالي. والحاصل أن الله تعالى لما كان له ميثاقان مع بني آدم أحدهما تهتدي إليه العقول من نصب الأدلة الحاملة على الاعتراف الحالي، وثانيهما المقالي الذي لا يهتدي إليه العقل بل يتوقف على توقيف واقف على أحوال العباد من الأزل إلى الأبد كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أراد عليه الصلاة والسلام أن يعلم الأمة ويخبرهم أن وراء الميثاق الذي يهتدون إليه بعقولهم ميثاقاً آخر أزلياً ما فقال ما قال من مسح ظهر آدم في الأزل وإخراج ذريته وأخذه الميثاق عليهم. اهـ. وبهذا يزول كثير من الإشكالات فتأمل فيها حق التأمل، وقال القاضي في شرحه للمصابيح: التوفيق بينهما أن يقال: المراد من بني آدم هو أولاده فكأنه صار اسماً للنوع كالإنسان، والمراد من الإخراج توليد بعضهم من بعضهم على مر الزمان، واقتصر في الحديث على آدم لأنه الأصل. ا هـ. وفيه أن التوليد على [المر] الزماني ينافي الميثاقي الموصوف بالآتي فكيف يكون الحديث تفسيراً للآية، ثم سنح لي بالبال [أنه يمكن] أن يقال: إنما اقتصر في الآية على الذرية لظهور أمر آدم بالأدلة النقلية والعقلية خصوصاً من الإضافة الأبنية كما هو مقتضى الفصاحة القرآنية والبلاغة الفرقانية الموصوفة بالإعجاز التي من جملة دلالاته صنعة الإطناب والإيجاز. ولما فهم عليه الصلاة والسلام من السؤال بقرينة الحال موضع الإشكال لما وقع فيه من الإجمال اقتصر على مقدار الحاجة من المقال فقال: (فاستخرج منه ذرية) قيل: قبل دخول آدم

فقال: خلقتُ هؤلاءِ للجنَّةِ، وبعملِ أهلِ الجنةِ يعملون، ثُم مَسح ظهرهُ فاستخرَجَ منه ذريةً، فقال: خلقتُ هؤلاءِ للنار، وبعملِ أهلِ النَّارِ يعملونَ». فقال رجل: ففيمَ العَملُ؟ يا رسولَ اللَّهِ! فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إن اللَّهَ إذا خلقَ العَبْدَ للجنَّةِ؛ استعملهُ بِعَمَلِ أهلِ الجنةِ حتى يموتَ على عملٍ من أعمالِ أهلِ الجنَّةِ فيدخِلُهُ بِهِ الجنةَ، وإذا خلق العبدَ للنار؛

الجنة بين مكة والطائف، وقيل: ببطن نعمان وأنه بقرب عرفة، وقيل: في الجنة وقيل: بعد النزول منها بأرض الهند، وروي عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنشرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلاً قال: ﴿ألست بربكم قالوا: بلى شهدنا﴾. وسيجيء في الفصل الثالث ما يدل على أن المراد من هذا الحديث هذا. ولما كان السائل بليغاً عارفاً بصناعة الكلام سكت عند حصول المرام، ونقل السيد السند[1] عن الأزهار أنه قيل: شق ظهره واستخرجهم منه، وقيل: إنه استخرجهم من ثقوب رأسه، والأقرب أنه استخرجهم من مسام شعرات ظهره. **(فقال: خلقت هؤلاء للجنة)** وفي تقديمهم إشارة إلى معنى الحديث القدسي: «سبقت رحمتي غضبي»[2] **(وبعمل أهل الجنة)** أي من الطاعات **(يعملون)** إما في جميع عمرهم، أو في خاتمة أمرهم **(ثم مسح ظهره)** أي بيده كما في نسخة، ولم يقل هنا بيمينه بخلافه فيما تقدم لأن اليمين مظهر الخير وليظهر الفرق بين أهل الجنة والنار ولم يقل هنا بشمالة تأدباً، ومن ثم ورد: «كلتا يدي الرحمن يمين»[3] لأن الشر المحض ليس له وجود في الكون. **(فاستخرج منه ذرية. فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار)** أي من السيئات **(يعملون)** كما سبق، وفي الجمع بين الخلق والعمل إشارة لطيفة إلى مذهب أهل السنة والجماعة المتوسطة بين الجبرية والقدرية **(فقال رجل: ففيم العمل يا رسول الله؟)** الفاء دخل جواب الشرط المقدر وفي وقع موقع لام الفرض[4] أي إذا كان كما ذكرت يا رسول الله من سبق القدر ففي أي شيء يفيد العمل؟، أو بأي شيء يتعلق العمل؟، أو فلأي شيء أمرنا بالعمل؟ يعني أنه حيث خلق له ولا يتصوّر تغييره وتبديله يستوي عمله وتركه، ولما كان هذا جبراً محضاً مزجه بنوع من القدر المتعلق بالعمل ليعتدل الأمر المستقيم والدين القويم الذي هو عبارة عن الجمع بين خلق الله وكسب العبد. **(فقال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله)** أي جعله عاملاً ووفقه للعمل **(بعمل أهل الجنة)** فيه إشارة إلى تقوية الجبر ولذا لا يذم إلا محض الجبر **(حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة)** إشارة إلى أن المدار على عمل مقارن بالموت **(فيدخله به الجنة)** الإدخال بالأفضال والدرجات بالأعمال والخلود بالنية في الأحوال. **(وإذا خلق الله العبد للنار**

---

(١) في المخطوطة «سند» من غير ال.

(٢) البخاري في صحيحه ١٣/ ٥٢٢ حديث ٧٥٥٣. ومسلم ٤/ ٢١٠٨ حديث ٢٧٥١.

(٣) مسلم ٣/ ١٤٥٨ حديث رقم ١٨٢٧.

(٤) في المخطوطة الغرض.

استعملهُ بعملِ أهلِ النَّارِ حتى يموتَ على عملٍ من أعمالِ أهلِ النارِ فيدخِلَهُ به النَّارَ». رواه مالك، والترمذي، وأبو داود.

٩٦ - (١٨) وعن عبدِ اللّهِ بن عمرو رضي الله عنه، قال: خرج رسولُ الله ﷺ، وفي يديه كتابانِ، فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان؟» قلنا: لا، يا رسول الله! إلا أن تخبرنا. فقال للذي في يده اليمنى: «هذا كتابٌ من ربِّ العالمين، فيه أسماءُ أهلِ الجنّةِ،

استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار) الإدخال بالعدل والدرجات بالعمل والخلود بالنية وطول الأمل، فلا يرد أن ظاهر العدل بالنسبة إلى من كفر سبعين سنة أن لا يعذب زيادة عليها فإن نية الكافر أن لو عاش أبد الآباد لإصر على كفره إما جهلاً وإما على وجه العناد. **(رواه مالك والترمذي وأبو داود)** وحسناه وأحمد وعبد الله بن حميد والبخاري في تاريخه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان[1] والآجري كذا في الجامع الصغير، وفي الكبير فلذلك أقول: «جف القلم على علم الله»[2] رواه الطبراني وابن جرير والبيهقي في السنن.

٩٦ - **(وعن عبد الله بن عمرو)** بالواو **(رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ وفي يديه)** وفي بعض النسخ: «وفي يده» كما في أكثر نسخ المصابيح فيراد بها الجنس **(كتابان)** والواو للحال **(فقال: أتدرون)** أي أتعلمون **(ما هذان الكتابان؟)** الظاهر من الإشارة أنهما حسيان، وقيل: تمثيل واستحضار للمعنى الدقيق الخفي في مشاهدة السامع حتى كأنه ينظر إليه رأي العين، فالنبي ﷺ لما كوشف له بحقيقة هذا الأمر وأطلعه الله عليه اطلاعاً لم يبق معه خفاء صوّر الشيء الحاصل في قلبه بصورة الشيء الحاصل في يده، وأشار إليه إشارة إلى المحسوس **(قلنا: لا)** أي لا ندري **(يا رسول الله إلا أن تخبرنا)** استثناء مفرغ، أي لا نعلم بسبب من الأسباب إلا بإخبارك إيانا، وقيل: الاستثناء منقطع، أي لكن إن أخبرتنا علمنا، وكأنهم طلبوا بهذا الاستدراك إخباره إياهم. **(فقال: للذي في يده اليمنى)** أي لأجله وفي شأنه، أو عنه، وقيل: «قال» بمعنى أشار فاللام بمعنى إلى **(هذا كتاب من رب العالمين)** خصه بالذكر دلالة على أنه تعالى مالكهم وهم له مملوكون يتصرف فيهم كيف يشاء فيسعد من يشاء ويشقي من يشاء وكل ذلك عدل وصواب فلا اعتراض لأحد عليه، وقيل: الظاهر أن هذا كلام صادر على طريق التصوير والتمثيل مثل الثابت في علم الله تعالى، أو المثبت في اللوح بالمثبت بالكتاب الذي كان في يده، ولا يستبعد اجراؤه على الحقيقة فإن الله تعالى قادر على كل شيء والنبي ﷺ مستعد لإدراك المعاني الغيبية ومشاهدة الصور المصوغة لها. **(فيه أسماء أهل الجنة**

---

(١) أخرجه ابن حبان ٨/ ١٤ حديث رقم ٦١٣٣.

(٢) وأخرجه الترمذي ٥/ ٢٦ حديث ٢٦٤٢ والبخاري تعليقاً ١١/ ٤٩١.

الحديث رقم ٩٦: أخرجه الترمذي ٤/ ٣٩١ حديث رقم ٢١٤١ وقال هذا حديث حسن غريب صحيح. وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ١٦٧.

وأسماءُ آبائِهم وقبائِلِهم، ثم أُجمِلَ على آخرهم، فلا يُزاد فيهم ولايُنقَصُ منهم أبداً». ثم قال للذي في شماله: «هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماءُ أهلِ النار، وأسماء آبائهم وقبائلهم،

وأسماء آبائهم وقبائلهم) الظاهر أن كل واحد من أهل الجنة وأهل النار يكتب أسماؤهم وأسماء آبائهم وقبائلهم سواء كانوا من أهل الجنة أو النار للتمييز التام كما يكتب في الصكوك، قال الأشرف: أهل الجنة تكتب أسماؤهم وأسماء آبائهم وقبائلهم الذين هم أهل النار في الكتاب الذي باليمين وبالعكس في أهل النار، وإلا فالآباء والأبناء إذا كانوا من جنس أهل الجنة أو من جنس أهل النار فلا حاجة إلى إفراد ذكرهم لدخولهم تحت قوله: «فيه أسماء أهل الجنة وفيه أسماء أهل النار». **(ثم أجمل على آخرهم)** من قولهم: أجمل الحساب إذا تمم ورد التفصيل إلى الإجمال وأثبت في آخر الورقة مجموع ذلك وجمله كما هو عادة المحاسبين أن يكتبوا الأشياء مفصلة ثم يوقعوا في آخرها فذلكة ترد التفصيل إلى الإجمال. وضمن «أجمل» معنى أوقع فعدي بعلى، أي أوقع الإجمال على من انتهى إليه التفصيل، وقيل: ضرب بالإجمال على آخر التفصيل، أي كتب ويجوز أن يكون حالاً، أي أجمل في حال انتهاء التفصيل إلى آخرهم فعلى بمعنى إلى **(فلا يزاد فيهم)** جزاء شرط، أي إذا كان الأمر على ما تقرر من التفصيل والتعيين والإجمال بعد التفصيل في الصك فلا يزاد فيهم **(ولا ينقص)** بصيغة المجهول **(منهم أبداً)** لأن حكم الله لا يتغير، وأما قوله تعالى: **﴿لكل أجل كتاب * يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾** [الرعد - ٣٨ - ٣٩] فمعناه لكل انتهاء مدة وقت مضروب فمن انتهى أجله يمحوه ومن بقي من أجله يبقيه على ما هو مثبت فيه، وكل ذلك مثبت عند الله في أم الكتاب وهو القدر كما أن ما يمحو ويثبت هو القضاء، فيكون ذلك عين ما قدر وجرى في الأزل كذلك فلا يكون تغيير، أو المراد منه محو المنسوخ من الأحكام وإثبات الناسخ، أو محو السيئات من التائب وإثبات الحسنات بمكافأته وغير ذلك. ويمكن أن يقال: المحو والإثبات يتعلقان بالأمور المعلقة دون الأشياء المحكمة والله أعلم. ففي الجامع الصغير برواية الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً: «إن الله تعالى خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء، قلمه نور وكتابه نور لله في كل يوم ستون وثلثمائة لحظة يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء»[1]، قال ابن حجر: ولا ينافيه قوله تعالى: **﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾** [الرعد - ٣٩] لما مر أن المحو والإثبات إنما هو بالنسبة لما في اللوح المحفوظ وعلم الملائكة لأن الأشياء فيه قد تكون معلقة على أسباب يتغير بوجودها وفقدها لا لأم الكتاب المراد بها علم الله تعالى القديم لأنه لا محو فيه ولا إثبات. وسر ذلك التعليق مع أنه لا يقطع إلا الموافق للعلم القديم مزيد التعمية على الملائكة المطلعين على ذلك، وتحقيق انفراده تعالى بعلمه القديم، وإنه لا يمكن أحداً أن يطلع عليه إلا بالنسبة لجزئيات معينة كإعلامه عليه الصلاة والسلام لجماعة من أصحابه على التعيين أنهم من أهل الجنة. **(ثم قال للذي في شماله: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم)** والفاسق مسكوت عنه كما

---

(١) ذكره في الجامع الصغير ١/ ١٠٨ حديث رقم ١٧٣٧.

ثم أجمل على آخرهم؛ فلا يزادُ فيهم ولا يُنقَصُ منهم أبداً». فقال أصحابه: ففيم العملُ يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه؟ فقال: «سَدِّدوا وقاربوا؛ فإن صاحبَ الجنة يُخْتَمُ له بعملِ أهلِ الجنة وإن عملَ أي عملٍ وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل». ثم قال رسول الله ﷺ بيديه فنبذهما، ثم قال: «فرغَ ربُّكم من العبادِ

هو دأب الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في جميع الأحكام الوعدية والوعيدية ليكون بين الخوف والرجاء راضياً بما جرى عليه من القضاء، والأظهر أنه مكتوب في أهل الجنة لأن مآله إليها وإن دخل النار فإن الخاتمة هي المدار عليها. **(ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً فقال أصحابه)** رضي الله عنهم: **(ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه؟)** بصيغة المجهول، يعني إذا كان المدار على كتابة الأزل فأي فائدة في اكتساب العمل؟ **(فقال: سددوا)** أي اجعلوا أعمالكم مستقيمة على طريق الحق **(وقاربوا)** أي اطلبوا قربة الله تعالى بطاعته بقدر ما تطيقونه، والجواب من أسلوب الحكيم، أي فيم أنتم من ذكر القدر والاحتجاج به وإنما خلقتم للعبادة فاعملوا وسددوا وقاربوا قاله الطيبي. وقال الشيخ ابن حجر في شرح البخاري: سددوا، أي الزموا السداد وهو الصواب من غير إفراط وتفريط وقاربوا، أي إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه. وقال الكرماني: وقاربوا في العبادة ولا تباعدوا فإنكم إن باعدتم في ذلك لم تبلغوه، أو معناه ساعدوا. يقال: قاربت فلاناً إذا ساعدته، أي ليساعد بعضكم بعضاً في الأمور. وحاصل الجواب والله أعلم بالصواب نفي الجبر والقدر وإثبات الحكم باعتدال الأمرين كتابة الأزل وسراية العمل، أو لأن الأعمال أمارات وعلامات فلا بد من وجودها إذ لا يعمل الله تعالى بمجرد علمه والله أعلم. ولذا قال ﷺ: **(فإن صاحب الجنة يختم له)** بصيغة المجهول **(بعمل أهل الجنة)** أي بعمل مشعر بإيمانه ومشير بإيقانه **(وإن عمل)** أي ولو عمل قبل ذلك **(أي عمل)** من أعمال أهل النار **(وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار)** أعم من الكفر والمعاصي **(وإن عمل أي عمل)** أي قبل ذلك **(من أعمال أهل الجنة، ثم قال رسول الله ﷺ:)** أي أشار **(بيديه)** العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال فتطلقه على غير الكلام واللسان فتقول: قال: بيده، أي أخذ وقال برجله، أي مشى:

وقالت له العينان: سمعاً وطاعة * وحدرتا كالدر لما يثقب

أي أومأت، وقال بالماء على يده، أي قلب وقال بثوبه، أي رفعه **(فنبذهما)** أي طرح ما فيهما من الكتابين قيل: وراء ظهره، وفي الأزهار: الضمير في نبذهما لليدين لأن نبذ الكتابين بعيد من دأبه. اهـ. وفيه أن نبذهما ليس بطريق الإهانة، بل إشارة إلى أنه نبذهما إلى عالم الغيب. ثم هذا كله إذا كان هناك كتاب حقيقي وأما على التمثيل فيكون المعنى نبذهما، أي اليدين. قال بعضهم: قوله: قال بيديه فنبذهما بمنزلة قوله: «جف القلم بما أنت لاق» كناية عن أن هذا الأمر قد فرغ منه فصار كما تخلفه وراء ظهرك فيكون معنى قوله: **(ثم قال: فرغ ربكم)** تفسيراً لهذا الفعل ويكون نتيجة لهذا الكلام **(من العباد)** قال الأشرف أي من أمر العباد، والمراد بالأمر الشأن، أي قدر أمرهم لما قسمهم قسمين وقدر لكل قسم على التعيين كونه من

﴿فريقٌ في الجنة وفريق في السعير﴾» رواه الترمذي.

٩٧ ـ (١٩) وعن أبي خِزامة، عن أبيه، قال: قلت: يا رسولَ اللّهِ! أرأيتَ رُقىً نسترقيها، ودواءً نتداوى به، وتُقاةً نَتَّقيها، هل تَرُدُّ من قَدَرِ الله شيئاً؟ قال: «هي من قَدَرِ الله»

أهل الجنة أو النار بحيث لا يقبل التغيير فكأنه فرغ من أمرهم وإلا فالفراغ لا يجوز عليه تعالى. (﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾) يمكن أن يكون هذا استشهاداً من القرآن واعتضاداً بالفرقان على أن أمر الفريقين مبهم عندنا ومجمل ومعلوم عنده تعالى ومفصل، ويمكن أن يكون موافقة لفظية ومطابقة معنوية بنوع من الاقتباسات الحكمية والتضمنات بالكلمات الإلهية والله تعالى أعلم. (رواه الترمذي).

٩٧ ـ (وعن أبي خزامة) بكسر الخاء وتخفيف الزاء (عن أبيه) وقد اختلف فيه فروي هكذا، وروي عن ابن أبي خزامة عن أبيه، والأول أصح، وفي اسم الراوي أبي خزامة خلاف للمحدثين، قال المصنف: هو أبو خزامة بن يعمر أحد بني الحرث بن سعد روى عن أبيه وعنه الزهري وهو تابعي (قال: قلت: يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها) جمع رقية كظلم جمع ظلمة، وهي ما يقرأ لطلب الشفاء، والاسترقاء طلب الرقية. (ودواء) بالنصب (نتداوى به) أي نستعمله (وتقاة) بضم أوله (نتقيها) أي نلتجيء بها، أو نحذر بسببها. وأصل تقاة وقاة من وقى وهي: اسم ما يلتجيء به الناس من خوف الأعداء كالترس وهو ما يقي من العدوّ، أي يحفظ. ويجوز أن يكون مصدراً بمعنى الإتقاء فالضمير في «نتقيها»[1] للمصدر قيل: وهذه المنصوبات أعني رقى وما عطف عليها موصوفات بالأفعال الواقعة بعدها، ومتعلقة بمعنى أرأيت أي أخبرني عن رقى نسترقيها فنصبت على نزع الخافض، ويجوز أن يتعلق بلفظ «أرأيت» والمفعول الأول الموصوف مع الصفة والثاني الاستفهام بتأويل مقولاً في حقها (هل ترد) أي هذه الأسباب (من قدر الله شيئاً؟ قال: هي) أي المذكورات الثلاث (من قدر الله) أيضاً، يعني كما أن الله قدر الداء قدّر زواله بالدواء، ومن استعمله ولم ينفعه فليعلم أن الله تعالى ما قدّره. قال في النهاية: جاء في بعض الأحاديث جواز الرقية كقوله عليه الصلاة والسلام: «استرقوا لها فإن بها النظرة»[2]، أي اطلبوا لها من يرقيها، وفي بعضها النهي عنها كقوله عليه الصلاة والسلام في باب التوكل: «الذين لا يسترقون ولا يكتوون»[3] والأحاديث في القسمين كثيرة. ووجه الجمع أن ما كان من الرقية بغير أسماء الله تعالى وصفاته وكلامه في كتبه المنزلة، أو بغير اللسان العربي وما يعتقد منها أنها نافعة لا محالة فيتكل عليها فإنها منهية وإياها أراد عليه الصلاة

الحديث رقم ٩٧: أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٢١. والترمذي ٤/ ٣٤٩ حديث رقم ٢٠٦٥ وقال حديث حسن صحيح وابن ماجة في السنن ١١٣٧ حديث رقم ٣٤٣٧.

(١) في المخطوطة نتقي بها.

(٢) البخاري ١٠/ ١٩٩ حديث ٥٧٣٩ ومسلم ٤/ ١٧٢٥ حديث ٢١٩٧.

(٣) البخاري ١٠/ ١٥٥ حديث رقم ٥٧٠٥. ومسلم ١/ ١٩٩ حديث ٢٢٠.

رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجة.

٩٨ - (٢٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى احمرّ وجهُهُ، حتى كأنما فُقِئ في وجنتيه حبُّ الرمان، فقال: «أبهذا أُمِرتُم؟ أم بهذا أُرسِلتُ إليكم؟! إنما هلك من كان قَبلَكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عَزَمْتُ عليكم، عَزَمْتُ عليكم ألا[1] تتنازعوا فيه».

والسلام بقوله: «ما توكل من استرقى»، وما كان على خلاف ذلك كالتعوّذ بالقرآن وأسماء الله تعالى والرقى المروية فليست بمنهية ولذلك قال عليه الصلاة والسلام للذي رقى بالقرآن وأخذ عليه أجراً: «من أخذ برقية باطل فقد أخذت برقية حق»، وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «لا رقية إلا من عين أو حمة»[2] فمعناه لا رقية أولى وأنفع منهما، قال ابن حجر: وبتحريم الرقية بغير العربي صرحت أئمة المذاهب الأربعة. (**رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح وصححه الحاكم**[3] **أيضاً**) وابن ماجة.

٩٨ - (**وعن أبي هريرة**) رضي الله عنه (**قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع**) أي حال كوننا نتباحث (**في القدر**) أي في شأنه، فيقول بعضنا: إذا كان الكل بالقدر فلم الثواب والعقاب كما قالت المعتزلة؟ والآخر يقول: فما الحكمة في تقدير بعض للجنة وبعض للنار؟ فيقول الآخر: لأن لهم فيه نوع اختيار كسبي، فيقول الآخر: فمن أوجد ذلك الاختيار والكسب وأقدرهم عليه وما أشبه ذلك؟ (**فغضب حتى احمر وجهه**) أي نهاية الإحمرار (**حتى**) أي حتى صار من شدة حمرته (**كأنما فقىء**) بصيغة المفعول، أي شق أو عصر (**في وجنتيه**) أي خديه (**حب الرمان**) فهو كناية عن مزيد حمرة وجهه المنبئة عن مزيد غضبه. وإنما غضب لأن القدر سر من أسرار الله تعالى وطلب سر الله منهي، ولأن من يبحث فيه لا يأمن من أن يصير قدرياً أو جبرياً، والعباد مأمورون بقبول ما أمرهم الشرع من غير أن يطلبوا سر ما لا يجوز طلب سره (**فقال**) عليه الصلاة والسلام: (**أبهذا**) أي أبالتنازع في القدر (**أمرتم**) وهمزة الاستفهام للإنكار، وتقديم المجرور لمزيد الاهتمام (**أم بهذا أرسلت إليكم؟**) أم منقطعة بمعنى بل، والهمزة وهي للإنكار أيضاً ترقياً من الأهون إلى الأغلظ وإنكاراً غب إنكار (**إنما هلك من كان قبلكم**) أي من الأمم جملة مستأنفة جواباً عما اتجه لهم أن يقولوا: لم تنكر هذا الإنكار البليغ؟ (**حين تنازعوا في هذا الأمر**) وهذا يدل على أن غضب الله وإهلاكهم كان من غير إمهال ففيه زيادة وعيد (**عزمت**) أي أقسمت أو أوجبت (**عليكم**) قيل: أصله عزمت بإلقاء اليمين وإلزامها عليكم (**[عزمت عليكم] أن لا تنازعوا**) بحذف إحدى التاءين (**فيه**) ولا تبحثوا في القدر بعد هذا، قال

---

(١) في المخطوطة أن لا.

(٢) البخاري ١٠/ ١٥٥ حديث رقم ٥٧٠٥. ومسلم ١/ ١٩٩ حديث ٢٢٠.

(٣) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٠٢.

الحديث رقم ٩٨: أخرجه الترمذي ٤/ ٣٨٦ حديث رقم ٢١٣٣.

رواه الترمذي.

٩٩ . (٢١) وروى ابن ماجة نحوَه عن عمرو بن شُعيب، عن أبيه، عن جده.

١٠٠ . (٢٢) وعن أبي موسى رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلقَ آدمَ من قبضةٍ

ابن الملك: أن هذه يمتنع كونها مصدرية وزائدة لأن جواب القسم لا يكون إلا جملة، وأن لا تزاد مع لا فهي إذا مفسرة كأقسمت أن لأضربت، وتنازعوا جزم بلا الناهية ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة لأنها مع اسمها وخبرها سدت مسد الجملة كذا قاله زين العرب. (رواه الترمذي) أي بهذا اللفظ عن أبي هريرة، وقال: لا نعرف الحديث إلا من رواية صالح المري وله غرائب ينفرد بها. اهـ. وقال في ميزان الاعتدال: صالح بن بشير الزاهد المري الواعظ ضعفه ابن معين وغيره.

٩٩ ـ **(وروى ابن ماجة نحوه)** أي بالمعنى **(عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده)**.

اعلم أن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص أبو عبد الله على الصحيح أحد علماء زمانه. روى عن البخاري أن أحمد وجماعة يحتجون بحديث عمر ولكن البخاري ما احتج به في جامعة، قال أبو زرعة: إنما أنكروا حديثه لكثرة روايته وإنما سمع أحاديث يسيرة وأخذ صحيفة كانت عندها فرواها وشعيب لا نعرفه ولكن ما علمت أحداً وثقة، بل ذكره ابن حبان في تاريخ الثقات، وقال ابن عدي: عمرو بن شعيب ثقة إلا أنه إذا روى عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ يكون مرسلاً، قلت: قد ثبت سماعه عن عبد الله وهو الذي رباه حتى قيل: إن محمداً مات في حياة أبيه عبد الله، وكفل شعيباً جده عبد الله كذا في الميزان للذهبي. وقال بعض المحققين: الصحيح أن الضمير في «جده» راجع إلى شعيب، وكثيراً ما وقع في رواية أبي داود والنسائي وغيرهما بلفظ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله ابن عمرو بن العاص فحديثه لا طعن فيه، وقال الإمام النووي: أنكر بعضهم حديث عمرو عن أبيه عن جده باعتبار أن شعيباً سمع من محمد لا عن جده عبد الله فيكون حديثه مرسلاً، لكن الصحيح أنه سمع من جده عبد الله فحديثه بهذا الطريق متصل لكن لاحتمال أن يراد بجده في الإسناد محمد لا عبد الله لم يدخل حديثه بهذا الإسناد في الصحاح وإن احتجوا به، وقال الشيخ ابن حجر في شرح البخاري: ترجمة عمرو قوية على المختار حيث لا تعارض والله أعلم، كذا حرره ميرك شاه [رحمه الله].

١٠٠ ـ **(وعن أبي موسى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق آدم من قبضة)**

الحديث رقم ٩٩: أخرجه ابن ماجة في المقدمة لسننه ١/ ٣٣ حديث رقم ٨٥. وأحمد في المسند ٢/ ١٧٨.

الحديث رقم ١٠٠: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٤٠٠. وأخرجه أبو داود في سننه ٥/ ٦٧ حديث رقم ٤٦٩٣. وأخرجه الترمذي ٥/ ١٨٧ حديث رقم ٢٩٥٥.

قَبَضها من جميعِ الأرضِ، فجاء بنو آدمَ على قَدْرِ الأرضِ، منهُم الأحمرُ والأبيضُ والأسودُ وبين ذلك، والسَّهلُ والحَزْنُ، والخبيثُ والطَّيِّبُ».

بالضم ويفتح، ومن ابتدائية متعلقة بخلق، أو بيانية حال من آدم. (**قبضها**) أي أمر الملك بقبضها، والقبضة بالضم ملء الكف، وربما جاء بفتح القاف كذا في الصحاح، وفي القاموس القبضة وضمه أكثر ما قبضت عليه من شيء، وفي النهاية القبض الأخذ بجميع الكف والقبضة المرة منه وبالضم الاسم منه. (**من جميع الأرض**) يعني وجهها أي من جميع ما قدر الله أن يسكنه بنو آدم من الأرض وليس مراده من جميع الأرض لأن من الأرض ما لا يصل إليه قدم آدمي؛ والقابض من جميع الأرض هو عزرائيل عليه الصلاة والسلام فنسب الفعل إليه تعالى لأنه بأمره وإرادته، ولما كان عزرائيل متولي القبضة وُلّي قبض الأرواح من أجسادها ليرد وديعة الله التي قبضها من الأرض إليها كذا قاله زين العرب. وفيه إشارة إلى آية: ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**﴾ [طه ـ ٥٥] هذا وذكر السيوطي رحمه الله في الدر المنثور عن أبي هريرة قال: خلقت الكعبة قبل الأرض بألفي سنة، قالوا: كيف خلقت قبل وهي من الأرض؟ قال: كانت خشفة على الماء، وهي بالخاء والشين المعجمتين والفاء، أي حجرة، أو أكمة، أو جزيرة عليها ملكان يسبحان الليل والنهار ألفي سنة؛ فلما أراد الله أن يخلق الأرض دحاها منها فجعلها في وسط الأرض، فلما أراد الله أن يخلق آدم بعث ملكاً من حملة العرش يأتي بتراب من الأرض، فلما هوى ليأخذ قالت الأرض: أسألك بالذي أرسلك أن لا تأخذ مني اليوم شيئاً يكون منه للنار نصيب غداً فتركها، فلما رجع إلى ربه قال: ما منعك أن تأتي بما أمرتك، قال: سألتني بك فعظمت أن أرد شيئاً سألني بك، فأرسل آخر فقال: مثل ذلك حتى أرسلهم كلهم، فأرسل ملك الموت فقالت له مثل ذلك، قال: «إن الذي أرسلني أحق بالطاعة منك، فأخذ من وجه الأرض كلها من طيبها وخبيثها حتى كانت قبضة عند موضع الكعبة، فجاء به إلى ربه فصب عليه من ماء الجنة، فجاء حمأ مسنوناً فخلق منه آدم بيده» الحديث. (**فجاء بنو آدم على قدر الأرض**) أي مبلغها من الألوان والطباع (**منهم الأحمر والأبيض والأسود**) بحسب ترابهم، وهذه الثلاثة هي أصول الألوان وما عداها مركب منها وهو المراد بقوله: (**وبين ذلك**) أي بين الأحمر والأبيض والأسود باعتبار أجزاء أرضه (**والسهل**) أي، ومنهم السهل، أي اللين (**والحزن**) بفتح الحاء وسكون الزاي، أي الغليظ (**والخبيث**) أي خبيث الخصال (**والطيب**) على طبع أرضهم، وكل ذلك بتقدير الله تعالى لوناً وطبعاً وخلقاً، قال الطيبي: ولما كانت الأوصاف الأربعة ظاهرة في الإنسان والأرض أجريت على حقيقتها، وأوّلت الأربعة الأخيرة لأنها من الأخلاق الباطنة؛ فإن المعنى بالسهل الرفق واللين وبالحزن الخرق والعنف، وبالطيب الذي يعني به الأرض العذبة المؤمن الذي هو نفع كله، وبالخبيث الذي يراد به الأرض السبخة الكافر الذي هو ضر كله، والذي سيق له الحديث هو الأمور الباطنة لأنها داخلة في حديث القدر بالخير والشر، وأما الأمور الظاهرة من الألوان وإن كانت مقدرة فلا اعتبار لها فيه. اهـ. ويمكن أن يكون لها اعتبار إشارة إلى أن هذه الأوصاف والآثار بمنزلة هذه الألوان في كونها تحت الأقدار، غايته أن الأوصاف قابلة للزيادة والنقصان بحسب الطاعة والإمكان

رواه أحمد، والترمذي وأبو داود.

١٠١ ـ (٢٣) وعن عبدِ اللّٰهِ بن عمرو رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ اللّٰهِ ﷺ يقول: «إن اللّٰهَ خلَق خلقَهُ في ظُلْمَةٍ، فألقى عليهم من نورِه، فمن أصابَهُ من ذلك النُّورِ اهتدى، ومن أخطَأَهُ ضَلَّ، فلذلك أقولُ: جَفَّ القلَمُ على علم الله».

لمجاهدة الإنسان بخلاف الألوان، وإن نظرت إلى الحقيقة فلا تبديل ولا تغيير لخلق الله، وهذا معنى قوله: «جف القلم على علم الله» (رواه أحمد والترمذي وأبو داود) وكذا الحاكم[1] والبيهقي.

١٠١ ـ (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو (قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق خلقه) أي الثقلين من الجن والإنس لا الملائكة (في ظلمة) أي كائنين في ظلمة النفس الأمارة بالسوء المجبولة بالشهوات المردية والأهواء المضلة والركون إلى المحسوسات والغفلة عن عالم الغيب (فألقى) أي رش (عليهم) شيئاً (من نوره) فمن نوره صفة محذوف، أي شيئاً منه، ومن للتبيين، أو للتبعيض، أو زائدة. والمراد منه نور الإيمان والمعرفة والإيقان والطاعة والإحسان (فمن أصابه من ذلك النور) أي نوره المعنوي الواصل إليه. والنور مجرور ويجوز أن يرفع على أنه فاعل أصابه ومن ذلك حال منه ذكره العيني. (اهتدى) أي إلى طريق الجنة (ومن أخطأه) أي ذلك النور يعني جاوزه ولم يصل إليه (ضل) أي خرج عن طريق الحق، وقيل: المراد بالنور الملقى إليهم ما نصب من الشواهد والحجج وما أنزل إليهم من الآيات والنذر، إذ لولا ذلك لبقوا في ظلمات الضلالة في بيداء الجهالة، وقيل: المراد بالظلمة كالحرص والحسد والكبر وغيرها من الأخلاق الذميمة وبالنور التوفيق والهداية بقلع ذلك، فمن وفقه لذلك اهتدى ومن لم يوفقه ضل وغوى، وقيل: المراد بالظلمة الجهالة وبالنور المعرفة، يعني خلق الله الخلق جاهلين به وبصفاته فعرفهم ذاته وصفاته ليعرفوه، وقيل: المراد أنه خلق أرواحهم في ظلمة وحيرة فألقى عليهم نور الرحمة والهداية ولولا ذلك لم يهتد إليه أحد:

لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

قيل: ويمكن أن يحمل الحديث على خلق الذر المستخرج في الأزل من صلب آدم، فعبر بالنور عن الألطاف الإلهية التي هي تباشير صبح الهداية وإشراق لمعات برق العناية. ثم أشار بقوله: «أصاب وأخطأ» إلى ظهور تلك العناية فيما لا يزال من هداية بعض وضلال بعض (فلذلك) أي من أجل أن الاهتداء والضلال قد جرى (أقول: جف القلم على علم الله») أي على ما علم الله وحكم به في الأزل لا يتغير ولا يتبدل وجفاف القلم عبارة عنه، وقيل: من أجل عدم تغير ما جرى في الأزل تقديره من الإيمان والطاعة والكفر والمعصية. «أقول: جف

---

(١) الحاكم في المستدرك ٢/ ٢٦١.

الحديث رقم ١٠١: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ١٧٦. والترمذي ٥/ ٢٦ حديث رقم ٢٦٤٢ وقال حديث حسن.

رواه أحمد والترمذي.

١٠٢ - (٢٤) وعن أنس رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يُكثرُ أن يقول: «يا مقلِّب القلوبِ! ثبِّتْ قلبي على دينك» فقلت: يا نبيَّ الله! آمنا بك وبما جئت به، فهل[1] تخاف علينا؟ قال: نعمْ؛ إن القلوب بين أُصبعين من أصابع اللّهِ، يُقلِّبُها كيف يشاء» رواه الترمذي وابن ماجة.

١٠٣ - (٢٥) وعن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلُ القلبِ

القلم»، قيل: وجه التوفيق بين هذا المعنى وبين قوله: «ما من مولود» أن يقال الإنسان مركب من الروحانية التي تقتضي العروج إلى عالم القدس وهي مستعدة لقبول فيضان نور الله تعالى والتحلي بالكمالات، ومن النفسانية المائلة إلى ظلمات الشهوات والضلال. فهذا الحديث مسوق في القدر بدليل قوله: «جف القلم» فنبه فيه على أن الإنسان خلق على حالة لا تنفك عن ظلمة إلا من أصابه من النور الملقى عليهم، وفي هذا الحديث لمح إلى القضاء كقوله: «ما من مولود» فأجرى الكلام على ما مر بيانه (رواه أحمد والترمذي).

١٠٢ - (وعن أنس) رضي الله عنه (قال: «كان رسول الله ﷺ: يكثر) من الإكثار (أن يقول) هذا القول (يا مقلب القلوب) أي مصرفها تارة إلى الطاعة وتارة إلى المعصية وتارة إلى الحضرة وتارة إلى الغفلة (ثبت قلبي على دينك) أي اجعله ثابتاً على دينك غير مائل عن الدين القويم والصراط المستقيم والخلق [العظيم] (فقلت: يا نبي الله آمنا بك) أي بنبوّتك ورسالتك (وبما جئت به) من الكتاب والسنة (فهل تخاف علينا؟) يعني أن قولك هذا ليس لنفسك لأنك في عصمة من الخطأ والزلة خصوصاً من تقلب القلب عن الدين والملة، وإنما المراد تعليم الأمة فهل تخاف علينا من زوال نعمة الإيمان، أو الانتقال من الكمال إلى النقصان؟ (قال: نعم) يعني أخاف عليكم (إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله) وفي خبر مسلم: «من أصابع الرحمن»، والفرق أنه ابتدأ به ثمة، فالرحمة سبقت الغضب فناسب ذكر الرحمن، وهنا وقع تأيد للخوف عليهم فالمقام مقام هيبة وإجلال، فناسب ذكر مقام الجلالة والإلهية المقتضية لأن يخص من شاء بما شاء من هداية أو ضلالة (يقلبها) أي القلوب (كيف يشاء») مفعول مطلق، أي تقليباً يريده، أو حال من الضمير المنصوب، أي يقلبها على أي صفة شاءها (رواه الترمذي وابن ماجة).

١٠٣ - (وعن أبي موسى) رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل القلب) أي صفة

الحديث رقم ١٠٢: أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١١٢. وأخرجه الترمذي ٤/ ٣٩٠ حديث رقم ٢١٤٠ وقال حديث حسن وأخرجه ابن ماجة في السنن ٢/ ١٢٦٠ حديث رقم ٣٨٣٤.

(١) في المخطوطة «هل».

الحديث رقم ١٠٣: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٤٠٨. وابن ماجة ١/ ٣٤ حديث رقم ٨٨.

كَرِيشَةٍ بأرض فَلاةٍ يُقَلِّبُها الرياحُ ظهراً لبطن». رواه أحمد.

١٠٤ ـ (٢٦) وعن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمِنُ عبدٌ حتى يؤمن بأربع: يشهدُ أنْ لا إله إلا اللّهُ وأني رسولُ اللّهِ بعثني بالحق، ويؤمِنُ بالموتِ، والبعثِ بعدَ الموتِ،

القلب العجيبة الشأن وما يرد عليه من عالم الغيب من الدواعي وسرعة تقلبه بسببها (**كريشة**) أي كصفة ريشة، وهي وحدة الريش (**بأرض**) بالتنوين وقيل: بالإضافة (**فلاة**) صفة، أي مفازة خالية من النبات، قيل: ذكر الأرض مقحم لأن الفلاة تدل عليها فالمقصود التأكيد لدفع التجوّز كما في أبصرتها بعيني، وتخصيص الفلاة لأن التقليب فيها أشد من العمران (**يقلبها الرياح**) بالتذكير، وقيل: بالتأنيث. قال الطيبي: صفة أخرى لريشة وجمع الرياح للدلالة على ظهور التقليب إذ لو استمر الريح على جانب واحد لم يظهر التقلب (**ظهراً لبطن**) أي وبطناً لظهر، يعني كل ساعة يقلبها على صفة فكذا القلب يتقلب ساعة من الخير إلى الشر وبالعكس وقوله: «ظهراً» بدل البعض من الضمير في «يقلبها»، واللام في لبطن بمعنى إلى كقوله تعالى: ﴿**منادياً ينادي للإيمان**﴾ [آل عمران ـ ١٩٣] ويجوز أن يكون ظهراً لبطن مفعولاً مطلقاً، أي تقليباً مختلفاً وأن يكون حالاً يعني مقدرة، أي يقلبها مختلفة، ولهذا الاختلاف والانقلاب يسمى القلب قلباً. (**رواه أحمد**) ورواه ابن ماجة بلفظ: «مثل القلب مثل الريشة تقلبها الرياح بفلاة».

١٠٤ ـ (**وعن علي رضي الله عنه**) وفي نسخة كرم الله وجهه (**قال: قال رسول الله ﷺ: لا يؤمن عبد**) هذا نفي أصل الإيمان، أي لا يعتبر ما عنده من التصديق القلبي (**حتى يؤمن بأربع يشهد**) منصوب على البدل من قوله: «حتى يؤمن»، وقيل: مرفوع تفصيل لما سبقه، أي يعلم ويتيقن (**أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**) أي يؤمن بالتوحيد والرسالة، وعدل إلى لفظ الشهادة أمناً من الإلباس بأن يشهد ولم يؤمن، أو دلالة على أن النطق بالشهادتين أيضاً من جملة الأركان فكأنه قيل: يشهد باللسان بعد تصديقه بالجنان، أو إشارة إلى أن الحكم بالظواهر والله أعلم بالسرائر. (**بعثني بالحق**) استئناف، كأنه قيل: لم يشهد، فقال: بعثني بالحق، أي إلى كافة الإنس والجن، ويجوز أن يكون حالاً مؤكدة، أو خبراً بعد خبر فيدخل على هذا في حيز الشهادة. وقد حكى ﷺ على القولين كلام الشاهد بالمعنى إذ عبارته أن محمداً وبعثه (**ويؤمن بالموت**) بالوجهين (**والبعث**) أي يؤمن بوقوع البعث (**بعد الموت**) وتكرير الموت إيذان للاهتمام بشأنه، قال الأبهري: فإن قلت لم أكد الموت [بذكر] لفظ «يؤمن» دون «البعث» مع أن الموت ظاهر لا ينكر والبعث خفي ينكر؟ قلت: إشارة إلى أن أدلة البعث ظاهرة وإلى أنهم متمادون في الغفلة عن ذكر الموت. اهـ. قلت: ولهذا قال الغزالي: ليس يقين أشبه بالشك من الموت، قال الراغب: والموت أحد الأسباب الموصلة إلى النعيم؛ فهو في الظاهر فناء وفي الحقيقة ولادة ثانية وبقاء، وهو باب من أبواب الجنة. فلذلك من على الإنسان بخلقه حيث

الحديث رقم ١٠٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٩٣ حديث رقم ٢١٤٥. وابن ماجة ١/ ٣٢ حديث ٨١.

ويؤمنُ بالقَدَرِ». رواه الترمذي، وابن ماجة.

١٠٥ ـ (٢٧) وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «صِنْفَانِ من أمّتي ليسَ لهما في الإسلامِ

قال: ﴿خلق الموت والحياة﴾ وقُدم لأنه الموصل إلى الحياة الحقيقية؛ فالتغيرات الواقعة لأجله كما في النوى المزروع إذ لا يصير نخلاً إلا بفساد جثته، وكما في البر إذا أردنا أن نجعله زيادة في أبداننا، وكما في البذر إذا زرع. قيل: فكان ذلك الفساد ظاهراً هو عين الصلاح باطناً فرضاً النفس بالبقاء في الدنيا إنما هو لقذارتها ورضاها بالإعراض الدنية كما رضي الجعل بالانغماس في العذرة[1] دائماً بل قيل: إنه إذا شم المسك مات لوقته. (ويؤمن) بالوجهين (بالقدر) قال المظهر: المراد بهذا الحديث نفي أصل الإيمان لا نفي الكمال؛ فمن لم يؤمن بواحد من هذه الأربعة لم يكن مؤمناً، الأول الإقرار بالشهادتين، وأنه مبعوث إلى كافة الإنس والجن، والثاني أن يؤمن بالموت، أي يعتقد فناء الدنيا وهو احتراز عن مذهب الدهرية القائلين بقدم العالم وبقائه أبداً، قلت: وفي معناه التناسخي. ويحتمل أن يراد اعتقاد أن الموت يحصل بأمر الله لا بفساد المزاج كما يقوله الطبيعي، والثالث أن يؤمن بالبعث، والرابع أن يؤمن بالقدر يعني بأن جميع ما يجري في العالم بقضاء الله وقدره. (رواه الترمذي وابن ماجة).

١٠٥ ـ (وعن ابن عباس) رضي الله عنهما (قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان) أي نوعان (من أمتي) أي أمة الإجابة (ليس لهما في الإسلام نصيب) أي حظ كامل، أو ليس لهما في كمال الانقياد لما قضي وقدر على العباد مما أراد نصيب، أي حظ مطلقاً. قال التوربشتي: ربما يتمسك به من يكفر الفريقين، والصواب أن لا يسارع إلى تكفير أهل البدع لأنهم بمنزلة الجاهل، أو المجتهد المخطىء وهذا قول المحققين من علماء الأمة احتياطاً، فيحمل قوله: «ليس لهما نصيب» على سوء الحظ وقلة النصيب كما يقال: ليس للبخيل من ماله نصيب. وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «يكون في أمتي خسف»، وقوله: «ستة لعنتهم» وأمثال ذلك فيحمل على المكذب به، أي بالقدر إذا أتاه من البيان ما ينقطع به العذر، أو على من تفضي[2] به العصبية إلى تكذيب ما ورد فيه من النصوص أو إلى تكفير من خالفه. وأمثال هذه الأحاديث واردة تغليظاً وزجراً، وقال ابن حجر: فمن أطلق تكفير الفريقين أخذاً بظاهر هذا الخبر فقد استروح بل الصواب عند الأكثرين من علماء السلف والخلف أنا لا نكفر أهل البدع والأهواء إلا أن أتوا بمكفر صريح لا استلزامي، لأن الأصح أن لازم المذهب ليس بلازم، ومن ثم لم يزل العلماء يعاملونهم معاملة المسلمين في نكاحهم وإنكاحهم والصلاة على موتاهم ودفنهم في

---

(١) في المخطوطة القذر.

الحديث رقم ١٠٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٩٥ حديث رقم ٢١٤٩ وقال هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه ابن ماجة ١/ ٢٤ حديث رقم ٦٢.

(٢) في المخطوطة يفضي.

نصيبٌ: المُرجِئةُ والقَدَرِيَّةُ». رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب [حسن صحيح].

١٠٦ . (٢٨) وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «يكونُ في أُمّتي خَسْفٌ ومَسْخٌ، وذلك في المكذبين بالقَدَرِ».

مقابرهم لأنهم وإن كانوا مخطئين غير معذورين حقت عليهم كلمة الفسق والضلال إلا أنهم لم يقصدوا بما قالوه اختيار الكفر، وإنما بذلوا وسعهم في إصابة الحق فلم يحصل لهم، لكن لتقصيرهم بتحكيم عقولهم وأهويتهم وإعراضهم عن صريح السنة والآيات من غير تأويل سائغ، وبهذا فارقوا مجتهدي الفروع فإن خطأهم إنما هو لعذرهم بقيام دليل آخر عندهم مقاوم لدليل غيرهم من جنسه فلم يقصروا ومن ثم أثيبوا على اجتهادهم. (المرجئة) يهمز ولا يهمز من الإرجاء مهموزاً ومعتلاً، وهو التأخير يقولون: الأفعال كلها بتقدير الله تعالى وليس للعباد فيها اختيار، وأنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، كذا قاله ابن الملك. وقال الطيبي: قيل: هم الذين يقولون: الإيمان قول بلا عمل فيؤخرون العمل عن القول وهذا غلط، بل الحق أن المرجئة هم الجبرية القائلون بأن إضافة الفعل إلى العبد كإضافته إلى الجمادات، سموا بذلك لأنهم يؤخرون أمر الله ونهيه عن الاعتداد بهما ويرتكبون الكبائر [فهم] على الإفراط. (والقدرية) على التفريط والحق ما بينهما. اهـ. والقدرية بفتح الدال وتسكن، وهم المنكرون للقدر القائلون بأن أفعال العباد مخلوقة بقدرتهم ودواعيهم لا بقدرة الله وإرادته، وإنما نسبت هذه الطائفة إلى القدر لأنهم يبحثون في القدر كثيراً. (رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب) عده في الخلاصة من الموضوعات، لكن قال في جامع الأصول: أخرجه الترمذي، قال صاحب الأزهار: حسن غريب، وكتب مولانا زاده وهو من أهل الحديث [في زماننا] أنه رواه الطبراني وإسناده حسن، ونقل عن بعضهم أيضاً أن رواته مجهولون كذا ذكره العيني، وقال الفيروزآبادي: لا يصح في ذم المرجئة والقدرية حديث، وفي الجامع الصغير[1] بعد ذكره الحديث المذكور رواه البخاري في تاريخه، والترمذي، وابن ماجة عن ابن عباس، وابن ماجة عن جابر، والخطيب عن ابن عمر، والطبراني في الأوسط عن أبي سعيد، ورواه أبو نعيم في الحلية عن أنس، ولفظه: «صنفان من أمتي لا تنالهم شفاعتي يوم القيامة المرجئة والقدرية».

١٠٦ ـ (وعن ابن عمر) رضي الله عنهما (قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يكون في أمتي) أي أمة الإجابة (خسف ومسخ) يقال: خسف الله به، أي غاب به في الأرض، والمسخ تحويل صورة إلى ما هو أقبح منها (وذلك) أي ما ذكر من الخسف والمسخ واقع (في المكذبين بالقدر) بهذا الحديث تبين أن القدرية المذمومة إنما هم المكذبة بالقدر لا المؤمنة به كما زعمت المعتزلة، ونسبوا أهل السنة والجماعة إلى القدرية لما هو مقتضى المقابلة بالجبرية، وإنما

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣١١ حديث ٥٠٤٢.

الحديث رقم ١٠٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٩٧ حديث رقم ٢١٥٢ وقال حديث حسن صحيح غريب. وأخرج أبو داود نحوه ٥/ ٢٠ حديث رقم ٤٦١٣ وأحمد في المسند ٢/ ١٠٨.

رواه أبو داود، وروى الترمذي نحوه.

١٠٧ ـ (٢٩) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «القدرِيَّة مجوسُ هذه الأمّة،

عاقبهم الله بهما لإضافتهما الكوائن إلى غير الله محقوا خلق الله ومسخوا صور خلقه فجازاهم الله بمحق ومسخ، قال الأشرف: معنى الحديث إن يكن مسخ وخسف يكونا في المكذبين بالقدر. قال الطيبي: لعله اعتقد أن هذه الأمة المرحومة مأمونة منهما فأخرج الكلام مخرج الشرطية، وقوله: «ذلك» أي في الحديث يدل على استحقاق ما سبق، أي من الخسف والمسخ لأجل ما بعده من التكذيب، وقد سبق عن التوربشتي. أن الحديث من باب التغليظ فلا حاجة إلى تقدير الشرط، وأبو سليمان الخطابي: ذهب إلى وقوع الخسف والمسخ في هذه الأمة [حيث قال: «قد يكونان في هذه الأمة»] كما في سائر الأمم خلاف قول من زعم أن ذلك لا يكون إنما مسخها بقلوبها ذكره في أعلام السنن، قيل: المراد بالخسف الإذهاب في الأرض كما فعل بقارون وأمواله، وبالمسخ تبديل الأبدان إلى القردة والخنزير وغيرهما كما فعل بقوم داود وعيسى، وقيل: المراد بالخسف تسويد الوجه والأبدان مأخوذ من خسوف القمر، وبالمسخ تسويد قلوبهم وإذهاب معرفتهم وإدخال القساوة والجهل والتكبر فيها كذا ذكره الأبهري. ولا يبعد أن يكون مسخهما يوم القيامة بتسويد وجوههما كما قاله بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿يوم تبيض وجوه﴾ وجوه أهل السنة ﴿وتسود وجوه﴾ [آل عمران ـ ١٠٦] وجوه أهل البدعة، وخسفهما انهيارهما من الصراط في النار، أو نزولهما في قعر دار البوار والله أعلم بالأسرار. (رواه أبو داود) أي بهذا اللفظ (وروى الترمذي نحوه) أي بالمعنى.

١٠٧ ـ (وعنه) أي عن ابن عمر (قال: قال رسول الله ﷺ: «القدرية مجوس هذه الأمة) أي أمة الإجابة، لأن قولهم أفعال العباد مخلوقة بقدرهم يشبه قول المجوس القائلين بأن للعالم إلهين خالق الخير وهو يزدان وخالق الشر وهو أهرمن، أي الشيطان وقيل: المجوس يقولون الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة كذلك القدرية يقولون: الخير من الله والشر من الشيطان ومن النفس، وقال الخطابي: لإحداثهم في الإسلام مذهباً يشبه مذهب المجوس من وجه هو أنهم يضيفون الكائنات أعياناً وأحداثاً إلى إلهين أحدهما لا يصدر عنه إلا ما هو خير والثاني لا يصدر عنه إلا ما هو شر، وقول القدرية يشبه ذلك لكن في الأحداث لا الأعيان لإضافتهم الخير إلى الله والشر إلى النفس. اهـ. ولعله مذهب فرقة من المعتزلة وإلا فالمشهور عنهم ما صرح به الزمخشري منهم وهو أن الحسنة التي هي الخصب والصحة والسيئة التي هي القحط والمرض من الله تعالى، وأما الطاعة فمن العبد، لكن الله تعالى قد لطف به في أدائها وبعثه عليها وكذلك المعصية منه أيضاً، والله تعالى بريء منها، قال ابن حجر: وعلى هذا فوجه تسميتهم مجوساً أنه يلزم على قولهم هذا تعدد الإله أيضاً لأن الباعث على الطاعة غير الباعث

الحديث رقم ١٠٧: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٨٦. وأخرجه أبو داود ٥/ ٦٦ حديث رقم ٤٦٩١. وأخرجه ابن ماجة بنحوه عن جابر ١/ ٣٥ حديث رقم ٩٢.

إنْ مَرِضُوا فلا تعودُوهم، وإن ماتوا فلا تشهدُوهم» رواه أحمد، وأبو داود.

١٠٨ ـ (٣٠) وعن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجالسوا أهلَ القدَرِ ولا تفاتحوهم»

على المعصية عندهم كما تقرر. (إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم») النهي محمول على الزجر والتغليظ وتقبيح اعتقادهم على قول من لم يحكم بكفرهم، وعلى الحقيقة على قول من حكم بكفرهم إذ الفاسق لا منع ولا كراهة في شهود جنازته بخلاف المريض فضلاً عن كفره يمنع عن عيادته كذا ذكره ابن حجر وهو مخالف لمذهبنا؛ فإن عيادة المريض من المسلمين فرض كفاية كشهود جنازتهم وخص هاتين الخصلتين لأنهما ألزم وأولى من سائر الحقوق فإنهما حالتان مفتقرتان إلى الدعاء بالصحة والمغفرة، فيكون النهي عنهما أبلغ في المقصود. (رواه أحمد وأبو داود) وكذا الحاكم[1].

١٠٨ ـ (وعن عمر) رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجالسوا أهل القدر) بضم أوّله. أي لا توادوهم ولا تحابوهم فإن المجالسة ونحوها من المماشاة من علامات المحبة وإمارات المودة. فالمعنى: لا تجالسوهم مجالسة تأنيس وتعظيم لهم لأنهم إما إن يدعوكم إلى بدعتهم بما زينه لهم شيطانهم من الحجج الموهمة والأدلة المزخرفة التي تجلب من لم يتمكن في العلوم والمعارف إليهم ببادي الرأي، وإما أن يعود عليكم من نقصهم وسوء عملهم ما يؤثر في قلوبكم وأعمالكم، إذ مجالسة الأغيار تجر إلى غاية البوار ونهاية الخسار، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [التوبة ـ ١١٩] ولا ينافي إطلاق الحديث تقييد الآية في المنافقين [حيث قال الله تعالى]: ﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ [النساء ـ ١٤٠] وكذا قوله عزّ وجلّ: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ [الأنعام ـ ٦٨] فلم ينه عن مجالستهم مطلقاً لأن الحديث يحمل على من لم يأمن على نفسه منهم فيمنع عن مجالستهم مطلقاً، والآية على من آمن فلا حرج عليه في مجالسته لهم بغير التأنيس والتعظيم ما لم يخوضوا في كفر وبدعة، وكذا إذا خاضوا وقصد الرد عليهم وتسفيه أدلتهم ومع هذا البعد عنهم أولى والاجتناب عن مباحثتهم أحرى. (ولا تفاتحوهم») من الفتاحة بضم الفاء وكسرها، أي الحكومة ومنه قوله تعالى: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ [الأعراف ـ ٨٩] أي لا تحاكموا إليهم فإنهم أهل عناد ومكابرة، وقيل: لا تبدؤوهم بالسلام أو بالكلام، وقال المظهر: لا تناظروهم فإنهم يوقعونكم في الشك ويشوّشون عليكم اعتقادكم، أي وإن لم تجالسوهم فهو عطف مغاير، وقيل: عطف خاص لأن المجالسة تشتمل على المؤاكلة والمؤانسة والمحادثة وغيرها وفتح الكلام في القدر

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٨٥.

الحديث رقم ١٠٨: أخرجه أحمد في المسند ١/ ٣٠. وأخرجه أبو داود ٥/ ٨٤ حديث رقم ٤٧١٠.

رواه أبو داود.

١٠٩ - (٣١) وعن عائشة [رضي الله عنها] قالت: قال رسول الله ﷺ: «ستةٌ لعَنْتُهُمْ ولعَنَهُمُ اللّهُ وكلُّ نبيٍّ يجابُ: الزائدُ في كتابِ اللّهِ، والمكذِّبُ بقدَرِ اللّهِ، والمتسلِّطُ بالجبروتِ

أخص من ذلك. (رواه أبو داود) وكذا أحمد والحاكم[1].

١٠٩ - (وعن عائشة) رضي الله عنها (قالت: قال رسول الله ﷺ: ستة) أي أشخاص أو أقوام (لعنتهم) أي دعوت عليهم بالبعد عن رحمة الله (ولعنهم الله) بالواو العاطفة وبدونها وهو الأصح، ولم يعطفه على جملة قبله إما لأنه دعاء وما قبله خبر، وإما لكونه عبارة عما قبله في المعنى، لأن لعنة الله هي لعنة رسوله وبالعكس. وأما لكونه استئنافاً كأنه قيل: فماذا بعد؟ فأجيب: لعنهم الله، والثانية مبنية عن الأولى، أو قيل لم ذا؟ فبالعكس وعلى هذا قوله: (وكل نبي يجاب) معترض بين البيان والمبين. يعني من شأن كل نبي أن يكون مستجاب الدعوة، وكل نبي مبتدأ خبره يجاب على بناء المفعول من المضارع، أي يجاب دعوته وهو الرواية المشهورة. ويُروى بالميم، أي مجاب الدعوة، والجملة على الروايتين إما ابتدائية، وإما عطف على «ستة لعنتهم»، أو حال من فاعل لعنتهم. وجملة «لعنهم الله» إنشائية معترضة بين الحال وصاحبها، وقال التوربشتي: لا يصح عطف «وكل نبي مجاب» على فاعل «لعنتهم»، ومجاب صفة وصححه الأشرفي لوجود الفاصل. قال الطيبي: وفيه نظر لأن المانع عطف الجملة على المفرد، يعني لا العطف على الضمير المرفوع المتصل، وفيه أن قوله: «مجاب» صفة يدل على أنه لا يريد عطف الجملة، ثم قال الطيبي: ولا يجوز أن يجعل «مجاب» صفة لا خبراً إذ يلزم أن يكون بعض الأنبياء مجاب الدعوة ومنه فر التوربشتي وأبطل رواية الجرفي «مجاب». اهـ. ويمكن أن يجعل صفة كاشفة (الزائد في كتاب الله) أي القرآن وسائر كتبه بأن يدخل فيه ما ليس فيه، أو يؤوّله بما يأباه اللفظ ويخالف الحكم كما فعلت اليهود، والزيادة في كتاب الله في نظمه وحكمه كفر وتأويله بما يخالف الكتاب والسنة بدعة. وقال ابن حجر: أي الزائد في كتاب الله لفظة لم تتواتر عن النبي ﷺ زاعماً قرآنيتها لحرمة القراءة بالشواذ، وإن صحت عنه عليه الصلاة والسلام لأنها حينئذ في حكم الخبر لا القرآن فلا تذكر إلا لبيان تفسير أو زيادة حكم، فمن أتى بها على أنها قرآن مع اعترافه بأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر كما عليه عامة العلماء صدق عليه أنه زاد في كتاب الله، فيشمله اللعن لفسقه بل كفره إن استباح مطلق الزيادة في القرآن. (والمكذب بقدر الله) تقدم حكمه (والمتسلط بالجبروت) أي الإنسان المستولي المتقوي الغالب، أو الحاكم بالتكبر والعظمة الناشيء عن الشوكة والولاية والجبروت، فعلوت مبالغة من

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٨٥.

الحديث رقم ١٠٩: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٩٧ حديث رقم ٢١٥٤.

لِيُعِزَّ من أذلَّهُ اللّهُ ويُذِلَّ من أعزَّهُ اللّهُ، والمستحِلُّ لِحُرَمِ اللّهِ، والمستحِلُّ من عِترتي ما حرَّمَ اللّهُ، والتَّاركُ لِسُنَّتي». رواه البيهقي في «المدخل» ورزينٌ في كتابه.

الجبر وهو القهر، قيل: وإنما يطلق ذلك في صفة الإنسان على من يجبر نقيصته[١] بإدعاء منزلة من التعالي ولا يستحقها، أو بتولية المناصب من لا يستحقها ومنعها من يستحقها. (ليعز من أذله الله ويذل من أعزه الله) قيل: اللام في «ليعز» للعاقبة كما في قوله تعالى: ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ [القصص - ٨] وفي الحديث: «لدوا للموت وابنوا للخراب»[٢] لا للتعليل إذ يلزم جواز التسلط بغير ذلك ظاهراً، أي من أذله الله لفسقه أو لكفره برفع مرتبته على المسلمين، أو يحكمه فيهم كما فعل كثير من حكام الجور برفع اليهود والنصارى والهنود على كثير من المسلمين والفسقة على العدول المبرزين ويذل من أعزه الله بأن يخفض مراتب العلماء والصلحاء أو نحوهم. (والمستحل لحرم الله) بفتح الحاء والراء، يريد حرم مكة بأن يفعل فيه ما لا يحل فيه من الاصطياد وقطع الشجر ودخوله بلا إحرام كذا قاله الطيبي: وضم الحاء على أنه جمع حرمة تصحيف كذا قاله بعض الشراح، ونقل ميرك شاه عن التخريج أنه بضم الحاء وفتح الراء، وزعم بعضهم أنه بفتحهما وما قدمنا أعم إلا أن تكون[٣] الرواية كما قال ولم يثبت ذلك. ا هـ. والنسختان صحيحتان لكن يؤيد الأول باعتبار المعنى قوله: (والمستحل من عترتي ما حرم الله) أي من إيذائهم وترك تعظيمهم والعترة الأقارب القريبة وهم أولاد فاطمة وذراريهم، وتخصيص ذكر الحرم والعترة وكل مستحل محرم ملعون لشرفهما. وإن أحدهما منسوب إلى الله والآخر إلى رسول الله؛ فعلى هذا من في «من عترتي» ابتدائية، قال الطيبي: ويحتمل أن تكون بيانية بأن يكون المستحل من عترة رسول الله ﷺ ففيه تعظيم الجرم الصادر عنهم، قال ابن حجر: هو بضم الحاء وهذا كافر إذ يدخل تحت عمومه من استباح محرماً بالإجماع معلوماً من الدين بالضرورة كفر بل قال كثيرون لا يشترط علمه ضرورة. (والتارك لسنتي) أي المعرض عنها بالكلية، أو بعضها استخفافاً وقلة مبالاة كافر وملعون وتاركها تهاوناً وتكاسلاً لا عن استخفاف عاص واللعنة عليه من باب التغليظ. (رواه البيهقي في المدخل) بفتح الميم والخاء (ورزين) أو ورواه رزين (في كتابه) أي الذي جمع فيه بين الصحاح لكنه لم يوف بذلك فقد ذكر فيه حتى الموضوع كخبر: «الصلاة ليلة النصف من شعبان» والرغائب كذا قاله ابن حجر. وفي الجامع الصغير[٤] رواه النسائي والحاكم عن عائشة، والحاكم عن علي.

---

(١) في المخطوطة بعصية.

(٢) البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٩٦ حديث ١٠٧٣٠. ولفظه «وابنوا للتراب».

(٣) في المخطوطة «يكون».

(٤) الجامع الصغير ٢/ ٢٨٦ حديث رقم ٤٦٦٠. وفيه الترمذي والحاكم عن عائشة والحاكم عن ابن عمر وليس كما في المرقاة والله أعلم. وأخرجه الحاكم ١/ ٣٦.

١١٠ ـ (٣٢) وعن مَطَرَ بن عُكامِس رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا قَضَى اللّهُ لعبدٍ أن يموتَ بأرضٍ جعل له إليها حاجةً». رواه أحمد، والترمذي.

١١١ ـ (٣٣) وعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قلت: يا رسول الله! ذراريُّ المؤمنين؟ قال: «مِنْ آبائهم». فقلت: يا رسول الله بلا عمل؟ قال: «اللّهُ أعلم بما كانوا عاملين». قلت: فذراريُّ المشركين؟ قال: «مِنْ آبائهم». قلت: بلا عمل؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»

---

١١٠ ـ (وعن مطر بن عكامس) رضي الله عنه بضم العين وكسر الميم السلمي، عداده في الكوفيين له حديث واحد ولم يرو عنه غير أبي إسحاق السبيعي. (قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قضى الله) أي أراد، أو قدر، أو حكم (لعبد أن يموت بأرض وهو في غيرها جعل) أي أظهر الله (له إليها حاجة») أي فيأتيها ويموت فيها إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ [لقمان ـ ٣٤] (رواه أحمد والترمذي) وقال: غريب لا يعرف لمطر غير هذا الحديث، ورواه الحاكم[1] وقال: صحيح، وفي الجامع الصغير: «إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له بها حاجة»[2] رواه أحمد والطبراني وأبو نعيم في الحلية عن أبي عزة بفتح المهملة وتشديد الزاي.

١١١ ـ (وعن عائشة) رضي الله عنها (قالت: قلت يا رسول الله ذراري المؤمنين) خبر مبتدأ محذوف، أي ما حكم ذراريهم أهم في الجنة أم النار؟ (قال: من آبائهم) من اتصالية كقوله تعالى: ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾ [التوبة ـ ٦٧] وقوله ﷺ: «ما أنا من دد ولا الدد مني»، أي اللهو واللعب فالمعنى: إنهم متصلون بآبائهم، وقيل: من تبعيضية والمعنى: هم بعض آبائهم فلهم حكمهم، أي يعلم حكمهم من حكم آبائهم، يعني إن كان آباؤهم من أهل الجنة فهم كذلك، وقال التوربشتي: أي معدودون من جملتهم لأن الشرع يحكم بالإسلام لإسلام أحد الأبوين ويأمر بالصلاة عليهم ومراعاة أحكام المسلمين، وكذلك يحكم على ذراري المشركين بالاسترقاق وبمراعاة أحكامهم فيهم قبل ذلك وبانتفاء التوارث بينهم وبين المسلمين فهم ملحقون في ظاهر الأمر بآبائهم. (فقلت: يا رسول الله بلا عمل) هذا واردٌ منها على سبيل التعجب إذ لا موجب للثواب والعقاب، والمعنى أيدخلون الجنة بلا عمل؟ والله تعالى يقول: ﴿أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ [النحل ـ ٣٢] (قال ﷺ: الله أعلم بما كانوا عاملين) أي لو بلغوا رداً لتعجبها وإشارة إلى القدر، ولهذا أورد الحديث في باب القدر (قلت: فذراري المشركين) أي فما حكمهم؟ (قال: من آبائهم) أي يعلم من حكم آبائهم، أو معناه أتباع لآبائهم (قلت: بلا عمل، قال: الله أعلم بما كانوا عاملين) قال

الحديث رقم ١١٠: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٢٧. والترمذي ٤/ ٣٩٤ حديث رقم ٢١٤٦. وقال حسن غريب.

(١) الحاكم ١/ ٤٢.

(٢) الجامع الصغير ١/ ٣١ حديث ٤٠٤.

الحديث رقم ١١١: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٨٥ حديث رقم ٤٧١٢.

رواه أبو داود.

التوربشتي: يعني أنهم تبع لهم في الدنيا، وأما الآخرة فموكول أمرهم إلى علم الله تعالى بهم. قال القاضي: الثواب والعقاب ليسا بالأعمال وإلا لم يكن ذراري المسلمين والكفار من أهل الجنة والنار بل الموجب اللطف الإلهي والخذلان المقدر لهم في الأزل، فالواجب فيهم التوقف وعدم الجزم فإن أعمالهم موكولة إلى علم الله فيما يعود إلى أمر الآخرة، والأعمال دلائل السعادة والشقاوة ولا يلزم من انتفاء الدليل انتفاء المدلول. قال النووي في شرح صحيح مسلم: اختلف العلماء في أطفال المشركين، فمنهم من يقول: هم تبع لآبائهم في النار، ومنهم من توقف، والصحيح أنهم من أهل الجنة، واستدل عليه بأشياء منها حديث إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حين رآه النبي ﷺ وحوله أولاد الناس قالوا: «يا رسول الله وأولاد المشركين؟ قال: وأولاد المشركين»[١]. رواه البخاري في صحيحه. ومنها قوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ [الإسراء - ١٥] ولا تكليف على المولود حتى يلزم الحجة وهذا متفق عليه. قال الطيبي: والحق مذهب التوقف لما ورد في أولاد خديجة كما سيأتي، وحديث الوائدة والموؤدة في النار[٢] مخالف لحديث إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ فالوجه أن يبنى الكلام على حديث عائشة رضي الله عنها وقولها: «عصفور من عصافير الجنة» في شأن ولد من أولاد المسلمين فإنه عليه الصلاة والسلام أنكر عليها لأن الجزم بذلك جزم بأن الأبوين أو أحدهما في الجنة، فعلى هذا أولاد المشركين الذين كانوا بين يدي إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام هم المشركون الذين لم يسلموا حينئذ ثم في المآل آمنوا. وأما أولاد خديجة والموؤدة فهم الذين مات آباؤهم على الكفر، وأما قوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين﴾ فيحتمل أن يراد بالعذاب الاستئصال في الدنيا لأن «حتى» تقتضي ظاهراً أن يكون العذاب في الدنيا، ويؤيده ما أتبعه من قوله ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها﴾ [الإسراء - ١٦] فلا يتم الاستدلال بالآية، وقال البيضاوي: وكما أن البالغين منهم شقي وسعيد فالأطفال منهم من سبق القضاء بأنه سعيد من أهل الجنة فهو لو عاش عمل عمل أهلها ومنهم من حق القلم[٣] بأنه من أهل النار فهو لو عاش عمل عمل أهلها. اهـ. ويؤيده قضية الغلام الذي قتله الخضر أنه طبع كافراً فهو ممن علم الله أنه لو عاش وبلغ أشرك، وجاء في بعض الروايات: إنهم يمتحنون في الآخرة برمي أنفسهم في النار فمن أطاع دخل الجنة ومن أبى دخل النار، وكذا المجانين وأهل الفترة. قال ابن حجر: والحق أيضاً فيمن مات من أهل الفترة أنهم ليسوا في النار لتلك الآية، وأما الأخبار الدالة على خلاف ذلك كخبر مسلم: «أبي وأبوك في النار»[٤] مؤوّلة وعن أكثر العلماء أنهم في النار. اهـ. وقد أفردت في هذه المسألة رسالة مستقلة (رواه أبو داود).

---

(١) البخاري ١٢/٤٣٨ حديث ٧٠٤٧.

(٢) يأتي في الحديث ١١٢.

(٣) في المخطوطة العلم.

(٤) أخرج مسلم ١/١٩١ حديث ٢٠٣.

١١٢ ـ (٣٤) وعن ابن مسعود، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الوائدةُ والموؤدةُ في النَّارِ».

١١٢ ـ (وعن ابن مسعود) رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: «الوائدة والموؤدة في النار») وأدبته يئدها وأداً فهي موؤدة، إذا دفنها في القبر وهي حية، وهذا كان من عادة العرب في الجاهلية خوفاً من الفقر أو فراراً من العار، وبعضهم كانوا يخلونها ويربونها على طريق الذل والهوان، قال تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾ [النحل ـ ٥٨ ـ ٥٩] أي حكمهم بإثبات البنات لله، بقولهم: الملائكة بنات الله، والحال أنهم يكرهون البنات. قال القاضي: كانت العرب في جاهليتهم يد فنون البنات حية؛ فالوائدة في النار لكفرها وفعلها والموؤدة فيها لكفرها، وفي الحديث دليل على تعذيب أطفال المشركين، وقد تؤول الوائدة بالقابلة لرضاها به والموؤدة بالموؤدة لها وهي أم الطفل فحذفت الصلة إذ كان من ديدنهم أن المرأة إذا أخذها الطلق حفروا لها حفرة عميقة فجلست المرأة عليها والقابلة وراءها ترقب الولد فإن ولدت ذكراً أمسكته وإن ولدت أنثى ألقتها في الحفرة وأهالت التراب عليها. قال السيد جمال الدين: وإيراد المصنف في هذا الباب يأبى عن هذا التأويل تأمل، وقيل: هذا الحديث والذي قبله إنما أوردا في هذا الباب استدلالاً على إثبات القدر وتعذيب أطفال الكفار، ومن أراد تأويلها بغير ذلك وجب عليه أن يخرجهما من هذا الباب. قال ابن حجر: إن أريد بهذا الحديث ما يعم أهل الفترة كان مبنياً على ما نقل عن الأكثرين أنهم في النار، أو ما يختص بأهل الإسلام كان محمولاً في الموؤدة على البالغة. ا هـ. وهذا بعيد جداً فإنه لا يعرف من العرب من دفن ولده حياً بعد بلوغه، وأما قولهم: ورد هذا الحديث في قصة خاصة وهي أن ابني مليكة أتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن أم لهما كانت تئد فقال عليه الصلاة والسلام الحديث. أما الوائدة فلأنها كانت كافرة، وأما الموؤدة فلأنها ولد الكافر، ويحتمل أنها كانت بالغة، ويحتمل أنها تكون غير بالغة ولكن علم عليه الصلاة والسلام بالمعجزة كونها من أهل النار، وقيل: ورد في حق امرأة أسقطت حملها[1] من الزنا وماتا فلا يتعين القطع بهذا الحديث على تعذيب أطفال المشركين لأنه ورد في قضية خاصة فلا يجوز حمله على العموم مع الاحتمال؛ فجوابه أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. نعم روى الدارمي في جامع الصحيح: أن رجلاً قال: «يا رسول الله إنا كنا أهل جاهلية وعبادة أوثان فكنا نقتل الأولاد وكانت عندي ابنة لي فلما أجابت وكانت مسرورة بدعائي إذا دعوتها دعوتها يوماً فاتبعتني، فمررت حتى أتينا بئراً من أهلي غير بعيد، فأخذت بيدها فرديت بها في البئر، وكان آخر عهدي بها أن تقول: يا أبتاه يا أبتاه فبكى عليه الصلاة والسلام حتى وكف دمع عينيه، فقال له رجل من جلساء النبي ﷺ: أحزنت رسول الله ﷺ. فقال له: كف فإنه يسأل عما أهمه، ثم قال له: أعد عليّ حديثك،

الحديث رقم ١١٢: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٨٩ حديث رقم ٤٧١٧.

(١) في المخطوطة حملاً.

رواه أبو داود.

الفصل الثالث

١١٣ ـ (٣٥) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عزّ وجل فرغ إلى كل عبد من خلقه من خمس: من أجله، وعمله، ومضجعه، وأثره،

فأعاده فبكى حتى وكف الدمع من عينيه على لحيته، ثم قال له: إن الله قد وضع عن الجاهلية ما عملوا فاستأنف عملك»[1]. قال ابن حجر: فظاهر قوله: «ما عملوا» أن المراد بهم أهل الفترة، قلت: ليس كذلك بل معناه أنه وضع عنهم ما عملوا إذا أسلموا، ولذا قال: تسلية له: «فاستأنف عملك» فهو كحديث: «الإسلام يهدم ما كان قبله»[2]، وكقوله تعالى: ﴿عفا الله عما سلف﴾ [المائدة ـ ٩٥]. (رواه أبو داود) وسكت عليه هو والمنذري، وقال ابن عبد البر: لا أعلم أحداً روى هذا الحديث عن الزهري غير أبي معاذ، وهو ناسي الحديث لا يحتج بحديثه كذا نقله ميرك شاه رحمه الله.

(الفصل الثالث)

١١٣ ـ (**عن أبي الدرداء**) رضي الله عنه، هو عويمر بن عامر الأنصاري الخزرجي، اشتهر بكنيته والدرداء ابنته، تأخر إسلامه قليلاً فكان آخر أهل داره إسلاماً، وحسن إسلامه وكان فقيهاً عالماً حكيماً، يسكن الشام ومات بدمشق سنة اثنتين وثلاثين (**قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عزّ وجلّ فرغ إلى كل عبد**) فرغ يستعمل باللام، ومنه قوله تعالى: ﴿**سنفرغ لكم أية الثقلان**﴾ [الرحمن ـ ٣١] واستعماله بإلى هنا لتضمين معنى الانتهاء، أو يكون حالاً بتقدير منتهياً. والمعنى انتهى تقديره في الأزل من تلك الأمور الخمسة إلى تدبير هذا العبد بإبدائها كما سبق من قوله: «شؤون يبديها لا يبتدىء بها» ويجوز أن يكون إلى بمعنى اللام يقال: هداه إلى كذا ولكذا وقوله: (**من خلقه**) صلة «فرغ» أي من خلقته، وما يختص به وما لا بد له منه من الأجل والعمل وغيرهما. وقوله: (**من خمس**) عطف عليه، ولعل سقوط الواو من الكاتب. ويمكن أن يقال: إنه بدل منه بإعادة الجار، والوجه أن يذهب إلى أن الخلق بمعنى المخلوق «ومن» فيه بيانية أو تبعيضية، «ومن» في «من خمس» متعلق بفرغ، أي فرغ إلى كل عبد كائن من مخلوقه من خمس (**من أجله**) بفتحتين، من بيانية للخمس، أو بدل بإعادة الجار، والمراد بالأجل مدة عمره (**وعمله**) خيره وشره (**ومضجعه**) بفتح الجيم، أي سكونه وقراره (**وأثره**) بحركتين، أي

---

(١) أخرجه الدارمي ١/ ١٤ حديث رقم ٢.

(٢) مسلم ١/ ١١٢ حديث رقم ١٢١.

الحديث رقم ١١٣: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٩٧.

ورزقه» رواه أحمد.

۱۱٤ - (٣٦) وعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تكلم في شيء من القدرِ سئِل عنه يوم القيامة، ومن لم يتكلم فيه لم يُسأل عنه». رواه ابن ماجة.

١١٥ - (۳۷) وعن ابن الديلمي رضي الله عنه،

حركته واضطراره (ورزقه) حلاله وحرامه وكثيره وقليله، وقيل: المراد بأثره مشيه في الأرض، قال السيد جمال الدين: وجمع بين مضجعه وأثره وأراد سكونه وحركته ليشمل جميع أحواله من الحركات والسكنات، وقال نجله السعيد الأظهر: أن يقال المراد من مضجعه محل قبره وأنه بأي أرض يموت، ومن أثره ما يحصل له من الثواب والعقاب، وأنه من أهل الجنة أو النار والله أعلم. (رواه أحمد).

١١٤ - (وعن عائشة) [رضي الله عنها] (قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تكلم في شيء) أي وإن قل (من القدر) أعم من النفي والإثبات والحق والباطل، قال الطيبي: هذا أبلغ من أن يقال في القدر لإفادة المبالغة في القلة والنهي عنه. ا هـ. والظاهر والله أعلم أن المراد النهي عن التكلم بالأدلة العقلية المتعلقة بمسألة القدر بعد الإيمان بإثباته، لأن انتهاءها عند أرباب العلم والعمل إلى قوله تعالى: ﴿لا يسئل عما يفعل﴾ [الأنبياء - ٢٢] (يسئل عنه يوم القيامة) أي كسائر الأقوال والأفعال، وجوزي كل ما يستحقه، ولعلها إشارة إلى تخصيص قوله تعالى: ﴿وهم يسئلون﴾ [الأنبياء - ٢٢] (ومن لم يتكلم فيه لم يسأل عنه) لأن الخلق مكلفون بالإيمان بالقدر بمقتضى الأدلة النقلية غير مأمورين بتحقيقه بموجب الأدلة العقلية؛ فالشخص إذا آمن بالقدر ولم يبحث عنه لا يرد عليه سؤال الإعتراض بعدم التفحص فإنه غير مأمور به، ولذا قال ﷺ فيما تقدم على طريق الإنكار: «بهذا أمرتم؟» أي بالتنازع في البحث بالقدر، وقال أيضاً: «إذا ذكر القدر فأمسكوا» والله أعلم. (رواه ابن ماجة).

١١٥ - (وعن ابن الديلمي رضي الله عنه) هو أبو عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو الضحاك فيروز الديلمي، ويقال له الحميري لنزوله في حمير وهو من أبناء الفرس الذين بعثهم كسرى إلى اليمن، قال محمد بن سعيد: ومن أهل الحديث من يقول فيروز بن الديلمي وهو واحد وفد فيروز على رسول الله ﷺ، وهو قاتل الأسود العنسي الكذاب المدعي للنبوة، قتله في آخر حياة النبي ﷺ، ووصل خبر قتله إياه إليه في مرض الموت فقال عليه الصلاة والسلام: «قتله الرجل الصالح فيروز، فاز فيروز، [فاز فيروز]» ويقال أن فيروز ابن أخت النجاشي. روى عن ابن الضحاك وعبد الله وغيرهما، توفي في خلافة عثمان، وقيل: في

الحديث رقم ١١٤: أخرجه ابن ماجة في السنن ١/ ٣٣ حديث رقم ٨٤.

الحديث رقم ١١٥: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٧٥ حديث رقم ٤٦٩٩. وأخرجه ابن ماجة ١/ ٢٩ حديث رقم ٧٧. وأحمد في المسند ٥/ ١٨٩.

قال: أتيتُ أُبيّ بن كعب، فقلت له: قد وقع في نفسي شيءٌ من القَدَر، فحدثني لعل اللّهَ أن يذهبَه من قلبي. فقال: لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه؛ عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم،

زمن معاوية بعد الخمسين كذا في تهذيب الأسماء. قال ميرك شاه: هذا كلام صحيح في نفس الأمر ليس المراد من ابن الديلمي في هذا المحل هو فيروز الديلمي، بل المراد ابن الضحاك بن فيروز وهو تابعي مقبول من أوساط التابعين، وأبوه معدود في الصحابة، وله أحاديث. ويحتمل أن يكون المراد به عبد الله بن فيروز أخا الضحاك، وهو ثقة من كبار التابعين، ومنهم من ذكره في الصحابة وهذا الاحتمال عندي أظهر والله أعلم. اهـ. وقد ذكر المصنف في أسماء الرجال للمشكاة ابن الديلمي هو الضحاك بن فيروز تابعي حديثه في المصريين، روى عن أبيه. والديلمي بفتح الدال منسوب إلى الديلم وهو الجيل المعروف بين الناس، وفيروز بفتح الفاء وسكون الياء تحتها نقطتان وضم الراء وبالزاي. (**قال: أتيت أبي بن كعب**) أقرأ الصحابة [رضي الله عنهم]، قال المصنف: هو أبي بن كعب الأكبر الأنصاري الخزرجي، كان يكتب للنبي ﷺ الوحي، وهو أحد الستة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ، كناه النبي ﷺ أبا المنذر وعمر أبا الطفيل، وسماه النبي ﷺ سيد الأنصار وعمر سيد المسلمين، مات بالمدينة سنة تسعة عشر، روى عنه خلق كثير. (**فقلت له:**) بحكم قوله تعالى: ﴿**فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ [النحل - ٤٣] (**قد وقع في نفسي شيء من القدر**) أي حزازة واضطراب عظيم من جهة أمر القضاء والقدر باعتبار العقل لا بموجب النقل، قال ابن حجر: أي من بعض شبه القدر التي ربما تؤدي إلى الشك فيه كاعتقاد أن الإنسان يخلق فعل نفسه كما قالته المعتزلة، أو أنه مجبور على الفعل كما قالته الجبرية، فكيف يعذب؟ وأنا أريد الخلاص منه، أي من هذا المبحث (**فحدثني**) أي بحديث (**لعل الله أن يذهبه من قلبي**) أي رجاء أن يزيل ذلك مني، وقال أولاً «في نفسي» وثانياً «من قلبي» إشعاراً بأن ذلك تمكن منه وأخذ بمجامعه من ذاته وقلبه كذا قاله الطيبي. والأظهر أن الحزازة تنشأ من الخطرات النفسية والثبات والاطمئنان من الصفات القلبية، ثم قوله: «أن يذهبه» خبر «لعل» أعطاه حكم عسى في دخول أن في خبره. (**فقال:**) أي أبي رضي الله عنه متحرياً غاية البيان الشافي ونهاية الإرشاد الوافي (**لو**) أي فرض (**أن الله عذب أهل سمواته**) من الملائكة المقربين (**وأهل أرضه**) من الأنبياء والمرسلين (**عذبهم**) وفيه إشكال، ودفعه أن الشرطية غير لازمة الوقوع (**وهو غير ظالم لهم**) الواو للحال لأنه متصرف في ملكه [وملكه]. فعذابه عدل وثوابه فضل، قيل: فيه إرشاد عظيم وبيان شاف لإزالة ما طلب منه لأنه يهدم منه قاعدة الحسن والقبح العقليين، لأنه مالك الجميع فله أن يتصرف كيف شاء ولا ظلم أصلاً. (**ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم**) أي الصالحة، إشارة إلى أن رحمته ليست بسبب من الأعمال، وإيجابها إياها إذ هي لا توجبها عليه، كيف وهي من جملة رحمته بهم؟ فرحمته إياهم محض فضل منه تعالى عليهم، فلو رحم الأولين والآخرين فله ذلك ولا يخرج عن حكمة. غايته أنه أخبر أن المطيعين لهم الثواب وأن العاصين لهم العقاب كما هو مثبت في أم الكتاب، فالأمر المقدر لا يتبدل ولا يتغير وهذا هو الصواب في الجواب.

ولو أنفقتَ مثل أُحد ذهباً في سبيل الله ما قَبِلهُ الله منك حتى تؤمن بالقدَر، وتعلم أنَّ ما أصابك لم يكن لِيُخطئك، وأن ما أخطأكَ لم يكن ليصيبَك. ولو متَّ على غير هذا لدخلتَ النار. قال: ثم أتيتُ عبد الله بن مسعود، فقال مثلَ ذلك. قال: ثم أتيت حذيفةَ بنَ اليمان، فقال مثل ذلك. ثم أتيتُ زيدَ بنَ ثابت فحدَّثني عن النبي ﷺ مثل ذلك. رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجة.

(ولو أنفقت مثل أحد) بضمتين جبل عظيم قريب المدينة المعظمة (ذهباً) تمييز (في سبيل الله) أي مرضاته وطريق خيراته (ما قبله الله) أي ذلك الإنفاق، أو مثل ذلك الجبل (منك) وهو تمثيل على سبيل الفرض لا تحديد، إذ لو فرض إنفاق ملء السموات والأرض كان كذلك. (حتى تؤمن بالقدر) أي بأن جميع الأمور الكائنة خيرها وشرها وحلوها ومرها ونفعها وضرها وقليلها وكثيرها وكبيرها وصغيرها بقضائه وقدره وإرادته وأمره، وأنه ليس فيها لهم إلا مجرد الكسب ومباشرة الفعل. والمراد هنا كمال الإيمان وسلب القبول مع فقده يؤذن بأن المبتدعة لا تقبل لهم أعمال، أي لا يثابون عليها ما داموا على بدعتهم، ويؤيده خبر: «أبى الله: أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يتوب من بدعته»، وفيه إشعار بأنه أهل البدعة ليسوا من المتقين لقوله تعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ المائدة ـ ٢٧] وأنه لا يحبهم فإن الله يحب المتقين (وتعلم) تخصيص بعد تعميم (أن ما أصابك) من النعمة والبلية، أو الطاعة والمعصية مما قدره الله لك أو عليك (لم يكن ليخطئك) أي يجاوزك (وإن ما أخطاك) من الخير والشر (لم يكن ليصيبك) وهذا وضع موضع المحال كأنه قيل: محال أن يخطئك، وفيه ثلاث مبالغات دخول أن ولحوق اللام المؤكدة للنفي وتسليط النفي على الكينونة وسرايته في الخبر، وهو مضمون قوله تعالى: ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾ [التوبة ـ ٥١] وفيه حث على التوكل والرضا ونفي الحول والقوة وملازمة القناعة والصبر على المصائب. (ولو مت) بضم الميم من مات يموت، وبكسرها من مات يميت (على غير هذا) أي على اعتقاد غير هذا الذي ذكرت لك من الإيمان بالقدر (لدخلت النار) يحتمل الوعيد ويحتمل التهديد (قال) أي ابن الديلمي (ثم أتيت عبد الله بن مسعود) صاحب السجادة والمخدة والنعلين والمطهرة رضي الله عنه (فقال مثل ذلك) أي مثل جواب أبي في سؤالي (قال: ثم أتيت حذيفة بن اليمان) مر ذكره، وهو صاحب سر النبي ﷺ، وأبوه اسمه حسيل بالتصغير واليمان لقبٌ له، وقتل بأحد شهيداً رضي الله عنه (فقال مثل ذلك) فالحديث من طرقهم صار موقوفاً (ثم أتيت زيد بن ثابت) أفضل كتبة الوحي وأفرض الصحابة، قال المصنف: هو زيد بن ثابت الأنصاري كاتب النبي ﷺ، كان له حين قدم النبي ﷺ المدينة إحدى عشرة سنة، وكان أحد فقهاء الصحابة الأجلة القائم بالفرائض، وهو أحد من جمع القرآن وكتبه في خلافة أبي بكر، ونقله من المصحف في زمن عثمان، روى عنه خلق كثير مات بالمدينة سنة خمس وأربعين وله ست وخمسون سنة. (فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك) فصار الحديث من طريقه مرفوعاً، قال الطيبي: في سؤاله من الصحابة واحداً بعد واحد واتفاقهم في الجواب من غير تغيير، ثم انتهاء الجواب إلى حديث النبي ﷺ دليل على الإجماع المستند إلى النص الجلي، فمن خالف ذلك فقد كابر الحق الصريح. (رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة).

١١٦ - (٣٨) وعن نافع رضي الله عنه، أن رجلاً أتى ابن عُمَر فقال: إن فلاناً يقرأ عليكَ السلام. فقال: إنه بلغني أنه قد أحدث، فإن كان قَدْ أحدَث فلا تُقرِئْهُ مني السلام؛ فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يكون في أُمتي - أو في هذه الأمة - خَسْفٌ، ومَسْخٌ، أو قَذْفٌ في أهل القَدَر». رواه الترمذي، وأبو داود، وابن ماجة. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

---

١١٦ - **(وعن نافع)** أي ابن سرجس مولى عبد الله بن عمر كان ديلمياً، وهو من كبار التابعين، سمع ابن عمرو أبا سعيد، روى عنه خلق كثير منهم الزهري ومالك بن أنس وهو من المشهورين بالحديث ومن الثقات الذين يؤخذ عنهم ويجمع حديثهم ويعمل به، معظم حديث ابن عمر دائر عليه. قال مالك: كنت إذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر لا أبالي أن لا أسمعه من غيره، مات سنة سبع عشرة ومائة، وسرجس بفتح السين المهملة الأولى وسكون الراء وكسر الجيم. **(أن رجلاً أتى ابن عمر فقال)** أي الرجل **(إن فلاناً يقرأ)** وفي نسخة يقرىء **(عليك السلام)** في القاموس، قرأ عليه السلام أبلغه كأقرأه أولاً يقال: أقرأه إلا إذا كان السلام مكتوباً **(فقال)** أي ابن عمر **(إنه)** أي الشأن وتفسيره الخبر وهو قوله: **(بلغني أنه قد أحدث)** أي ابتدع في الدين ما ليس منه من التكذيب بالقدر **(فإن كان قد أحدث)** أي ما ذكر **(فلا تقرئه مني السلام)** كناية عن عدم قبول سلامه كذا قاله الطيبي. والأظهر أن مراده أن لا تبلغه مني السلام لأنا أمرنا بمهاجرة أهل البدع أورده، فإنه ببدعته لا يستحق جواب السلام ولو كان من أهل الإسلام، قال ابن حجر: لا تقرئه مني السلام ومن ثم قال العلماء: لا يجب رد سلام الفاسق والمبتدع بل لا يسن زجراً لهما، ومن ثم جاز هجرهم لذلك. **(فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون في أمتي، أو في هذه الأمة)** يحتمل الدعوة والإجابة على ما تقدم، وأو للشك. **(خسف)** في الأرض **(ومسخ)** وفي نسخة، أو مسخ أي تغيير في الصورة **(أو قذف)** أي رمي بالحجارة كقوم لوط، قال ميرك شاه: والظاهر أنه شك من الراوي، وقال الطيبي: يحتمل التنويع أيضاً. اهـ. وهذا صحيح إن لم يكن عطف «مسخ» على «خسف» بالواو تأمل **(في أهل القدر)** بدل بعض من قوله في أمتي بإعادة الجار **(رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجة وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب)** اعلم أن الغرابة قد تكون في الحديث الحسن أو الصحيح ولكن في الجمع بين الحسن والصحة إشكال؛ إذ الحسن قاصر عن الصحيح فقيل: يريد الترمذي به أنه روي بإسنادين أحدهما يقتضي الصحة والآخر الحسن، أو المراد بالحسن معناه اللغوي وهو ما تميل إليه النفس وتستحسنه، وهذا المعنى لا ينافي الصحيح فاندفع التناقض، وقد يقال: المراد أنه حسن لذاته صحيح لغيره، فإن الحسن إذا رُوي من وجه آخر ترقى من الحسن إلى الصحيح

الحديث رقم ١١٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٩٧ حديث رقم ١٢٥٢ وقال حديث حسن صحيح غريب. وأخرجه ابن ماجة في السنن ٢/ ١٢٥٠ حديث رقم ٤٠٦١. وأخرج أبو داود ونحوه ٥/ ٢٠ حديث رقم ٤٦١٣. وأحمد في المسند ٢/ ١٣٦.

١١٧ ـ (٣٩) وعن علي، رضي الله عنه، قال: سألتْ خديجةُ النبي ﷺ، عن ولدين ماتا لها في الجاهلية. فقال رسول الله ﷺ: «هما في النار». قال: فلمّا رأى الكراهة في وجهها قال: «لو رأيت مكانهما لأبغضتِهما». قالت: يا رسولَ الله! فولدي منك؟ قال: «في الجنة». ثم قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿والذين آمنوا واتّبعتْهم ذُريتهم [بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم] ﴾

لقوّته من الجهتين فيعتضد أحدهما بالآخر.

١١٧ ـ (**وعن علي**) [رضي الله عنه] (**قال: سألت خديجة النبي ﷺ عن ولدين ماتا [لها] في الجاهلية**) أي عن شأنهما وأنهما في الجنة أو النار، وقال المؤلف: هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية، كانت تحت بني هالة بن زرارة، ثم تزوّجها عتيق بن عائد[1]، ثم تزوّجها النبي ﷺ ولها يومئذ من العمر أربعون سنة، ولم ينكح النبي ﷺ قبلها امرأة ولا نكح عليها حتى ماتت. وهي أوّل من آمن من كافة الناس من ذكرهم وأنثاهم وجميع أولاده منها غير إبراهيم فإنه من مارية. وماتت بمكة قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل: بأربع سنين، وقيل: بثلاث وكان قد مضى من النبوّة عشر سنين، وكان لها من العمر خمس وستون سنة، وكانت مدة مقامها مع رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة ودفنت بالحجون[2]. (**فقال رسول الله ﷺ: هما في النار قال:**) أي علي (**فلما رأى**) أي النبي ﷺ (**الكراهة**) أي أثرها من الكآبة والحزن (**في وجهها قال:**) أي تسلية لها (**لو رأيت مكانهما**) وهو جهنم (**لأبغضتهما**) وفي نسخة «لأبغضتيهما» بإشباع الكسرة ياء، أي لو أبصرت منزلتهما في الحقارة والبعد عن نظر الله تعالى لرأيت الكراهة وأبغضتهما، أو لو علمت مكانهما أي منزلتهما وبغض الله إياهما لأبغضتهما وتبرأت منهما تبرأ إبراهيم عن أبيه حيث تبين أنه عدوّ الله (**قالت: يا رسول الله فولدي منك، قال: في الجنة**) والمراد بأولادها منه ﷺ القاسم وعبد الله. وقيل: الطيب والطاهر أيضاً، وقيل: هما لقبان لعبد الله وهو قول الأكثر والله أعلم. (**ثم قال رسول الله : إن المؤمنين وأولادهم في الجنة**) وهذا لا خلاف فيه يعتد به (**وإن المشركين وأولادهم في النار، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان﴾**)[3] وفي نسخة صحيحة: «ذرياتهم» وهما قراءتان متواترتان، قال الطيبي: وفي الحديث أن الأولاد تابعة لآبائهم لا لأمهاتهم، ولذلك استشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿**ألحقنا بهم ذريتهم**﴾ وأما طريق الاستشهاد لإلحاق أولاد المؤمنين

الحديث رقم ١١٧: أحمد في المسند ١/ ١٣٤.

(١) في المخطوطة «عابد».

(٢) الحجون. مكان في مكة لا زال معروفاً. وهو مكان ركز فيه الرسول ﷺ يوم فتح مكة رايته. (المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص ٩٧).

(٣) سورة الطور ـ آية ٢١.

رواه أحمد.

١١٨ ـ (٤٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق اللهُ آدم مسح ظهره فسقط عن ظهره كلُّ نسمة

بالآباء فأن يقال لا ريب أن هذا الإلحاق لكرامة آبائهم ومزيد سرورهم وغبطتهم في الجنة وإلا فينغص عليهم كل نعيم ومن ثم قيل: ﴿والذين آمنوا﴾ في محل نصب على تقدير وأكرمنا الذين آمنوا ألحقنا بهم على شريطة التفسير[1] الكشاف ﴿الذين آمنوا﴾ مبتدأ ﴿وبإيمان ألحقنا بهم ذريتهم﴾ خبره والذي بينهما اعتراض، والتنكير في إيمان للتعظيم، والمعنى بسبب إيمان عظيم رفيع المحل وهو إيمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم وإن كانوا لا يستأهلونها تفضلاً عليهم وعلى آبائهم ليتم سرورهم وليكمل نعيمهم، وهذا المعنى مفقود في الكفار. ا هـ. قلت: بل كون أولادهم معذبين معهم سبب لزيادة عذابهم وشدة عقابهم، ثم ما ذكره الشراح من تفسير الآية ليس صريحاً في المدعي من الحديث أن أولاد المؤمنين الصغار تبع لآبائهم في دخول الجنة، أو في رفع الدرجة، وإنما يستفاد من تفسير البغوي حيث قال: اختلفوا في تفسير الآية فقال قوم: معناها ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان﴾ يعني أولادهم الصغار والكبار، فالكبار بإيمانهم بأنفسهم والصغار بإيمان آبائهم، فإن الولد الصغير يحكم بإسلامه تبعاً لأحد الأبوين، ألحقنا بهم ذريتهم المؤمنين في الجنة بدرجاتهم وإن لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم تكرمة لآبائهم لتقر بذلك أعينهم، وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال آخرون: معناه والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم البالغون بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان بإيمان آبائهم، وهو قول الضحاك، ورواية العوفي عن ابن عباس: «أخبر الله عزّ وجلّ أنه يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا أن يجتمعوا إليه، يدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل أبيه من غير أن ينقص الآباء من أعمالهم شيئاً» فذلك قوله: ﴿وما ألتناهم﴾ أي ما نقصناهم يعني الآباء ﴿من عملهم من شيء﴾ [الطور ـ ٢١] وفي الحديث عن ابن عباس مرفوعاً «إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقرّبه عينه»، ثم قرأ ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم﴾ الآية[2]. ا هـ. وظاهر الآية أن الذين آمنوا أعم من الآباء والأمهات، ولعل أولاد خديجة في النار لأنها حال موتهم لم تكن مؤمنة فلا ينافي قول العلماء: الولد الصغير يحكم بإسلامه تبعاً لأحد الأبوين، وحينئذ ليس كلام الطيبي على صرافته فتدبر. (رواه أحمد).

١١٨ ـ (وعن أبي هريرة) رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم مسح ظهره) تقدم (فسقط) أي خرج (من ظهره) وفي نسخة صحيحة: «عن ظهره» أي بواسطة وغيرها (كل نسمة) أي ذي روح، وقيل: كل ذي نفس مأخوذة من النسيم قاله الطيبي. وفي

---

(١) في المخطوطة «تفسير» بغير ال. (٢) الحاكم في المستدرك ٢/٤٦٨.

الحديث رقم ١١٨: أخرجه الترمذي ٥/٢٤٩ حديث رقم ٣٠٧٦ وقال حسن صحيح.

هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عَيْنَي كلِ إنسانٍ منهم وبيصاً من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال: أي رب! مَنْ هؤلاءِ؟ قال: ذرِّيتُك. فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيصُ ما بين عينيه، قال: أي ربِّ! من هذا؟ قال: داود. فقال: رب! كم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة. قال: ربِّ زده من عمري أربعين سنةً». قال رسول الله ﷺ: «فلما انقضى عمر آدم إلا أربعين جاءه ملك الموت، فقال آدم: أو لم يبق من عمري أربعون سنةً؟ قال: أو لم تُعْطِها

القاموس النسيم محركة نفس الروح كالنسمة محركة، ونفس الريح إذا كان ضعيفاً كالنسيم (**هو خالقها من ذريته**) الجملة صفة نسمة، ذكرها ليتعلق بها قوله: (**إلى يوم القيامة**) ومن بيانية، وفي هذا الحديث دليل على أن إخراج الذرية كان حقيقياً (**وجعل بين عيني كل إنسان**) أي منهم على نسخة، والأصح بين عيني ثاني مفعولي جعل، ويجوز أن يكون بمعنى خلق فيكون ظرفاً له (**وبيصاً**) أي بريقاً ولمعاناً (**من نور**) وفي ذكره إشارة إلى الفطرة السليمة، وفي قوله: «بين عيني كل إنسان» إيذان بأن الذرية كانت على صورة الإنسان على مقدار الذر (**ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب من هؤلاء؟ قال:**) تعالى هم (**ذريتك فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه قال:**) بغير الفاء (**أي رب من هذا؟ قال:**) تعالى (**هو داود**) قيل: تخصيص التعجب من وبيص داود إظهار لكرامته ومدح له فلا يلزم تفضيله على سائر الأنبياء، لأن المفضول قد يكون له مزية بل مزايا ليست في الفاضل، ولعل وجه الملاءمة بينهما اشتراك نسبة الخلافة. (**فقال: رب**) وفي نسخة صحيحة: «أي رب» (**كم جعلت عمره؟**) بضم العين والميم وقد تسكن، وكم مفعول لما بعده، وقدم لماله الصدر، أي كم سنة جعلت عمره؟ (**قال: ستين سنة، قال: رب زده من عمري**) يعني من جملة الألف، ومن عمري صفة أربعين قدمت فعادت حالاً وقوله: (**أربعين سنة**) مفعول ثان لقوله «زده» كقوله تعالى: ﴿**رب زدني علماً**﴾ [طه - ١١٤] قال أبو البقاء: زاد يستعمل لازماً كقولك: زاد الماء، ويستعمل متعدياً إلى مفعولين كقوله: زدته درهماً، وعلى هذا جاء قوله تعالى: ﴿**فزادهم الله مرضاً**﴾ [البقرة - ١٠] كذا ذكره الطيبي. قال ابن حجر: وقد يستعمل متعدياً لواحد كزاد المال درهماً، قال السيد جمال الدين: وفيه أن الأمثلة ليست أيضاً نصاً في التعدية إلى مفعولين لاحتمال التمييز تأمل. (**قال رسول الله ﷺ: فلما انقضى عمر آدم إلا أربعين**) أي سنة كما في نسخة (**جاءه ملك الموت فقال آدم: أو لم يبق**) بفتح الياء والقاف (**من عمري أربعون سنة**) بهمزة الاستفهام الإنكاري المنصب على [نفي] البقاء فيفيد إثباته وقدمت على الواو لصدارتها، والواو استئنافية لمجرد الربط بين ما قبلها وما بعدها فإن قلت: ما الفرق بين انقضى عمره إلا أربعين وبين بقي من عمر آدم أربعون؟ قلت: في الاستثناء توكيد ليس في غيره قاله الطيبي. قلت: لأن غيره يحتمل [الأكثر] وهو نص في بقاء الأربعين كلها كقوله تعالى: ﴿**فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً**﴾ [العنكبوت - ١٤] مع زيادة الإفادة في الآية من الأقربية إلى الضبط والدلالة على العدد المشهور في الكثرة، والإشارة إلى جواز إلغاء الكسر كما هو جار على ألسنة العامة. (**قال: أو لم تعطها**) أي أتقول

ابنك داود؟ فجحد آدمُ، فجحدت ذريتهُ، ونسي آدم فأكَلَ من الشجرة، فنسيت ذريتهُ، وخَطَأ وخَطِئَت ذُرِيَّتُهُ». رواه الترمذي.

١١٩ ـ (٤١) وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «خلق اللهُ آدمَ حين خلَقه، فضرب كتفه اليمنى، فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذرُّ، وضَربَ كتفه اليُسرى

ذلك ولم تعطها، أي الأربعين (ابنك) مفعول ثان (داود) بدل، أو عطف بيان (فجحد آدم) أي ذلك لأنه كان في عالم الذر فلم يستحضره حالة مجيء ملك الموت له قاله ابن حجر. (فجحدت ذريته) لأن الولد سر أبيه (ونسي آدم) إشارة إلى أن الجحد كان نسياناً أيضاً إذ لا يجوز جحده عناداً (فأكل من الشجرة) قيل: نسي أن النهي عن جنس الشجرة، أو الشجرة بعينها فأكل من غير المعينة وكان النهي عن الجنس والله أعلم. (فنسيت ذريته) ولذا قيل: أوّل الناس أوّل الناسي (وخطأ) بفتح الطاء، أي في اجتهاده من جهة التعيين والتخصيص (وخطأت ذريته) والأظهر أن «خطأ» بمعنى عصى لقوله تعالى: ﴿وعصى آدم ربه﴾ [طه ـ ١٢١] ولقوله عليه الصلاة والسلام: «كلكم خطاؤون وخير الخطائين التوّابون»[1]. قال الطيبي: وفي الحديث إشارة إلى ما نقله الشيخان: «يهرم ابن آدم ويشب فيه اثنان الحرص على المال والحرص على العمر» و «ابن آدم» وارد على سبيل الاستطراد، وإن ابن آدم مجبول من أصل خلقته على الجحد والنسيان والخطأ إلا من عصمه الله. (رواه الترمذي).

١١٩ ـ (وعن أبي الدرداء) رضي الله تعالى عنه (عن النبي ﷺ قال: «خلق الله آدم حين خلقه) قال الطيبي: ظرف لقوله: (فضرب) ولا يمنع الفاء من العمل، لأنه ظرف على أن الفاء السببية أيضاً غير مانعة لعمل ما بعدها فيما قبلها، فإن ﴿لإيلاف قريش﴾ [قريش ـ ١] متعلق بقوله: ﴿فليعبدوا﴾ على تقدير الشرط أي أما لا «فليعبدوه» كذا في الكشاف. تقول العرب أما لا أي إن كنت لا تفعل غيره فافعل هذا. قال القاضي: أي أن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لأجل إيلافهم، وقال السيد جمال الدين: ويحتمل أن يكون ظرفاً لقوله: «خلق الله» والمقصود الإشارة إلى عدم العلم بزمان خلقه تأمل. اهـ. وقيل: تقديم الظرف مع وجود التعقيب للدلالة على أن الإخراج لم يتخلف عن خلقه عليه الصلاة والسلام، وفيه نظر لأن الدلالة حاصلة وإن تأخر الظرف وقوله: «فضرب» قيل: أمر بالضرب فضرب الملك. (كتفه اليمنى) بفتح الكاف وكسر التاء كذا مضبوط في النسخ المصححة، وفي القاموس كتف كفرح ومثل وجبل (فأخرج ذرية بيضاء) أي نورانية (كأنهم الذر) في أكثر النسخ بفتح الذال المعجمة؛ فالتشبيه في الهيئة، وقيل: أي الأبيض بدليل مقابلة الآتي، وفي بعضها بضم الذال المهملة؛ فالتشبيه باعتبار اللون والصفاء، ولا ينافي هذا ما تقدم من أن بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً حتى يحتاج إلى أن يحمل على تكرر الإخراج على صفات مختلفة كما صنعه ابن حجر. (وضرب كتفه اليسرى

---

(١) أخرجه الترمذي ٥٦٨/٤ حديث ٢٤٩٩. وابن ماجة.

الحديث رقم ١١٩: أخرجه أحمد في المسند ٤٤١/٦.

فأخرج ذريةً سوداء كأنهم الحُمَمُ، فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي، وقال للذي في كتفه اليُسرى: إلى النار ولا أبالي». رواه أحمد.

١٢٠ ـ (٤٢) وعن أبي نَضْرَةَ رضي الله عنه، أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ ـ يقال له: أبو عبد الله ـ دخل عليه أصحابه يعودونه وهو يبكي،

فأخرج ذرية سوداء) أي ظلمانية **(كأنهم الحمم)** بضم الحاء جمع حممة. يقال: حممت الجمرة كفرحت تحم بالفتح إذا صارت فحماً. **(فقال للذي في يمينه)** أي في جهة يمين آدم من ذرية المؤمنين بعد إخراجهم من كتفه اليمنى، وقال ابن حجر: أي للذي في كتفه اليمين بدليل في كتفه اليسرى الآتي فيكون باعتبار ما كان. ا هـ. والمعنى: قال تعالى لآدم لأجل الذي في يمينه وعن قبلهم وفي حقهم نحو قوله تعالى: **﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه﴾** [الأحقاف ـ ١١] و«الذي» صفة لفريق، نحو قوله تعالى: **﴿كالذي خاضوا﴾** [التوبة ـ ٦٩] **(إلى الجنة)** خبر مبتدأ محذوف، أي هؤلاء أوصلهم أو أصيرهم إلى الجنة، ويمكن أن يكون الأمر للمشافهة، والتقدير أنتم أوصلكم، أو أصيركم إلى الجنة، وقوله: **(ولا أبالي)** حال من الضمير المستكن في الخبر، أي والحال إني لا أبالي بأحد كيف وأنا الفعال لما أريد والخلق كلهم لي عبيد؟ وهو نحو قوله: «وإن رغم أنف أبي ذر» فإنه تعالى علم أن بعض المبتدعة يقول بخلافه فرد عليهم بنفسه مبالغة في تحقيرهم وتسفيه عقولهم، وأنهم كالهباء الذي لا يبالي أحد به وإن فعل ما فعل. **(وقال للذي في كفه اليسرى)** بفتح الكاف وتشديد الفاء كذا في أصل السيد جمال الدين، وفي بعض النسخ أي في يده وهو المناسب للمعنى المقابل بقوله: «في يمينه»، وفي أكثر النسخ «كتفه اليسرى» ولعله باعتبار ما كان قال الطيبي، وذكر اليمين والكف لتصوير العظمة. ا هـ. والظاهر أن ضمير «يمينه وكفه إلى آدم»، والمراد جهتاه، ورواية كتفه صريحة في هذا المعنى واليسرى أيضاً فإنها لا تطلق على يده تعالى فإن كلتا يديه يمين[1] على ما ورد في بعض الأحاديث. **(إلى النار ولا أبالي»)** فيه إيماء إلى أنه لا يجب على الله تعالى شيء، وإن الأعمال أمارات لا موجبات. فهو المحمود في كل أفعاله خلق فريقاً للجنة بطريق الفضل وجعل طائفة للنار على سبيل العدل **﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾** [الأنبياء ـ ٢٣] **(رواه أحمد)**.

١٢٠ ـ **(وعن أبي نضرة)** هو ابن المنذر بن مالك العبدي، عداده في تابعي البصرة، مات قبل الحسن بقليل، سمع ابن عمر وأبا سعيد وابن عباس، وروى عنه إبراهيم التيمي وقتادة وسعيد بن يزيد. **(«أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ يقال له أبو عبد الله)** وجهالة الصحابي لا تضر حيث كلهم عدول **(دخل عليه أصحابه)** أي من الصحابة، أو التابعين والأول أظهر لما سيأتي. **(يعودونه)** من العيادة التي هي أفضل من العبادة لفظاً ومعنى **(وهو يبكي)** الجملة حالية

---

(١) مسلم ٣/١٤٥٨ حديث رقم ١٨٢٧.

الحديث رقم ١٢٠: أخرجه أحمد في ٥/٦٨.

فقالوا له: ما يُبْكِيكَ؟ ألم يَقُل لك رسول الله ﷺ: «خُذ من شاربك ثم أقِرَّهُ حتى تلقاني؟» قال: بلى، ولكن سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل قبض بيمينه قبضة وأخرى باليد الأخرى وقال: هذه لهذه، وهذه لهذه، ولا أبالي» ولا أدري في أي القبضتين أنا. رواه أحمد.

١٢١ ـ (٤٣) وعن ابن عباس، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنَعْمان».

(فقالوا له: ما يبكيك؟) أي أي شيء جعلك باكياً، وما السبب والباعث لبكائك؟ **(ألم يقل لك رسول الله ﷺ: خذ من شاربك)** أي بعضه يعني قصه، وهو مقدار ما يساوي الشفة **(ثم أقره)** بفتح الهمزة وكسر القاف وتشديد الراء، أي دم عليه **(حتى تلقاني)** أي في الحوض، أو غيره و «حتى» تحتمل الغاية والعلة. قال الطيبي: الهمزة للإنكار دخلت على النفي فأفادت التقرير والتعجب، أي كيف تبكي وقد تقرر أن رسول الله ﷺ وعد بأنك تلقاه لا محالة؟ ومن لقيه راضياً عنه مثلك لا خوف عليه. **(قال بلى)** أي أخبرني بذلك **(ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله عزّ وجلّ قبض)** أي بعض الذرية **(بيمينه قبضة)** أي واحدة **(وأخرى)** أي وقبض قبضة أخرى لبعض الذرية الأخرى **(باليد الأخرى)** لم يقل بيساره أدباً، ولذا ورد في حديث آخر: «وكلتا يديه يمين»، وفي هذا تصوير لجلال الله وعظمته لتعاليه عن الجسم ولوازمه **(وقال: هذه)** أي القبضة التي قبضها باليمين يعني من فيها، أو هذه المقبوضة **(لهذه)** أي للجنة **(وهذه)** أي القبضة التي قبضها بالأخرى **(لهذه)** أي للنار **(ولا أبالي)** أي في الحالتين **(ولا أدري)** أي ولا أعلم **(في)** وفي نسخة من **(أي القبضتين أنا؟»)** وحاصل الجواب: أني أخاف من عدم الاحتفال والاكتراث في قوله: «ولا أبالي» كذا قاله الطيبي: يعني غلب علي الخوف بالنظر إلى عظمته وجلاله بحيث منعني عن التأمل في رحمته وجماله، فإنه تعالى لذاته وعدم مبالاته له أن يفعل ما يريد ولا يجب عليه شيء للعبيد، وأيضاً لغلبة الخوف قد ينسى البشارة والرجاء بها مع أن البشارة مقيدة بالثبات والدوام والإقامة على طريق السنة والاستقامة وهو أمر دقيق وبالخوف حقيق والله أعلم. قال الطيبي: وفي الحديث إشارة إلى أن قص الشارب من السنن المتأكدة والمداومة عليه موصلة إلى قرب دار النعيم في جوار سيد المرسلين. فيعلم أن من ترك سنة، أي سنة فقد حرم خيراً كثيراً فكيف المواظبة على ترك سائرها فإن ذلك قد يؤدي إلى الزندقة **(رواه أحمد)**.

١٢١ ـ **(وعن ابن عباس)** [رضي الله عنهما] **(عن النبي ﷺ قال: «أخذ الله الميثاق)** يعني العهد، أي أراد أخذه بدليل قوله: ﴿**فأخرج**﴾ **(من ظهر آدم)** أي من الذرية التي تظهر من ظهره **(بنعمان)** قال الجوهري: نعمان بالفتح واد في طريق الطائف يخرج إلى عرفات، وفي القاموس وادٍ وراء عرفة وهو نعمان الأراك، وفي النهاية جبل بقرب عرفة، ويقال له نعمان السحاب لأنه

الحديث رقم ١٢١: أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٧٢.

يعني عرفة ـ فأخرج من صُلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قُبُلاً قال: ﴿ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين

لا يركد فوقه لعلوه فلمجاورته لها، قال، أي الراوي (**يعني عرفة فأخرج من صلبه**) بضم أوله، وهو فقار الظهر (**كل ذرية ذرأها**) بالهمز، أي خلقها إلى يوم القيامة من ذرأ الله الخلق أوجد أشخاصهم، يعني بعضهم بواسطة وبعضهم بغيرها (**فنثرهم**) أي فرقهم وبثهم ونشرهم (**بين يديه**) أي قدام آدم أو بحضهم في يمينه وبعضهم في شماله (**كالذر**) أي مشبهين بالنمل في صغر الصورة (**ثم كلمهم**) أي خاطبهم سبحانه وتعالى (**قبلاً**) بضمتين، وقيل: كعنب وصرد وقفل وجبل وهو حال، أي كلمهم عياناً ومقابلة لا من وراء حجاب ولا بأن يأمر أحداً من ملائكته (**قال:**) استئناف بيان، وقال ابن حجر: بدل من كلمهم، أي وقال لهم (**﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾**) أنت ربنا، قال ابن عباس: لو قالوا بدل «بلى» نعم لكفروا. قال ابن حجر: لأنها لتقرير النفي وبلى رد له، ونفي النفي إثبات، قال في المغني: ولذا قال جماعة من الفقهاء لو قال: أليس لك علي ألف؟ فقال: بلى لزمه، ولو قال: نعم لم يلزمه، وقال آخرون يلزمه فيهما وجروا في ذلك على مقتضى العرف، ثم قال: ولكن يقع في كتب الحديث ما يقتضي أنها يجاب بها الاستفهام المجرد، ففي صحيح البخاري في كتاب الإيمان «أنه عليه الصلاة والسلام قال لأصحابه: أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قالوا: بلى»[1]. وفي صحيح مسلم في كتاب الهبة: «أيسرك أن يكونوا لك في البر سواء؟ قال: بلى، قال فلا إذن»[2]. وفيه أيضاً إنه قال: أأنت الذي لقيتني بمكة؟ فقال له: المجيب: بلى، ثم قال: لكن هذا قليل فلا يتخرج عليه التنزيل. اهـ. ولا يخفى أن هذه الأمثلة ليست من قبيل المتنازع فيه في الأزهار، والصحيح أن جوابهم بقول: بلى كان بالنطق وهم أحياء عقلاء، وقيل: بلسان الحال. ثم قيل: تجلى للكفار بالهيبة، فقالوا: بلى مخافة فلم ينفعهم إيمانهم وتجلى للمؤمنين بالرحمة فقالوا: بلى طوعاً فنفعهم إيمانهم. (**﴿شهدنا﴾**) هو يحتمل أن يكون من تتمة المقول، أي شهدنا على أنفسنا بذلك وأقررنا بوحدانيتك، وإنما احتاجوا إلى هذا مع أن بلى يغني عنه لقوله تعالى: **﴿وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم﴾** [الأعراف ـ ١٧٢] ويحتمل أن يكون من ابتداء كلام الله تعالى، أي شهدنا على إقراركم ويؤيد الأول تقدير الطيبي فعلنا ذلك كراهة. (**أن تقولوا**) أي احتجاجاً، وقيل: لئلا تقولوا، والجمهور بالخطاب وأبو عمرو بالغيبة في الموضعين على الالتفات، وقال بعض المفسرين: قال الله تعالى للملائكة: **﴿أشهدوا قالوا شهدنا﴾** [الأنعام ـ ١٣٠] وقال بعضهم: قال الله: **﴿شهدنا﴾** يعني نفسه والملائكة والسموات والأرض، قال سهل بن عبد الله: أنا أتذكر ذلك الميثاق. (**﴿يوم القيامة﴾**) ظرف «أن تقولوا»، أي حين يحاسبون على كفرهم بالله وبكتبه ورسله والمقول (**﴿إنا كنا عن هذا﴾**) أي هذا الميثاق هذا، [أ] و الإقرار بالربوبية والاعتراف بالعبودية (**غافلين**) أي

(١) البخاري ١١/ ٣٧٨ حديث ٦٥٢٨ ومسلم ١/ ٢٠٠ حديث ٢٢٠.

(٢) مسلم ٣/ ١٢٤٣ حديث (١٧ . ١٦٢٣).

أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ رواه أحمد.

جاهلين لا نعرفه [ولا نبهنا عليه] (﴿**أو تقولوا**﴾) أي البعض المتأخرون احتجاجاً آخر (﴿**إنما أشرك آباؤنا من قبل**﴾) أي من قبل ظهورنا ووجودنا، أو من قبل إشراكنا (﴿**وكنا ذرية من بعدهم**﴾) فاقتدينا بهم فاللوم عليهم لا علينا (﴿**أفتهلكنا**﴾) أي أتعلم ذلك فتعذبنا؟ (﴿**بما فعل المبطلون**﴾)[1] من آبائنا بتأسيس الشرك، والمعنى لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع إشهادهم على أنفسهم بالتوحيد والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس. (**رواه أحمد**) وقال ابن حجر: رواه أحمد والنسائي وليس النسائي موجوداً في النسخ، ولعله إلحاق في الشرح لكنه مستبعد منه لأنه ليس من دأبه، قال ميرك شاه: كذا رواه أحمد مرفوعاً، والصحيح أنه موقوف على ابن عباس ورواه ابن أبي حاتم وغيره من طرق كثيرة والله أعلم. ا هـ. وقال التوربشتي: هذا الحديث مخرج في كتاب أبي عبد الرحمن النسائي، ولا يحتمل من التأويل ما يحتمله حديث عمر رضي الله عنه، ولا أرى المعتزلة يقابلون هذه الحجة إلا بقولهم: حديث ابن عباس هذا من الآحاد فلا تترك به ظاهر الكتاب، وإنما هربوا عن القول في معنى الآية بما يقتضيه ظاهر الحديث لمكان قوله تعالى: ﴿**أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**﴾ [الأعراف - ١٧٢] فقالوا إن كان هذا الإقرار عن اضطرار حيث كوشفوا بحقيقة الأمر وشاهدوه عين اليقين فلهم يوم القيامة أن يقولوا شهدنا يومئذ فلما زال عنا علمنا علم الضرورة ووكلنا إلى آرائنا كان منا من أصاب ومنا من أخطأ، وإن كان على استدلال ولكنهم عصموا عنده من الخطأ فلهم أن يقولوا أيدنا يوم الإقرار بالتوفيق والعصمة وحرمناهما[2] من بعد ولو مددنا بهما لكانت شهادتنا في كل حين كشهادتنا في اليوم الأول، فقد تبين أن الميثاق ما ركز الله فيهم من العقول وآتاهم[3] وآباءهم من البصائر لأنها هي الحجة الباقية المانعة لهم أن يقولوا ﴿**إنا كنا عن هذا غافلين**﴾ لأن الله تعالى جعل هذا الإقرار حجة عليهم في الإشراك كما جعل بعث الرسل حجة عليهم في الإيمان بما أخبروا به من الغيوب. قال الطيبي: وخلاصة ما قالوه إنه يلزم أن يكونوا محتجين يوم القيامة بأنه زال عنا علم الضرورة ووكلنا إلى آرائنا، فيقال لهم: كذبتم بل أرسلنا رسلنا تترى يوقظونكم من سنة الغفلة، وأما قوله: حرمنا عن التوفيق والعصمة من بعد ذلك، فجوابه أن هذا مشترك الإلزام إذ لهم أن يقولوا: لا منفعة لنا في العقول والبصائر حيث حرمنا عن التوفيق والعصمة، والحق أن تحمل الأحاديث الواردة على ظواهرها ولا يقدم على الطعن فيها بأنها آحاد لمخالفتها لمعتقد أحد، ومن أقدم على ذلك فقد حرم خيراً كثيراً، وخالف طريقة السلف الصالحين لأنهم كانوا يثبتون خبر واحد عن واحد عن النبي ﷺ ويجعلونه سنة حمد من تبعها وعيب من خالفها. اهـ. وقال في الكشاف: نزل تمكين بني آدم من العلم بربوبيته بنصب الدلائل وخلق الاستعداد فيهم وتمكينهم من معرفتها والإقرار بها منزلة

---

(١) الأعراف آية ١٧٢ - ١٧٣.

(٢) في المخطوطة «حرمناهما».

(٣) في المخطوطة «وآباءهم».

١٢٢ - (٤٤) وعن أبيّ بن كعب في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ قال: جمعهم فجعلهم أزواجاً، ثم صوّرهم فاستنطقهم، فتكلموا، ثم أخذ عليهم العهد والميثاق، ﴿وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم﴾ قالوا: بلى. قال: فإني أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين

الإشهاد والاعتراف تمثيلاً وتخييلاً لا قول ثمة ولا شهادة حقيقة، أقول: لا منع من الجمع وبه يلتئم العقل والسمع، قال المولى العلامة قطب الدين الشيرازي [رحمه الله]: قد تقرر في بداية العقول أن بني آدم من ظهر آدم، فيكون كل ما أخرج من ظهور بني آدم فيما لا يزال هم الذين قد أخرجهم الله تعالى في الأزل من ظهر آدم وأخذ منه الميثاق الأزلي ليعرف منه أن هذا النسل الذي يخرج فيما لا يزال من أصلاب بني آدم هو الذر الذي أخرج في الأزل من صلب آدم وأخذ منهم الميثاق الأول وهو المقالي الأزلي، كما أخذ منهم فيما لا يزال بالتدريج حين أخرجوا الميثاق الثاني وهو الحالي اللايزالي؛ فلله سبحانه ميثاقان مع بني آدم أحدهما تهتدي إليه العقول من نصب الأدلة الباعثة على الاعتراف الحالي، وثانيهما المقالي الذي لا تهتدي إليه العقول بل يتوقف على توقيف واقف على أحوال العباد من الآزال إلى الآباد كالأنبياء، فأراد عليه الصلاة والسلام أن يعلم الأمة بأن وراء الميثاق الذي يهتدون إليه ميثاقاً آخر أزلياً، فقال ما قال: «من مسح ظهر آدم في الأزل» الخ وهو في غاية التحقيق ونهاية التدقيق والله أعلم.

١٢٢ - (وعن أبي بن كعب) [رضي الله عنه] (في قول الله عزّ وجلّ) أي في تفسير قوله تعالى: (﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾)[(١)] وفي نسخة صحيحة، ذرياتهم، وهما قراءتان متواترتان (قال:) أي أبيّ (جمعهم) أي الله بعد أن أخرجهم (فجعلهم أزواجاً) أي ذكوراً وإناثاً، أو أصنافاً وهو الأظهر ولذا قال الطيبي: أي أراد جعلهم أصنافاً، وفسر الأصناف بقوله الآتي: «فرأى الغني والفقير» (ثم صوّرهم) أي على صورهم التي يكونون عليها بعد (فاستنطقهم) أي خلق فيهم العقل وطلب منهم النطق (فتكلموا) بما شاء الله، أو بما سيأتي (ثم) أي بعد التصوير والاستنطاق بحكم تقدير الخلاق (أخذ عليهم العهد) أي بالتوحيد (والميثاق) وهو توكيد العهد بالإقرار، أو المراد بالعهد ﴿لئن جاءتهم الرسل ليؤمنن بهم﴾ والميثاق الإيمان المؤكدة ليوفن بذلك (﴿وأشهدهم على أنفسهم﴾) أي على ذواتهم أو بعضهم على بعض، أو قال لهم اشهدوا على أنفسكم وعلى كل تقدير يؤيد قول من يقول: شهدنا بقولهم (﴿ألست بربكم﴾؟) إما استئناف بيان، وإما التقدير أشهدهم بقوله: ﴿ألست بربكم﴾ أي استشهدهم بهذا (قالوا: بلى) كذا في أكثر النسخ المصححة، وفي بعضها متروك لفظاً وإن كان مقدراً معنى إذ المعنى قالوا: بلى شهدنا (قال: فإني أشهد عليكم السموات السبع) أي نفسها بأن ركب فيها عقولاً مع أن المحققين على أن لجميع الموجودات علماً بموجدها، أي نفسها أو أهلها

الحديث رقم ١٢٢: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٣٥.

(١) الأعراف. آية ١٧٢.

السبعَ، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة: لم نعلم بهذا. اعلموا أنه لا إله غيري، ولا ربَّ غيري، ولا تشركوا بي شيئاً. إني سأرسل إليكم رسُلي يُذكّرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتُبي. قالوا: شهدنا بأنك ربُّنا وإلهنا. لا ربَّ لنا غيرُك، ولا إله لنا غيرك. فأقرّوا بذلك، ورُفع عليهم آدم عليه السلام ينظر إليهم، فرأى الغنيَّ والفقيرَ، وحسَنَ الصورة ودون ذلك. فقال: ربِّ لولا سوَّيتَ بين عبادك! قال: إني أحببتُ أن أشكرَ.

(والأرضين) بفتح الراء وتسكن (السبع) كذلك، أي زيادة على شهادتكم على أنفسكم وكفى بالله شهيداً، وقال الطيبي: إشارة إلى نصب الدليل الظاهر فأشهد بمعنى أنصب وأبين، ويؤيد الأول ظاهر قوله: (وأشهد عليكم أباكم آدم) وأوّل الطيبي هذا أيضاً بأنه إلى قوله: «يذكرونكم» إشارة إلى النصوص الشاهدة الواردة من جهة الرسل (أن تقولوا) بالخطاب لا غير (يوم القيامة لم نعلم) أي لم نوقن بهذا (اعلموا) أي تحققوا الآن قبل مجيء ذلك الزمان وتبين الأمر بالعيان (أنه لا إله غيري) معبود (ولا رب غيري) موجود (ولا تشركوا بي شيئاً) فإني مقصود (إني) قيل: بالفتح بدل اشتمال مما قبله[1]، وبالكسر استئناف وهو الأظهر، أي إني مع هذا البيان (سأرسل إليكم) في مستقبل الزمان (رسلي) بالبرهان (يذكرونكم) بتشديد الكاف (عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتبي) بواسطة رسلي، وفيها تبيان كل شيء مما يتعلق بعهدي وميثاقي، ولذا قال تعالى: ﴿أوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾ [البقرة ـ ٤٠] وهذا كالتصريح لما قدمنا من الجمع بين الميثاق المقالي والحالي والعهد الحسي والمعنوي[2]. (قالوا: شهدنا) أي علمنا واعترفنا (بأنك ربنا) ورب كل شيء رضينا بربوبيتك (وإلهنا) وإله كل شيء، فنقوم بحق عبوديتك بمقتضى ألوهيتك (لا رب لنا غيرك) فإنك رب العالمين (ولا إله لنا غيرك) فإنك إله العابدين، قال ابن حجر: كان وجه تقديمهم ههنا مقام الربوبية أن شهود تربية الحق حامل، أي حامل على الإيمان بالألوهية [فكان أحق بالتقديم هنا، وإنما عكس ذلك في كلامه تعالى لأن مقام الألوهية] هو الأحق بأن ينبه عليه لأنه الأصل وما عداه وسيلة كما تقرر. (فأقروا بذلك) أي بجميع ما ذكر (ورُفع) بالبناء للمفعول، أي أشرف (عليهم آدم عليه الصلاة والسلام) من مقام عال (ينظر إليهم) حال، أو مفعول له بتقدير إن كما في قوله: * احضر الوغى * (فرأى) أي آدم منهم (الغني) صورة ومعنى باعتبار الآثار اللائحة اللامعة (والفقير) يداً وقلباً، وفي نسخة بتقديم الفقير (وحسن الصورة) أي الظاهرة والباطنة (ودون ذلك) أي في الحسن، أو غير ما ذكر (فقال: رب لولا) أي هلا (سويت) يعني لم ما سويت (بين عبادك) والقصد به أن يبين له حكمته (قال: إني أحببت أن أشكر) بالبناء للمفعول، أي أعرف بالأنعام وأشكر على الدوام على لسان الأنام، وهذا المعنى يصحح معنى ما ينقل حديثاً ولم يصح لفظاً: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأن أعرف»، ولذا قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وما

---

(١) في المخطوطة «بما». (٢) في المخطوطة «المعنى».

ورأى الأنبياء فيهم مثل السُّرُج عليهم النور، خصُّوا بميثاق آخر في الرسالة والنبوة، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ إلى قوله: ﴿عيسى ابن مريم﴾

خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات - ٥٦] أي ليعرفون، والمعنى ينظر الغني إلى الفقير فيشكر وينظر الفقير إلى دينه فيرى نعمته فوق الغني فيشكر، ويرى حسن الصورة جماله فيشكر وقبيح الصورة حسن خصاله فيشكر كذا قاله الطيبي. وهو موهم أن حسن الصورة والسيرة لا يجتمعان، وأن الغنى والدين متنافيان، فالأحسن ما قاله شيخنا ابن حجر المكي: إن الغني يرى عظيم نعمة الغنى، والفقير يرى عظيم نعمة المعافاة من كدر الدنيا ونكدها وتعبها الذي لا حاصل له غير طول الحساب وترادف المحن وتوالي العذاب، وحسن الصورة يرى ما منحه من ذلك الجمال الظاهر الدال على الجمال الباطن غالباً، وغيره يرى أن عدم الجمال أدفع للفتنة وأسلم من المحنة؛ فكل هؤلاء يرون مزيد تلك النعم عليهم فيشكرون عليها ولو تساووا في وصف واحد لم يتيقظوا لذلك. **(ورأى)** أي آدم **(الأنبياء)** وهم أعم من الرسل **(فيهم)** أي حال كونهم مندرجين في جملتهم **(مثل السرج)** جمع سراج **(عليهم النور)** أي يغلب كأنه بيان لوجه شبههم بالسرج، فإن الخلق خلقوا في ظلمة والأنبياء أنوار الله عليهم لائحة يهتدون بهم إلى ربهم، وفيه إشارة إلى أن لأنبياء أيضاً لا يخلون عن ظلمة الأخلاق البشرية، لكن يغلب عليهم العصمة الإلهية والأنوار الربانية ولذا، **(خصوا بميثاق آخر)** بعدما دخلوا في عموم ميثاق العوام للاهتمام التام بمرامهم عليهم الصلاة والسلام، فقوله: «خصوا» استئناف، أو صفة للأنبياء. **(في الرسالة والنبوة)** أي في شأنهما والقيام بحقهما، والفرق بينهما أن النبي من أنبأ عن الله سواء أمر بأن أنبيء عن الله أم لا، والرسول من أمر بتبليغ الرسالة. **(وهو قوله تبارك وتعالى)** أي هذا الميثاق هو المراد من قوله: **(﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ إلى قوله ﴿عيسى ابن مريم﴾)** وما قبله **﴿ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم﴾** [الأحزاب - ٧] ففيه تخصيص بعد تعميم، فإن الخمسة هم أولو العزم على الأصح، وقدم نبينا ﷺ في الذكر لتقدمه في الرتبة، أو في الوجود أيضاً لقوله: «أول ما خلق الله روحي» وقوله: «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد»[1]. ثم قال تعالى: **﴿وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾** [الأحزاب - ٧] [أي عظيماً] مؤكداً يسأل الصادقين عن صدقهم، والظاهر منه أن الميثاق الخاص هو العهد بالصدق والإخلاص، والأظهر أن ميثاق الأنبياء إنما هو مظاهرة بعضهم بعضاً بالإيمان والتصديق والنصرة والمعاونة كما قال تعالى في موضع آخر: **﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري﴾** أي عهدي **﴿قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾** [آل عمران - ٨١] وهذا الميثاق الخاص يحتمل أن يكون بعد العام، والأظهر أن يكون قبله في عالم الأرواح تعظيماً لهم وتكريماً، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد»،

---

(١) بنحوه الترمذي ٥/ ٥٤٥ حديث رقم ٣٦٠٩.

كان في تلك الأرواح، فأرسله إلى مريمَ عليهما السلام فحُدّث عن أُبَي: أنه دخل مِنْ فيها. رواه أحمد.

١٢٣ ـ (٤٥) وعن أبي الدرداء، قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ نتذاكر ما يكون، إذ قال رسول الله ﷺ: «إذا سمعتم بجبلٍ زالَ عن مكانه فصدقوه، وإذا سمعتم برجل تغير عن خلُقِه فلا تُصدقوا به، فإنه يصير إلى ما جُبل عليه».

ويدل عليه قوله: (كان) أي عيسى (في تلك الأرواح فأرسله) أي روحه، وهو يذكر ويؤنث، يعني مع جبريل عليه الصلاة والسلام (إلى مريم عليهما السلام) بصيغة التثنية والصحيح (فحدث) بصيغة المجهول، أي روي (عن أبي أنه دخل) أي الروح إلى جوفها ثم رحمها، وإنما ذكر الروح بتأويل المنفوخ أو عيسى كذا قاله الطيبي. وفي القاموس الروح بالضم ما به حياة الأنفس ويؤنث. اهـ. فجعل التذكير أصلاً كما هو الأصل في اللفظ. (من فيها) أي من فمها كذا قاله الأبهري، وهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فنفخنا فيه﴾ [التحريم ـ ١٢] أي في فيها، وقرأ ابن مسعود ﴿فيها﴾ أي في مريم، وهو يحتمل أن يكون المراد في فمها، أو في جيب درعها، ويجمع بينهما بفرض ثبوتهما بأن بعض تلك النفخة دخلت من جيبها وبعضها من فمها. وتخصيص عيسى وتقييده بقوله: «دخل من فيها» تسجيل على النصارى بركاكة عقولهم، أي كيف يتخذ إلٰهاً من دون الله من هذا حاله [كذا] قاله الطيبي. ونظيره[1] قوله تعالى: ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ [المائدة ـ ٧٥] قيل: هو كناية عن بيولان ويغوطان (رواه أحمد).

١٢٣ ـ (وعن أبي الدرداء قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ نتذاكر) أي مع رسول الله ﷺ، أو مع بعضنا بحضرته وهو يسمع (ما يكون) ما موصولة، أي الذي يحدث من الحوادث أهو شيء مقضي مفروغ منه فتوجد[2] تلك الحوادث على طبقة، أو شيء يوجد أنفاً من غير سبق قضائه؟ (إذ قال رسول الله ﷺ: إذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوه) أي لإمكانه، بل حكى وقوعه كما قيل: إن بعض جبال المغرب سار عن محله مسافة طويلة. (وإذا سمعتم برجل تغير عن خلقه) بضم اللام وتسكن، أي خلقه الأصلي بالكلي (فلا تصدقوا به) أي بالخبر عنه بذلك فإنه غير ممكن عادة، ولذا قال تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ [آل عمران ـ ١٣٤] ولم يقل والعادمين له. (فإنه) أي الرجل، والمراد به الجنس (يصير) في كل ما يريد أن يفعله ويحدثه (إلى ما جبل) أي خلق وطبع (عليه) من الأخلاق، قال ابن حجر: أي على وفق ما سبق به القضاء والقدر الذي لا يمكن أن يبدل ويغير، فالكيس مثلاً لا يصير بليداً، والسخي لا يصير بخيلاً، والشجاع لا يصير جباناً وعكسها. وهذا مثال تقريبي باعتبار استبعاد العادة لزوال الجبل عن مكانه استبعاداً يلحقه بالمحال العقلي، وحينئذ فلا يقدح في ذلك إمكان

---

(١) في المخطوطة «نظيرها».

الحديث رقم ١٢٣: أخرجه أحمد في المسند ٦/٤٤٣.

(٢) في المخطوطة «فيوجد».

رواه أحمد.

زوال الجبل عن مكانه دون الخلق المقدر عما قدر عليه. ا هـ. فإن قلت مدار الصوفية على تبديل الأخلاق فكيف هذا الحديث؟ قلت: التحقيق أن كل أحد خلق وطبع فيه الأخلاق جميعها وهي صالحة بأصلها أن تكون حميدة وأن تكون ذميمة، وإنما تحمد إذا كانت متوسطة بين طرفي الإفراط والتفريط والذميمة ضدها؛ فمثلاً السخاوة صفة معتدلة بين الإسراف والبخل، وكذا الشجاعة بين التهوّر والجبن، وكذا التواضع بين الضعة والتكبر، والغالب على الناس [عادة] عدم الاعتدال، فالصوفية يجاهدون ويرتاضون في الأخلاق ليبدلوها عن مقتضى العادة ويعدلوها على سنن الاستقامة والعبادة، ولذا[1] قيل: الإرادة ترك العادة، ومن جملتها [البغض] وحالة اعتداله المحمود أن يكون في محله المرضي عند الله على القدر المحدود في الشرع، وكذلك ضده المحبة. ولذا قال ﷺ: «من أحب لله وأبغض لله فقد استكمل إيمانه»[2]، وأما إزالة صفة البخل من أصلها بالكلية فغير ممكنة إلا بالجذبة الإلهية، ولذا قال تعالى: ﴿**قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً**﴾ [الإسراء - ١٠٠] أي بخيلاً، وقال عليه الصلاة والسلام: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب»[3]، بل قيل: لو أزيلت الصفات الذميمة بالكلية عن الإنسان يكون ناقصاً إذ كماله أن تغلب صفاته الحميدة وبهذا فضل نوع الإنسان على نوع الملك والله أعلم. والحاصل: أن التبديل الأصلي الذاتي غير ممكن كما أشار إليه الحديث النبوي، وأما التبديل الوصفي فهو ممكن، بل العبد مأمور به ويسمى تهذيب النفس وتحسين الأخلاق. قال تعالى: ﴿**قد أفلح من زكاها**﴾ [الشمس - ٩] وفي الحديث: «حسنوا أخلاقكم»، وفي الدعاء: «اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي»، «واللهم اهدني لصالح الأعمال والأخلاق لا يهدي لصالحها إلا أنت»[4]، ومن أراد الاستيفاء فعليه بالأحياء. ويمكن أن يقال إن الخلق المبرم لا يبدل والخلق المعلق يغير وهو مبهم عندنا معلوم عند الله فعلينا المجاهدة، فكل ميسر لما خلق له. ولهذا ترى كثيراً من المرتاضين لم تحسن أخلاقهم في أزمنة طويلة وبعضهم تبدل أخلاقهم الذميمة بالحميدة في مدة قليلة، أو النفي محمول على العادة من غير حصول الأسباب العادية والإثبات على خرقها، وهو تارة يكون بالجذبة الإلهية، وتارة بالرياضات النفسية، وتارة بالعلوم والمعارف الربانية. قال ابن حجر: وفي الحديث إشارة إلى أنه ينبغي استحضار هذا في النظر للمخالق بعد وقوع الأفعال منهم حتى تقام أعذارهم في كثير من أحوالهم التي لا يترتب على إقامتها فيها محذور، فإن كلا يجري في تيار ما قدر له لا يخرج عنه مثقال ذرة في حركاته وسكناته. (**رواه أحمد**) وكذا ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه في تفاسيرهم كلهم من طريق أبي جعفر الراوي عن الربيع عن أنس عن أبي العالية عن

(١) في المخطوطة [كذا].
(٢) أبو داود في السنن ٥/ ٦٠ حديث ٤٦٨١.
(٣) البخاري ١١/ ٢٥٣ حديث ٦٤٣٦ ومسلم ٢/ ٧٢٥ حديث ١٠٤٨.
(٤) النسائي في معناه ٢/ ١٢٩ حديث رقم ٨٩٦.

١٢٤ ـ (٤٦) وعن أم سلمة، قالت: يا رسول الله! لا يزال يُصيبك في كل عام وجعٌ من الشاة المسمومة التي أكلت. قال: «ما أصابني شيء منها إلا وهو مكتوبٌ عليّ وآدم في طينته». رواه ابن ماجة.

(٤) باب اثبات عذاب القبر

أبي، وكان مقتضى دأب المصنف أن يقول: روى الأحاديث الخمسة أحمد.

١٢٤ ـ (**وعن أم سلمة**) هي أم المؤمنين هند بنت أبي أمية رضي الله عنها، وكانت قبل رسول الله ﷺ تحت أبي سلمة، فلما مات أبو سلمة سنة أربع تزوجها رسول الله ﷺ في ليال بقين من شوّال من السنة التي مات فيها أبو سلمة، وماتت سنة تسع وخمسين ودفنت بالبقيع وكان عمرها أربعاً وثمانين سنة، وروى عنها ابن عباس وعائشة وزينب بنتها وابن المسيب وخلق سواهم كثير من الصحابة والتابعين. (**قالت: «يا رسول الله لا تزال**) بالخطاب، وقيل: بالغيبة (**يصيبك**) أي يحصل لك (**في كل عام**) أي سنة (**وجع**) بفتح الجيم، أي ألم (**من الشاة**) أي من أجل أثر الشاة (**المسمومة**) أي بالسم الذي بالغ اليهودي في اصطناعه واتقانه ليقتل في وقته وساعته (**التي أكلت**) أي في خيبر كما في نسخة (**قال: ما أصابني شيء منها**) أي من تلك الشاة، أو من تلك الأكلة (**إلا وهو**) [أي] ذلك الشيء من الألم (**مكتوب عليّ وآدم في طينته»**) قال الطيبي: مثل للتقدير السابق لا تعيين، فإن كون آدم في طينته أيضاً مقدر قبله كما يقال ما لاح كوكب وما أقام ثبير في التأبيد وإن لم يكن مؤبداً. اهـ. ويؤيده قوله تعالى: ﴿**ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها**﴾ [الحديد ـ ٢٢] أي نخلقها، وقضية الشاة تأتي في باب المعجزات إن شاء الله تعالى (**رواه ابن ماجة**).

(باب إثبات عذاب القبر)

قال الإمام النووي: مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر، وقد تظاهرت عليه الأدلة من الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿**النار يعرضون عليها غدوّاً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب**﴾ [غافر ـ ٤٦] وأما الأحاديث فلا تحصى كثرة، ولا مانع في العقل من أن يعيد الله الحياة في جزء من الجسد، أو في الجميع على خلاف بين الأصحاب فيثيبه ويعذبه، ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تفرقت أجزاؤه كما يشاهد في العادة، أو أكلته السباع والطيور وحيتان البحر لشمول علم الله تعالى وقدرته. فإن قيل: نحن نشاهد الميت على حاله فكيف يُسأل ويقعد ويضرب ولا يظهر أثر؟ فالجواب: إنه ممكن وله نظير في الشاهد وهو النائم، فإنه يجد لذة وألماً يحسه ولا نحسه، وكذا يجد اليقظان لذة وألماً يسمعه ويتفكر فيه ولا يشاهد ذلك جليسه، وكذلك كان جبريل يأتي النبي ﷺ فيوحي بالقرآن المجيد ولا يراه أصحابه.

الحديث رقم ١٢٤: أخرجه ابن ماجة في السنن ٢/ ١١٧٤ حديث رقم ٣٥٤٦.

الفصل الأول

١٢٥ ـ (١) عن البراء بن عازب، عن النبي ﷺ، قال: «المسلمُ إذا سُئِلَ في القبرِ؛ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله: ﴿يثبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾».

وفي رواية عن النبي ﷺ، قال: «﴿يثبِّتُ اللهُ الذين

(الفصل الأوّل)

١٢٥ ـ (عن البراء بن عازب) هو وأبوه صحابيان، وهو أبو عمارة الأنصاري الحارثي، نزل الكوفة وافتتح الري سنة أربع وعشرين، وشهد مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين والنهروان، ومات بالكوفة. روى عنه خلق كثير، وعمارة بضم العين المهملة وتخفيف الميم وعازب بعين مهملة وكسر الزاي بعدها موحدة رضي الله عنهما. (عن النبي ﷺ قال: «المسلم) وفي معناه المؤمن، والمراد به الجنس فيشمل المذكر والمؤنث، أو حكمها يعرف بالتبعية (إذا سئل في القبر) التخصيص للعادة، أو كل موضع فيه مقره فهو قبره والمسؤول عنه محذوف، أي سئل عن ربه ودينه ونبيه لما ثبت في الأحاديث الأخر. (يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) أي يجيب بأن لا رب إلا الله ولا إله سواه وبأن نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، ويلزم منه أن دينه الإسلام (فذلك) أي فمصداق ذلك الحكم وقال الطيبي: إشارة إلى سرعة الجواب التي يعطيها جعل إذا ظرفاً ليشهد، والفاء للسببية اهـ. وفيه بحث فإن الظاهر أن الآية سبب لما في الحديث دون العكس، فالأولى أن يقال: إن الفاء تفريعية، أو تفصيلية. (قوله) أي تعالى كما في نسخة (﴿يثبت الله الذين آمنوا﴾) أي يجري لسانهم (﴿بالقول الثابت﴾) وهو كلمة الشهادة المتمكنة في القلب بتوفيق الرب، قال الطيبي: واللام إشارة إلى كلمة طيبة. اهـ. وهذا مقتبس من قوله [تعالى]: ﴿ومثل كلمة طيبة﴾ [إبراهيم ـ ٢٤] وهي شهادة أن لا إله إلا الله كما جاء عن ابن عباس وغيره ﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾ وهي النخلة على ما في الصحيح، قيل: الباء للسببية متعلقة بيثبت وكذا (﴿في الحياة الدنيا﴾) بأن لا يزالوا عنه إذا فتنوا ولم يرتابوا بالشبهات وإن ألقوا في النار (﴿وفي الآخرة﴾) أي البرزخ وغيره، وقيل: في القبر عند السؤال وهو الصحيح كما وقع به التصريح، قال الطيبي: وأعاد الجار ليدل على استقلاله في التثبيت. (وفي رواية عن النبي ﷺ قال: «﴿يثبت الله﴾) مبتدأ، أي آية يثبت الله (﴿الذين

الحديث رقم ١٢٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ٢٣١ حديث رقم ١٣٦٩. ومسلم في الصحيح ٤/ ٢٢٠١ حديث ٧٣. وأبو داود بنحوه ٥/ ١١٢ حديث رقم ٤٧٥٠. والنسائي ٤/ ١٠١ حديث رقم ٢٠٥٧. والترمذي ٥/ ٢٧٦ حديث رقم ٣١٢٠. وابن ماجة ٢/ ١٤٢٧ حديث رقم ٤٢٦٩.

آمنوا بالقول الثّابت﴾ نزلت في عذاب القبر، يقال له: من ربُّك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد». متفق عليه.

١٢٦ - (٢) وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ العبد إذا وُضِعَ في قبرِهِ، وتولى عنه أصحابُهُ [و] إنه

آمنوا بالقول الثابت﴾) أي إلى قوله: ﴿ويضل الله الظالمين﴾، أي الكافرين ﴿ويفعل الله ما يشاء﴾ [إبراهيم - ٢٧] (نزلت في عذاب القبر) أي في إثباته، قال فإن قيل: ليس في الآية دليل على [عذاب المؤمن]، فما معنى قوله نزلت في عذاب القبر؟ قلت: لعله سمى أحوال العبد في القبر بعذاب القبر على تغليب فتنة الكافر على فتنة المؤمن ترهيباً، ولأن القبر مقام الهول والوحشة، ولأن ملاقاة الملكين مما يهيب المؤمن أيضاً. ا هـ. وفيه أن المراد إثبات عذاب القبر مجملاً غايته أن عذاب المؤمن الفاسق مسكوت عنه كما هو دأب القرآن في الاقتصار على حكم الفريقين كما ورد في إعطاء الكتاب باليمين والشمال وخفة الميزان وثقله وأمثالهما[1]، وهذا المقدار من الدليل حجة على المخالف إذ لا قائل بالفصل. (يقال له:) أي لصاحب القبر (من ربك؟) فإن كان مسلماً أزال الله الخوف عنه وثبت لسانه في جواب الملكين (فيقول: ربي الله ونبيي محمد) زاد في الجواب تبجحاً، أو ومن نبيك؟ مقدر في السؤال، أو لأن السؤال عن التوحيد يستلزمه إذ لم يعتد به دونه، وزاد في المصابيح: «والإسلام ديني» فحينئذ يكون منعماً في القبر، وأما الكافر فيغلب عليه الخوف والحيرة والدهشة والوحشة ولا يقدر على جوابهما، فيكون معذباً فيه. قيل: ولم يذكر حال الكافر لأن الضد أقرب خطوراً بالبال عند ذكر ضده فاكتفى به عنه (متفق عليه).

١٢٦ - (وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: إن العبد) [المراد به الجنس] (إذا وضع في قبره) شرط وأتاه جوابه، والجملة خبران (وتولى) أي ادبر وأعرض (عنه أصحابه) أي عن قبره والعبرة بالأكثر، أو عن وضعه، والمعنى: دفنوه، والتعبير عنهم بالأصحاب نظراً للغالب، والأول هو الأظهر لقوله: «يسمع قرع نعالهم» (إنه) بالكسر، وهو أما حال بحذف الواو كما في أحد وجهي قوله تعالى: ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة﴾ [الزمر - ٦٠] أي ووجوههم على أن الرؤية بمعنى الإبصار وهو على حد كلمته فوه إلى فيَّ، أو يكون

---

(١) كقوله تعالى: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه﴾ [الحاقة: آية ١٩]. وكقوله تعالى: ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه﴾ [الحاقة: آية ٢٥]. وخفة الميزان وثقله كقوله تعالى: ﴿فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية﴾ [القارعة: آية ٦]. ﴿وأما من خفت موازينه فأمه هاوية﴾ [القارعة: آية ٨].

الحديث رقم ١٢٦: أخرجه البخاري في الصحيح ٣/ ٢٠٥ حديث رقم ١٣٣٨. ومسلم في الصحيح ٤/ ٢٢٠١ حديث (٧٠ . ٢٨٧٠) وأخرجه النسائي في السنن ٤/ ٩٧ حديث رقم ٢٠٥١. وأخرجه أبو داود في سننه ٥/ ١١٤ حديث رقم ٤٧٥٢.

لَيَسْمَعُ قرعَ نِعَالِهِمْ أتاهُ ملكانِ فيُقعدانِهِ، فيقولان: ما كنتَ تقولُ في هذا الرجل؟ لمحمد [صلى الله عليه وسلم]:

أنه جواب الشرط على حذف الفاء فيكون «أتاه» حالاً من فاعل «يسمع» وقد مقدرة، ويحتمل أن يكون إذا ظرفاً محضاً، وقوله: «إنه» تأكيد لقوله: «إن العبد». **(ليسمع)** بفتح اللام للتأكيد **(قرع نعالهم)** بكسر النون جمع نعل، قيل: أي يسمع صوتها لو كان حياً فإن جسده قبل أن يأتيه الملك فيقعده ميت لا يحس بشيء وهو ضعيف، إذ ثبت بالأحاديث أن الميت يعلم من يكفنه ومن يصلي عليه ومن يحمله ومن يدفنه، وقال ابن الملك: أي صوت دقها، وفيه دلالة على حياة الميت في القبر لأن الإحساس بدون الحياة ممتنع عادة، واختلفوا في ذلك فقال بعضهم: يكون بإعادة الروح وتوقف أبو حنيفة في ذلك. اهـ. ولعل توقف الإمام في أن الإعادة تتعلق بجزء البدن أو كله قال في شرح السنة؟ يجوز المشي بالنعل في القبور. **(أتاه ملكان)** أي قبل أن يمضي زمان طويل **(فيقعدانه)** من الإقعاد، وقد وقع في بعض الروايات: «فيجلسانه» من الإجلاس وهو أولى، لأن القعود عند الفصحاء في مقابلة القيام، والجلوس في مقابلة الاضطجاع والاستلقاء. ويؤيده ما حكي أن النضر بن شميل مثل بين يدي المأمون فقال: اجلس، فقال: يا أمير المؤمنين لست مضطجعاً فاجلس، قال: كيف أقول؟ قال: قل اقعد. ويحتمل أن يراد بالإقعاد الإيقاظ والتنبيه، وإنما يسألان عنه بإعادة الروح، ويمكن أنه يقوم من الفزع والخوف والهيبة والدهشة والحيرة فيقعدانه. قال الطيبي: ولعل من روى: «فيقعدانه» ظن أن اللفظين ينزلان في المعنى منزلة واحدة وقد فاته دقة المعنى، ولهذا نهى كثير من السلف عن رواية الحديث بالمعنى، قال النووي: القعود والجلوس مترادفان، واستعمال القعود مع القيام والجلوس مع الاضطجاع مناسبة لفظية، ونحن نقول بموجبه إذا كانا مذكورين، وأما إذا لم يذكر إلا أحدهما فلم تقل أنه كذلك؛ ألا ترى إلى حديث جبريل عليه السلام «حتى جلس إلى النبي ﷺ»[1]، أقول: صرح في القاموس بأنهما لغتان حيث قال: القعود الجلوس، أو هو من القيام والجلوس من الضجعة ومن السجود. اهـ. ويؤيد اللغة الثانية استعمال الفقهاء في أفعال الصلاة القعدة الأولى والقعدة الأخرى والله أعلم. **(فيقولان)** أي له **(ما كنت تقول)** أي أي شيء كنت تقوله، أي تعتقد **(في هذا الرجل؟)** أي في شأنه، واللام للعهد الذهني. وفي الإشارة إيماء إلى تنزيل الحاضر المعنوي منزلة الصوري مبالغة. **(لمحمد)** بيان من الراوي للرجل، أي لأجل محمد (ﷺ) كذا قاله الطيبي وشراح المصابيح، وقال السيد جمال الدين: الأولى أن يقال لمحمد من جملة قول الرسول، والتعبير بمحمد دون النبي والرسول يؤذن بذلك. اهـ. قال الطيبي: ودعاؤه بالرجل من كلام الملك فعبر بهذه العبارة التي ليس فيها تعظيم امتحاناً للمسؤول لئلا يتلقن تعظيمه عن عبارة القائل: **﴿ثم يثبت الله الذين آمنوا﴾** [إبراهيم ـ ٢٧] وفي رواية عند أحمد والطبراني: «ما تقول في هذا الرجل قال: من قال: محمد، فيقول: الخ. قال ابن حجر: ولا يلزم من الإشارة ما قيل من رفع الحجب بين الميت

(١) راجع الحديث رقم ٢.

فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبدُ اللهِ وَرَسُولُهُ. فيُقال له: أُنظُرْ إلى مقعدكَ من النارِ، قد أبدلكَ الله به مقعداً من الجنّةِ، فيراهُمَا جميعاً. وأما المنافِقُ والكافِرُ فَيُقَالُ له: ما كُنت تقولُ في هذا الرجلِ؟ فيقولُ: لا أدري! كنت أقولُ ما يقولُ الناسُ! فيقالُ: لادَرَيتَ ولاتَلَيْتَ،

وبينه ﷺ حتى يراه ويُسأل عنه لأن مثل ذلك لا يثبت بالاحتمال على أنه مقام امتحان وعدم رؤية شخصه الكريم أقوى في الامتحان، قلت: وعلى تقدير صحته يحتمل أن يكون مفيداً لبعض دون بعض، والأظهر أن يكون مختصاً بمن أدركه في حياته عليه الصلاة والسلام وتشرف برؤية طلعته الشريفة. (**فأما المؤمن فيقول:**) أي في جوابه لهما مع اعترافه بالتوحيد كما مر (**أشهد أنه عبد الله ورسوله**) لا كما زعمت النصارى من الوهية نبيهم، ولا كما زعمت الفرق الضالة أنه ليس برسوله. (**فيقال له:**) الظاهر أنه على لسانهما تعجيلاً لمسرته وتبشيراً لعظيم نعمته (**انظر إلى مقعدك من النار**) أي لو لم تكن مؤمناً ولم تجب الملكين (**قد أبدلك الله به**) أي بمقعدك هذا (**مقعداً من الجنة**) أي بإيمانك، والقعود هنا أيضاً مستعمل في المعنى الأعم. (**فيراهما**) أي المقعدين (**جميعاً**) ليزداد فرحه (**وأما المنافق والكافر**) تعميم بعد تخصيص (**فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري**) أي حقيقة أنه نبي أم لا (**كنت أقول**) أي في الدنيا (**ما يقول الناس**) أي المؤمنون، وهذا قول المنافق لأنه كان يقول في الدنيا لا إله إلا الله محمد رسول الله تقية لا اعتقاداً، وأما الكافر فلا يقول في القبر شيئاً، أو يقول: لا أدري فقط لأنه لم يقل في الدنيا محمد رسول الله، ويحتمل أن يقول الكافر أيضاً دفعاً لعذاب القبر عن نفسه. وقال ابن حجر: إن أراد بالناس المسلمين فهو كذب منه حتى في المنافق لأنه ليس المراد مجرد قول اللسان بل اعتقاد القلب، وإن أراد من هو بصفته فهو جواب غير نافع له. اهـ. والثاني أظهر وهو أن يراد بالناس الكفار، ومراده بيان الواقع لا الجواب [النافع]، وعلى تقدير أن يراد بالناس المسلمون لا محذور أيضاً في كذبهم إذ هذا دأبهم وقد أخبر الله تعالى عنهم بقوله: **﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾** [المجادلة - ١٨] أي في قولهم: **﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾** [الأنعام - ٢٣] (**فيقال**) أي له، كما في نسخة (**لا دريت**) أي لا علمت ما هو الحق والصواب (**ولا تليت**) أي لا تبعت الناجين، يعني: ما وقع منك التحقيق والتسديد ولا صدر منك المتابعة والتقليد، وقيل: دعاء عليه وهو بعيد، قال السيد جمال الدين: أي لا قرأت فأصله تلوت قلبت الواو لازدواج دريت، أي ما علمت بالنظر والاستدلال، أي العقلي أنه رسول وما قرأت كتاب الله لتعلمه منه، أي بالدليل النقلي وينبه قوله عليه الصلاة والسلام في الفصل الثالث[1] «أن المؤمن يقول هو رسول الله، فيقولان: ما يدريك، فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت» كذا في الأزهار، وقيل: لا تليت لا اتبعت العلماء بالتقليد. اهـ. وقال ابن الملك: قوله: «ولا تليت» من تلا يتلو إذا قرأ، أي ولا قرأت الكتاب دعاء عليه، أي بدوام الجهل، أو إخبار. قيل: رواية

---

(١) بل هو في الفصل الثاني الحديث رقم ١٣١.

ويُضربُ بمطارق من حديدٍ ضربةً، فيصيحُ صيحةً يسمعُها من يليهِ غيرَ الثقلَيْنِ». متفق عليه. ولفظه للبخاري.

«ولا تليت» خطأ والصواب ولا أتليت من أتلاه إذا اتبعه؛ فالمعنى ما علمت بالنظر والاستدلال حقيقة نبوّته، ولا اتبعت العلماء بالتقليد فيكون اخباراً. ا هـ. هذا وفي القاموس: تلوته كدعوته ورميته تبعته، والقرآن أو كل كلام قرأته وأتليته إياه اتبعته، فبهذا يظهر تكلف بعض وخطأ بعض في هذا المقام والله أعلم بالمرام.

ثم ذكر في الأزهار فإن قيل: كيف يكلم الملكان جميع المكلفين وكيف يسألانهم في وقت واحد مع كثرتهم في الآفاق والأطراف وبعد المسافة شرقاً وغرباً؟، وأي فائدة من سؤال اثنين من واحد؟ قيل: يكون لهما أعوان كما لملك الموت، وقيل: جميع الأرض مكشوف لهما وفي نظرهما كما لملك الموت وإن أحدهما يسأل المسلمين والآخر الكافرين. ا هـ. وفي قول الأخير نظر ظاهر لأنه مخالف لظواهر الأحاديث، ويمكن أن يقال حكمة الاثنين لأنهما بمنزلة الشاهدين، أو عوض الملكين الكاتبين والله أعلم. **(ويضرب)** أي الكافر **(بمطارق)** وفي المصابيح بمطرقة وهي آلة الضرب **(من حديد)** لأنه من بين الفلزات أشد شديد **(ضربة)** أي بين أذنيه كذا قاله ابن الملك، قال الطيبي: أفرد الضربة وجمع المطارق على نحو قوله ﴿ معى جياعاً ﴾ ليؤذن بأن كل جزء من تلك المطرقة مطرقة برأسها مبالغة. ا هـ. والأظهر أن المطارق على حقيقته من معنى الجمعية سواء يكون أقله اثنان أو ثلاثة، والمراد من ضربة دفعة واحدة من الضرب والله أعلم. ثم رأيت ابن حجر قال: كان وجه إفرادها مع جمع المطارق للإشارة إلى أنها تجتمع[1] عليه في وقت واحد فصارت كالضربة الواحدة صورة ثم قال: وفي كلام الطيبي نظر لأن فيه إخراج المطارق عن حقيقته وهي الدلالة على الجمع الذي هو أبلغ في النكال والعذاب من غير داع لذلك. **(فيصيح)** أي يرفع صوته بالبكاء من تلك الضربة **(صيحة يسمعها)** أي تلك الصيحة **(من يليه)** أي يقرب منه من الدواب والملائكة، وعبر بمن تغليباً للملائكة لشرفهم ولا يذهب فيه إلى المفهوم من أن من بعد لا يسمع لما ورد في الفصل الثاني في حديث البراء بن عازب[2] من أنه يسمعها ما بين المشرق والمغرب، والمفهوم لا يعارض المنطوق. **(غير الثقلين»)** أي الإنس والجن، سُمي بهما لأنهما ثقلاً على الأرض، ونصب غير على الاستثناء، وقيل: بالرفع على البدلية واستثنيا لأنهما بمعزل عن سماع ذلك لئلا يفوت الإيمان بالغيب لأنه يصير الإيمان به لو سمعوه ضرورياً، والإيمان الضروري لا يفيد ثواباً فيرتفع الابتلاء والامتحان، وقيل: لو سمعوه لأعرضوا عن التدابير والصنائع ونحوهما فينقطع المعاش ويختل نظام العالم، ولذا قيل: لولا الحمقى لخربت الدنيا، وقيل: الغفلة رحمة، وقيل: لولا الأمل لأختل العمل **(متفق عليه)** أي بحسب المعنى **(ولفظه للبخاري)** قال ميرك شاه: وفيه نظر لأن رواية مسلم انتهت إلى قوله: «فيراهما جميعاً» فيحمل الاتفاق على الأكثر فتدبر.

---

(١) في المخطوطة «يجتمع».

(٢) الحديث رقم ١٣١.

١٢٧ ـ (٣) وعن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أحدَكم إذا ماتَ عُرِضَ عليه مقعَدُهُ بالغداةِ والعَشيِّ، إنْ كانَ منْ أهلِ الجَنَّةِ فمن أهلِ الجنَّةِ، وإنْ كان مِنْ أهلِ النَّارِ فمنْ أهلِ النارِ، فيُقالُ: هذا مقعدُكَ حتى يبعثَكَ الله إليه يومَ القيامَةِ». متفق عليه.

---

١٢٧ ـ (وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده) أي أظهر له مكانه الخاص من الجنة أو النار، وهو لا ينافي عرض مقعد آخر فرضياً كما تقدم (بالغداة والعشي) أي طرفي النهار، أو المراد بهما الدوام (إن كان) أي الميت (من أهل الجنة فمن أهل الجنة) أي فالمعروض عليه من مقاعد أهل الجنة، أو فمقعده من مقاعد أهل الجنة يعرض عليه (وإن كان من أهل النار فمن أهل النار) قال الطيبي: يجوز أن يكون المعنى فمن كان من أهل الجنة فيبشر بما لا يكتنه كنهه ويفوز بما لا يقدر قدره، وإن كان من أهل النار فبالعكس لأن الشرط والجزاء إذا اتحدا دل الجزاء على الفخامة كقوله: من أدرك الضمان فقد أدرك (فيقال) أي لكل منهما (هذا) أي المقعد المعروض عليك (مقعدك) أي مقعدك الذي أنت مستقر في نعيم عرضه أو جحيمه ومستمر (حتى يبعثك الله إليه) قال السيد جمال الدين: الضمير في «إليه» إما أن يرجع إلى المقعد، فالمعنى: هذا مقعدك تستقر فيه حتى تبعث إلى مثله في الجنة أو النار كقوله تعالى: ﴿قالوا هذا الذي رزقنا من قبل﴾ [البقرة ـ ٢٥] أي مثل الذي، ويجوز أن يكون الضمير راجعاً إلى الله تعالى أي إلى لقائه ويجوز أن يكون الضمير راجعاً إلى المقعد المعروض، أو إلى المقعد الذي هو القبر «وإلى» بمعنى من، أي المعروض عليه مقعدك بعد ولا تدخله الآن حتى يبعثك الله إليه، أو القبر مقعدك حتى يبعثك الله منه إلى مقعدك الآخر المعروض عليك. اهـ. وقال الطيبي: الضمير يرجع إلى يوم الحشر، أي هذا الآن مقعدك إلى يوم الحشر فترى عند ذلك كرامة، أو هواناً تنسى عنده هذا المقعد. (يوم القيامة) بالنصب على الظرفية، قال التوربشتي: وهذا لفظ المصابيح، وقد روي في الأحاديث الصحاح: «حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة»، أي هذا مستقرك إلى يوم القيامة، ويجوز أن يكون التقدير: «حتى يبعثك الله إلى محشر يوم القيامة» اهـ. وفي الأزهار المراد بالقيامة هنا النفخة الأولى لا الأخرى لأن ما بين النفختين لا يعذب أحد من الكفار والمسلمين، قلت: لا حاجة إلى هذا التأويل فإن قوله: «هذا مقعدك» مطلق متناول للعذاب وغيره مع أن النفخة الأولى حالة إماتة المخلوقات وغشيان للأموات وما ثم هناك بعث فتأمل. (متفق عليه).

الحديث رقم ١٢٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ٢٤٣ حديث ١٣٧٩. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٩٩ حديث رقم (٦٥ ـ ٢٨٦٦) والترمذي ٤/ ٣٨٤ حديث رقم ١٠٧٢. وأخرجه النسائي ٤/ ١٠٦ حديث رقم ٢٠٧٠. وابن ماجة ٢/ ١٤٢٧ حديث رقم ٤٢٧٠. ومالك في الموطأ ١/ ٢٣٩ حديث ٤٧ من كتاب الجنائز. وأحمد في المسند ٢/ ١٦.

١٢٨ ـ (٤) وعن عائشة، رضي الله عنها، أنَّ يهودية دخلتْ عليها، فذكرتْ عذابَ القبرِ، فقالت لها: أعاذكِ الله مِنْ عذابِ القبرِ، فسألتْ عائشةُ رسولَ الله ﷺ عن عذاب القبرِ فقال: «نعم، عذابُ القبرِ حقٌّ». قالت عائشةُ: فما رأيتُ رسولَ الله ﷺ بعد صلَّى صلاةً إلاَّ تعوَّذَ باللَّهِ مِنْ عذابِ القبرِ.

---

١٢٨ ـ (وعن عائشة) رضي الله عنها («أن يهودية دخلت عليها») قال ابن حجر: لا يلزم من ذلك رؤية اليهودية لعائشة المحرم عندنا لمفهوم قوله تعالى: ﴿أو نسائهن﴾ [النور ـ ٣١] المقتضي لحرمة كشف المسلمة شيئاً من بدنها لكافرة لأنها قد تصفها لكافر فيفتنها. ا هـ. ومفهوم المخالفة عندنا غير معتبر ولم ينقل أحد أن نساء النبي ﷺ والصحابة كنّ يحتجبن عن نساء الكفار (فذكرت) أي اليهودية (عذاب القبر فقالت:) أي اليهودية وهو يحتمل أن يكون تفسيراً أو تفريعاً (لها) أي لعائشة (أعاذك الله) أي حفظك وأجارك (من عذاب القبر) جاز علم اليهودية بعذاب القبر لقراءتها في التوراة، أو لسمعها ممن قرأ في التوراة وكانت عائشة لم تعلم ولم تسمع ذلك (فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر) أي أحق هو؟ (فقال: نعم عذاب القبر حق) أي ثابت ومتحقق وكائن وصدق (قالت عائشة: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد) أي بعد سؤالي ذلك (صلى صلاة إلا تعوذ بالله من عذاب القبر») وهو يحتمل داخل الصلاة وخارجها والأول أظهر. ومن ثم أوجب ذلك بعض العلماء، قيل: يحتمل أنه ما علم ذلك قبل، أو علم ولم يتعوّذ حتى سمع من اليهودية فتعوّذ، أو كان يتعوّذ ولم تشعر به عائشة، وقيل: كان يتعوّذ منه قبل هذا سراً فلما رأى تعجبها منه أعلن به خلف كل صلاة ليثبت في قلبها وليقتدي به أمته وليشتهر ذلك بين الأمة ويترسخ في عقائدهم وليكونوا على خيفة منه، وجاز أنه عليه الصلاة والسلام كان قبل هذا يتعوذ منه سراً متوقفاً في شأن أمته فيه قبل أن يوحى إليه، ثم تعوّذ منه أعاذنا الله بلطفه منه. قال التوربشتي: روى الطحاوي أنه عليه الصلاة والسلام سمع اليهودية قالت ذلك فارتاع رسول الله ﷺ، ثم أوحي إليه بفتنة القبر. ووجدت في حديث آخر أن عائشة رضي الله عنها قالت: لا أدري أكان رسول الله ﷺ يتعوذ قبل ذلك ولم أشعر به، أو تعوذ بقول اليهودية؟ قال الطيبي: فعلى هذا فيه تواضع منه عليه الصلاة والسلام وإرشاد للخلق إلى قبول الحق من أي شخص كان فإن الحكمة ضالة المؤمن، وفيه أنه يبعد أنه عليه الصلاة والسلام يعتمد في المسألة الاعتقادية على مجرد قول اليهودية، بل إنه اعتمد على الوحي كما تقدم والله أعلم، وأما قول ابن حجر: وما نقل عن الطحاوي يحتاج إلى نقل فهو غريب، لأن نقله نقل فإنه من المحدثين المشهورين المعروفين بالثقة والعدالة والضبط في الغاية لا سيما وهذا ليس مما يقال بالرأي فيجب حسن الظن به، ومن العجيب أنه لو نقل مثل هذا عمن هو دونه في الرتبة من أصحاب مذهبه كان سنداً معتمداً عنده، ثم في الحديث تنبيه على

الحديث رقم ١٢٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ٢٣٢ حديث رقم ١٣٧٢. وأخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٤١١ حديث رقم (١٢٥ ـ ٥٨٦). وأخرجه النسائي في سننه ٤/ ١٠٥ حديث رقم ٢٠٦٧. وأحمد في المسند ٦/ ١٧٤.

متفق عليه.

١٢٩ ـ (٥) وعن زيد بن ثابت، قال: بينا رسول الله ﷺ في حائط لبني النجّار على بغلةٍ لهُ ونحنُ معَهُ، إذ حادَتْ به وكادَتْ تُلقيه. وإذا أقبرٌ ستةٌ أو خمسةٌ، فقال: «مَنْ يعرفُ أصحابَ هٰذِهِ الأقبُرِ؟» قال رجُلٌ: أنا. قال: «فمَتى ماتُوا؟» قالَ: في الشِّرْكِ. فقال: «إن هٰذِهِ الأمةَ تُبتَلَى في قُبورِها، فلولا أن لا تدافَنُوا لدعوتُ اللّهَ أن يُسمِعَكم من عذابِ القبرِ

أنه لا يجوز لأحد من خلق الله أن يأمن من عذاب الله. (متفق عليه).

١٢٩ ـ (وعن زيد بن ثابت قال: «بينا رسول الله ﷺ في حائط) أي كائن في بستان (لبني النجار) قبيلة من الأنصار (على بغلة له) حال من المستتر في الخبر (ونحن معه) حال متداخلة لأنه حال من الضمير في الحال (إذ حادت) بالحاء المهملة على الصحيح، وقيل: بالجيم من الجودة بالضم، أي مالت ونفرت (به) أي ملتبسة به [فيه] حال، وإذ بسكون الذال للمفاجأة بعد «بينا» نص على ذلك سيبويه على ما في المغني (فكادت تلقيه) من الإلقاء، أي تسقطه وترميه عن ظهرها (وإذا أقبر) بفتح فسكون فضم (ستة أو خمسة) إذا بالألف للمفاجأة والواو للحال، أي نحن على ذلك مع رسول الله ﷺ وإذا أقبر، أي ظهرت لنا قبور معدودة فاجأناها (فقال: من يعرف أصحاب هذه الأقبر) أي ذواتهم وصفاتهم وتاريخ وفاتهم وأيام حياتهم (قال رجل: أنا) أي أعرفهم (قال) ﷺ إذا كنت تعرفهم (فمتى ماتوا؟) أي في الجاهلية، أو بعدها مشركين أو مؤمنين. (قال: في الشرك) أي في زمنه أو صفته، وقال ابن حجر: أي بعد بعثتك بدليل قوله: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها» أي بالعذاب فيها، قال: وإنما حملته على ذلك ليوافق الأصح أن أهل الفترة لا عقاب عليهم. اهـ. وفيه أن أهل الفترة على ما حققوا فيه نادر الوجود فكيف يحمل على أهل الشرك؟ (فقال: إن هذه الأمة) أي جنس الإنسان، فهذه إشارة لما في الذهن وخبره بيان له كهذا أخوك، وأصل الأمة كل جماعة يجمعهم أمر واحد إما دين أو زمان أو مكان. (تبتلى) بصيغة المجهول، أي تمتحن (في قبورها) ثم تنعم أو تعذب (فلولا أن لا تدافنوا) بحذف إحدى التاءين، أي لولا مخافة عدم التدافن إذا كشف لكم (لدعوت الله) أي سألته (أن يسمعكم) من الإسماع مفعول ثان على تضمين سألته أن يجعلكم سامعين (من عذاب القبر) يحتمل أن تكون[1] من للتبعيض. ويحتمل أن تكون زائدة، قال في الأزهار: قيل: المعنى المانع من الدعاء هو الخوف والحيرة والدهشة وانخلاع القلب، وقيل: المانع ترك الإعانة في الدفن، وقال التوربشتي: لو سمعوا ذلك لهم كل واحد منهم خويصة نفسه وعمهم من ذلك البلاء العظيم حتى أفضى بهم إلى ترك التدافن وخلع الخوف أفئدتهم حتى لا يكادوا

الحديث رقم ١٢٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٩٩ حديث رقم (٦٧ ـ ٢٨٦٧) وأخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٩٠.

(١) في المخطوطة «يكون».

الذي أسمعُ مِنْهُ»، ثم أقبلَ بوجهِهِ علينا، فقالَ: «تعوَّذوا باللَّهِ مِنْ عذابِ النارِ». قالوا: نعوذُ باللَّهِ من عذابِ النارِ. قال: «تعوذوا باللَّهِ من عذابِ القبرِ». قالوا: نعوذُ باللَّهِ من عذابِ القبرِ. قال: «تعوَّذوا بالله من الفِتَنِ ما ظَهَرَ مِنْهَا وما بَطَنَ». قالوا: نعوذُ باللَّهِ من الفتنِ ما ظَهرَ منها وما بَطَنَ. قال: «تعوَّذوا بالله من فتنةِ الدجالِ». قالوا: نعوذُ باللَّهِ من فِتْنَةِ الدجالِ. رواه مسلم.

الفصل الثاني

١٣٠ ـ (٦) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قُبِر الميتُ

يقربون جيفة ميت. (الذي أسمع منه) أي الذي أسمعه من القبر، وقال ابن حجر: أي مثل الذي أسمعه مفعول ثان ليسمع، أي أن يوصل إلى آذانكم أصوات المعذبين في القبر فإنكم لو سمعتم ذلك تركتم التدافن من خوف قلع صياح الموتى أفئدتكم، أو خوف الفضيحة في القرائب لئلا يطلع على أحوالهم. وهذا الحديث مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»[1]، وفيه أن الكشف بحسب الطاقة، ومن كوشف بما لا يسعه يطيح ويهلك. وقال ابن حجر: ووجه هذا التلازم أن الكشف عن ذلك العذاب يؤدي جهلة العامة إلى ترك التدافن خوفاً عليهم منه، ويؤدي الخاصة إلى اختلاط عقولهم وانخلاع قلوبهم من تصوّر ذلك الهول العظيم فلا يقربون جيفة ميت، وبهذا التفصيل الذي ذكرته يندفع ما قيل: كيف يليق بمؤمن أن يترك الدفن المأمور به حذراً من عذاب القبر؟ بل يلزمه أن يعتقد أن الله إذا أراد تعذيب أحد عذبه ولو في بطن الحيتان وحواصل الطيور. (ثم أقبل علينا بوجهه) تأكيد كقوله: «رأيته بعيني» (فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار) أي اطلبوا منه أن يدفع عنكم عذابها (قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار) أي نعتصم به منها (قال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر) ولعل تقديم عذاب النار في الذكر مع أن عذاب القبر مقدم في الوجود لكونه أشد وأبقى وأعظم وأقوى (قال: تعوذوا بالله من الفتن) جمع فتنة، وهي الامتحان، وتستعمل في المكر والبلاء وهو تعميم بعد تخصيص. (ما ظهر منها وما بطن) بدل من الفتن، وهو عبارة عن شمولها لأن الفتنة لا تخلو منهما، أي ما جهر وأسر، وقيل: ما يجري على ظاهر الإنسان وما يكون في القلب من الشرك والرياء والحسد وغير ذلك من مذمومات الخواطر (قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن) أي كل فتنة تجر إلى عذاب القبر، أو إلى عذاب النار (قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال) خص فإنه أكبر الفتن حيث يجر إلى الكفر المفضي إلى العذاب المخلد (قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال» رواه مسلم).

(الفصل الثاني)

١٣٠ ـ (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قبر الميت) أي دفن وهو قيد غالبي

---

(١) البخاري ٢/ ٥٢٩ حديث ١٠٤٤ ومسلم ٢/ ٦١٨ حديث ٩٠١.

الحديث رقم ١٣٠: أخرجه الترمذي في سننه ٣/ ٣٨٣ حديث رقم ١٠٧١. وقال حديث حسن غريب.

أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير. فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبد الله رسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

وإلا فالسؤال يشمل الأموات جميعها، حتى أن من مات وأكلته السباع فإن الله تبارك وتعالى يعلق روحه الذي فارقه بجزئه الأصلي الباقي من أوّل عمره إلى آخره المستمر على حاله حالتي النمو والذبول الذي تتعلق[1] به الروح أوّلاً فيحيا ويحيا بحياته سائر أجزاء البدن ليسأل فيثاب أو يعذب، ولا يستبعد ذلك فإن الله تعالى عالم بالجزئيات والكليات كلها حسب ما هي عليها فيعلم الأجزاء بتفاصيلها ويعلم مواقعها ومحالها، ويميز بين ما هو أصل وفصل، ويقدر على تعليق الروح بالجزء الأصلي منها حالة الإنفراد، وتعليقه به حال الاجتماع؛ فإن البنية عندنا ليست شرطاً للحياة بل لا يستبعد تعليق ذلك الروح الشخصي الواحد بكل واحد من تلك الأجزاء المتفرقة في المشارق والمغارب، فإن تعلقه بتلك الأجزاء ليس على سبيل الحلول حتى يمنع الحلول في جزء الحلول في جزء آخر (**أتاه ملكان أسودان**) منظرهما (**أزرقان**) أعينهما، وإنما يبعثهما الله على هذه الصفة لما في السواد وزرقة العين من الهول والوحشة ويكون خوفهما على الكفار أشد ليتحيروا في الجواب، وأما المؤمنون فلهم في ذلك ابتلاء فيثبتهم الله فلا يخافون ويأمنون جزاء لخوفهم منه في الدنيا. (**يقال لأحدهما المنكر**) مفعول من أنكر بمعنى نكر إذا لم يعرف أحداً (**وللآخر النكير**) فعيل بمعنى مفعول من نكر بالكسر إذا لم يعرفه أحد، فهما كلاهما ضد المعروف سميا بهما لأن الميت لم يعرفهما ولم ير صورة مثل صورتهما. ثم يحتمل أن يتمثل الملكان للميت بهذا اللون حقيقة لأنهما مبغوضان والزرقة أبغض الألوان عند العرب لأن الروم أعداؤهم وهم زرق العيون غالباً، ويحتمل أن يراد بالزرقة العمى. قال تعالى: ﴿**ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً**﴾ [طه - ١٠٢] أي عمياً، ويؤيده ما ورد في الحديث الآخر: «فيقيض» أي يقدر له أعمى أصم[2]، ويحتمل أن يكون المراد بالسواد قبح الصورة وفظاعة المنظر على طريق الكناية وبالزرقة تقليب البصر فيه وتحديد النظر إليه، يقال: زرقت عينه نحوي إذا انقلبت وظهر بياضها وهو كناية عن شدة الغضب. (**فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟**) قيل: يصوّر صورته عليه الصلاة والسلام فيشار إليه (**فيقول: هو عبد الله ورسوله**) هذا هو الجواب وذكر الشهادتين أطناب للكلام ابتهاجاً وسروراً وافتخاراً وتلذذاً (**أشهد أن لا إله إلا الله وأن**) وفي نسخة «وأشهد أن» (**محمداً عبده ورسوله**) ولذا قد أخبر بذلك فيما هنالك، ونظيره قوله: ﴿**وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها**﴾ [طه - ١٧] الخ فاطنب استلذاذاً بمخاطبة الحق واستذكاراً بنعمته كذا قاله الشراح. والظاهر أن قوله: «هو عبد الله ورسوله» ليس جواباً شرعياً لتوقفه على لفظ الشهادة عند بعضهم وعلى التوحيد عند الكل، فيجمع بينهما دلالة على الإيمان على جهة الإيقان بخلاف المنافق الآتي ذكره حيث

---

(١) في المخطوطة «يتعلق».

(٢) الحديث ١٣١.

فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينوّر له فيه، ثم يقال له: نَمْ. فيقول: أرجعُ إلى أهلي فأُخبِرُهم. فيقولان: نَمْ كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحبُّ أهله إليه حتى يَبْعَثَهُ الله مِن مضجَعِهِ ذلك. وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون قولاً فقلت مثله، لا أدري.

يدعي الإيمان لكن من غير دراية وبرهان. (**فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا**) أي الإقرار بالوحدانية والرسالة، وعلمهما بذلك إما بإخبار الله تعالى إياهما بذلك، أو بمشاهدتهما في جبينه أثر السعادة وشعاع نور الإيمان والعبادة، (**ثم يفسح**)[1] مجهول مخفف، وقيل مشدد، أي يوسع (**له في قبره سبعون ذراعاً**) يحتمل أنه بذراع الدنيا المعروف عند المخاطبين وهو الظاهر، ويحتمل أنه بذراع الملك الأكبر من ذلك بكثير، قال الطيبي: أصله يفسح قبره مقدار سبعين ذراعاً فجعل القبر ظرفاً للسبعين وأسند الفعل إلى السبعين مبالغة في السعة. (**في سبعين**) أي ذراعاً، كما في نسخة، أي في عرض سبعين، يعني طوله وعرضه كذلك، قيل: لأنه غالب أعمار أمته عليه الصلاة والسلام فيفسح له في مقابلة كل سنة عبد الله فيها ذراعاً، والأظهر أن المراد به الكثرة، ولذا ورد في بعض الروايات: «مد بصره» ويمكن أن يختلف باختلاف الأشخاص والله أعلم. (**ثم ينوّر له فيه**) أي يجعل النور له في قبره الذي وسع عليه (**ثم يقال له: نم**) أمر من نام ينام (**فيقول:**) أي الميت لعظيم ما رأى من السرور (**أرجع**) أي أريد الرجوع كذا قيل، والأظهر أن الاستفهام مقدر (**إلى أهلي فأخبرهم**) أي بأن حالي طيب ولا حزن لي ليفرحوا بذلك ﴿**قال يا ليت**﴾ [قومي] ﴿**يعلمون**﴾ (**فيقولان**) أي له معرضين عن الجواب لاستحالته كذا قاله العسقلاني، وأقول: قوله: (**نم**) متضمن للجواب ومغن عن الإطناب (**كنومة العروس**) هو يطلق على الذكر والأنثى في أول اجتماعهما، وقد يقال للذكر العريس. (**الذي لا يوقظه**) الجملة صفة العروس، وإنما شبه نومه بنومة العروس لأنه يكون في طيب العيش، وقيل: المراد في تمام طيب العيش (**إلا أحب أهله إليه**) قال المظهر: عبارة عن عزته وتعظيمه عند أهله بأتيه غداة ليلة زفافه من هو أحب وأعطف فيوقظه على الرفق واللطف (**حتى يبعثه الله**) هذا ليس من مقول الملكين بل من كلامه عليه الصلاة والسلام إعلاماً لأمته بأن هذا النعيم يدوم له ما دام في قبره، و «حتى» متعلق بمحذوف، أي ينام طيب العيش حتى يبعثه الله (**من مضجعه ذلك**) بفتح الميم والجيم موضع الضجع وهو النوم، وقيل: يحتمل أن يتعلق «حتى» بنم على سبيل الالتفات من الخطاب إلى الغيبة إشارة إلى غيبته عنهما بانصرافه عنهما. (**وإن كان منافقاً قال:**) وفي نسخة فقال (**سمعت الناس**) أي المسلمين أو الكفار فإنهم أكثر الناس، قال تعالى: ﴿**وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين**﴾ [يوسف ـ ١٠٣] والأول أظهر (**يقولون قولاً**) هو أن محمداً رسول الله (**فقلت مثله**) أي مثل قولهم (**لا أدري**) أي أنه نبي في الحقيقة أم لا، وهو استئناف أي ما شعرت غير ذلك القول، قال ابن الملك: محله النصب

---

(١) في المخطوطة «يفسخ» والصواب «يفسح» كذا في متن الحديث.

فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعُهُ، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعِهِ ذلك». رواه الترمذي.

١٣١ ـ (٧) وعن البراء بن عازب، عن رسول الله ﷺ، قال: «يأتيه ملكان فيُجْلِسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله. فيقولان له: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنتُ به وصدقتُ؛

على الحال، أو صفة لمثله، وفي الثاني نظر (**فيقولان: قد كنا نعلم**) أي بالوحي، أو برؤيتنا في وجهك أثراً لشقاوة وظلمة الكفر (**إنك تقول ذلك**) أي القول (**فيقال للأرض:**) أي للقبر من قبلهما، أو من قبل ملك آخر (**التئمي**) أي انضمي واجتمعي (**عليه**) ضاغطة له، يعني ضيقي عليه وهو على حقيقة الخطاب لا أنه تخييل لتعذيبه وعصره (**فتلتئم عليه**) أي يجتمع أجزاؤها عليه بأن يقرب كل جانب من قبره إلى الجانب الآخر فيضمه ويعصره (**فتختلف أضلاعه**) بفتح الهمزة جمع ضلع وهو عظم الجنب، أي تزول عن الهيئة المستوية التي كانت عليها من شدة التئامها عليه وشدة الضغطة وانعصار أعضائه وتجاوز جنبيه من كل جنب إلى جنب [آخر] (**فلا يزال فيها**) أي في الأرض، أو في تلك الحالة، أو في تربته (**معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك**) وهذه الجملة من قوله عليه الصلاة والسلام لانقطاع الحكاية من الملكين (**رواه الترمذي**) وقال: حسن غريب.

١٣١ ـ (**وعن البراء**) بالتخفيف والمد على المشهور، وقيل: بالقصر نقله الكرماني (**ابن عازب**) رضي الله عنهما (**عن رسول الله ﷺ قال: «يأتيه ملكان**) قال ابن الملك: روى هذا الحديث البراء كما رواه أبو هريرة إلا أن ألفاظهما مختلفة، قال في رواية البراء: «يأتيه» أي المؤمن «ملكان» (**فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله**) بفتح الياء وتسكن ولو كان الميت أعجمياً صار عربياً (**فيقولان له: ما دينك؟**) أي الذي اخترته من بين الأديان (**فيقول: ديني الإسلام، فيقولان:**) أي له كما في نسخة (**ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟**) أي ما وصفه لأن ما يسأل به عن الوصف كذا قاله الطيبي: وتبعه ابن حجر وقال: أي ما وصفه أرسول هو أو ما اعتقادك فيه؟ والأظهر أن ما بمعنى من ليوافق بقية الروايات بلفظ من نبيك (**فيقول: هو رسول الله**) وفي نسخة ﷺ (**فيقولان له:**) أي للميت (**وما يدريك**) أي أي شيء أعلمك وأخبرك بما تقول من الربوبية والإسلام والرسالة؟ وقيل: إنما وصل بالواو العاطفة هنا لاتصاله بما قبله بخلاف ما دينك؟ وما هذا الرجل؟ فإن كلا منهما مستقل منقطع عما قبله (**فيقول: قرأت كتاب الله**) أي القرآن (**فآمنت به**) أي بالقرآن، فإن الإيمان به مستلزم للإيمان بمحمد ﷺ، أو آمنت بالنبي أنه حق (**وصدقت**) أي صدقته بما قال، أو صدقت بما في القرآن، فوجدت فيه ﴿**فاعلم**

الحديث رقم ١٣١: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٨٧. وأخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١١٤ حديث رقم ٤٧٥٣.

فذلك قوله: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ الآية. قال: فينادي مُنادٍ من السماء: أن صَدَق عبدي فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، ويفتح. قال: فيأتيه من رَوْحها وطيبها،

أنه لا إله إلا الله﴾ [محمد - ١٩] و ﴿ذلكم الله ربكم خالق كل شيء﴾ [غافر - ١٢٠] وغير ذلك من الآيات الدالة على أن ربي ورب المخلوقات واحد وهو الله تعالى، وفيه أيضاً ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران - ١٩٠] ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾ [آل عمران - ٨٥] فعلمت أنه لا دين مرضياً عنده غير الإسلام، وفيه أيضاً ﴿محمد رسول الله﴾ [الفتح - ٢٩] ﴿وقل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ [الأعراف - ١٥٨] وغير ذلك كذا قاله ابن الملك، وقال الطيبي: قرأت كتاب الله ورأيت فيه من الفصاحة والبلاغة فعرفت أنه معجز فآمنت به، أو تفكرت فيما فيه من البعث على مكارم الأخلاق وفواضل الأعمال ومن ذكر الغيوب وأخبار الأمم السالفة من غير أن يسمع من أحد فعرفت أنه من عند الله فآمنت به. (فذلك) أي مصداق هذا (قوله) أي جريان لسانه بالجواب المذكور هو التثبيت الذي تضمنه قوله تعالى (﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ الآية قال:)[1] أي النبي ﷺ (فينادي مناد) أي للملكين (من السماء) أي من جهتها (أن صدق عبدي) أن مفسرة للنداء لأنه في معنى القول، وجوز أن تكون مصدرية مجروراً بتقدير اللام وهو غير صحيح معنى الا أن يتعلق بقوله: (فأفرشوه) والمعنى: صدق عبدي فيما يقول، فإنه كان في الدنيا على هذا الاعتقاد فهو مستحق للإكرام، ولذا سماه عبداً وأضافه إلى نفسه تشريفاً فأفرشوه بهمزة القطع (من الجنة) والفاء فيه جواب شرط مقدر، أي إذا صدق عبدي فاجعلوا له فرشاً من فرش الجنة فيكون أفرش بمعنى فرش كذا قيل، وقال الطيبي: ليس في المصادر الإفراش بهذا المعنى إنما هو أفرش أي أقلع عنه فهذا اللفظ بهذا المعنى من باب القياس بإلحاق الألف في الثلاثي، فلو كان من الثلاثي لكان حقه الوصل ولم نجد الرواية إلا بالقطع. اهـ. لكن قال في القاموس أفرش عنه أقلعه وأفرشه أعطاه فرشاً من الإبل، أي صغاراً وأفرش فلاناً بساطاً بسطه له كفرشه فرشاً وفرشه تفريشاً، وقال السيد جمال الدين: أصله أفرشوا له فحذف لام الجر ووصل الضمير بالفعل اتساعاً، وقيل: معناه أعطوه فراشاً منها، وقيل: معناه اجعلوه ذا فرش من الجنة، وقال ابن حجر: يغني عن سماعه صحة الرواية. اهـ. وكله تكلف مستغنى عنه بما ذكر في القاموس (وألبسوه) بقطع الهمزة، أي اكسوه أو أعطوه لباساً (من الجنة) أي من حللها (وافتحوا له باباً إلى الجنة) أي حقيقة أو مكاشفة كذا في الأزهار، والأظهر هو الأول لما يأتي. (فيفتح) وفي نسخة، ويفسح، أي له كما في نسخة (قال) ﷺ: (فيأتيه) أي المؤمن (من روحها) أي بعض روحها، والروح بالفتح الراحة ونسيم الريح (وطيبها) أي بعض تلك الرائحة والطيب، أي شيء منها، ولم يؤت بهذا التعبير إلا ليفيد أنه مما لا يقادر قدره ولا يوصف كنهه وكل طيب روح

---

(١) آية ٢٧ من سورة إبراهيم.

ويفسح له فيها مد بصره. وأما الكافر فذكر موته، قال: ويعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه فيقولان: من ربك؟ فيقول: هَاه هَاه، لا أدري! فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هَاه هَاه، لا أدري! فيقولان: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هَاه هَاه، لا أدري! فينادي منادٍ من السماء: أن كذب فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار. قال: فيأتيه من حَرِّها وسمومها. قال: ويُضيق عليه قبره حتى يختلف فيه أضلاعه، ثم يُقيض له

ولا عكس، وقيل: من زائدة على مذهب الأخفش. (ويفسح) وفي نسخة بفتح، وهو غير ملائم لمد البصر (له فيها) أي في تربته، وهي قبره ويدل عليه مقابلة الآتي: «ويضيق عليه قبره» وقال ابن الملك: أي في الجنة وهو بعيد، وقال ابن حجر: أي في رؤيته وهو لا يخلو عن تكلف. (مد بصره) المعنى أنه يرفع عنه الحجاب فيرى ما يمكنه أن يراه، قيل: نصب مد على الظرف، أي مداه وهي الغاية التي ينتهي إليها البصر، والأصوب أن نصبه على المصدر، أي فسحا[1] قدر مد بصره، وقيل: في التوفيق بين هذا وبين قوله: «سبعون ذراعاً في سبعين» إن هذه الفسحة عبارة عما يعرض عليه من الجنة وتلك عن توسيع مرقده عليه، أو كلاهما كناية عن التوسعة من غير تحديد. ويحتمل أن يكون بحسب اختلاف أحوال الأشخاص في الأعمال والدرجات، وقال ابن حجر: مد بصره بالفتح في نسخة معتمدة، فله نائب الفاعل وبرفعه في نسخ، ويؤيده: «سبعون ذراعاً» السابق. (وأما الكافر فذكر) أي ﷺ كما في نسخة (موته) أي حال موت الكافر وشدته (قال:) أي النبي ﷺ (ويعاد) بالتذكير، وقيل: بالتأنيث (روحه) أي بعد الدفن (في جسده) أي بعضه أو كله (ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان:) أي له (من ربك؟ فيقول: هاه هاه) بسكون الهاء فيهما بعد الألف، كلمة يقولها المتحير الذي لا يقدر من حيرته للخوف، أو لعدم الفصاحة أن يستعمل لسانه في فيه. (لا أدري) هذا كأنه بيان وتفسير لقوله: «هاه هاه» [فالمعنى] لا أدري شيئاً ما، أو لا أدري ما أجيب به (فيقولان له:) أي للكافر (ما دينك؟) من الأديان (فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان:) أي له (ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟) يعني ما تقول في حقه أنبي أم لا (فيقول: هاه هاه لا أدري) قال تعالى: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى﴾ [الإسراء - ٧٢] (فينادي مناد من السماء أن كذب) أن مفسرة للنداء أيضاً، أي كذب هذا الكافر في قوله: لا أدري لأن دين الله تعالى ونبوة محمد ﷺ كان ظاهراً في مشارق الأرض ومغاربها بل جحد نبوته بالقول، أو بالاعتقاد بناء على أن كفره جهل أو عناد. (فأفرشوه من النار والبسوه من النار) قال تعالى: ﴿سرابيلهم من قطران﴾ [إبراهيم - ٥٠] (وافتحوا له باباً إلى النار، قال) ﷺ: (فيأتيه) أي الكافر (من حرها) أي حر النار، وهو تأثيرها (وسمومها) وهي الريح الحارة (قال: ويضيق) بتشديد الياء المفتوحة (عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ثم يقيض) أي يسلط ويوكل ويقدر (له) فيستولي عليه استيلاء القيض على

---

(١) في المخطوطة فسحاً.

أعمى أصم، معه مرزبةٌ من حديد، لو ضُرب بها جبل لصار تراباً، فيضربه بها ضربةً يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين، فيصير تراباً، ثم يعاد فيه الروح» رواه أحمد، وأبو داود.

البيض، وأصله من القيض وهو القشر الأعلى من البيض **(أعمى)** أي زبانية لا عين له كيلا يرحم عليه، وهو يحتمل أن لا يكون له عين لأجله، أو كناية عن عدم نظره إليه. **(أصم)** أي لا يسمع صوت بكائه واستغاثته فيرق له **(معه مرزبة من حديد)** المسموع في الحديث تشديد الباء، وأهل اللغة يخففونها، وهي التي يدق بها المدر ويكسر، قال ابن حجر: المرزبة بفتح الموحدة المشددة عند المحدثين واعترضوا بأن الصواب تخفيفها. ا هـ. ولعل وجهه أن مفعلة بتشديد اللام لا يعرف في أنواع الميزان الصرفي، وقال الطيبي: أما المرزبة فالمحدثون يشددون الباء والصواب تخفيفه، وإنما تشدد الباء إذا أبدلت الهمزة من الميم وهي الأرزبة وأنشد الفراء:

* ضربك بالمرزبة العود النخر *

اهـ. أقول أخطأ الطيبي رحمه الله في تخطئة المحدثين وتصويب اللغويين؛ إذ نقل الأولين من طرق العدول على وجه الرواية، ونقل الآخرين من سبيل الفضول على جهة الحكاية. وأما استشهاده بإنشاد الفراء فضعيف إذ يحتمل تخفيفه ضرورة أو لغة أخرى، وقد ذكرهما صاحب القاموس روّح الله روحه أبداً فقال: الأرزبة والمرزبة مشددتان، أو الأولى فقط عصية من حديد. ا هـ. فظهر أن التشديد فيهما لغة مشهورة عند أكثر أهل اللغة، فلو وافق بعض اللغويين جميع المحدثين لا شك ولا ريب أنه هو الصواب فكيف بالأكثر مع أنه عند التعارض أيضاً يرجح جانب المحدثين لما تقدم، وأغرب من هذا طعن بعض علماء العربية في القراآت المتواترة حيث لم تكن على وفق مسموعهم وهو كفر ظاهر والله ولي دينه وحافظ كتابه وقادر على ثوابه وعقابه. **(لو ضرب بها)** أي بالمرزبة **(جبل لصار تراباً)** أي اندق أجزؤه كالتراب **(فيضربه بها)** وفي نسخة بها ساقط **(ضربة يسمعها)** أي صوتها وحسها **(ما بين المشرق والمغرب)** الظاهر أن ما بمعنى من **(إلا الثقلين)** أي الجن والإنس وهل الأموات منهما مستثنى أم لا الله أعلم بهما؟ فظاهر الإطلاق يؤيد الأول، والعلة التي ذكروها يؤيد الثاني. **(فيصير تراباً ثم يعاد فيه الروح»)** كرر إعادة الروح في الكافر بياناً لشدة العذاب، ولأنه كان ينكر الإعادة فيقال له: ذق هذا جزاء ما كنت تنكره، ولا يبعد أن يتمسك به من يقول: إن في القبر إماتتين وإحياءتين في تفسير قوله تعالى: ﴿**ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين**﴾ [غافر - ١١] على أن المراد بالتثنية التكرير والتكثير نحو قوله تعالى: ﴿**ثم ارجع البصر كرتين**﴾ [الملك - ٤] وقولهم: لبيك وسعديك، ويحتمل أن يراد به حقيقة التثنية وهو ظاهر الحديث. وهذا معنى قول ابن حجر: ومعلوم استمرار العذاب عليه في قبره فيحتمل أنها إذا أعيدت تضرب أخرى فيصير تراباً، ثم تعاد فيه الروح وهكذا، ويحتمل أن تلك الإعادة لا تتكرر وأن عذابه يكون بغير ذلك وهو ظاهر الحديث، وقال ابن الملك: يعني لا ينقطع عنهم العذاب بموتهم بل تعاد فيهم الروح بعد موتهم ليزدادوا عذاباً، ويمكن والله أعلم أن تكون إعادة الروح كناية عن رجوعهم إلى حالتهم الأولى ولا يلزم من صيرورتهم تراباً خروج الروح منهم لأن أمور الآخرة مبنية على خرق العادة. **(رواه أحمد وأبو داود)**.

١٣٢ ـ (٨) وعن عثمان، رضي الله عنه، أنه كان إذا وقف على قبر بكى حتى يبُلَّ لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟! فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن القبر أولُ منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشد منه». قال: وقال رسول الله ﷺ: «ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه»

١٣٢ ـ (وعن عثمان) رضي الله عنه (أنه كان) أي دائماً أو غالباً (إذا وقف على قبر) أي على رأس قبر أو عنده (بكى حتى يبل) بضم الموحدة، أي بكاؤه يعني دموعه (لحيته) أي يجعلها مبلولة من الدموع (فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي) أي من خوف النار واشتياق الجنة، يعني لا تبكي منهما دائماً (وتبكي من هذا) أي من القبر، يعني من أجل خوفه.

قيل: إنما كان يبكي عثمان وإن كان من جملة المشهود لهم بالجنة إما لاحتمال أن شهادته عليه الصلاة والسلام بذلك كانت في غيبته ولم تصل إليه، أو وصلت إليه آحاداً فلم يفد اليقين، أو كان يبكي ليعلم أنه إذا كان يخاف مع عظم شأنه وشهادة النبي ﷺ له بالجنة فغيره أولى بأن يخاف من ذلك ويحترز منه قاله ابن الملك، والأظهر في الجواب والله أعلم بالصواب أنه لا يلزم من التبشير بالجنة عدم عذاب القبر بل ولا عدم عذاب النار مطلقاً مع احتمال أن يكون التبشير مقيداً بقيد معلوم أو مبهم، ويمكن أن ينسى البشارة حينئذ لشدة الفظاعة، أو بكاؤه لفقد النبي ﷺ وأصحابه، أو لابتلائه بزمن الجور وأربابه، ويمكن أن يكون خوفاً من ضغطة القبر كما سيأتي في حديث سعد الدال على أنه لم يخلص منه كل سعيد إلا الأنبياء، ويمكن أن يكون بكاؤه رحمة للمؤمنين. (فقال: إن رسول الله ﷺ، قال: إن القبر أول منزل من منازل الآخرة) ومنها عرصة القيامة عند العرض، ومنها الوقوف عند الميزان، ومنها المرور على الصراط، ومنها الجنة أو النار، وفي بعض الروايات: «وآخر منزل من منازل الدنيا» ولذا يسمى البرزخ (فإن نجا) أي خلص المقبور (منه) أي من عذاب القبر (فما بعده) أي من المنازل (أيسر منه) وأسهل، لأنه لو كان عليه ذنب لكفر بعذاب القبر (وإن لم ينج منه) أي لم يتخلص من عذاب القبر ولم يكفر ذنوبه به وبقي عليه شيء مما يستحق العذاب به (فما بعده أشد منه) لأن النار أشد العذاب والقبر حفرة من حفر النيران، وقال ابن حجر: فما بعده أيسر لتحقق إيمانه المنقذ له من أليم العذاب وما بعده أشد لتحقق كفره الموجب لتوالي الشدائد المتزائدة عليه وفيه بحث ظاهر. (قال:) أي عثمان (وقال رسول الله ﷺ: ما رأيت منظراً) بفتح الميم والظاء، أي موضعاً ينظر إليه، وعبر عن الموضع بالمنظر مبالغة لأنه إذا نفى الشيء مع لازمه ينتفي بالطريق البرهاني، (قط) بفتح القاف وتشديد المضمومة، أي أبداً، وهو لا يستعمل إلا في الماضي (إلا والقبر أفظع منه) من فظع بالضم، أي صار منكراً يعني أشد وأفزع وأنكر من ذلك المنظر،

الحديث رقم ١٣٢: أخرجه أحمد في المسند ١/ ٦٣. وأخرجه الترمذي ٤/ ٤٧٩ حديث رقم ٢٣٠٨ وقال حسن غريب وأخرجه ابن ماجة ٢/ ١٤٢٦ حديث رقم ٤٢٦٧.

رواه الترمذي، وابن ماجة. وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

١٣٣ ـ (٩) وعنه، قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، فقال: «استغفروا لأخيكم، ثم سلوا له بالتثبيت، فإنه الآن يسأل».

قيل: المستثنى جملة حالية من منظر وهو موصوف حذفت صفته، أي ما رأيت منظراً قظيعاً على حالة من أحوال الفظاعة قط إلا في حالة كون القبر أقبح منه؛ فالاستثناء مفرغ وإنما كان أفظع لأنه مقدمة العقاب ونهاية التعلق بالمال والولد والأصحاب، وغاية الرجوع إلى موضع الذل والظلمة والدهشة والحيرة والوحشة والغربة والدود والتراب ومطالعة ملائكة العذاب ومشاهدة الحساب ومراقبة الحجاب [حيث] لا ينفعه إلا رب الأرباب. (**رواه الترمذي وابن ماجة، وقال الترمذي: هذا حديث غريب**).

١٣٣ ـ (**وعنه**) أي عن عثمان (**قال: كان النبي ﷺ: إذا فرغ**) معلوم، وقيل: مجهول (**من دفن الميت**) المراد منه الجنس وهو قريب من النكرة (**وقف عليه**) أي على رأس القبر (**فقال:**) أي لأصحابه (**استغفروا لأخيكم**) أي اطلبوا المغفرة لذنوب أخيكم المؤمن، وذكر الأخ للعطف عليه واستكثار الدعاء له، وفيه دليل على أن دعاء الأحياء ينفع الأموات خلافاً للمعتزلة. (**ثم سلوا له بالتثبيت**) ضمن السؤال معنى الدعاء ولذا عدي بالباء كقوله تعالى: ﴿**سأل سائل بعذاب**﴾ [المعارج: ١] أي ادعو له بدعاء التثبيت، يعني قولوا ثبته الله بالقول الثابت، أو اللهم ثبته بالقول الثابت وهو كلمة الشهادة عند منكر ونكير وهذا أفضل من التلقين فيه ولكن أكثر الناس عنه غافلون. (**فإنه الآن يسأل**») قال الخطابي: وليس فيه دلالة على التلقين عند الدفن كما هو العادة ولا نجد فيه حديثاً مشهوراً ولا بأس به إذ ليس فيه إلا ذكر الله تعالى وعرض الاعتقاد[1] على الميت والحاضرين والدعاء له وللمسلمين والإرغام لمنكري الحشر وكل ذلك حسن. وأورد الغزالي في الأحياء والطبراني في كتاب الأدعية حديثاً في تلقين الميت عند الدفن ولم يصححه بعض المحدثين، وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «لقنوا موتاكم قول لا إله إلا الله»[2] فالمراد عند الموت لا عند دفن الميت، وقال ابن حجر: وفيه إيماء إلى تلقين الميت بعد تمام دفنه وكيفيته مشهورة وهو سنة على المعتمد من مذهبنا خلافاً لمن زعم أنه بدعة كيف وفيه حديث صريح يعمل به في الفضائل اتفاقاً، بل اعتضد بشواهد يرتقي بها إلى درجة الحسن. وذكر في الأذكار عن الشافعي وأصحابه أنه يستحب أن يقرأ عنده شيء من القرآن، قالوا: وإن ختموا القرآن كله كان حسناً، وفي سنن البيهقي أن ابن عمر استحب أن يقرأ على القبر بعد الدفن أول سورة البقرة وخاتمها[3] قاله الطيبي، وفي رواية: «يقرأ أول البقرة عند

الحديث رقم ١٣٣: أخرجه أبو داود في السنن ٣/ ٥٥٠ حديث رقم ٣٢٢١.

(١) في المخطوطة الاعتياد.

(٢) مسلم في صحيحه ٢/ ٦٣١ حديث رقم ٩١٦.

(٣) راجع الأذكار ص ٢٧٤ حديث رقم ٤١٩. ٤٢٠.

رواه أبو داود.

١٣٤ ـ (١٠) وعن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيُسلَّطُ على الكافر في قبره تسعة وتسعون تِنِّيناً، تَنْهَسُهُ وتلدغه حتى تقوم الساعة، لو أن تِنِّيناً منها نَفَخ في الأرض ما أنبتت خَضِراً».

رأس الميت وخاتمتها عند رجله». (رواه أبو داود) وقال ميرك شاه: بإسناد حسن.

١٣٤ ـ (**وعن أبي سعيد**) [رضي الله عنه] (**قال: قال رسول الله ﷺ: ليسلط**) بفتح اللامين وتشديد الثانية (**على الكافر في قبره**) أي والله ليجعل موكلاً عليه للتعذيب والأذى (**تسعة وتسعون تنيناً**) بكسر التاء والنون المشددة، وهي حية عظيمة كثيرة السم، ووجه تخصيص العدد لا يعلم إلا بالوحي، ويحتمل أن يقال: إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً فالكافر أشرك بمن له هذه الأسماء فسلط عليه بعدد كل اسم تنيناً، أو يقال قد رُوي: «إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها واحدة في الدنيا بين الإنس والجن والبهائم والهوام فيها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر تسعة وتسعين إلى الآخرة لعبادة المؤمنين»[(١)] فيسلط على الكافر بمقابلة كل رحمة للمؤمنين تنيناً كذا قاله ابن الملك. وقال حجة الإسلام: عدد التنين بعدد الأخلاق الذميمة التي فيه فإنها تنقلب في الآخرة إلى الحياة، لأن الدنيا عالم الصورة والآخرة عالم المعنى. قال الطيبي: وإن أوّل التنينات بما ينزل بالشخص من التبعات والمكروهات، ففيه من طريق العربية مساغ ولكن الأخذ بالظواهر أولى بأولي الألباب. وأما استحالة ذلك بطريق العقول فإنها سبيل من لا خلاق له في الدين عصمنا الله تعالى من عثرة العقل وفتنة الصدر. (**تنهسه**) بالتأنيث، وقيل: بالتذكير وهو بالمهملة. وروي بالمعجمة، ففي النهاية النهس أخذ اللحم بأطراف الأسنان، والنهش الأخذ بجميعها، وفي القاموس: نهس اللحم كمنع وسمع أخذه بمقدم أسنانه ونتفه ونهشه كمنعه نهسه ولسعه وعضه، أو أخذه بأضراسه وبالسين أخذه بأطراف الأسنان. (**وتلدغه**) بفتح الدال المهملة، قيل: نهس ولدغ بمعنى واحد جمع بينهما تأكيداً أو لبيان أنواع العذاب، وقيل: النهس القطع بالسن من غير إرسال السم فيه واللدغ ضرب السن بلا قطع لكن مع إرسال السم فيه كذا ذكره الأبهري. (**حتى تقوم الساعة لو أن تنيناً منها نفخ**) بالمعجمة، وقيل: بالمهملة (**في الأرض**) أي لو وصل ريح فمه وحرارته إليها (**ما أنبتت**) أي الأرض (**خضراً**) بفتح الخاء وكسر الضاد، أي نباتاً أخضر، وروي بسكون الضاد ممدوداً على فعلاء كحمراء والمراد بها الأخضر كذا قيل، والأظهر أن

الحديث رقم ١٣٤: أخرجه الدارمي في السنن ٢/٤٢٦ حديث رقم ٢٨١٥. وأخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٨ والترمذي بنحوه من حديث طويل وذكر «سبعين» بدل «تسعة وتسعون» ٤/٥٥١ حديث رقم ٢٤٦٠.

(١) مسلم في صحيحه ٤/٢١٠٨ حديث (١٩. ٢٧٥٢).

رواه الدارمي، وروى الترمذي نحوه، وقال: «سبعون» بدل «تسعة وتسعون».

الفصل الثالث

١٣٥ ـ (١١) عن جابر، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى سعد بن مُعاذٍ حين توفي، فلما صلى عليه رسول الله ﷺ وَوُضع في قبره وسُوِّيَ عليه، سبَّح رسول الله ﷺ، فسبَّحنا طويلاً، ثم كبَّر، فكبرنا. فقيل: يا

يكون التقدير حبة خضراء (رواه الدارمي) أي بهذا اللفظ (وروى الترمذي نحوه) أي بالمعنى (وقال: «سبعون بدل») بالنصب ظرف (تسعة وتسعون») بالرفع على الحكاية، قال العيني: هذه الرواية الأخيرة ضعيفة على ما في الأزهار، قال ابن حجر: وبتقدير ورودهما يجمع بأن الأول للمتبوعين من الكفار، والثاني للتابعين، أو بأن سبعين يعبر بها في لسان العرب عن العدد الكثير جداً فحينئذ هي لا تنافي الأولى لأنها مجملة وتلك مبينة لها. قلت: ويحتمل أن يكون باختلاف أحوالهم فإن الإمام الغزالي رحمه الله صرح بأن عذاب الكافر الفقير في النار أهون من عذاب الكافر الغني.

(الفصل الثالث)

١٣٥ ـ (عن جابر قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ) أي جنازته، وهو سيد الأوس من الأنصار، أسلم بالمدينة بين العقبة الأولى والثانية، وأسلم بإسلامه بنو عبد الأشهل ودارهم أوّل دار أسلمت من الأنصار، وسماه رسول الله ﷺ سيد الأنصار، وكان مقدماً مطاعاً شريفاً في قومه من أجلّة الصحابة وأكابرهم؛ شهد بدراً وأحداً وثبت مع النبي ﷺ يومئذ ورمي يوم الخندق في أكحله فلم يرق الدم حتى مات بعد شهر، وذلك في ذي القعدة [الحرام] سنة خمس وهو ابن سبع وثلاثين سنة، ودفن بالبقيع روى عنه نفر من الصحابة. (حين توفي) بضمتين وحكي بفتحهما، وهو قراءة شاذة أي مات (فلما صلى عليه رسول الله ﷺ ووضع في قبره وسوّي عليه) أي التراب ودفن والفعلان مجهولان (سبح رسول الله ﷺ) ولعل التسبيح كان للتعجب أو للتنزيه لإرادة تنزيهه تعالى أن يظلم أحداً، ثم رأيت ابن حجر قال: ومناسبة تسبيحه لمشاهدة التضييق على هذا العبد الصالح ظاهرة إذ بشهود ذلك يستحضر الإنسان مقام جلال الله وعظمته وانه يفعل ما يشاء بمن يشاء وهذا المقام يناسبه التنزيه لأنه مقام العزة الكبرى المقتضية لذلك التنزه فتأمل. (فسبحنا) أي تبعاً له (طويلاً) قيد للفعلين أي زماناً طويلاً، أو تسبيحاً طويلاً يعني كثيراً (ثم كبر) ولعل التكبير كان بعد التفريج (فكبرنا) أي عقيب تكبيره اقتداء به، قال ابن حجر: ولم يقل طويلاً إما للاكتفاء بذكره أولاً، أو لأنه هنا لم يطوّل لأنه إنما كبر عند وقوع التفريج عن سعد وهذا هو الظاهر لأن التكبير يغلب ذكره عند مشاهدة الأمر الباهر (فقيل: يا

الحديث رقم ١٣٥: أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٦٠.

رسول الله! لم سبحت ثم كبّرت؟ قال: «لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه الله عنه» رواه أحمد.

١٣٦ ـ (١٢) وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة، لقد ضُمَّ ضمةً ثم فُرج عنه». رواه النسائي.

رسول الله لم سبحت ثم كبرت؟) أي مع أن المقام لا يستدعي ذلك (**قال: لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره**) هذا إشارة إلى كمال تمييزه ورفع منزلته، ثم وصفه بالعبد ونعته بالصلاح لمزيد التخويف والحث على الالتجاء إلى الله سبحانه من هذا المنزل الفظيع، أي إذا كان حاله كذا فما حال غيره؟ (**حتى فرجه الله**) بالتشديد ويخفف، أي ما زلت واقفاً للتسبيح حتى فرجه الله، أي كشفه وأزاله (**عنه**) قال الطيبي: و «حتى» متعلقة بمحذوف، أي ما زلت أكبر وتكبرون وأسبح وتسبحون حتى فرجه الله. اهـ. والأنسب تقديم التسبيح والتكبير على هذا لإطفاء الغضب الإلهي، ولهذا ورد استحباب التكبير عند رؤية التحريق والله أعلم (**رواه أحمد**).

١٣٦ ـ (**وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: هذا**) إشارة إلى سعد المذكور وهو للتعظيم كما في الحديث الأول (**الذي تحرك**) وفي رواية «اهتز» (**له العرش**) في النهاية أصل الهز الحركة واهتز إذا تحرك، واستعمله في معنى الارتياح، [أي] ارتاح بصعوده واستبشر لكرامته على ربه وكل من خف لأمر وارتاح فقد اهتز. قال ابن حجر: لأن العرش وإن كان جماداً فغير بعيد أن الله يجعل فيه إدراكاً يميز به بين الأرواح وكمالاتها، وهذا أمر ممكن ذكره الشارع بياناً لمزيد فضل سعد وترهيباً للناس من ضغطة القبر، فتعين الحمل على ظاهره حتى يرد ما يصرفه عنه، وقيل: أراد فرح أهل العرش بموته لصعود روحه وأقام العرش مقام من حمله، أو على تقدير مضاف. وقال السيوطي في مختصر النهاية. اهتز العرش لموت سعد وهو سرير الميت واهتزازه فرحه لحمل سعد عليه إلى مدفنه. (**وفتحت**) بالتخفيف، وقيل: بالتشديد للتكثير (**له أبواب السماء**) لإنزال الرحمة ونزول الملائكة، أو تزييناً لقدومه وطلوع روحه لأن محل أرواح المؤمنين الجنة وهي فوق السماء السابعة، أو عرضاً للأبواب بأن يدخل من أي باب شاء لعظم كماله كفتح أبواب الجنة الثمانية لبعض المؤمنين (**وشهده**) أي حضر جنازته (**سبعون ألفاً من الملائكة**) أي تعظيماً له (**لقد**) جواب قسم مقدر (**ضم**) بالضم، أي عصر سعد في قبره (**ضمة**) أي واحدة، والتنوين يحتمل التفخيم والتقليل، والأول أظهر لتطويل تسبيح رسول الله ﷺ. (**ثم فرج عنه**) أي فرج الله عنه ببركة نبيه عليه الصلاة والسلام (**رواه النسائي**).

الحديث رقم ١٣٦: أخرجه النسائي في السنن ٤/ ١٠٠ حديث رقم ٢٠٥٥.

١٣٧ ـ (١٣) وعن أسماء بنت أبي بكر قالت: قام رسول الله ﷺ خطيباً، فذكر فتنة القبر التي يُفْتَنُ فيها المرءُ، فلما ذكر ذلك، ضج المسلمون ضجَّة. رواه البخاري هكذا، وزاد النسائي: حالت بيني وبين أن أفهم كلامَ رسول الله ﷺ، فلما سكنتْ ضَجَّتُهم قلت لرجلٍ قريبٍ مني: أي بارك الله فيك! ماذا قال رسول الله ﷺ في آخر قوله؟ قال: «قد أُوحي إليَّ أنكم تُفتنون في القبور قريباً من فتنة الدجال».

١٣٨ ـ (١٤) وعن جابر، عن النبي ﷺ قال: إذا أُدخل الميتُ القبرَ

---

١٣٧ ـ (وعن أسماء) غير منصرف بالعلمية والتأنيث المعنوي، وقيل: أصله وسماء فهو فعلاء. (بنت أبي بكر) رضي الله عنهما أم عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، وتسمى ذات النطاقين لأنها شقت نطاقها ليلة خرج النبي ﷺ مهاجراً فجعلت واحداً شداداً لسفرته والآخر عصاماً لقربته، وقيل: جعلت النصف الثاني نطاقاً لها. أسلمت بمكة قديماً، قيل: أسلمت بعد سبعة عشر إنساناً وهي أكبر من أختها عائشة بعشر سنين وماتت بعد قتل ابنها بعشرة أيام، وقيل: بعشرين يوماً بعدما أنزل ابنها من الخشبة ولها مائة سنة ولم يقع لها سن ولم ينكر من عقلها شيء، وذلك سنة ثلاث وسبعين بمكة، روى عنها خلق كثير. (قالت: «قام رسول الله ﷺ خطيباً) حال أي واعظاً (فذكر فتنة القبر) أي وعذابه، أو ابتلاءه والامتحان فيه (التي يفتن) بصيغة المفعول، أي يبتلي (فيها المرء) صفة لفتنة، يعني ذكر الفتنة بتفاصيلها كما يجري على المرء في قبره ومن ثم (فلما ذكر ذلك) أي ما ذكر أو الفتنة بمعنى الافتتان (ضج المسلمون) أي صاحوا وجزعوا (ضجة») التنوين للتعظيم (رواه البخاري هكذا) أي من غير زيادة (وزاد النسائي) أي بعد ضجة (حالت) [صفة ضجة] (بيني وبين أن أفهم كلام رسول الله ﷺ) أي بعد هذا (فلما سكنت ضجتهم) أي صيحتهم وارتفاع صوتهم (قلت لرجل قريب مني:) أي مكاناً أو نسباً، وهو الأنسب بالنسبة إلى المرأة (أي) المنادى محذوف، أي فلان (بارك الله فيك) أو زادك الله علماً وحلماً، وهذا من جملة آداب المتعلم. (ماذا قال رسول الله ﷺ في آخر قوله؟) أي بعد الصياح (قال:) أي الرجل (قال) عليه الصلاة والسلام (قد أوحي إلي) أي وحياً جلياً أو خفياً (أنكم) أيها الأمة (تفتنون) بصيغة المجهول، أي تمتحنون (في القبور قريباً) أي افتتاناً قريباً (من فتنة الدجال») وقال الطيبي: أي فتنة قريبة وذكر كما في قوله تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ [الأعراف ـ ٥٦] أي فتنة عظيمة إذ ليس فيها، أي في الفتن أعظم من فتنة الدجال.

١٣٨ ـ (وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إذا أدخل الميت القبر)[1] بالنصب

الحديث رقم ١٣٧: أخرجه البخاري ٣/ ٢٣٢ حديث رقم ١٣٧٣. والنسائي مع زيادة ٤/ ١٠٣ حديث رقم ٢٠٦٢.

الحديث رقم ١٣٨: أخرجه ابن ماجة ٢/ ١٤٢٨ حديث رقم ٤٢٧٢.

(١) في المخطوطة ادخل: «القبر الميت» بدل ادخل «الميت القبر».

مُثِّلَتْ له الشمس عند غروبها، فيجلس يمسح عينيه، ويقول: دَعُوني أُصَلِّي» رواه ابن ماجة.

١٣٩ ـ (١٥) وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن الميت يصير إلى القبر، فيجلس الرجل في قبره من غير فزع

على الظرفية (مثلت له الشمس) أي صوّرت وخيلت (عند غروبها) حال من الشمس، أي حال كونها قريبة الغروب، وقال ابن حجر: حال كونها غاربة لا ظرف لمثلت لاقتضائه أن التمثيل لا يكون إلا ذلك الوقت وليس كذلك لما سيتقرر [أنه] عند نزول الملكين أو بعد السؤال والجواب، وهذا لا يقيد بذلك الوقت بل هو عام في سائر أجزاء الليل والنهار، فتعين أن التمثيل بها حالة كونها غاربة عام في سائر الأزمنة أيضاً وذلك لا يكون إلا في حق المؤمن، ولعل ذلك عند نزول الملكين إشارة إلى مسارعته إلى الخيرات، وإيماء إلى قولهم: «كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون»، ويمكن أن يكون هذا بعد السؤال والجواب تنبيهاً على رفاهيته وقياماً بشكر نعمته، هذا حاصل كلام الطيبي، والأول هو الظاهر لقوله: (فيجلس) وهو معلوم، وقيل: مجهول (يمسح) أي حال كونه ماسحاً (عينيه) على هيئة المستيقظ لأن النوم أخو الموت وورد: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا» (ويقول: دعوني) أي اتركوا كلامي والسؤال عني (أصلي) أي أنا أريد أن أصلي خوف الفوت قبل الموت كأنه يظن أنه بعد في الدنيا ويؤدي ما عليه من الفرض ويشغله من قيامه بعض الأصحاب وذلك من رسوخه في أدائه ومداومته عليه في الدنيا، وأما تخصيص ذكر الغروب فإنه يناسب الغريب فإنه أول منزل ينزله عند الغروب قاله الطيبي: وقال ابن حجر: لأن الغالب أن ابتداء السفر يكون أول النهار فآخر أول مرحلة يكون عند الغروب، ويمكن أن يقال: إن وجهه الإشارة إلى تأكد صلاة العصر وإنها الوسطى فمثل له آخر وقتها ليطلب صلاتها إعلاماً بمزيد فضلها وتأكدها، أو إلى الاحتراس عن أحوال المنافقين فإنهم يجلسون يراقبون الغروب حتى إذا دنت الشمس إليه نقروا أربع ركعات لا يذكرون الله فيها إلا قليلاً كما في الحديث فبادر الميت إذ زان مانعه ومثل له هذا الوقت إلى الصلاة ليسلم من وصمتهم. اهـ. والأظهر أن الغروب إشارة إلى ارتحاله من الدنيا وزواله وغروبه[1] عنها فإن القبر آخر منزل من منازل الدنيا، والبرزخ مشبه بالليل الفاصل بين اليوم السابق واليوم الآخر اللاحق. وقد يقال: إن ذلك التمثيل يناسب ظلمة القبر وظهور نور المؤمن الكامل المؤدي للصلاة[2] في أوقاتها والله سبحانه وتعالى أعلم. (رواه ابن ماجة).

١٣٩ ـ (وعن أبي هريرة) [رضي الله عنه] (عن النبي) وفي نسخة: «عن رسول الله» ﷺ (قال: «إن الميت) اللام للجنس (يصير إلى القبر) وكل ما استقر فيه بعد الموت فهو قبره (فيجلس) قيل: مجهول (الرجل) أي الصالح كما في نسخة (في قبره غير فزع) بكسر الزاي

---

(١) في المخطوطة «غربه». (٢) في المخطوطة «الصلوات».

الحديث رقم ١٣٩: أخرجه ابن ماجة ٢/ ١٤٢٦ حديث رقم ٤٢٦٨.

ولا مشغوبٍ، ثم يقال: فيم كنت؟ فيقول: كنت في الإسلام. فيقال: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله، فصدقناه. فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول: ما ينبغي لأحد أن يرى الله، فيفرج له فرجة قِبَل النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله، ثم يُفرج له فرجة قبل الجنة، فينظر إلى زَهْرَتِها وما فيها، فيقال له: هذا مقعدك،

وتصب غير على الحالية وقوله: **(ولا مشغوب)** تأكيد من الشغب وهو تهييج الشر والفتنة، قال ابن حجر: فزع صفة مشبهة يدل على المبالغة كذا قيل: وفيه نظر لإيهامه هنا إذ سلب ما هو كذلك لا يدل على سلب أصل الفعل كما رواه في ﴿**وما ربك بظلام للعبيد**﴾ [فصلت ـ ٤٦] فتعين أن المراد غير ذي فزع كما أن تقدير الآية: بذي ظلم، أقول: تقدير الآية مسلم، وأما الحديث فلا يحتاج إلى تأويل؛ فإن بقاء أصل الفزع غير منفي كما يدل عليه الأحاديث بل النفي منصب على شدة الفزع، ولا دلالة في قوله: «ولا مشغوب» على ما ذكره في مدعاه **(ثم يقال:)** أي له كما في نسخة **(فيم كنت؟)** أي في أي دين عشت **(فيقول: كنت في الإسلام)** هذا يدل على غاية تمكنه من الإسلام خلاف المنافق لأن الجواب الظاهر أن يقول: «في الإسلام» **(فيقال:)** أي له **(ما هذا الرجل؟)** ما استفهام مبتدأ أو هذا الرجل خبره، أي ما وصفه ونعته أو ما اعتقادك فيه. **(فيقول: محمد)** أي صاحب هذا الاسم المفخم المشتهر الذي لا يخفى على أحد، ثم وصفه بقوله **(رسول الله)** وهو يحتمل أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف، أو خبراً بعد خبر، والأظهر أنه خبر لمحمد والجملة مقول وهو متضمن للجواب عن وصفه، وقوله: **(جاءنا بالبينات)** أي الآيات الظاهرات، أو المعجزات الباهرات جملة استئنافية مبينة للجملة الأولى، ويحتمل أن يكون رسول الله صفة «وجاءنا» خبراً والأول أوجه. **(من عند الله)** متعلق بجاء، أو صفة، أو حال **(فصدقناه)** أي بجميع ما جاء من عند الله **(فيقال له: هل رأيت الله؟)** قيل: نشأ هذا السؤال من قوله: «من عند الله»، أي كيف تقول من عند الله فهل رأيت الله في الدنيا؟ **(فيقول: ما ينبغي)** أي لا يصح **(لأحد)** جواب بالأعم فإنه للمقصود أتم **(أن يرى الله)** أي يبصره ببصره **(في الدنيا)** أو يحيط بكنهه مطلقاً **(فيفرج له)** بالتشديد، وقيل: بالتخفيف وكلاهما على بناء المفعول، أي يكشف ويفتح له **(فرجة)** بضم الفاء وقيل: بفتحها، وهو مرفوع على نيابة الفاعل، وفي بعض النسخ بالنصب على تقدير أعني **(قبل النار)** بكسر القاف وفتح الباء، أي جهتها منصوب على الظرف، أي يرفع الحجب بينه وبينها حتى يراها **(فينظر)** أي المؤمن **(إليه)** ذكر ضمير النار بتأويل العذاب وأنث في قوله: **(يحطم بعضها بعضاً)** نظراً إلى اللفظ والحطم الحبس في الموضع المتضايق الذي يتحطم فيه الخيل، أي يدوس بعضها بعضاً، والمعنى يكسر ويغلب ويأكل بعضها بعضاً لشدة تلهبها وكثرة وقودها **(فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله)** أي حفظك بحفظه تعالى إياك من الكفر والمعاصي التي تجر إلى النار **(ثم يفرج له فرجة قبل الجنة)** وفي تقديم فرجة النار لأن المسرة بعد المضرة أنفع وفي النفس أوقع، وإشارة إلى فضله بعد ظهور عدله. **(فينظر إلى زهرتها)** بفتح الزاي، أي حسنها وبهجتها **(وما فيها)** من الحور والقصور وغيرها من الخير الكثير والملك الكبير **(فيقال له: هذا مقعدك)** أي

على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تُبعث إن شاء الله تعالى. ويُجلس الرجل السوء في قبره فزعاً مشغوباً، فيقال: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري! فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلتُه، فيفرج له قبل الجنة، فينظر إلى زَهرتها وما فيها، فيقال له: انظر إلى ما صرف الله عنك، ثم يفرج له فرجة إلى النار، فينظر إليها يحطم بعضُها بعضاً، فيقال له: هذا مقعدك، على الشك كنتَ، وعليه متَّ، وعليه تُبْعَثُ إن شاء الله تعالى». رواه ابن ماجة.

في المغني (على اليقين) حال والعامل ما في حرف التنبيه من معنى الفعل المتضمن لصاحب الحال، والتعريف في اليقين للجنس، وقوله: (كنت) صفة له، وعلى هذا ينزل قوله على الشك، والتقدير أنبهتك حال كونك ثابتاً أو مثبتاً على يقينك، ويمكن أن يقال على الوجوب في الموضعين، أي هذا مقعدك حال كونه واجباً على الله تعالى وعداً أو وعيداً على اليقين، أو الشك كذا حققه الطيبي. وفيه تكلف بل تعسف والظاهر أن قوله: «على اليقين كنت» جملة مستأنفة متضمنة للتعليل، أي هذا مقعدك لأنك كنت في الدنيا على اليقين في أمر الدين، وتقديم الخبر للاهتمام والاختصاص التام. ثم رأيت ابن حجر قدم قولي على قول الطيبي، ويدل أيضاً على انفصال قوله: «على اليقين» عما قبله قوله: (وعليه مت) بضم الميم وكسرها (وعليه تبعث) يعني كما تعيش تموت وكما تموت تحشر. (إن شاء الله تعالى) للتبرك أو للتحقيق كقوله تعالى: ﴿إن شاء الله آمنين﴾ [يوسف - ٩٩] (ويجلس الرجل) بالوجهين كما تقدم (السوء) بفتح السين وتضم ضد الصالح (في قبره فزعاً) أي خائفاً غاية الفزع (مشغوباً) أي مرعوباً (فيقال له:) أي للرجل السوء (فيم كنت؟) أي من [أمر] الدين (فيقول: لا أدري) ما الدين، أو للهيبة نسي دينه، وقال ابن حجر: أي ما الذي كنت فيه؟ وهو كذب منه وتمويه عن أن يجيب بالجواب المطابق، وهو أنه كان في الكفر أو النفاق. ا هـ. وقد تقدم أن هذا كلام الرجل المدهوش المتحير الذي لا يدري الجواب المطلق مطابقاً، أو غير مطابق صواباً أو غير صواب. (فيقال له: ما هذا الرجل؟) أي الذي رأيته أو سمعته (فيقول: سمعت الناس) أي المؤمنين أو الكفار أو أعم منهما (يقولون) أي في حقه (قولاً) بالحق أو بالباطل على زعمه (فقلته) أي تقليداً لا تحقيقاً واعتقاداً (فيفرّج له) أي فرجة كما في نسخة (قبل الجنة) قبل النار لأن المحنة بعد النعمة أقوى وأشد (فينظر إلى زهرتها وما فيها) كما كان ينظر في الدنيا إلى الآيات الإلهية من الأنفسية والآفاقية من غير أن ينتفع بها (فيقال له: انظر إلى ما صرف الله عنك) حيث خذلك ولم يهدك ولم يوفقك إلى ما يجرك إلى الجنة اخترت من الأعمال والأوزار ما يفضي إلى النار ولهذا (ثم يفرّج) أي له كما في نسخة صحيحة (فرجة إلى النار فينظر إليها) هنا بتأنيث الضمير (يحطم) بكسر الطاء (بعضها بعضاً) إشارة إلى عظمة النار (فيقال له: هذا مقعدك) أي مكانك اللازم ومحلك الدائم (على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى») والكل بقضائه وبقدره وبهذا تحصل المناسبة بين هذا الباب وما قبله (رواه ابن ماجة).

(٥) باب الاعتصام بالكتاب والسنة

الفصل الأول

١٤٠ ـ (١) عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا

(باب الاعتصام بالكتاب والسنة)

العصمة المنع والعاصم المانع الحامي والاعتصام الاستمساك بالشيء افتعال منه، قال تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً**﴾ [آل عمران ـ ١٠٣] أي تمسكوا بالقرآن والسنة على سبيل الاستعارة كذا قيل. والمشهور أن المراد بحبل الله هو القرآن كما ورد في بعض الأحاديث، والاعتصام به مستلزم للاعتصام بالسنة لقوله تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ [الحشر ـ ٧] والمراد بالسنة هنا أقواله وأفعاله وأحواله المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة، ولذا قال: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وفي نظم الباب بالنسبة إلى ما قبله إشارة إلى أن بحث القضاء والقدر لا يتم إلا بالدليل النقلي، فإن الدليل العقلي هو الذي ورط القدرية والجبرية في بيداء الظلمة والحيرة، غاية ما في الباب أن يكون من الحكم المجهولة عندنا قال تعالى: ﴿**وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً**﴾ [الإسراء ـ ٨٥] والتعبد المحض هو من كمال العبودية المقتضي للقيام بحقوق الربوبية.

(الفصل الأول)

١٤٠ ـ (**عن عائشة رضي الله عنها**) بالهمز وأما بالياء فلحن عامي (**قالت:**) أي روي عنها أنها قالت (**قال رسول الله ﷺ: «من أحدث**) أي جدد وابتدع، أو أظهر واخترع (**في أمرنا هذا**) أي في دين الإسلام، وفي إيراد اسم الإشارة بدلاً أو صفة إفادة التعظيم وإشارة إلى تمييز الدين أكمل تمييز، وعبر عنه بالأمر تنبيهاً على أن هذا الدين هو أمرنا الذي تهتم له وتشتغل به بحيث لا يخلو عنه شيء من أقوالنا وأفعالنا. قال القاضي: الأمر حقيقة في القول الطالب للفعل مجاز

الحديث رقم ١٤٠: أخرجه البخاري في الصحيح ٥/٣٠١ حديث رقم ٢٦٩٧. وأخرجه مسلم في صحيحه ٣/١٣٤٣ حديث رقم (١٧ . ١٧١٨) وأخرجه أبو داود في السنن ٥/١٢ حديث رقم ٤٦٠٦. وأخرجه ابن ماجة في السنن ١/٧ حديث رقم ١٤ وأخرجه أحمد في المسند ٦/٢٧٠.

ما ليس منه فهو ردّ». متفق عليه.

في الفعل والشأن. والطريق أطلق هنا على الدين من حيث إنه طريقه وشأنه الذي يتعلق به (ما ليس منه) كذا في الصحيحين والحميدي وجامع الأصول وشرح السنة وفي المشارق، وبعض نسخ المصابيح: «ما ليس فيه». (فهو) أي الذي أحدثه (رد) أي مردود عليه، قال ابن حجر: ويصح الكسر. اهـ. والصواب أنه غير مراد لأنه على ما في القاموس بمعنى العماد، قال القاضي: المعنى من أحدث في الإسلام رأياً لم يكن له من الكتاب والسنة سند ظاهر أو خفي ملفوظ أو مستنبط فهو مردود عليه، قيل: في وصف الأمر بهذا إشارة إلى أن أمر الإسلام كمل وانتهى وشاع وظهر ظهور المحسوس بحيث لا يخفى على كل ذي بصر وبصيرة، فمن حاول الزيادة فقد حاول أمراً غير مرضي لأنه من قصور فهمه رآه ناقصاً، فعلى هذا يناسب أن يقال: إن هو راجع إلى من أي فذلك الشخص ناقص مردود عن جنابنا مطرود عن بابنا، فإن الدين اتباع آثار الآيات والأخبار واستنباط الأحكام منها، فالضمير إلى الشخص أبلغ وإلى الأمر أظهر وفي قوله: «ما ليس منه» إشارة إلى أن إحداث ما لا ينازع الكتاب والسنة كما سنقرره بعد ليس بمذموم. (متفق عليه) ورواه أبو داود وابن ماجة وذكر في الأربعين النووية، وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً أي من أتى بشيء من الطاعات، أو بشيء من الأعمال الدنيوية والأخروية سواء كان محدثاً أو سابقاً على الأمر ليس عليه أمرنا، أي وكان من صفته أنه ليس عليه إذننا بل أتى به على حسب هواه فهو رد، أي مردود غير مقبول. فهذه الرواية أعم وهذا الحديث عماد في التمسك بالعروة الوثقى وأصل في الاعتصام بحبل الله الأعلى ورد للمحدثات والبدع والهوى وقد أنشد في هذا المعنى:

إذا ما دجا الليل البهيم وأظلما * بأمر فظيع شق أسود أدهما

فأعلى البرايا من إلى السنن اعتزى * وأعمى البرايا من إلى البدع انتمى

ومن ترك القرآن قد ضل سعيه * وهل يترك القرآن من كان مسلما

قال بعض العارفين: اعلم أن الإنسان له روح نوراني من عالم الملكوت، ونفس ظلمانية؛ ولكل منهما نزاع وشوق[١] إلى عالمه، فغاية بعثة الأنبياء تزكية النفوس[٢] عن ظلمة أوصافها وتحليتها بأنوار الأرواح حتى يتجلي فيها أن الموجود الحقيقي ذات الله وصفاته وأفعاله، فالواجب على العبد أن يدق بمطرقة كلمة[٣] التوحيد تمرد النفس إلى أن تؤمن بذلك وتكفر بطاغوت وجوده ووجود ما سوى الله. هذا هو الدين الحنيفي فمن أحدث فيه بتسويل الشيطان غير ذلك بأن أيس عن الحق وشك في مواعيده وتعلق قلبه بغيره ولم ينسلخ عن صفاته وأفعاله ولم تنطمس ظلمات ذاته في أنواره فهو مردود لم يتبع إلا شيطاناً مريداً لعنه الله، وبهذا يتعين لك وجه قول أبي عبيدة أنه عليه الصلاة والسلام جمع جميع أمر الآخرة في هذه الكلمة

---

(١) في المخطوطة «سوق». (٢) في المخطوطة «النفس».

(٣) في المخطوطة «علم».

١٤١ ـ (٢) وعن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ، وشر الأمور محدثاتُها، وكلُّ بدعةٍ ضلالة»

وجميع أمر الدنيا في كلمة: «إنما الأعمال بالنيات» وكأنه حمل الأعمال على الأفعال المباحة فإنها تختلف باختلاف النيات والله أعلم.

١٤١ ـ (وعن جابر [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: «أما بعد) المفهوم من قوله: «أما بعد» أنه عليه الصلاة والسلام قال ذلك في أثناء خطبته أو موعظته لأنه فصل الخطاب، وأكثر استعماله بعد تقدم قصة، أو حمد الله سبحانه والصلاة على النبي ﷺ فقوله: «بعد» مبني على الضم بحذف المضاف إليه مع نية معناه، أي بعد ما تقدم من الحمد والصلاة (فإن خير الحديث) أي ما يتحدث به ويتكلم، فالفاء لما في إمّا من معنى الشرط، أي مهما يكن من شيء بعد ما ذكر فإن خير الحديث، أي الكلام (كتاب الله) لاشتماله على ما تميز به من دقائق علوم الفصاحة والبلاغة واشتمل عليه من بيان كل شيء تصريحاً أو تلويحاً، قال تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ [النحل ـ ٨٩] أي مما يحتاج إليه من أمر الدين والدنيا والعقبى كالعلوم الاعتقادية والأعمال الشرعية والأخلاق البهية والأحوال السنية وغيرها، وقد ورد: «فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»، وفيه إشارة واضحة إلى أن كلام الله تعالى غير مخلوق. (وخير الهدي) بالنصب عطفاً على اسم إن، وروي بالرفع عطفاً على محل إن واسمها (هدي محمد) والهدي بفتح الهاء وسكون الدال السيرة، ويقال: هدي هديه إذا سار سيرته، ولا تكاد تطلق إلا على طريقة حسنة، ولذا حسن إضافة الخير إليه والشر إلى الأمور، قال ابن حجر: ويصح ضم الهاء وفتح الدال. اهـ. واللام في الهدي للاستغراق، لأن اسم التفضيل يضاف إلى ما هو بعض منه، وأيضاً المقصود تفضيل دينه على سائر الأديان، وهذا توطئة لقوله: (وشر الأمور) بالنصب، وقيل: بالرفع (محدثاتها) بفتح الدال، يعني البدع الاعتقادية والقولية والفعلية وكل محدث بدعة (وكل بدعة) بالرفع، وقيل: بالنصب (ضلالة») قال في الأزهار: أي كل بدعة سيئة ضلالة لقوله عليه الصلاة والسلام: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها». وجمع أبو بكر وعمر القرآن، وكتبه زيد في المصحف، وجدد في عهد عثمان رضي الله عنهم. قال النووي: البدعة كل شيء عمل على غير مثال سبق، وفي الشرع إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله ﷺ، وقوله: «كل بدعة ضلالة» عام مخصوص. قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في آخر كتاب القواعد: البدعة إما واجبة كتعلم النحو لفهم كلام الله ورسوله، وكتدوين أصول الفقه، والكلام في الجرح والتعديل، وإما محرمة كمذهب الجبرية والقدرية والمرجئة والمجسمة، والرد على هؤلاء من البدع الواجبة لأن حفظ الشريعة من هذه البدع فرض كفاية، وإما مندوبة كإحداث الربط والمدارس وكل إحسان لم يعهد في الصدر الأول وكالتراويح أي بالجماعة العامة. والكلام في دقائق الصوفية، وإما مكروهة كزخرفة المساجد وتزويق[١] المصاحف يعني عند الشافعية وأما

(١) في المخطوطة «تزويق».

رواه مسلم.

١٤٢ ـ (٣) وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أبغضُ الناس إلى الله ثلاثة: مُلحدٌ في الحرم، ومُبْتغٍ في الإسلام سنّة الجاهليّة، ومُطَّلبُ دمِ امرئٍ

عند الحنفية فمباح، وأما مباحة كالمصافحة عقيب الصبح والعصر أي عند الشافعية أيضاً وإلا فعند الحنفية مكروه، والتوسع في لذائذ المآكل والمشارب والمساكن وتوسيع الأكمام وقد اختلف في كراهة بعض ذلك، أي كما قدمنا. قال الشافعي [رحمه الله]: ما أحدث مما يخالف الكتاب أو السنة أو الأثر أو الإجماع فهو ضلالة، وما أحدث من الخير مما لا يخالف شيئاً من ذلك فليس بمذموم. وقال عمر رضي الله عنه في قيام رمضان: «نعمت البدعة»[1]. هذا هو آخر كلام الشيخ[2] في تهذيب الأسماء واللغات. وروي عن ابن مسعود: «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن»، وفي حديث مرفوع: «لا يجتمع أمتي على الضلالة»[3]. **(رواه مسلم)** وكذا أحمد والنسائي وابن ماجة بلفظ: «أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار» الحديث.

١٤٢ ـ **(وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أبغض الناس)** هو أفعل تفضيل من المفعول على الشذوذ واللام في الناس للعهد، والمراد منه عصاة المسلمين، وما قاله بعض من أنها للجنس فبعيد إذ لا معصية أعظم من الكفر اللهم إلا أن يحمل على التهديد. **(إلى الله)** أي وإن كان أحبهم إلى غيره **(ثلاثة)** أي أشخاص أحدهم أو منهم **(ملحد في الحرم)** أي ظالم أو عاص فيه، فإنه عاص لله تعالى وهاتك حرمة الحرم. والإلحاد الميل عن الصواب ومنه اللحد، قال الأبهري: فإن قلت فاعل الصغيرة فيه مائل عن الحق فيكون أبغض من صاحب الكبيرة المفعولة في غيره، قلت: نعم مقتضاه ذلك بل مريدها كذلك، قال تعالى: **﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾** [الحج ـ ٢٥] والظلم فسره هنا بعض السلف بشتم الخادم. **(ومبتغ)** أي طالب **(في الإسلام سنة الجاهلية)** إطلاق السنة على فعل الجاهلية إما على أصل اللغة، أو على التهكم. وهي مثل النياحة والميسر والنيروز وقتل الأولاد وبغض البنات وجزاء شخص بجناية من هو من قبيله. **(ومطلب)** بالتنوين **(دم امرىء)** بالنصب، وقيل: بالإضافة وهو بتشديد الطاء من الإطلاب، أي متكلف في الطلب. قال السيد جمال الدين: أي

---

(١) البخاري ٤/ ٢٥٠ حديث ٢٠١٠.

(٢) أي الإمام محيي الدين النووي. وتهذيب الأسماء واللغات جمع فيه الإمام النووي الألفاظ الموجودة في مختصر المزني والمهذب والوسيط والتنبيه والوجيز. وضم أيضاً مما فيهما من أسماء الرجال والملائكة والجن وهو على قسمين قسم في اللغة وقسم في الأسماء.

(٣) ابن ماجة ٢/ ١٣٠٣ حديث ١٩٥٠. ولأبي داود معناه.

الحديث رقم ١٤٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١٢/ ٢١٠ حديث رقم ٦٨٨٢.

بغير حق ليُهريق دمه». رواه البخاري.

١٤٣ ـ (٤) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ أُمتي يدخلون الجنة إلا من أبى». قيل: ومن أبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى». رواه البخاري.

مجتهد في الطلب. وأصله متطلب فحذف التاء وشدد الطاء إيذاناً بالتاء وأدغم فيها كذا في زين العرب والأزهار، وهذا يقتضي أن تكون اللام مشددة يعني كالمزمل لكن المسموع من أفواه المشايخ تشديد الطاء دون اللام. ا هـ. فيكون كالمذكر ووجهه: أن مطلب أصله متطلب على مفتعل فأبدلت التاء طاء وأدغمت وهذا موافق للقياس دون الأوّل والله أعلم. **(مسلم)** كذا في نسخة صحيحة صفة امرىء **(بغير حق)** فالقاتل ارتكب ما كرهه الله من وجهين أحدهما ظلم، والثاني أنه يسوء العبد والله يكره مساءته **(ليهريق)** بفتح الهاء ويسكن **(دمه)** من هراق الماء إذا صبه، والأصل أراق قلبت الهمزة هاء، وفيه لغة أخرى وهي إهراق بفتح الهمزة وسكون الهاء، والحاصل أن أبغض عصاة المسلمين هذه الثلاثة لأنهم جمعوا بين الذنب وما يزيد به قبحاً من الإلحاد وكونه في الحرم وإحداث البدعة في الإسلام وكونه من أمر الجاهلية وقتل النفس لا لغرض صحيح بل لكونه قتلاً كما يفعل شطار زماننا، وإليه أشار بقوله: «ليهريق دمه» ومزيد القبح في الأول باعتبار المحل، وفي الثاني باعتبار الفاعل، وفي الثالث باعتبار الفعل، وفي كل من لفظي المبتغي والمطلب مبالغة، وذلك أن هذا الوعيد إذا ترتب على الطالب والمتمني فكيف بالمباشر. **(رواه البخاري)**.

١٤٣ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة)** على صيغة الفاعل، وقيل: على بناء المفعول **(إلا من أبى)** أي امتنع عن قبول ما جئت به، قال ابن الملك: إن أريد من الأمة أمة الإجابة فالاستثناء منقطع، وإن أريد أمة الدعوة فالاستثناء متصل. وقال الطيبي: المراد إما أمة الدعوة فالآبي هو الكافر، أو أمة الإجابة فالآبي هو العاصي استثناء زجراً وتغليظاً. **(قيل: ومن أبى؟)** هذه عطف على محذوف عطف جملة على جملة، أي عرفنا الذين يدخلون الجنة ومن الذي أبى، أي الذي أبى لا نعرفه. وحق الجواب اختصاراً أن يقول: من عصاني فعدل عنه ﷺ إلى ما سيأتي لإرادة التفصيل. **(قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»)** تنبيهاً على أنهم ما عرفوا هذا ولا ذاك، أو التقدير من أطاعني وتمسك بالكتاب والسنة دخل الجنة ومن اتبع هواه وزل عن الصواب وضل عن الطريق فقد دخل النار ووضع «أبى» موضع هذا وضعاً للسبب موضع المسبب، ولهذا أورد الحديث في باب الاعتصام بالكتاب والسنة. **(رواه البخاري)**.

الحديث رقم ١٤٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٢٤٩ حديث رقم ٧٢٨٠. وأحمد في المسند ٢/ ٣٦١.

١٤٤ ـ (٥) وعن جابر، قال: جاءت ملائكة إلى النبيّ ﷺ وهو نائمٌ، فقالوا: إنّ لصاحبكم هذا مثلاً، فاضربوا له مثلاً. قال بعضُهُمْ: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانُ.

---

١٤٤ ـ **(وعن جابر)** رضي الله عنه **(قال: جاءت ملائكة)** أي جماعة من الملائكة **(إلى النبي ﷺ وهو نائم)** الجملة حالية[١]. قال السيد جمال الدين: هذا الحديث يحتمل أن يكون حكاية سمعها جابر عن النبي ﷺ فحكاه. وأن يكون إخباراً عما شاهد هو بنفسه وانكشف له، قال ميرك شاه: والاحتمال الأول متعين لما في رواية الترمذي عن حديث جابر أيضاً قال: «خرج علينا النبي ﷺ يوماً، فقال: إني رأيت في المنام كان جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي» الخ قال الترمذي بعد تخريجه من طريق قتيبة بن سعيد عن الليث بن سعد عن خالد بن يزيد المصري، أحد الثقات عن سعيد بن أبي هلال عن جابر: هذا حديث مرسل سعيد بن أبي [هلال] لم يدرك جابر بن عبد الله، أشار البخاري في صحيحه إلى رواية سعيد بن أبي هلال تعليقاً وجاء من غير وجه عن النبي ﷺ من إسناد أصح من هذا قال: وفي الباب عن ابن مسعود أن النبي ﷺ توسد فخذه فرقد وكان إذا نام نفخ فبينا أنا قاعد إذ أنا برجال عليهم ثياب بيض الله أعلم بما لهم من الجمال، فجلست طائفة منهم عند رأس رسول الله ﷺ وطائفة منهم عند رجليه، ثم ذكر نحو حديث جابر، ثم قال: هذا حديث صحيح. اهـ. قال الشيخ ابن حجر العسقلاني: ووصف الترمذي لحديث سعيد بن أبي هلال بأنه مرسل يريد أنه منقطع بين سعيد وجابر وقد اعتضد هذا المنقطع بحديث ربيعة الجرشي، يعني الآتي في أوّل الفصل الثاني، قال: وهو عند الطبراني بسند جيد، وحديث ابن مسعود أخرجه أحمد وابن خزيمة أيضاً وصححه والظاهر أنهما واقعتان والله أعلم. اهـ. كلام ميرك شاه رحمه الله تعالى **(فقالوا:)** أي بعض الملائكة لبعض **(إن لصاحبكم)** أي لمحمد **(هذا)** إشارة إلى محمد والمخاطب بعض الملائكة **(مثلاً)** بفتحتين، أي صفة كمال تبهر العقول إذ المثل هو الصفة العجيبة الشأن **(فاضربوا)** أي بينوا واجعلوا له **(مثلاً)** أي تمثيلاً وتصويراً للمعنى المعقول في صورة الأمر المحسوس ليكون أوقع تأثيراً في النفوس **(قال)** بغير الفاء **(بعضهم: إنه نائم)** أي فلا يسمع فلا يفيد ضرب المثل شيئاً **(وقال بعضهم:)** وهم الأكملون لمعرفتهم به ما لم يعرفه الأوّلون **(إن العين نائمة والقلب)** بالنصب، وقيل: بالرفع **(يقظان)** غير منصرف، وقيل: منصرف لمجيء فعلانة منه، قال زين العرب: يقظان منصرف لمجيء فعلانة، لكنه قد صح في كثير من نسخ المصابيح على أنه غير منصرف يعني فلا يفوته شيء مما تقولون، فإن المدار على المدارك الباطنية دون الحواس الظاهرية. قال الطيبي: هذه مناظرة جرت بينهم بياناً وتحقيقاً لما أن

الحديث رقم ١٤٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٢٤٩ حديث رقم ٧٢٨١. وأخرج الترمذي بمعناه ٥/ ١٣٤ حديث رقم ٢٨٦٠.

(١) في المخطوطة حالية.

فقالوا: مَثَلُه كمثلِ رجلٍ بَنى داراً وجعل فيها مأدُبةً وبَعَثَ داعياً، فمن أجاب الداعي دخلَ الدارِ وأكلَ معَهُ من المأدُبةِ، ومن لم يُجبِ الداعيَ لم يدخُلِ الدارَ ولمْ يأكلْ من المأدُبةِ. فقالوا: أوِّلوها له يَفقَهْها. قال بعضهم: إنه نائمٌ، وقال بعضُهُمْ: إن العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانُ. فقالوا: الدارُ الجنةُ، والداعي محمَّدٌ، فمن أطاعَ محمداً فقد أطاعَ الله، ومَنْ عَصَى محمَّداً فقد عصَى اللَّهِ، ومحمَّدٌ فَرْقٌ بينَ الناس. رواه البخاري.

النفوس القدسية لا يضعف إدراكها بضعف الحواس، أي الحسية لاستراحة القوى البدنية بل ربما يقوى إدراكها عند ضعفها كما هو مشاهد عند أرباب الصوفية. **(فقالوا: مثله كمثل رجل)** أي عظيم كريم **(بنى داراً)** يعني قصته كهذه القصة عن آخرها لا أن حاله كحال هذا الرجل، فإنه في مقابلة الداعي لا الباني اللهم إلا أن يقدر مضاف، ويقال: كمثل داعي رجل بنى داراً **(وجعل)** أي الباني **(فيها)** أي في الدار **(مأدبة)** بضم الدال وتفتح، طعام عام يدعى الناس إليه كالوليمة، وقيل: بالفتح مصدر ميمي بمعنى الأدب وهو الدعاء إلى الطعام كالمعتبة بمعنى العتبة، فعلى هذا يتعين الضم. **(وبعث داعياً)** يدعو الناس إكراماً لهم **(إليها)** أي إلى ما يوصل إليها إيماء إلى قوله تعالى: ﴿ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان﴾ [آل عمران - ١٩٣] **(فمن أجاب الداعي)** أي قبل دعاءه **(دخل الدار وأكل من المأدبة)** على وجه الإكرام وتمام الأنعام **(ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة)** بل طرد من الباب وحرم من الثواب واستحق العقاب. **(فقالوا:)** أي فقال بعض الملائكة لبعض **(أوّلوها له)** أي فسروا الحكاية التمثيلية لمحمد ﷺ مِنْ أوّل تأويلاً إذا فسر بما يؤول إليه الشيء **(يفقهها)** بالجزم جواب الأمر، أي يفهمها ثم يفهمها **(قال بعضهم:)** باعتبار ما في ظنه **(إنه نائم)** فهو غير فاهم **(وقال بعضهم: إن العين)** أي عينه **(نائمة والقلب)** أي قلبه **(يقظان)** فيدرك البيان، وكرروا هذا لينبه السامعون إلى هذه المنقبة العظيمة، وهي نوم العين ويقظة القلب **(فقالوا: الدار)** أي مثلها **(الجنة)** أي نفسها فإنها دار المتقين كما في القرآن المبين، والمأدبة نعيمها وترك بيانها لظهورها، وقيل: لاشتمال الجنة عليها لأنها دار المأدبة **(والداعي محمد)** قال تعالى في حقه: ﴿وداعياً إلى الله بإذنه﴾ [الأحزاب - ٤٦] **(فمن أطاع)** الفاء للسببية، أي لما كان هو الداعي فمن أطاع **(محمداً فقد أطاع الله)** [قال الطيبي: رُوعي في التأويل حسن أدب حيث لم يصرح بالمشبه بالرجل لكن لمح إليه في قوله: «فقد أطاع الله»] **(ومن عصى محمداً)** أظهر الضمير مبالغة في تعظيمه وحمده، قال ابن حجر: وبه يندفع وهم الرجوع إلى غيره. **(فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس)** رُوي مشدداً على صيغة الفعل، ومخففاً على المصدر كذا قاله الطيبي. وقال السيد جمال الدين: مصدر وصف به للمبالغة، أي فارق بين المؤمن والكافر والصالح والفاسق، وقال ميرك شاه: كذا وقع عند أكثر رواة البخاري بسكون الراء والتنوين. **(رواه البخاري)**.

١٤٥ ـ (٦) وعن أنس، قال: جاء ثلاثةُ رهطٍ إلى أزواج النبيِّ ﷺ يسألونَ عن عبادةِ النبيِّ ﷺ، فلما أُخبِرُوا بها كأنهم تقالُّوها؛ فقالوا: أينَ نحنُ من النبي ﷺ، وقد غفرَ الله لهُ ما تقدم من ذنبِه وما تأخَّر؟!

١٤٥ ـ (وعن أنس) [رضي الله عنه] (قال: جاء ثلاثة رهط) الرهط [العصابة] دون العشرة، وقيل: دون الأربعين، وقيل: هم علي وعثمان بن مظعون وعبد الله بن رواحة كذا ذكره الطيبي. وقيل: المقداد بن الأسود بدل عبد الله كذا نقله ابن الملك، وقال الكرماني: إنما جاء تفسير الثلاثة بالرهط لأنه بمعنى الجماعة فكأنه قيل: ثلاثة أنفس، والفرق بين الرهط والنفر أنه من الثلاثة إلى العشرة والنفر من الثلاثة إلى التسعة. قال الشيخ: وقع في مرسل سعيد بن المسيب عن عبد الرزاق أن الثلاثة المذكورين هم علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون، قال: لكن في عد عبد الله بن عمرو منهم نظر لأن عثمان بن مظعون مات قبل أن يهاجر عبد الله فيما أحسب كذا ذكره الأبهري، وذكر في الخلخالي مكان عبد الله المقداد والله أعلم. (إلى أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ) أي عبادته في البيت، والمراد معرفة قدر عادة وظائفة في كل يوم وليلة حتى يفعلوا ذلك (فلما أخبروا) على صيغة المجهول، أي أخبرنهم (بها) أي بعبادته (كأنهم تقالوها) [تفاعل من القلة]، أي [استقلوها] وجدوها، أو عدوها قليلة لما في نفوسهم أنها أكثر مما أخبروا به بكثير (فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ) أي بيننا وبينه بون بعيد، فإنا على صدد التفريط وسوء العاقبة وهو معصوم مأمون الخاتمة، أو لأن له معاملة باطنية مع الله تعالى ساعة منها أفضل من طاعة سنة ظاهرية من غيره كما ورد: «تفكر ساعة خير من عبادة سنة، أو ستين سنة» لا سيما في العلوم والمعارف، وقيل: فإنا مذنبون ومحتاجون إلى المغفرة. (وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟) فينبغي أن تكون العبادة نصب أعيننا ولا نصرف عنها وجوهنا ليلاً ونهاراً، ثم الذنب ماله تبعة دينية أو دنيوية مأخوذ من الذنب، ولما كان النبي ﷺ معاتباً بترك الأولى تأكيداً للعصمة أطلق عليه اسم الذنب، أو يكون من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قال ابن حجر: أي ستر بينه وبينه بعصمته منه فلم يمكن صدوره منه ولو صغيرة قبل النبوة على الصواب، هذا معنى المغفرة في حق الأنبياء ومعناها في غيرهم سترة بينهم وبين عقوبة ذنوبهم. اهـ. وفي قوله: «على الصواب» تخطئة لأكثر أهل العلم وهو غير صواب فكان حقه أن يقول: على الصحيح بناء على مذهبه والله أعلم بالصواب. وقال بعض المحققين: وإجماع الصحابة على التأسي به ﷺ في أقواله وأفعاله وسائر أحواله حتى في كل حالاته من غير بحث ولا تفكر بل بمجرد علمهم أو ظنهم بصدور ذلك عنه دليل قاطع على إجماعهم على عصمته وتنزهه عن أن يجري على ظاهره أو باطنه شيء لا يتأسى به فيه مما لم يقم دليل على اختصاصه به. اهـ. والجمهور جوّزوا وقوع الكبائر سهواً والصغائر عمداً لكن المحققون منهم اشترطوا أن ينبهوا

الحديث رقم ١٤٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٩/١٠٤ حديث رقم ٥٠٦٣ وأخرج مسلم نحوه ٢/١٠٢٠ حديث رقم (٥ ـ ١٤٠١).

فقال أحدهم: أمّا أنا فأُصلّي الليلَ أبداً. وقال الآخر: أنا أصُومُ النهارَ أبداً، ولا أُفطِر. وقال الآخر: أنا أعتزلُ النساء فلا أتزوجُ أبداً، فجاء النبيُّ ﷺ إليهم فقال: «أنتمُ الذينَ قلتمُ كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكنّي أصومُ وأُفطِرُ، وأُصلّي وأرْقُدُ، وأتزوجُ النِّساءَ، فمن رغِبَ عن سُنّتي فليسَ مِنّي».

عليه فينتهوا عنه؛ فعلى هذا قول الجمهور لا ينافي الإجماع المذكور، قال المظهر: ظنوا أن وظائف رسول الله ﷺ كثيرة فلما سمعوها عدوها قليلة وقد راعوا الأدب حيث لم ينسبوه إلى التقصير بل أظهروا كماله ولاموا أنفسهم في مقابلتهم إياها بالنبي ﷺ. وفيه تعليم للمريد بأن لا ينظر إلى الشيخ بعين الاحتقار وإن رأى عبادته قليلة فليظهر عذره وليلم نفسه إن جرى فيها إنكار على شيخه، لأن من اعترض على شيخه لم يفلح أبداً، وفيه أن قلة وظائف النبي ﷺ كانت رحمة على الأمة لئلا يتضرروا بالاقتداء إذ لأنفسهم عليهم حق ولأزواجهم عليهم حق، فإن الإنسان محتاج إلى الطعام ليتقوّى صلبه، والرجال محتاجون إلى النساء لبقاء النسل. **(فقال أحدهم: أما أنا)** أي أما رسول الله فقد خص بالمغفرة العامة فلا عليه أن لا يكثر العبادة، وأما أنا فلست مثله. **(فأصلي الليل)** أي أحييه بالصلاة، والظاهر أنه وما قبله عزم على ما ذكر، ويحتمل الإخبار عن ذلك. **(أبداً)** أي طول الليل، أو دائماً غير مختص بليل دون ليل. **(وقال الآخر: أنا أصوم النهار)** أي أبداً كما في نسخة، لكن يستغنى عنه بقوله: **(ولا أفطر)** أي بالنهار، يعني غير الأيام الخمسة المنهية **(وقال الآخر: أنا أعتزل النساء)** أي اجتنبهن **(فلا أتزوج)** أي منهن أحداً **(أبداً)** فإنهن والاشتغال بهن يمنع الشخص عن العبادة، ويوقعه في طلب الدنيا والحرص على تحصيلها في العادة، وهو خلاف سلوك أهل الإرادة من السادة. **(فجاء النبي ﷺ إليهم)** وقد علم ذلك بأن جاء إلى أهله فأخبروه، وإما بالوحي **(فقال: أنتم)** أي أأنتم فحذفت همزة الاستفهام التي للإنكار من قبل أنتم الذي هو الفاعل المعنوي المزال عن مقره على حد: **﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾** [المائدة ـ ١١٦] مبالغة في الإنكار عليهم **(الذين قلتم كذا وكذا؟)** كناية عما تقدم **(أما)** بالتخفيف حرف تنبيه واستفتاح بمنزلة ألا، ويكثر قبل القسم، وقيل: معناه حقاً، وأعرب ابن حجر: وقال الهمزة للاستفهام الإنكاري وما حرف تنبيه **(والله إني لأخشاكم)** قال القاضي: أي أنا أعلم به وبما هو أعز لديه وأكرم عنده، فلو كان ما استأثرتموه من الإفراط في الرياضة أحسن مما أنا عليه من الاعتدال لما أعرضت عنه، وقوله: **(لله)** مفعول به لأخشاكم وأفعل لا يعمل في الظاهر إلا في الظرف **(وأتقاكم له)** إشارة إلى أن الخشية التي لا تورث التقوى لا عبرة بها **(لكني أصوم)** استدراك عن محذوف، أي أنا أخشاكم لله، فينبغي على زعمكم، أو في الحقيقة أن أقوم في الرياضة إلى أقصى مداه لكن أقتصد وأتوسط فيها فأصوم في وقت **(وأفطر)** في آخر **(وأصلي)** بعض الليل **(وأرقد)** في بعضه **(وأتزوج النساء)** ولا أزهد فيهن، وكمال الرجل أن يقوم بحقهن مع القيام بحقوق الله تعالى والتوكل عليه والتفويض إليه، وهذا كله ليقتدي بي الأمة، **(فمن رغب)** أي مال وأعرض **(عن سنتي)** أي استهانة وزهداً فيها لا كسلاً وتهاوناً **(فليس مني)** أي من أشياعي، وضع قوله: «عن سنتي» مكان ذلك ليشمل كل ما جاء به من المذكور وغيره ومن في «مني»

متفق عليه.

١٤٦ ـ (٧) وعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: صنع رسول الله ﷺ شيئاً، فرخّص فيه،

اتصالية. وذكر الأبهري عن الشيخ أنه قال: لمح بذلك إلى طريقة الرهبانية، فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى، وقد عابهم بأنهم ما وفوا بما التزموه. ا هـ. قلت: ما هو تلميح بل هو تصريح على ما ذكره البغوي في المعالم في قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**﴾ [المائدة ـ ٨٧] قال أهل التفسير: ذكر النبي ﷺ يوماً ووصف القيامة فرق له الناس وبكوا، فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون [الجمحي]، وهم أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو وأبو ذر الغفاري وسالم مولى أبي حذيفة والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن، وتشاوروا واتفقوا على أن يترهبوا ويلبسوا المسوح، جمع المسح وهو الصوف، ويجبوا مذاكيرهم، أي يقطعوها ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك، أي الدسم من السمن والدهن ولا يقربوا النساء والطيب ويسيحوا في الأرض، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه، فقال لامرأته أم حكيم بنت أبي أمية واسمها الحولاء، وكانت عطارة: أحق ما بلغني عن زوجك وأصحابه؟ فكرهت أن تكذب وكرهت أن تبدي على زوجها، أي تظهر، فقالت: يا رسول الله إن كان أخبرك عثمان فقد صدقك، فانصرف رسول الله ﷺ، فلما دخل عثمان أخبرته بذلك، فأتى رسول الله ﷺ هو وأصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا؟ قالوا: بلى يا رسول الله وما أردنا إلا الخير، فقال عليه الصلاة والسلام: إني لم أومر بذلك، ثم قال: «إن لأنفسكم عليكم حقاً، فصوموا وافطروا، وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء، ومن رغب عن سنتي فليس مني، ثم جمع الناس وخطبهم، فقال: ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا؟ إني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهباناً؛ فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء، ولا اتخاذ الصوامع، وإن سياحة أمتي الصوم، ورهبانيتهم الجهاد، واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وحجوا واعتمروا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان. واستقيموا يستقم لكم، فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد، شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فاولئك بقاياهم في الديارات والصوامع، فأنزل الله هذه الآية. (متفق عليه).

١٤٦ ـ (**وعن عائشة**) [رضي الله عنها] (**قالت: صنع رسول الله ﷺ شيئاً**) أي من المباحات، قال الراغب: الصنع إجادة الفعل فكل صنع فعل ولا ينعكس، ولا ينسب إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل. (**فرخص**) أي للناس (**فيه**) أي في ذلك الصنع،

الحديث رقم ١٤٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/٥١٣ حديث ٦١٠١. واللفظ وأخرجه مسلم بألفاظ متقاربة ٤/١٨٢٩ حديث رقم (١٢٧ ـ ٢٣٥٦) وأخرجه أحمد في المسند ٦/٤٥.

فتنزَّه عنه قومٌ، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فخطب فحَمِدَ اللهَ، ثم قال: «ما بالُ أقوامٍ يتنزّهونَ عن الشيءِ أصنعُهُ؟! فوَاللهِ إني لأعلمُهم باللهِ، وأشدُّهم له خَشيةً». متفق عليه.

١٤٧ ـ (٨) وعن رافعِ بن خديجٍ، قال: قدِمَ نبيُّ الله ﷺ وهم يُؤَبِّرون النخلَ،

أو من أجله **(فتنزه عنه)** أي عن ذلك الصنع **(قوم)** ولم يفعلوا ذلك الصنع ظناً منهم أن فعله ينافي الكمال، وإنه ﷺ إنما فعله لبيان الجواز، قال الشيخ: لم أعرف أعيان القوم المشار إليهم ولا الشيء الذي ترخص فيه، وأومأ ابن بطال إلى أنه القبلة للصائم، وقيل: الفطر في السفر كذا ذكره الأبهري، والأظهر أن القوم هم المذكورون فيما تقدم والشيء المرخص ما ذكر فيما سبق **(فبلغ ذلك)** أي تنزههم **(رسول الله ﷺ فخطب)** أي أراد أن يخطب كذا قاله الطيبي، ويمكن أن يكون قوله: **(فحمد الله)** الخ تفسيراً لما قبله[1] **(ثم قال)** أي في أثناء خطبته، أو بعد فراغها معرضاً مصرحاً ستراً على الفاعل ورحمة به **(ما بال أقوام)** استفهام إنكاري بمعنى التوبيخ، أي ما حالهم **(يتنزهون)** صفة أقوام وقع موقع الحال، نحو مالك قائماً، وكقوله تعالى: **﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً﴾** [نوح ـ ١٣] أي يتباعدون ويحترزون **(عن الشيء)** من النوم بالليل والأكل بالنهار والتزوج بالنساء كذا قاله ابن الملك **(أصنعه؟)** حال من الشيء، وأل فيه للعهد الذكري السابق في قوله: «شيئاً»، وقيل: اللام في الشيء للجنس وأصنعه صفته **(فوالله إني لأعلمهم بالله)** قال المظهر: أي فإن احترزوا عنه لخوف عذاب الله فأنا أعلم بقدر عذاب الله، فأنا أولى بالاحتراز **(وأشدهم له خشية)** إشارة إلى القوة العملية، وقدم العلم على الخشية لأنها نتيجته، ولذا قال تعالى: **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** [فاطر ـ ٢٨] قال الطيبي: هذا أبلغ من أخشاهم على الأصل فإنه عدل عنه وجعل أشد، ثم فسر بخشية ليدل على أن الأشد نفسه. **(متفق عليه)**.

١٤٧ ـ **(وعن رافع بن خديج)** [رضي الله عنه]، يكنى أبا عبد الله الحارثي الأنصاري، أصابه سهم يوم أحد، فقال له رسول الله ﷺ: أنا شهيد لك يوم القيامة، وانتقضت جراحته زمن عبد الملك بن مروان فمات سنة ثلاث وسبعين بالمدينة، وله ست وثمانون سنة، روى عنه خلق كثير وخديج بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة وبالجيم. **(قال قدم نبي الله)** وفي نسخة النبي **(ﷺ المدينة)** أي طابة[2] السكينة **(وهم)** أي أهلها **(يؤبرون النخل)** جملة حالية، أي يلقحون كما في رواية طلحة بن عبيد الله، يعني: يجعلون الذكر في الأنثى، وهو بتشديد الباء وروي يأبرون بتخفيف الباء المكسورة، وقد يضم، والأبر والآبار والتأبير الإصلاح. والمعنى: يشقون طلع الإناث ويذرون فيه طلع الذكر ليجيء ثمره جيداً إذ النخلة خلقت من فضلة طينة

---

(١) في المخطوطة «بمقابلة».

الحديث رقم ١٤٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٣٥ حديث رقم (١٤٠ . ٢٣٦٢).

(٢) من أسماء المدينة النبوية. وقد ورد أن الرسول ﷺ أمر أن تسمى المدينة طيبة وطابة. وهما من الطيب. لأن المدينة كان اسمها يثرب والثرب الفساد.

فقال: «ما تصنعون؟». قالوا: كنّا نصنعُه. قال: «لعلَّكم لو لم تفعلوا كان خيراً». فتركوه؛ فنقصت. قال: فذكروا ذلك له. فقال: «إنما أنا بشر، إذا أمرتُكم بشيء من أمرِ دينكِم، فخذوا به؛ وإذا أمرتُكم بشيء من رأيي، فإنما أنا بشر». رواه مسلم.

١٤٨ ـ (٩) وعن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما مَثَلي ومَثَلُ ما بعثني اللهُ به كمثل رجُلٍ أتى قوماً، فقال: يا قوم! إني رأيتُ

آدم على ما ورد فلا بد عادة في صلاح نتاجها من اجتماع طلع الذكر مع طلع الأنثى كما أنه لا بد عادة في تخلق ابن آدم من اجتماع مني الذكر والأنثى. (فقال: ما تصنعون؟) ما استفهامية (قالوا: كنا نصنعه) أي هذا دأبنا وعادتنا (قال: لعلكم لو لم تفعلوا كان) وفي نسخة لكان (خيراً) أي تتعبون فيما لا ينفع كما جاء في تلك الرواية: ما أظن يغني ذلك شيئاً (فتركوه) أي التأبير (فنقصت) أي النخل ثمارها، أو انتقصت ثمارها فإن النقص متعد ولازم، أي لم يأت منها شيء صالح (قال) أي رافع (فذكروا) أي أصحاب النخيل (ذلك) أي النقصان (له) عليه الصلاة والسلام (فقال: إنما أنا بشر) أي فليس لي إطلاع على المغيبات، وإنما ذلك شيء قلته بحسب الظن الشهودي إذ ذاك إلى مسبب الأسباب، واستغراقي في عجائب قدرته وغرائب قوته التي لا تتوقف على سبب لكنه تعالى قضى ليظهر حكمته الباهرة، وتتفاوت شهود عباده في الدنيا والآخرة بأن دائرة الأسباب لا بد من مراعاتها. (إذا أمرتكم) وفي نسخة: «أمرتم» في الموضعين (بشيء من دينكم) وفي نسخة صحيحة: «من أمر دينكم» أي مما ينفعكم في أمر دينكم (فخذوا به) أي افعلوه فإني إنما نطقت به عن الوحي (وإذا أمرتكم بشيء من رأيي) وفي نسخة: «من رأي»، أي متعلق بالدنيا التي لا ارتباط لها بالدين وأخطأت فلا تستبعدوا، وقيل: فمن شاء فعله ومن شاء لم يفعله (فإنما أنا بشر) أي فإني بشر أخطىء وأصيب كما جاء في خبر أحمد: «والظن يخطىء ويصيب»، وفي الحديث دلالة على أنه عليه الصلاة والسلام ما كان يلتفت غالباً إلا إلى الأمور الأخروية، وفي المصابيح فقال عليه الصلاة والسلام: «أنتم أعلم بأمر دنياكم». (رواه مسلم).

١٤٨ ـ (وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: إنما مثلي) المثل بفتحتين الصفة العجيبة، وهو في الأصل بمعنى المثل الذي هو النظير. ثم استعير للقول السائر الممثل مضربه بمورده وذلك لا يكون إلا قولاً فيه غرابة من قصة وحال وصفة (ومثل ما بعثني الله به) أي إلى أمتي، وقيل: ما بمعنى من، أي من أرسلني إليه (كمثل رجل) قيل: هذا من التشبيهات المفروقة، وهي أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم بآخر وآخر وسيأتي بيانه. (أتى قوماً) أي لينذرهم بقرب عدوهم منهم، وإنهم لا قدرة لهم على لقائه، وإنما الذي يتجيهم منه إنهم يهربون عنه، وذلك الرجل من أجلتهم[1] وأمين في أخباره عندهم، (فقال: يا قوم إني رأيت) أي أبصرت

الحديث رقم ١٤٨: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٢٥٠ حديث رقم ٧٢٨٣. ومسلم ٤/ ١٧٨٨ حديث رقم (١٦ ـ ٢٢٨٣).

(١) في المخطوطة «جلدتهم».

الجيشَ بعينيَّ، وإني أنا النَّذيرُ العُريانُ! فالنَّجاء النجاء. فأطاعَه طائفةٌ من قومِه فأدلجوا، فانطلَقوا على مَهَلِهم، فنجوا. وكذَّبتْ طائفةٌ منهم فأصبحوا مكانهم،

(الجيش) أي العسكر الكثير المتوجه إليكم **(بعيني)** للتأكيد، ودفع توهم المجاز، وهو بالتثنية وتشديد الياء الأخيرة، وروي بالإفراد وتخفيف الياء **(وإني أنا النذير)** فيه الحصر **(العريان)** أي بلا غرض والنذير العريان مثل مشهور سائر بين العرب يضرب لشدة الأمر ودنو المحذور وبراءة المحذر عن التهمة، وأصله أن الرجل إذا رأى العدوّ قد هجم على قومه وأراد أن يفاجئهم وكان يخشى لحوقهم قبل لحوقه. تجرد عن ثوبه وجعله على رأس خشبة، وصاح ليأخذوا حذرهم. وقيل: هو الذي غشيه العدوّ وكان ربيئة قومه، أي جاسوسهم فأخذوه وتعلقوا بثيابه فانسل منها، ولحق بقومه فأنذرهم فلما رأوه على حالته تلك ارتحلوا عن آخرهم، وقيل: إنه الذي سلب العدوّ ما عليه من الثياب فأتى قومه عرياناً يخبرهم فصدقوه لما عليه من آثار الصدق. وخص العريان بالذكر لأنه أبين في العين وأغرر وأشنع عند البصر. **(فالنجاء النجاء)** في أكثر النسخ مرتين، وفي نسخة مرة، وهو بالمد على الأصح مصدر نجا إذا أسرع، يقال ناقة ناجية أي مسرعة، قال ابن الملك: بالفاء والمد والقصر نصب على الإغراء، أي اطلبوا النجاء، أو على المصدر أي انجوا، وهو الإسراع كرر للتأكيد قيل: في شرح السنة، وبعض نسخ المصابيح مرة، وفي كثير منها مرتين. قال الطيبي: روى الإمام عن القاضي عياض المعروف في صحيح البخاري إذا أفرد النجاء مد، وحكى أبو زيد فيها القصر، وأما إذا كرر ففيه المد والقصر معاً. اهـ. ونقل الأبهري عن الشيخ بالمد فيهما وبمد الأولى وقصر الثانية وبالقصر فيهما تخفيفاً، وهو منصوب على الإغراء، أي اطلبوا النجاء بأن تسرعوا الهرب إشارة إلى أنهم لا يطيقون مقاومة ذلك الجيش. **(فأطاعه طائفة من قومه)** قال الطيبي: الإطاعة تتضمن التصديق، يعني فيحسن مقابلته بقوله: «كذبت» فيما يأتي **(فأدلجوا)** بهمزة قطع ثم سكون هو الصحيح، أي ساروا أوّل الليل، أو ساروا الليل كله على اختلاف [في] مدلول هذه اللفظة. وأما بالوصل والتشديد على أن المراد به سير آخر الليل فلا يناسب هذا المقام كذا ذكره الأبهري. وقال الطيبي: أي ساروا في الدلجة وهي الظلمة، وقال السيد جمال الدين: والدلجة أيضاً السير في الليل. وكذا الدلج بفتح اللام، وادلجوا بتشديد الدال ساروا آخر الليل. **(فانطلقوا)** أي ذهبوا وساروا **(على مهلهم)** بفتح الميم والهاء ويسكن، قال الطيبي: المهل بالحركة الهيئة والسكون، وبالسكون الإمهال. قال الإمام النووي: في نسخ مسلم بضم الميم وإسكان الهاء وبتاء بعد اللام، وفي الجمع بين الصحيحين مهلهم بحذف التاء وفتح الميم والهاء وكلاهما صحيحان. اهـ. لكن لم يوجد في نسخ المشكاة إلا بدون التاء اختياراً للفظ البخاري على لفظ مسلم لكونه أصح **(فنجوا)** أي بسبب تصديق المنذرين[1] **(وكذبت طائفة منهم)** قال الطيبي: التكذيب يستتبع العصيان، يعني فيه إيماء إلى ما قدمناه **(فأصبحوا مكانهم)**

(١) في المخطوطة «النذير».

فصبَّحهم الجيشُ فأهلكَهم واجتاحهم. فذلك مثَلُ من أطاعني فاتَّبع ما جئتُ به، ومن عصاني وكذَّب ما جئتُ به من الحقِّ». متفق عليه.

١٤٩ ـ (١٠) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَثَلي كمَثَلِ رجلٍ استَوْقدَ ناراً، فلما أضاءتْ ما حولَها، جعلَ الفراشُ وهذه الدوابُّ التي تقعُ

أي دخلوا وقت الصباح في مكانهم (فصبحهم) بتشديد الباء (الجيش) أي أتاهم جيش العدو صباحاً للإغارة (فأهلكهم واجتاحهم) بالجيم في الأولى والمهملة في الثانية، أي استأصلهم وأهلكهم بالكلية بشؤم التكذيب وهذا فائدة الجمع بينهما (فذلك) أي المثل المذكور (مثل من أطاعني فاتبع) وفي نسخة بالواو (ما جئت به) أي من الحق، وهذا ليعلم أنه لا ينبغي أن يسترويح بظاهر الطاعة عن أتباع ما جاء به (ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق») قال السيد جمال الدين: من التشبيهات المفروقة شبه ذاته عليه الصلاة والسلام بالرجل وما بعثه الله به من إنذار القوم بعذاب الله القريب بإنذار الرجل قومه بالجيش المصبح، وشبه من أطاعه من أمته ومن عصاه بمن صدق الرجل في إنذاره وكذبه. اهـ. فهو على حد قول امرىء القيس:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً * لدى وكرها العناب والحشف البالي

شبه القلوب الرطبة بالعناب واليابسة بالحشف على التفريق بطريق اللف والنشر المرتب. (متفق عليه).

١٤٩ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: مثلي) أي صفتي العجيبة الشأن معكم أيها الأمة أو مع الناس (كمثل رجل استوقد) أي أوقد وزيدت السين للتأكيد (ناراً) أي عظيمة (فلما أضاءت) الإضاءة فرط الإنارة يتعدى ولا يتعدى وههنا متعد، ويجوز أن يكون لازماً وفاعله (ما حولها) والتأنيث باعتبار الأماكن، قال زين العرب: ولك أن تجعل ما مزيدة أو بدلاً من الضمير في «أضاءت» وفي كل منهما نظر وقوله: «ما حولها» رواية مسلم؛ فالضمير للنار أي أضاءت النار جوانب تلك النار، وفي رواية البخاري: «ما حوله» فالضمير للمستوقد كذا ذكره الطيبي. وما ظهر لي وجه عدول صاحب المشكاة إلى رواية مسلم من رواية البخاري مع كونها أصح ومع ثبوت موافقتها للفظ القرآن الأفصح ودلالتها على المقصود بالطريق الأوضح مع قوله في آخر الحديث، هذه رواية البخاري، فتأمل فإنه محل خطل. (جعل) أي شرع (الفراش) هو بفتح الفاء دويبة طير تساقط في النار يقال: بالفارسي پروانه (وهذه الدواب) قيل: عطف تفسير للفراش، وأنثه نظراً لخبره، أو لكون الفراش اسم جنس كقوله تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي﴾ [النحل ـ ٦٨] وقال ابن الملك: إشارة إلى غير الفراش (التي تقع

الحديث رقم ١٤٩: أخرجه البخاري في الصحيح ١١/ ٣١٦ حديث رقم ٦٤٨٣. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٧٨٩ حديث رقم (١٨ ـ ٢٢٨٤) وأخرجه الترمذي بنحوه ٥/ ١٤٢ حديث رقم ٢٨٧٤ وأحمد في المسند ٢/ ٢٤٤.

في النار يقعْنَ فيها، وجعل يحجُزُهُنَّ ويغلِبْنه فيتقحَّمْنَ فيها، فأنا آخذٌ بحُجَزِكم عن النار، وأنتم تقحَّمونَ فيها». هذه رواية البُخاري، ولمسلم نحوُها، وقال في آخرها: قال: «فذلك مثلي ومثلُكم، أنا آخذٌ بحُجزكم عن النار: هلُمّ عن النار، هلُمّ عن النار! فتغلبوني».

في النار) أي عادتها إلقاء نفسها في النار كالبق والبعوض. اهـ. هو غير ظاهر نعم الجراد بعضه كذلك. (يقعن) أي الفراش والدواب (فيها وجعل) أي المستوقد (يحجزهن) بضم الجيم، أي يمنعهن من الوقوع فيها، قال الأبهري: وفي رواية البخاري يزعهن بالتحتانية والزاي وضم المهملة أي يدفعهن (ويغلبنه) أي للوقوع فيها (فيتقحمن فيها) أي يدخلن فيها بشدة ومزاحمة، قيل: التقحم هو الدخول في الشيء من غير روية ويعبر به عن الهلاك والقاء النفس في الهلاك، وقال الطيبي: التقحم الإقدام والوقوع في أمر شاق. (فأنا) الفاء فصيحة، أي إذا صح هذا التمثيل بأني كالمستوقد وأنتم كالفراش فيما ذكر فأنا (آخذ) قال النووي: يُروى على وجهين أحدهما اسم فاعل بكسر الخاء وتنوين الذال، والثاني فعل مضارع بضم الخاء والأول أشهر وهما صحيحان (بحجزكم) بضم الحاء وفتح الجيم بعدها زاي جمع الحجزة وهي معقد الإزار. ومن السراويل موضع التكة، قال الأبهري: ويجوز ضم الجيم في الجمع (عن النار) وإنما خص الحجز لأن محل الزنا الذي هو أفحش الفواحش تحتها، أو لأن أخذ الوسط أقوى وأوثق من الأخذ بأحد الطرفين في التبعيد كذا ذكره ابن الملك، والأول بعيد. (وأنتم تقحمون فيها) من باب التفعل بحذف إحدى التاءين، وفي نسخة صحيحة: «تقتحمون» من باب الافتعال (هذه) أي هذه الألفاظ، أو ما ذكر من أول الحديث إلى هنا، والتأنيث باعتبار الخبر، وفي نسخة «هذا»، أي هذا اللفظ. (رواية البخاري ولمسلم نحوها) أي رواية البخاري معنى، وفي شرح ابن حجر مثلها وهو غير صحيح رواية ودراية (وقال) أي مسلم (في آخرها) أي آخر روايته (قال:) أي النبي ﷺ (فذلك) أي المثل المذكور، (مثلي ومثلكم) قال ابن حجر: هذا تأكيد احتيج إليه لطول الكلام وإلا فهو معلوم من أوله كقوله: «أنا آخذ» اهـ. والظاهر أنه بيان للفرق بين الروايتين، وبيانه أن رواية البخاري: «فأنا آخذ» الخ ورواية مسلم: «فذلك مثلي ومثلكم أنا آخذ» الخ، وقوله: (أنا آخذ) بالوجهين (بحجزكم) أي للتبعيد (عن النار) وأقول: (هلم عن النار هلم عن النار) كرر لفرط الاهتمام، والمعنى: اسرعوا إليّ وابعدوا أنفسكم عن النار، قال الخليل: أصله لم، أي لم أنفسكم إلينا بالقرب منا وها للتنبيه، وإنما حذف ألفها لكثرة الاستعمال، وجعلا اسماً واحداً يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث في لغة أهل الحجاز وبها جاء القرآن، وقيل أصله: هل أم، أي هل لك في كذا أم بفتح الهمزة، أي قصد فركب الكلمتان، وفيه أنه لم يظهر وجه ضم اللام، وقيل: معناه أقرب إلينا وأبعد عن النار، فالخطاب عام، ومحل هلم نصب على الحال، أي آخذ بحجزكم وامنعكم قائلاً: هلم. (فتغلبوني) النون مشددة إذ أصله تغلبونني فأدغم نون الجمع في نون الوقاية، وأغرب ابن حجر حيث قال: بإدغام نون الرفع في نون التأكيد. اهـ. وروي بتخفيفها على حذف إحدى النونين، واختار الشاطبي حذف الأخيرة، قال الطيبي: الفاء للسببية على التعكيس كاللام في ﴿ليكون لهم عدواً﴾

تَقَحّمونَ فيها». متفق عليه.

١٥٠ ـ (١١) وعن أبي موسى، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَثَلُ ما بعثَني اللّهُ به من الهُدى والعِلم كمثَلِ الغَيثِ الكثير

(تقحمون) أي تتقحمون (فيها) وهو حال عن فاعل تغلبوني، وقيل: بدل مما قبله. قال الطيبي: وقد ضرب رسول الله ﷺ المثل بوقوع الفراش في النار لجهله بما يعقب التقحم فيها من الاحتراق ولتحقير شأنها، قال: وهذه الدواب كقوله تعالى: ﴿ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ [البقرة ـ ٢٦] وتخصيص ذكر الدواب والفراش لا يسمى دابة عرفاً لبيان جهلها كقوله تعالى: ﴿إن شر الدواب عند الله﴾ الآية [الأنفال ـ ٢٢] كل ذلك تعريض لطالب الدنيا المتهالك فيها جعل عليه الصلاة والسلام المهلكات نفس النار وضعا للسبب موضع المسبب كقوله تعالى: ﴿في بطونهم ناراً﴾ [النساء ـ ١٠] وشبه إظهاره بمحارم الله ونواهيه ببياناته الشافية الكافية من الكتاب والسنة باستيقاد الرجل النار، وشبه فشوّ ذلك الكشف في مشارق الأرض ومغاربها بإضاءة تلك النار ما حول المستوقد، وشبه الناس وعدم مبالاتهم بذلك البيان والكشف وتعديهم حدود الله وحرصهم على اللذات ومنع رسول الله ﷺ إياهم بأخذ حجزهم بالفراش التي يتقحمن في النار ويغلبن المستوقد، وكما أن غرض المستوقد هو انتفاع الخلق به من الاهتداء والاستدفاء وغير ذلك والفراش لجهلها جعلته سبباً لهلاكها، كذلك كان القصد بتلك البيانات اهتداء تلك الأمة واحتماءها عما هو سبب هلاكهم وهم مع ذلك لجهلهم جعلوها موجبة لترديهم، وفي قوله: «آخذ بحجزكم» استعارة مثلت حاله في منع الأمة عن الهلاك بحال رجل آخذ بحجزة صاحبه الذي يهوي في قعر بئر مردية (متفق عليه) [فيه أن هذا مستغنى عنه بما سبق، فإيراده لمجرد التأكيد على أن المراد بالاتفاق هنا بحسب المعنى في الأكثر].

١٥٠ ـ (وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم) الهدى الدلالة على الخير مطلقاً، أو الموصلة إلى الحق. ومن الأول قوله تعالى: ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ [فصلت ـ ١٧]، ومن الثاني قوله تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ [القصص ـ ٥٦] والمراد بالعلم هنا الظاهر والخفي، والهدى وسيلة إلى العلم فلذا قدمه. وفي العوارف العلم جملة موهبة من الله للقلوب، والمعرفة تمييز تلك الجملة والهدى وجدان القلوب ذلك، وقيل: العلم صفة توجب تمييزاً لا يحتمل النقيض، وعطفه على الهدى إما لرجوعه للنفس ورجوعها للغير، أو لأنها الدلالة والعلم المدلول، أو المراد منها الطريقة والعمل، ومن ثم ورد من: «ازداد علماً ولم يزدد هدى» أي قرباً من الله «لم يزدد من الله إلا بعداً» (كمثل الغيث) أي المطر الكثير، واختار اسم الغيث ليؤذن باضطرار الخلق إليه إذ جاءهم على فترة من الرسل، والغيث يحيي البلد الميت، والعلم يحيي القلب

الحديث رقم ١٥٠: أخرجه البخاري في الصحيح ١/ ١٧٥ حديث رقم ٧٩. وأخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٨٧ حديث رقم (١٥ ـ ٢٢٨٢). وأخرجه أحمد في المسند ٤/ ٣٩٩.

أصابَ أرضاً، فكانت منها طائفةٌ طيبة قَبِلت الماء، فأنبَتت الكلأ والعُشب الكثير، وكانت منها أجادبُ أمسكت الماء، فنفَع اللهُ بها الناسَ، فشربوا وسقَوا وزرَعوا،

الميت. (أصاب أرضاً) أي صالحة، والجملة صفة للغيث على تقدير أن تكون اللام فيه للجنس، أو زائدة ويجوز أن تكون حالاً. (فكانت منها) أي من تلك الأرض (طائفة) أي قطعة، ومنها صفة طائفة قدمت عليها فصارت حالاً (طيبة) أي غير خبيثة بسباخ ونحوه، قال النووي: طائفة طيبة كذا في جميع نسخ مسلم، ووقع في البخاري: «فكانت منها نقية» بنون فقاف مكسورة فتحتية مشددة، وهي بمعنى طيبة. اهـ. وقال ابن حجر: وروي غير ذلك مما لا يصح هنا. اهـ. وطيبة مرفوعة على أنها صفة طائفة، وقوله: (قبلت الماء) أي دخل الماء فيها للينها، منصوبة بخبر «كانت»، وقيل: هي منصوبة على أنها خبر «كانت» وقبلت الماء صفة لطيبة، ويجري هذا الخلاف في لفظ «أجادب». وقال ابن حجر: ورواية «قيلت» بالتحتية المشددة، قيل: لتصحيف، وقيل: صحيحة، ومعناه شربت من القيل وهو شرب بعض الأنهار. (فأنبتت الكلأ) بالهمزة مفتوحتين مقصوراً (والعشب الكثير) هما مع الحشيش اسماء للنبات، لكن الحشيش مختص باليابس والعشب بالضم، والكلأ مقصوراً مختصان بالرطب، والكلأ بالهمز على زنة جبل يقع على اليابس والرطب؛ فالكلأ بالهمز أنسب ليكون عطف الأخص على الأعم للاهتمام بشأنه. (وكانت منها) أي من الأرض الصالحة، أو من الأرض الطيبة (أجادب) كذا في رواية الجمهور بالجيم والدال المهملة بعدها باء موحدة جمع أجدب، وهي الأرض الصلبة التي تمسك الماء من الجدب وهو القحط، سماها أجادب لأنها لصلابتها لا تنبت. وفي رواية أبي ذر: «إخاذات» بكسر الهمزة والخاء والذال المعجمتين وآخره مثناة من فوق قبلها ألف جمع إخاذة، وهي الأرض التي تمسك الماء، قال ابن حجر: وصوبه بعضهم وروي أجاذب بجيم وذال معجمة، ومعناه قريب من الأول، وفيه روايات أخر مردودة. (أمسكت) أي تلك الأرض، أو الأجادب (الماء فنفع الله بها) أي بالأجادب، أو بتلك الأرض (الناس فشربوا وسقوا) أي دوابهم، قال ابن حجر: ويجوز أسقوا، قلت: لا يجوز لأنه غير وارد وتجويز اللغوي غير مراد (وزرعوا) قال النووي في جميع نسخ مسلم: «ورعوا من الرعي»، ووقع في البخاري «زرعوا» وكلاهما صحيح. اهـ. وفي جميع نسخ المشكاة «زرعوا» موافقاً لما في البخاري وهو الأولى بأن يكون أصلاً، وقال ابن حجر: «ورعوا» من الرعي، ورواية: «وزرعوا» قيل: تصحيف، وأجيب بأن المراد به زرعوا به غير تلك الأرض. اهـ. وفيه أنه لا يظهر ربط بين السؤال والجواب. ثم قال: وهذا بناء على أن رواية «رعوا» تشويش النشر لأن الشرب والسقي للقسم الثاني، والرعي للقسم الأول. قلت: لا مانع من أن يكون القسم الثاني جامعاً للثلاث مع أنه يلزم من حصول الزرع وصول[1] الرعي بخلاف العكس، وفيه إشارة إلى أن أهل القسم الثاني مرزوقون من جميع النعم منفقون على غيرهم فهم كاملون مكملون على ما يدل عليه قوله: «فنفع الله بها الناس»، بخلاف أهل القسم الأول

(١) في المخطوطة «حصول».

وأصابَ منها طائفةً أخرى، إنما هي قيعانٌ لا تمسِكُ ماءً، ولا تُنبتُ كلأً. فذلك مَثَلُ من فقُهَ في دينِ الله ونفَعه ما بعثَني اللهُ به فعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ من لم يرفعْ بذلك رأساً، ولم يقبلْ هُدى اللهِ الذي أُرسلتُ به».

ويكون التقسيم ترقياً ثم تدلياً. **(وأصاب)** أي الغيث **(منها)** أي من الأرض **(طائفة)** أي قطعة **(أخرى إنما هي)** تلك الطائفة **(قيعان)** بكسر القاف جمع قاع وهي الأرض المستوية **(لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ)** لأنها سبخة **(فذلك)** أي المذكور من أنواع الأرض **(مثل من فقه)** بضم القاف وكسرها والمشهور الضم إذا فهم وأدرك الكلام، والضم أجود لدلالته على أن الفقه الشرعي صار سجية له. **(في دين الله ونفعه الله بما بعثني الله به)** أي بالعمل **(فعلم وعلّم)** بتشديد اللام، هذا مثل الطائفة الأولى التي قبلت الماء وأنبتت الكلأ، فقبول الماء إشارة إلى العلم وإنبات الكلأ إشارة إلى التعليم كذا قاله ابن الملك. **(ومثل من لم يرفع بذلك)** أي بما بعثني الله به **(رأساً)** أي للتكبر كما في نسخة، يقال: لم يرفع فلان رأسه بهذا، [أي] لم يلتفت إليه من غاية تكبره، قال ابن الملك: عدم رفع رأسه بالعلم كناية عن عدم الانتفاع به لعدم العمل، أو الإعراض عنه إلى حطام الدنيا، وهذا مثل الطائفة التي لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ. **(ولم يقبل هدى الله)** بضم الهاء وفتح الدال **(الذي أرسلت به)** قال الطيبي: عطف تفسيري، وفي الحديث إشارة إلى أن الاستعدادات ليست بمكتسبة بل هي مواهب ربانية وكمالها أن تستفيض من مشكاة النبوة فلا خير فيمن يشتغل بغير الكتاب والسنة، وإن الفقيه من علم وعمل. قال المظهر: ذكر في تقسيم الأرض ثلاثة، وفي تقسيم الناس قسمين من فقه ومن أبى ولم يرفع، وذلك لأن القسم الأول والثاني من الأرض كقسم واحد من حيث إنه منتفع به، وكذلك الناس قسمان من يقبل العلم وأحكام الدين ومن لم يقبلهما، وأما في الحقيقة فالناس على ثلاثة أقسام: أحدها من يقبل بقدر ما يعمل به ولا يبلغ درجة الفتوى والتدريس، وثانيها من يبلغهما، وثالثها من لا يقبل العلم، قال الطيبي: اتفق الشارحون على الوجه الثاني، والحديث ينصر الأول، فعلى هذا ذكر في الحديث الطرفان العالي في الاهتداء والغالي في الضلال، وترك قسمان من انتفع بالعلم في نفسه ومن لم ينتفع في نفسه ولكن نفع في غيره. اهـ. وجعل الخطابي القسمة ثنائية بجعل العلماء قسماً والجهلاء قسماً، وقال النووي: دلالة اللفظ على كون الناس ثلاثة أنواع غير ظاهرة. اهـ.

وخالفهم ابن حجر وجعل القسمة ثلاثية، وأغرب حيث[1] [جعل] القسم الأول أفضلها مع أن التشبيه بالأرض[2] لا يساعده، ثم أخطأ في اجتهاده حيث جعل الطبقة العليا منحصرة في الفقهاء، وجعل بقية العلماء من المحدثين والقرّاء وغيرهم في الطبقة السفلى وجعلهم كالأتباع للطائفة الأولى، والصواب أن كل من فاق أقرانه في فن من العلوم الشرعية من غير اختصاص بالفروع الفقهية فهو من الأئمة المجتهدين والعلماء الراسخين الكاملين المكملين، فكأنه ذهل

---

(١) في المخطوطة «حيث. حيث».

(٢) في المخطوطة «الأراضي».

متفق عليه.

١٥١ ـ (١٢) وعن عائشة، قالت: تلا رسولُ الله ﷺ: ﴿هو الذي أنزلَ عليكَ الكِتابَ منهُ آياتٌ محكَماتٌ﴾، وقرأ إلى: ﴿وما يذَّكرُ إلا أولو الألبابِ﴾ قالت: قال رسولُ الله

عن قول حجة الإسلام الغزالي: ضيعت قطعة من العمر العزيز في تصنيف البسيط والوسيط والوجيز لكنه كما قال تعالى: ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ [البقرة ـ ٦٠] و ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ [المؤمنون ـ ٥٣] فالأظهر كلام المظهر في هذا المقام والله أعلم بالمرام. ثم لا يخفى ما في التشبيه من اللطافة حيث جعل العلم الحاصل بسبب الوحي مشبهاً بالماء النازل من السماء، ثم إنه عليه الصلاة والسلام من حيث إنه قاسم وواسطة في إيصال الفيض من الحق إلى الخلق مشبه بالسحاب العام لجميع العالم، وقلوب العباد مشبهة بالأراضي المختلفة؛ فالأول من تشبيه المعقول بالمحسوس [وغيره من قبيل المحسوس بمثله] ومنه قوله تعالى: ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً﴾ [الأعراف ـ ٥٨] ثم الخبيث كأنه مقتبس من قوله تعالى: ﴿أنزل من السماء﴾ الآية، وقد قيل على ما في البغوي قوله: ﴿أنزل من السماء ماء﴾ [البقرة ـ ٢٢٥] هذا مثل للقرآن، والأودية مثل للقلوب، يريد ينزل القرآن فتحتمل منه القلوب على قدر اليقين والعقل والشك والجهل، وقال الواسطي: ﴿فاحتمل السيل زبداً رابياً﴾ رؤيتك لأعمالك ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء﴾ [آل عمران ـ ٧] عند أهل التوحيد، ﴿وأما ما ينفع الناس﴾ فهو اليقين. (متفق عليه).

١٥١ ـ (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب﴾) أي القرآن (﴿منه﴾) أي بعضه (﴿آيات محكمات﴾) وهي ما أمن من احتمال التأويل كالنصوص الدالة على ذاته وصفاته [(وقرأ إلى ﴿وما يذكر إلا أولو الألباب﴾) يحتمل الاختصار في الذكر من عائشة، أو ممن دونها، والتتمة] ﴿هن﴾ أي تلك الآيات ﴿أم الكتاب﴾ أي أصله ﴿وأخر﴾ أي آيات أخر ﴿متشابهات﴾ المتشابه ما بلغ في الخفاء غايته ولا يرجى معرفته كقوله: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ [الفتح ـ ١٠] ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ أي ميل عن اتباع الحق إلى الباطل ﴿فيتبعون ما تشابه منه﴾ أي يبحثون فيه ﴿ابتغاء الفتنة﴾ أي تطلب الفتنة، يعني إيقاع الشك والخصومة بين المسلمين ﴿وابتغاء تأويله﴾ لاستنباط معانيه ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ المذهب الصحيح الوقف عليه ﴿والراسخون﴾ مبتدأ، أي الثابتون في العلم أي في علم الدين ﴿يقولون آمنا به﴾ أي بالمتشابه، ووكلنا علمه إلى عالمه كما قال الإمام مالك لما سئل عن الاستواء: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ﴿كل﴾ أ[ي]

الحديث رقم ١٥١: أخرجه البخاري في الصحيح ٨/ ٢٠٩ حديث رقم ٤٥٤٧. وأخرجه مسلم صحيحه ٤/ ٢٠٥٣ حديث رقم (١ ـ ٢٦٦٥). وأخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٦ حديث رقم ٤٥٩٨. وأخرجه ابن ماجة ١/ ١٨ حديث رقم ٤٧. والدارمي في السنن ١/ ٦٦ حديث رقم ١٤٥.

ﷺ: «فإذا رأيت ـ وعند مسلم: رأيتم ـ الذين يتبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سمّاهم الله، فاحذروهم».

من المحكم والمتشابه ﴿من عند ربنا﴾ أي نزل من عنده وهو حق وصواب وحكمة وقوع المتشابه فيه إعلام للعقول بقصورها لتستسلم لبارئها وتعترف بعجزها وتسلم من الغرور والعجب والتكبر والتعزز ﴿وما يذكر﴾ أي يتعظ وينتفع بما فيه من الموعظة ﴿إلا أولو الألباب﴾ [الرعد ـ ١٧] أي أصحاب العقول السليمة من علل الخواطر السقيمة. (قالت: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيت») بفتح التاء على الخطاب العام، أي أيها الرائي. وحُكي بالكسر على أن الخطاب لعائشة وإن كان المراد عاماً (وعند مسلم رأيتم) وهو يؤيد الأوّل (الذين يتبعون ما تشابه منه) يحتمل أن يكون المراد بهم الذين يقتصرون على تتبع المتشابه ويحتمل الإطلاق سد الباب (فأولئك) بفتح الكاف وقيل بالكسر (الذين سماهم الله) أهل الزيغ أو زائغين بقوله: ﴿في قلوبهم زيغ﴾ (فاحذروهم) أي لا تجالسوهم ولا تكالموهم [أيها المسلمون]، قال الطيبي: وقع في صحيح البخاري، وفي بعض نسخ المصابيح: «رأيت» بفتح التاء على الخطاب العام ولهذا جمعه في فاحذروهم، وفي بعضها بكسر التاء على خطاب أم المؤمنين عائشة بياناً لشرفها وغزارة علمها كما يقال: يا فلان افعلوا كيت وكيت لرئيس القوم إظهاراً لشرفه وتقدمه، ومنه قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ [الطلاق ـ ١]. ا هـ. وتبعه ابن حجر، وفيه أن هذا التحقيق يستدعي حضور قوم معها، ويمكن أن يحمل خطاب المذكر والجمع على تعظيمها تنزيلاً لها منزلة الرجال لكمال عقلها كقوله تعالى: ﴿وكانت من القانتين﴾ [التحريم ـ ١٢] والله أعلم. قال النووي حذر رسول الله ﷺ عن اختلاف يؤدي إلى الكفر والبدعة كاختلاف اليهود والنصارى، وذلك مثل الاختلاف في نفس القرآن. أو في معنى لا يسوغ الاجتهاد فيه، أو فيما يوقع في شك وشبهة وفتنة وخصومة، وأما الاختلاف لاستنباط فروع في الدين منه ومناظرة أهل العلم فيه على سبيل الفائدة وإظهار الحق فليس بمنهي عنه، بل هو مأمور به وفضيلته ظاهرة وقد أجمع المسلمون عليه من عهد الصحابة إلى الآن. ا هـ. وقال ابن حجر: هذا بناء على ما عليه الجمهور من الوقف على الجلالة ليفيد إن علم المتشابه على حقيقة ما هو عليه مختص بالله تعالى، ولا ينافي هذا جعل ابن عباس والآخرين الوقف على العلم المفيد أن الراسخين فيه يعلمون تأويل المتشابه لأنهم وإن علموه لم يدركوا حقيقته المرادة لله تعالى منه، وإنما علموه بصرف ظاهره عن الله تعالى لاستحالته بلا خلاف بين الفريقين. ومن ثم اتفق السلف والخلف على تنزيه الله تعالى عن ظواهر المتشابهات المستحيلة على الله تعالى، ثم اختلفوا بعد فأمسك أكثر السلف عن الخوض في تعيين المراد من ذلك المتشابه وفوّضوا علمه إلى الله تعالى، وهذا أسلم لأن من أوّل لم يأمن من أن يذكر معنى غير مراد له تعالى فيقع في ورطة التعيين وخطره، وخاض أكثر الخلف في التأويل لكن غير جازمين بأن هذا مراد الله تعالى من تلك النصوص، وإنما قصدوا بذلك صرف العامة عن اعتقاد ظواهر المتشابه والرد على المبتدعة المتمسكين بأكثر تلك الظواهر الموافقة لاعتقاداتهم الباطلة، وقال الشافعي: لا يحل تفسير المتشابه إلا بسند عن رسول الله ﷺ، أو خبر عن أحد من الصحابة، أو إجماع العلماء.

متفق عليه.

١٥٢ - (١٣) وعن عبد الله بن عمرو، قال: هجّرتُ إلى رسول الله ﷺ يوماً، قال: فسمع أصوات رجُلَين اختلَفا في آية، فخرج علينا رسولُ الله ﷺ يُعْرَفُ في وجهه الغضبُ، فقال: «إنما هَلَكَ مَنْ كان قبْلَكم باختلافهم في الكِتاب». رواه مسلم.

١٥٣ - (١٤) وعن سعد بن أبي وقاص،

(متفق عليه).

١٥٢ - **(وعن عبد الله بن عمرو)** بالواو رضي الله عنهما **(قال: هجّرت)** بالتشديد، أي أتيت في الهاجرة، أي الظهيرة **(إلى رسول الله ﷺ)** قال المظهر: التهجير السير في الهاجرة، وهي وقت شدة الحرّ، ولعل خروجه في هذا الوقت ليدركه عليه الصلاة والسلام عند خروجه من الحجرة فلا يفوته شيء من أقواله وأفعاله، وفيه حث على تحمل المشقة والإسراع إلى المسجد وطلب العلم. **(يوماً)** أي من الأيام، أو التنوين للتعظيم **(قال:)** أي عبد الله **(فسمع)** أي النبي ﷺ من حجرته **(أصوات رجلين)** صرح الرضي بأنه إذا أضيف الجزآن إلى متضمنيهما، وكان المتضمنان بلفظ واحد فلفظ الإفراد في المضاف أولى من لفظ المثنى، ولفظ الجمع فيه أولى من الإفراد، لكن في عد الأصوات أجزاء منهما[1] [محل] نظر. والظاهر أن جمع الأصوات على حقيقته؛ فإن كل حرف من كلمات الرجلين صوت معتمد على مخرجه، وفي تفسير الجلالين عند قوله تعالى: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ [التحريم - ٤] أطلق قلوب على قلبين ولم يعبر به لاستثقال الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة. **(اختلفا)** صفة رجلين، أي تنازعا واختصما **(في آية)** أي في معنى آية متشابهة، ويحتمل أن يكون اختلافهما في لفظها اختلاف قراءة **(فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف)** على بناء المجهول **(في وجهه الغضب)** الجملة حالية من فاعل «خرج»، وكان عليه الصلاة والسلام لا يغضب لنفسه وإنما كان يغضب لله فيشتد به ذلك الغضب حتى يرى أثره من حمرة اللون ونحوها في وجهه الكريم. **(فقال: إنما هلك من كان قبلكم)** أي من اليهود والنصارى **(باختلافهم في الكتاب)** أي المنزل على نبيهم بأن قال كل واحد منهم ما شاء من تلقاء نفسه، وتقدم في كلام النووي بيان الاختلاف المنهي **(رواه مسلم)**.

١٥٣ - **(وعن سعد بن أبي وقاص)** رضي الله عنه هو من العشرة المبشرة بالجنة، يكنى أبا

الحديث رقم ١٥٢: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٠٥٣ حديث رقم (٢ - ٢٦٦٦).

(١) في المخطوطة «منه».

الحديث رقم ١٥٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/٢٦٤ حديث رقم ٧٢٨٩. وأخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٨٣١ حديث رقم (١٣٢ - ٢٣٥٨). وأخرجه أبو داود في السنن ٥/١٦ حديث رقم ٤٦١٠ وأخرجه أحمد في المسند ١/١٧٩.

قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أعظمَ المسلمين في المسلمين جُرْماً مَنْ سأل عن شيء لم يُحَرَّمْ على الناس، فحُرِّمَ من أجْلِ مسألتِه». متفق عليه.

١٥٤ ـ (١٥) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يكونُ في آخرِ الزمان دجَّالون

إسحاق، واسم أبي وقاص مالك بن وهيب الزهري القرشي، أسلم قديماً وهو ابن سبع عشرة سنة، وقال: كنت ثالث الإسلام وأوّل من رمى بسهم في سبيل الله، شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، وكان مجاب الدعوة مشهوراً بذلك تخاف دعوته وتُرجى لاشتهار إجابتها عندهم وذلك أن رسول الله ﷺ قال فيه: اللهم سدد سهمه وأجب دعوته، وجمع له رسول الله ﷺ وللزبير أبويه فقال لكل واحد منهما: فداك أبي وأمي ولم يقل ذلك لأحد غيرهما، مات في قصره بالعقيق قريباً من المدينة، فحمل على رقاب الرجال إلى المدينة، وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة، ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين وله بضع وسبعون سنة وهو آخر العشرة موتاً. ولاه عمر وعثمان الكوفة، روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين. (قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعظم المسلمين في المسلمين) أي في حقهم وجهتهم (جرماً) تمييز، أي ذنباً وظلماً كائناً فيهم، قال الطيبي: أصله أجرم المسلمين فعدل إلى أعظم، ثم فسر بجرماً ليدل على أن الأعظم نفسه جرم. (من سأل) أي نبيه (عن شيء) بالتنكير (لم يحرم) بصيغة المجهول من التحريم (على الناس) الجملة صفة شيء بأن يسأل هل هو حرام أم لا؟ (فحرّم من أجل مسألته) أي فحرّم ذلك الشيء لأجل سؤاله لأنه متعد في سؤاله إذ أمر بالسكوت ونهي عن النطق، فعوقب بتحريم ما سأل عنه كذا قاله بعض الشراح، وقال الطيبي: هذا في حق من سأل عبثاً وتكلفاً فيما لا حاجة به إليه كمسألة بني إسرائيل في شأن البقرة دون من يسأل سؤال حاجة فإنه يثاب، واحتج بهذا الحديث من قال: أصل الأشياء الإباحة قبل ورود الشرع حتى يقوم دليل الحظر، وقال ابن الملك: لأنه إن سكت عليه الصلاة والسلام عن جوابه يكون ردعاً لسائله، وإن أجاب عنه كان تغليظاً له، فيكون بسببه تغليظاً على غيره، وإنما كان أعظم جرماً لتعدي جنايته إلى جميع المسلمين بشؤم لجاجه وأما من سأل لاستبانة حكم واجب أو مندوب أو مباح قد خفي عليه فلا يدخل في هذا الوعيد، قال تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [النحل ـ ٤٣] (متفق عليه) قيل: لفظ «في المسلمين» ليس للبخاري وكذا لفظ «على الناس».

١٥٤ ـ (وعن أبي هريرة) رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: يكون في آخر الزمان) أي آخر زمان هذه الأمة (دجالون) من الدجل، وهو التلبيس جمع الدجال وهو كثير المكر والتلبيس، أي الخداعون يعني: سيكون جماعة يقولون للناس: نحن علماء ومشايخ ندعوكم

الحديث رقم ١٥٤: أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه ١/ ١٢ حديث رقم (٧.٧) وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٤٩.

كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم».

إلى الدين وهم (كذابون) في ذلك (يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم) أي يتحدثون بالأحاديث الكاذبة. ويبتدعون أحكاماً باطلة واعتقادات فاسدة. ا هـ. كلام المظهر، ويجوز أن تحمل الأحاديث على المشهور عند المحدثين فيكون المراد بها الموضوعات، وأن يراد ما بين الناس، أي[1] يحدثونكم بالذي ما سمعتم عن السلف من علم الكلام، قال في شرح السنة: اتفق علماء السلف من أهل السنة على النهي عن الجدال في الصفات، وعن الخوض في علم الكلام وتعلمه، قال مالك: إياكم والبدع، قيل: وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون، ولو كان الكلام علماً لتكلموا فيه كما تكلموا في الأحكام. وسئل سفيان الثوري عن الكلام، فقال: دع الباطل أين أنت من الحق اتبع السنة ودع البدعة، وقيل: وجدت الأمر في الإتباع، وقال: عليكم بما عليه الجمالون والنساء في البيوت والصبيان في الكتاب من الإقرار والعمل؛ وقال الشافعي: لأن يبتلى الرجل بما نهى الله عنه خلا الشرك بالله خير من أن يبتلى بالكلام، وقال مرة أخرى: لأن ألقى الله بكل ذنب ما خلا الشرك بالله أهون من أن ألقاه بمسألة في علم الكلام، وقال: رأيي وحكمي في أهله أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في الأسواق، أو في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واشتغل بالكلام، فإن قلت كيف الجمع بين هذا وبين قول الإمام النووي فيما سبق: إن علم الكلام من البدعة الواجبة؟ أجيب: بأن الوجوب من حيث الضرورة من غلوّ المبتدعة والملحدة فحينئذ وجب على المسلمين دفعهم والمحذور جعله صنعة وعادة، ولهذا كان تعلم علم الكلام من فروض الكفايات كسائر الصناعات المباحة كذا ذكره الطيبي. وقد ألف الإمام الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله رسالة في تحريم المنطق والكلام، وفيها استيفاء الكلام على وجه التمام. (فإياكم) أي أبعدوا أنفسكم عنهم (وإياهم) أي بعدوهم عنكم (لا يضلونكم) استئناف جواب لقائل لم نبعدهم؟ لئلا يضلوكم فحذف الجار والناصب فعاد الفعل إلى الرفع كذا ذكره بعضهم، وقال الطيبي: كأنه قيل: ماذا يكون بعد الحذر؟ فأجيب: لا يضلونكم. ا هـ. قال ابن حجر: نظيره قوله تعالى: ﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل [إذا اهتديتم]﴾ [المائدة - ١٠٥] على قراءة الرفع. ا هـ. وفيه أنه إن أراد بقوله على قراءة الرفع قراءة الجمهور فهو ليس صريحاً في المقصود، فإنه يحتمل الرفع على أنه مستأنف، ويؤيده إن قرىء ﴿لا يضركم﴾ ويحتمل الجزم على الجواب، أو النهي والقياس الفتح، لكنه ضمت الراء اتباعاً لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة، وينصره قراءة من قرأ ﴿لا يضركم﴾ بفتح الراء، وإن أراد بالرفع اثبات النون فهو غير محفوظ والله أعلم. مع أنه من لغة أكلوني البراغيث، أو نقول هو خبر في معنى النهي مبالغة فيكون تأكيداً للأمر بالحذر، ولا يجوز أن يكون جواب الأمر لوجود النون (ولا يفتنونكم)

---

(١) في المخطوطة «أن».

رواه مسلم.

١٥٥ ـ (١٦) وعنه، قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانيّة، ويفسّرونها بالعربيّة لأهل الإسلام. فقال رسولُ الله ﷺ: «لا تُصَدِّقوا أهلَ الكتابِ ولا تُكذِّبوهم، و ﴿قولوا آمنّا باللهِ وما أُنزل إلينا﴾» الآية. رواه البخاري.

١٥٦ ـ (١٧) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كفى بالمرءِ كذِباً أن يُحَدِّث بكل ما سمع». رواه مسلم.

أي لا يوقعونكم في الفتنة، وهي الشرك قال تعالى: ﴿والفتنة أشد من القتل﴾ [البقرة ـ ١٩١] أو يراد بها عذاب الآخرة قال تعالى: ﴿ذوقوا فتنتكم﴾ [الذاريات ـ ١٤] (رواه مسلم).

١٥٥ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال: كان أهل الكتاب) أي اليهود (يقرؤون التوراة بالعبرانية) بكسر العين (ويفسرونها) أي يترجمونها (بالعربية لأهل الإسلام) أعم ممن آمن منهم أو من غيرهم (فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا) أي فيما لم يتبين لكم صدقة لاحتمال أن يكون كذباً وهو الظاهر من أحوالهم (أهل الكتاب) أي اليهود والنصارى لأنهم حرفوا كتابهم (ولا تكذبوهم) أي فيما حدثوا من التوراة والإنجيل ولم يتبين لكم كذبه لاحتمال أن يكون صدقاً وإن كان نادراً؛ لأن الكذوب قد يصدق، وفيه إشارة إلى التوقف فيما أشكل من الأمور والعلوم، فلا يقضي بجواز ولا بطلان وعليه السلف، وكانوا يقولون: لا أدري فيما يسألون عنه من ذلك ومن ثم قالوا: من أخطأ لا أدري أصيبت مقاتلة. (﴿وقولوا آمنا بالله﴾) أي صدقنا معترفين به، أو موقنين به (﴿وما أنزل إلينا﴾) من القرآن (الآية) تمامها ﴿وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى﴾ أي من التوراة والإنجيل، وهذا محل الشاهد. والمقصود رفع النزاع، يعني: نؤمن إيماناً إجمالياً ﴿وما أوتي النبيون من ربها﴾ تعميم بعد تخصيص ﴿لا نفرق بين أحد منهم﴾ أي في الإيمان بهم وبكتبهم ﴿ونحن له﴾ أي لله، أو لما أنزل ﴿مسلمون﴾ [البقرة ـ ١٣٦] أي مطيعون أو منقادون (رواه البخاري).

١٥٦ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء) مفعول كفى والباء زائدة (كذباً) تمييز وهو بفتح الكاف وكسر الذال، ويجوز كسر الكاف وسكون الذال، وفي رواية «إثماً» بدل «كذباً» (أن يحدث) فاعل كفى (بكل ما سمع») يعني لو لم يكن للمرء كذب إلا تحديثه بكل ما سمع من غير تيقن أنه صدق أم كذب لكفاه من الكذب أن لا يكون بريئاً منه، وهذا زجر عن التحديث بشيء لم يعلم صدقه بل على الرجل أن يبحث في كل ما سمع خصوصاً في أحاديث النبي ﷺ، ولذا ورد هذا الحديث في باب الاعتصام. (رواه مسلم).

الحديث رقم ١٥٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٥١٦ حديث رقم ٧٥٤٢.

الحديث رقم ١٥٦: أخرجه مسلم في صحيحه في المقدمة ١/ ١٠ حديث رقم (٥ ـ ٥).

١٥٧ ـ (١٨) وعن ابن مسعود، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما من نبيّ بعثه اللهُ في أمّتِه قبلي إلا كان له في أمّتِهِ حَوارِيُّون وأصحابٌ يأخُذون بسُنَّتِه، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلُفُ من بعدهم خُلوفٌ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يُؤمرون،

---

١٥٧ ـ (وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ما من نبي) زيادة «من» لاستغراق النفي، وهو يحمل على الغالب لأنه جاء في حديث: «أن نبياً يجيء يوم القيامة ولم يتبعه من أمته إلا واحد» (بعثه الله في أمته) وفي نسخة أمة (قبلي) قيل: على رواية «أمته» بالهاء يتعلق «قبلي» ببعث، أو يكون حالاً من أمته، وعلى رواية «في أمة» يكون «قبلي» صفة لأمة. قال التوربشتي: نحن نروي من كتاب مسلم وغيره في أمة بغير هاء، وفي بعض نسخ المصابيح بالهاء بعد التاء، والأول هو الصواب والأمثل في فصيح الكلام. قال المؤلف: وقد وجدت في كتاب الحميدي والجامع والمشارق بغير هاء، وفي صحيح مسلم كما في المصابيح، وقال المظهر: الرواية بالهاء أصح، قيل: قوله «نبي» نكرة، والمناسب أن يؤتى بأمة نكرة إذ المعنى ما من نبي من الأنبياء في أمة من الأمم لاقتضاء ما النافية، ومن الاستغراقية ذلك، ولأن قوله: (إلا كان له من أمته) وفي نسخة صحيحة: «في أمته» عبارة عن النكرة، فهو كالتعريف باللام بعد النكرة. (حواريون) بتشديد الياء وخفف في الشواذ، أي ناصرون. قال الطيبي: أطاب الله ثراه جواري الرجل صفوته وخالصته الذي أخلص ونفي من كل عيب. وقيل: صاحب سره سمي بذلك لخلوص نيته وصفاء طويته من الحور بفتحتين وهو شدة البياض، وقيل: الحواري القصار بلغة النبط، وكان أصحاب عيسى قصارين لأنهم يحوّرون الثياب، أي يبيضونها فغلب عليهم الاسم. ثم استعير لكل من ينصر نبياً ويتبع هداه حق أتباعه تشبيهاً بأولئك. (وأصحاب) يحتمل أن يكون عطفاً تفسيرياً، وأن يكون الأصحاب غير الحواريين أعم منهم (يأخذون بسنته) أي بهديه وسيرته (ويقتدون بأمره) أي يتبعونه في أمره ونهيه (ثم) إما على الحقيقة في التراخي الزماني، وإما على معنى البعد في المرتبة (إنها) الضمير للقصة (تخلف) بضم اللام، أي تحدث (من بعدهم خلوف) بضم الخاء جمع خلف بسكون اللام مع فتح الخاء، الردي، من الأعقاب، أو ولد السوء كعدل وعدول، قال تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات﴾ [مريم ـ ٥٩] والخلف بفتحتين يجمع على أخلاف كما يقال سلف وأسلاف. وهو الصالح منهم، (يقولون ما لا يفعلون) وصف الخلوف بأنهم متصفون ومتمدحون بما ليس عندهم حيث يقولون: فعلنا ما أمرنا ولم يفعلوا شيئاً من ذلك، بل فعلوا ما نهوا عنه، وهو المعنى بقوله: (ويفعلون ما لا يؤمرون) وهو إيماء إلى قوله تعالى: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾ [آل عمران ـ ١٨٨] وقوله عزّ وجلّ: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله

الحديث رقم ١٥٧: أخرجه مسلم في صحيحه ١/٦٩ حديث رقم (٨٠ ـ ٥٠). وأخرج بعضه أحمد في المسند ١/٤٥٨.

فَمن جاهدهم بيدِه فهو مؤمنٌ، ومن جاهدهم بِلسانِه فهو مؤمنٌ، ومن جاهدهم بقلبِه فهو مؤمنٌ، وليس وراءَ ذلك من الإيمان حَبَّةُ خردلٍ». رواه مسلم.

١٥٨ ـ (١٩) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ دعا إلى هُدًى كان له من الأجرِ مثلُ أجورِ من تبِعه، لا يَنقصُ ذلك من أجورهم شيئاً. وَمن دَعا إلى ضلالةٍ،

أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ [الصف ـ ٣] وأما السلف الصالح فإنهم لما اقتدوا بسنة سيد المرسلين وسيرة إمام المتقين ﷺ انخرطوا في سلك الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (**فمن جاهدهم**) جزاء شرط محذوف، أي إذا تقرر ذلك فمن حار بهم وأنكر عليهم (**بيده فهو**) بضم الهاء وتسكن (**مؤمن**) بالهمزة ويبدل (**ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم**) أي أنكر عليهم (**بقلبه**) بأن يغضب عليهم ولو قدر لحاربهم باليد أو باللسان (**فهو مؤمن**) قيل: التنكير في مؤمن للتنويع فإن الأول دل على كمال الإيمان، والثالث على نقصانه، والثاني على القصد فيه (**وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**») هي اسم ليس، ومن الإيمان صفته، قدمت فصارت حالاً، ووراء ذلك خبره، ثم ذهب المظهر إلى أن ذلك إشارة إلى الإيمان في المرتبة الثالثة، ويحتمل أن يشار به إلى الإيمان في المراتب الثلاث من مراتب الإيمان، فإنه إن لم ينكر بالقلب رضي بالمنكر وهو كفر، فتكون هذه الجملة المصدرة بليس معطوفة على الجملة قبلها بكمالها كذا قاله الطيبي. والأول هو الظاهر، أي وراء الجهاد بالقلب، يعني من لم ينكرهم بالقلب بعد العجز عن جهادهم بيده ولسانه فلم يكن فيه حبة خردل من الإيمان، لأن أدنى مراتب أهل الإيمان أن لا يستحسن المعاصي وينكرها بقلبه، فإن لم يفعل ذلك فقد خرج عن دائرة الإيمان ودخل فيمن استحل محارم الله واعتقد بطلان أحكامه. (**رواه مسلم**).

١٥٨ ـ (**وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: من دعا إلى هدى**) قال الطيبي: الهدى إما الدلالة الموصلة أو مطلق الدلالة، والمراد هنا ما يهدى به من الأعمال الصالحة وهو بحسب التنكير شائع في جنس ما يقال هدى، فأعظمه هدى من دعا إلى الله وعمل صالحاً، وأدناه هدى من دعا إلى إماطة الأذى عن طريق المسلمين. (**كان له**) أي للداعي (**من الأجر مثل أجور من تبعه**) فعمل بدلالته أو امتثل أمره (**لا ينقص**) بضم القاف (**ذلك**) إشارة إلى مصدر كان كذا قيل، والأظهر أنه راجع إلى الأجر (**من أجورهم شيئاً**) قال ابن الملك: هو مفعول به، أو تمييز بناء على أن النقص يأتي لازماً ومتعدياً. اهـ. والظاهر إن يقال إن شيئاً مفعول به، أي شيئاً من أجورهم، أو مفعول مطلق، أي شيئاً من النقص (**ومن دعا إلى ضلالة**) أي من أرشد

الحديث رقم ١٥٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٦٠ حديث رقم (١٦ . ٢٦٧٤). وأخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٥ حديث رقم ٤٦٠٩. وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٤٣ حديث رقم ٢٦٧٤. وابن ماجة ١/ ٧٥ حديث رقم ٢٠٦ والدارمي في مقدمة سننه ١/ ١٤١ حديث رقم ٥١٣ وأحمد في المسند ٢/ ٣٩٧.

كان عليه من الإثم مثلُ آثام من تبِعه، لا ينقصُ ذلك من آثامهم شيئاً». رواه مسلم.

١٥٩ ـ (٢٠) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بدأ الإسلامُ غريباً، وسيعودُ كما بدأ،

غيره إلى فعل إثم وإن قل أو أمره به أو أعانه عليه (كان عليه) وفي نسخة «له»، فاللام للاختصاص، أو للمشاكلة من الإثم. (مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً») قال القاضي: أفعال العباد وإن لم تكن موجبة للثواب والعقاب إلا أن عادة الله سبحانه جرت بربطها بها ارتباط المسببات بالأسباب، وفعل العبد ماله تأثير في صدوره بوجه، فكما يترتب الثواب والعقاب على ما يباشره يترتب أيضاً على ما هو مسبب عن فعله، كالإشارة إليه والحث عليه، ولما كانت الجهة التي استوجب بها المسبب الأجر غير الجهة التي استوجب بها المباشر لم ينقص أجره من أجره شيئاً. اهـ. وبهذا يعلم أن له ﷺ من مضاعفة الثواب بحسب تضاعف أعمال أمته مما لا يعد ولا يحد، وكذا السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وكذا بقية السلف بالنسبة إلى الخلف، وكذا العلماء المجتهدون بالنسبة إلى أتباعهم، وبه يعرف فضل المتقدمين على المتأخرين في كل طبقة وحين. قال ابن حجر: تنبيه لو تاب الداعي للإثم وبقي العمل به فهل ينقطع اثم دلالته بتوبته لأن التوبة تجب ما قبلها أولاً لأن شرطها رد الظلامة والإقلاع وما دام العمل بدلالته موجوداً فالفعل منسوب إليه فكأنه لم يرد ولم يقلع كل محتمل ولم أر في ذلك نقلاً والمنقدح الآن الثاني. اهـ. والأظهر الأول، وإلا فيلزم أن نقول بعدم صحة توبته [وهذا لم يقل به أحد] ثم رد المظالم مقيداً بالممكن وإقلاع كل شيء بحسبه حتماً، وأيضاً استمرار ثواب الإتباع مبني على استدامة رضا المتبوع به، فإذا تاب وندم انقطع كما أن الداعي إلى الهدى إن وقع في الردى نعوذ بالله منه انقطع ثواب المتابعة له، وأيضاً كان كثير من الكفار دعاة إلى الضلالة وقبل منهم الإسلام لما «أن الإسلام يجبّ ما قبله» فالتوبة كذلك بل أقوى فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له. (رواه مسلم).

١٥٩ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال: قال رسول الله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً) في الأزهار: بدا بلا همزة، أي ظهر لكن قال النووي: ضبطناه بالهمزة من الابتداء كذا نقله الأبهري، وفي شرح الطيبي قال محيي السنة: بدأ بالهمزة من الابتداء كذا ضبطناه، قال التوربشتي: يريد أن الإسلام لما بدأ في أول الوهلة نهض بإقامته والذب عنه ناس قليلون من الصحابة فشردوهم عن البلاد فأصبحوا غرباء، أو فيصبح أحدهم معتزلاً مهجوراً كالغرباء ثم يعود آخراً إلى ما كان عليه لا يكاد يوجد من القائلين[1] به إلا الإفراد، وهذا معنى قوله: (وسيعود) أي في آخر الزمان (كما بدأ) ويحتمل أن تكون المماثلة بين الحالة الأولى والأخيرة لقلة من كانوا يتدينون به في الأول وقلة من كانوا يعملون به في الآخر

الحديث رقم ١٥٩: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٣٠ حديث (٢٣٢ . ١٤٥) وأخرجه الترمذي ٥/ ١٩ حديث رقم (٢٦٢٩) وابن ماجة ٢/ ١٣١٩ حديث رقم ٣٩٨٦. وأحمد في المسند ٢/ ٣٨٩.

(١) في المخطوطة «القائمين».

فطوبى للغُرباء». رواه مسلم.

١٦٠ ـ (٢١) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الإيمان لَيأرِزُ إلى المدينة كما تأرِزُ الحيَّةُ إلى جُحْرِها». متفق عليه.

وسنذكُر حديث أبي هريرة: «ذَرُوني ما تركتُكم» في كتاب المناسك، وحديثي معاوية وجابر: «لا يزالُ من أمّتي» و [الآخر]: «لا يزالُ طائفةٌ من أمّتي»

(**فطوبى للغرباء**) المتشبثين بذيله، يعني المسلمين الذين في أوله وآخره لصبرهم على الأذى، وقيل: المراد بالغرباء المهاجرون الذين هجروا إلى الله، والأظهر أنهم هم الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعده من سنته كما ورد مفسراً في الحديث الآتي للترمذي. قال الطيبي: إما أن يستعار الإسلام للمسلمين، والغربة هي القرينة فيرجع معنى الوحدة والوحشة إلى نفس المسلمين، وإما أن يجري الإسلام على الحقيقة فالكلام على التشبيه والوحشة باعتبار ضعف الإسلام وقلته؛ فعلى هذا غريباً إما حال، أي بدأ الإسلام مشابهاً للغريب، أو مفعولاً مطلقاً، أي ظهور الغرباء فريداً وحيداً لا مأوى له حتى تبوأ دار الإيمان، أعني طيبة فطوبى له وطاب عيشاً، ثم أتم الله نوره في المشارق والمغارب فيعود آخر الأمر وحيداً شريداً إلى طيبة كما بدا فطوبى له ولهفي عليه كما ورد: «الإيمان ليأرز». اهـ. (**رواه مسلم**).

١٦٠ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة (**قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الإيمان ليأرز**) بالكسر عند الأكثر وروي بالفتح وحُكي بالضم. (**إلى المدينة**) أي يأوي وينضم وينقبض ويلتجيء إليها (**كما تأرز الحية إلى حجرها»**) أي ثقبها، من أرزت الحية إلى حجرها إذا رجعت إلى ذنبها القهقرى، قيل: هي أشد فراراً وانضماماً من غيرها فلهذا شبه بها، والمراد أن أهل الإيمان يفرون بإيمانهم إلى المدينة وقاية بها عليه، أو لأنها وطنه الذي ظهر وقوي بها، وهذا إخبار عن آخر الزمان حين يقل الإسلام، وقيل: هذا في زمن النبي ﷺ لاجتماع الصحابة في ذلك الزمان فيها، أو المراد بالمدينة جميع الشام فإنها من الشام خصت بالذكر لشرفها، وقيل: المراد المدينة وجوانبها، وحواليها ليشمل مكة فيوافق رواية الحجاز وهذا أظهر والله أعلم. (**متفق عليه وسنذكر حديث أبي هريرة: «ذروني ما تركتكم»**) أي إلى آخره (**في كتاب المناسك**) متعلق بقوله سنذكر (**وحديثي معاوية**) بالنصب عطف على حديث أبي هريرة (**وجابر**) عطف على معاوية (**لا يزال من أمتي**) أي أحدهما أوله هذا (**و**) الآخر (**لا يزال**) بالياء أو التاء (**طائفة من أمتي**) كلاهما[1] (**في باب ثواب**

الحديث رقم ١٦٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ٩٣ حديث رقم ١٨٧٦ ومسلم ١/ ١٣١ حديث رقم (٢٣٣ . ١٤٧) وأخرج الترمذي نحوه وهو الحديث رقم ١٧٠ من المشكاة. وأخرجه ابن ماجة في السنن ٢/ ١٠٣٨ حديث رقم ٣١١١. وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢٨٦.

(١) في المخطوطة «كلتهما».

في باب: ثواب هذه الأمة، إن شاء الله تعالى.

الفصل الثاني

١٦١ - (٢٢) عن ربيعةَ الجُرَشي، قال: أُتيَ نبيُّ الله ﷺ، فقيل له: لِتَنَمْ عينُك، ولْتسمعْ أُذُنك، ولْيَعقِلْ قلبُك. قال: «فنامت عيني، وسمعَت أُذُنايَ، وعَقَلَ قلبي».

هذه الأمة إن شاء الله تعالى) وهو اعتذار متضمن لاعتراض تأمل.

(الفصل الثاني)

١٦١ - (عن ربيعة) هو ابن عمرو (الجرشي) بضم الجيم وفتح الراء المهملة ناحية من اليمن، وقد سمع من النبي ﷺ، وذكر ابن أبي حاتم أنه ليس له صحبة كذا في الاستيعاب[1]، وذكره المصنف في الصحابة. (رضي الله عنه قال: «أتي) على صيغة المجهول (نبي الله ﷺ) أي أتاه آت (فقيل له:) أي للنبي (لتنم عينك ولتسمع) بسكون اللام وكسرها (أذنك) بضم الذال وسكونها (وليعقل قلبك) قال المظهر: أي أتى ملك إليه. وقال له ذلك، ومعناه لا تنظر بعينك إلى شيء ولا تصغ باذنك إلى شيء ولا تجر شيئاً في قلبك، أي كن حاضراً حضوراً تاماً لتفهم هذا المثل. (قال: فنامت عيني) بالإفراد، وفي نسخة عيناي (وسمعت أذناي وعقل قلبي) يعني فأجابه بأني قد فعلت ذلك، قيل: الأوامر الثلاثة واردة على الجوارح ظاهراً، وهي في الحقيقة له عليه الصلاة والسلام بأن يجمع بين هذه الخلال الثلاث نوم العين وحضور السمع والقلب، وعلى هذا جوابه بقوله: «فنامت» أي امتثلت لما أمرت به، ويجوز أن لا يكون ثمة قول ولا جواب كما قال تعالى: ﴿ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت - ١١] وقال تعالى: ﴿إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾ [البقرة - ١٣١] الكشاف أخطر ببالك النظر في الدلائل المؤدية إلى المعرفة والإسلام، فقال: أسلمت فنظر فعرف، والمعنى في الحديث إن الله تعالى أراد أن يجمع فيه ﷺ المعاني فاجتمعت فيه كذا حرره الطيبي ورده ابن حجر بأنه لا مانع من حمله على ظاهره بأن يركب[2] في الجماد عقل ويخاطب ويكون معنى: «أسلم» استسلم لأمري استسلاماً يليق بخلقك، وجعل النوم على حقيقته. والمراد بالأمر به الإخبار عنه، أي أنت نائم سامع واع لأن الملك إنما جاءه وهو نائم، فقال له ذلك، أقول: الأظهر أن الأمر للاستمرار في الكل، قال: ويؤخذ منه أن نوم الأنبياء كما لا يستولي على قلوبهم لا

الحديث رقم ١٦١: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ١٨ حديث رقم ١١.

(١) جاء في الاستيعاب أنه صحابي فقد قال: «ربيعة بن عمر الجرشي يعد أهل الشام روى عنه علي بن رباح وغيره. يقال إنه جد هشام بن الغازي. قال الواقدي قتل يوم مرج راهط وقد سمع النبي ﷺ» اهـ والله أعلم.

(٢) في المخطوطة تركب.

قال: «فقيل لي: سيِّدٌ بنى داراً، فصنَعَ فيها مأدُبةً وأرسلَ داعياً، فمن أجابَ الدَّاعيَ، دخَلَ الدارَ، وأكلَ من المأدُبة، ورضيَ عنه السيِّدُ، ومن لم يُجبِ الداعيَ، لم يدخلِ الدارَ، ولم يأكل من المأدُبة، وسخط عليه السيِّد». قال: «فاللّهُ السيِّدُ، ومحمَّدٌ الداعي، والدارُ الإسلامُ، والمأدبةُ الجنَّة». رواه الدارمي.

يستولي على أسماعهم، وكان في وجهه أن نومهم إنما يستولي على ظواهر أبدانهم، ومنها العين دون اللطيفة التي تسمع لأنها في جوف الرأس فهي في حكم الباطن كالقلب. اهـ. والأظهر أن السماع الباطني غير مسلوب عنه بالنوم فإنه من أحوال القلب، وأما السماع الظاهري فموقوف على السماع لأنه من أحكام الظاهر والله أعلم بالسرائر. **(قال:)** عليه الصلاة والسلام: **(فقيل لي:)** أي بطريق المثل من جهة الملك **(سيد)** أي سيد عظيم الشأن كثير الإحسان، خبر مبتدأ محذوف، يعني هو وقوله: **(بنى داراً)** صفته، أي مثل سيد بنى داراً ويجوز أن يكون مبتدأ وبنى خبره والتنوين للتعظيم، أو سوّغه كونه فاعلاً معنى **(فصنع مأدبة)** بضم الدال، وقيل: بالفتح، أي طعاماً **(وأرسل داعياً)** يدعو الناس إلى الطعام **(فمن أجاب الداعي دخل الدار)** بالإكرام **(وأكل من المأدبة)** على وجه الإنعام **(ورضي عنه السيد)** بسبب الإجابة واللام للعهد **(ومن لم يجب الداعي)** تكبراً وعناداً أو جهلاً واستبعاداً **(لم يدخل الدار)** بل طرد من الباب **(ولم يأكل من المأدبة)** بل عذب بالحجاب **(وسخط عليه السيد)** فيترتب عليه أنواع العذاب، قيل: السخط فوق الغضب والمقت فوق السخط **(قال:)** أي النبي ﷺ، أو الملك والأول هو الأظهر، والتقدير إن أردت بيان هذا المثال **(فالله السيد)** أي الباني المرسل، وفيه جواز إطلاق السيد عليه تعالى **(ومحمد الداعي والدار الإسلام والمأدبة الجنة»)** كان مقتضى ظاهر مقام التفسير والتأويل أن يجعل المذكورات في التمثيل كلها مبتدآت ويخبر عنها بالصفات المتميزات. ولعل وجه تغيير الأسلوب أن الله ومحمداً علمان والعلم لكونه أعرف من المعرف باللام أولى بأن يكون محكوماً عليه، ويقرب منه ما ذكره أهل المعاني في الفرق بين زيد أخوك وعمرو المنطلق وعكسهما حيث قالوا: والضابط في التقديم إنه إذا كان للشيء صفتان من صفات التعريف، وعرف السامع اتصافه بإحداهما دون الأخرى فأيهما كان [بحيث] يعرف السامع اتصاف الذات به وهو كالطالب بحسب زعمك أن تحكم عليه بالأخرى يجب أن تقدم اللفظ الدال عليه وتجعله مبتدأ. أو أيهما كان بحيث يجهل اتصاف الذات به، وهو كالطالب أن تحكم بثبوته للذات أو انتفائه عنه يجب أن يؤخر اللفظ الدال عليه فتجعله خبراً. فإن قلت: كيف شبه في الحديث السابق الجنة بالدار، وفي هذا الحديث الإسلام بالدار وجعل الجنة مأدبة؟ أجيب: بأنه لما كان الإسلام سبباً لدخولها اكتفى في ذلك بالمسبب عن السبب، ولما كانت الدعوة إلى الجنة لا تتم إلا بالدعوة إلى الإسلام وضع كل منهما مقام الآخر، ولما كان نعيم الجنة وبهجتها هو المطلوب الأصلي جعل الجنة نفس المأدبة مبالغة كذا حققه الطيبي. قال ابن الملك: وهذا يؤذن بأن الإسلام أوسع من الجنة، قلت: هو كذلك ويشير إليه حديث: «ما وسعني أرضي ولا سمائي، ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن» **(رواه الدارمي)**.

١٦٢ ـ (٢٣) وعن أبي رافع، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا أُلفِيَنَّ أحدَكم مُتكِئاً على أريكتِه، يأتيه الأمرُ من أمري ممَّا أمرتُ به أو نهيتُ عنه، فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتابِ الله اتَّبعناه». رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة، والبيهقي في «دلائل النبوة».

---

١٦٢ ـ (وعن أبي رافع) مولى رسول الله ﷺ اسمه أسلم وغلبت عليه كنيته، كان قبطياً وكان للعباس فوهبه للنبي ﷺ، فلما بشر النبي عليه السلام بإسلام العباس أعتقه وكان إسلامه قبل بدر، روى عنه خلق كثير، مات قبل قتل عثمان بيسير رضي الله عنه. (قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ألفين) بالنون المؤكدة من الإلفاء، أي لا أجدن (أحدكم) وهو كقولك: لا أرينك مهنا، نهى نفسه أن تراهم على هذه الحالة، والمراد نهيهم عن تلك الحالة على سبيل المبالغة (متكئاً) حال أو مفعول ثان (على أريكته) أي سريره المزين بالحلل والأثواب في قبة أو بيت كما للعروس، يعني الذي لزم البيت وقعد عن طلب العلم، قيل: المراد بهذه الصفة الترفه والدعة كما هو عادة المتكبر المتجبر القليل الاهتمام بأمر الدين (يأتيه الأمر) أي الشأن من شؤون الدين، وقيل: اللام زائدة (من أمري) بيان الأمر، أو معناه أمر من أمري، أي الشأن من شؤوني (مما أمرت به) بدل من أمري (أو نهيت عنه) عطف عليه لأن الشأن أعم من الامر (فيقول:) مرتب على يأتيه، والجملة كما هي حال أخرى من المفعول، ويكون النهي منصباً على المجموع، أي لا ألفين أحدكم، والحال أنه متكىء ويأتيه الأمر فيقول: (لا أدري) أي لا أعلم غير القرآن ولا أتبع غيره، أو لا أدري قول الرسول (ما وجدنا) ما موصولة أو موصوفة (في كتاب الله) أي القرآن (اتبعناه) يعني، وما وجدناه في غيره لا نتبعه، أي وهذا الأمر الذي أمر به عليه الصلاة والسلام، أو نهى عنه لم نجده في كتاب الله فلا نتبعه والمعنى لا يجوز الإعراض عن حديثه عليه الصلاة والسلام، لأن المعرض عنه معرض عن القرآن، قال تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر ـ ٧] وقال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ [النجم ـ ٣] وأخرج الدارمي عن يحيى بن كثير قال: «كان جبريل ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن»[١]، كذا في الدر. ثم من قال: بأنه عليه الصلاة والسلام كان مجتهداً يُنَزِّلُ اجتهاده منزلة الوحي لأنه لا يخطىء وإذا أخطأ ينبه عليه بخلاف غيره. (رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة والبيهقي في دلائل النبوة) الجار متعلق بالبيهقي باعتبار متعلقه المقدر.

الحديث رقم ١٦٢: أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٨ بغير هذه الألفاظ. وأخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٢ حديث رقم ٤٦٠٥ وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٣٦ حديث رقم ٢٦٦٣ وقال حسن صحيح. وأخرجه ابن ماجة في سننه ١/ ٦ حديث رقم ١٣.

(١) أخرجه الدارمي في مقدمة سننه ١/ ١٥٣ حديث رقم ٥٨٨.

١٦٣ ـ (٢٤) وعن المقدام بن معدي كرب، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ألا إني أوتيتُ القرآنَ ومثلَه معَه، ألا يوشِكُ رجلٌ شبعانُ على أريكته

١٦٣ ـ (وعن المقدام) آخره ميم كأوّله، وهو أبو كريمة على الأشهر، وهو كندي يعد في أهل الشام، وحديثه فيهم، روى عنه خلق كثير، مات بالشام سنة سبع وثمانين، وله إحدى وتسعون سنة ذكره المؤلف في الصحابة. (ابن معد يكرب) بفتح الكاف وكسر الراء، وأما الباء فيجوز كسرها مع التنوين على الإضافة ويجوز فتحه على البناء كذا في تهذيب الأسماء، والثاني هو الصحيح من النسخ (قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا) حرف تنبيه، أي أنبهكم فتنبهوا (إني أوتيت) أي آتاني الله (القرآن ومثله) أي أعطيت القرآن ومثل القرآن حال كونه منضماً (معه) وهو يحتمل تأويلين. أحدهما أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو مثل ما أعطي من الظاهر، والثاني أنه أوتي الكتاب وحياً وأوتي من التأويل مثله، أي أذن له أن يبين في الكتاب فيعمم ويخصص ويزيد وينقص فيكون ذلك في وجوب العمل ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن، يعني أوتيت القرآن وأحكاماً ومواعظ وأمثالاً تماثل القرآن في كونها واجبة القبول، أو في المقدار (ألا) في تكرير كلمة التنبيه توبيخ وتقريع نشأ من غضب عظيم على من ترك السنة والعمل بالحديث استغناء بالكتاب فكيف بمن رجح الرأي على الحديث؟ كذا ذكره الطيبي ولذا رجح الإمام الأعظم الحديث ولو ضعيفاً على الرأي ولو قوياً (يوشك) بكسر الشين والفتح لغة رديئة، أي يقرب (رجل شبعان) بالضم من غير تنوين، قال القاضي: إنما وصفه بالشبع لأن الحامل له على هذا القول إما البلادة وسوء الفهم، ومن أسبابه الشبع وكثرة الأكل، وإما الحماقة والبطر، ومن موجباته التنعم والغرور بالمال والجاه، والشبع يكنى به عن ذلك. (على أريكته) أي متكئاً أو جالساً عليها، وفيه تأكيد لحماقة القائل وبطره وسوء أدبه، قال الأبهري: المتكىء القاعد المتقوّي على وطاء متمكناً والعامة لا تعرف المتكىء إلا من مال في قعوده معتمداً على أحد شقيه. اهـ. ولا شك أن الإتكاء عام في اللغة شامل لكلام الخاصة والعامة والمقام يخصه، ولذا قال صاحب القاموس: فقوله عليه الصلاة والسلام: «أما أنا فلا آكل متكئاً»، أي جالساً جلوس المتمكن المتربع ونحوه من الهيئات المستدعية لكثرة الأكل بل كان جلوسه للأكل مستوفزاً مقعياً غير متربع ولا متمكن، وليس المراد على شق كما يظنه عوام الطلبة. اهـ. ولا يخفى أن مقامنا يقتضي الميل إلى أحد الشقين الناشىء عن التكبر، وفيه إيماء إلى أن من كثر أكله لا يقدر على استمساك نفسه، ويمكن أن يكون قوله: «شبعان» كناية عن غروره بكثرة علمه وادعائه أن لا مزيد على فضله، وفيه إشارة إلى أن السالك ينبغي أن يكون دائماً حريصاً في طلب العلم كالجيعان في طلب الرزق، قال تعالى: ﴿وقل ربي زدني علماً﴾ [طه ـ ١١٤] وقال عليه الصلاة والسلام:

الحديث رقم ١٦٣: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٠ حديث رقم ٤٦٠٤ وروى الترمذي نحوه في السنن ٥/ ٣٧ حديث رقم ٢٦٦٤ وكذلك ابن ماجة ١/ ٦ حديث رقم ١٢ والدارمي أيضاً ١/ ١٥٣ حديث رقم ٥٨٦. وأحمد في المسند ٤/ ١٣٢.

يقولُ: عليكم بهذا القرآن، فما وجدْتم فيه من حلالٍ فأحِلُّوه، وما وجَدتم فيه من حرامٍ فحرِّموه، وإنَّ ما حرَّمَ رسولُ الله ﷺ كما حرمَ اللَّهُ؛ ألا لا يحِلُّ لكم الحمارُ الأهليّ، ولا كلُّ ذي نابٍ من السّباع، ولا لُقَطَةُ مُعاهِدٍ إلاّ أن يستغنيَ عنها صاحبُها،

منهومان لا يشبعان طالب العلم وطالب الدنيا»[1] وفيه دلالة على المباينة بينهما. (يقول:) أي لأصحابه وهو خبر يوشك (عليكم بهذا القرآن) أي الزموه واعملوا به ولا تلتفتوا إلى غيره (فما وجدتم فيه) أي في القرآن (من حلال) بيان لما (فأحلوه) أي اعتقدوه حلالاً، أو أحكموا بأنه حلال واستعملوه (وما وجدتم فيه من حرام فحرموه) أي اجتنبوه، أو انسبوه إلى الحرام اعتقاداً وحكماً، قال الخطابي: ذكره رداً على ما ذهب إليه الخوارج وأصحاب الظواهر فإنهم تعلقوا بظواهر القرآن وتركوا السنة التي تضمنت بيان القرآن فتحيروا وضلوا. (وإن) هذا ابتداء الكلام من النبي ﷺ، والواو للحال، وفيه التفات. ويحتمل أن يكون من كلام الراوي وهو بعيد (ما حرم) قال الأبهري: ما موصولة معنى مفصولة لفظاً، أي الذي حرمه (رسول الله ﷺ) أي في غير القرآن (كما حرم الله) أي في القرآن، وفي الاقتصار على التحريم من غير ذكر التحليل إشارة إلى أن الأصل في الأشياء إباحتها، وقال ابن حجر: أي ما حرم وأحل رسول الله كما حرم وأحل الله، وسيأتي الكلام عليه (ألا لا يحل لكم الحمار) شروع في بيان ما ثبت بالسنة وليس له أثر في الكتاب على سبيل التمثيل لا التحديد كذا قاله الطيبي. وقوله: ليس له أثر، أي أثر ظاهر وإلا ففي آية: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ [النحل - ٨] الأثر موجود ولكنه خفي دقيق أدركه أبو حنيفة وكره لحم الخيل أيضاً والله أعلم. (الأهلي) التخصيص بالصفة لنفي عموم الحكم لأن البري حلال (ولا كل ذي ناب من السباع) أي سباع الوحوش كالأسد والذئب، أو ذي مخلب من الطيور كما في حديث آخر لأنها من الخبائث، وقد قال تعالى: ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ [الأعراف - ٣٧] (ولا لقطة) بضم اللام وفتح القاف، ما يلتقط مما ضاع من شخص بسقوط أو غفلة (معاهد) أي كافر بينه وبين المسلمين عهد بأمان في تجارة أو رسالة كذا قاله ابن الملك، وفي معناه الذمي (إلا أن يستغني عنها صاحبها) أي يتركها لمن أخذها استغناء عنها بأن كانت شيئاً حقيراً يعلم أن صاحبه لا يطلبه كالنواة وقشر الرمان ونحوهما، فيجوز الانتفاع به، وهذا تخصيص بالإضافة، ويثبت الحكم في لقطة المسلم بطريق الأولى كذا قاله ابن الملك. ويمكن أن يكون وجه التخصيص الاهتمام بشأن المعاهد لعهده، لأن النفس ربما تتساهل في لقطته لكونه كافراً، ولأنه بعيد عن المسامحة بخلاف المسلم والله أعلم. قال ابن حجر: وهذه يمكن أخذها من عموم قوله تعالى: ﴿لها ما كسبت﴾ إذ الالتقاط اكتساب، فاللقطة من الكسب، ومن ثم صرح النووي في شرح مسلم: بأن من تملك لقطة بشروطها لا يحاسب عليها لأنها من كسبه بخلاف الديون. ا هـ. والظاهر أنها مأخوذة من قوله تعالى: ﴿أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾

(١) أخرجه الدارمي ١/١٠٨ حديث ٣٣٤.

ومَنْ نزل بقومٍ، فعليهم أن يَقْروه، فإنْ لم يقروه، فله أن يُعقبهم بمثلِ قراه».

[البقرة ـ ٢٦٧] فإن قوله تعالى: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ [البقرة ـ ٢٨٦] إنما هي في الأعمال من الطاعة والمعصية على ما عليه المفسرون من أن اللام للمنفعة وعلى للمضرة مع عدم ملاءمته لقوله: إذ الالتقاط اكتساب واللقطة من الكسب. (ومن نزل بقوم) أخرجه من سياق المنهيات حيث لم يقل: ولا يحل للمضيف أن لا يكرم ضيفه، وأبرزه في معرض الشرط والجزاء دلالة على أنه ليس بمحرم ولكن خارج من سمت أهل المروءة وهدى أهل الإيمان ويستأهل صاحبه أن يخذل ويستهجن فعله ويجازى بكل قبيح، والمعنى: من استضاف قوماً (فعليهم) أي على القوم (أن يقروه) بفتح الياء وضم الراء، أي يضيفوه من قريت الضيف قرى بالكسر والقصر وقراء بالفتح والمد إذا أحسنت إليه، قال الأشرف: أي سنة واستحباباً لأن قرى الضيف غير واجب قطعاً لحديث الأعرابي: «هل عليّ غيرهن، قال: لا إلا أن تطوّع»[1]. اهـ. وقيل: واجب لأن كلمة على للوجوب وهو مذهب أحمد، وأجاب عنه الأكثرون القائلون بندب الإضافة لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «لا يحل مال امرىء مسلم إلا عن طيب نفس»[2]، ولقوله عزّ وجلّ: ﴿لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ [النساء ـ ٢٩] بأن هذا الحديث محمول على المضطر فإنه يجب إطعامه إجماعاً، وقيل: هذا كان في بدء الإسلام فإنه عليه الصلاة والسلام كان يبعث الجيوش إلى الغزو وكانوا يمرون في طريقهم بأحياء العرب ليس هناك سوق يشترون منه الطعام ولا معهم زاد، فأوجب عليهم ضيافتهم لئلا ينقطعوا عن الغزو، فلما قوي الإسلام وغلبت الشفقة والرحمة على الناس نسخ الوجوب وبقي الجواز والاستحباب. (فإن لم يقروه فله) أي للنازل (أن يعقبهم) من الأعقاب بأن يتبعهم ويجازيهم من صنيعه يقال: أعقبه بطاعته إذا جازاه، وروي بالتشديد، وفي نسخة بفتح الياء وضم القاف. (بمثل قراه) بالكسر والقصر لا غير، قال في نهاية الجزري: أي فله أن يأخذ منهم عوضاً عما حرموه من القرى، يقال: عقبهم مشدداً ومخففاً وأعقبهم إذا أخذ منهم عقبى وعقبة، وهو أن يأخذ منهم بدلاً عما فاته وهذا في المضطر، أو منسوخ ويؤيده حديث العرباض الآتي: «وإن الله لم يحل لكم» إلى قوله: «إذا أعطوكم الذي عليهم»، وقيل: للمضيف أن يأخذ من الذين نزل بهم من أهل الذمة من سكان البادية إذا وضع عليهم الإمام ضيافة المسلم المارّ بهم بقدر ضيافته بأي وجه يقدر قهراً أو خفية، ويحتمل أن الأمر بأخذ مقدار القرى من مال المنزول به كان من جملة العقوبات التي نسخت بوجوب الزكاة، ويرد بأن النسخ لا يثبت بالاحتمال، وقال ابن حجر: فإن قلت إنما ذكر ﷺ ما حرمه فأين ما أحله؟ قلت: قد ذكره أيضاً بالنص حيث قال: إلا أن يستغني عنها صاحبها، وقال: فله أن يعقبهم الخ، وعجيب من الطيبي حيث استشكل ذلك ثم أجاب عنه بما لا يدفعه مع ما فيه من النظر، وهو أن الأصل في الأشياء الإباحة إلا ما خصه الدليل لقوله تعالى: ﴿وخلق لكم

---

(١) متفق عليه راجع الحديث رقم ١٦. (٢) أحمد في المسند ٥/ ٧٢.

رواه أبو داود، وروى الدارمي نحوه، وكذا ابن ماجة إلى قوله: «كما حرّم اللّٰه».

١٦٤ ـ (٢٥) وعن العرباض بن سارية، قال: قام رسولُ الله ﷺ فقال: «أيحسب أحدُكم متكئاً على أريكته يظن أنّ اللّٰهَ لم يُحرم شيئاً إلا ما في هذا القرآن؟! ألاَ وإني والله قد أمرتُ ووعظتُ ونهَيْتُ

ما في الأرض جميعاً﴾ [البقرة ـ ٢٩] فخصت منها أشياء بنص التنزيل، وبقي ما عداها في معرض التحليل، وخص منها بنص الحديث بعض فبقي سائرها على أصل الإباحة. فكأنه عليه الصلاة والسلام نص على تحليلها فلا يزيد ولا ينقص. ا هـ. وكلام الطيبي كالمسك لأن الاستثناء لا يدل على التحليل الابتدائي نصاً بل فيه إشارة إلى علة التحريم في المستثنى منه وهو احتياج الناس إلى ما في أيديهم، وأما قوله: فله أن يعقبهم تقريع على مخالفتهم في قبول الأمر الواجب ومجازاة لهم، بل في الحقيقة إجازة لأن يأخذ حقه بيد القوة منهم فأين هذا من التحليل الذي هو جعل الشيء الحرام حلالاً مع أن الجمهور على أن هذا مختص بالمضطر؟ فيكون من باب الإباحة المعلوم من قوله تعالى: ﴿لا ما اضطررتم إليه﴾ [الأنعام ـ ٦] فكيف يقال إنه تحليل مختص بالحديث مع نصه في الكتاب القديم؟ (رواه أبو داود) والترمذي بهذا اللفظ (وروى الدارمي نحوه) بالمعنى (وكذا) روى نحوه (ابن ماجة) لكن (إلى قوله: «كما حرم الله»).

١٦٤ ـ (وعن العرباض) بكسر العين وهو من أصحاب الصفة البكائين المشتاقين إلى الله تعالى، يقول في دعائه: كبرت سني ووهن عظمي فاقبضني إليك (ابن سارية) يكنى أبا نجيح بفتح النون وكسر الجيم وبالحاء المهملة، سكن الشام ومات بها سنة خمس وسبعين، روى عنه أبو إمامة وجماعة من التابعين ومروياته أحد وثلاثون حديثاً. (قال: قام رسول الله ﷺ) أي خطيباً أو خطب (فقال: أيحسب) بكسر السين وفتحها، أي أيظن (أحدكم) حال كونه (متكئاً على أريكته يظن) قال الأشرف: بدل من «يحسب» بدل الفعل من الفعل، أي للبيان والتفسير، وقال الطيبي: ويجوز أن يكون التكرار للتأكيد كما في قوله تعالى: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا﴾ إلى قوله: ﴿فلا تحسبنهم بمفازة من العذب﴾ [آل عمران ـ ١٨٨] (إن الله لم يحرم شيئاً إلا ما في هذا القرآن) أي العظيم الشأن الكثير البيان (ألا) للتنبيه (وإني) الواو للحال (والله قد أمرت ووعظت ونهيت) فيه ثلاث تأكيدات، قال الطيبي: الواو هنا بمنزلة الواو في وإنما في الحديث السابق لأن الهمزة للإنكار، أي همزة «أيحسب» ووهم ابن حجر حيث قال: فالهمزة في «أيحسب» للإنكار وكذا في الا وحرف التنبيه مقحم الخ، مع مناقضته لقوله السابق من أن ألا للتنبيه مركبة من همزة الاستفهام، ولا النافية تفيد تحقق ما بعدها، ومن ثم صدرت بما يصدر به جواب القسم ومثلها أما. ا هـ. ووقع في أما فيما تقدم كما وقع هنا في ألا، نعم أصل هذه الهمزة للإنكار لأنها إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق على ما صرح به صاحب

الحديث رقم ١٦٤: أخرجه أبو داود من حديث طويل ٣/ ٤٣٦ حديث رقم ٣٠٥٠.

عن أشياء إنها لمثل القرآن أو أكثرُ، وإنَّ اللهَ لم يُحِلَّ لكم أن تدخُلوا بيوتَ أهل الكتاب إلا بإذنٍ، ولا ضربَ نسائِهم، ولا أكلَ ثمارِهم إذا أعطوكم الذي عليهم».

القاموس لكنها غير قابلة للانفصال فتأمل، فإنه مزلة للرجال، والمعنى: أيحسب أحدكم أن الله تعالى حصر المحرمات في القرآن والحال إني قد حرمت؟ فاقحم حرف التنبيه المتضمن للإنكار بين الحال وعاملها كما أقحم حرف الإنكار بين المبتدأ والخبر في قوله تعالى: ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار﴾ [الزمر - ١٩] جاءت الهمزة مؤكدة معادة بين المبتدأ المتضمن للشرط وبين الخبر ذكره الزجاج. (عن أشياء) متعلق بالنهي فحسب، ومتعلق الأمر والموعظة محذوف، أي بأشياء (إنها) أي الأشياء المأمورة المنهية على لساني بالوحي الخفي قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ [النجم - ٣] (لمثل القرآن) في المقدار (أو أكثر) أي بل أكثر، قال المظهر: أو في قوله: «أو أكثر» ليس للشك بل إنه عليه الصلاة والسلام لا يزال يزداد علماً طوراً بعد طور وإلهاماً من قبل الله ومكاشفة لحظة فلحظة، فكوشف له أن ما أوتي من الأحكام غير القرآن مثله، ثم كوشف له بالزيادة متصلاً به ذكره الأبهري، وفيه تأمل [وقد يستشكل هذا بقوله تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ [النحل - ٨٩] بناء على بقائه على عمومه، أي فيما يحتاج إليه في الدين، ويجاب بأن نسبة هذا إليه ﷺ إنما هو لكونه الذي استنبطه واستخرجه من القرآن، ولذا قال الشافعي: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، ثم أخرج ما يؤيده وهو قوله ﷺ: «إني لا أحل إلا ما أحل الله في كتابه ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه»، وقال: جميع ما تقوله الأئمة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن، وقال: ما نزل بأحد من الدين نازلة إلا وهي في كتاب الله تعالى، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود: «إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله»[1]، وعن ابن جبير: ما بلغني حديث على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله تعالى] (وإن الله لم يحل لكم) من الإحلال (أن تدخلوا بيوت) بكسر الباء وضمها (أهل الكتاب) يعني أهل الذمة قبلوا الجزية (إلا بإذن) كذا في أصل السيد جمال الدين، وليس فيه غيره، وفي بعض النسخ المصححة: «إلا بإذنهم»، أي إلا أن يأذنوا لكم بالطوع والرغبة كما لا يحل لكم أن تدخلوا بيوت المسلمين بغير إذنهم (ولا ضرب نسائهم) يريد الضرب المعروف بالخشب، يعني لا يجوز أن تضربوا نساءهم وتأخذوا طعاماً أو غيره منهن بالقهر. وقيل: الضرب كناية عن الجماع يعني لا تظنوا أن نساءهم محللات لكم كنساء أهل الحرب (ولا أكل ثمارهم) أي بالقهر من بساتينهم فضلاً عن بقية أموالهم (إذا أعطوكم الذي عليهم) [أي] من الجزية، والحاصل عدم التعرض لهم بإيذائهم في المسكن والأهل والمال إذا أعطوا الجزية، وإذا أبوا عنها انتقضت ذمتهم وحل دمهم ومالهم ونساؤهم وصاروا كأهل الحرب في قول صحيح كذا ذكره ابن الملك. قال الطيبي: وإنما وضع قوله: «الذي عليهم» موضع الجزية ليؤذن بفخامة العلة، وبأن عدم التعرض معلل بأداء ما عليهم ولو صرح بها لم يفخم. اهـ. والأظهر أن الذي عليهم أعم

(١) وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٢٥.

رواه أبو داود وفي إسناده: أشعث بن شعبة المصيصي، قد تكلم فيه.

١٦٥ ـ (٢٦) وعنه، قال: صلّى بنا رسولُ الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا بوجهه فوعظَنا موعظةً بليغةً، ذرفَتْ منها العُيون، ووجِلتْ منها القُلوب. فقال رجلٌ: يا رسول الله! كأنَّ هذه موعظةُ مُوَدِّعٍ

من الجزية؛ فإن من جملة ما عليهم أن لا يحدثوا بيعة ولا كنيسة في دارنا، وأن يتميزوا في زيهم ومركبهم وسرجهم وسلاحهم فلا يركبوا خيلاً ولا يلبسوا ما يخص أهل العلم والزهد والشرف ويركبوا على سرج كالإكاف وغيرها مما هو مقرر في كتاب الفقه؛ فلا وجه لتخصيص الذي عليهم بالجزية فقط كما لا يخفى غايته أنه وضع «أعطوا» موضع فعلوا تغليباً لجانب الجزية فإنها معظم ما عليهم (رواه أبو داود) كذا في أصل المشكاة بعد قوله رواه وسببه تقدم في الخطبة فألحقه ميرك شاه في هذا المحل، وقال: رواه أبو داود وفي إسناده أشعث بن شعبة المصيصي تكلم فيه. اهـ. وهو بكسر الميم وتشديد المهملة الأولى نسبة إلى بلد بالشام.

١٦٥ ـ **(وعنه)** أي عن العرباض **(قال: صلى بنا)** أي إماماً لنا **(رسول الله ﷺ ذات يوم)** أقحم ذات لدفع المجاز، أي نهاراً **(ثم أقبل علينا بوجهه)** تأكيد **(فوعظنا)** بفتح الظاء، أي نصحنا رسول الله ﷺ **(موعظة)** وهي ما يوعظ به **(بليغة)** أي تامة في الإنذار، قال السيد جمال الدين: أي وجيزة اللفظ كثيرة المعنى، أو بالغ فيها بالإنذار والتخويف. اهـ. وقال التوربشتي: أي بالغ فيها الإنذار والتخويف كقوله تعالى: ﴿**وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً**﴾ [النساء ـ ٦٣] وليس المراد وجازة اللفظ وكثرة المعنى مع البيان كما قاله القاضي لأن قوله: «ذرفت منها العيون» يدل عليه. اهـ. وفيه أنه لا يلزم من إرادة وجازة اللفظ عدم إفادة الإنذار الذي سبب البكاء والله أعلم. **(ذرفت)** بفتح الراء، أي دمعت **(منها العيون)** أي سالت من موعظته دموع العيون بضم العين وكسرها كقوله تعالى: ﴿**ترى أعينهم تفيض من الدمع**﴾ [المائدة ـ ٨٣] **(ووجلت)** بكسر الجيم، والوجل خوف مع الحذر، أي خافت **(منها القلوب)** لتأثيرها في النفوس واستيلاء سلطان الخشية على القلوب، قال الطيبي: ذرفت، أي سالت وإسناده إلى العيون مبالغة، وفائدة تقديم «ذرفت» على «وجلت» وحقه التأخير للإشعار بأن تلك الموعظة أثرت فيهم وأخذت بمجامعهم ظاهراً وباطناً. اهـ. وتبعه ابن حجر ولا يخفى أن العلة المذكورة إنما هي للجمع بينهما لا للتأخير، ويمكن أن يقال وجهه أن الظاهر عنوان الباطن، ويستدل بالدمعة على الخشية وإن كانت هي موجبة للدمعة والله أعلم. **(فقال رجل:)** وفي الأربعين: «قلنا» **(يا رسول الله كأن)** بالتشديد **(هذه)** أي هذه الموعظة، وفي الأربعين «كأنها» **(موعظة مودع)** بالإضافة فإن المودع بكسر الدال عند الوداع لا يترك شيئاً مما

الحديث رقم ١٦٥: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٢٦. وأخرجه أبو داود ٥/ ١٣ حديث رقم ٤٦٠٧. والترمذي في السنن ٥/ ٤٣ حديث رقم ٢٦٧٦. وابن ماجة في سننه ١/ ١٥ حديث رقم ٤٢. والدارمي في سننه ١/ ٥٧ حديث رقم ٩٥.

فأوصِنا، فقال: «أوصيكم بتقوى الله، والسَّمع والطاعة، وإن كان عَبداً حَبَشياً، فإنَّه مَن يَعِش منكم بعدي

يهم المودع بفتح الدال، أي كأنك تودعنا بها لما رأى من مبالغته عليه الصلاة والسلام في الموعظة، ويمكن أن يقال لما رأى تأثيراً عجيباً من موعظته في الظاهر والباطن بحيث أدى إلى البكاء فشبه موعظته بموعظة المودع من حيث التأثير والبكاء، أو لكمال التأثير توهموا أنه يعقبه الزوال والله أعلم بحقيقة الحال. **(فأوصنا)** أي إذا كان الأمر كذلك فمرنا بما فيه كمال صلاحنا وإرشادنا في معاشنا ومعادنا بعد وفاتك **(فقال: أوصيكم بتقوى الله)** أي بمخافته والحذر من معصيته، قال تعالى: **﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾** [النساء ـ ١٣١] أي بأقسامها الثلاثة، وهي تقوى الشرك والمعصية وتقوى ما سوى الله. وهذا من جوامع الكلم لأن التقوى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات. وهي زاد الآخرة تنجيكم من العذاب الأبدي وتبلغكم إلى دار السرور وتوجب الوصول إلى عتبة الجلال والقدس والنور.

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزوّدا
ندمت على أن لا تكون كمثله * وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

وهذا فيما بينهم وبين الله **(والسمع)** أي وبسمع كلام الخليفة والأئمة **(والطاعة)** لمن يلي أمركم من الأمراء ما لم يأمر بمعصية عادلاً كان أو جائراً وإلا فلا سمع ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، لكن لا يجوز محاربته بتة. **(وإن كان)** أي المطاع، يعني من ولاه الإمام عليكم **(عبداً حبشياً)** فأطيعوه ولا تنظروا إلى نسبه بل اتبعوه على حسبه، ولفظ الأربعين: «وإن تأمر عليكم عبد»، أي صار أميراً أدنى الخلق فلا تستنكفوا عن طاعته، أو ولو استولى عليكم عبد حبشي فأطيعوه مخافة إثارة الفتن، فعليكم بالصبر والمداراة حتى يأتي أمر الله، وقيل: هذا وارد على سبيل الحث والمبالغة على طاعة الحكام لا التحقيق كما قال عليه الصلاة والسلام: «من بنى لله مسجداً ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة»[1]، وقيل: ذكر على سبيل المثل إذ لا تصح خلافته لقوله عليه الصلاة والسلام الأئمة من قريش[2]، قلت: لكن تصح إمارته مطلقاً وكذا خلافته تسلطاً كما هو في زماننا في جميع البلدان، وكأن ذكر الحبشي لكونه الغالب في ذلك الزمن وإلا فغيره كالزنجي أخس منه فكان أنسب بالغاية، أو المراد بالحبشي العبد الأسود فيشمل الزنجي والهندي ثم التركي يعلم بالأولى. **(فإنه)** أي الشأن، وفي الأربعين وإنه بالواو **(من يعش)** بالجزم، وفي الأربعين بالرفع **(منكم بعدي)** قال الطيبي: الفاء للسببية جعل ما بعدها سبباً لما قبلها، يعني من قبل وصيتي والتزم تقوى الله وقبل طاعة من ولي عليه ولم يهيج الفتن أمن بعدي مما يرى من الاختلاف الكثير وتشعب الآراء ووقوع الفتن. اهـ. وكتب السيد

---

(١) أخرجه ابن ماجة في السنن ١/ ٢٤٤ حديث رقم ٧٣٨.

(٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٧٦٠ وأحمد ٣/ ١٢٩.

فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنّتي وسنّةِ الخلفاءِ الراشدين المَهديين،

جمال الدين تحته: وفيه وما زاد عليه ووجه نظره ظاهر من وجهين، أحدهما عدم ظهور وجه السببية، وثانيهما عدم وجود الأنسبية بل الفاء للتفريع، والمعنى: الزموا ما قلت لكم فإنه من يعش منكم بعدي لا مخلص له إلا نصيحتي (فسيرى اختلافاً كثيراً) أي من ملل كثير كل يدعي اعتقاداً غير اعتقاد الآخر إشارة إلى ظهور أهل البدع والأهواء، أو اختلافاً على الملك وغيره كثيراً يؤدي إلى الفتن وظهور المعاصي وولاية الإخساء حتى العبيد. (فعليكم بسنتي) اسم فعل بمعنى الزموا، أي بطريقتي الثابتة عني واجباً أو مندوباً (وسنة الخلفاء الراشدين) فإنهم لم يعملوا إلا بسنتي؛ فالإضافة إليهم إما لعملهم بها، أو لاستنباطهم واختيارهم إياها (المهديين) أي الذين هداهم الله إلى الحق، قيل: هم الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم لأنه عليه الصلاة والسلام قال: الخلافة بعدي ثلاثون سنة وقد انتهى بخلافة علي كرم الله وجهه، قال بعض المحققين: ووصف الراشدين بالمهديين لأنه إذا لم يكن مهتدياً في نفسه لم يصلح أن يكون هادياً لغيره لأنه يوقع الخلق في الضلالة من حيث لا يشعر، وهم الصديق والفاروق وذو النورين وأبو تراب علي المرتضى رضي الله عنهم أجمعين، لأنهم لما كانوا أفضل الصحابة وواظبوا على استمطار الرحمة من السحابة النبوية، وخصهم الله بالمراتب العلية والمناقب السنية، ووطنوا أنفسهم على مشاق الأسفار ومجاهدة القتال مع الكفار، أنعم الله عليهم بمنصب الخلافة العظمى والتصدي إلى الرياسة الكبرى، لإشاعة أحكام الدين وإعلاء أعلام الشرع المتين، رفعاً لدرجاتهم وازدياداً لمثوباتهم، فخلف الصديق بإجماع الصحابة سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام لحلمه ووقاره وسلامة نفسه ولين جانبه والناس متحيرون والأمر غير ثابت، فحمى بيضة الدين ودفع غوائل المرتدين وجمع القرآن وفتح بعض البلدان، ثم استخلف الفاروق لأن الأمر مستقر والقوم مطيع والفتن ساكنة، فرفع رايات الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها وفتح أكثر أقاليم الأرض، لأنه كان في غاية الصلابة وكمال الشهامة ومتانة الرأي وحسن التدبير، وخلافته عشر سنين وستة أشهر وعشر ليال. ثم بويع لعثمان لشوكة أقاربه وبسط أيدي بني أمية في حكومة الأطراف زمن عمر، فلو نصب غيره لوقع الخلاف، فأظهر في مدة اثنتي عشرة سنة مساعي جميلة في الإسلام، وجمع الناس على مصحف واحد بعدما كانوا يقرؤون بقراآت مختلفة على حسب السماع وبعث به إلى الآفاق ولذا نسب المصحف إليه وجعل إماماً. ثم بويع بعده لعلي المرتضى لأنه أفضل الصحابة بعدهم وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله ﷺ، فلو لم تقع الخلافة على الترتيب المذكور لحرم واحد من ذلك المنصب المشكور؛ ولا يخفى إن هذا من جملة معجزاته عليه الصلاة والسلام الدال على صدق نبوّته لأنه استبد بذكر هذا الغيب وقال: "الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً عضوضاً"[1] ووقع كما قال، قال التوربشتي: وأما ذكر سنتهم في مقابلة سنته لأنه علم أنهم لا يخطئون فيما يستخرجون من سنته، أو أن بعضها ما اشتهر إلا في زمانهم وليس المراد انتفاء الخلافة عن

---

(١) الترمذي الحديث رقم (٢٢٢٦). وملك عضوض شديد فيه عسف وعنف.

تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ». رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي وابن ماجة إلا أنهما لم يذكرا الصلاة.

غيرهم حتى ينافي قوله عليه الصلاة والسلام: «يكون في أمتي اثنا عشر خليفة» بل المراد تصويب رأيهم وتفخيم أمرهم، وقيل: هم ومن على سيرتهم من أئمة الإسلام المجتهدين في الأحكام فإنهم خلفاء الرسول عليه الصلاة والسلام في إحياء الحق وإرشاد الخلق وإعلاء الدين وكلمة الإسلام. **(تمسكوا بها)** أي بالسنة **(وعضوا)** بفتح العين **(عليها)** أي على السنة **(بالنواجذ)** جمع ناجذة بالذال المعجمة، وهي الضرس الأخير، وقيل: هو مرادف السن، وقيل: هو الناب. قال الماوردي: إذا تكاملت الأسنان فهي ثنتان وثلاثون؛ منها أربعة ثنايا وهي أوائل ما يبدو للناظر من مقدم الفم، ثم أربع رباعيات، ثم أربع أنياب، ثم أربع ضواحك، ثم اثنا عشر أضراس وهي الطواحن، ثم أربع نواجذ وهي أواخر الأسنان، كذا نقله الأبهري. والصحيح أن الأضراس عشرون شاملة للضواحك والطواحن والنواجذ والله أعلم.

والعض كناية عن شدة ملازمة السنة والتمسك بها؛ فإن من أراد أن يأخذ شيئاً [أخذاً شديداً] يأخذه بأسنانه، أو المحافظة على هذه الوصية بالصبر على مقاساة الشدائد كمن أصابه ألم لا يريد أن يظهر فيشتد بأسنانه بعضها على بعض. قال بعض المحققين: هذه استعارة تمثيلية؛ شبه حال المتمسك بالسنة المحمدية بجميع ما يمكن من الأسباب المعينة عليه بحال من يتمسك بشيء بيديه ثم يستعين عليه بأسنانه استظهاراً للمحافظة في ذلك، لأن تحصيل السعادات الحقيقية بعد مجانبة كل صاحب يفسد الوقت وكل سبب يفتن القلب منوط باتباع السنة بأن يمتثل الأمر على مشاهدة الإخلاص ويعظم النهي على مشاهدة الخوف، بل باقتفاء آثار الرسول ﷺ في جميع موارده ومصادره وحركاته وسكناته ويقظته ومنامه حتى يلجم النفس بلجام الشريعة، ويتجلى في القلب حقائق الحقيقة بتصقيله من مفاتح الأخلاق وتنويره بأنوار الذكر والمعرفة والوفاق، وتعديله بإجراء جميع حركات الجوارح على قانون العدل حتى يحدث فيه هيئة عادلة مسنونة من آثار الفضل يستعد لقبول المعارف والحقائق، ويصلح أن ينفخ فيه روح الله المخصوص بسلاك أحسن الطرائق. هذا وقيل: تمسكوا وعضوا فعلا ماض صفتان للخلفاء. **(وإياكم ومحدثات الأمور)** عطف على قوله: «فعليكم» للتقرير والتوكيد، أي احذروا عن الأمور التي أحدثت على خلاف أصل من أصول الدين واتفوا أحداثها **(فإن كل محدثة بدعة)** أي في الشريعة **(وكل بدعة)** بنصب كل، وقيل: برفعه **(ضلالة)** إلا ما خص وقد تقدم **(رواه أحمد وأبو داود والترمذي)** وقال حديث حسن صحيح. **(وابن ماجة إلا أنهما)** أي الترمذي وابن ماجة **(لم يذكرا الصلاة)** أي لم يوردا أول الحديث وهو قول العرباض: «صلى بنا رسول الله» بل قالا: «وعظنا» كما في المصابيح فإنه افتتح بقوله: «وعظنا رسول الله ﷺ».

١٦٦ ـ (٢٧) وعن عبد الله بن مسعود، قال: خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطّاً، ثم قال: «هذا سبيلُ الله»، ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، وقال: «هذه سُبُلٌ، على كل سبيل منها شيطانٌ يَدعو إليه»، وقرأ: ﴿وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه﴾ الآية». رواه أحمد، والنسائي، والدارمي.

---

١٦٦ ـ (وعن عبد الله بن مسعود قال: «خط لنا) أي لأجلنا تعليماً وتفهيماً [وتقريباً لأن التمثيل يجعل المقصود من المعنى كالمحسوس من المشاهد في المبنى] (رسول الله ﷺ خطاً) أي مستوياً مستقيماً (ثم قال: هذا سبيل الله)أي هذا الرأي القويم والصراط المستقيم؛ وهما الاعتقاد الحق والعمل الصالح. وهذا الخط لما كان مثالاً سماه سبيل الله كذا قاله ابن الملك، والأظهر أن المشار إليه بهذا هو الخط المستوي والتقدير: هذا مثل سبيل الله، أو هذا سبيل الله مثلاً، وقيل: تشبيه بليغ معكوس، أي سبيل الله الذي هو عليه وأصحابه مثل الخط في كونه على غاية الاستقامة (ثم خط خطوطاً) أي سبعة صغاراً منحرفة (عن يمينه) أي عن يمين الخط المستوي (وعن شماله) كذلك (وقال هذه) أي الخطوط (سبل) أي غير سبيل الله، أو سبيل للشيطان لقوله: (على كل سبيل) أي رأسه (منها) أي من السبل (شيطان) من الشياطين (يدعو) ذلك الشيطان الناس (إليه) أي إلى سبيل من السبل، وفيه إشارة إلى أن سبيل الله وسط ليس فيه تفريط ولا إفراط بل فيه التوحيد والاستقامة ومراعاة الجانبين في الجادة، وسبل أهل البدع مائلة إلى الجوانب، وفيها تقصير وغلو وميل وانحراف وتعدد واختلاف كالقدرية والجبرية والخوارج والروافض والمعطلة والمشبهة. (وقرأ) أي رسول الله ﷺ كما هو الظاهر، ويحتمل أن يرجع الضمير إلى ابن مسعود حكاية عن قول الله تعالى: (﴿وأن هذا﴾) بالفتح والتشديد وتقديره: واتل عليهم، أو بقدر اللام، وبالكسر استئناف وبالفتح والتخفيف على أن فيه ضمير القصة وهذا رفع، وقوله (﴿صراطي﴾) خبر وهو بسكون الياء وفتحها (﴿مستقيماً﴾) نصب على الحال والعامل فيه معنى التنبيه أو الإشارة (﴿فاتبعوه﴾) أي صراطي وسبيلي (الآية) بعدها ﴿ولا تتبعوا السبل﴾ [الأنعام ـ ١٥٣] أي سبل الشياطين المنحرفة الزائغة المتشعبة من طرق الشرك والبدعة التي أشار إليها ﷺ بقوله: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا التي على ما كنت عليه أنا وأصحابي»[1]. وبهذا الحديث يندفع زعم كل فريق إنه على الصراط المستقيم.

﴿فتفرق بكم﴾ بحذف إحدى التاءين ﴿عن سبيله﴾ إشارة إلى أنه لا يمكن اجتماع سبيل الحق مع السبل الباطلة.

﴿ذلكم وصاكم﴾ أي الله ﴿به لعلكم تتقون﴾ أي لكي تتقوه أي عذابه أو مخالفته أو سبل غيره. (رواه أحمد والنسائي والدارمي).

الحديث رقم ١٦٦: أخرجه أحمد في المسند ١/ ٤٣٥. والدارمي ١/ ٧٨ حديث رقم ٢٠٢ وأخرج ابن ماجة نحوه ١/ ٦ حديث رقم ١١.

(١) الحاكم ٤/ ٤٣٠.

١٦٧ ـ (٢٨) وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يُؤمنُ أحدُكم حتى يكونَ هواهُ

١٦٧ ـ (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو رضي الله عنهما (قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه) أي ميل نفسه، سُمي به لأنه يهوي صاحبه في الدنيا إلى الداهية وفي الآخرة إلى الهاوية فكأنه من هوى يهوي هوى إذا سقط (تبعاً لما جئت به») يجوز أن يحمل هذا على نفي أصل الإيمان، أي حتى يكون تابعاً مقتدياً لما جئت به من الشرع عن اعتقاد لا عن إكراه وخوف سيف كالمنافقين، وقيل: المراد نفي الكمال، أي لا يكمل إيمان أحدكم حتى يكون ميل نفسه، أي ما تشتهيه، تبعاً لما جئت به من الأحكام الشرعية؛ فإن وافقها هواه اشتغل بها لشرعيتها لا لأنها هوى، وإن خالفها اجتنب هواه فحينئذ يكون مؤمناً كاملاً. قال بعض العارفين: أي حتى يكون هواه الذي من أصل صفاته النفسانية بل المعبود الباطل المطاع والمحبوب الاتباع تبعاً لما جئت به من السنة الزهراء والملة النقية البيضاء، حتى تصير همومه المختلفة وخواطره المتفرقة التي تنبعث عن هوى النفس وميل الطبع هماً واحداً يتعلق بأمر ربه واتباع شرعه تعظيماً له وشفقة على خلقه كما قال الشاعر:

كانت لقلبي أهواء مفرقة * فاستجمعت اذرأتك العين أهوائي
وصار يحسدني من كنت أحسده * [وصرت مولى الورى إذ صرت مولاي]
[تركت للخلق دنياهم ودينهم] * شغلاً بحبك يا ديني ودنياي

فلا يميل إلا بحكم الدين ولا يهوى إلا بأمر الشرع؛ فهو المؤمن الفريد الكامل الوحيد الذي يقبل منه التوحيد، ومن أعرض عنه متبعاً لما هواه مبتغياً لمرضاه فهو الكافر الخاسر في دنياه وعقباه، ومن اتبع أصول الشريعة دون فروعها فهو الفاسق، ومن عكس فهو المنافق.

والهوى مصدر هويه أحبه، وشرعاً ميل النفس إلى خلاف ما يقتضيه الشرع وأما إذا وافق الهوى الهدى فهو كالزبدة على العسل ونور على نور وسرور على سرور، قال تعالى: ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ [القصص ـ ٥٠] فإن قلت: ما جاء به الرسول ﷺ نور وضياء، والهوى ظلمة في النفس انبعثت من الطبيعة الترابية، فكيف يصير الهوى الظلماني تبعاً للدين النوراني؟ فالجواب أن النفس لطيفة في الجسد تولدت من ازدواج الروح والبدن واتصالهما، والروح لطيف روحاني والجسد كثيف ظلماني، والنفس متوسطة بينهما تقبل اللطافة الروحانية والكثافة الجسمانية، وهذا هو التسوية التي قال الله تعالى: ﴿ونفس ما سواها﴾ [الشمس ـ ٧] باستقامة الروح الروحاني في الروح الحيواني بمثابة النور في الحدقة، فصارت النفس بها قابلة للخير والشر والفجور والتقوى، فإذا غلب الأمر بالتقوى صارت مزكاة عن الكدورات متوجهة إلى الدين قابلة لليقين، وإذا غلب الأمر بالفجور صارت تابعة للهوى سالكة مسالك الردى:

الحديث رقم ١٦٧: أخرجه البغوي في شرح السنة ١/ ٢١٢ حديث رقم ١٠٤.

تبعاً لِما جئتُ به». رواه في «شرح السنة»، وقال النووي في «أربعينه»: هذا حديث صحيح، رويناه في «كتاب الحجة» بإسناد صحيح.

١٦٨ - (٢٩) وعن بلال بن الحارث المزني، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن أحيا سُنَّةً من سُنَّتي قد أُميتتْ بعدي، فإنَّ له من الأجر مثلَ أجور من عمل بها من غير أن يَنقص من أجورهم

نون الهوان من الهوى مسروقة * فصريع كل هوى صريع هوان

قال الراغب: مثل النفس في البدن كمجاهد بعث إلى ثغر يراعي أحواله، وعقله خليفة مولاه ضم إليه ليرشده ويشهد له وعليه إذا عاد، وبدنه بمنزلة مركوبه، وهواه وشهوته سائس خبيث ضم إليه ليفقد مركوبه، والقرآن بمنزلة كتاب أتاه عن مولاه تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة، والنبي رسول أتاه بالكتاب المبين ليبين للناس ما نزل إليهم؛ فإن جاهد أعداءه وقهرهم واستعان بالعقل وسلطه حمد إذا عاد إلى حضرته وهو من المفلحين، ومن ضيع ثغره وأهمل رعيته وصرف همه إلى تفقد مركوبه وأقام سائس المركوب مقام خليفة ربه فهو في الآخرة من الخاسرين. (رواه) أي البغوي (في شرح السنة) أي بإسناده (وقال النووي:) بالقصر ويجوز مده (في أربعينه) أي الأربعين حديثاً الذي صنفه (هذا حديث صحيح رويناه) بصيغة المعلوم، وقيل: مجهول (في كتاب الحجة) أي في اتباع المحجة[1] اسم كتاب لأبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصفهاني التيمي (بإسناد صحيح).

١٦٨ - (وعن بلال بن الحرث) وفي نسخة حارث (المزني) أبو عبد الرحمن مدني سكن بالأشعرى وراء المدينة، روى عنه ابنه الحرث وعلقمة بن الوقاص، مات سنة ستين وله ثمانون سنة. (قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحيا سنة) أي من أظهرها وأشاعها بالقول أو العمل (من سنتي) قال الأشرف: ظاهر النظم يقتضي أن يقال: من سنني، لكن الرواية بصيغة الإفراد. اهـ. فيكون المراد بها الجنس، أي طريقة من الطرق المنسوبة إليّ واجبة أو مندوبة أخذت عني بنص أو استنباط كما أفاده إضافة سنة إلى الضمير المقتضية للعموم. (قد أميتت بعدي) قال ابن الملك: أي تركت تلك السنة عن العمل بها، يعني من أحياها من بعدي بالعمل بها، [أو حث الغير على العمل بها] (فإن له من الأجر) أي الثواب الكامل (مثل أجور من عمل بها) قال ابن الملك: يشمل بإطلاقه العمال قبل الأحياء وبعده، وفيه أن شموله لما قبل الأحياء في غاية من البعد. (من غير أن ينقص) متعد ويحتمل اللزوم (من أجورهم) من للتبعيض، أي من أجور من

---

(١) جاء في كشف الظنون أنه كتاب «الحجة في بيان المحجة» للإمام أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي الأصبهاني ت (٥٣٥) وهو كتاب جمع فيه دلائل التوحيد وعقائد أهل السنة.

الحديث رقم ١٦٨: أخرجه الترمذي ٥/ ٤٤ حديث رقم ٢٦٧٧ وهو عنده من طريق كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال لبلال بن الحرث «اعلم قال: ما أعلم يا رسول الله» وذكر الحديث.

شيئاً، ومن ابتدعَ بدعةً ضلالةً لا يرضاها اللّهُ ورسولُه، كان عليه [من الإثم] مثلُ آثامِ مَنْ عمِلَ بها لا يَنقُصُ من أوزارِهم شيئاً». رواه الترمذي.

١٦٩ ـ (٣٠) ورواه ابن ماجة عن كثير بن عبد الله بن عمرو، عن أبيه، عن جده.

١٧٠ ـ (٣١) وعن عمرو بن عوف، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدين ليأرز

عمل بها، فأفرد أوّلاً رعاية للفظه وجمع ثانياً لمعناه. (**شيئاً**) مفعول به أو مفعول مطلق لأنه حصل له باعتبار الدلالة والأحياء والحث، وللعاملين باعتبار الفعل فلم يتواردا على محل واحد حتى يتوهم أن حصول أحدهما ينقص الآخر (**ومن ابتدع بدعة ضلالة**) يُروى بالإضافة، ويجوز أن ينصب نعتاً ومنعوتاً، وهي ما أنكره أئمة المسلمين كالبناء على القبور وتجصيصها. وقيد البدعة بالضلالة لإخراج البدعة الحسنة كالمنارة كذا ذكره ابن الملك. (**لا يرضاها الله ورسوله**) صفة كاشفة للضلالة، أو احترازية للبدعة (**كان عليه من الإثم**) أي الوزر (**مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك**) أي ذلك الإثم (**من أوزارهم شيئاً**) مفعول به لا غير، وحكمة ذلك أن من كان سبباً في إيجاد شيء صحت نسبة ذلك الشيء إليه على الدوام، وبدوام نسبته إليه يضاعف ثوابه وعقابه لأنه الأصل فيه. (**رواه الترمذي**) أي عن بلال.

١٦٩ ـ (**ورواه ابن ماجة عن كثير بن عبد الله بن عمرو**) أي ابن عوف مزني مدني، روى عن أبيه وغيره واتفقوا على ضعفه حتى قال الشافعي: هو أحد الكذابين. (**عن أبيه عن جده**) أي جد كثير وهو عمرو بن عوف، كان قديم الإسلام وهو ممن نزل فيه: ﴿**تولوا وأعينهم تفيض من الدمع**﴾ [التوبة ـ ٩] روى عنه ابنه عبد الله كذا ذكره المصنف. قال الطيبي: الشارحون في أكثر نسخ المصابيح رواه زيد بن ملحة عن أبيه عن جده وهو غلط، لأن زيد بن ملحة جد عمرو بن عوف كذا في التهذيب وعده المصنف في التابعين. وقال ابن حبان: له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة، وأما الترمذي فروى عن حديثه: «الصلح جائز بين المسلمين»[1] وصححه فلذا لا يعتمد العلماء على تصحيحه كذا في ميزان الاعتدال، والصواب أن راوي هذا الحديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده، فإن زيد بن ملحة جاهلي لم يدرك الإسلام.

١٧٠ ـ (**وعن عمرو بن عوف**) هو مزني كان قديم الإسلام، وهو ممن نزل فيه: ﴿**تولوا وأعينهم تفيض من الدمع**﴾ [التوبة ـ ٩] سكن المدينة ومات بها في آخر أيام معاوية روى عنه ابنه عبد الله. (**قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدين ليأرز**) بفتح اللام وسكون الهمزة وتبدل وكسر الراء على الأصح، وحكي الفتح والضم، أي ينضم عند ظهور الفتن واستيلاء الكفرة

الحديث رقم ١٦٩: أخرجه ابن ماجة ١/٧٦ حديث رقم ٢١٠.

(١) الترمذي حديث رقم ١٣٥٢.

الحديث رقم ١٧٠: أخرجه الترمذي في السنن ٥/١٩ حديث رقم ٢٦٣٠ وقال حسن صحيح.

إلى الحجاز كما تأرِزُ الحيَّةُ إلى جُحرها، وليَعْقِلَنَّ الدينُ من الحجاز مَعقِلَ الأَرْوِيَّة من رأس الجبل. إنَّ الدين بَدأ غريباً وسيعود كما بَدأ، فطوبى للغرباءِ، وهم الذين يُصلِحون ما أفسَدَ الناسُ من بعدي من سُنّتي». رواه الترمذي.

١٧١ ـ (٣٢) وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيأتِيَنَّ على أُمّتي كما أتى على بني إسرائيل

(إلى الحجاز) هو اسم مكة والمدينة وحواليهما من البلاد وسميت حجازاً لأنها حجزت، أي منعت وفصلت بين بلاد نجد والغور، قيل: التوفيق بينه وبين ما سبق إن سلم أن الدين والإيمان مترادفان أنه يأرز أوّلاً إلى الحجاز أجمع ثم إلى المدينة لأنها مستقرة أوّلاً فعاد إليها لتكون مستقرة آخراً أيضاً، فإن النهاية هي الرجوع إلى البداية ولأن المدينة مغيب النبوّة فتصير مغيب الشريعة. (كما تأرز الحية إلى جحرها وليعقلن) جواب قسم محذوف، أي والله ليعتصمن (الدين) قال ابن حجر: عطف على ليأرز، أو على أن ومعمولها، أي ليتحصنن ويتضم ويلتجيء الدين، أبرزه وحقه الإضمار إعلاماً بعظيم شرفه ومزيد فخامته، ومن ثم ضوعفت أدوات التأكيد وأتى بالقسم المقدر. (من الحجاز) أي بمكان منه، أو مكاناً منه، يقال: عقل الوعل أي امتنع بالجبال العوالي بعقل عقولاً، أي ليمتنعن بالحجاز ويتخذن منه حصناً وملجأً. (معقل الأروية) بضم الهمزة وتكسر وتشديد الياء الأنثى من المعز الجبلي، وهو مصدر بمعنى العقل. ويجوز أن يكون اسم مكان أي كاتخاذ الأروية (من رأس الجبل) حصناً، وخص الأروية دون الوعل لأنها أقدر من الذكر على التمكن من الجبال الوعرة. والمعنى أن الدين في آخر الزمان عند ظهور الفتن واستيلاء الكفرة والظلمة على بلاد أهل الإسلام يعود إلى الحجاز كما بدأ منه، وقيل: معناه أن بعد انضمام أهل الدين إلى الحجاز ينقرضون عنه ولم يبق منهم فيه أحد (إن الدين بدأ) بالهمز هو الصحيح (غريباً) أي كالغريب أو حال (وسيعود) أي غريباً (كما بدأ) يعني أن أهل الدين في الأول كانوا غرباء ينكرهم الناس ولا يخالطونهم فكذا في الآخر. (فطوبى للغرباء) أي أوّلاً وآخراً، وسموا غرباء لعدم تعلقهم بالدنيا وأهلها. (وهم الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي») أي يعملون بها ويظهرونها بقدر طاقتهم (رواه الترمذي).

١٧١ ـ (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو رضي الله عنهما (قال: قال رسول الله ﷺ: ليأتين على أمتي) الإتيان المجيء بسهولة، وعُدي بعلى لمعنى الغلبة المؤدية إلى الهلاك، ومنه قوله تعالى: ﴿ما تذر من شيء أتت عليه﴾ [الذاريات ـ ٤٢] المراد بعض أمة الدعوة إما من أهل القبلة بقرينة كونه أضافهم إلى نفسه، أو مطلقاً فيشمل ملل الكفر أيضاً. (كما أتى على بني إسرائيل) فاعل ليأتين مقدر يدل عليه سياق الكلام، والكاف منصوب عند الجمهور على المصدر، أي ليأتين على أمتي زمان إتياناً مثل الإتيان على بني إسرائيل، أو ليأتين على أمتي

الحديث رقم ١٧١: أخرجه الترمذي ٥/ ٢٦ حديث ٢٦٤٢ وقال مفسَّرٌ غريب.

حَذْوَ النَّعل بالنَّعل، حتى إن كان منهم من أتى أمّه علانيةً، لكانَ في أُمّتي من يصنعُ ذلك. وإنّ بني إسرائيل تفرّقتْ ثنْتين وسبعينَ ملّةً، وتفترقُ أُمّتي على ثلاث وسبعين ملةً، كلُّهم في النار إلا ملة واحدة». قالوا: مَنْ هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي».

مخالفة لما أنا عليه مثل المخالفة التي أتت على بني إسرائيل حتى أهلكتهم. وجوّز أن يكون الكاف فاعلاً، أي ليأتين على أمتي مثل ما أتى على بني إسرائيل. **(حذو النعل بالنعل)** حذو النعل استعارة في التساوي، وقيل: الحد والقطع، والتقدير أيضاً، يقال: حذوت النعل بالنعل إذا قدرت كل واحدة من طاقاتها على صاحبتها لتكونا على السواء، ونصبه على المصدر، أي يحذونهم حذواً مثل حذو النعل بالنعل. أي تلك المماثلة المذكورة في غاية المطابقة والموافقة كمطابقة النعل بالنعل. **(حتى إن كان منهم)** حتى ابتدائية والواقع بعده جملة شرطية وقوله الآتي: «الكان» إما جواب قسم مقدر والمجموع جواب الشرط، وإما أن بمعنى لو كما يقع عكسه وليست إن هذه مخففة [من المثقلة كما زعم كذا نقله السيد جمال الدين عن زين العرب، وفي الأزهار بكسر الهمزة وسكون النون مخففة]، أي حتى أنه كذا ذكره الأبهري. وهذا الخلاف مبني على أنه هل يجوز حذف ضمير الشأن من إن المكسورة فمنعه ابن الحاجب وجوّزه ابن مالك. **(من أتى أمه علانية)** إتيانها كناية عن الزنا، ويحتمل أن يكون المراد بها زوجة الأب أو موطوءته وسائر من حرمن عليه برضاع أو مصاهرة والأول أظهر، لأن الغرابة والاستبعاد فيه أكثر ولذا قيده بعلانية **(لكان في أمتي من يصنع)** أي يفعل **(ذلك)** أي الإتيان **(وإن بني إسرائيل)** يعني النصارى أو أهل الكتاب، قال ابن حجر: أبرز ضميرهم زيادة في تقبيح صنيعهم وبياناً لكون ذلك دأبهم وعادتهم. اهـ. والأظهر أنه أبرز حتى لا يرجع الضمير إلى غيرهم. **(تفرقت على ثنتين وسبعين ملة)** سمى عليه الصلاة والسلام طريقة كل واحد منهم ملة اتساعاً، وهي في الأصل ما شرع الله لعباده على ألسنة أنبيائه ليتوصلوا به إلى القرب من حضرته تعالى، ويستعمل في جملة الشرائع دون آحادها، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله تعالى ولا إلى آحاد أمة النبي بل يقال: ملة محمد ﷺ أو ملتهم كذا. ثم إنها اتسعت فاستعملت في الملل الباطلة، لأنهم لما عظم تفرقهم وتدينت كل فرقة منهم بخلاف ما تدين به غيرها كانت طريقة كل منهم كالملة الحقيقية في التدين فسميت باسمها مجازاً، وقيل: الملة كل فعل وقول اجتمع عليه جماعة [وهو] قد يكون حقاً وقد يكون باطلاً، والمعنى أنهم يفترقون فرقاً تتدين كل واحدة منها بخلاف ما تتدين به الأخرى **(وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة)** قيل: فيه إشارة لتلك المطابقة مع زيادة هؤلاء في ارتكاب البدع بدرجة، ثم قيل: يحتمل أمة الدعوة فيندرج سائر الملل الذين ليسوا على قبلتنا في عدد الثلاث والسبعين، ويحتمل أمة الإجابة فيكون الملل الثلاث والسبعون منحصرة في أهل قبلتنا والثاني هو الأظهر. ونقل الأبهري أن المراد بالأمة أمة الإجابة عند الأكثر. **(كلهم في النار)** لأنهم يتعرضون لما يدخلهم النار؛ فكفارهم مرتكبون ما هو سبب في دخولها المؤبدة عليهم. ومبتدعتهم مستحقة لدخولها إلا أن يعفو الله عنهم. **(إلا ملة)** بالنصب، أي إلا أهل ملة **(واحدة، قالوا: من هي)** أي تلك الملة، أي أهلها الناجية **(يا رسول الله قال: ما أنا عليه وأصحابي)** أي هي ما أنا عليه وأصحابي، قيل: جعلها عين ما هو

رواه الترمذي.

١٧٢ ـ (٣٣) وفي رواية أحمد، وأبي داود، عن معاوية: «ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنّة، وهي

عليه مبالغة في مدحها وبياناً لباهر اتباعها حتى يخيل أنها عين ذلك المتبع، أو المراد بما الوصفية على حد ﴿ونفس ما سوّاها﴾ أي القادر العظيم الشأن سوّاها، فكذا هنا المراد هم المهتدون المتمسكون بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي فلا شك ولا ريب أنهم هم أهل السنة والجماعة. وقيل: التقدير أهلها من كان على ما أنا عليه وأصحابي من الاعتقاد والقول والفعل فإن ذلك يعرف بالإجماع، فما أجمع عليه علماء الإسلام فهو حق وما عداه باطل.

واعلم أن أصول البدع كما نقل في المواقف ثمانية: المعتزلة القائلون بأن العباد خالقو أعمالهم وبنفي الرؤية وبوجوب الثواب والعقاب وهم عشرون فرقة، والشيعة المفرطون في محبة عليّ كرم الله وجهه وهم اثنان وعشرون فرقة، والخوارج المفرطة المكفرة له رضي الله عنه ومن أذنب كبيرة وهم عشرون فرقة، والمرجئة القائلة بأنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهي خمس فرق، والنجارية الموافقة لأهل السنة في خلق الأفعال والمعتزلة في نفي الصفات وحدوث الكلام وهم ثلاث فرق، والجبرية القائلة بسلب الاختيار عن العباد فرقة واحدة، والمشبهة الذين يشبهون الحق بالخلق في الجسمية والحلول فرقة أيضاً، فتلك اثنان وسبعون فرقة كلهم في النار والفرقة الناجية هم أهل السنة البيضاء المحمدية والطريقة النقية الأحمدية، ولها ظاهر سُمي بالشريعة شرعة للعامة وباطن سُمي بالطريقة منهاجاً للخاصة وخلاصة خصت باسم الحقيقة معراجاً لأخص الخاصة؛ فالأول نصيب الأبدان من الخدمة، والثاني نصيب القلوب من العلم والمعرفة، والثالث نصيب الأرواح من المشاهدة والرؤية. قال القشيري: والشريعة أمر بالتزام العبودية، والحقيقة مشاهدة الربوبية فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول؛ فالشريعة قيام بما أمر. والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر، والشريعة حقيقة من حيث إنها وجبت بأمره، والحقيقة شريعة أيضاً من حيث إن المعارف به سبحانه وجبت بأمره. ولله در من قال من أرباب الحال:

ألا فالزموا سنة الأنبياء * ألا فاحفظوا سيرة الأصفياء

ومن يبتدع بدعة لم يكرم * بوجدانه رتبة الأتقياء

(رواه الترمذي) أي عن ابن عمر وكذا.

١٧٢ ـ (وفي رواية أحمد) أي أحمد بن حنبل (وأبي داود عن معاوية) أي بعد قوله: «وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة» (ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي

الحديث رقم ١٧٢: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٠٢ وأبو داود ٥/ ٥ حديث رقم ٤٥٩٧.

الجماعة، وإنه سيخرجُ في أمّتي أقوامٌ تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه، لا يبقى منهُ عِرْقٌ ولا مَفْصِلٌ إلا دخله».

١٧٣ ـ (٣٤) وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله لا يجمعُ أمّتي ـ أو قال: أمّةَ ـ محمد ـ على ضَلالة».

الجماعة) أي أهل العلم والفقه الذين اجتمعوا على اتباع آثاره عليه الصلاة والسلام في النقير والقطمير ولم يبتدعوا بالتحريف والتغيير. قال شريح: إن السنة قد سبقت قياسكم فاتبع ولا تبتدع فإنك لن تضل ما أخذت بالأثر، وقال الشعبي: إنما رأيي بمنزلة الميتة إذا احتجت إليها أكلتها، وعن سفيان: لو أن فقيهاً على رأس جبل لكان هو الجماعة. **(وإنه سيخرج)**وفي المصابيح: وزاد في رواية: «وإنه سيخرج» أي يظهر **(في أمتي)** وفي نسخة: «من أمتي» **(أقوام)** أي جماعات **(تتجاري)** بالتاءين، أي تدخل وتجري وتسري **(بهم)** أي في مفاصلهم **(تلك الأهواء)** جمع هوى وهو ميل النفس إلى ما تشتهيه، والمراد هنا البدعة فوضعها موضعها وضعاً للسبب موضع المسبب لأن هوى الرجل هو الذي يحمله على إبداع الرأي الفاسد أو العمل به وذكر الأهواء بصيغة الجمع تنبيهاً على اختلاف أنواع الهوى وأصناف البدع يقال: تجاروا في الحديث إذا جرى كل منهم مع صاحبه. **(كما يتجارى الكلب)** بفتحتين، داء مخوف يحصل من عض الكلب المجنون ويتفرق أثره **(بصاحبه)** أي مع صاحبه إلى جميع أعضائه، أي مثل جري الكلب في العروق **(لا يبقى منه عرق)** بكسر العين **(ولا مفصل إلا دخله)** فكذلك تدخل البدع فيهم وتؤثر في أعضائهم، قيل: الكلب داء يعرض للإنسان من عضة الكلب الكلِب، أي المكلوب وهو المجنون فيصيبه شبه الجنون ولا يعض المجنون أحداً إلا كلِب، أي جن ويعرض له أعراض رديئة تشبه الماليخوليا مهلكة غالباً ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشاً، وأجمعت العرب أن دواءه قطرة من دم يخلط بماء فيسقاه.

١٧٣ ـ **(وعن ابن عمر)** [رضي الله عنهما] **(قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يجمع أمتي، أو قال: أمة محمد على ضلالة)** قال المظهر: في الحديث دليل على حقية إجماع الأمة، قيل: قوله «أو قال أمة محمد» شك من الراوي ولعل هذا أظهر في الدراية منها لدلالته على أن يكون المنسوب إليه من اسمه محمد يقتضي[1] هذه الفضيلة التي امتازت بها أمته عن سائر الأمم، وقال ابن الملك: المراد أمة الإجابة، أي لا يجتمعون على ضلالة غير الكفر، ولذا ذهب بعضهم إلى أن اجتماع الأمة على الكفر ممكن بل واقع إلا أنها لا تبقى بعد الكفر أمة له، والمنفي اجتماع أمة محمد على الضلالة وإنما حمل الأمة على أمة الإجابة لما ورد أن الساعة لا تقوم إلا على الكفار، فالحديث يدل على أن اجتماع المسلمين حق، والمراد إجماع العلماء ولا عبرة بإجماع العوام لأنه لا يكون عن علم. وقال الأبهري: قوله: «على ضلالة» أي على

الحديث رقم ١٧٣: أخرجه الترمذي ٤/٤٠٥ حديث رقم ٢١٦٧.

(١) في المخطوطة يقتضي.

ويدُ الله على الجماعة، ومن شَذَّ شَذَّ في النار». رواه الترمذي.

١٧٤ ـ (٣٥) وعنه. قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اتبعوا السَّوادَ الأعظم، فإنه مَن شذَّ شذَّ في النار». رواه [ابن ماجة من حديث أنس].

١٧٥ ـ (٣٦) وعن أنس، قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «يا بُنيَّ!

خطأ، وقيل: على كفر ومعصية (ويد الله) كناية عن النصرة والغلبة، أو الحفظ والرحمة، أو معناه إحسانه وتوفيقه لاستنباط الأحكام والإطلاع على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه من الاعتقاد والعمل. (على الجماعة) أي المجتمعين على الدين يحفظهم الله من الضلالة والخطأ، أو للتوفيق لموافقة إجماع هذه الأمة (ومن شذ) أي انفرد عن الجماعة باعتقاد أو قول أو فعل لم يكونوا عليه (شذ في النار) أي انفرد فيها، ومعناه انفرد عن أصحابه الذين هم أهل الجنة وألقي في النار (رواه الترمذي).

١٧٤ ـ (وعنه) أي عن ابن عمر (قال: قال رسول الله ﷺ: «اتبعوا السواد الأعظم) يعبر به عن الجماعة الكثيرة، والمراد ما عليه أكثر المسلمين، قيل: وهذا في أصول الاعتقاد كأركان الإسلام وأما الفروع كبطلان الوضوء بالمس مثلاً فلا حاجة فيه إلى الاجماع، بل يجوز اتباع كل واحد من المجتهدين كالأئمة الأربعة. وما وقع من الخلاف بين الماتريدية والأشعرية في مسائل فهي ترجع إلى الفروع في الحقيقة فإنها ظنيات فلم تكن من الاعتقاديات المبنية على اليقينيات، بل قال بعض المحققين: إن الخلف بينهما[1] في الكل لفظي، وقيل: المراد جمع المسلمين الذين هم في طاعة الإمام وهو السلطان الأعظم، وقيل: الجماعة[2] من أهل الإيمان، وقيل: الكتاب والسنة لكثرة معانيهما، وقيل: كل عالم عامل بالكتاب والسنة. في الأزهار: «اتبعوا السواد الأعظم» يدل على أن أعاظم الناس العلماء وإن قل عددهم ولم يقل الأكثر لأن العوام والجهال أكثر عدداً (فإنه) أي الشأن (من شذ) أي في الدين بخروجه عن متابعة الأكثرين (شذ في النار» رواه) بعده بياض والحق ميرك شاه (ابن ماجة من حديث أنس) وزاد الطيبي: وابن عاصم في كتاب السنة.

١٧٥ ـ (وعن أنس) رضي الله عنه (قال: قال لي) أي وحدي أو مخاطباً لي من بين أصحابي (رسول الله ﷺ: «يا بني) بضم الباء تصغير ابن وهو بكسر الياء وفتحها والكسر أكثر، وهو تصغير لطف ومرحمة ويدل على جواز هذا لمن ليس ابنه، ومعناه اللطف وإنك عندي

الحديث رقم ١٧٤: ما أخرجه ابن ماجة من حديث أنس «أن أمتي لا تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم» ٢/١٣٠٣ حديث رقم ٣٩٥٠.

(١) في المخطوطة «عنها».

(٢) في المخطوطة الجملة مقلوبة ولفظها «وقيل الجماعة الأعظم».

الحديث رقم ١٧٥: أخرجه الترمذي ٥/٤٤ حديث رقم ٢٦٧٨. وقال حسن غريب من هذا الوجه.

إنْ قدَرْتَ أن تصبحَ وتمسيَ وليس في قلبِك غشٌّ لأحدٍ فافعلْ». ثم قال: «يا بُنيّ! وذلكَ من سُنّتي، ومنْ أحبَّ سُنّتي فقد أحبَّني، ومن أحبَّني كان معي في الجنَّة». رواه الترمذي.

١٧٦ ـ (٣٧) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن تمسَّكَ بسُنّتي عند فسادِ أمتي، فله أجرُ مائة شهيد». رواه.

١٧٧ ـ (٣٨) وعن جابر، عن النبي ﷺ حين أتاهُ عمرُ فقال: إنّا نسمعُ أحاديثَ من يهود

بمنزلة ولدي في الشفقة. (**إن قدرت**) أي استطعت، والمراد اجتهد قدر ما تقدر (**أن تصبح وتمسي**) أي تدخل في وقت الصباح والمساء، والمراد جميع الليل والنهار (**وليس في قلبك**) الجملة حال من الفاعل تنازع فيه الفعلان، أي وليس كائناً في قلبك (**غش**) ضد النصح الذي هو إرادة الخير للمنصوح له (**لأحد**) وهو عام للمؤمن والكافر؛ فإن نصيحة الكافر أن يجتهد في إيمانه ويسعى في خلاصه من ورطة الهلاك باليد واللسان والتألف بما يقدر عليه من المال كذا ذكره الطيبي (**فافعل**) جزاء كناية عما سبق في الشرط، أي افعل نصيحتك (**ثم قال: يا بني وذلك**) أي خلو القلب من الغش. قال الطيبي: وذلك إشارة إلى أنه رفيع المرتبة، أي بعيد التناول (**من سنتي**) أي طريقتي (**ومن أحب سنتي**) فعمل بها (**فقد أحبني**) أي حباً كاملاً لأن محبة الآثار علامة على محبة مصدرها (**ومن أحبني كان معي**) بفتح الباء وسكونها، أي معية مقاربة لا معية متحدة في الدرجة (**في الجنة**») فإن المرء مع من أحب كما في حديث، وقال تعالى: ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم**﴾ الآية [النساء ـ ٦٩] (**رواه الترمذي**).

١٧٦ ـ (**وعن أبي هريرة**) رضي الله عنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: «من تمسك**) أي عمل (**بسنتي عند فساد أمتي**) أي عند غلبة البدعة والجهل والفسق فيهم (**فله أجر مائة شهيد**») لما يلحقه من المشقة بالعمل بها وبإحيائها وتركهم لها كالشهيد المقاتل مع الكفار لإحياء الدين بل أكثر. (**رواه**) بعده بياض وألحق به ميرك وغيره البيهقي في كتاب الزهد له من حديث ابن عباس.

١٧٧ ـ (**وعن جابر**) رضي الله عنه (**عن النبي ﷺ حين أتاه عمر فقال:**) أي عمر («**إنا نسمع أحاديث**) أي حكايات ومواعظ (**من يهود**)، قال الزمخشري: الأصل في يهود ومجوس ترك اللام لأنهما علمان لقومين، ومن عرّف فإنه أجرى يهودياً ويهود مجرى شعيرة وشعير. اهـ. وقال الأبهري: يهود غير منصرف للعلمية والتأنيث لأنه يجري مجرى القبيلة، وقيل:

الحديث رقم ١٧٦: لم يذكر من أخرجه.

الحديث رقم ١٧٧: أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٨٧. وذكره البيهقي تعليقاً في شعب الإيمان في الحديث ١٧٦ وأورده بطرق أخرى حديث ١٧٧. (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠).

تُعجبنا، افترى أن نكتُبَ بعضَها؟ فقال: «أمُتهَوِّكونَ أنتم كما تهوَّكت اليهودُ والنَّصارى؟! لقد جِئتُكم بها بيضاءَ نَقِيَّةً، ولو كان موسى حَيّاً ما وسعَه إلا أتباعي». رواه أحمد، والبيهقي في كتاب «شعب الإيمان».

الأولى أن يقال للعلمية ووزن الفعل؛ لأن أسماء القبائل التي ليس فيها تأنيث لفظي يجوز صرفها حملاً على الحي وعدم صرفها حملاً على القبيلة، ويهود لا يجوز فيه إلا عدم الصرف. (**تعجبنا**) بضم التاء وكسر الجيم، أي تحسن عندنا ونميل قلوبنا إليها (**أفترى**) بفتح التاء، أي أتحسن لنا استماعها فترى يعني فتأذن (**أن نكتب بعضها، فقال**) عليه الصلاة والسلام زجراً له ولأمثاله (**أمتهوكون**) أي أمتحيرون في دينكم حتى تأخذوا العلم من غير كتابكم ونبيكم (**أنتم**) للتأكيد (**كما تهوكت اليهود والنصارى؟**) أي كتحيرهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا أهواء أحبارهم ورهبانهم (**لقد جئتكم**) جواب قسم محذوف (**بها**) أي بالملة الحنيفية بقرينة الكلام (**بيضاء**) أي واضحة حال من ضمير بها (**نقية**) صفة بيضاء، أي ظاهرة صافية خالصة خالية عن الشرك والشبهة، وقيل: المراد بها أنها مصونة عن التبديل والتحريف والإصر والإغلال خالية عن التكاليف الشاقة؛ لأن في دين اليهود إخراج ربع مالهم زكاة وقطع موضع النجاسة بدلاً عن الغسل وغير ذلك كتحتم القصاص في دين اليهود وتحتم الدية في دين النصارى، وأخر نقية لأنها صفة بيضاء إذ يقال: أبيض نقي دون العكس، وقال الطيبي: بيضاء نقية حالان مترادفان من الضمير المفسر بالملة. اهـ. قيل: ووصف الملة بالبياض تنبيهاً على كرمها وفضلها وكرمها إفادتها كل ما يحتاج إليه؛ لأن البياض لما كان أفضل لون عند العرب عبر به عن الكرم والفضل، والحاصل أنه عليه الصلاة والسلام أشار بذلك إلى أنه أتاهم بالأعلى والأفضل واستبدال الأدنى عنه مظنة للتحير. (**ولو كان موسى حياً**[1] **ما وسعه**) أي ما جاز له (**إلا أتباعي**) في الأقوال والأفعال، فكيف يجوز لكم أن تطلبوا فائدة من قومه مع وجودي؟ قال تعالى: ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول**﴾ الآية [آل عمران - ٨١]. قال علي بن أبي طالب: لم يبعث الله تعالى نبياً، آدم ومن بعده، إلا أخذ عليه العهد في أمر محمد ﷺ، وأخذ العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه. وهذا معنى قول ابن عباس كذا في تفسير البغوي فيكون التنكير في رسول للتعظيم فهو نبي الأنبياء وإمام الرسل، ولذا قال: آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة. (**رواه أحمد**) أي في مسنده (**والبيهقي في شعب الإيمان**) قال الأبهري: لكن في إسناده مجالد بن سعيد وهو ضعيف، قال ابن حبان: كان رديء الحفظ يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل لا يجوز الاحتجاج به، وقال الشافعي: الحديث عن حرام بن عثمان حرام، وعن مجالد تجالد وعن أبي العالية الرياحي رياح، وقال أحمد بن حنبل: حديث مجالد حلم إلا أن هذا الحديث جاء عن غير مجالد فتأيد به.

---

(١) ناقص في المخطوطة العبارة التالية «قيل حال من المستتر في بيضاء».

١٧٨ ـ (٣٩) وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن أكلَ طيِّباً، وعمِلَ في سُنَّةٍ، وأمِنَ الناسُ بوائِقَه، دخلَ الجنة». فقال رجلٌ: يا رسول الله! إنَّ هذا اليومَ لكثيرٌ في الناس؟ قال: «وسيكونُ في قرونٍ بعْدي». رواه الترمذي.

١٧٩ ـ (٤٠) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم في زمانٍ

---

١٧٨ ـ **(وعن أبي سعيد الخدري)** [رضي الله عنه] **(قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكل طيباً)** أي من كان قوته حلالاً ولم يقل حلالاً لأن الطيب ما يفوح عنه ريح الورع أخذاً من الطيب، فما اكتسب على وجه تعلق بسوابقه أو قرائنه أو لواحقه معصية لم يكن طيباً. **(وعمل في سنة)** أي في موافقة سنة وردت فيه، أي وعمل كل فعل بفعله وكل قول يقوله على وفق الشرع. يعني ويكون متمسكاً في كل عمل بسنة، أي بحديث جاء في ذلك العمل حتى قضاء الحاجة وإماطة الأذى، فالمراد شمول كل سنة لا واحدة منها غير معينة، وقيل: تنكيرها للإشعار بأن العمل في موافقة واحدة منها مع أختيها مما يوجب دخول الجنة، وقدم أكل الحلال لأنه مورث للعمل الصالح كما قال تعالى: **﴿كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً﴾** [المؤمنون ـ ٥١] **(وأمن الناس بوائقه)** البائقة الداهية. وهي المحنة العظيمة، والمراد هنا الشرور وقد فسرت البوائق في بعض الأحاديث فروي: «ظلمه وغشه» **(دخل الجنة)** أي استحق دخول الجنة دخولاً أوّلياً **(فقال رجل: يا رسول الله إن هذا)** أي الرجل الموصوف المذكور **(اليوم)** ظرف مقدم لخبر إن **(لكثير في الناس)** بحمد الله فما حال المستقبل **(قال)** عليه الصلاة والسلام **(وسيكون)** أي هم كثيرون اليوم وسيوجد من يكون بهذه الصفة **(في قرون بعدي»)** في الأزهار القرن أهل عصر، وقيل: أهل كل مدة أو طبقة، وقيل: ثلاثون سنة، وقيل: أربعون، وقيل: ثمانون، وقيل: مائة. اهـ. والأصح أن القرن ههنا أهل العصر، فإن كل عصر هو أبعد من زمان رسول الله ﷺ يكون الصلحاء فيهم أقل ممن قبلهم، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم»[1] الحديث. وإنما قال ذلك ﷺ في هذا الحديث نفياً للاستعجاب عن أصحابه رضي الله عنهم أجمعين كذا قيل. وأقول: وفيه تسلية لمن بعدهم من التابعين وأتباعهم إلى يوم الدين، وقال التوربشتي: يحتمل أنه ذكر ذلك حمداً لله وتحدثاً بنعمه فقال إن ذلك غير مختص بهذا القرن **(رواه الترمذي)** وكذا الحاكم[2].

١٧٩ ـ **(وعن أبي هريرة)** [رضي الله عنه] **(قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم)** أيها الصحابة **(في زمان)** أي زمان عظيم من عزة الإسلام وأمن أهله، وهو زمان نزول الوحي وسماع كلام

الحديث رقم ١٧٨: أخرجه الترمذي ٤/٥٧٧ حديث رقم ٢٥٢٠. وقال حديث غريب لا نعرفه.

(١) أخرجه الترمذي بلفظ «خير الناس قرني» ٤/٤٣٣ حديث رقم ٢٢٢١.

(٢) الحاكم في المستدرك ٤/١٠٤.

الحديث رقم ١٧٩: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٤٥٩ حديث رقم ٢٢٦٧ وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث نعيم بن حماد عن سفيان بن عيينة.

من تَرَكَ منكم عُشْرَ ما أُمر به هَلك، ثم يأتي زمانٌ من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا». رواه الترمذي.

١٨٠ ـ (٤١) وعن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضَلَّ قومٌ بعد هُدىً كانوا عليه إلا أوتُوا الجَدَل»، ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ما ضربوه لكَ إلا جدلاً

صاحب الرسالة (من ترك منكم) أي فيه وهو الرابط لجملة الشرط بموصوفها وهو زمان (عشر) بسكون الشين وضمها (ما أمر به) أي من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ لا يجوز صرف هذا القول إلى عموم المأمورات لأنه عرف أن مسلماً لا يعذر فيما يهمل من الفرض الذي تعلق بخاصة نفسه هكذا قاله الشراح. قال الطيبي: ولعل هذا غير مناسب لباب التمسك بالكتاب والسنة، وفيه بحث لأن الأمر بالمعروف لا يعرف إلا منهما، ثم قال: بل لو حمل على ما مر في الحديث السابق وهو من عمل في سنة على ما بيناه كان أنسب ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالطريق الأولى ويجري معنى قوله: «ما أمر به» في أمر الندب. اهـ. وفيه أن الهلاك لا يترتب على ترك الندب مطلقاً فضلاً عن عشره، ثم رأيت ابن حجر وافقني في المحلين (هلك) لأن الدين عزيز والحق ظاهر وفي أنصاره كثرة، فالترك يكون تقصيراً منكم فلا يعذر أحد منكم في التهاون (ثم يأتي زمان) يضعف فيه الإسلام ويكثر[1] الظلمة والفساق وقل أنصاره فيعذر المسلمون في الترك إذ ذاك لعدم القدرة لا للتقصير (من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا») لانتفاء تلك المعاني المذكورة (رواه الترمذي).

١٨٠ ـ (وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه) أي على الهدى (إلا أتوا الجدل) أي أعطوه، وهو حال وقد مقدرة والمستثنى منه أعم عام الأحوال، وصاحبها الضمير المستتر في خبر كان. والمعنى ما كان ضلالتهم ووقوعهم في الكفر إلا بسبب الجدال وهو الخصومة بالباطل مع نبيهم وطلب المعجزة منه عناداً أو جحوداً، وقيل: مقابلة الحجة بالحجة، وقيل: المراد هنا العناد والمراء في القرآن ضرب بعضه ببعض لترويج مذاهبهم وآراء مشايخهم من غير أن يكون لهم نصرة على ما هو الحق، وذلك محرم لا المناظرة لغرض صحيح كإظهار الحق فإنه فرض كفاية. (ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية) أي استشهاداً على ما قرره (﴿ما ضربوه﴾) أي هذا المثل (﴿لك﴾) يا محمد وهو قولهم ﴿آآلهتنا خير أم هو﴾ أرادوا بالآلهة هنا الملائكة، يعني الملائكة خير أم عيسى؟ يريدون أن الملائكة خير من عيسى؛ فإذا عبدت النصارى عيسى فنحن نعبد الملائكة، أي ما قالوا ذلك القول (﴿إلا جدلاً﴾) أي إلا لمخاصمتك وإيذائك بالباطل لا لطلب الحق كذا قاله بعض الشراح. والأصح في معنى الآية أن ابن الزبعري جادل رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون

---

(١) في المخطوطة «تكثر».

الحديث رقم ١٨٠: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٥٢ وأخرجه الترمذي ٥/ ٣٥٣ حديث ٣٢٥٣ وقال حسن صحيح. وأخرجه ابن ماجة ١/ ١٨ حديث رقم ٤٨.

بل هم قومٌ خَصِمون﴾. رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجة.

١٨١ ـ (٤٢) وعن أنس بن مالك، أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول: «لا تُشدِّدوا على أنفسكم فيُشدِّدَ اللَّهُ عليكم، فإن قوماً شدَّدوا على أنفسِهم، فشدَّد اللَّهُ عليهم، فتلك بقاياهم في الصَّوامع والدِّيار **﴿ورَهْبانيَّةً ابتدعوها**

الله حصب جهنم﴾ [الأنبياء ـ ٩٨] آلهتنا أي الأصنام خير عندك أم عيسى؟ فإن كان في النار فلتكن آلهتنا معه والله أعلم. ثم رأيت ابن حجر ذكر مثل ما ذكرته، وأما الجواب عن هذه الشبهة فأوّلاً أن ما لغير ذوي العقول فالإشكال نشأ عن الجهل بالقواعد العربية، وثانياً أن عيسى والملائكة خصوا عن هذا بقوله تعالى: **﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾** [الأنبياء ـ ١٠١] (**﴿بل هم﴾**) أي الكفار (**﴿قوم خصمون﴾**)[1] أي كثيرو الخصومة (**رواه أحمد والترمذي وابن ماجة**) وكذا الحاكم[2].

١٨١ ـ (**وعن أنس**) رضي الله عنه (**أن رسول الله ﷺ كان يقول:**) فيه إشارة إلى التكرار والاستمرار (**لا تشددوا على أنفسكم**) أي بالأعمال الشاقة كصوم الدهر وإحياء الليل كله واعتزال النساء لئلا تضعفوا عن العبادة وأداء الحقوق والفرائض (**فيشدد الله عليكم**) بالنصب جواب النهي، أي يفرضها عليكم فتقعوا في الشدة، أو بأن يفوت عليكم بعض ما وجب عليكم بسبب ضعفكم من تحمل المشاق كذا قاله الشراح. والظاهر أن المعنى لا تشددوا على أنفسكم بإيجاب العبادات الشاقة على سبيل النذر أو اليمين فيشدد الله عليكم فيوجب عليكم بإيجابكم على أنفسكم فتضعفوا عن القيام بحقه وتملوا وتكسلوا وتتركوا العمل فتقعوا في عذاب الله تعالى، وهذا المعنى هو الملائم للتعليل بقوله (**فإن قوماً**) أي من بني إسرائيل (**شددوا على أنفسهم**) بالعبادات الشاقة والرياضات الصعبة والمجاهدات التامة فشدد الله عليهم بإتمامها والقيام بحقوقها، وقيل: شددوا حين أمروا بذبح بقرة فسألوه عن لونها وسنها وغير ذلك من صفاتها (**فشدد الله عليهم**) بأن أمرهم بذبح بقرة على صفة لم توجد على تلك الصفة إلا بقرة واحدة لم يبعها صاحبها إلا بملء جلدها ذهباً، ويؤيد المعنى الأول ما سيأتي من قوله (**فتلك**) الفاء للتعقيب، وتلك إشارة إلى ما في الذهن من تصور جماعة باقية من أولئك المشددين بحيث في الصوامع يفسرها قوله (**بقاياهم**) أي بقايا قوم شددوا على أنفسهم (**في الصوامع**) جمع صومعة وهي موضع عبادة الرهبان من النصارى، قيل: هو بناء صغير على شكل دائرة (**والديار**) جمع الدير وهو الكنيسة وهي معبد اليهود، قيل: وهو بناء وسيع فيه محل العبادة وباقيه لنحو نزول المارّة وإيواء الغريب (**﴿ورهبانية﴾**) نصب بفعل يفسره ما بعده، أي ابتدعوا رهبانية (**﴿ابتدعوها﴾**) يقال ابتدع إذا أتى بشيء بديع، أي جديد لم يفعله قبله أحد، والرهبانية بالفتح الخصلة المنسوبة إلى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب رهبة أي خاف، وبالضم نسبة إلى

---

(١) سورة الزخرف آية ٥٨.   (٢) الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٤٨.

الحديث رقم ١٨١: أخرجه أبو داود من حديث طويل ٥/ ٢٠٩ حديث رقم ٢٩٠٤.

ما كتبناها عليهم﴾. رواه أبو داود.

١٨٢ ـ (٤٣) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «نزل القرآنُ على خمسة أوجهٍ: حَلالٍ، وحَرامٍ، ومحكمٍ، ومُتشابِهٍ، وأمثالٍ. فأحلُوا الحلالَ، وحرِّموا الحرامَ، واعمَلوا بالمحكمِ، وآمنوا بالمتشابهِ، واعتبروا بالأمثالِ». هذا لفظ المصابيح، وروى البيهقي في «شعب الإيمان» ولفظُه: «فاعمَلوا بالحلالِ،

الرهبان جمع راهب، وفي الآية قرئت بالضم شاذاً، وقيل: الرهبة الخوف والمبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس، ويطلق على عبادة الرهبان وهو جمع الراهب، أي عابد النصارى وهي ما يفعلون من تلقاء أنفسهم (**﴿ما كتبناها﴾**) أي ما فرضنا تلك الرهبانية (**﴿عليهم﴾**) من ترك التلذذ بالأطعمة وترك التزوج والاعتزال عن الناس والتوطن في رؤوس الجبال والمواضع البعيدة عن العمران، والاقتصار على هذا يدل على أن الاستثناء فيما بعده وهو قوله تعالى (**﴿إلا ابتغاء رضوان الله﴾**) استثناء منقطع، أي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله قال تعالى: (**فما رعوها حق رعايتها**) أي لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها وكفروا بدين عيسى فتهوّدوا وتنصروا ودخلوا في دين ملوكهم وتركوا الترهب وأقام منهم أناس على دين عيسى عليه الصلاة والسلام حتى أدركوا محمداً ﷺ فآمنوا به فذلك قوله عزّ وجلّ: **﴿فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون﴾**[1] كذا في المعالم (**رواه أبو داود**).

١٨٢ ـ (**وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نزل القرآن**) أي بطريق الإجمال (**على خمسة أوجه**) من وجوه الكلام (**حلال**) بالجر وهو بدل بعد العطف قبل الربط كقوله تعالى: **﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾** [البقرة ـ ١٧٢] وقوله: **﴿أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح﴾** [المائدة ـ ٤] وغيرهما (**وحرام**) كقوله تعالى: **﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾** الآية [البقرة ـ ١٧٣] وغيرها (**ومحكم**) كقوله تعالى: **﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾** [الأنعام ـ ١٥١] وغير ذلك من الأمر والنهي والموعظة (**ومتشابه**) كقوله تعالى: **﴿وجاء ربك﴾** [الفجر ـ ٢٢] وأمثال ذلك (**وأمثال**) يعني قصص الأمم الماضية كقوم نوح وصالح وغيرهما كذا قيل، والأظهر أن الأمثال مثل قوله تعالى: **﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت﴾** [العنكبوت ـ ٤١] ولذا عقبه تعالى بقوله: **﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾** [الأنعام ـ ١٤٢] (**فأحلوا الحلال**) أي اعتقدوا حليته وجوّزوا منفعته (**وحرموا الحرام**) أي اجتنبوه واعتقدوا حرمته واحكموا بمضرته (**واعملوا بالمحكم**) من الأمر والنهي (**وآمنوا بالمتشابه**) من غير اشتغال بكيفيته (**واعتبروا بالأمثال»**) أي الظاهرية أو المعنوية (**هذا**) أي المذكور من الحديث المروي (**لفظ المصابيح، وروى البيهقي في شعب الإيمان**) أي معناه وحذف هذا للعلم به (**ولفظه**) أي لفظ البيهقي (**«فاعملوا بالحلال**) ولا

---

(١) آية ٢٧ من سورة الحديد.

الحديث رقم ١٨٢: مصابيح السنة ١/ ١٦٤ حديث رقم ١٤٤.

واجتنبوا الحرام، واتبعوا المحكم».

١٨٣ ـ (٤٤) وعن ابن عباس، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الأمرُ ثلاثة: أمرٌ بَيِّنٌ رُشدهُ فاتبعْهُ، وأمرٌ بيِّنٌ غيُّه فاجتنِبْه، وأمرٌ اختُلف فيه فكِلْه إلى الله عزَّ وجل». رواه أحمد.

الفصل الثالث

١٨٤ ـ (٤٥) عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان ذئبُ الإنسان كذئب الغنم،

تجتنبوه (واجتنبوا الحرام) ولا ترتكبوه (واتبعوا المحكم») ولا تتركوه ففيه نوع اعتراض من المصنف على صاحب المصابيح.

١٨٣ ـ (وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «الأمر) واحد الأمور، أي الحكم والشأن والحال في الأعمال التكليفية (ثلاثة) أي ثلاثة أنواع (أمر) أي منها أمر أو أحدها أمر (بيّن رشده) أي ظاهر صوابه كأصول العبادات مثل وجوب الصلاة والزكاة (فاتبعه وأمر بين غيه) أي ضلالته كموافقة أهل الكتاب في أعيادهم كذا قاله ابن الملك، والأنسب بحسن المقابلة أن يقال في الأوّل كأصول العقائد من التوحيد والنبوّة والقيامة، وفي الثاني كقتل النفس والزنا (فاجتنبه) أي احترز عنه (وأمر اختلف فيه) على بناء المجهول، وضبط في نسخة السيد جمال الدين بضم الهمزة لكن الأولى أن لا تكون الضمة مكتوبة أو تكتب بالحمرة ليكون فرقاً بين همزة الوصل والقطع حتى في المصحف في نحو قوله تعالى: ﴿القارعة﴾ [القارعة ـ ١] و ﴿الهاكم﴾ [التكاثر ـ ١] ثم همزة اختلف مضمومة في الابتداء وإذا سقطت في الدرج يجوز ضم التنوين وكسره كما هو مقرر في محله: قال الطيبي: يحتمل أن يكون معناه اشتبه وخفي حكمه، ويحتمل أن يراد به اختلاف العلماء، أي والأدلة. وقيل الأولى أن يفسر هذا الحديث بما ورد في آخر الفصل الثالث من حديث أبي ثعلبة. اهـ. وقيل: المراد ما لم يبينه الشرع مثل المتشابهات، وقال ابن الملك: أي اختلف فيه الناس من تلقاء أنفسهم من غير أن يبين الله ورسوله حكمه كتعيين وقت يوم القيامة وحكم أطفال الكفرة. (فكله) أمر من وكل يكل (إلى الله عزّ وجلّ) أي فوض أمره إلى الله تعالى فلا تقل فيه شيئاً من نفي أو إثبات (رواه أحمد).

(الفصل الثالث)

١٨٤ ـ (عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان ذئب الإنسان) الذئب مستعار للمفسد والمهلك، وهو بالهمز ويبدل. (كذئب الغنم) أي في العداوة والإهلاك. قال

الحديث رقم ١٨٣: ليس عند أحمد في المسند وقد أخرجه الطبراني في الكبير. مع بعض التغيير.

الحديث رقم ١٨٤: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٤٣.

يأخذ الشاذة والقاصية والناحية، وإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة والعامة». رواه أحمد.

١٨٥ ـ (٤٦) وعن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه». رواه أحمد، وأبو داود.

تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً﴾ الآية [فاطر ـ ٦] (يأخذ) أي ذئب الغنم، والظاهر أنه استئناف مبين. وقال الطيبي: صفة الذئب لأنه بمنزلة النكرة كمثل الحمار، ويجوز أن يكون حالاً منه والعامل معنى التشبيه. ا هـ. ولا يخفى أن ما قاله بالنسبة إلى الآية ظاهر، وأما بالنسبة إلى الحديث فالإطلاق أولى من التقييد. والمعنى يأخذ غالباً [أو بالسهولة من غير تدارك] (الشاذة) بتشديد الذال المعجمة، أي النافرة التي لم تؤنس باخواتها ولم تختلط بهن (والقاصية) التي قصدت البعد عنهن لأجل المرعى مثلاً لا للتنفر (والناحية) التي غفل عنها وبقيت في جانب منها؛ فإن الناحية هي التي صارت في ناحية من الأرض عن اخواتها لغفلتها قال الأبهري كذا قاله الطيبي وظاهر كلامه أن الناحية بالحاء المهملة، وفي النهاية في باب النون مع الجيم النجاء السرعة يقال: نجا ينجو إذا أسرع ونجا من الأمر إذا خلص وأنجى غيره، ومنه إنما يأخذ الذئب القاصية والشاذة والناجية، أي السريعة هكذا روي عن الحربي بالجيم. ا هـ. ومفهومه أن المعتمد هو الحاء، وأما الجيم فإنما هو رواية شاذة ولهذا أطبقت نسخ المشكاة على الحاء والله أعلم. (وإياكم والشعاب) بالكسر والنصب من الشعب وهو الوادي ما اجتمع منه طرف وتفرق طرف منه، ولذلك قيل: شعبت الشيء إذا جمعته وشعبته إذا فرقته، والمراد المنعطفات في الأودية لأنها محل السباع والهوام وقطاع الطريق والسراق وأماكن الجن. ولما فرغ من التمثيل أكده بقوله: «وإياكم» وعقبه بقوله (وعليكم بالجماعة) تقريراً بعد تقرير (والعامة) أي عامة الجماعة، يعني عليكم بمتابعة جمهور العلماء من أهل السنة والجماعة، أو عليكم بمخالطة عامة المسلمين وإياكم ومفارقتهم والعزلة عنهم واختيار الجبال والشعاب البعيدة عن العمران، وهذا أظهر للفظ التمثيل والأول أوفق لمعناه والله أعلم. (رواه أحمد).

١٨٥ ـ (وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «من فارق الجماعة شبراً) أي ولو ساعة أو ولو في قليل من الأحكام. قال الأبهري: مفارقة الجماعة ترك السنة وإتباع البدعة. ا هـ. والظاهر أن مفارقة الجماعة متاركة إجماعهم ويؤيده قوله (فقد خلع) أي نزع (ربقة الإسلام) أي ذمته (من عنقه») الا أن يحمل الإسلام على كماله، أو المراد المبالغة في التخويف والتنفير عن هذه المفارقة والمخالفة للإعلام بأن المداومة على ذلك تؤدي إلى الخلع الحقيقي. وقال الطيبي: الربقة عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها فاستعيرت لانقياد الرجل واستسلامه لأحكام الشرع وخلعها ارتداده وخروجه عن طاعة الله وطاعة رسوله. (رواه أحمد وأبو داود).

الحديث رقم ١٨٥: أخرجه أبو داود في السنن ٥/١١٨ حديث رقم ٤٧٥٨ وأحمد في المسند ٥/١٨٠.

١٨٦ ـ (٤٧) وعن مالك بن أنس مُرْسلاً، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تركتُ فيكم أمرين لن تضِلوا ما تمسَّكتم بهما: كتاب الله وسُنَّة رسوله». رواه في «الموطأ».

١٨٧ ـ (٤٨) وعن غُضَيْف بن الحارث الثمالي، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحدثَ قومٌ بدعةً إلا رُفعَ مثلُها من السنَّة؛

---

١٨٦ ـ (وعن مالك بن أنس) وهو الإمام مالك صاحب المذهب (مرسلا) اعلم أن المرسل هو أن يقول التابعي: قال رسول الله ﷺ: هذا هو المشهور عند أهل الحديث، لكن المعروف في الفقه وأصوله أن قول من دون التابعي أيضاً يسمى مرسلاً وبه ذهب الخطيب لكن قال: إلا أن أكثر ما يوصف به رواية التابعي عن النبي ﷺ. ا هـ. فهذا محمول على قوله: فإن الإمام مالكاً من أتباع التابعين. (قال: قال رسول الله ﷺ: «تركت فيكم أمرين) أي شيئين عظيمين أو حكمين بفتحهما (لن تضلوا) أي لن تقعوا في الضلالة (ما تمسكتم) أي مدة تمسككم (بهما) أي بالأمرين معاً (كتاب الله) أي القرآن (وسنة رسوله») أي حديث رسوله وهما منصوبان على البدلية، أو بتقدير أعني، وقيل: بالرفع على الخبرية بتقديرهما. ثم في العدول عن سنتي مبالغة في زيادة شرفه والحث على التمسك بسنته بذكره السبب في ذلك وهو خلافته عن الله وقيامه برسالته وإن ما جاء به ليس إلا من تلك الرسالة لا من تلقاء نفسه (رواه) أي مالك، وفيه أنه يصير التقدير رواه مالك عن مالك في (الموطأ) فكان حق المصنف أن يذكر التابعي مكان مالك في أول الحديث، ثم يقول في الآخر رواه مالك مرسلاً لأنه من المخرجين، أو يقول كذا في الموطأ. مع أنه يبقى مناقشة أخرى في قوله: «عن» فإنه يحتاج إلى راوٍ عنه وهو غير موجود.

ثم الموطأ بالهمز وقيل: بالألف كتاب مشهور مصنف للإمام مالك قرأ فيه الشافعي ومحمد وغيرهما من الأئمة عليه. وقال الشافعي في حقه: هو أصح الكتب بعد كتاب الله. لكن هذا قبل وجود الصحيحين وإلا فصحيح البخاري هو الأصح مطلقاً على الأصح والله أعلم.

١٨٧ ـ (وعن غضيف) بالمعجمتين مصغراً، وقيل: بالظاء مختلف في صحبته، ومنهم من فرق بين غضيف فاثبت صحبته وغظيف تابعي وهو أشبه كذا في التقريب. وذكره المصنف في الصحابة وقال: يكنى أبا أسماء، شامي أدرك النبي ﷺ وقد اختلف في صحبته، وقال: ولدت على عهد رسول الله ﷺ فبايعته وصافحته وسمع عمر وأبا ذر وعائشة، وروى عنه مكحول وسليم بن عامر. (ابن الحرث الثمالي) بضم الثاء المثلثة وتخفيف الميم، نسبة إلى ثمالة بطن من الأزد (قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحدث) أي أبدع وجدد (قوم بدعة) أي مزاحمة لسنة (إلا رفع مثلها) أي مقدارها في الكمية أو الكيفية (من السنة) وقال ابن حجر:

الحديث رقم ١٨٦: أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٨٩٩ الحديث رقم ٣ من كتاب القدر.

الحديث رقم ١٨٧: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٠٥.

فتمسُّكٌ بسنةٍ خيرٌ من إحداث بدعة». رواه أحمد.

١٨٨ ـ (٤٩) وعن حسان، قال: ما ابتدع قومٌ بدعة في دينهم إلا نزع اللهُ من سُنَّتهم مثلها،

سُمي الضد مثلاً لأنه أقرب خطوراً بالبال عند ذكره وأسرع ثبوتاً عند ارتفاعه فكان بينهما تناسب ما (فتمسك) جواب شرط محذوف، أي إذا عرفت ذلك فتمسك (بسنة) أي صغيرة أو قليلة كإحياء آداب الخلاء مثلاً على ما ورد في السنة. وأما قول الطيبي: أي سنة قذرة فلغزة قلم وزلة قدم مما ينفر عنه الطبع ويمجه السمع. قال ابن حجر: ولولا اشتهار علم الرجل وتحقيقه وحسن حاله وطريقه لقضي عليه بهذه الكلمة بأمر عظيم، كيف وأصحابنا مصرحون بأن من استقذر شيئاً منسوباً إليه عليه الصلاة والسلام كفر؟ والسنة منسوبة إليه فوصفها بالقذارة يوقع في تلك الورطة لا إمكان تأويله بأنه لم يصفها بالقذارة من حيث كونها سنة، بل من حيث تعلق فعلها بمستقذر وهذا بفرض قبوله إنما يمنع الكفر فحسب لا الشناعة والقبح وسوء الأدب. (خير من إحداث بدعة) أي أفضل من حسنة عظيمة كبناء رباط ومدرسة. قال الطيبي: ويمكن أن يجعل من قبيل العسل أحلى من الخل وعلى حد ﴿أي الفريقين خير﴾ [مريم ـ ٧٣] فالتقدير حينئذ التمسك بسنة فيه خير عظيم وببدعة لا خير فيه أصلاً. وأما قول ابن حجر: وهذا هو الصواب [وما مثله الطيبي] أوّلاً غير مسلم: أما أولاً فلأن البدعة الحسنة ملحقة بالسنن المنصوصة لكن لما لم تؤلف في الصدر الأول سميت بدعة، وأما ثانياً فنحو المدرسة نفعها عام دائم وثوابها متضاعف باق ببقائها فكيف يفضل عليها ما نفعه قاصر وثوابه منقطع بانقضاء فعله؟ هذا مما لا يعقل. اهـ. والأظهر أن مراده عليه الصلاة والسلام المبالغة في متابعته وأن سنته من حيث انها سنة أفضل من بدعة ولو كانت مستحسنة مع قطع النظر عن كونها متعدية أو قاصرة أو دائمة أو منقطعة، ألا ترى أن ترك سنة أي سنة تكاسلاً يوجب اللوم والعتاب، وتركها استخفافاً يثبت العصيان والعقاب، وإنكارها يجعل صاحبه مبتدعاً بلا ارتياب. والبدعة ولو كانت مستحسنة لا يترتب على تركها شيء من ذلك وأما جعل خير بغير معنى التفضيل فبعيد بل تحصيل حاصل معلوم عند المخاطبين فلا يكون فيه فائدة تامة ولا مبالغة كاملة والله أعلم. (رواه أحمد) قال ميرك بسند جيد.

١٨٨ ـ (وعن حسان) غير منصرف على أنه فعلان، وقد ينصرف على أنه فعال. وهو ابن ثابت شاعر رسول الله ﷺ، يكنى أبا الوليد الأنصاري الخزرجي وهو من فحول الشعراء، قال أبو عبيدة: أجمعت العرب على أن أشعر أهل المدر حسان بن ثابت؛ روى عنه عمر وأبو هريرة وعائشة، ومات قبل الأربعين في خلافة علي؛ وقيل: سنة خمسين وله مائة وعشرون سنة؛ عاش منها ستين في الجاهلية وستين في الإسلام. (قال) أي حسان (ما ابتدع قوم بدعة) أي سيئة مزاحمة لسنة (في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها) أي في العدد والقدر، أو من

الحديث رقم ١٨٨: أخرجه الدارمي ١/٥٨ حديث رقم ٩٨.

ثم لا يُعيدُها إليهم إلى يوم القيامة. رواه الدارمي.

١٨٩ ـ (٥٠) وعن إبراهيم بن مَيسَرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ وَقَّرَ صاحبَ بدعةٍ، فقد أعانَ على هَدمِ الإسلام». رواه البيهقي في «شعب الإيمان» مرسلاً.

١٩٠ ـ (٥١) وعن ابن عباس، قال: من تعلَّم كتابَ الله ثم اتَّبعَ ما فيه؛ هداه اللهُ من الضلالة في الدنيا، ووقاه يوم القيامة سوءَ الحساب. وفي رواية، قال: مَن اقتدى بكتاب الله

شآمة ارتكاب البدعة يحرمون من بركات السنة (ثم لا يعيدها) أي الله تلك الحسنة (إليهم) أي إلى ذلك القوم الذين اتفقوا على ابتداع السيئة (إلى يوم القيامة») قال الطيبي: وذلك أن السنة كانت متأصلة مستقرة في مكانها فلما أزيلت عنه لم يمكن إعادتها كما كانت أبداً، فمثلها كمثل شجرة ضربت عروقها في تخوم الأرض فإذا قلعت لم يمكن إعادتها كما كانت (رواه الدارمي) أي موقوفاً لكن مثل هذا لا يقال من قبل الرأي لاشتماله على أخبار بغيب وهو قوله: «ثم إلى» الخ فيكون في حكم المرفوع.

١٨٩ ـ (وعن إبراهيم بن ميسرة) بفتح السين الطائفي يعد في التابعين ثقة صحيح الحديث حديثه في أهل مكة (قال: قال رسول الله ﷺ: «من وقر) بالتشديد أي عظم أو نصر (صاحب بدعة)[1] سواء كان داعياً لها أم لا قال ابن حجر: كأن قام وصدّره في مجلس، أو خدمه من غير عذر يلجئه إلى ذلك (فقد أعان على هدم الإسلام) أي إسلامه أو كمال إسلامه أو على هدم أهل الإسلام، أو المراد بالإسلام السنة. قال الطيبي: وهو من باب التغليظ فإذا كان حال الموقر كذا فما حال المبتدع، وفيه أن من وقر صاحب سنة كان الحكم بخلافه، وكذا من أهان صاحب بدعة يخالف حكمه. (رواه البيهقي في شعب الإيمان مرسلاً) لإسقاط الصحابي من السند.

١٩٠ ـ (وعن ابن عباس قال) أي موقوفاً («من تعلم كتاب الله) نظراً أو حفظاً أو علماً بمعناه (ثم اتبع ما فيه) من الأمر والنهي (هداه الله من الضلالة) ضمّن هدى معنى آمن فعداه بمن، أي آمنه الله من ارتكاب المعاصي كذا قاله الطيبي. والأظهر أن معناه من اتبع القرآن ثبته الله على الهداية ووقاه من الوقوع في الضلالة ما دام يعيش (في الدنيا ووقاه) أي حفظه (يوم القيامة سوء الحساب») أي مناقشته المؤدية إلى السوء كما ورد في الحديث: «من نوقش في الحساب عذب»[2]. قال الطيبي: وفيه أن سعادة الدارين منوطة بمتابعة كتاب الله. ا هـ. ومتابعته موقوفة على معرفة سنة رسوله عليه الصلاة والسلام. ومتابعته فهما متلازمان شرعاً لا ينفك أحدهما عن الآخر. (وفي رواية قال:) أي ابن عباس («من اقتدى بكتاب الله) أي في

الحديث رقم ١٨٩: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٦١ حديث رقم ٩٤٦٤.

(١) في المخطوطة سياق الجملة مغاير وما أثبت هو الصواب. والله أعلم.

الحديث رقم ١٩٠: رواه رزين.

(٢) البخاري ١/ ١٩٧ حديث رقم ١٠٣ ومسلم ٤/ ٢٢٠٤ حديث رقم ٢٨٧٦.

لا يضلُّ في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم تلا هذه الآية: ﴿فمن اتّبعَ هُداي فلا يَضلُّ ولا يَشقى﴾. رواه رزين.

١٩١ - (٥٢) وعن ابن مسعود، أن رسول الله ﷺ قال: «ضرب اللَّهُ مثلاً صراطاً مستقيماً، وعن جَنْبتي الصّراط سوران، فيهما أبوابٌ مفتَّحة، وعلى الأبواب ستورٌ مُرخاةٌ، وعند رأس الصِراط داعٍ يقول: استقيموا على الصراط ولا تعوَّجوا، وفوق ذلك

الاعتقادات والعبادات وغيرها (**لا يضل**) أي لا يقع في الضلالة (**في الدنيا ولا يشقى**) أي لا يتعب ولا يعذب (**في الآخرة ثم تلا هذه الآية**) استشهاداً لما قاله ﴿**فمن اتبع هداي**﴾ أي ما يهدى به، أو أريد به المصدر مبالغة وهو القرآن بقرينة الإضافة، أي الهداية المخصوصة بي المنسوبة إلي، وفي معناها الهداية النبوية والسنة المصطفوية ولذا قال في المعالم: أي الكتاب والسنة ﴿**فلا يضل ولا يشقى**﴾[1] ظاهر كلام ابن عباس أن نفي الضلالة في الدنيا ونفي التعب في الآخرة وعليه جمهور المفسرين. وقال سهل بن عبد الله التستري: من اتبع الهدى وهو ملازمة الكتاب والسنة لا يضل عن طريق الهدى ولا يشقى في الآخرة والأولى؛ فكأنه لم يعدّ التعب الدنيوي مع النعيم الأخروي تعباً، أو لانشراح صدره واطمئنان قلبه وتسليمه تحت القضاء مع الرضا ارتفع التعب كله والله أعلم. (**رواه رزين**).

١٩١ - (**وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «ضرب الله مثلاً**) أي بين مثلاً (**صراطاً مستقيماً**) بدل من «مثلاً» لا على إهدام المبدل كما في قولك: زيد رأيت غلامه رجلاً صالحاً (**وعن جنبتي الصراط**) بفتح النون كذا في النهاية نقله ميرك، أي عن طرفيه وجانبيه يعني يمينه ويساره (**سوران**) والجملة حال عن صراطاً (**فيهما أبواب مفتحة**) الجملة صفة سوران، أي جداران فاصلان بين الصراط المستقيم وطرفيه الخارجين عن الصراط القويم المشبهين بسور البلد من جنبتيه أحد جانبيه من أهله والآخرة من العدو، وفيه إيماء إلى قوله تعالى: ﴿**فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب**﴾ [الحديد - ١٣] والله أعلم بالصواب (**وعلى الأبواب ستور**) جمع الستر بالكسر (**مرخاة**) أي مرسلة، والجملة حال من ضمير الأبواب في «مفتحة» ووضع الظاهر موضع الضمير الراجع إلى صاحبها لإفادة التفخيم. (**وعند رأس الصراط**) أي عليه (**داع**) معطوف على «وعن جنبتي الصراط» (**يقول**) أي الداعي (**استقيموا**) أي استووا (**على الصراط ولا تعوّجوا**) بتشديد الجيم من الاعوجاج كذا في نسخة السيد وغيره، وفي نسخة بتشديد الواو على حذف إحدى التاءين وهو تأكيد لما قبله، أي لا تميلوا إلى الأطراف. قال الطيبي: عطف على «استقيموا» على الطرد والعكس لأن مفهوم كل منهما يقرر منطوق الآخر وبالعكس. (**وفوق ذلك**) عطف على «وعند رأس الصراط» والمشار

---

(١) آية ١٢٣ من سورة طه.

الحديث رقم ١٩١: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٨٢.

داعٍ يدعو، كلما همّ عبدٌ أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك! لا تفتحه، فإنك إنْ تفتحْهُ تلجْهُ». ثم فسّره فأخبر: «أنّ الصراط هو الإسلام، وأنّ الأبواب المفتّحة محارمُ الله، وأنّ الستور المرخاة حدودُ الله، وأن الداعي على رأس الصراط هو القرآن، وأن الداعي من فوقه واعظُ الله في قلبِ كلّ مؤمنٍ». رواه رزين، ورواه أحمد.

١٩٢ ـ (٥٣) والبيهقي في «شعب الإيمان» عن النوّاس بن سمْعان، وكذا الترمذي عنه إلا أنه ذكر أخصر منه.

إليه بذلك الصراط أو الداعي (داع يدعو كلما همّ عبد) أي قصد وأراد (أن يفتح شيئاً) أي قدراً يسيراً (من تلك الأبواب) أي ستورها. قال الطيبي: كلما ظرف يستدعي الجواب وهو قال. اهـ. والضمير في (قال) راجع إلى الداعي (ويحك) زجر له عن تلك الهمة، وهي كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها كذا قاله الطيبي. يعني ثم استعمل لمجرد الزجر عما همّ به من الفتح (لا تفتحه) أي شيئاً من تلك الأبواب، أي ستورها. وقال الأبهري: هذا يدل على أن تلك الأبواب مردودة فمعنى قوله سابقاً «أبواب مفتحة» غير مغلقة. ا هـ. وهو خلاف الظاهر (فإنك إن تفتحه تلجه) أي تدخله، يعني لا تقدر أن تملك نفسك وتمسكها عن الدخول بعد الفتح (ثم فسره) أي أراد تفسيره (فأخبر أن الصراط هو الإسلام) وهو طريق مستقيم والمطلوب من العبد الاستقامة عليه (وأن الأبواب المفتحة محارم الله) فإنها أبواب للخروج عن كمال الإسلام والاستقامة والدخول في العذاب والملامة (وأن الستور المرخاة حدود الله) قال الطيبي: الحد الفاصل بين العبد ومحارم الله كما قال الله تعالى: ﴿تلك حدود الله فلا تقربوها﴾ [البقرة ـ ١٨٧] ا هـ. والظاهر والله أعلم أن المراد من الستور الأمور المستورة الغير المبينة من الدين المسماة بالشبهة المعبر عنها بحول الحمى في الحديث المشهور (وأن الداعي) وفي نسخة والداعي بالرفع (على رأس الصراط هو القرآن وأن الداعي من فوقه) أي فوق الصراط، أو من فوق الداعي الأول (هو واعظ الله في قلب كل مؤمن) قال الطيبي: هو لمة الملك في قلب المؤمن واللمة الأخرى هي لمة الشيطان. ا هـ. أي التي أثرها الهم، وكان الأظهر أن يقول: والهم لمة الشيطان. (رواه رزين) أي عن ابن مسعود. (ورواه أحمد).

١٩٢ ـ (والبيهقي في شعب الإيمان عن النوّاس) بفتح النون وتشديد الواو (ابن سمعان) بكسر السين المهملة، وقيل: بفتحها وسكون الميم وبالعين المهملة، كلابي سكن الشام وهو معدود منهم، روى عنه جبير بن نفير وأبو داود الخولاني وكان من أصحاب الصفة. (وكذا الترمذي عنه) أي روى عن النوّاس (إلا إنه) أي الترمذي (ذكر أخصر منه) أي من هذا الحديث أو أخصر مما ذكر غيره.

الحديث رقم ١٩٢: البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٤٤٥ حديث رقم ٧٢١٦. والترمذي مختصراً ٥/ ١٣٣ حديث رقم ٢٨٥٩. وقال حديث غريب.

١٩٣ ـ (٥٤) وعن ابن مسعود، قال: من كان مُستنًا؛ فليستنَّ بمَن قد مات، فإن الحيَّ لا تُؤمنُ عليه الفتنة. أولئك أصحاب محمَّد ﷺ كانوا أفضلَ هذه الأمَّة، أبرَّها قلوباً،

---

١٩٣ ـ (**وعن ابن مسعود قال: «من كان مستناً**) بتشديد النون، أي مقتدياً بسنة أحد وطريقته (**فليستن بمن قد مات**) أي على الإسلام والعلم والعمل وعلم حاله وكماله على وجه الاستقامة. قال الطيبي: أخرج الكلام مخرج الشرط والجزاء تنبيهاً به على الاجتهاد وتحري طريق الصواب بنفسه بالاستنباط من معاني الكتاب والسنة؛ فإن لم يتمكن فليقتد بأصحاب رسول الله ﷺ لأنهم نجوم الهدى، وكان ابن مسعود يوصي القرون الآتية بعد قرون الصحابة والتابعين باقتفاء أثرهم والاهتداء بسيرهم وأخلاقهم. ا هـ. والظاهر أنه يوصي التابعين ومن بعدهم تبع لهم بالاقتداء بالصحابة، لكن خص أمواتهم لأنه علم استقامتهم على الدين واستدامتهم على اليقين بخلاف من بقي منهم حياً فإنه يمكن منهم الافتتان ووقوع المعصية والطغيان، بل الردة والكفران لأن العبرة بالخاتمة. وهذا تواضع منه في حقه رضي الله عنه لكمال خوفه على نفسه، ولما رأى من الفتن العظيمة ووقوع الهالكين فيها وإلا فهو ممن يقتدى به حياً وميتاً، وقد شهد له عليه الصلاة والسلام بالجنة وقال: رضيت لأمتي ما رضي لهم، وإنه أفقه الصحابة بعد الخلفاء الأربعة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ولذا اختار الإمام الأعظم تشهده على تشهد ابن عباس. ويؤيد ما قلنا قوله: (**فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة**) قال الطيبي: الفتنة كالبلاء يستعملان فيما يدافع إليه الإنسان من الشدة والرخاء. ا هـ. وهما في الشدة أظهر وأما قول الطيبي لأن أصحاب النبي ﷺ كانوا قد أمنوا من الفتنة قال تعالى: ﴿**إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم**﴾ [الحجرات ـ ٣] ففيه نظر ظاهر (**أولئك أصحاب محمد ﷺ**) إشارة إلى من مات، أفرد الضمير في «مات» نظراً إلى اللفظ، وقال: «أولئك نظراً إلى المعنى كذا ذكره الطيبي. وفيه إشارة إلى أن الصحابي الحقيقي هو الذي لقي النبي ﷺ وآمن به ومات على الإيمان، وأما من عاش منهم فهو في خطر من الردة سواء آمن بعدها أم لا؛ فإن بالردة تبطل الصحبة في مذهبنا. (**كانوا أفضل هذه الأمة**) أي أمة الإجابة وهم خير أمة فكانوا أفضل الأمم، قال الطيبي: إشارة إلى ما في الذهن من أمة محمد ﷺ إلى انقراض العالم. ا هـ. أو يقال: الإشارة إلى الموجودين في القرن الثاني ويلزم منه الأفضلية على سائر القرون لحديث: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم»[١] الحديث (**أبرها قلوباً**) أي أطوعها وأحسنها وأخلصها وأعلمها أو أكثرها إيماناً، قال تعالى: ﴿**ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر**﴾ الآية [البقرة ـ ١٧٧]، وقال عزّ وجل: ﴿**أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى**﴾ [الحجرات ـ ٣] أي ضربها بأنواع المحن والتكليفات الصعبة والشدائد التي لا تطاق لأجل أن يختبر ما عندها من التقوى إذ لا تظهر[٢] حقيقتها إلا عند

الحديث رقم ١٩٣: رواه رزين.

(١) الترمذي ٤/ ٤٣٣ حديث رقم ٢٢٢١. (٢) في المخطوطة يظهر.

وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، اختارهم اللهُ لصحبة نبيه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم

ذلك، فوجدها مع ذلك على غاية من الانقياد والرضا، أو أخلصها للتقوى من قولهم امتحنت الذهب وفتنته إذا أذبته بالنار حتى خرج خالصاً نقياً، أو أذهب الشهوات والحظوظ الدنيوية عنها كما قاله عمر رضي الله عنه. **(وأعمقها علماً)** أي أكثرها غوراً من جهة العلم وأدقها فهماً وأوفرها حظاً من العلوم المختلفة كالتفسير والحديث والفقه والقراءة والفرائض والتصوف لسعة صدورهم وشرح قلوبهم فكان كل واحد منهم أمة جامعاً للشمائل السنية والفضائل البهية لا توجد غالباً إلا في جماعة. وأما من بعدهم فقد افترقوا؛ فبعضهم صار مفسراً وبعضهم محدثاً وغير ذلك لعدم تلك القابلية العظمى والاستمدادات الكاملة العليا، ولذا اعترض الشيخ جلال الدين السيوطي على العلامة التفتازاني في قوله: عند قوله تعالى: **﴿يسئلونك عن الأهلة﴾** [البقرة - ١٨٩] أن الجواب من أسلوب الحكيم فإنهم ما كانوا يدركون تحقيق ماهية الأهلة ولذا عدل إلى قوله: **﴿قل هي مواقيت للناس والحج﴾** [البقرة - ١٨٩] مع أن السائل من أجلاء الصحابة وهو معاذ بن جبل الذي قال عليه الصلاة والسلام في حقه: «هو أعلمكم بالحلال والحرام» **(وأقلها تكلفاً)** أي في العمل فإنهم كانوا يمشون حفاة ويصلون على الأرض ويأكلون من كل آنية ويشربون من سؤر الناس، وكذا في العلم فإنهم كانوا لا يتكلمون إلا فيما يعنيهم، ويقولون فيما لا يدرون: لا ندري، وكانوا يتدافعون الفتوى عن أنفسهم، ويشيرون إلى من هو أعلم منهم، وكذا في القراءة فإنهم كانوا يتلون القرآن حق تلاوته على لحون العرب من غير النغمات والتمطيطات وغيرها، وكذا في الأحوال الباطنية فإنهم ما كانوا يرقصون ولا يصيحون ولا يطيحون ولا يطرقون ولا يجتمعون للغناء والمزامير ولا يتحلقون للإذكار والصلوات برفع الصوت في المساجد ولا في بيوتهم، بل كانوا فرشيين بأبدانهم عرشيين بأرواحهم كائنين مع الخلق في الظاهر بائنين عن الخلق مع الحق في الباطن، وكانوا يلبسون ما تيسر لهم من الصوف والقطن والكتان غير متقيدين بالأوصاف المخصوصة والمرقعات المتنقشة، وكانوا يأكلون ما تهيأ لهم من الحلالات والمستلذات غير محترزين من اللحم أو اللبن أو الفواكه وغير ذلك وكل هذا بتربية النبي ﷺ المربي الكامل المكمل الذي قال: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»[١] كما أشار إليه رضي الله عنه بقوله: **(اختارهم الله)** أي من بين الخلائق **(لصحبة نبيه)** الذي كان كالإكسير في كمال التأثير **(ولإقامة دينه)** فإنهم نقلة أقواله وحملة أحواله إلى من بعدهم، وأيضاً جاهدوا حق الجهاد حتى فتحوا البلاد وأظهروا الدين للعباد مع اشتغالهم بأحوال المعاش والمعاد جزاهم الله عن المسلمين خير الجزاء في يوم التناد. **(فاعرفوا لهم فضلهم)** أي على غيرهم وإن كان بعضهم أفضل من بعض، أي زيادة قدرهم في كل شيء من العلم والعمل والغزو والإنفاق ومزية الثواب وغيرها كما قال تعالى: **﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾** [الحديد - ١٠] **(واتبعوهم)** بتشديد

(١) عزاه السيوطي إلى ابن السمعاني في الجامع الصغير ١/ ٢٥ حديث رقم ٣١٠.

على آثارهم، وتمسّكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسِيَرِهم، فإنهم كانوا على الهُدى المستقيم. رواه رَزين.

١٩٤ ـ (٥٥) وعن جابر، أنّ عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، أتى رسولَ الله ﷺ بنُسخةٍ من التّوراة، فقال: يا رسولَ الله! هذه نسخةٌ من التوراة، فسكت، فجعل يقرأ ووَجهُ رسول الله ﷺ يتغيّر. فقال أبو بكر: ثكلتْك الثواكلُ! ما ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟! فنظر عمرُ إلى وجه رسول الله ﷺ فقال: أعوذُ بالله من غَضب الله وغضب رسوله،

التاء، أي كونوا متبعين لهم حال كونكم ماشين (**على أثرهم**) بفتحهما وبكسر الهمزة وسكون المثلثة، أي عقبهم في العلم والعمل فإنهم اتبعوا أثر النبي ﷺ على ما شاهدوا من الأقوال والأحوال والأفعال، ولذا قال ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» (**وتمسكوا**) أي خذوا واعملوا (**بما استطعتم**) وفيه إشارة إلى عجز المتأخرين عن المتابعة الكاملة، لكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، والمحبة على قدر المتابعة كما أن المتابعة على قدر المحبة قال تعالى: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾ [آل عمران ـ ٣١] (**من أخلاقهم**) الحميدة (**وسيرهم**) السعيدة (**فإنهم كانوا على الهدى المستقيم**) لأنهم كانوا أتباع الرسول الكريم في الدين القويم. قال الطيبي: في قوله: «فاعرفوا لهم» قد أجمل ههنا، ثم فصل بقوله: «فضلهم» كما في قوله تعالى: ﴿**رب اشرح لي صدري**﴾ [طه ـ ٢٥] والمراد من العرفان ما يلازمه من متابعتهم ومحبتهم والتخلق بأخلاقهم فإن قوله: «فضلهم» كما في قوله تعالى: ﴿**واتبعوهم**﴾عطف على اعرفوا على سبيل البيان، وقوله: «على أثرهم» حال مؤكدة من فاعل «اتبعوا» نحو قوله تعالى: ﴿**ثم وليتم مدبرين**﴾ [التوبة ـ ٢٥] ويجوز أن يكون من المفعول. اهـ. وخطر بالبال والله أعلم بالحال أن هذا من ابن مسعود رضي الله عنه شهادة على حقية الأصحاب المتقدمين رداً على الرافضة والملحدين (**رواه رزين**).

١٩٤ ـ (**وعن جابر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى رسول الله ﷺ بنسخة**) بضم النون، أي بشيء نسخ ونقل (**من التوراة فقال: يا رسول الله هذه نسخة من التوراة**) أي فهل تأذن لنا أن نطالع فيها لنطلع على ما فيها من أخبار الأمم وشرائع موسى عليه الصلاة والسلام (**فسكت**) من كمال حلمه وغاية لينه ورحمته (**فجعل**) أي شرع عمر (**يقرأ**) تلك النسخة ظناً أن السكوت علامة الرضا والاذن (**ووجه رسول الله ﷺ يتغير**) من أثر الغضب (**فقال أبو بكر رضي الله عنه**) لعمر: (**ثكلتك**) بكسر الكاف، أي فقدتك (**الثواكل**) أي من الأمهات والبنات والأخوات، وأصله دعاء للموت لكن العرب تستعمله في محاوراتهم غير قاصدين به حقيقة ذلك كتربت يمينه ورغم أنفه. (**ما ترى**) ما نافية بتقدير الاستفهام (**ما بوجه رسول الله ﷺ**) ما هذه موصولة، أو موصوفة (**فنظر عمر إلى وجه رسول الله ﷺ**) فعرف آثار الغضب فيه (**فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله**) غضب الله توطئة لذكر غضب رسوله إيذاناً بأن غضبه

الحديث رقم ١٩٤: أخرجه الدارمي ١/ ١٢٦ حديث رقم ٤٣٥.

رَضينا بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمّدٍ نبياً. فقال رسولُ الله ﷺ: «والذي نفسُ محمدٍ بيده، لو بدا لكم موسى فاتبعتموهُ وتركتموني لضَلَلْتم عن سواءِ السَّبيل؛ ولو كانَ حَيّاً وأدركَ نُبوّتي لاتبعَني». رواه الدارمي.

١٩٥ ـ (٦٥) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كلامي لا يَنسَخُ كلامَ الله، وكلامُ الله يَنسَخ كلامي».

غضبه كذا قاله الطيبي: وإيماء إلى أن التعوّذ إنما هو من غضب الله حقيقة، وإنما يتعوّذ من غضب رسوله لأنه سبب لغضبه تعالى والله أعلم. (**رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً**) قاله اعتذاراً عما صدر عنه وجمع الضمير إرشاد للسامعين كذا قاله الطيبي: أو إيماء إلى أني مع الحاضرين في مقام الرضا طلباً للرضا واجتناباً عن الغضب. (**فقال رسول الله ﷺ: والذي نفس محمد بيده**) أي بقدرته وإرادته (**لو بدا**) بالألف دون الهمزة، أي ظهر (**لكم موسى**) على الفرض والتقدير (**فاتبعتموه وتركتموني**) لم يقتصر على الاتباع لأنه بمجرده لا محذور فيه وإنما المحذور في اتباع يؤدي إلى الترك (**لضللتم عن سواء السبيل**) فكيف مع وجودي وعدم ظهور موسى تتبعون كتابه المنسوخ وتتركون الأخذ مني (**ولو كان**) أي موسى كما في نسخة (**حياً**) أي في الدنيا فإن الأنبياء أحياء عند ربهم (**وأدرك نبوتي**) أي زمانها (**لا تبعني**») لأن دينه صار منسوخاً في زماني ولأخذ الميثاق منه ومن سائر الأنبياء على ذلك، كما قال تعالى: ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه**﴾ الآية [آل عمران ـ ٨١]. قيل: رسول عام فالتنوين للتنكير، وقيل: خاص وهو محمد ﷺ فالتنوين للتعظيم والله أعلم. وفي الحديث نهي بليغ عن العدول من الكتاب والسنة إلى غيرهما من كتب الحكماء والفلاسفة (**رواه الدارمي**).

١٩٥ ـ (**وعنه**) أي عن جابر (**قال: قال رسول الله ﷺ: «كلامي لا ينسخ كلام الله**) النسخ لغة: التبديل، وشرعاً: بيان لانتهاء الحكم الشرعي المطلق.

ثم نسخ الكتاب بالسنة لا يجوز عند الثوري والشافعي وأحمد في رواية، وفي رواية يجوز وهو مذهب أبي حنيفة ومالك. ومنه نسخ الوصية للوالدين والأقربين بقوله عليه الصلاة والسلام: «لا وصية لوارث»[1] وأجيب بأن الناسخ إنما هو آية الميراث وفيه بحث إذ الكلام في الوصية لا في مقدار الموصى به ومن هذا القبيل قوله عليه الصلاة والسلام: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»[2] (**وكلام الله ينسخ كلامي**) وهذا يؤيد مذهب أبي حنيفة في الجواز خلافاً للشافعي، ومثاله نسخ التوجه إلى بيت المقدس، فإنه ﷺ كان متوجهاً إلى الكعبة ثم تحوّل إلى

الحديث رقم ١٩٥: أخرجه الدارقطني في سننه ٤/ ١٤٥ «النوادر» حديث رقم ٩.

(١) أخرجه أبو داود ٣/ ٢٩٠ حديث ٢٨٧٠ والترمذي.

(٢) البخاري ٦/ ١٩٧ حديث رقم ٣٠٩٣. ومسلم بلفظ «لا نورث ما تركناه صدقة». ـ

وكلامُ الله ينسخُ بعضُه بعضاً».

١٩٦ ـ (٥٧) وعن ابن عمر، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أحاديثَنا ينسَخُ بعضُها بعضاً كنسخ القرآن».

بيت المقدس بالسنة، ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ [البقرة ـ ١٤٤] قال ابن حجر: في كل من هذين خلاف للأصوليين، والأصح أنه يجوز نسخ كل بالآخر لاستوائهما من حيث ظنية الدلالة في كل منهما، ولقوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [النحل ـ ٤٤] ولا يرد عليهم ما في هذا الحديث لتوقف ذلك على صحته أو حسنه على أنه يمكن تأويله بحمله على أنه لا ينسخ لفظه. (وكلام الله ينسخ بعضه بعضاً) وهذا لا خلاف فيه كآيات المسالمة بآيات القتال والمنسوخ أنواع: منها التلاوة والحكم معاً وهو ما نسخ من القرآن في حياة الرسول ﷺ بالإنساء حتى رُوي أن سورة الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة، ومنها الحكم دون التلاوة كقوله تعالى: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ [الكافرون ـ ٦] ومنها التلاوة دون الحكم كآية الرجم وهي: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم»[١] وبقي في الحديث قسم رابع وهو نسخ السنة بالسنة وجوازه متفق عليه ومثاله: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها»[٢] فاجتمع في هذا الحديث الناسخ والمنسوخ وهو مستفاد من الحديث الآتي وهو قوله:

١٩٦ ـ (وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحاديثنا) أي بشرط صحتها (ينسخ بعضها بعضاً) أي بشرط معرفة التاريخ (كنسخ القرآن») أي كما ينسخ بعض آياته بعضاً والتشبيه في مجرد النسخ لا في أنواعه كما تقدم[٣].

---

(١) يراجع الاتقان في علوم القرآن ٢/ ٢١. وفتح الباري ١٢/ ١٤٣ وهذا الحديث أخرجه السنة في كتبهم منهم مطولاً ومنهم مختصراً ومنهم بمعناه. وسنفصل القول كما سيأتي إن شاء الله.

(٢) الحاكم في المستدرك ١/ ٣٧٦.

الحديث رقم ١٩٦: أخرجه الدارقطني في سننه ٤/ ١٤٥ «النوادر» حديث رقم ١٠.

(٣) وقد تكلم علماء كثر في الناسخ والمنسوخ وفصلوا فيه القول وأفرده بالتصنيف خلائق لا يحصرون. وقد اختلف العلماء في تعريف النسخ فقال بعضهم يأتي بمعنى الازالة من قوله تعالى: ﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته﴾ [الحج: آية ٥٢]. كما يأتي بمعنى التبديل ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية﴾ [النحل: آية ١٠١] ويأتي بمعنى التحويل من شخص إلى آخر كما في المواريث (الاتقان ٢٠/ ٢٠). ويأتي بمعنى النقل من موضع إلى موضع «كقولك نسخت الكتاب» هذا على الصعيد اللغوي أما تعريف النسخ اصطلاحاً فهو «رفع الحكم الشرعي بدليل متراخ» فالنسخ يكون فيه النصان الناسخ والمنسوخ غير مقترنين زماناً. فيكون الناسخ متأخراً عن المنسوخ.

والنسخ جائز في شرعنا خلافاً لليهود والنصارى. ولم يخالف من علماء المسلمين بوقوع النسخ سوى أبو مسلم الأصفهاني ووجه الآيات أن الآيات لا تدل على وقوع النسخ بل تدلان على إمكانه وفرق =

. . . .

— بين الوقوع والجواز واستدل بأدلة تراجع في كتب أصول الفقه. فهو يحمل النسخ على أنه تخصيص. ورد عليه جمهور العلماء بأن هناك فرق بين التخصيص والنسخ فالتخصيص قرينة سابقة أو لاحقة أو مقارنة أما النسخ فلا يقع إلا بدليل متراخ. وكذلك فإن من أدلة التخصيص العقل والحس إلى جانب الكتاب والسنة أما في النسخ فأدلتها الكتاب والسنة فقط وهناك فروق عديدة.

ونسخ القرآن بالقرآن جائز عند جمهور علماء وهو يكون اما نسخ الحكم وبقاء التلاوة كقوله تعالى ﴿الذين يتوفون منكم﴾ إلى قوله تعالى ﴿متاعاً إلى الحول﴾ منسوخة بآية ﴿أربعة أشهر وعشرا﴾. وقد ذكر السيوطي في الاتقان الحكمة من ذلك فقال: إن القرآن كما يتلى ليعرف الحكم منه والعمل به فيتلى لكونه كلام الله فيثاب عليه فتركت التلاوة لهذه الحكمة وكذلك فإن النسخ غالباً يكون للتخفيف فأبقيت التلاوة تذكيراً للنعمة.

ومنه ما نسخت تلاوته وحكمه معاً: فقد أخرج الشيخان عن عائشة أنها قالت: «كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله ﷺ وهن مما يقرأ من القرآن: وأجابوا عن قولها بأن المراد قارب الوفاة أو أن التلاوة نسخت ولم يبلغ ذلك لكل الناس إلا بعد وفاة الرسول ﷺ.

ومنه ما نسخ تلاوة وبقي حكماً، وأمثلة ذلك «إذا زنا الشيخ والشيخة فارجموهما البته نكالاً من الله والله عزيز حكيم» فقد أخرجه أصحاب السنن عن عمر رضي الله عنه قال: «إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم، أن يقول قائل لا نجد حديث في كتاب الله فقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا والذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله تعالى لكتبتها (الشيخ والشيخة فارجموهما البتة) فإنا قد قرأناها. الموطأ ٢/ ٨٢٤ حديث رقم ١٠ من كتاب الحدود وأخرجه أبو داود والبخاري والنسائي. وغيرهم من أصحاب السنن مختصراً ومطولاً. وقال ابن حجر في السبب في نسخ تلاوتها ما روى الحاكم عن كثير بن الصلت قال: كان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص يكتبان في المصحف فمرا على هذه الآية فقال زيد سمعت رسول الله ﷺ يقول الشيخ والشيخة فارجموهما البتة. فقال عمر، لما نزلت أتيت النبي ﷺ فقلت اكتبها؟ فكأنه كره ذلك فقال عمر: ألا ترى أن الشيخ إذا زنى ولم يحصن جلد وأن الشاب إذا زنى وقد أحصن رجم». فنسخت تلاوتها لكون العمل على غير الظاهر من عمومها. وفي كتب علوم القرآن أمثلة وافرة. وعن كيفية النسخ قال أبو بكر الرازي يكون بأن ينسيهم الله إياه ويرفعه من أوهامهم ويأمرهم بالاعراض عن تلاوته وكتبه في المصحف فيندرس على الأيام كسائر كتب الله القديمة التي ذكرها في كتابه كصحف إبراهيم وموسى.

أما نسخ القرآن بالسنة. فقال الشافعي رحمه الله لا ينسخ القرآن إلا قرآن مثله واستدل بقوله تعالى: **﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾** وكذلك بقوله تعالى: **﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت ما يشاء وعنده أم الكتاب﴾** وكذلك الشافعي يرى لا بد من سنة تبين الناسخ من المنسوخ. وقال الشافعي حيث وقع نسخ القرآن بالسنة فمعها قرآن عاضد لها وحيث وقع نسخ السنة بالقرآن فمعه سنة عاضدة له ليتبين توافق القرآن والسنة. وأجاز الجمهور نسخ القرآن بالسنة لأنها أيضاً من عند الله قال تعالى: **﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾**.

ومنه نسخ السنة بالقرآن: اتفق الجمهور على أن القرآن ينسخ السنة كما في آية التوجه في القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة. ورأى الإمام الشافعي أن القرآن لا ينسخ السنة فهو يقول سنة رسول الله لا تنسخها إلا سنة رسول الله».

ومنه نسخ السنة بالسنة ومثل له بالوضوء مماست النار وتركه. والله أعلم.

١٩٧ - (٥٨) وعن أبي ثعلبة الخشني، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن اللّهَ فرضَ فرائضَ فلا تُضيّعوها، وحرّمَ حُرُماتٍ فلا تَنتهكوها، وحدَّ حُدوداً

١٩٧ - (وعن أبي ثعلبة) مشهور بكنيته واسمه جرثوم بن ناشر (الخشني) بضم المعجمة الأولى وفتح الثانية بطن من قضاعة، وهو من أهل بيعة الرضوان كذا في التهذيب. وأرسله النبي ﷺ إلى قومه فأسلموا ونزل بالشام ومات بها سنة خمس وسبعين، ومروياته أربعون حديثاً (قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله فرض فرائض) بالهمز جمع فريضة بمعنى مفروضة والتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية، وهي ما يترتب على فعله الثواب وعلى تركه العقاب من العبادات، قال في الصحاح: الفرض ما أوجبه الله سُمي بذلك لأن له معالم وحدوداً، واصطلاحاً هو ما يمدح فاعله شرعاً ويذم تاركه قصداً مطلقاً، ويرادفه الواجب هذا عند الشافعي. وعند أبي حنيفة ما ثبت بدليل قطعي والواجب بدليل ظني كذا في شرح الأربعين. والواجب عندنا فرض عملي أيضاً يترتب على تركه العقاب لكن دون عقاب الفرض، والمقام يناسب المعنى الأعم، أي أوجب أحكامها مقدرة مقطوعة كالإيمان والإسلام وكالصلاة والزكاة وسائر الفرائض العلمية والعملية سواء يكون من فروض الكفاية أو العينية وسواء أوجبه الله في كتابه أو على لسان رسوله. (فلا تضيعوها) بتركها رأساً أو بترك شروطها وأركانها أو بالسمعة والرياء أو بالعجب والغرور. قال بعض المحققين: وعند العارفين هي المعرفة الإلهية التي هي مقصود الخلق كما أشار إليه الحق بقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات - ٥٦] أي ليعرفون. ولا تحصل المعرفة غالباً إلا بالمجاهدة وهي تزكية النفس عن ظلمة أخلاقها، وتخليتها عن أوصاف الرذائل، وتحليتها بأنوار الفضائل كالتوبة والتقوى والزهد والاستقامة وسائر الأخلاق الحميدة، والارتقاء من حال إلى حال، والتصاعد من مقام إلى آخر حتى تنجلي شمس صفات الجلال وتظهر طوالع أنوار الجمال، ويستولي سلطان الحقيقة على ممالك الخليقة، ويطوي بأيدي سطوات الجود سرادقات الوجود؛ فما بقي الأرض ولا السماء ولا الظلمة ولا الضياء، وتلاشى العبد في كعبة العندية، ونودي بفناء الفناء من عالم البقاء، رفعت القبلة، وما بقي إلا الله ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ [البقرة - ١١٥] وهذا حال السالك المجذوب أو المجذوب السالك، ومعنى الجذبة أنه يناجي المجذوب من أمر الملكوت ما يدهش عقله ويأخذه عن نفسه. (وحرم حرمات) أي محرمات من المعاصي، وفي الأربعين للنووي: «وحرم أشياء»، أي كالميتة والدم (فلا تنتهكوها) أي لا تقربوها فضلاً عن أن تتناولوها كما قال تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ [الإسراء - ٣٢] وقال في الصحاح انتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل، وقيل: الانتهاك خرق محارم الشرع كذا ذكره السيد جمال الدين وقال ميرك: وهو عند الطائفة الصوفية متابعة الشيطان والهوى والإقبال على الدنيا والإعراض عن العقبى، إذ يجب أن ينقطع المحب عن كل مطلوب بل ينقطع عما سوى المحبوب. (وحد حدوداً) أي بيّن

الحديث رقم ١٩٧: أخرجه الدارقطني في سننه ٤/ ١٨٣ حديث رقم ٤٢ من كتاب الرضاع وأخرج عن الدرداء معناه ٤/ ٢٩٧.

فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها». روى الأحاديث الثلاثة الدارقطني.

وعيّن حدوداً في المعاصي من القتل والضرب **(فلا تعتدوها)** أي لا تتجاوزوا عن الحد بالزيادة ولا بالنقصان قال في النهاية: الحدود هي محارم الله تعالى وعقوباتها التي قرنها بالذنوب، وأصل الحد المنع والفصل بين الشيئين، فكأن حدود الشرع فصلت بين الحلال والحرام؛ فمنها ما لا يقرب كالفواحش المحرمة [ومنه قوله تعالى: ﴿**تلك حدود الله فلا تقربوها**﴾ [البقرة - ١٨٧] ومنها ما لا تتعدى كالمواريث المعينة وتزويج الأربعة] ومنه قوله تعالى: ﴿**تلك حدود الله فلا تعتدوها**﴾ [البقرة - ٢٢٩] والتلخيص أن حدود الله ما منع من مخالفتها بعد أن قدرها بمقادير مخصوصة وصفات مضبوطة ومنه تعيين الركعات والأوقات وما وجب إخراجه في الزكوات وإثباتها في الحج وحدود العقوبات، فكأنه تقرير وتأكيد للقسمين المتقدمين. وهذا وفي كلام الصوفية أن العبد يتقلب في جميع الأوقات على الحدود ولكل عمل حد ولكل وقت حد ولكل حال ومقام حد، فمن تخطاها فقد ضل سواء السبيل. **(وسكت عن أشياء)** أي ترك ذكر أشياء، أي حكمها من الوجوب والحرمة والحل **(من غير نسيان)** بل من رحمة وإحسان، وفي الأربعين: «رحمة لكم غير نسيان بنصب رحمة على العلة ونصب غير على الحالية. والنسيان هو ترك الفعل بلا قصد بعد حصول العلم بخلاف السهو. **(فلا تبحثوا عنها)** أي لا تفتشوا عن تلك الأشياء، دل على أن الأصل في الأشياء الإباحة كقوله تعالى: ﴿**هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً**﴾ [البقرة - ٢٩].

هذا وقال بعض العارفين: اعلم أن الله تعالى تجلى على عامة عباده بأفعاله وآياته المنبثة في أرضه وسمائه، ولخواص أصفيائه بصفاته العظمى، ولأعظم أنبيائه بذاته وحقائق صفاته، وخصه بذلك دون غيره من عرفانه رحمة لهم غير نسيان، إذ ما قام عظيم عند عظمته إلا كلّ وزلّ، ولا استقام كبير دون كبريائه إلا هام وقام كما قال جل جلاله وعم نواله: لا يراني حي إلا مات ولا يابس ألا تدهده ولا رطب إلا تفرق، وإنما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم، ولذا قال: فلا تبحثوا عنها، أي لا تتفكروا فيها؛ فإن الباب إلى وصول معرفة كنه الذات مردود والطريق إلى كنه الصفات مسدود، تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذات الله:

العجز عن درك الإدراك إدراك * والبحث عن سر ذات الرب إشراك

(روى الأحاديث الثلاثة الدارقطني) وقال النووي في الأخير حديث حسن رواه الدارقطني وغيره.

كتاب العلم

(كتاب العلم)

أي فضله وفضل تعلمه وتعليمه، وبيان ما هو علم شرعاً، وهو أعم من الكتاب والسنة، فيكون ذكره بعد باب الاعتصام من باب التعميم بعد التخصيص.

والعلم نور في قلب المؤمن مقتبس من مصابيح مشكاة النبوّة من الأقوال المحمدية والأفعال الأحمدية والأحوال المحمودية يهتدى به إلى الله وصفاته وأفعاله وأحكامه؛ فإن حصل بواسطة البشر فهو كسبي وإلا فهو العلم اللدني المنقسم إلى الوحي والإلهام والفراسة.

فالوحي لغة إشارة بسرعة، واصطلاحاً كلام إلهي يصل إلى القلب النبوي؛ فما أنزل صورته ومعناه ولا يكون إلا بواسطة جبريل فهو الكلام الإلهي، وما نزل معناه على الشارع فعبر عنه بكلامه فهو الحديث النبوي، وهذا قد يكون بغير واسطة في محل الشهود كما قال تعالى: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ [النجم ـ ١٠] وقد يكون بواسطة نزول الملك، أي بنزوله من الصورة الملكية إلى الهيئة البشرية. وتحقيقه أن المتكلم الحقيقي هو الحق فكلم أوّلاً محمداً بواسطة جبريل، وثانياً أصحابه بواسطة محمد، وثالثاً التابعين بواسطة الصحابة وهلم جرا. وقد يكون بنفثة في قلبه بأن يُلقي معناه من غير أن يتمثل بصورة «إن روح القدس نفث في روعي».

والإلهام [لغة] الإبلاغ، وهو علم حق يقذفه الله من الغيب في قلوب عباده ﴿قل إن ربي يقذف بالحق﴾.

والفراسة علم ينكشف من الغيب بسبب تفرس آثار الصور «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله». فالفرق بين الإلهام والفراسة أنها كشف الأمور الغيبية بواسطة تفرس آثار الصور والإلهام كشفها بلا واسطة، والفرق بين الإلهام والوحي أنه تابع للوحي من غير عكس. ثم علم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال، وعين اليقين ما كان بطريق الكشف والنوال، وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال لورود رائد الوصال.

الفصل الأول

١٩٨ ـ (١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «بَلِّغوا عَني ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيلَ ولا حرَجَ»

(الفصل الأول)

١٩٨ ـ (عن عبد الله بن عمرو) بالواو (قال: قال رسول الله ﷺ: «بلغوا عني) أي انقلوا إلى الناس وأفيدوهم ما أمكنكم، أو ما استطعتم مما سمعتموه مني وما أخذتموه عني من قول أو فعل أو تقرير بواسطة أو بغير واسطة (ولو آية) أي ولو كان المبلغ آية، وهي في اللغة العلامة الظاهرة. قال زين العرب: وإنما قال آية لأنها أقل ما يفيد في باب التبليغ، ولم يقل حديثاً لأن ذلك يفهم بطريق الأولى لأن الآيات إذا كانت واجبة التبليغ مع انتشارها وكثرة حملتها لتواترها وتكفل الله [تعالى] بحفظها وصونها عن الضياع والتحريف لقوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر ـ ٩] فالحديث مع أنه لا شيء فيه مما ذكر أولى بالتبليغ، وإما لشدة اهتمامه عليه الصلاة والسلام بنقل الآيات لبقائها من سائر المعجزات ولمساس الحاجة إلى ضبطها ونقلها إذ لا بد من تواتر ألفاظها والآية ما وزعت السورة [عليها] اهـ. والثاني أظهر كما لا يخفى، وقال المظهر: المراد بالآية الكلام المفيد نحو: من صمت نجا والدين النصيحة، أي بلغوا عني أحاديثي ولو كانت قليلة، فإن قيل: فلم قال ولو آية ولم يقل ولو حديثاً مع أنه المراد؟ قلنا: لوجهين أحدهما أنه أيضاً داخل في هذا الأمر لأنه عليه الصلاة والسلام مبلغهما، وثانيهما أن طباع المسلمين مائلة إلى قراءة القرآن وتعلمه وتعليمه ونشره ولأنه قد تكفل الله بحفظه. اهـ. والأظهر أن المراد الكلام المفيد وهو أعم من الآية والحديث؛ وإنما اختير لفظ الآية لشرفها، أو المراد من الآية الحكم الموحى إليه ﷺ وهو أعم من المتلوة وغيرها بحكم عموم الوحي الجلي والخفي، أو لأن كل ما صدر عن صدره فهو آية دالة على رسالته؛ فإن ظهور مثل هذه العلوم من الأمي معجزة والله أعلم.

قال الطيبي: وفي الحديث فوائد منها التحريض على نشر العلم، ومنها جواز تبليغ بعض الحديث كما هو عادة صاحب المصابيح والمشارق ولا بأس به إذ المقصود تبليغ لفظ الحديث مفيداً سواء كان تاماً أم لا. (وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) الحرج الضيق والإثم وهذا ليس على معنى إباحة الكذب عليهم بل دفع لتوهم[1] الحرج في التحديث عنهم وإن لم يعلم

الحديث رقم ١٩٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٤٩٦/٦ حديث رقم ٣٤٦١. وأخرجه الترمذي في السنن ٣٩/٥ حديث رقم ٢٦٦٩. وأحمد في المسند ١٥٩/٢.

(١) في المخطوطة «الحرج».

ومن كَذَبَ عليَّ متعمِّداً، فَلْيَتَبَوَّأْ مقعَدَه من النّارِ».

صحته وإسناده لبعد الزمان كذا في شرح السنة، وتبعه زين العرب وأشار إليه المظهر، وهو مقيد بما إذا لم نر كذب ما قالوه علماً أو ظناً. قال السيد جمال الدين ووجه التوفيق بين النهي عن الاشتغال بما جاء عنهم وبين الترخيص المفهوم من هذا الحديث أن المراد بالتحدث ههنا التحدث بالقصص من الآيات العجيبة كحكاية عوج بن عنق، وقتل بني إسرائيل أنفسهم في توبتهم من عبادة العجل، وتفصيل القصص المذكورة في القرآن، لأن في ذلك عبرة وموعظة لأولي الألباب، وأن المراد بالنهي هناك النهي عن نقل أحكام كتبهم لأن جميع الشرائع والأديان منسوخة بشريعة نبينا ﷺ. ا هـ. لكن قال ابن قتيبة: وما روي عن عوج أنه رفع جبلاً قدر عسكر موسى عليه السلام وهم كانوا ثلثمائة ألف ليضعه عليهم، فنقره هدهد بمنقاره وثقبه ووقع في عنقه فكذب لا أصل له كذا نقله الأبهري، وروى الفقيه أبو الليث السمرقندي بإسناده في تنبيه الغافلين[1] عن النبي ﷺ أنه قال: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج فإنه قد كانت فيهم أعاجيب» ثم أنشأ يحدث، أي رسول الله ﷺ فقال: «خرجت طائفة من بني إسرائيل حتى انتهوا إلى مقبرة، فقالوا لو صلينا ثم دعونا ربنا حتى يخرج الله لنا بعض الموتى فيخبرنا عن الموت ففعلوا ذلك. ثم دعوا ربهم، فبيناهم كذلك إذا رجل قد أطلع رأسه من قبره وهو أسود خلا شيباً، أي بياض رأسه يخالط سواده، وقال: «يا هؤلاء ما أردتم فوالله لقدمت منذ تسعين سنة فما ذهبت مرارة الموت مني حتى كأنه الآن فادعوا الله أن يعيدني كما كنت وكان بين عينيه أثر السجود» (ومن كذب عليّ) قال الكرماني: معنى كذب عليه نسب الكلام كاذباً إليه[2] سواء كان عليه أوله. ا هـ. وبهذا يندفع زعم من جوز وضع الأحاديث للتحريض على العبادة كما وقع لبعض الصوفية الجهلة في وضع أحاديث في فضائل السور وفي الصلاة الليلية والنهارية وغيرهما، والأظهر أن تعديته بعلى لتضمين معنى الإفتراء. (متعمداً) نصب على الحال وليس حالاً مؤكدة لأن الكذب قد يكون من غير تعمد، وفيه تنبيه على عدم دخول النار فيه. (فليتبوأ مقعده من النار») يقال: تبوأ الدار إذا اتخذها مسكناً، وهو أمر معناه الخبر يعني: فإن الله يبوئه. وتعبيره بصيغة الأمر للإهانة ولذا قيل: الأمر فيه للتهكم والتهديد إذ هو أبلغ في[3] التغليظ والتشديد من أن يقال: كان مقعده في النار، ومن ثم كان ذلك كبيرة بل قال الشيخ أبو محمد الجويني: إنه كفر يعني لأنه يترتب عليه الاستخفاف بالشريعة.

ويؤخذ من الحديث أن من قرأ حديثه وهو يعلم أنه يلحن فيه سواء كان في أدائه أو إعرابه يدخل في هذا الوعيد الشديد لأنه بلحنه كاذب عليه، وفيه إشارة إلى أن من نقل حديثاً وعلم كذبه يكون مستحقاً للنار إلا أن يتوب لا من نقل عن راو عنه عليه السلام أو رأى في

(١) تنبيه الغافلين لأبي الليث نصر بن محمد الفقيه السمرقندي ت (٣٧٥) وهو كتاب في المواعظ ذكر الذهبي أن فيه كثيراً من الأحاديث الموضوعة. (كشف الظنون).

(٢) في المخطوطة «عليه».

(٣) في المخطوطة من.

رواه البخاري.

١٩٩ ـ (٢) وعن سَمُرَة بن جندب، والمغيرة بن شعبة،

كتاب ولم يعلم كذبه. قال الطيبي: فيه إيجاب التحديث بالضعيف مطلقاً مردود التحرز عن الكذب على رسول الله ﷺ بأن لا يحدث عنه إلا بما يصح بنقل الإسناد، قال ابن حجر: وما أوهمه كلام شارح من حرمة التحديث بالضعيف مطلقاً مردود. ا هـ. والظاهر أن مراد الطيبي بقوله: [«إلا] بما يصح» الصحة اللغوية التي بمعنى الثبوت لا الاصطلاحية وإلا لأوهم حرمة التحديث بالحسن أيضاً ولا يحسن ذلك ولا يظن به هذا، إذ من المعلوم أن أكثر الأحاديث الدالة على الفروع حسان، ومن المقرر أن الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال فيتعين حمل كلامه على ما ذكرناه، وكلامه أيضاً مشعر بذلك إذ لم يقل: بنقل الإسناد الصحيح، ولكنه موهم أنه لا بد من ذكر الإسناد وليس كذلك لأن المراد أنه لا يحدث عنه إلا بما ثبت عنه، وذلك الثبوت إنما يكون بنقل الإسناد وفائدته أنه لو روى عنه ما يكون معناه صحيحاً لكن ليس له إسناد فلا يجوز أن يحدث [به] عنه. واللام في الإسناد للعهد، أي الإسناد المعتبر عند المحدثين وإلا [فـ] قد يكون للحديث الموضوع إسناد أيضاً. قال عبد الله بن المبارك: الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء[1]، قال ابن حجر: ولكون الإسناد يعلم به الموضوع من غيره كانت معرفته من فروض الكفاية، قيل: «بلغوا عني» يحتمل وجهين أحدهما اتصال السند بنقل الثقة عن مثله إلى منتهاه؛ لأن التبليغ من البلوغ وهو إنهاء الشيء إلى غايته، والثاني أداء اللفظ كما سمع من غير تغيير، والمطلوب في الحديث كلا الوجهين لوقوع بلغوا مقابلاً لقوله: «حدثوا عن بني إسرائيل» (رواه البخاري) أي مجموع الحديث، وكذا رواه أحمد والترمذي. وأما قوله: «من كذب» الخ فرواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجة وأبو داود والحاكم والطبراني والدارقطني والخطيب وابن عدي وغيرهم عن جمع كثير من الصحابة. قال ابن الصلاح: حديث «من كذب عليّ» من المتواتر وليس في الأحاديث ما في مرتبته من التواتر فإن ناقليه من الصحابة جم غفير، قيل: اثنان وستون من الصحابة فيهم العشرة المبشرة بالجنة. وقيل: لا نعرف حديثاً اجتمع فيه العشرة إلا هذا. ثم عدد الرواة كان في التزايد في كل قرن.

١٩٩ ـ **(وعن سمرة)** بفتح السين وضم الميم **(ابن جندب)** بضم الجيم والدال ويفتح، الفزاري حليف الأنصار كان من الحفاظ المكثرين عن رسول الله ﷺ، روى عنه جماعة، مات بالبصرة آخر [سنة] تسع وخمسين. **(والمغيرة بن شعبة)** بضم الميم وكسرها والضم أشهر، قيل: إنه أحصن ثلثمائة امرأة في الإسلام كذا في التهذيب، ثقفي أسلم عام الخندق وقدم

---

(١) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه ص ١٥ باب ٥.

الحديث رقم ١٩٩: أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه ٩/١. وأخرجه الترمذي عن المغيرة في سننه ٣٥/٥ حديث رقم ٢٦٦٢ وابن ماجة في مقدمة سننه ١٥/١ حديث رقم ٣٩ عن سمرة. وحديث رقم ٤١ عن المغيرة وأخرجه أحمد في المسند عن سمرة ١٤/٥ وعن المغيرة ٢٥٠/٤.

قالا: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن حدَّث عني بحديثٍ يَرى أنه كذِبٌ، فهو أحدُ الكاذِبِين». رواه مسلم.

٢٠٠ ـ (٣) وعن معاوية،

مهاجراً، نزل الكوفة ومات بها سنة خمسين وهو ابن سبعين سنة وهو أميرها لمعاوية بن أبي سفيان، روى عنه نفر. (قالا) رضي الله عنهما (قال رسول الله ﷺ: «من حدث عني بحديث) أي ولو بواحد (يرى) رُوي بضم الياء من الأراءة، أي يظن وبفتحها من الرأي، أي يعلم (أنه) أي الحديث (كذب) بفتح الكاف وكسر الذال، وجوّز كسر الكاف وسكون الذال، يعني ولم يبين كذبه (فهو) بضم الهاء وسكونها (أحد الكاذبين») جمع باعتبار كثرة النقلة. قال الأشرف: سماه كاذباً لأنه يعين المفتري ويشاركه بسبب إشاعته فهو كمن أعان ظالماً على ظلمه، قال الشيخ محيي الدين النووي: «يري» ضبطناه بضم الياء، والكاذبين بكسر الباء وفتح النون على الجمع وهذا هو المشهور في اللفظين. وقال القاضي عياض: الرواية عندنا على الجمع. ورواه أبو نعيم الأصفهاني في المستخرج من حديث سمرة على التثنية، واحتج به على أن الراوي له يشارك البادىء بهذا الكذب، ثم رواه أبو نعيم من رواية المغيرة الكاذبَين أو الكاذبِين على الشك في التثنية والجمع، وذكر بعض الأئمة جواز فتح الياء من يرى بمعنى يعلم وهو ظاهر حسن؛ فأما من ضم الياء فمعناه يظن، ويجوز أن يكون الفتح بمعنى يظن أيضاً فقد حُكي رأى بمعنى ظن، وقيل: إنه لا يأثم إلا برواية ما يعلمه أو يظنه كذباً، وأما ما لا يعلمه ولا يظنه فلا اثم عليه في روايته وإن ظنه غيره كذباً أو علمه. ا هـ. كلام الشيخ محيي الدين النووي. قال السيد جمال الدين في تجويزه فتح الياء بمعنى يعلم تأمل، ولعل وجه التأمل أن الظن يكفي في هذا المقام بل أبلغ في إفادة المرام فلا يحتاج إلى العلم التام، ويمكن دفعه بأن المراد العلم بالمعنى الأعم يقينياً أو ظنياً والله أعلم. (رواه مسلم) وأحمد وابن ماجة.

٢٠٠ ـ (وعن معاوية) رضي الله عنه هو معاوية بن أبي سفيان القرشي الأموي أمه هند بنت عتبة، كان هو وأبوه من مسلمة الفتح ثم من المؤلفة قلوبهم، وهو أحد الذين كتبوا لرسول الله ﷺ، وقيل: لم يكتب له من الوحي شيئاً إنما كتب له كتبه، روى عنه ابن عباس وأبو سعيد تولى الشام بعد أخيه يزيد في زمن عمر ولم يزل بها متولياً حاكماً إلى أن مات وذلك أربعون سنة منها في أيام عمر أربع سنين أو نحوها، ومدة خلافة عثمان وخلافة علي وابنه الحسن وذلك تمام عشرين سنة، ثم استوثق له الأمر بتسليم الحسن بن علي إليه في سنة إحدى

الحديث رقم ٢٠٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٦٤ حديث رقم ٧١ ومسلم إلى قوله «ويعطي الله» ٢/ ٧١٩ حديث رقم (١٠٠ ـ ١٠٣٧) والدارمي في سننه ١/ ٨٥ حديث رقم ٢٢٤. ومالك بعضه في الموطأ ٢/ ٩٠٠ حديث ٨. وأحمد في المسند عن معاوية ٤/ ٩٢. ورواه عن ابن عباس الترمذي ٥/ ٢٨ حديث رقم ٢٦٤٥ وقال حسن صحيح وأحمد في مسنده ١/ ٣٠٦ والدارمي ١/ ٨٥ حديث رقم ٢٢٥. وأخرجه ابن ماجة عن أبي هريرة ١/ ٢٢٠ حديث رقم ٢٢٠.

قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيراً يُفقِّهه في الدين، وإنما أنا قاسمٌ واللَّهُ يعطي». متفق عليه.

٢٠١ ـ (٤) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الناسُ معادنُ

وأربعين ودام له عشرين سنة، ومات في رجب بدمشق وله ثمان وسبعون سنة. وكان إصابته في آخر عمره لقوة وكان يقول في آخر عمره: ليتني كنت رجلاً من قريش بذي طوى ولم أر من هذا الأمر شيئاً، وكان عنده إزار رسول الله ﷺ ورداؤه وقميصه وشيء من شعره وأظفاره فقال: كفنوني في قميصه وأدرجوني في ردائه وأزروني بإزاره واحشوا منخري وشدقي ومواضع السجود من شعره وأظفاره وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين. (قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً) تنكيره للتفخيم، أي خيراً كثيراً (يفقهه) بتشديد القاف، أي يجعله عالماً (في الدين) أي أحكام الشريعة والطريقة والحقيقة ولا يختص بالفقه المصطلح المختص بالأحكام الشرعية العملية كما ظن؛ فقد روى الدارمي عن عمران قال: قلت للحسن يوماً في شيء قاله: يا أبا سعيد هكذا يقول الفقهاء، قال: ويحك هل رأيت فقيهاً قط، إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بأمر دينه المداوم على عبادة ربه[1]، وفي رواية: إنما الفقيه من انفقأت عينا قلبه فنظر إلى ربه. اهـ. ويؤيده ما في رواية: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ويلهمه رشده» رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود (وإنما أنا قاسم) أي للعلم (والله يعطي») أي الفهم في العلم بمبناه والتفكر في معناه والعمل بمقتضاه. قال الطيبي: الواو في «وإنما» للحال من فاعل يفقهه، أو من مفعوله، أي أنا أقسم العلم بينكم فألقي إليكم جميعاً ما يليق بكل أحد والله يوفق من يشاء منكم لفهمه. قال ابن حجر: ومن ثم تفاوتت أفهام الصحابة مع استواء تبليغه عليه الصلاة والسلام، بل فاق بعض من جاء بعد الصحابة بعضهم في الفهم والاستنباط كما أشار لذلك الخبر الآتي: «رب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»، وقيل: معناه أنا أقسم المال بينكم والله يعطيه فلا يكون في قلوبكم سخط وتنكر عن التفاضل في القسمة فإنه أمر الله، والظاهر أن المعنى أنا أقسم العلم بينكم والله يعطي العلم كذا قاله بعض الشراح. والأظهر أن لا منع من الجمع وإن كان المقام يقتضي العلم والله أعلم. قيل: ولم يقل معطٍ لأن إعطاء [ه] متجدد ساعة فساعة. (متفق عليه) ورواه أحمد عنه، وكذا أحمد والترمذي عن ابن عباس وابن ماجة عن أبي هريرة.

٢٠١ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الناس معادن) جمع معدن والمراد به

---

(١) أخرجه الدارمي في السنن ١/ ١٠١ حديث رقم ٢٩٤.

الحديث رقم ٢٠١: أخرجه مسلم من حديث طويل ٤/ ٢٠٣١ حديث (١٦٠ ـ ٢٦٣٨). أما لفظ «خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» فهو متفق عليه من حديث أبي هريرة «قيل يا رسول الله من أكرم الناس...» أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٨٧ حديث رقم ٣٣٥٣. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٤٦ حديث (١٦٨ ـ ٢٣٧٨).

كمعادن الذهب والفضّة، خِيارُهم في الجاهليّة خِيارُهم في الإسلام إذا فَقُهوا». رواه مسلم.

٢٠٢ ـ (٥) وعن ابن مسعود، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا حَسَدَ إلا في اثنتين:

مستقر الأخلاق كذا ذكره الأبهري. (كمعادن الذهب والفضة) وغيرهما إلى أن ينتهي إلى الأدنى؛ فمن كان استعداده أقوى كانت فضيلته أتم، وفيه إشارة إلى أن ما في معادن الطباع من جواهر مكارم الأخلاق ينبغي أن يستخرج برياضة النفوس كما تستخرج[1] جواهر المعادن بالمقاساة والتعب كذا ذكره ابن الملك. وقال الطيبي: المعدن المستقر من عدنت البلد إذا توطنته، ومنه المعدن لمستقر الجواهر. ومعادن خبر المبتدأ ولا يصح حمله إلا بأحد وجهين إما على التشبيه كقولك: زيد أسد وحينئذ يكون كمعادن الذهب بدلاً منه، أي الناس كمعادن الذهب، وإما على أن المعادن مجاز عن التفاوت؛ فالمعنى أن الناس متفاوتون يعني في مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات تفاوتاً مثل تفاوت معادن الذهب، والمراد بالتفاوت تفاوت النسب في الشرف والضعة يدل عليه الصلاة والسلام في حديث آخر: «فعن معادن العرب تسألونني؟ قالوا: نعم» أي أصولها التي ينسبون إليها ويتفاخرون بها، وإنما جعلت معادن لما فيها من معنى الاستعدادات المتفاوتة، فمنها قابلة لفيض الله سبحانه على مراتب المعادن ومنها غير قابلة، وقوله: (خيارهم في الجاهلية) الخ جملة مبينة شبههم بالمعادن في كونها أوعية للجواهر النفيسة والفلزات المنتفع[2] بها المعني بها العلوم والحكم؛ فالتفاوت في الجاهلية بحسب الأنساب، وفي الإسلام بالإحساب ولا يعتبر الأول إلا بالثاني، فالمعنى خيارهم بمكارم الأخلاق في الجاهلية. (خيارهم في الإسلام) أيضاً بها (إذا فقهوا) بضم القاف، وقيل: بالكسر، أي إذا استووا في الفقه وإلا فالشرف للأفقه منه. قال في النهاية: فقِه الرجل بالكسر إذا علم وفقُه بالضم إذا صار فقيهاً عالماً، وجعله العرف خاصاً بعلم الشريعة وتخصيصها بعلم الفروع. (رواه مسلم).

٢٠٢ ـ (وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد) وهو تمني زوال نعمة أحد وانتقالها إليه كذا قيل، والحق أنه أعم وهو مذموم إذا عمل بمقتضاه من تصميم أو قول أو فعل، ولذا قال تعالى: ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ [الفلق ـ ٥] واستثنوا من ذلك إذا كانت النعمة لكافر أو فاسق يستعين بها على معاصي الله، والمراد هنا الغبطة وهي تمني حصول مثلها له، وأطلق الحسد عليها مجازاً. قال الطيبي: أي لا رخصة فيه، والظاهر أن معناه لو جاز الحسد لما جاز إلا فيما ذكر وأما ما قيل من أنه يؤخذ من الحديث إباحة نوع من الحسد لتضمنه المنفعة في الدين فغير صحيح. (إلا في اثنتين) أي في نفيسين أو خصلتين، وروي

---

(١) في المخطوطة «يستخرج». (٢) في المخطوطة «المنفعة».

الحديث رقم ٢٠٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٦٥ حديث رقم ٧٣. وأخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٥٥٩ حديث رقم (٢٦٨ ـ ٨١٦) وأخرجه أحمد في المسند ١/ ٤٣٢.

رجلٌ آتاهُ الله مالاً فسلَّطه على هَلَكتِه في الحقِّ، ورجُل آتاه اللّهُ الحِكمة فهو يَقضي بها ويُعَلِّمُها». متفق عليه.

٢٠٣ ـ (٦) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ماتَ الإنسانُ انقطع عنه عملُه إلا من ثلاثة: إلاّ من صدَقةٍ جارية،

بالتذكير، أي في شأن اثنين. (رجل) رُوي مجروراً على البدل وهو أوثق الروايات، ورُوي مرفوعاً مبتدأ، أو قال الطيبي [روي:] «لا حسد إلا في اثنين» فيكون «رجل» بدلاً منه، ورُوي في «اثنتين» أي خصلتين اثنتين فلا بد من تقدير مضاف ليستقيم المعنى، فإذا رُوي «في اثنين» يقدر في شأن اثنين، وإذا رُوي «اثنتين» يقدر خصلة رجل. (آتاه الله) بالمد، أي أعطاه (مالاً) أي مالاً كثيراً أو نوعاً من المال ولا بد أن يكون [حلالاً] (فسلطه) أي وكله الله ووفقه (على هلكته) بفتحتين، أي انفاقه وإهلاكه وعبر بذلك ليدل على أنه لا يبقي منه شيئاً وكمله بقوله: (في الحق)[1] ليزيل الإسراف المذموم والرياء الملوم، ولا سرف في الخير كما لا خير في السرف (ورجل) بالوجهين للعطف (آتاه الله الحكمة) وهي إصابة الحق بالعلم والعمل، أو علم أحكام الدين. قال الكرماني: عرف الحكمة لأن المراد بها معرفة الأشياء التي جاءت بها الشريعة، وأراد التعريف بلام العهد (فهو يقضي) أي يعمل ويحكم (بها) أي بالحكمة التي أوتيها (ويعلمها») أي غيره (متفق عليه).

٢٠٣ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله) أي أعماله بدليل الاستثناء والمراد فائدة عمله لانقطاع عمله، يعني لا يصل إليه أجر وثواب من شيء من عمله (إلا من ثلاثة) أي من ثلاثة أشياء؛ فإن فائدتها لا تنقطع عنه لما ثبت عنه سبحانه أنه يثيب المكلف بكل فعل يتوقف وجوده بوجه ما على كسبه سواء فيه المباشرة والتسبب (إلا من صدقة) قال الطيبي: في بعض نسخ المصابيح أسقطوا «إلا» وهي مثبتة في صحيح مسلم وكتاب الحميدي وجامع الأصول والمشارق، وهو إلى آخر بدل من قوله «إلا من ثلاثة» فعلى التكرير فيه مزيد تقرير واعتناء بشأنه. اهـ. وقال الأبهري: «من» زائدة والتنوين عوض الأعمال، وقيل: بل الضمير في «عنه» زائد، ومعناه إذا مات الإنسان انقطع عن أعماله إلا من ثلاثة، ويحتمل أن يقال: كلتاهما أصليتان ومعناه إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله وانقطع هو عن عمله إلا من ثلاثة أعمال (جارية) يجري نفعها فيدوم أجرها كالوقف في وجوه الخير، وفي الأزهار قال أكثرهم: هي الوقف وشبهه مما يدوم نفعه، وقال بعضهم: هي القناة والعين الجارية المسبلة، قلت: وهذا داخل في عموم الأول ولعلهم أرادوا هذا الخاص لكن لا وجه

---

(١) في المخطوطة «الخير».

الحديث رقم ٢٠٣: أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٢٥٥ حديث (١٤ ـ ١٦٣١). وأخرجه أبو داود ٣/ ٣٠٠ حديث رقم ٢٨٨٠ وأخرجه النسائي في السنن ٦/ ٢٥١ حديث رقم ٣٦٥١. وأخرجه الترمذي ٣/ ٦٦٠ حديث رقم ١٣٧٦. وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٧٢.

أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولَدٍ صالحٍ يدعُو له». رواه مسلم.

٢٠٤ ـ (٧) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من نَفَّسَ

للتخصيص. (أو علم ينتفع به) أي بعد موته، قال ابن الملك: قيد العلم بالمنتفع به لأن غيره لا يؤتى[1] به أجراً، والمراد بالمتفع[2] به العلم بالله وصفاته وأفعاله وملائكته، ويدخل فيه علم الكلام، أي العقائد والعلم بكتبه، ويدخل فيه التفسير وبملكوت أرضه وسمائه، ويدخل فيه علم الرياضي. أقول: وفيه نظر، قال: والعلم بشريعة محمد ﷺ، ويدخل فيه التفسير أيضاً والحديث والفقه وأصوله. قلت: الأولى الاقتصار على الأخير المشتمل على النقير والقطمير. (أو ولد صالح) أي مؤمن كما قاله ابن حجر المكي (يدعو له») قال ابن الملك: قيد الولد بالصالح لأن الأجر لا يحصل من غيره، وإنما ذكر دعاءه تحريضاً للولد على الدعاء لأبيه حتى قيل: للوالد ثواب من عمل الولد الصالح سواء دعا لأبيه أم لا، كما أن من غرس شجرة يحصل للغارس ثواباً بأكل ثمرتها سواء دعا له الآكل أم لا. قال الطيبي: الاستثناء متصل تقديره ينقطع عنه ثواب أعماله من كل شيء كالصلاة والزكاة ولا ينقطع ثواب أعماله من هذه الثلاثة، يعني إذا مات الإنسان لا يكتب له أجر أعماله لأنه جزاء العمل وهو منقطع بموته إلا فعلاً دائم الخير مستمر النفع مثل وقف أرض أو تصنيف كتاب أو تعليم مسئلة يعمل بها أو ولد صالح، وجعل الولد من العمل لأنه السبب في وجوده. اهـ. ولا تنافي بين هذا الحصر وبين قوله عليه الصلاة والسلام: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة»[3] لأن السنة المسنونة من جملة المنتفع به، وكذا لا تنافي بينه وبين قوله عليه الصلاة والسلام: «كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة»[4] لأن النامي من عمل المرابط ما قدمه في حياته. وأما الثلاثة المذكورة فإنها أعمال تحدث بعد وفاته فلا تنقطع عنه لأنه سبب تلك الأعمال؛ فهذه الأشياء يلحقه منها ثواب طار خلاف أعماله الذي مات عليها[5]، أو لأن معناه أن الرجل إذا مات لا يزاد في ثوب ما عمل ولا ينقص منه شيئاً إلا الغازي فإن ثواب مرابطته ينمو ويتضاعف وليس فيه ما يدل على أن عمله يزاد بضم غيره أو لا يزاد، وقيل: يمكن أن تجعل المرابطة داخلة في الصدقة الجارية إذ المقصود نصرة المسلمين. اهـ. وهو الأظهر (رواه مسلم).

٢٠٤ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفس)

---

(١) في المخطوطة «لا يؤت». (٢) «المتفع» كذا في المخطوطة.

(٣) مسلم ٤/٢٠٥٩ حديث ١٠١٧ مع بعض التغير.

(٤) أبو داود ٣/٢٠ حديث ٢٥٠٠ وأخرجه الترمذي كذلك.

(٥) في المخطوطة عليه.

الحديث رقم ٢٠٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٧٤ حديث رقم (٣٨ ـ ٢٦٩٩) وأخرج البخاري بعض ألفاظه ٥/٩٧ حديث رقم ٢٤٤٢. وأخرجه أبو داود إلى «والله في عون العبد...» ٥/ ٢٣٤ ح

عن مُؤمنٍ كُربةً من كُرَبِ الدنيا، نَفَّسَ اللَّهُ عنه كُربةً من كُرَبِ يوم القيامة. ومَن يسَّر على مُعْسِرٍ يسَّرَ اللَّهُ عليه في الدنيا والآخرة. ومَن ستَرَ مُسلماً ستره اللَّهُ في الدنيا والآخرة.

بالتشديد، أي فرّج، قال الطيبي: كأنه فتح مداخل الأنفاس فهو مأخوذ من قولهم: أنت في نفس، أي سعة كأن من كان في كربة سد عنه مداخل الأنفاس فإذا فرج عنه فتحت بمعنى من أزال وأذهب (**عن مؤمن**) أي مؤمن ولو كان فاسقاً مراعاة لإيمانه (**كربة**) أي أيّ حزن وعناء وشدة ولو حقيرة (**من كرب الدنيا**) الفانية المنقضية، ومن تبعيضية أو ابتدائية (**نفس الله عنه كربة**) أي عظيمة. (**من كرب يوم القيامة**) أي الباقية الغير المتناهية فلا يرد أنه تعالى قال: ﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**﴾ [الأنعام - ١٦٦] فإنه أعم من أن يكون في الكمية أو الكيفية، ولما كان الخلق كلهم عيال الله وتنفيش الكرب إحسان فجازاه الله جزاء وفاقاً لقوله تعالى: ﴿**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**﴾ [الرحمن - ٦٠].

(**ومن يسرّ على معسر**) أي سهّل على فقير وهو يشمل المؤمن والكافر، أي من كان له دين على فقير فسهّل عليه بإمهال أو بترك بعضه أو كله (**يسر الله عليه**) بدل تيسيره على عبده مجازاة بجنسه (**في الدنيا والآخرة**) أي في الدارين أو في أمورهما، قال بعض العارفين: لا يخفى أن المعسر وصاحب الكربة هو المريد في وادي الغربة المحتاج إلى قطع العقبات النفسانية والمنازل الظلمانية والنورانية، كما اشتهر عن الكتاني أن بين العبد والحق ألف مقام من نور وظلمة ويتلقاه الوساوس والهواجس، فعلى شيخه أن ينفس كربة الوساوس عنه بأمره بترك المبالاة بها والتأمل في الحجج العقلية والأدلة النقلية إن استأهله واستدامة الذكر والابتهال إلى المولى، ويسهّل عليه سواء الطريق ويذيقه حلاوة التحقيق حتى يسطع في قلبه أنوار القلوب ويطلع في سره شموس الوصول إلى المحبوب.

(**ومن ستر مسلماً**) أي في قبيح يفعله فلا يفضحه، أو كساه ثوباً (**ستره الله**) أي عيوبه أو عورته (**في الدنيا والآخرة**) كما تقدم، وفي شرح مسلم أي ستر بدنه بالألباس أو عيوبه بعدم الغيبة له والذب عن معايبه. وهذا على من ليس معروفاً بالفساد، وأما المعروف به فيستحب أن ترفع قصته إلى الوالي. ولو رآه في معصية فينكرها بحسب القدرة، وإن عجز يرفعها إلى الحاكم إذا لم يترتب عليه مفسدة. قال بعض المحققين: وفيه إشارة لمن وقف على شيء من مقامات أهل العرفان وكرامات ذوي الإيقان أن يحفظ سره ويكتم عن غيره أمره؛ فإن كشف الأسرار على الأغيار يسد باب العناية ويوجب الحرمان والغواية.

من أطلعوه على سر فباح[1] به * لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

= حديث رقم ٤٩٤٦ وأخرجه الترمذي ٥/١٧٩ حديث رقم ٢٩٤٥، وابن ماجة ١/٨٢ حديث ٢٢٥ وأحمد في المسند ٢/٢٥٢.

(١) في المخطوطة «فتاح».

واللَّهُ في عَونِ العَبْد ما كان العبْدُ في عون أخيه. ومن سَلك طريقاً يلتمِسُ فيه عِلماً سهَّل اللَّهُ له به طريقاً إلى الجنَّة. وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونَه بينهم، إلا نَزَلَتْ

(والله في [عون العبد]) الواو للاستئناف، وهو في عون العبد تذييل للكلام السابق. **(ما كان)** أي ما دام **(العبد)** مشغولاً **(في عون أخيه)** أي المسلم كما في نسخة، أي في قضاء حاجته. وفيه إشارة إلى فضيلة عون الأخ على أموره والمكافأة عليها بجنسها من العناية الإلهية سواء كان بقلبه أو بدنه أو بهما لدفع المضار أو جذب المسار إذا لكل عون. ولما فرغ من الحث على الشفقة على خلق الله اتبعه بما ينبيء عن التعظيم لأمر الله لأن العلم وسيلة إلى العمل فقال:

(ومن سلك) أي دخل أو مشى **(طريقاً)** أي قريباً أو بعيداً، قيل: التنوين للتعميم إذ النكرة في الإثبات قد تفيد العموم، أي بسبب أي سبب كان من التعليم والتعلم والتصنيف ومفارقة الوطن والإنفاق فيه **(يلتمس فيه)** حال أو صفة **(علماً)** نكرة ليشمل كل نوع من أنواع علوم الدين قليلة أو كثيرة إذا كان بنية القربة والنفع والانتفاع، وفيه استحباب الرحلة في طلب العلم وقد ذهب موسى إلى الخضر عليهما الصلاة والسلام وقال له: **﴿هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً﴾** [الكهف ـ ٦٦] ورحل جابر بن عبد الله بن مسيرة شهر إلى عبد الله بن قيس في حديث واحد كذا نقله ابن الملك. **(سهل الله له به)** أي بذلك السلوك أو الطريق أو الالتماس أو العلم **(طريقاً)** أي موصلاً ومنهياً **(إلى الجنة)** مع قطع العقبات الشاقة دونها يوم القيامة.

(وما اجتمع قوم) أي جمع **(في بيت)** أي مجمع **(من بيوت الله)** بكسر الباء وضمها، واحترز به عن مساجد اليهود والنصارى؛ فإنه يكره الدخول فيها والعدول عن المساجد إلى بيوت الله ليشمل كل ما بني تقرباً إلى الله تعالى من المساجد والمدارس والربط. **(يتلون)** حال من قوم لتخصيصه **(كتاب الله)** أي القرآن، وليس المراد بالتلاوة مجرد إجراء الألفاظ على اللسان، بل لا بد أن يقدر العبد أنه يقرأ على الله واقفاً بين يديه وهو ناظر إليه، بل يشهد بقلبه كأن ربه يخاطبه بل يستغرق بمشاهدة المتكلم غير ملتفت إلى غيره سامعاً منه كما قال الإمام الصادق وقد سئل عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشياً عليه فلما سُري عنه قال: ما زلت أردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها، فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ثم يتفكر فيما يتعلق بذات الله وصفاته وأفعاله، ويقتبس معرفة الجلال والعظمة وفيما يتعلق بإهلاك الأعداء، ويقتبس معرفة العزة والاستغناء والقهر والإفناء وفيما يتعلق بأحوال الأنبياء والأحياء، ويقتبس معرفة اللطف والفضل والنعماء وفي الآيات الدالة على التكليف والإرشاد، ويقتبس معرفة اللطف والحكم ويعمل بمقتضاها **(ويتدارسونه بينهم)** والتدارس قراءة بعضهم على بعض تصحيحاً لألفاظه أو كشفاً لمعانيه كذا قاله ابن الملك. ويمكن أن يكون المراد بالتدارس المدارسة المتعارفة بأن يقرأ بعضهم عشراً مثلاً وبعضهم عشراً آخر وهكذا فيكون أخص من التلاوة أو مقابلاً لها، والأظهر أنه شامل لجميع ما يناط بالقرآن من التعليم والتعلم. **(إلا نزلت**

عليهمُ السكينةُ، وغشِيَتهُمُ الرحمَةُ، وحَفَّتهمُ الملائِكةُ، وذكَرهم اللَّهُ فيمن عنده. ومَن بَطَّأ به عملُه لم يُسْرِعْ به نسبُه»

عليهم السكينة) يجوز في مثل هذا التركيب كسر الهاء وضم الميم وهو الأكثر، وضمهما وكسرهما والسكينة هي الوقار والخشية، يعني الشيء الذي يحصل به سكون القلب والطمأنينة والوقار ونزول الأنوار، قيل: والمراد هنا صفاء القلب بنوره وذهاب الظلمة النفسانية وحصول الذوق والشوق، وقيل: السكينة ملك [يسكن قلب] المؤمن ويؤمنه ويأمره بالخير، وذكر الطيبي عن ابن مسعود السكينة مغنم وتركها مغرم. (وغشيتهم الرحمة) أي أتتهم وعلتهم وغطتهم (وحفتهم الملائكة) أي ملائكة الرحمة والبركة أحدقوا وأحاطوا بهم، أو طافوا بهم وداروا حولهم إلى سماء الدنيا يستمعون القرآن ودراستهم ويحفظونهم من الآفات ويزورونهم ويصافحونهم ويؤمنون على دعائهم، [قيل: وبلسان الإشارة بيوت الله عبارة عما يذكر فيه الحق من النفس والقلب والروح والسر والخفي؛ فذكر بيت النفس الطاعات، وذكر بيت القلب التوحيد والمعرفة، وذكر بيت الروح الشوق والمحبة، وذكر بيت السر المراقبة والشهود، وذكر بيت الخفي بذل الوجود وترك الموجود.

وقوله: «إلا نزلت» الخ إشارة إلى ثمرات التلاوة وهي الانس والحضور مع الله وتمثل الأنبياء والملائكة والأرواح المقدسة في صور لطيفة والصعود من حضيض البشرية إلى ذروة الملكوت الأعلى، بل الفرح بالبقاء والدخول تحت الفناء والقرب من اللاهوت والتبري من الناسوت، وهذا مقام يضيق عن إعلانه نطاق النطق ولا يسع إظهاره في ظهور الحروف، وأن قميصاً خيط من نسج تسعة وعشرين حرفاً من معانيه قاصر. قال الشيخ أبو سعيد الخرّاز: إذا أراد الله تعالى أن يوالي عبداً من عبيده فتح عليه باب ذكره، فإذا استلذ بالذكر فتح عليه باب القرب، ثم رفعه إلى مجالس الانس، ثم أجلسه على كرسي التوحيد، ثم رفع عنه الحجاب وأدخله دار الفردانية وكشف له حجاب الجلال والعظمة، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هو، فحينئذ صار العبد زمناً فانياً في حفظ سبحانه وبريء من دعاوى نفسه]. (وذكرهم الله فيمن عنده) أي الملأ الأعلى والطبقة الأولى من الملائكة، وذكره سبحانه للمباهاة بهم يقول: انظروا إلى عبيدي يذكروني ويقرؤون كتابي.

(ومن بطأ) بتشديد الطاء من التبطئة ضد التعجل كالإبطاء والبطء نقيض السرعة والباء في (به) للتعدية، أي من أخره وجعله بطيئاً عن بلوغ درجة السعادة (عمله) السيء في الآخرة، أو تفريطه للعمل الصالح في الدنيا (لم يسرع به نسبه») من الإسراع، أي لم يقدمه نسبه، يعني لم يجبر نقيصته لكونه نسيباً في قومه إذ لا يحصل التقرب إلى الله تعالى بالنسب بل بالأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات - ١٣] وشاهد ذلك أن أكثر علماء السلف والخلف لا أنساب لهم يتفاخر بها بل كثير[١] من علماء السلف موالٍ[٢] ومع

---

(١) في المخطوطة «اكثر».
(٢) في المخطوطة «موال».

رواه مسلم.

٢٠٥ ـ (٨) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أوَّلَ الناسِ يُقضى عليه يوم القيامة رجلٌ استُشهد، فأُتِيَ به فعرَّفه نعمتَه فعرفها، فقال: ما عمِلْت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استُشهِدْتُ.

ذلك هم سادات الأمة وينابيع الرحمة وذوو الأنساب العلية الذين ليسوا كذلك في مواطن جهلهم نسباً منسياً، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله يرفع بهذا الدين أقواماً ويضع به آخرين»[١]، ويؤيده ما ورد في الحديث من قوله عليه الصلاة والسلام: «يا صفية عمة محمد، يا فاطمة بنت محمد ائتوني يوم القيامة بأعمالكم لا بأنسابكم فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً»، وما نقل عن أبي يزيد قدس [الله] سره أن مريداً له تبع خطاه من خلفه فأقبل عليه قائلاً: «والله والله لو سلخت جلد أبي يزيد ولبسته لم تنل مثقال خردل من مقاماته ما لم تعمل عمله»، وأنشد:

ما بال نفسك أن ترضى تدنسها * وثوب جسمك مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * إن السفينة لا تجري على اليبس

(رواه مسلم) قال النووي في الأربعين بهذا اللفظ[٢].

٢٠٥ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول الناس يقضى عليه) قيل: هو صفة للناس لأنه نكرة في المعنى، أي يحاسب ويسأل عن أفعاله. قيل، ويستفاد منه أنه أوّل المقضى عليهم لا مطلقاً. (يوم القيامة) أي ثلاثة (رجل استشهد) على بناء المفعول، أي قتل في سبيل الله (فأتي به) أي بالرجل للحساب (فعرّفه) بالتشديد، أي ذكره تعالى (نعمته) على صيغة المفرد ههنا، والباقيتان على صيغة الجمع هكذا جاء في صحيح مسلم والحميدي وجامع الأصول وفي الرياض للنووي وفي بعض نسخ المصابيح. ولعل الفرق اعتبار الإفراد في الأولى والكثرة في الأخيرتين كذا ذكره الطيبي. ولعل المراد بالكثرة أصناف العلوم والأموال والله أعلم بالحال. وليس المراد بالإفراد نعمة الشهادة كما يتوهم فإنه لا يلائمه ما بعده، بل المراد أفراد جنسية النعمة؛ فإن المراد المضاف للعموم بخلاف الأخيرتين فإنه جمع فيهما لإرادة الأنواع، أو أفرد في الأول لنعمه البدنية فقط بخلاف الأخيرتين فإنه انضم معها [النعمة] المالية أو العلمية. (فعرفها) بالتخفيف، أي تذكرها فكأنه من الهول والدهشة نسيها وذهل عنها (فقال تعالى: فما عملت فيها؟) أي في مقابلتها شكراً لها، أي في أيامها لينفعك اليوم (قال) أي الرجل (قاتلت فيك) أي جاهدت في جهتك خالصاً لك كذا ذكره الطيبي، أي حاربت لأجلك ففي تعليلية (حتى استشهدت) الظاهر أن هذا المقول صدر منه على زعمه، قال تعالى:

(١) مسلم ١/٥٥٩ حديث ٨١٧. (٢) الحديث رقم ٣٦ من متن الأربعين النووية.

الحديث رقم ٢٠٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٣/١٥١٣ حديث (١٥٢ ـ ١٩٠٥) وأخرجه النسائي في سننه ٦/٢٣ حديث رقم ٣١٣٧. وأخرجه أحمد في المسند ٢/٣٢٢.

قال: كذبت؛ ولكنك قاتلتَ لأنْ يقالَ: جريء، فقد قيل، ثم أمرَ به فسُحِب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجلٌ تعلّم العلمَ وعلّمه، وقرأ القرآن، فأُتيَ به فعرّفه نِعمه فعرفها. قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلّمتُ العلمَ وعلّمتُه، وقرأتُ فيك القرآنَ. قال: كذبتَ؛ ولكنّك تعلّمتَ العلم ليقال: إنك عالمٌ، وقرأتَ القرآنَ ليُقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجلٌ وسّعَ اللهُ عليه وأعطاه من أصناف المال كلِّه، فأُتيَ به فعرّفه نِعمه فعرفها، قال: فما عَملتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ تُحب أن يُنفقَ فيها إلا أنفقتُ فيها لك. قال: كذبتَ، ولكنك فعلتَ ليقالَ: هو

﴿ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ [الكهف - ١٠٤] ويحتمل أنه مبالغة في التمويه المعتاد به على ما ورد: «كما يعيشون يموتون وكما يموتون يحشرون»، وقد قال تعالى: ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون إنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾ [المجادلة - ١٨] (قال) تعالى: (كذبت) أي في دعوى الإخلاص، أو في هذا القول (ولكنك قاتلت لأن يقال:) أي في حقك إنك أو هو (جريء) فعيل من الجراءة فهو مهموز وقد يدغم، أي شجاع (فقد قيل) أي ذلك القول لك وفي شأنك فحصل مقصودك وغرضك (ثم أمر به) أي قيل لخزنة جهنم ألقوه في النار (فسحب) أي جر (على وجهه حتى ألقي في النار) مبالغة في تنكيله.

(ورجل تعلّم العلم) أي الشرعي (وعلّمه) أي الناس، أي وصل إلى مرتبة الكمال والتكميل (وقرأ القرآن) فهو تخصيص بعد تعميم، أو المراد به مجرد تلاوة القرآن، يعني التعلم والتعليم لم يمنعاه عن الاشتغال بالقرآن وهذا أظهر (فأتي به) إلى محضر الحساب (فعرّفه نعمه) تعالى أو نعم الرجل (فعرفها) فكأنه لغفلته عنها كان أنكرها (قال) تعالى: (فما عملت فيها؟) أي هل صرفتها في[1] مرضاتي أم في غيرها (قال: تعلّمت العلم وعلّمته وقرأت فيك القرآن) أي صرفت نعمتي التي أنعمت بها علي في الاشتغال بالعلم والعمل والقراءة ابتغاء لوجهك وشكراً لنعمتك (قال: كذبت) في دعوى مقام الإخلاص، أو على مقتضى عادتك (ولكنك تعلمت العلم ليقال: إنك عالم) ولعله لم يقل: وعلمت العلم ليقال: إنك معلم للاختصار والاكتفاء بالمقايسة، أو لأن أساس الشيء إذا لم يكن على الإخلاص فيبعد بناؤه أن يكون على وجه الاختصاص (وقرأت القرآن ليقال: هو قارىء فقد قيل) لك عالم وقارىء فما لك عندنا أجر (ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار) نعوذ بالله منها.

(ورجل وسّع الله عليه) أي كثر ماله (وأعطاه) عطف بيان (من أصناف المال كله) كالنقود والمتاع والعقار والمواشي (فأتي به) على رؤوس الخلائق للافتضاح (فعرّفه نعمه فعرفها قال:) تعالى (فما عملت فيها؟) أي في مقابلة النعم أو في الأموال (قال: ما تركت من سبيل) من زائدة تأكيداً لاستغراق النفي (تحب أن ينفق فيها) كبناء المساجد والمدارس وإعطاء الزكاة والصدقات (إلا أنفقت فيها لك قال: كذبت) أي في قولك [لك] (ولكنك فعلت ليقال: هو

---

(١) في المخطوطة «إلى».

جواد؛ فقد قيل، ثم أمرَ به فسُحب على وجهه ثم أُلقي في النار». رواه مسلم.

٢٠٦ ـ (٩) وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالماً؛ اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسُئلوا فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا». متفق عليه.

٢٠٧ ـ (١٠) وعن شقيق:

جواد) أي سخي كريم (فقد قيل) وفيه إشارة إلى أن الله لا يضيع أجر من عمل لأي غرض يكون (ثم أمر به فسحب على وجهه) ثم هذا هو الأصل الصحيح من النسخ في هذا المحل وفي نسخة هنا أيضاً (حتى أُلقي في النار» رواه مسلم).

٢٠٦ ـ (وعن عبد الله بن عمرو) أي ابن العاص (قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم) المراد به علم الكتاب والسنة وما يتعلق بهما (انتزاعاً) مفعول مطلق على معنى يقبض نحو رجع القهقرى وقوله: (ينتزعه من العباد) صفة مبينة للنوع كذا قاله السيد جمال الدين، وقال ابن الملك: انتزاعاً مفعول مطلق للفعل الذي بعده، والجملة حالية يعني لا يقبض [العلم] من العباد بأن يرفعه من بينهم إلى السماء (ولكن يقبض العلم) أي يرفعه (بقبض العلماء) أي بموتهم ورفع أرواحهم (حتى) هي التي تدخل على الجملة وهي هنا الشرط والجزاء يعني: (إذا لم يبق) أي الله (عالماً) بقبض روحه من الإبقاء، وفي نسخة «حتى إذا لم يبق» بفتح الياء والقاف وعالم بالرفع، ويؤيد الأول رواية مسلم: «حتى إذا لم يترك عالماً» (اتخذ الناس رؤوساً) أي خليفة وقاضياً ومفتياً وإماماً وشيخاً (جهالاً) جمع جاهل، أي جهلة بما يناسب منصبه، قال الشيخ محيي الدين النووي: ضبطناه في البخاري رؤوساً بضم الهمزة والتنوين جمع رأس وضبطوه في مسلم هنا بوجهين أحدهما هذا والثاني رؤساء جمع رئيس وكلاهما صحيح والأول أشهر. (فسئلوا فأفتوا) أي أجابوا وحكموا (بغير علم فضلوا) أي صاروا ضالين (وأضلوا») أي مضلين لغيرهم فيعم الجهل العالم (متفق عليه) ورواه أحمد والترمذي وابن ماجة.

٢٠٧ ـ (وعن شقيق) هو ابن أبي سلمة، يكنى أبا وائل الأسدي، أدرك زمن النبي ﷺ ولم يره ولم يسمع منه، وهو ثقة حجة روى عن خلق من الصحابة منهم عمر بن الخطاب وابن

الحديث رقم ٢٠٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٩٤ حديث ١٠٠ ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٥٨ حديث رقم (١٣ ـ ٢٦٧٣) وأخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٣٠ حديث رقم ٢٦٥٢. وابن ماجة في السنن ١/ ٢٠ حديث رقم ٥٢. وأحمد في المسند ٢/ ١٦٢.

الحديث رقم ٢٠٧: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٦٢ حديث رقم ٦٨. وأخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٣ حديث رقم (٨٣ ـ ٢٨٢١). وأخرج الترمذي نحوه ٥/ ١٣٠ حديث رقم ٢٨٥٥ وأحمد في المسند ١/ ٣٧٨.

كان عبد الله بن مسعود يذكّر الناس في كلّ خميس. فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن! لوَدِدتُ أنك ذكرتنا في كلّ يوم. قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني[1] أكره أن أمِلّكم، وأني أتخولكم بالموعظة كما كان رسول الله ﷺ يتخوّلنا بها مخافة السآمة علينا. متفق عليه.

٢٠٨ ـ (١١) وعن أنس، قال: كان النبي ﷺ إذا تكلم بكلمةٍ أعادها ثلاثاً حتى تُفهم عنه،

مسعود، وكان خصيصاً به من أكابر الصحابة، وهو كثير الحديث مات زمن الحجاج. قاله المصنف، (قال: «كان عبد الله بن مسعود يذكّر») بالتشديد، أي يعظ (الناس) ويخوّفهم، أي يذكر كلام الله وحديث رسول الله ﷺ لهم (في كل خميس) ولعل وجه التخصيص ليصل بركته إلى يوم الجمعة (فقال له رجل:) يحتمل الراوي وغيره (يا أبا عبد الرحمن لوددت) أي أحببت أو تمنيت (إنك ذكرتنا في كل يوم) لغلبة الغفلة علينا ليعود بتذكيرك الحضور إلينا (قال: أما) بمعنى ألا للتنبيه (إنه) بكسر الهمزة والضمير للشأن (يمنعني من ذلك) أي من التذكير كل يوم (أني أكره) بفتح الهمزة فاعل يمنعني، أي كراهتي (أن أملّكم) مفعول أكره، أي إملالكم يعني إيقاعكم في الملالة (وإني) بكسر الهمزة عطف على أنه أو حال (أتخولكم) من التخوّل وهو التعهد وحسن الرعاية (بالموعظة كما كان رسول الله ﷺ يتخولنا) من التخوّل، وفي بعض الروايات بالحاء المهملة وهو تفقد الحال، وروي يتخوننا بالخاء المعجمة والنون بمعنى يتخولنا، قيل: الرواية باللام أكثر، وزعم بعضهم أن الصواب يتحوّلنا بالحاء المهملة، لكن الرواية في الصحاح بالخاء المعجمة. وكان أبو عمرو يقول: «إنما هو يتخوننا، والتخون التعهد، وقد ورد على الأعمش روايته باللام، وكان الأصمعي يقول: ظلمه[2] أبو عمرو، ويقال: يتخولنا ويتخوننا جميعاً كذا ذكره الطيبي. [ويدل عليه اختلاف الرواة في حديث واحد]، يعني يتفقدنا (بها) أي بالموعظة في مظان القبول ولا يكثر علينا ولا يعظنا متوالياً (مخافة السآمة علينا) وفي المصابيح: «كراهة السآمة»، أي الملالة إذ لا تأثير للموعظة عند الملالة، قال ابن الملك: أي يعظنا يوماً دون يوم ووقتاً دون وقت، ويُروى بالحاء المهملة أيضاً، أي يتأمل أحوالنا التي تنشط فيها للموعظة فيعظنا فيها، وكذلك يفعل المشايخ والوعاظ في تربية المريدين. (متفق عليه).

٢٠٨ ـ (وعن أنس قال: «كان النبي ﷺ) أي غالباً أو أحياناً (إذا تكلم بكلمة) أي بجملة مفيدة (أعادها) أي كررها (ثلاثاً حتى تفهم) أي تلك الكلمة (عنه) أي فهما قوياً راسخاً في النفس، وفيه إشارة إلى أن المراد بالكلمة الكلام الذي لا يفهم إلا بالإعادة. ثم الإعادة يحتمل

---

(١) في المخطوطة «اني».
(٢) في المخطوطة «ظلمه».

الحديث رقم ٢٠٨: أخرجه البخاري في صحيحه ١/١٨٨ حديث رقم ٩٥. وأخرجه الترمذي مع تقديم وتأخير في سننه ٥/٦٨ حديث رقم ٢٧٢٣.

وإذا أتى على قومٍ فسلَّم عليهم سلَّم عليهم ثلاثاً. رواه البخاري.

٢٠٩ - (١٢) وعن أبي مسعود الأنصاري، قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: إنه أُبدِعَ بي فاحملني. فقال: «ما عندي». فقال رجلٌ: يا رسول الله! أنا أدله على من يحمله. فقال رسول الله ﷺ: «من دلَّ على خيرٍ فله مثلُ أجرِ فاعله». رواه مسلم.

أن تكون[1] [في] مجلس أو مجالس والانحصار على الثلاث والله أعلم بمقتضى مراتب فهوم الناس من الأدنى والأوسط والأعلى، ولذا قيل: من لم يفهم في ثلاث مرات[2] لم يفهم أبداً (وإذا أتى) أي مر (على قوم) أو أشرف عليهم (فسلم عليهم) أي فأراد السلام عليهم (سلم عليهم ثلاثاً) قال ابن القيم: لعل هذا كان هديه في السلام على الجمع الكثير الذين لا يبلغهم سلام واحد. اهـ. وذلك بأن يسلم على المواجهين ثم يمنة ثم يسرة، وقيل: هذا عند الاستئذان، أي إذا لم يؤذن بمرة أو مرتين سلم عليهم ثلاثاً ثم ينصرف كما جاء في حديث الاستئذان[3]، وقيل: سلم للاستئذان وللتحية عند الدخول وللوداع عند الخروج. وهذه التسليمات [الثلاث] سنة لكل أحد أتى شخصاً أو قوماً، وكان عليه الصلاة والسلام يواظب عليها كما أفادته كان المقتضية لتكرير الفعل وضعاً عند جماعة وعرفاً عند آخرين وهو الأصح كما قاله ابن حجر. (رواه البخاري).

٢٠٩ - (وعن أبي مسعود الأنصاري) هو أبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري، شهد العقبة الثانية ولم يشهد بدراً عند جمهور أهل العلم بالسير، وقيل: إنه شهدها والأول أصح، وإنما نسب إلى ماء بدر لأنه نزله فنسب إليه، وسكن الكوفة ومات في خلافة علي. روى عنه ابنه بشير وخلق سواه. (قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إنه) الضمير للشأن (أبدع بي) على بناء المفعول، يقال: أبدعت الراحلة إذا انقطعت عن السير لكلال جعل انقطاعها عما كانت مستمرة عليه إبداعاً عنها، أي إنشاء أمر خارج عما اعتيد منها. ومعنى أبدع بالرجل انقطع به راحلته كذا حققه الطيبي، أي انقطع راحلتي بي، ولما حوّل للمفعول صار الظرف نائبه كسير بعمرو (فاحملني) بهمزة الوصل، أي اركبني واجعلني محمولاً على دابة غيرها (فقال) ﷺ: (ما عندي) أي لا أجد ما أحملكم عليه (فقال رجل: يا رسول الله أنا أدله على من يحمله) أي من أغنياء المسلمين كعثمان أو ابن عوف (فقال رسول الله ﷺ: من دل) أي بالقول أو الفعل أو الإشارة أو الكتابة (على خير) أي علم أو عمل مما فيه أجر وثواب (فله) فللدال (مثل أجر فاعله) أي من غير أن ينقص من أجره شيء (رواه مسلم) وروى البزار عن

---

(١) في المخطوطة يكون. (٢) في المخطوطة مراتب.

(٣) ما أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري ٣/١٦٩٤...

الحديث رقم ٢٠٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٣/١٥٠٦ حديث رقم (١٣٣ - ١٨٩٣). وأخرجه أبو داود في سننه ٥/٣٤٦ حديث رقم ٥١٢٩. وأخرجه الترمذي في السنن ٥/٤٠ حديث رقم ٢٦٧١. وأخرجه أحمد في المسند ٤/١٢٠.

٢١٠ ـ (١٣) وعن جرير، قال: كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ، فجاءه قومٌ عراة مجتابي النمار أو العباءِ، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعَّر وجه رسول الله ﷺ لِما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذَّن، وأقام فصلّى

ابن مسعود[١] والطبراني عن سهل بن سعد وعن أبي مسعود بلفظ: «الدال على الخير كفاعله»[٢]، ورواه أحمد وعبد الرزاق في الجامع والضياء عن بريدة[٣] وابن أبي الدنيا عن أنس بلفظ: «الدال على الخير كفاعله، والله يحب إغاثة اللهفان» كذا في الجامع الصغير[٤].

٢١٠ ـ **(وعن جرير)** هو جرير بن عبد الله أبو عمرو، وأسلم في السنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ. قال جرير: أسلمت قبل موت النبي ﷺ بأربعين يوماً، ونزل الكوفة وسكنها زماناً، ثم انتقل إلى قرقيسيا[٥]، ومات بها سنة إحدى وخمسين، روى عنه خلق كثير. **(قال: «كنا في صدر النهار)** أي أوله **(عند رسول الله ﷺ فجاءه قوم عراة)** أي يغلب عليهم العري حال كونهم **(مجتابي)** هو بالجيم وبعد الألف باء، أي لابسي **(النمار)** بكسر النون وهي أكسية من صوف مخططة واحدتها نمرة بفتح النون كذا قاله الطيبي. **(أو العباء)** والظاهر أنه شك من الراوي، أو للتنويع؛ ففي القاموس إنه كساء معروف، والنمرة شملة فيها خطوط بيض وسود، أو بردة من صوف يلبسها الأعراب، فعلى الأول حال متداخلة أو مترادفة، والمراد أنهم متقلدون للسيوف من جوانبهم **(ومتقلدي السيوف)** كذا في نسخة السيد جمال الدين بالواو وعليه صح بالحمرة، لكن في بعض النسخ هذه الواو غير موجودة، ويدل عليه اختلاف الرواة في حديث واحد **(عامتهم)** أي أكثرهم **(من مضر)** كعمر قبيلة عظيمة **(بل كلهم من مضر)** أي مبالغة **(فتمعر)** بالتشديد أي فتغير **(وجه رسول الله ﷺ)** وظهر عليه آثار الحزن **(لما رأى بهم من الفاقة)** أي الفقر الشديد ومن بيان لما يعني لما لم يكن عنده من المال ما يجبر كسرهم ويغني فقرهم ويكسيهم ويعطيهم ما يغنيهم، وهذا من كمال رأفته ورحمته خصوصاً في حق أمته **(فدخل)** أي في بيته لعله يلقى شيئاً من زيادة النفقة أو لتجديد الطهارة والتهيئة للموعظة **(ثم خرج فأمر بلالاً)** أي بالأذان **(فأذن وأقام فصلى)** أي إحدى الصلوات المكتوبة بدليل الأذان

---

(١) البزار ذكر السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٢٥٨.

(٢) وأخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٧٤. (٣) أحمد في المسند ٥/ ٣٥٧.

(٤) الجامع الصغير ٢/ ٢٥٨ حديث رقم ٤٢٤٧.

الحديث رقم ٢١٠: أخرجه مسلم في الصحيح ٢/ ٧٠٤ حديث رقم (٦٩ . ١٠١٧). وأخرجه النسائي في السنن ٥/ ٧٥ حديث رقم ٢٥٥٤ وأخرج نحوه الترمذي في السنن ٥/ ٤٢ حديث رقم ٢٦٧٥ وأحمد في المسند ٤/ ٣٥٩.

(٥) في المخطوطة «قرقسيا». وفي المعالم الأثيرة «قرقيسة». وهي مدينة في سوريا (محافظة الجزيرة) عند ملتقى الخابور بالفرات.

ثم خطب فقال: «﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ إلى آخر الآية ﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾، والآية التي في الحشر ﴿اتقوا الله ولتنظر نفسٌ ما قدمت لغد﴾ تصدق رجلٌ

والإقامة والأظهر أنها الظهر أو الجمعة لقوله: «في صدر النهار» (ثم خطب) أي وعظ وهو يحتمل أن يكون قائماً أو قاعداً فوق المنبر أو دونه (فقال: ﴿يا أيها الناس﴾) أي المؤمنون فما قال بعض السلف من أن كل ما في القرآن من قوله: ﴿يا أيها الناس﴾ خطاب للكفار غالبي (﴿اتقوا ربكم﴾) أي عذابه أو مخالفته (﴿الذي خلقكم﴾) أي بالواسطة (﴿من نفس واحدة﴾) وهي آدم (إلى آخر الآية) وتمامها ﴿وخلق منها﴾ أي من ضلعها ﴿زوجها﴾ أي حواء، والواو لمطلق الجمع أو للحال وقد تقدر أو لا تقدر.

﴿وبث منهما﴾ أي فرق من أولادهما بوسط أو غير وسط. رُوي أن بني آدم لصلبه أربعون في عشرين بطناً، وعن ابن عباس قال: ولد لآدم أربعون ولداً عشرون غلاماً وعشرون جاريه ﴿رجالاً كثيراً ونساء﴾ أي كثيرة، فاكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها إذ الحكمة تقتضي أن يكن أكثر، وتذكير الكثير حمل على الجمع دون الجماعة، ولأن الفعيل يستوي فيه التذكير والتأنيث.

﴿واتقوا الله الذي تساءلون﴾ [النساء ـ ١] بالتشديد والتخفيف به، أي بالله والأرحام بالنصب عند الجمهور عطفاً على الجلالة، أي اتقوا قطعها، وبالجر عطفاً على الضمير المجرور من غير إعادة الجار وهو جائز فصيح وأخطأ من ضعفه، وكان العرب يقول بعضهم لبعض أسألك بالله وبالرحم كذا. (﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾) أي مطلعاً على أقوالكم وأفعالكم وأحوالكم فراقبوا الله تعالى فيها (والآية) قال الطيبي: بالنصب عطفاً من حيث المعنى على قوله: ﴿يا أيها الناس اتقوا﴾ على تأويل قال: يقرأ، أي قرأ هذه الآية والآية (التي في الحشر). اهـ. وأولها ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ [الحشر ـ ١٨] وبعده (﴿اتقوا الله ولتنظر نفس﴾) ما وهي نكرة تفيد العموم، أي كل نفس كقوله تعالى: ﴿علمت نفس﴾ [التكوير ـ ١٤] (﴿ما قدمت﴾) وأخرت، أي لتتفكر وتتأمل النفوس ما قدمت، أي أي شيء من العبادات والخيرات أرسلته إلى الآخرة (﴿لغد﴾) أي لنفع الغد من الزمان وهو يوم القيامة وتمامها: ﴿واتقوا الله﴾ وهو تكرير للتأكيد، أو الأول معناه اتقوا مخالفته والثاني اتقوا عقوبته، أو بالعكس وهو الأظهر لقوله: ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ [المائدة ـ ٨] أي عالم بأعمالكم فيخبركم بها ويجازيكم عليها؛ وهو مشتمل على الوعد والوعيد، وفيه جواز تقطيع الآية والحديث بأن يؤتى ببعض كل منهما على حسب الحاجة والله أعلم. (تصدق رجل) بفتح القاف وتسكن، قال الطيبي: لعل الظاهر ليتصدق رجل ولام الأمر للغائب محذوف، وجوزه ابن الأنباري، ونقل عن بعض أهل اللغة أن «انبك» في قفا نبك مجزوم على تأويل الأمر، أي فلنبك واحتج بقوله تعالى: ﴿ذرهم يأكلوا﴾ [الحجر ـ ٣] أي فليأكلوا وقوله تعالى: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا﴾ [الجاثية ـ ١٤] أي فليغفروا. ولو حمل تصدق على الفعل الماضي لم يساعده قوله: «ولو بشق تمرة» إذ المعنى ليتصدق رجل ولو بشق تمرة، وكذا قوله: «فجاء رجل» الخ لأنه بيان لامتثال أمره عليه الصلاة

من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاعِ برّه، من صاعِ تمره، حتى قال: ولو بِشِقِّ تمرة». قال: فجاء رجل من الأنصار بِصُرَّةٍ كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناسُ حتى رأيت كومين من طعام وثياب. حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلّلُ كأنه مُذْهَبَةٌ

والسلام عقيب الحث على الصدقة ولمن يجريه على الأخبار وجه لكن فيه تعسف غير خاف. ا هـ. قال الأبهري: ويأبى عن الحمل على حذف اللام عدم حرف المضارعة. ا هـ. فيتعين حمله على أنه خبر لفظاً وأمر معنى، وإتيان الإخبار بمعنى الإنشاء كثير في الكلام فليس فيه تكلف فضلاً عن تعسف ومنه قوله تعالى: ﴿تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله﴾ [الصف - ١١] قيل: إنهما بمعنى آمنوا وجاهدوا ومنه ما تقدم في الحديث: «تعبد الله» بمعنى اعبد الله، أنه أبلغ فكأنه أمره وامتثل به فاخبر عنه به والله أعلم، لا يقال هذا الإخبار مضارع والكلام في الماضي، لأن الخبر من حيث إنه خبر لا تفاوت فيه ماضياً أو مضارعاً مع أن الأبلغية المذكورة أظهر في الماضي لدلالته على تحقق وقوعه، لأن الحديث الآتي: «فمن أخذه أخذ بحظ وافر» حمل بعضهم أخذ الثاني على معنى الأمر. (من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره) بضم الموحدة، أي من قمحه وحنطته، وفي معناه من شعيره (من صاع تمره) وإعادة العامل تفيد الاستقلال وتدفع أن يكون الصاع منهما. قال الطيبي: «رجل» نكرة وضعت موضع الجمع المعروف لإفادة الاستغراق في الإفراد وإن لم تكن في سياق النفي كشجرة في قوله تعالى: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ [لقمان - ٢٧] فإن «شجرة» وقعت موقع الأشجار، ومن ثم كرر في الحديث مراراً بلا عطف، أي ليتصدق رجل من ديناره ورجل من درهمه وهلم جرا. و «من» في «من دينار»، إما[1] تبعيضية، أي ليتصدق مما[2] عنده من هذا الجنس، وإما ابتدائية متعلقة بالفعل؛ فالإضافة بمعنى اللام، أي ليتصدق بما هو مختص به وهو مفتقر إليه على نحو قوله تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ [الحشر - ٩] (حتى قال:) أي النبي ﷺ ليتصدق كل رجل منكم (ولو بشق تمرة قال:) أي الراوي (فجاء رجل من الأنصار بصرة) بالضم، أي ربطة من الدراهم أو الدنانير (كادت كفه) أي قاربت (تعجز)[3] [بكسر الجيم] وتفتح (عنها) أي عن حمل الصرة لثقلها لكثرة ما فيها (بل قد عجزت) بفتح الجيم وتكسر (ثم تتابع الناس) أي توالوا في إعطاء الخيرات وإتيان المبرات (حتى رأيت كومين) الكومة بالفتح الصبرة (من طعام) الظاهر أنه هنا حبوب، ولعل الاقتصار عليه من غير ذكر النقود لغلبته (وثياب حتى رأيت) بدل من حتى الأولى، أو غاية لها، أي حتى أبصرت (وجه رسول الله ﷺ يتهلل) أي يستنير ويظهر عليه أمارات السرور (كأنه مذهبة) بضم الميم وسكون المعجمة وفتح الهاء بعده موحدة، وهي ما موّه بالذهب. وفي نسخة بالمهملة وضم الهاء والنون وهو[4] ما يجعل فيه الدهن، قال النووي: هو بالذال المعجمة وفتح الهاء والباء الموحدة، وقال القاضي عياض وغيره: صحفه بعضهم فقال: مدهنة بدال مهملة وضم

---

(١) في المخطوطة «لما».
(٢) في المخطوطة «ما».
(٣) في المخطوطة «بعجز».
(٤) في المخطوطة «وهي».

فقال رسول الله ﷺ: «من سنّ في الإسلام سنةً حسنة فله أجرُها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقُصَ من أجورهم شيءٌ، ومن سنّ في الإسلام سنّةً سيئةً كان عليه وزرُها من عمل بها من بعده من غير أن ينقُصَ من أوزارهم شيء». رواه مسلم.

٢١١ - (١٤) وعن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول

الهاء وبالنون، وكذا ضبطه الحميدي، والصحيح المشهور هو الأول والمراد به على الوجهين الصفاء والاستنارة كذا ذكره السيد جمال الدين.

(فقال رسول الله ﷺ: **من سن في الإسلام سنة حسنة**) أي أتى بطريقة مرضية يقتدى به فيها (**فله أجرها**) أي أجر تلك السنة، أي ثواب العمل بها. وفي نسخة «أجره» أي أجر من سن يعني أجر عمله. قال التوربشتي: في عامة نسخ المصابيح «فله أجرها» وهو غير سديد رواية ومعنى إنما الصواب أجره والضمير لصاحب الطريقة، أي له أجر عمله وأجر من عمل بسنته. وظن بعض الناس أن الضمير راجع إلى السنة وقد وهم فيه بعض الناس المتأخرين من رواة الكتابين وليس ذلك من رواية الشيخين في شيء، قال المؤلف: هذا الحديث لم يورده البخاري إنما هو من أفراد مسلم، ووجد في نسخ متعددة من مسلم «أجرها» وعلى هذا شرح الإمام النووي، والإضافة لأدنى ملابسة؛ فإن السنة سبب ثبوت الأجر فجازت الإضافة كذا ذكره الطيبي. قلت: ويؤيد ما ذكره المؤلف اتفاق النسخ على وزرها والله أعلم. (**وأجر من عمل بها**) أي بتلك الحسنة (**من بعده**) «من» بيان من. وفي المصابيح: «وأجر من عمل بعده»، قال ابن الملك: أي بعد ممات من سنها قيد به لما يتوهم أن ذلك الأجر يكتب له ما دام حياً. اهـ. قلت: وفيه أنه يتوهم [حينئذ] أن الأجر لا يكتب له وهو حي فالأحسن أن يقال: من بعد ما سنه (**من غير أن ينقص**) على البناء للمفعول، وجوّز أن يكون معلوماً لأنه متعد ولازم (**من أجورهم شيء**) أي من النقص.

(**ومن سن في الإسلام سنة سيئة**) أي بدعة مذمومة عمل بها (**كان عليه وزرها**) أي إثمها (**ووزر من عمل بها من بعده**) أي من جهة تبعيته (**من غير أن ينقص**) تقدم (**من أوزارهم شيء**) جمع في الموضعين باعتبار معنى من كما أفرد في ينقص باعتبار لفظه (**رواه مسلم**).

٢١١ - (**وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقتل نفس ظلماً**) نصب على التمييز (**إلا كان على ابن آدم الأول**) صفة لابن وهو قابيل قتل [أخاه] هابيل حين تزوّج كل بأخته التي مع الآخر في بطن واحد؛ لأن شريعة آدم أن بطون حواء كانت بمنزلة الأقارب

الحديث رقم ٢١١: أخرجه البخاري ٦/ ٣٦٤ حديث رقم ٣٣٣٥. وأخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٣٠٣ حديث رقم (٢٧ - ١٦٧٧). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٤١ حديث رقم ٢٦٧٣. وأخرجه ابن ماجة في السنن ٢/ ٨٧٣ حديث رقم ٢٦١٦. وأحمد في المسند ١/ ٣٨٣.

كفلٌ من دمها؛ لأنه أولُ من سن القتل». متفق عليه. وسنذكر حديث معاوية: «لا يزال من أمتي» في باب ثواب هذه الأمة إن شاء الله تعالى.

الفصل الثاني

٢١٢ ـ (١٥) عن كثير بن قيس، قال: كنت جالساً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق، فجاء رجل فقال: يا أبا الدرداء! إني جئتك من مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغني أنك حدثته عن رسول الله ﷺ

الأباعد. وحكمته تعذر التزوج فاقتضت مصلحة بقاء النسل تجويز ذلك، فحينئذ قتل أخاه لأن زوجته كانت أجمل، وبسط هذه القصة في التفسير. قال التوربشتي: إنما قيد بالأول لئلا يشتبه إذ في بني آدم كثرة، وهذا يدل على أن قابيل كان أول مولود من بني آدم كذا ذكره الطيبي، وتبعه ابن حجر وفيه نظر ظاهر لأن المفسرين ذكروا أن قضيتهما كانت بعد بطون متعددة والله أعلم. فالأظهر أن اللام للعهد، أي الأول من القتلة (**كفل**) أي نصيب (**من دمها**) أي دم النفس (**لأنه أول من سن القتل**») وهذا يؤيد ما قلنا (**متفق عليه وسنذكر حديث معاوية: «لا يزال من أمتي» في باب ثواب هذه الأمة إن شاء الله تعالى**) وتقدم وجهه.

(الفصل الثاني)

٢١٢ ـ (**عن كثير بن قيس**) ذكره المصنف في التابعين (**قال: «كنت جالساً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق**) بكسر الدال وفتح الميم ويكسر، أي الشام (**فجاءه**) أي أبا الدرداء (**رجل**) أي من طلبة العلم (**فقال: يا أبا الدرداء**) تقرأ الهمزة بعد حرف النداء ولا تكتب رسماً (**إني جئتك من مدينة الرسول ﷺ**) قال ابن حجر: كره الشافعي أن يقال ذلك لأنه لفظ مشترك بين رسول الله ورسول غيره ولا يرد عليه: ﴿**يا أيها الرسول**﴾ الآية [المائدة ـ ٤١] لأن خطاب الله لنبيه تشريف له بأي لفظ كان وله تعالى أن يخاطب عبيده بما شاء، ومن ثم أخذ من قوله تعالى: ﴿**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً**﴾ [النور ـ ٦٣] أنه يحرم نداؤه باسمه كيا محمد أو بكنيته كيا أبا القاسم، قال: وإنما ينادي بنحو يا رسول الله يا نبي الله. ا هـ. وفيه أن القرينة المانعة من إرادة الإشراك قائمة فإنه لا يفهم بل لا يتوهم من مدينة الرسول غير رسول الله ﷺ لا سيما إذا انضم إليه ﷺ ونحوه. (**لحديث**) أي لأجل تحصيل حديث (**بلغني أنك تحدثه**) أي ذلك الحديث (**عن رسول الله ﷺ**) وهو يحتمل أن يكون سمعه إجمالاً ويحتمل أن يكون سمع الحديث لكن أراد أن يسمعه بلا واسطة لإفادة العلم وزيادة يقينه، أو لعلو الإسناد

الحديث رقم ٢١٢: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٩٦ وأخرجه الترمذي ٥/ ٤٧ حديث ٢٦٨٢. وسماه قيس بن كثير وأخرجه أبو داود ٤/ ٥٧ حديث رقم ٣٦٤١. وأخرجه ابن ماجة في مقدمته لسننه ١/ ٨١ حديث رقم ٢٢٣. وأخرجه الدارمي ١/ ١١٠ حديث رقم ٣٤٢.

ما جئت لحاجة. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضعُ أجنحتَها رضىً لطالبِ العلم،

فإنه من الدين (ما جئت) إلى الشام (لحاجة) أخرى غير أن أسمعك الحديث ثم تحديث أبي الدرداء بما حدثه يحتمل أن يكون مطلوب الرجل بعينه، أو يكون بياناً أن سعيه مشكور عند الله ولم يذكر هنا ما هو مطلوبه والأول أغرب والثاني أقرب. (قال) أي أبو الدرداء (فإني) أي إذا كان الأمر كذلك فاعلم إني (سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك) أي دخل أو مشى (طريقاً) أي قريباً أو بعيداً (يطلب[1] فيه) أي في ذلك الطريق أو في [ذلك المسلك أو في] سلوكه (علماً) قال الطيبي: وإنما أطلق الطريق والعلم ليشملا في جنسهما، أي طريق كان من مفارقة الأوطان والضرب في البلدان إلى غير ذلك كما سبق، وأي علم كان من علوم الدين قليلاً أو كثيراً رفيعاً أو غير رفيع. وفي شرح السنة عن الثوري: ما أعلم اليوم شيئاً أفضل من طلب العلم، قيل له: ليس لهم نية، قال: طلبهم له نية[2]، أي سببها، ولذا قال بعضهم: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله، وعن الشافعي رحمه الله: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة. ا هـ. لأنه إما فرض عين أو فرض كفاية وهما أفضل من النافلة وقال الإمام مالك: العلم الحكمة وهو نور يهدي الله به من يشاء وليس بكثرة المسائل. ا هـ. ولعله يشير إلى معنى الآية: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾ [البقرة - ٢٩٩] (سلك الله به) الضمير المجرور عائد إلى من والباء للتعدية، أي جعله سالكاً ووفقه أن يسلك طريق الجنة، وقيل عائد إلى العلم والباء للسببية وسلك بمعنى سهل والعائد إلى من محذوف، والمعنى سهل الله له بسبب العلم (طريقاً من طرق الجنة) فعلى الأول سلك من السلوك، وعلى الثاني من السلك والمفعول محذوف كقوله تعالى: ﴿يسلكه عذاباً صعداً﴾ [الجن - ١٧] قـ [يل: عذاباً] مفعول ثان، وعلى التقديرين نسبة سلك إلى الله تعالى على طريق المشاكلة كذا قاله الطيبي، وقال ابن الملك فيه إشارة إلى أن طرق الجنة كثيرة وكل عمل صالح طريق من طرقها وطرق العلم أقرب الطرق إليها وأعظم. ا هـ. قلت: والأظهر أن كل علم طريق إلى الجنة كما يستفاد من تنكيرها، وفيه إيماء إلى أن طرق الجنة محصورة في طرق العلم؛ فإن العمل الصالح لا يتصوّر بدون العلم والله أعلم، فقول الصوفية الطرق إلى الله بعدد أنفاس المخلوقات مبني على المعرفة وهي نوع من أنواع العلم، ولأن طريق غير العلم هو طريق الجهل، وما اتخذ الله ولياً جاهلاً ولو اتخذه لعلمه.

(وإن الملائكة) اللام للجنس أو للعهد، أي ملائكة الرحمة. قال ابن حجر: ويحتمل أن الملائكة كلهم وهو أنسب بالمعنى المجازي في قوله: (لتضع أجنحتها رضا) حال أو مفعول له على معنى إرادة رضا ليكون فعلاً لفاعل الفعل المعلل (لطالب العلم) اللام متعلق برضا، وقيل: التقدير لأجل الرضا الواصل منها إليه، أو لأجل إرضائها لطالب العلم بما يصنع من

---

(١) في المخطوطة طلب.

(٢) وأخرجه الدارمي ١/ ١١٣ حديث رقم ٣٥٨.

وإن العالم يستغفرُ له من في السموات ومن في الأرض والحيتانُ في جوف الماء،

حيازة الوراثة العظمى وسلوك السنن الأسنى. قال زين العرب: وغيره، قيل: معناه أنها تتواضع لطالبه توقيراً لعلمه كقوله تعالى: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ [الإسراء ـ ٢٤] أي تواضع لهما أو المراد الكف عن الطيران والنزول للذكر كقوله في الحديث السابق: «وحفت بهم الملائكة»، أو معناه المعونة وتيسير المؤنة بالسعي في طلبه، أو المراد تليين الجانب والانقياد والفيء عليه بالرحمة والانعطاف، أو المراد حقيقته وإن لم تشاهد وهي فرش الجناح وبسطها لطالب العلم لتحمله عليها وتبلغه مقعده من البلاد نقله السيد جمال الدين. ونقل ابن القيم عن أحمد بن شعيب قال: كنا عند بعض المحدثين بالبصرة فحدثنا بهذا الحديث وفي المجلس شخص من المعتزلة فجعل يستهزيء بالحديث، فقال: والله لأطرقن غداً نعلي وأطأ بها أجنحة الملائكة، ففعل ومشى في النعلين فجفت رجلاه ووقعت فيهما الآكلة، وقال الطبراني: سمعت ابن يحيى الساجي يقول: كنا نمشي في أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين فأسرعنا المشي وكان معنا رجل ماجن متهم في دينه فقال: ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها كالمستهزيء بالحديث، فما زال عن موضعه حتى حفت رجلاه وسقط إلى الأرض. ا هـ. والحفاء رقة القدم على ما في القاموس، وفي رواية في السنن والمسانيد عن صفوان بن عسال قال: قلت: يا رسول الله جئت أطلب العلم، قال: «مرحباً بطالب العلم إن طالب العلم لتحف به الملائكة وتظله بأجنحتها فيركب بعضها على بعض حتى تبلغ السماء الدنيا من حبهم لما يطلب» نقله الشيخ ابن القيم، وقال الحاكم: إسناده صحيح.

(وإن العالم ليستغفر له) قال الطيبي هو مجاز من إرادة استقامة حال المستغفر له. ا هـ. والحقيقة أولى (من في السموات) لأنهم عرفوا بتعريف العلماء وعظموا بقولهم (ومن في الأرض) قيل: فيه تغليب والمراد ما في الأرض لأن بقاءهم وصلاحهم مربوط برأي العلماء وفتواهم، ولذلك قيل: ما من شيء من الموجودات حيها وميتها إلا وله مصلحة متعلقة بالعلم (والحيتان) جمع الحوت (في جوف الماء) خص لدفع إيهام أن من في الأرض لا يشمل من في البحر، أو تعميم بعد تعميم بأن يراد بالحيتان جميع دواب الماء وهي أكثر من عوالم البر لما جاء: إن عوالم البر أربعمائة عالم وعوالم البحر ستمائة عالم، قال ابن الملك: وخص بالذكر بعد دخولها في الجملة المذكورة إذ هي في الماء. ا هـ. وبين كلامية، تناقض؛ نعم يصلح أن يكون سؤالاً وجواباً ثم قال: وإن سلم أن قوله: «من في الأرض» يشملها فذكرها للإيماء إلى أن العلم ماء، ولذلك استغفر للعالم لأن السبب لبقائه مختص به، قال الله تعالى: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾ [الرعد ـ ١٧] قال ابن عباس: الماء العلم والأودية القلوب. ا هـ. كلامه وفيه ما فيه وقال الطيبي: تخصيص الحيتان للدلالة على أن إنزال المطر ببركتهم حتى أن الحيتان تعيش بسببهم. ا هـ. وفي الحديث: «بهم تمطرون وبهم ترزقون»[1].

---

(١) من حديث أخرجه الطبراني في الكبير والجامع الصغير ١/ ١٨٢.

وإن فضلَ العالم على العابد كفضل القمر ليلةَ البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثةُ الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُورِّثوا ديناراً ولا درهماً،

(وإن فضل العالم) أي الغالب عليه العلم وهو الذي يقوم بنشر العلم بعد أدائه ما توجه إليه من الفرائض والسنن المؤكدة (على العابد) أي الغالب عليه العبادة وهو الذي يصرف أوقاته بالنوافل مع كونه عالماً بما تصح به العبادة (كفضل القمر ليلة البدر) أي ليلة الرابع عشر وبه أوّل طه على حساب الجمل، وأريد به النبي ﷺ، يعني المشبه به في نهاية النور وغاية الظهور فيكون فيه تلميح إلى قوله: «كفضلي على أدناكم»[1] كما في قوله (على سائر الكواكب) إيماء إلى قوله: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» فإن نور المؤمن ولو كان عابداً ضعيف إذا لم يكن عالماً، وإنما حملنا الكلام على من غلب عليه أحد الوصفين لا على عالم فقط وعابد فقط لأن هذين لا فضل لهما بل إنهما معذبان في النار لتوقف صحة العمل على العلم وكمال العلم على العمل، بل ورد: «ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات» وورد: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه» لأنه يكون حينئذ ضالاً مضلاً، وقال القاضي: شبه العالم بالقمر والعابد بالكواكب لأن كمال العبادة ونورها لا يتعدى من العابد، ونور العالم يتعدى إلى غيره فيستضيء بنوره المتلقي عن النبي ﷺ، كالقمر يتلقى نوره من نور الشمس من خالقها[2] عزّ وجلّ.

(وإن العلماء ورثة الأنبياء) وإنما لم يقل: ورثة الرسل ليشمل الكل قاله ابن الملك، يعني فإن البعض ورثة الرسل كأصحاب المذاهب والباقون ورثة الأنبياء على اختلاف مراتبهم (وإن الأنبياء لم يورثوا) بالتشديد (ديناراً ولا درهماً) أي شيئاً من الدنيا وخصا لأنهما أغلب أنواعها، وذلك إشارة إلى رذالة الدنيا، وأنهم لم يأخذوا منها إلا بقدر ضرورتهم، فلم يورثوا شيئاً منها لئلا يتوهم أنهم كانوا يطلبون شيئاً منها يورث عنهم على أن جماعة قالوا: إنهم كانوا لا يملكون مبالغة في تنزههم عنها، ولذا قيل: الصوفي لا يملك ولا يملك، وفيه إيماء إلى كمال توكلهم على الله تعالى في أنفسهم وأولادهم، وإشعار بأن طالب الدنيا ليس من العلماء الورثة، ولذا قال الغزالي: أقل العلم بل أقل الإيمان أن يعرف أن الدنيا فانية، وأن العقبى باقية، ونتيجة هذا العلم أن يعرض عن الفاني ويقبل على الباقي، قال ابن الملك: خصوا الدرهم بالذكر لأن نفي الدينار لا يستلزم نفيه، وفيه أنه لا تخصيص هنا والعطف يدل على المغايرة، وإنما زيدت لا لتأكيد النفي وإرادة المبالغة. ثم قال: ولا يرد الاعتراض بأنه عليه الصلاة والسلام كان له صفايا بني النضير وفدك وخيبر إلى أن مات وخلفها، وكان لشعيب عليه الصلاة والسلام أغنام كثيرة، وكان أيوب وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام ذوي نعمة كثيرة، لأن المراد أنه ما ورثت أولادهم وأزواجهم شيئاً من ذلك بل بقي بعدهم معداً لنوائب المسلمين. اهـ. ويذكر عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه مر يوماً في السوق بقوم مشتغلين بتجاراتهم فقال: أنتم ههنا وميراث رسول الله ﷺ يقسم في المسجد، فقاموا سراعاً إليه فلم يجدوا فيه إلا القرآن والذكر ومجالس

(١) الترمذي ٥/٤٨ حديث ٢٦٨٥.

(٢) في المخطوطة خلقاً.

وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر». رواه أحمد والترمذي، وأبو داود، وابن ماجة، والدارمي، وسماه الترمذي قيس بن كثير.

٢١٣ ـ (٢٦) وعن أبي أمامة الباهلي، قال: ذُكر لرسول الله ﷺ رجلان: أحدهما عابد والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ: «فضلُ العالم على العابد كفضلي على أدناكم» ثم قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته وأهلَ السماوات والأرض حتى النملة في جُحْرِها، وحتى الحوت،

العلم، فقالوا: أين ما قلت: يا أبا هريرة، فقال: هذا ميراث محمد ﷺ يقسم بين ورثته وليس بمواريثه دنياكم. (**وإنما ورثوا العلم**) لإظهار الإسلام ونشر الأحكام [أو بأحوال الظاهر والباطن على تباين أجناسه واختلاف أنواعه] (**فمن أخذه**) أي العلم (**أخذ بحظ وافر**) أي أخذ حظاً وافراً، يعني نصيباً تاماً، أي لا حظ أوفر منه والباء زائدة للتأكيد، أو المراد أخذه متلبساً بحظ وافر من ميراث النبوّة، ويجوز أن يكون أخذ بمعنى الأمر، أي فمن أراد أخذه فليأخذ بحظ وافر ولا يقتنع بقليل هذا زبدة كلام الشرح هنا. (**رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجة والدارمي وسماه الترمذي**) أي كثير بن قيس (**قيس بن كثير**) والصحيح أنه كثير بن قيس، قال ميرك شاه: وقال المؤلف: في أسماء الرجال للمشكاة قيس بن كثير سمع أبا الدرداء هكذا أخرج حديثه الترمذي عن قيس بن كثير، وقال كذا حدثنا محمود بن خداش وإنما هو كثير بن قيس وكذلك سماه أبو داود كثير بن قيس وأورده البخاري في باب كثير لا في باب قيس.

٢١٣ ـ (**وعن أبي أمامة [الباهلي] قال: «ذكر**) على البناء للمفعول، أي وُصف (**لرسول الله ﷺ رجلان**) أي بوصف الكمال، وهو يحتمل أن يكون تمثيلاً وأن يكونا موجودين في الخارج قبل زمانه أو في أوانه (**أحدهما عابد**) أي كامل في العبادة (**والآخر عالم**) أي كامل بالعلم (**فقال رسول الله ﷺ:**) لا يستويان وإن كان كل منهما كاملاً في مقامه (**«فضل العالم**) بالعلوم الشرعية مع القيام بفرائض العبودية (**على العابد**) أي على المتجرد للعبادة بعد تحصيل قدر الفرض من العلوم (**كفضلي على أدناكم»**) وفيه مبالغة لا تخفى؛ فإنه لو قال: كفضلي على أعلاكم لكفى فضلاً وشرفاً، فيكون نظير قوله ﷺ: «واحشرني في زمرة المساكين» مع إفادة التواضع في الثاني. والظاهر أن اللام فيهما للجنس، فالحكم عام ويحتمل العهد، فغيرهما يؤخذ بالمقايسة.

(**ثم قال رسول الله ﷺ: «إن الله**) استئناف فيه تعليل (**وملائكته**) أي حملة العرش (**وأهل السموات**) تعميم بعد تخصيص (**والأرض**) أي أهل الأرض من الانس والجن وجميع الحيوانات (**حتى النملة**) بالنصب على أن حتى عاطفة، وبالجر على أنها جارة، وبالرفع على أنها ابتدائية والأوّل أصح. (**في جرها**) بضم الجيم وسكون الحاء، أي ثقبها. قال الطيبي: وصلاته بحصول البركة النازلة من السماء (**وحتى الحوت**) كما تقدم وهما غايتان مستوعبتان لدواب البر

الحديث رقم ٢١٣: أخرجه الترمذي في السنن ٥/٤٨ حديث رقم ٢٦٨٥ وقال حديث غريب.

ليصلُّون على معلم الناس الخير». رواه الترمذي.

٢١٤ ـ (١٧) ورواه الدارمي عن مكحول مُرسلاً، ولم يذكر: رجلان وقال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثم تلا هذه الآية: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾»

والبحر؛ وخصت النملة من دواب البر لأنها أكثر الحيوانات إدخاراً للقوت في جحرها، فهي أحوج إلى بركتهم من غيرها، وتقدم وجه تخصيص الحوت من دواب البحر. وقيل: وجه تخصيصهما بالذكر الإشارة إلى جنس الحلال والحرام، وقيل: إلى الجنس المنهي عنه القتل وغيره. (**ليصلون**) فيه تغليب للعقلاء على غيرهم، أي يدعون بالخير (**على معلم الناس الخير**») قيل: أراد بالخير هنا علم الدين وما به نجاة الرجل، ولم يطلق المعلم ليعلم أن استحقاق الدعاء لأجل تعليم علم موصل إلى الخير[1]. اهـ. وفيه إشارة إلى وجه الأفضلية بأن نفع العلم متعد ونفع العبادة قاصر مع أن العلم في نفسه فرض وزيادة العبادة نافلة والله أعلم. (**رواه الترمذي**) يعني عن أبي أمامة مرفوعاً.

٢١٤ ـ (**ورواه الدارمي عن مكحول**) وهو من أجلاء التابعين من سبي كابل وكان معلم الأوزاعي، قال الزهري: العلماء أربعة ابن المسيب بالمدينة والشعبي بالكوفة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام، فلم يكن في زمان مكحول أبصر بالفتيا منه، وكان لا يفتي حتى يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله هذا رأيي والرأي يخطىء ويصيب، كذا ذكره المصنف. (**مرسلاً**) يعني حذف الصحابي (**ولم يذكر**) أي مكحول (**«رجلان»**) رفعه على الحكاية، والمراد هو وما بعده من قوله: «أحدهما عابد والآخر عالم» ولذا قال: (**وقال:**) أي مكحول رواية عن رسول الله ﷺ وحكاية (**«فضل العالم على العابد**) وهو يؤيد الجنسية فيما تقدم (**كفضلي على أدناكم»**) أي أيها الصحابة أو أيها الأمة، والثاني أكثر مبالغة (**ثم تلا**) أي مكحول أو رسول الله ﷺ (**هذه الآية**) استشهاداً أو تصديقاً (**﴿إنما يخشى الله﴾**) بالنصب (**﴿من عباده العلماء﴾**) بالرفع، والخشية خوف مع التعظيم، وقُرىء في الشواذ برفع الجلالة ونصب العلماء، أي يعظم على التجريد. قيل: استشهاد لبيان علة الفضل لأن العالم الحقيقي أعرف بالله وبجلاله وكبريائه من العابد الذي غلبت عبادته على علمه فيكون العالم أتقى، قال تعالى: **﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾** [الحجرات ـ ١٣]. اهـ.

وحاصله أن العلم يورث الخشية، وهي تنتج التقوى، وهو موجب الأكرمية والأفضلية. وفيه إشارة إلى أن من لم يكن علمه كذلك فهو كالجاهل بل هو الجاهل، ولذا[2] قيل: ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات وأطبق السلف على أن من عصى الله فهو جاهل لقوله

---

(١) في المخطوطة «إلى الله تعالى».

الحديث رقم ٢١٤: أخرجه الدارمي عن مكحول ١/ ١٠٠ حديث رقم ٢٨٩.

(٢) في المخطوطة «كذا».

وسرد الحديث إلى آخره.

٢١٥ ـ (١٨) وعن أبي سعيد الخُدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الناسَ لكم تبعٌ، وإن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقّهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً». رواه الترمذي.

٢١٦ ـ (١٩) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الكلمةُ الحكمةُ

تعالى: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة﴾ [النساء ـ ١٧] (وسرد) أي ذكر وأورد مكحول (الحديث) أي بقية الحديث السابق (إلى آخره).

٢١٥ ـ (وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الناس) أي جنسهم (لكم تبع) جمع تابع كخدم وخادم، وقيل: وضع المصدر موضع الفاعل مبالغة كرجل عدل، والخطاب لعلماء الصحابة يعني أن الناس يتبعونكم في أفعالكم وأقوالكم لأنكم أخذتم عني مكارم الأخلاق؛ فإن الشريعة أقوالي والطريقة أفعالي والحقيقة أحوالي. وفيه مأخذ لتسمية التابعي تابعياً وإن كانت التبعية عامة بواسطة أو بغير واسطة، ولكن المطلق ينصرف إلى الكامل. (وإن رجالاً) أو نوعاً منهم غلبت عليهم الرجولية الكاملة (يأتونكم) أي [با] جهاد أنفسهم طالبين خالصين متواضعين (من أقطار الأرض) أي جوانبها (يتفقهون) أي يطلبون الفقه (في الدين) والجملة استئنافية لبيان علة الإتيان، أو حال من المرفوع في «يأتونكم» وهو أقرب إلى الذوق كذا قاله الطيبي. (فإذا أتوكم) أي بهذا القصد وآثرها على إن لإفادتها تحقيق وقوع هذا الأمر فهو من أعلام نبوّته وبواهر معجزته لوقوع ذلك كما أخبر به (فاستوصوا بهم خيراً») أي في تعليمهم علوم الدين وأخلاق المهتدين كما قيل في الحديث القدسي لداود عليه الصلاة والسلام: «إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً»، وتحقيقه اطلبوا الوصية والنصيحة بهم من أنفسكم فالسين للطلب والكلام من باب التجريد، أي ليجرد كل منكم شخصاً من نفسه ويطلب منه التوصية في حق الطالبين ومراعاة أحوالهم، وقيل: الاستيصاء طلب الوصية من نفسه أو من غيره بأحد أو بشيء يقال: استوصيت زيداً بعمرو خيراً، أي طلبت من زيد أن يفعل بعمرو خيراً، والباء في بهم للتعدية، وقيل: الاستيصاء قبول الوصية ومعناه اقبلوا الوصية مني بإتيانهم خيراً، وقيل: معناه مروهم بالخير وعظوهم خيراً وعلموهم إياه. (رواه الترمذي) وكذا ابن ماجة.

٢١٦ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الكلمة) أي الجملة المفيدة (الحكمة) قال مالك: هي الفقه في الدين، قال تعالى: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾ الآية [البقرة ـ ٢٦٩]،

الحديث رقم ٢١٥: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٣٠ حديث رقم ٢٦٥٠. وأخرجه ابن ماجة في مقدمته ١/ ٩١ حديث ٢٤٩.

الحديث رقم ٢١٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٤٩ حديث رقم ٢٦٨٧. وأخرجه السنن بنفس اللفظ ٢/ ١٣٩٥ حديث رقم ٤١٦٩ وتكلم الترمذي في سنده.

ضالةُ الحكيم، فحيث وجدها فهو أحقُّ بها». رواه الترمذي وابن ماجة، وقال الترمذي هذا حديث غريب، وإبراهيم بن الفضل الراوي يضعَّف في الحديث.

٢١٧ - (٢٠) وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «فقيه واحد أشدُّ

وقيل: التي أحكمت مبانيها بالنقل والعقل دالة على معنى فيه دقة مصونة معانيها عن الاختلال والخطأ والفساد، وقال السيد جمال الدين: جعلت الكلمة نفس الحكمة[1] مبالغة كقولهم: رجل عدل، ويُروى «كلمة الحكمة» بالإضافة من غير [إضافة الموصوف] إلى الصفة[2]، ويُروى «الكلمة الحكيمة» على طريق الإسناد المجازي لأن الحكيم قائلها كقوله تعالى: ﴿يس والقرآن الكريم﴾ [يس - ١ - ٢] كذا في شرح الطيبي، وذكر البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ [يونس - ١] [وصف بالحكيم] لاشتماله على الحكم فعلى هذا هو يفيد وجهاً آخر في الكلمة الحكيمة، وقيل: الحكيمة بمعنى المحكمة أو الحاكمة **(ضالة الحكيم)** أي مطلوبه، والحكيم هو المتقن للأمور الذي له فيها غور **(فحيث وجدها)** أي الحكيم الحكمة **(فهو أحق بها)** أي بقبولها، قال السيد جمال الدين: يعني أن الحكيم يطلب الحكمة فإذا وجدها فهو أحق بها، أي بالعمل بها واتباعها، أو المعنى أن كلمة الحكمة ربما تفوّه بها من ليس لها بأهل، ثم وقعت إلى أهلها فهو أحق بها من قائلها من غير التفات إلى خساسة من وجدها عنده، أو المعنى أن الناس يتفاوتون في فهم المعاني واستنباط الحقائق المحتجبة واستكشاف الأسرار المرموزة فينبغي أن لا ينكر من قصر فهمه عن إدراك حقائق الآيات ودقائق الأحاديث على من رزق فهماً وألهم تحقيقاً، كما لا ينازع صاحب الضالة في ضالته إذا وجدها، أو كما أن الضالة إذا وجدت مضيعة فلا تترك، بل تؤخذ ويتفحص عن صاحبها حتى ترد عليه كذلك السامع إذا سمع كلاماً لا يفهم معناه ولا يبلغ كنهه فعليه أن لا يضيعه وأن يحمله إلى من هو أفقه منه، فلعله يفهم أو يستنبط منه ما لا يفهمه ولا يستنبطه هو، أو كما أنه لا يحل منع صاحب الضالة عنها فإنه أحق بها، كذلك[3] العالم إذا سئل عن معنى لا يحل له كتمانه إذا رأى في السائل استعداداً لفهمه كذا قاله زين العرب تبعاً للطيبي. **(رواه الترمذي وابن ماجة وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وإبراهيم بن الفضل الراوي)** بتخفيف الياء **(يُضعف)** بصيغة المجهول أي ينسب إلى ضعف الرواية **(في الحديث)** أي في باب نقل الحديث، ورواه ابن عساكر عن علي وكأنه رضي الله عنه أخذ من هذا الحديث ما قال موقوفاً: [«انظر] إلى ما قال، ولا تنظر إلى من قال».

٢١٧ - **(وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «فقيه واحد)** أي بقاؤه وحياته **(أشد**

---

(١) في المخطوطة «الكلمة». (٢) في المخطوطة زيادة لا تتناسب مع سياق الكلام.

(٣) في المخطوطة «كذا».

الحديث رقم ٢١٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥/٤٦ حديث رقم ٢٦٨١. وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وأخرجه ابن ماجة ١/٨١ حديث رقم ٢٢٢.

على الشيطانِ من ألفِ عابدٍ». رواه الترمذي، وابن ماجة.

٢١٨ ـ (٢١) وعن أنس، قال رسول الله ﷺ: «طلبُ العلم فريضةٌ على كلِّ مسلم، وواضعُ العلم عند غير أهله

على الشيطان) لأن الفقيه لا يقبل أغواءه ويأمر الناس بالخير علي ضد ما يأمرهم بالشر (من ألف عابد) قيل: المراد به الكثرة وذلك لأن الشيطان كلما فتح باباً من الأهواء على الناس، وزين الشهوات في قلوبهم، بين الفقيه العارف بمكائده ومكامن غوائله للمريد السالك ما يسد ذلك الباب ويجعله خائباً خاسراً بخلاف العابد فإنه ربما يشتغل بالعبادة وهو في حبائل الشيطان ولا يدري (رواه الترمذي وابن ماجة) قال الربيع: حديث «الفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد» رواه البيهقي في الشعب والطبراني في الأوسط وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعاً به في حديث، وقال الطبراني: سنده ضعيف وله شواهد أسانيدها ضعيفة. ا هـ. لكن كثرة طرقه تخرجه عن الضعف خصوصاً حيث اعتضده برواية الترمذي وابن ماجة عن ابن عباس.

٢١٨ ـ (وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم)أي الشرعي (فريضة) أي مفروض فرض عين (على كل مسلم) أو كفاية والتاء للمبالغة، أي ومسلمة كما في رواية. قال الشراح: المراد بالعلم ما لا مندوحة للعبد من تعلمه كمعرفة الصانع والعلم بوحدانيته ونبوة رسوله، وكيفية الصلاة فإن تعلمه فرض عين، وأما بلوغ رتبة الاجتهاد والفتيا ففرض كفاية. قال السيد: ويمكن أن يعم العلم ويحمل الكلام على المبالغة. ا هـ. وفيه تأمل قال الأبهري: واختُلف في العلم الذي هو فرض وتحزبوا فيه أكثر من عشرين فرقة؛ فكل فريق نزل الوجوب على العلم الذي بصدده. ا هـ. قال الشيخ العارف الرباني السهروردي: اختلف في هذا العلم الذي هو فريضة، قيل: هو علم الإخلاص ومعرفة آفات النفس وما يفسد الأعمال، لأن الإخلاص مأمور به فصار علمه فرضاً آخر، وقيل: معرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لأن الخواطر هي منشأ الفعل وبذلك يعلم الفرق بين لمة الشيطان ولمة الملك، وقيل: هو طلب علم الحلال[1] حيث كان أكل الحلال واجباً، وقيل: علم البيع والشراء والنكاح إذا أراد الدخول في شيء منها، وقيل: علم الفرائض الخمس، وقيل: هو طلب علم التوحيد بالنظر والاستدلال والنقل، وقيل: هو طلب علم الباطن وهو ما يزداد[2] به العبد يقيناً وهو الذي يكتسب بصحبة الصالحين والزهاد المقربين فهم وراث الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. ا هـ. فإن قيل: ما الفرض قبل الفرض؟ فقل: العلم قبل العمل، وإن قيل: ما الفرض في الفرض؟ فقل: الإخلاص في العلم والعمل، وإن قيل: ما الفرض بعد العمل؟ فقل: الخوف والرجاء. (وواضع العلم عند غير أهله) بأن يحدثه من لا يفهمه، أو من يريد منه

الحديث رقم ٢١٨: أخرجه ابن ماجة ١/ ٨١ حديث رقم ٢٢٤. والبيهقي في شعب الإيمان لعند لفظ «مسلم» ٢/ ٢٥٤ حديث رقم ١٦٦٦.

(١) في المخطوطة «المال». (٢) في المخطوطة «يزاد».

كمقلّد الخنازير الجوهرَ واللؤلؤَ والذهبَ». رواه ابن ماجة، وروى البيهقي في «شُعَبِ الإيمان» إلى قوله «مسلم». وقال: هذا حديث متنه مشهور، وإسناده ضعيف، وقد روي من أوجهٍ كلُّها ضعيف.

٢١٩ ـ (٢٢) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «خصلتان لا تجتمعان في منافقٍ: حُسنُ سمْت،

غرضاً دنيوياً، أو من لا يتعلمه لله (كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ) بسكون الهمز ويبدل (والذهب) قيل: يشعر بأن كل علم يختص باستعداد وله أهل؛ فإذا وضعه في غيره موضعه فقد ظلم، فمثل معنى الظلم بتقليد أخس الحيوانات بأنفس الجواهر تهجيناً لذلك الوضع وتنفيراً عنه، ولذا قال علي كرم الله وجهه: حدثوا الناس بما يفهمون أو يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟[1] أي إذا سمعوا ما لم تحط به عقولهم فإنهم يبادرون إلى تكذيبه، وفي تعقيب هذا التمثيل [بـ] قوله: «طلب العلم» إعلام بأن المراد بالطلب طلب كل من المستعدين ما يليق بحاله ويوافق منزلته بعد حصول ما هو واجب من الفرائض العامة، وعلى العالم أن يخص كل طالب بما هو مستعد له. (رواه ابن ماجة) يعني بكماله وغيره كذا في الترغيب للمنذري (وروى البيهقي في شعب الإيمان إلى قوله: «مسلم» وقال:) أي البيهقي (هذا حديث متنه مشهور) أي على ألسنة الناس كذا في بداية الجزري (وإسناده ضعيف) أي وإن كان معناه صحيحاً كذا قاله النووي (وقد رُوي من أوجه كلها ضعيفة) لكن كثرة الطرق تدل على ثبوته ويقوي بعضه ببعض، قال المزي تلميذ النووي: إن طرقه تبلغ رتبة الحسن، وقال العلقمي في شرح الجامع الصغير: رأيت له خمسين طريقاً جمعتها في جزء وحكمت بصحته لكن من القسم الثاني وهو الصحيح بغيره، فقول الجزري في البداية: لا أصل له، أي ليس له أصل صحيح، وقد مثل به ابن الصلاح للمشهور الذي ليس بصحيح، لكن قال العراقي: قد صحح بعض الأئمة [بعض] طرقه هذا وقد ألحق بعض المصنفين بآخر الحديث «ومسلمة» وليس لها ذكر في شيء من طرقه.

٢١٩ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خصلتان لا تجتمعان[2] في منافق) بأن تكون[3] فيه واحدة دون الأخرى، أو لا يكونا فيه بأن لا توجد واحدة منهما فيه. وإنما عبر بالاجتماع تحريضاً للمؤمنين على جمعهما وزجراً لهم عن الإتصاف بأحدهما، والمنافق إما حقيقي وهو النفاق الاعتقادي أو مجازي وهو المرائي وهو النفاق العملي (حسن سمت) أي خلق وسيرة وطريقة، قال الطيبي: هو التزيي بزي الصالحين، وقال ميرك: السمت بمعنى

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٢٢٥ حديث رقم ١٢٧.

الحديث رقم ٢١٩: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٤٨ حديث رقم ٢٦٨٤ وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أيوب العامري ولا أدري كيف هو.

(٢) في المخطوطة «يجتمعان». (٣) في المخطوطة «يكون».

ولا فقهٌ في الدين». رواه الترمذي.

٢٢٠ ـ (٢٣) وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع». رواه الترمذي، والدارمي.

٢٢١ ـ (٢٤) وعن سخبرة الأزدي، قال: قال رسول الله

الطريق أعني المقصد، وقيل: المراد هيئة أهل الخير والأحسن ما قاله ابن حجر: إنه تحري طرق الخير والتزيي بزي الصالحين مع التنزه عن المعايب الظاهرة والباطنة. **(ولا فقه في الدين)** عطف بلا لأن حسن سمت في سياق النفي فلا لتأكيد النفي المساق، قال التوربشتي: حقيقة الفقه في الدين ما وقع في القلب ثم ظهر على اللسان فأفاد العمل وأورث الخشية والتقوى، وأما الذي يتدارس أبواباً منه ليتعزز[1] به ويتأكل به فإنه بمعزل عن الرتبة العظمى، لأن الفقه تعلق بلسانه دون قلبه ولهذا قال علي رضي الله عنه: ولكني أخشى عليكم كل منافق عليم اللسان[2]، قيل: ليس المراد أن إحداهما[3] قد تحصل دون الأخرى بل هو تحريض للمؤمنين على الإتصاف بهما والاجتناب عن أضدادهما؛ فإن المنافق من يكون عارياً منهما وهو من باب التغليظ ونحوه قوله تعالى: ﴿**فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة**﴾ [فصلت ـ ٦ ـ ٧] إذ فيه حث على أدائها وتخويف من المنع حيث جعله من أوصاف المشركين كذا قاله الطيبي. **(رواه الترمذي)**.

٢٢٠ ـ **(وعن أنس)** رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج)** أي من بيته أو بلده **(في طلب العلم)** أي الشرعي فرض عين أو كفاية **(فهو في سبيل الله)** أي في الجهاد لما أن في طلب العلم من إحياء الدين وإذلال الشيطان وإتعاب النفس كما في الجهاد **(حتى يرجع)** أي إلى بيته، وفيه إشارة إلى أنه بعد الرجوع له درجة أعلى لأنه حينئذ وارث الأنبياء في تكميل الناقصين، قال تعالى: ﴿**فلولا نفر**﴾ أي خرج ﴿**من كل فرقة منهم طائفة**﴾ أي بعضهم ﴿**ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾ [التوبة ـ ١٢٢] **(رواه الترمذي والدارمي)** وكذا الضياء المقدسي.

٢٢١ ـ **(وعن سخبرة)** بفتح المهملة وسكون المعجمة وفتح الموحدة يكنى أبا عبد الله **(الأزدي)** في القاموس أزد بن الغوث، وبالسين أفصح أبو حي من اليمن، ومن أولاده الأنصار كلهم له رواية في كتاب العلم، رواه عنه ابنه ذكره المؤلف في الصحابة. **(قال: قال رسول الله**

---

(١) في المخطوطة «ليتحرز». (٢) أحمد في المسند ١/ ٢٢.

(٣) في المخطوطة «أحديهما».

الحديث رقم ٢٢٠: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٢٩ حديث رقم ٢٦٤٧ وقال حسن غريب.

الحديث رقم ٢٢١: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٢٩ حديث رقم ٢٦٤٨. وقال حديث ضعيف الاسناد وأخرجه الدارمي في السنن ١/ ١٤٩ حديث رقم ٥٦١.

ﷺ: «من طلب العلم كان كفارةً لما مضى». رواه الترمذي، والدارمي، وقال الترمذي: هذا حديث ضعيف الإسناد، وأبو داود الراوي يضعَّفُ.

٢٢٢ ـ (٢٥) وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يشبَعَ المؤمنُ من خيرٍ يسمعُه حتى يكونَ منتهاه الجنة». رواه الترمذي.

٢٢٣ ـ (٢٦) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سُئل عن علم علمه ثم كتمه؛ أُلجم يوم القيامة بلجامٍ من نار».

ﷺ: «من طلب العلم) أي ليعمل به (كان) أي طلبه للعلم (كفارة) وهي[1] ما يستر الذنوب ويزيلها من كفر إذا ستر (لما مضى) أي من ذنوبه، قيل: هذا الحديث مع ما فيه من الضعف مخالف للكتاب والسنن المشهورة في إيجاب الكفارات والحدود إلا إذا قلنا بالتخصيص، يعني بالصغائر وهو موضع بحث كذا في زين العرب نقله السيد، والظاهر أن الكفارة مختصة بالصغائر أو بحقوق الله التي ليس لها تدارك، أو يشمل حقوق العباد التي لا يمكن تداركه لها، ويمكن أن يكون المعنى إن طلب العلم وسيلة إلى ما يكفر به ذنوبه كلها من التوبة ورد المظالم وغيرها والله أعلم. (رواه الترمذي والدارمي وقال الترمذي: هذا حديث ضعيف الإسناد، وأبو داود الراوي) أي من رواة هذا الحديث (يضعّف) بتشديد العين أي ينسب إلى الضعف في الرواية وليس أبا داود المخرج من أصحاب السنن فإنه ثقة إمام في الحديث قوي في الرواية والدراية.

٢٢٢ ـ (وعن أبي سعيد الخدري) [رضي الله عنه] (قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يشبع المؤمن) أي الكامل (من خير) أي علم (يسمعه حتى) لما كان يشبع مضارعاً دالاً على الاستمرار تعلق به حتى (يكون منتهاه) أي غايته ونهايته (الجنة») بالنصب على الخبرية، أو الرفع على الاسمية يعني حتى يموت فيدخل الجنة (رواه الترمذي).

٢٢٣ ـ (وعن أبي هريرة) [رضي الله عنه] (قال: قال رسول الله ﷺ: «من سئل عن علم علمه) وهو علم يحتاج إليه السائل في أمر دينه (ثم كتمه) بعدم الجواب أو بمنع الكتاب (ألجم) أي أدخل في فمه لجام، لأنه موضع خروج العلم والكلام. قال الطيبي: شبه ما يوضع في فيه من النار بلجام في فم الدابة (يوم القيامة بلجام من نار) مكافأة له حيث ألجم نفسه بالسكوت، وشبه بالحيوان الذي سخر ومنع من قصده ما يريده، فإن العالم من شأنه أن يدعو إلى الحق.

---

(١) في المخطوطة «وهو».

الحديث رقم ٢٢٢: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٤٩ حديث رقم ٢٦٨٦ وقال حسن غريب.

الحديث رقم ٢٢٣: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢٦٣. وأخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٦٧ حديث رقم ٣٦٥٨ وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٢٩ حديث رقم ٢٦٤٩ وقال حديث حسن. ولابن ماجة نحوه ١/ ٩٦ حديث رقم ٢٦١.

رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي.

٢٢٤ ـ (٢٧) ورواه ابن ماجة عن أنس.

٢٢٥ ـ (٢٨) وعن كعب بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب العلم ليُجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء،

قال ابن حجر: ثم هنا استبعادية لأن تعلم العلم إنما يقصد لنشره ونفعه الناس وبكتمه يزول ذلك الغرض الأكمل فكان بعيداً ممن هو في صورة العلماء والحكماء، قال السيد: هذا في العلم اللازم التعليم كاستعلام كافر عن الإسلام ما هو، أو حديث عهد به عن تعليم صلاة حضر وقتها وكالمستفتي في الحلال والحرام فإنه يلزم في هذه الأمور الجواب لا نوافل العلوم الغير الضرورية، وقيل: العلم هنا علم الشهادة **(رواه أحمد وأبو داود والترمذي)** أي عن أبي هريرة.

٢٢٤ ـ **(ورواه ابن ماجة عن أنس)** وفي الجامع الصغير[١] رواه أحمد والأربعة والحاكم عن أبي هريرة. ا هـ. ورواه ابن حبان وأبو يعلى أيضاً، قال زين العرب: تبعاً للخطابي وقد تكلم في هذا الحديث بعض العلماء بأنه ضعيف بل هو موضوع. ا هـ. وفي المقاصد الحسنة للسخاوي: من كتم علماً يعلمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار، لجماعة وحسنه الترمذي وصححه الحاكم[٢]، ويشمل الوعيد حبس الكتب عن الطالب لا سيما عند عدم التعدد والابتلاء بهذا كثير[٣]. ا هـ. وخصوصاً كتاب الوقف.

٢٢٥ ـ **(وعن كعب بن مالك)** أي الأنصاري الخزرجي شهد العقبة الثانية واختلف في شهوده بدراً والمشاهد بعدها غير تبوك، وكان أحد شعراء النبي ﷺ، وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك؛ وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة يجمع أوائل أسمائهم مكة، روى عنه جماعة، مات سنة خمسين وهو ابن [سبع] وسبعين بعد أن عُمي. **(قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب العلم)** أي لا لله بل **(ليجاري)** أي ليقاوم به **(العلماء)** المجاراة المعارضة في الجري، وقيل: المفاخرة وجعل نفسه مثل غيره **(أو ليماري)** أي يجادل **(به السفهاء)** جمع سفيه وهو قليل العقل والمراد به الجاهل، والممارة من المرية وهي الشك؛ فإن كل واحد من المتحاجين يشك فيما يقول صاحبه ويشككه مما يورد على حجته، أو من المري وهو مسح الحالب ليستنزل ما به من اللبن؛ فإن كلا من المتناظرين

الحديث رقم ٢٢٤: أخرجه ابن ماجة في السنن ١/ ٩٧ حديث رقم ٢٦٤. وفي إسناده مقال.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٢٩ حديث رقم ٨٧٣٢.

(٢) أخرجه الحاكم ١/ ١٠٢.

(٣) هذا الحديث مروي في كتب السنة بعدة ألفاظ وهو حديث مشهور.

الحديث رقم ٢٢٥: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٣٢ حديث رقم ٢٦٥٤ وقال حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسحاق بن يحيى بن طلحة ليس بذاك القوي عندهم.

أو يصرفَ به وجوهَ الناس إليه؛ أدخله الله النار». رواه الترمذي.

٢٢٦ ـ (٢٩) ورواه ابن ماجة عن ابن عمر.

٢٢٧ ـ (٣٠) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلّم علماً مما يُبتغى به وجهُ الله، لا يتعلمُه إلا ليُصيبَ به عرَضاً من الدنيا؛

يستخرج ما عند صاحبه كذا حققه الطيبي. ولما كان غرضه في طلب العلم فاسداً ما احتيج إلى الاستثناء في المجادلة بنحو قوله تعالى: ﴿**إلا مراء ظاهراً**﴾ أو قوله: ﴿**إلا بالتي هي أحسن**﴾ (**أو يصرف به**) أي يميل بالعلم (**وجوه الناس**) أي العوام أو الطلبة (**إليه**) أي ليعظموه أو يعطوا المال له كذا قاله ابن الملك، وقيل: أي يطلب العلم لمجرد الشهرة بين الناس (**أدخله الله النار**) الظاهر أن هذا إخبار بأنه استحق دخول النار، ويحتمل أن يكون جملة دعائية والله أعلم. (**رواه الترمذي**) أي عن كعب.

٢٢٦ ـ (**ورواه ابن ماجة عن ابن عمر**).

٢٢٧ ـ (**وعن أبي هريرة**) [رضي الله عنه] (**قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علماً مما يبتغى**) من للبيان، أي مما يطلب (**به وجه الله**) أي رضاه كالعلوم الدينية (**لا يتعلمه**) حال إما من فاعل «تعلم»، أو من مفعوله لأنه تخصص بالوصف، ويجوز أن يكون صفة أخرى تعلماً (**إلا ليصيب به**) أي لينال ويحصل بذلك العلم (**عرضاً**) بفتح الراء ويسكن، أي حظاً مالاً أو جاهاً (**من الدنيا**) يقال: الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر، ونكره ليتناول الأنواع ويندرج فيه قليله وكثيره. وفي الأزهار العَرَض بفتح العين والراء المال، وقيل: ما يتمتع به، وقال الجيلي: العرْض بالسكون أصناف المال غير الذهب والفضة، وبحركة الراء جميع المال من الذهب والفضة والعروض كلها كذا نقله الأبهري. قال الطيبي: وفيه أن من تعلم لرضا الله تعالى مع إصابة العرض الدنيوي لا يدخل تحت الوعيد لأن ابتغاء وجه الله تعالى يأبى إلا أن يكون متبوعاً، ويكون العرض تابعاً. ووصف العلم بابتغاء وجه الله إما للتفصيل والتمييز، فإن بعضاً من العلوم مما يستعاذ[1] منه كما ورد: «أعوذ بالله من علم لا ينفع»[2]، وأما للمدح والوعيد من باب التغليظ والتهديد. وسمعت بعض العلماء الزاهدين يقول: من طلب الدنيا بالعلوم الدنيوية كان أهون عليه من أن يطلبها بغيرها من العلوم، فهو كمن جر جيفة بآلة من آلات اللهو، وذلك كمن جرها بأوراق تلك العلوم. اهـ. ويؤيده ما روي عن الحسن البصري أنه رأى شخصاً يلعب فوق الحبال فقال: إن هذا خير من أصحابنا لأنه يأكل الدنيا بالدنيا وأصحابنا يأكلون الدنيا بالدين. اهـ. لكن قالوا: فرق بين من يأخذ الدنيا ليتفرغ لعمل الآخرة، وبين من

الحديث رقم ٢٢٦: أخرجه ابن ماجة ١/ ٩٣ حديث رقم ٢٥٣.

الحديث رقم ٢٢٧: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٣٨. وأخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٧١ حديث رقم ٣٦٦٤ وأخرجه ابن ماجة ١/ ٩٢ حديث رقم ٢٥٢.

(١) في المخطوطة «يستفاد». (٢) من حديث أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٨٨ حديث ٢٧٢٢.

لم يجدْ عَرْفَ الجنة يوم القيامة». يعني ريحَها. رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجة.

٢٢٨ ـ (٣١) وعن ابن مسعود، قال: قال: قال رسول الله ﷺ: «نضّر اللّهُ عبداً

يعمل عمل الآخرة ليأخذ الدنيا فتأمل فإنه موضع الزلل. ثم الاستثناء من أعم الأوصاف، أي لا يتعلمه لغرض من الأغراض إلا ليصيب به شيئاً من متمتعات الدنيا وإن قل، ومن المعلوم أن قصدها هذا ولو مع قصد الآخرة موجب للإثم فوجه التقييد ترتب العقاب الآتي عليه، أو لأن الغالب أن من قصد الدنيا لا يقصد معها الآخرة. **(لم يجد)** حين يجد علماء الدين من مكان بعيد **(عرف الجنة)** بفتح العين وسكون الراء، أي ريحها الطيبة المعروفة بأن توجد من مسيرة خمسمائة سنة على ما ورد في حديث **(يوم القيامة يعني)** هذا تفسير الراوي **(ريحها)** قال التوربشتي: قد حمل هذا المعنى على المبالغة في تحريم الجنة على المختص بهذا الوعيد كقولك: ما شممت قتار قدره للمبالغة في التبري عن تناول الطعام، أي ما شممت رائحتها فكيف بالتناول؟ وليس كذلك فإن المختص بهذا الوعيد إن كان من أهل الإيمان فلا بد وأن يدخل الجنة عرف بالنصوص الصحيحة؛ فتأويل هذا الحديث أن يكون تهديداً وزجراً عن طلب الدنيا بعمل الآخرة، وأيضاً يوم القيامة يوم موصوف، وذلك من حين يحشر الناس إلى أن ينتهي بهم الأمر إما إلى الجنة أو إلى النار، ولا يلزم من عدم وجدانها يوم القيامة فقط عدم وجدانها مطلقاً، وبيان ذلك أن الآمنين من الفزع الأكبر وهي النفخة الأخيرة إذا وردوا القيامة يمدون برائحة الجنة تقوية لقلوبهم وأبدانهم وتسلية لهمومهم وأشجانهم على مقدار حالهم في المعرفة وإيقانهم. ومن تعلم للأغراض الفانية وكان من حقه أن لا يتعلمه إلا ابتغاء وجه الله يكون كمن حدث مرض في دماغه يمنعه عن إدراك الروائح فلا يجد رائحة الجنة لما في قلبه من الأغراض المخلة بالقوى الإيمانية، وقال ابن حجر: هذا الوعيد مطلق إن استحل ذلك لأن تحريم طلب العلم بهذا القصد فقط مجمع عليه ومعلوم من الدين بالضرورة، وأفهم الحديث أن من أخلص قصده فتعلم لله لا يضره حصول الدنيا له من غير قصدها بتعلمه، [بل] من شأن الإخلاص بالعلم أن تأتي الدنيا لصاحبه راغمة كما ورد: «من كان همه الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه وتأتيه الدنيا وهي راغمة»[1] **(رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة)** ورواه الترمذي عن ابن عمر ولفظه: «من تعلم علماً لغير الله فليتبوأ مقعده من النار».

٢٢٨ ـ **(وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «نضر الله عبداً)** قال التوربشتي: النضرة الحسن والرونق يتعدى ولا يتعدى، ورُوي مخففاً ومثقلاً. اهـ. وقال النووي: التشديد أكثر، وقال الأبهري: روى أبو عبيدة بالتخفيف، وقال: هو لازم ومتعد ورواه الأصمعي بالتشديد، وقال: المخفف لازم والتشديد للتعدية وعلى الأول للتكثير والمبالغة. اهـ. والمعنى خصه الله بالبهجة والسرور لما رزق بعلمه ومعرفته من القدر والمنزلة بين الناس في

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٨٣.

الحديث رقم ٢٢٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٣٤ حديث رقم ٢٦٥٨.

سمعَ مقالتي فحفظها ووعاها وأدّاها؛ فربّ حاملِ فقهٍ غير فقيه، وربّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقه منه. ثلاثٌ لا يُغِلّ عليهن قلب مسلم:

الدنيا ونعمه في الآخرة حتى يرى عليه رونق الرخاء والنعمة، ثم قيل: إنه إخبار يعني جعله ذا نضرة، وقيل: دعاء له بالنضرة، وهي البهجة والبهاء في الوجه من أثر النعمة، وقيل: المراد ههنا النضرة من حيث الجاه والقدر كما جاء: «اطلبوا الحوائج من حسان الوجوه»[1]، أي ذوي الأقدار من الناس لأنه جدد بحفظه ونقله طراوة الدين فجازاه في دعائه بما يناسب عمله، قلت: لا منع من الجمع والإخبار أولى من الدعاء والله أعلم. قيل: وقد استجاب الله دعاءه فلذلك تجد أهل الحديث أحسن الناس وجهاً وأجملهم هيئة، وروي عن سفيان بن عيينة أنه قال: ما من أحد يطلب الحديث إلا وفي وجهه نضرة، أي بهجة صورية أو معنوية. **(سمع مقالتي)** أي حديثي **(فحفظها)** أي بالقلب أو بالكتابة، وأغرب ابن حجر فقال: «فحفظها بلسانه»، **(ووعاها)** أي دام على حفظها ولم ينسها، قيل: بالتكرار والتذكار إذا حفظها لئلا ينسى، وقيل: بالرواية والتبليغ فيكون عطف **(وأداها)** عليه تفسيرياً، أي أوصلها إلى الناس وعلمها. وفيه إشارة إلى الفسحة في الأداء حيث لم يوجبه معجلاً، وأغرب ابن الملك فقال: معنى حفظها، أي عمل بموجبها فإن الحفظ قد يستعار للعمل، قال تعالى: ﴿**والحافظون لحدود الله**﴾ أي العاملون بفرائضه. ا هـ. وفي المصابيح «وأداها كما سمعها»[2]، وفي الأربعين «سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها»، أي غضاً طرياً من غير تحريف وتغيير من زيادة ونقصان، أو من غير تغيير للفظها ولا معناها فيكون تنبيهاً على الوجه الأكمل فلا ينافي جواز الرواية بالمعنى على ما عليه الجمهور، مع أن التشبيه يلائم هذا المعنى لأن المثلية تارة تكون بحسب اللفظ والمعنى وتارة بحسب المعنى، والمدار على المعاني الأصلية دون المحسنات اللفظية لا سيما عند الضرورة حيث نسي اللفظ بخصوصه وتذكر المعنى بعمومه؛ فلو لم يعبر عنه بلفظ آخر فات المقصود الأصلي، لأن ما لا يدرك كله لا يترك كله، ومحل بسط هذه المسائل علم أصول الحديث. **(فرب)** استعيرت للتكثير، وقيل: استعماله فيه حقيقة أيضاً **(حامل فقه)** أي علم **(غير فقيه)** بالجر صفة حامل، وقيل: بالرفع فتقديره هو غير فقيه يعني لكن يحصل له الثواب لنفعه بالنقل. **(ورب حامل فقه)** قد يكون فقيهاً ولا يكون أفقه فيحفظه ويعيه ويبلغه **(إلى من هو أفقه منه)** فيستنبط منه ما لا يفهمه الحامل، أو إلى من يصير أفقه منه إشارة إلى فائدة النقل والداعي إليه. قال الطيبي: هو صفة لمدخول رب استغني بها عن جوابها، أي رب حامل فقه أداه إلى من هو أفقه منه.

(ثلاث) أي ثلاث خصال **(لا يغل)** بفتح الياء وضمها وبكسر الغين، فالأول من الغل الحقد والثاني من الإغلال الخيانة **(عليهن)** أي على تلك الخصال **(قلب مسلم)** أي كامل، والمعنى أن المؤمن لا يخون في هذه الثلاثة الأشياء، ولا يدخله ضغن يزيله عن الحق حين يفعل شيئاً من ذلك قاله التوربشتي. وقال الزمخشري في الفائق: إن هذه الخلال يستصلح بها

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٢٧٨ حديث رقم ٣٥٤١ بلفظ «الخير».

(٢) في المصابيح «فبلغه كما سمعه» ١/ ١٧٥ حديث رقم ١٧٥.

إخلاصُ العمل لله، والنصيحةُ للمسلمين، ولزومُ جماعتِهم، فإنَّ دعْوَتهم تحيطُ من ورائهم». رواه الشافعي والبيهقي في المدخل.

القلوب؛ فمن تمسك بها طهر قلبه من الغل[1] والفساد. «وعليهن» في موضع الحال، أي لا يغل قلب مؤمن كائناً عليهن وإنما انتصب عن النكرة لتقدمه. ا هـ. وقيل: النفي بمعنى النهي يعني لا يتركها بل يأتي بها، وقيل: أي ثلاث لا يغل قلب مسلم حال كونه ثابتاً عليهن، يعني من تمسك بهن طهر الله قلبه من الحقد والخيانة، ونقل السيد عن زين العرب أنه يُروى أيضاً بفتح الياء وكسر الغين وتخفيف اللام من الوغول الدخول في الشر ونحوه، والمعنى على هذا أن هذه الخلال يستصلح بها القلوب فمن تمسك بها طهر قلبه من الغل والشر. ا هـ. ثم قال السيد: وهذا المعنى مذكور في الفائق. ا هـ. وذكر ابن حجر فتح الياء وضم الغين وتشديد اللام من غل من المغنم شيئاً غلولاً إذا أخذه في خفية فهو يرجع إلى الخيانة أيضاً. **(إخلاص العمل لله)** أي منها أو إحداها، أو الربط بعد العطف على أنه بدل من ثلاث، ومعنى الإخلاص أن يقصد بالعمل وجهه ورضاه فقط دون غرض آخر دنيوي أو أخروي كنعيم الجنة ولذاتها، أو لا يكون له غرض دنيوي من سمعة ورياء، والأوّل إخلاص الخاصة والثاني إخلاص العامة. وقال الفضيل بن عياض: العمل لغير الله شرك وترك العمل لغير الله رياء، والإخلاص أن يخلصك الله منهما. **(والنصيحة)** وهي إرادة الخير **(للمسلمين)** أي كافتهم **(ولزوم جماعتهم)** أي موافقة المسلمين في الاعتقاد والعمل الصالح من صلاة الجمعة والجماعة وغير ذلك **(فإن دعوتهم تحيط)** أي تدور **(من ورائهم)** وفي نسخة «من» موصولة، ويؤيد الأوّل أنه في أكثر النسخ مرسوم بالياء، والمعنى أن دعوة المسلمين قد أحاطت بهم فتحرسهم عن كيد الشيطان وعن الضلالة. وفيه تنبيه على أن من خرج عن جماعتهم لم ينل بركتهم وبركة دعائهم لأنه خارج عما أحاطت بهم من [ورائهم]، وفيه إيماء إلى تفضيل الخلطة على العزلة. قال الطيبي: وكلام صاحب النهاية يرشد إلى أن الصواب فتح «من» موصولاً مفعولاً لتحيط فإنه قال: الدعوة المرة من الدعاء، أي تحويهم وتثبتهم وتحفظهم يريد به أهل السنة والجماعة. ا هـ. والأظهر أن كلام النهاية حاصل المعنى، ثم قال الطيبي: وقد يجوز أن يكون تقدير الكلام: فعليه لزوم الجماعة فإن دعوتهم تحيط من ورائهم، قلت: هذا التقدير غير محتاج إليه، وعلى تقديره يحتاج إلى تقدير آخر لأن لزوم الجماعة خصلة من الخصال الثلاث والله أعلم.

قال ابن حجر: ووجه المناسبة بين قوله «ثلاث» المستأنف وما قبله أنه عليه الصلاة والسلام لما حرض سامع سنته على أدائها بين أن هناك خصالاً من شأنه أن ينطوي قلبه عليها لأن كلا منها محرض له على ذلك التبليغ، وجوّز كون ثلاث بياناً للمقالة التي أكد في تبليغها وكأن سائلاً قال: ما تلك المقالة؟ فقيل: هي ثلاث جامعة لتعظيم أمر الله والشفقة على خلقه **(رواه الشافعي)** ولم يعلم [في] أي كتاب **(والبيهقي في المدخل)** بفتح الميم والخاء كتاب له يعني كلاهما **(عن ابن مسعود)**.

---

(١) في المخطوطة «الدغل» والدغل يعني «الفساد».

٢٢٩ ـ (٣٢) ورواه أحمد، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجة، والدارمي، عن زيد ابن ثابت. إلا أن الترمذي، وأبا داود لم يذكرا: «ثلاث لا يُغل عليهن» إلى آخره.

٢٣٠ ـ (٣٣) وعن ابن مسعود، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نضّر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه،

---

٢٢٩ ـ (ورواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجة والدارمي عن زيد بن ثابت) أي الحديث بكماله (إلا أن الترمذي وأبا داود لم يذكرا «ثلاث لا يغل عليهن» الخ) ومع هذا كان الأولى أن يصدر الحديث بقوله: «عن زيد» والله أعلم.

٢٣٠ ـ (وعن ابن مسعود) لم يقل: وعنه لئلا يتوهم رجوع الضمير إلى زيد (قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:) حال وقيل: مفعول ثان (نضر الله) أي نوّر (امرأ)[1] أي شخصاً (سمع منا شيئاً) يعم الأقوال والأفعال الصادرة من النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يدل عليه صيغة الجمع في «منا» قاله الطيبي. وقال ابن حجر: قوله: «منا» يحتمل أنه للجماعة فيشمل من سمع من الصحابة شيئاً من الأقوال، وقول شارح: المراد [من] «شيئاً» عموم الأقوال والأفعال الصادرة منه عليه الصلاة والسلام وأصحابه غفلة عن كونه معمولاً لسمع الذي لا يكون إلا في القول. أقول: لما قيل: بعموم «منا» وقد يسمع من الصحابي أنه عليه الصلاة والسلام كان يفعل كذا صح أن يتعلق السمع بالفعل بهذا المعنى مع أن المراد بالسمع هو العلم الذي يشمل القول والفعل والشمائل أيضاً. وإنما خص السمع بالذكر لأن مدار العلم عليه غالباً (فبلّغه) بالتشديد، أي نقل الشيء المسموع للناس (كما سمعه) قال الأبهري: إما حال من فاعل بلغه، أو من مفعوله، وإما مفعول مطلق. وما موصولة، أو مصدرية خص مبلغ الحديث كما سمعه بهذا الدعاء لأنه سعى في نضارة العلم وتجديد السنة فجازاه بالدعاء بما يناسب حاله، وهذا يدل على شرف الحديث وفضله ودرجة طلابه حيث خصهم النبي ﷺ بدعاء لم يشرك فيه أحد من الأمة. ولو لم يكن في طلب الحديث وحفظه وتبليغه فائدة سوى أن يستفيد بركة هذه الدعوة المباركة لكفى ذلك فائدة وغنماً وجل في الدارين حظاً وقسماً. وقال محيي السنة: اختلف في نقل الحديث بالمعنى وإلى جوازه ذهب الحسن والشعبي والنخعي، وقال مجاهد: انقص من الحديث ما شئت ولا تزد، وقال سفيان: إن قلت: حدثتكم كما سمعت فلا تصدقوني فإنما هو المعنى، وقال وكيع: إن لم يكن المعنى واسعاً فقد هلك الناس، وقال

الحديث رقم ٢٢٩: وأخرجه عن زيد بن ثابت: أحمد في المسند ٥/ ١٨٣. والترمذي في السنن ٥/ ٣٣ حديث رقم ٢٦٥٦. وقال حديث حسن. وأخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٦٨ حديث رقم ٣٦٦٠. وابن ماجة ١/ ٨٤ حديث رقم ٢٣٠ والدارمي ١/ ٨٦ حديث رقم ٢٢٩.

(١) في المخطوطة «امرءا».

الحديث رقم ٢٣٠: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٣٣ حديث رقم ٢٦٥٧. وقال حديث حسن صحيح وأخرجه ابن ماجة في السنن ١/ ٨٥ حديث رقم ٢٣٢. وأخرجه أحمد في المسند ١/ ٤٣٧.

فربّ مبلَّغٍ أوعى له من سامع». رواه الترمذي، وابن ماجة.

٢٣١ ـ (٣٤) ورواه الدارمي عن أبي الدرداء.

٢٣٢ ـ (٣٥) وعن ابن عباس، [رضي الله عنه]، قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الحديث عني إلاَّ ما علمتم، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوَّأ مقعدَه من النار». رواه الترمذي.

أيوب عن ابن سيرين: كنت أسمع الحديث عن عشرة واللفظ مختلف والمعنى واحد، وذهب قوم إلى إتباع اللفظ منهم ابن عمر وهو قول القاسم بن محمد وابن سيرين ومالك بن أنس وابن عيينة، وقال محيي السنة: الرواية، بالمعنى حرام عند جماعة من العلماء وجائزة عند الأكثرين والأولى اجتنابها، قلت: إلا عند نسيان اللفظ. (فرب مبلَّغ) بفتح اللام المشددة، أي منقول إليه وموصول لديه (أوعى له) أي احفظ للحديث وأضبط وأفهم وأتقن له (من سامع) أي ممن سمع أولاً ويلبغه ثانياً (رواه الترمذي وابن ماجة) أي عن ابن مسعود، وكذا رواه أحمد وابن حبان[١] على ما في الجامع الصغير[٢]، وروى الترمذي والضياء عن زيد بن ثابت ولفظه: «نضر الله أمرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه». وفي اختلاف ألفاظ هذا الحديث دليل على جواز رواية الحديث بالمعنى لأن الظاهر أن الخلاف اللفظي إنما نشأ عن الرواة والله أعلم.

٢٣١ ـ (ورواه الدارمي عن أبي الدرداء).

٢٣٢ ـ (وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الحديث) أي احذروا روايته (عني) والمعنى لا تحدثوا عني (إلا ما علمتم) أنه من حديثي، قال الطيبي: يجوز أن يراد بالحديث الاسم؛ فالمضاف محذوف، أي احذروا رواية الحديث، ويجوز أن يكون فعيلاً بمعنى مفعولاً، و «عني» متعلق به والاستثناء منقطع، والمعنى احذروا مما لا تعلمونه من التحديث عني لكن لا تحذروا مما تعلمونه، والظاهر أن العلم هنا يشتمل الظن فإنهم إذا جوزوا الشهادة [به] مع أنها أضيق من الرواية اتفاقاً فلأن تجوز به الرواية أولى، ويؤيده أنه يجوز في الرواية الاعتماد على الخط بخلاف الشهادة عند الجمهور. [(فمن كذب) أي افترى] (عليّ متعمداً) أي لا خطأ (فليتبوأ مقعده) أي ليهيىء مكانه (من النار) قيل: الأمر للتهديد والوعيد، وقيل: الأمر بمعنى الخبر (رواه الترمذي) أي عن ابن عباس.

---

(١) ابن حبان في صحيحه ١/ ١١٤ حديث رقم ٦٩.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٥٥٤ حديث رقم ٩٢٦٣.

الحديث رقم ٢٣١: أخرجه الدارمي في مقدمة سننه ١/ ٨٧ حديث رقم ٢٣٠.

الحديث رقم ٢٣٢: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ١٨٣ حديث رقم ٢٩٥١ وزاد «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» وقال حديث حسن.

٢٣٣ ـ (٣٦) ورواه ابن ماجة عن ابن مسعود وجابر، ولم يذكر: «اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم».

٢٣٤ ـ (٣٧) وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار». وفي رواية: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار».

---

٢٣٣ ـ **(ورواه ابن ماجة عن ابن مسعود وجابر ولم يذكر)** أي ابن ماجة **(«اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم»)** يعني والفاء أيضاً من قوله «فمن» فإنها للتفريع على ما قبله، قال ابن حجر: في هذا من المؤلف نظر لأن ابن ماجة إذا لم يذكر ذلك هنا فهو حديث البخاري الذي قدمه أوّل الفصل الأوّل فلا حاجة به إلى ذكره ولا إلى نسبته إلى ابن ماجة. ا هـ. وفيه أنه ليس هو حديث البخاري بل بعضه فإنه مسبوق بجمل أخرى في حديثه، فأفاد المصنف بهذا أن هذه الجملة حديث مستقل رواه ابن ماجة.

٢٣٤ ـ **(وعن ابن عباس)** لم يقل عنه لئلا يرجع الضمير إلى غيره، وفي نسخة «عنه» لأنه الأصل المصدر به في أول الحديث **(قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال)** أي من تكلم **(في القرآن)** أي في معناه أو قراءته **(برأيه)** أي من تلقاء نفسه من غير تتبع أقوال الأئمة من أهل اللغة العربية المطابقة للقواعد الشرعية، بل بحسب ما يقتضيه عقله، وهو مما يتوقف على النقل بأنه لا مجال للعقل فيه كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وما يتعلق بالقصص والأحكام، أو بحسب ما يقتضيه ظاهر النقل، وهو مما يتوقف على العقل كالمتشابهات التي أخذ المجسمة بظواهرها واعرضوا عن استحالة ذلك في العقول، أو بحسب ما يقتضيه بعض العلوم الإلهية مع عدم معرفته ببقيتها وبالعلوم الشرعية فيما يحتاج لذلك. ولذا قال البيهقي: المراد رأي غلب من غير دليل قام عليه؛ أما ما يشده برهان فلا محذور فيه فعلم أن علم التفسير إنما يتلقى من النقل، أو من أقوال الأئمة، أو من المقاييس العربية، أو القواعد الأصولية المبحوث عنها في علم أصول الفقه، أو أصول الدين. ثم اعلم أن كل ما تعلق بالنقل لتوقفه عليه يسمى تفسيراً، وكل ما تعلق بالاستنباط يسمى تأويلاً **(فليتبوأ مقعده من النار» وفي رواية: «من قال في القرآن)** أي قولاً **(بغير علم)** أي دليل يقيني أو ظني نقلي أو عقلي مطابق للشرعي **(فليتبوأ مقعده من النار»)** قيل: يخشى عليه من الكفر، قال ابن حجر: وأحق الناس بما فيه من الوعيد قوم من أهل البدع سلبوا لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به [أ] و حملوه على ما لم يدل عليه ولم يرد به في كلا الأمرين مما قصدوا نفيه أو إثباته من المعنى، فهم مخطئون في الدليل والمدلول مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم والجبائي وعبد الجبار والرماني والزمخشري وأمثالهم. ومن هؤلاء من يدس البدع والتفاسير الباطلة في كلامهم الجزل فيروج على أكثر أهل السنة كصاحب الكشاف، ويقرب من هؤلاء تفسير ابن عطية بل كان الإمام ابن عرفة المالكي يبالغ في

الحديث رقم ٢٣٣: ابن ماجة ١/١٣ حديث رقم ٣٠ وعن جابر حديث رقم ٣٣.

الحديث رقم ٢٣٤: أخرجه الترمذي في السنن ٥/١٨٣ حديث رقم ٢٩٥٠ وقال حديث حسن صحيح.

رواه الترمذي.

٢٣٥ - (٣٨) وعن جُندُب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ».

الحط عليه ويقول إنه أقبح من صاحب الكشاف، لأن كل أحد يعلم اعتزال ذلك فيجتنبه بخلاف هذا فإنه يوهم الناس أنه من أهل السنة. (رواه الترمذي).

٢٣٥ - (وعن جندب) بضم الجيم والدال ويفتح كذا في المغني، وذكر القاضي عياض في المشارق بفتح الدال وضمها مع ضم الجيم ويكسر الجيم أيضاً مع فتح الدال وكسرها، ووهم ابن حجر فقال: جندب بضم الجيم وتثليث الدال إذ ليس فعلل بضم الأول وكسر ما قبل الآخر من أوزان الرباعي المجرد والملحق به والله أعلم. قال المصنف: هو بضم الجيم وسكون النون وضم الدال المهملة وفتحها أيضاً؛ ابن عبد الله بن سفيان البجلي العلقي وعلقة بطن من بجيلة، مات في فتنة ابن الزبير روى عنه جماعة. (قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في القرآن) أي في لفظه أو معناه (برأيه) أي بعقله المجرد (فأصاب) أي ولو صار مصيباً بحسب الاتفاق (فقد أخطأ») أي فهو مخطىء بحسب الحكم الشرعي، قال ابن حجر: أي أخطأ طريق الاستقامة بخوضه في كتاب الله بالتخمين والحدس لتعديه بهذا الخوض مع عدم استجماعه لشروطه فكان آثماً به مطلقاً، ولم يعتد بموافقته للصواب لأنها ليست عن قصد ولا تحر بخلاف من كملت فيه آلات التفسير وهي خمسة عشر علماً: اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق؛ لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين اختلف المعنى باختلافهما كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح[1]، والمعاني والبيان والبديع والقراآت والأصلين وأسباب النزول والقصص والناسخ والمنسوخ والفقه والأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم وعلم الموهبة؛ وهو علم يورثه الله لمن عمل بما علم وبعض هذه العلوم كان موجوداً عند السلف بالفعل وبعضها بالطبع من غير تعلم؛ فإنه مأجور بخوضه فيه وإن أخطأ لأنه لا تعدي منه فكان مأجوراً أجرين، كما في رواية: أو عشرة أجور كما في أخرى، وإن أصاب، وأجر إن أخطأ كالمجتهد في الأحكام، لأنه بذل وسعة في طلب الحق واضطره الدليل إلى ما رآه فلم يكن منه تقصير بوجه، وقد أخطأ الباطنية الذين يعتقدون أن للقرآن ظهراً وبطناً وأن المراد باطنه دون ظاهره، ومن هذا ما يسلكه بعض الصوفية من تفسيرهم فرعون بالنفس وموسى بالقلب إن زعموا أن ذلك مراد من الآية بإشارات ومناسبات للآيات. وقد صرح الغزالي وغيره بأنه يحرم صرف شيء من الكتاب والسنة عن ظاهره من غير اعتصام فيه بنقل من الشارع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل عقلي، قال الماوردي: وقد حمل بعض المتورعة[2] هذا الحديث على ظاهره وامتنع من أن يستنبط معاني

الحديث رقم ٢٣٥: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٦٣ حديث رقم ٣٦٥٢. وأخرجه الترمذي في سننه ٥/ ١٨٣ حديث رقم ٢٩٥٢.

(١) في المخطوطة «السيح». (٢) في المخطوطة «المبتدعة».

رواه الترمذي، وأبو داود.

القرآن [باجتهاده وإن صحبها شواهد سالمة عن المعارض وهذا عدول عما تعبدنا بمعرفته من النظر في القرآن] واستنباط الأحكام منه كما قال تعالى: ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ [النساء ـ ٨٣] وفي حديث أبي نعيم وغيره: القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه[١]، ومعنى «ذلول» سهل حفظه وفهمه حتى لا يقصر عنه أفهام المجتهدين، ومعنى «ذو وجوه» أن بعض جمله يحتمل وجوهاً من التأويل، أو أنه جمع وجوهاً من الأمر والترغيب والتحليل وأضدادها، ومعنى «فاحملوه» الخ احملوه على أحسن معانيه. وفيه دلالة على جواز الاستنباط والاجتهاد في كتاب الله تعالى. ا هـ. وما ذكره عن بعض المتورعة قال به قوم فحرموا التفسير مطلقاً ولو على من اتسعت علومه إلا ما أثر عن النبي ﷺ وهؤلاء من الإفراط على شفا جرف هار، واطباق العلماء في سائر الأعصار على خلاف مقالتهم كاف في تسفيههم وتكذيبهم. وقد قال محيي السنة وآخرون: التأويل الذي هو صرف الآية لمعنى يحتمله موافق لما قبلها وما بعدها ليس مخالفاً للكتاب والسنة من طريق الاستنباط، غير محظور[٢] على العلماء بالتفسير بخلاف نحو تأويل ﴿البحرين﴾ بعلي وفاطمة و ﴿اللؤلؤ والمرجان﴾ بالحسن والحسين فإنه من تأويل الجهلة والحمقاء كالروافض. قال بعض الشراح: أي من شرع في التفسير من غير أن يكون له وقوف على لغة العرب ووجوه استعمالاتها من الحقيقة والمجاز والمجمل والمفصل والعام والخاص وغير ذلك مما ينبغي أن يكون للمفسر فهو وإن طابق المراد بالآية فهو مخطىء، لأنه تكلم في القرآن من غير إذن الشارع. وقيل: معناه قضى بتأويله واجتهاده على أنه مراد الله تعالى، ونقل الطيبي عن التوربشتي أن المراد بالرأي ما [لا] يكون مؤسساً على علوم الكتاب والسنة بل يكون قولاً يقوله برأيه على ما يقتضيه عقله. وعلم التفسير يؤخذ من أفواه الرجال كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ. ومن أقوال الأئمة وتأويلاتهم بالمقاييس العربية كالحقيقة والمجاز والمجمل والمفصل والعام والخاص، ثم يتكلم على حسب ما يقتضيه أصول الدين، فيؤول القسم المحتاج إلى التأويل على وجه يشهد بصحته ظاهر التنزيل، فمن لم يستجمع هذه الشرائط كان قوله مهجوراً وحسبه من الزاجر أنه مخطىء عند الإصابة فيا بعد ما بين المجتهد والمتكلف؛ فالمجتهد مأجور على الخطأ، والمتكلف مأخوذ بالصواب. وقال صاحب جامع الأصول: يحتمل النهي عن وجهين: أحدهما أن له ميلاً عن طبعه وهواه فيؤول على وفق رأيه ولو لم يكن له ذلك الهوى لم يلح له ذلك المعنى، الثاني أن يتسارع إلى التفسير بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الإضمار والتقديم ولا مطمع في الوصول إلى الباطن بدون معرفة الظاهر. (**رواه الترمذي وأبو داود**) وكذا النسائي.

---

(١) وأخرجه الدارقطني ١/ ١٤٤ حديث رقم ٨ من باب النوادر.

(٢) في المخطوطة غير محذور.

٢٣٦ ـ (٣٩) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «المراء في القرآن كفر» رواه أحمد، وأبو داود.

٢٣٧ ـ (٤٠) وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: سمع النبي ﷺ قوماً يتدارؤون في القرآن،

---

٢٣٦ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «المراء)** أي الجدال **(في القرآن)** أي في متشابهه المؤدي إلى الجحود **(كفر»)** سماه كفراً باسم ما يخشى عاقبته وذلك بأن يسند أحدهم كلامه إلى آية ثم يأتي صاحبه بآية أخرى تدافعاً له كأنه يزعم أن الذي أتيت به نقيض ما استدللت به.

قال زين العرب المراد بالمراء في القرآن الشك فيه كقوله تعالى: **﴿فلا تك في مرية منه﴾** [هود ـ ١٧] أي في شك يعني الشك في كونه كلام الله كفر، والمراء المجادلة فيما فيه مرية وشك. وقال البيضاوي: المراد بالمراء فيه التدارؤ، وهو أن يروم تكذيب القرآن بالقرآن ليدفع بعضه ببعض فيطرق إليه قدحاً وطعناً. ومن حق الناظر في القرآن أن يجتهد في التوفيق بين الآيات المختلفة ما أمكنه، فإن القرآن يصدق بعضه بعضاً، فإن أشكل عليه شيء من ذلك ولم يتيسر له التوفيق فليعتقد أنه من سوء فهمه وليكله إلى عالمه وهو الله تعالى ورسوله ﷺ كما قال تعالى: **﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾** [النساء ـ ٥٩]. اهـ. وقال في شرح السنة: قيل: هو المراء في قراءته بأن ينكر بعض القراآت المروية، وقد أنزل الله تعالى القرآن على سبعة أحرف، فتوعيده بالكفر لينتهوا عن المراء فيها والتكذيب بها إذ كلها قرآن منزل يجب الإيمان به. **(رواه أحمد وأبو داود)**.

٢٣٧ ـ **(وعن عمرو بن شعيب)** بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص **(عن أبيه عن جده)** يحتمل أن يكون الضمير راجعاً إلى عمرو فيكون الحديث مرسلاً لأن جد عمرو وهو محمد بن عبد الله بن عمرو تابعي، وأن يكون راجعاً إلى شعيب مع ما فيه من تفكيك الضميرين؛ فالحديث متصل لأن جد شعيب عبد الله بن عمرو بن العاص صحابي، ولهذه العلة تكلموا في صحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده لما فيها من احتمال التدليس. **(قال: سمع النبي ﷺ قوماً)** أي كلام قوم **(يتدارؤون في القرآن)** أي يختلفون فيه ويتدافعون بعضه ببعض، والتدارؤ دفع كل من المتخاصمين قول صاحبه بما يقع من القول، أي يدفع بعضهم دليل بعض منه. قال المظهر: مثال ذلك أن أهل السنة يقولون: الخير والشر من الله [تعالى] لقوله تعالى: **﴿قل كل من عند الله﴾** [النساء ـ ٧٨] ويقول: القدري ليس كذلك بدليل قوله تعالى: **﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾** [النساء ـ ٧٩] وهذا الاختلاف منهي، أي على هذا الوجه، وإنما الطريق في مثل تلك الآيات أن يؤخذ ما عليه

الحديث رقم ٢٣٦: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢٨٦. وأخرجه أبو داود في السنن حديث رقم ٤٦٠٣.

الحديث رقم ٢٣٧: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ١٨٥. ولابن ماجة نحوه ١/ ٣٣ حديث رقم ٨٥.

فقال: «إنما هلك من كان قبلكم بهذا: ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتابُ الله يصدق بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه».

إجماع المسلمين، ويؤول الآية الأخرى، كما نقول: انعقد الإجماع على أن الكل بتقدير الله تعالى. وأما قوله تعالى: ﴿ما أصابك﴾ الخ فذهب المفسرون إلى أنه متصل بما قبله، والمعنى ﴿فمال هؤلاء[1] القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾ [النساء - ٧٨] يعني أن المنافقين لا يعلمون ما هو الصواب، ويقولون: ما أصابك الخ. وقيل: الآية مستأنفة، أي ما أصابك يا محمد أو يا إنسان من حسنة، أي فتح وغنيمة وراحة وغيرها فمن فضل الله، وما أصابك من سيئة، أي من هزيمة وتلف مال ومرض فهو جزاء ما عملت من الذنوب كما قال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ [الشورى - ٣٠] فالآية السابقة خارجة عن مسئلة القضاء والقدر. (فقال) عليه الصلاة والسلام: («إنما هلك من كان قبلكم) أي من اليهود والنصارى (بهذا) أي بسبب التدارؤ إشارة تحقير أو تعظيم لعظم ضرره، وقيل: المضاف محذوف، أي [بمثل] هذا الاختلاف المذموم (ضربوا كتاب الله) أي جنسه (بعضه ببعض) بدل بعض والجملة بيان لاسم الإشارة، أي خلط من كان قبلكم التوراة والإنجيل، ومعناه دفع أهل التوراة الإنجيل وأهل الإنجيل التوراة وكذلك أهل التوراة ما لا يوافق مرادهم من التوراة وكذلك أهل الإنجيل، وقيل: المراد بكتاب الله القرآن، أي خلطوا بعضه ببعض فلم يميزوا بين المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد فحكموا في كلها حكماً واحداً من ضربت اللبن بعضه ببعض، أي خلطته. والضرب الصرف أيضاً؛ فإن الراكب إذا أراد صرف الدابة ضربها، أي صرفوا كتاب الله عن المعنى المراد إلى ما مال إليه أهواؤهم، وينبغي للناظر في كتاب الله تعالى أن يوفق بين الآيات فإنه يصدق بعضه بعضاً، ومن أشكل عليه شيء فليتوقف فيه ويستند إلى سوء فهمه ويكل علمه إلى عالمه عزّ وجلّ ولذا قال: (وإنما نزل كتاب الله) المراد به الجنس (يصدق بعضه بعضاً) يعني أن الإنجيل مثلاً يبين أن التوراة كلام الله وهو حق، والقرآن يبين أن جميع الكتب المنزلة حق، وكذلك الناسخ يبين أنه لا يعمل بالمنسوخ، والمحكم يبين أنه لا يعمل بالمتشابه، والمؤول لدليل يبين أنه لا يعمل بالظاهر، والخاص والمقيد يبينان أنه لا يعمل بالعام والمطلق. (فلا تكذبوا بعضه ببعض) بل قولوا: كل ما أنزله[2] الله على رسوله حق، أو بأن تنظروا إلى ظاهر لفظين منه عدم النظر إلى القواعد التي تصرف أحدهما عن العمل به بنسخة أو بتخصيصه أو تقييده أو تأويله فإن ذلك يؤدي إلى قدح في الدين. (فما علمتم منه) أي علماً موافقاً للقواعد (فقولوا) أي به (وما جهلتم) أي منه كالمتشابهات وغيرها (فكلوه) أي ردوه وفوّضوه (إلى عالمه) وهو الله تعالى، أو من هو أعلم منكم من العلماء، ولا تلقوا معناه من تلقاء أنفسكم.

---

(١) كتبت في المخطوطة «فما لهؤلاء» وفي المصحف «فمال هؤلاء».

(٢) في المخطوطة ورد «كلما» والصواب «كل ما».

رواه أحمد، وابن ماجة.

٢٣٨ ـ (٤١) وعن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل القرآنُ على سبعة أحرف،

وقد سئل ابن عباس عن آيات ظاهرة التنافي فأجاب عنها: منها نفي المساءلة يوم القيامة وإثباتها؛ فنفيها[1] فيما قبل النفخة الثانية، وإثباتها فيما بعدها، قلت: ويحتمل أن يكون كلتاهما بعد النفخة الثانية بأن يكون النفي في أوائل المواقف والإثبات في أواخرها، ومنها كتمان المشركين حالهم وإفشاؤه؛ فالأول بألسنتهم، والثاني بأيديهم وجوارحهم. قلت: ولا بعد أن يكون الثاني بألسنتهم أيضاً لكن لا باختيارهم كشهادة أيديهم، ويدل عليه قوله: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم﴾ [النور ـ ٢٤] ومنها خلق الأرض قبل السماء وعكسه، وجواب هذا أنه بدأ خلق الأرض في يومين [غير مدحوة، ثم خلق السماوات فسوّاهن في يومين] والأرض بعد ذلك دحاها وجعل فيها رواسي وغيرها في يومين، فتلك أربعة أيام للأرض. وقد سأله يهودي فقال: تزعمون أن الله كان غفوراً رحيماً فكيف هو اليوم؟ وأجاب عنه بأن الماضي إنما هو التسمية لأن التعلق انقضى، وأما الاتصاف فهو دائم. قلت: ويقرب منه ما قال المتكلمون ما ثبت قدمه استحال عدمه، وأجاب أيضاً بأن كان يستعمل بها مراد الدوام كثيراً. وسئل أيضاً عن اليوم المقدر بألف سنة والمقدر بخمسين ألف سنة، فقال: لا أدري وأكره أن أقول: ما لا أعلم، وفي رواية عنه: أن الأول أحد الأيام الستة التي خلق الله فيها العالم، والثاني يوم القيامة، وقال غيره: كل منهما يوم القيامة باعتبار قصره على المؤمن العاصي وطوله على الكافر، وأما الطائع فيكون عليه بقدر ركعتين كما ورد **(رواه أحمد وابن ماجة)**.

٢٣٨ ـ **(وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل القرآن)** أي حال كونه مشتملاً **(على سبعة أحرف)** أي قراآت، أو لغات، أو أنواع من الأحكام.

قال الشراح: الحرف الطرف، وحروف التهجي سميت بذلك لأنها أطراف الكلمة، فقيل: المراد أطراف اللغة العربية فكأنه قال: على سبع لغات العرب وهم المشهود[2] لهم بالفصاحة كقريش وثقيف وطيىء وهوازن وهذيل واليمن[3] وبنو تميم، وقيل: وعليه أئمة اللغويين، وصححه البيهقي وابن عطية بمجيء التصريح به عن ابن عباس، ورد بأن لغاته أكثر من سبع، وأجيب بأن المراد أفصحها، ويمكن أن يقال: المراد بها الكثرة، وقيل: الكل في بطون قريش لقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ [إبراهيم ـ ٤] وقيل: في بطون مضر، وردت هذه الأقوال كلها بأن عمر أنكر على هشام قراءته حتى جره إلى النبي ﷺ، ومحال أن ينكر عليه لغته وهما من قبيلة ولغة واحدة فدل على أن المراد بالأحرف السبعة غير

---

(١) في المخطوطة «نفيها».

الحديث رقم ٢٣٨: وقد أخرجه البزار والطبراني في الأوسط.

(٢) في المخطوطة «الشهود». (٣) في المخطوطة «اليمني».

اللغات كذا ذكره ابن حجر وفيه بحث، إذ يحتمل أن يكون إنكار عمر قبل العلم بالجواز فلا دلالة حينئذ على نفي إرادة اللغات مع أن مجرد ورود اللغة لا يجوز قراءته بدون الرواية، وقيل: أراد بها[1] القرآت السبع التي اختارها الأئمة السبعة، وقيل: أجناس الاختلافات التي يؤول إليها اختلاف القرآت؛ فإن اختلافها إما أن يكون في المفردات أو المركبات والثاني كالتقديم والتأخير مثل ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق**﴾ [ق - ١٩] ﴿**وجاءت سكرة الحق بالموت**﴾[2] والأول إما أن يكون بوجود الكلمة وعدمها نحو ﴿**فإن الله هو الغني الحميد**﴾ [الحديد - ٢٤] قرىء بالضمير وعدمه[3]، أو تبديل الكلمة بغيرها مع اتفاق المعنى ﴿**كالعهن المنفوش**﴾ [القارعة - ٥] و ﴿**الصوف المنفوش**﴾[4]، أو مع اختلافه مثل ﴿**وطلح منضود**﴾ [الواقعة - ٢٩] ﴿**وطلع منضود**﴾[5]، أو بتغييرها إما بتغيير هيئة إعراب ﴿**هن أطهر لكم**﴾ [هود - ٧٨] بالرفع والنصب في الراء، أو صورة مثل ﴿**وانظر إلى العظام كيف ننشزها**﴾ [البقرة - ٢٥٩] و ﴿**ننشرها**﴾ أو حرف مثل ﴿**باعد**﴾ و ﴿**بعد بين أسفارنا**﴾[6] وقيل: أراد في القرآن ما هو مقروء على سبعة أوجه كقوله تعالى: ﴿**ولا تقل لهما أف**﴾ [الإسراء - ٢٣] فإنه قرىء بالضم والفتح والكسر منوّناً وغير منوّن وبالسكون[7]، وقيل: معناه أنه نزل مشتملاً على سبعة معانٍ: الأمر والنهي والقصص والأمثال والوعد والوعيد والموعظة، وقيل: المعاني السبعة هي العقائد والأحكام والأخلاق والقصص والأمثال والوعد والوعيد، وقيل: أمر ونهي وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، الخبر الحاكم والبيهقي: «كان الكتاب الأول ينزل على حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، الحديث[8]»، وأجيب بأن قوله «زاجر» استئناف لا تفسير لأنه في رواية «زاجراً» بالنصب، أي نزل على هذه الصفة من الأبواب السبعة. وبتسليم أنه تفسير هو تفسير للإنزال لا للأحرف، أي هي سبعة أبواب من أبواب الكلام وأقسامه، أي أنزله الله على هذه الأصناف ولم يقتصر على صنف واحد كغيره من الكتب، أي غير التوراة والإنجيل ومن ثم قال جمع: هذا القول فاسد لأن إجماع المسلمين على أن التوسعة التي هي السبب في نزول القرآن

---

(١) في المخطوطة «به».

(٢) وهي قراءة شاذة قرأ بها ابن مسعود وأبو بكر رضي الله عنه (القرطبي).

(٣) قراءة شاذة غير موجودة في العشر.

(٤) قراءة شاذة.

(٥) قراءة شاذة.

(٦) الآية ١٩ من سورة سبأ. وقرأ «بعد بين أسفارنا» ابن عامر.

(٧) قرأ أفّ بالفتح. نافع. وأفِّ بالكسر ابن عامر وابن كثير. وأفٍّ بالتنوين قراءة الكل سوى ما تقدم. وأفُّ بالضم قراءة شاذة.

(٨) أخرجه الحاكم ٢/٢٨٩.

على سبعة أحرف لم يقع في تحريم ولا تحليل ولا في تغيير شيء من تلك المعاني المذكورة، وقيل: المراد بالأحرف السبعة الأقاليم السبعة يعني حكم القرآن عام في جميع العالم، وقيل: المراد الكثرة توسعة لا الحصر في هذا العدد، وقيل: غير ذلك [و] قال التوربشتي: لما شق على [كل] العرب القراءة بلغة قريش رخص في ذلك، ومن الدليل على ذلك ما رُوي أن النبي ﷺ أتاه جبريل فقال: إن الله تعالى يأمرك أن تقرأ أنت وأمتك على حرف واحد، فقال ﷺ: «أسأل الله عزّ وجلّ معافاته ومغفرته، إن أمتي لا تطيق ذلك»، ثم رجع إليه الثانية وساق الحديث إلى قوله: «أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف»[1]، قيل: فعلى هذا ينبغي أن ينزل قوله:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٥٦٢ حديث رقم ٨٢١.

واختلف العلماء في المراد بهذه الأحرف السبعة على نحو من أربعين قولاً واضطربوا في ذلك اضطراباً كثيراً. وأبين الأقوال وأولاها بالصواب أن القرآن على سبعة أوجه في اللغات. وهذا ما حققه ابن الجزري بعدما امضى نحو من نيف وثلاثين سنة. ويشهد على ذلك المعنى والنظر أما المعنى فقد قال الوافي: «الأحرف الأوجه أي أن القرآن على سبعة أوجه في اللغات، لأن الأحرف جمع من القليل كفَلْس وأفْلُس. والحرف قد يراد به الوجه بدليل قوله تعالى ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾. الآية. فالمراد بالحرف الوجه. أي على النعمة والخير وإجابة السؤال والعافية. فإذا استقامت له هذه الأحوال اطمأن وعبد الله وإذا تغيرت عليه وامتحنه الله بالشدة والضر ترك العبادة وكفر فهذا عبد الله على وجه واحد. فلهذا سمى النبي ﷺ هذه الأوجه المختلفة من القراءات والمتغايرة من اللغات أحرفاً على معنى أن كل شيء منها وجه.

وأما النظر: فإن حكمة اتيانه على سبعة أحرف التخفيف والتيسير على هذه الأمة في التكلم بكتابهم، كما خفف عليهم في شريعتهم وهو المصرح به في الأحاديث الصحيحة كقوله ﷺ «أسأل الله معافاته ومعونته». وكقوله: «إن ربي أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف واحد، فرددت إليه أن هون على أمتي ولم يزل يردد حتى بلغ سبعة أحرف». لأنه ﷺ أرسل للخلق كافة وألسنتهم مختلفة غاية التخالف كما هو مشاهد فينا، ومن كان قبلنا مثلنا. وكلهم مخاطب بقراءة القرآن. قال الله تعالى: ﴿فاقرؤوا ما تيسر من القرآن﴾ فلو كلفوا كلهم النطق بلغة واحدة لشق ذلك عليهم وتعسر إذ لا قدرة لهم على ترك ما اعتادوه وألفوه من الكلام إلا بتعب شديد. وجهد جهيد وربما لا يستطيعه بعضهم ولو مع الرياضة الطويلة. وتذليل اللسان كالشيخ والمرأة فاقتضى يسر الدين أن يكون على لغات.

وفيه حكمة أخرى، وهي أنه ﷺ تحدى بالقرآن جميع الخلق قال الله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾ الآية. فلو أتى بلغة دون لغة لقال الذين لم يأت بلغتهم لو أتى بلغتنا لأتينا بمثله وتطرق الكذب إلى قوله تعالى. تعالى عن ذلك علواً كبيراً فإن قلت يعكر على هذا، أن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم اختلفا في قراءة سورة الفرقان. وهما قرشيان لغتهما واحدة. قلت لا يلزم من كونهما من قبيلة واحدة أن تكون لغتهما واحدة. فقد يكون قرشياً مثلاً وتربى في غير قومه فيتعلم لغتهم ويتكلم بها وهو كثير فيهم. وفي الحديث «انا اعربكم، انا من قريش ولساني لسان سعد بن بكر» وفيه أيضاً «انا أعرب العرب ولدت =

لكل آية منها ظهرٌ وبطن، ولكل حدّ مطلَع».

(لكل آية منها) أي من تلك السبعة الأحرف، والجملة الإسمية صفة لسبعة، والضمير رابطة فلا وجه لقول ابن حجر: والوجه عندي عوده على القرآن باعتبار جملته، ثم أغرب في تعليله بقوله: لأن الآية ليست من تلك الأحرف على أي قول من الأقوال. **(ظهر وبطن ولكل حد مطلع)** بتشديد الطاء وفتح اللام على الاختلاف في القرآت كما فعل المظهر حيث قال: حد كل حرف معلوم في التلاوة لا يجوز مخالفته مثل عدم جواز إبدال الضاد بحرف آخر وكذا سائر الحروف لا يجوز إبدالها بآخر إلا ما جاء في القراءة. ويلزم من هذا التأويل أن يكون لكل حال من أحوال الكلمة كالإمالة وإبدال الحروف والإدغام ظهر وبطن وحد ومطلع، وقيل: المقصود وصف القرآن بكثرة ما فيه من العلوم؛ فالمراد بالسبعة الكثرة كقوله تعالى: **﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾** [لقمان ـ ٢٧] والأحرف ههنا بمنزلة الكلمات في الآية، فوجب أن يحمل الأحرف على أجناس الاختلافات التي لا تدخل تحت الحصر. ثم قسم عليه الصلاة والسلام كل حرف تارة بالظهر والبطن والأخرى بالحد والمطلع فالظهر ما يبينه النقل والبطن ما يستكشفه التأويل، والحد هو المقام الذي يقتضي اعتبار كل من الظهر والبطن فيه فلا محيد عنه، والمطلع المكان الذي يشرف منه على توفية خواص كل مقام حده، وليس للحد والمطلع انتهاء لأن غايتهما طريق العارفين بالله، وما يكون سراً بين الله وبين أنبيائه وأوليائه كذا حققه الطيبي، وقيل: الظهر ما ظهر تأويله وعرف معناه، والبطن ما خفي تفسيره وأشكل فحواه، وقيل: الظهر اللفظ والبطن المعنى، قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم، وعن علي: لو شئت أن أوقر سبعين بعيراً من تفسير القرآن لفعلت، ولهذا قال التفتازاني: وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان. ا هـ. ونقل ابن الصلاح أن الواحدي قال: صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق[1] التفسير فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر، ثم قال ابن الصلاح: الظن بما يوثق به من أهل التصوّف كالسلمي فإنه من أكابرهم علماً ومعرفة إنه لم يذكر ذلك تفسيراً ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة فإن ذلك مذهب الباطنية، وإنما ذلك منهم تنظير[2] ما ورد به في القرآن والله أعلم. وقال محيي السنة في معالم التنزيل: قيل: الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله والمطلع الفهم، وقد يفتح الله على المتدبر والمتفكر من التأويل

= في قريش ونشأت في بني سعد. فاني يأتيني اللحن» وقال الله تعالى: ﴿وهذا لسان عربي مبين﴾ فعم العرب ولم يخص قبيلة. وهذه الأحرف السبعة داخلة في القراءات العشرة التي بلغتنا بالتواتر. (مختصراً عن غيث النفع في القراءات السبع).

(١) الحقائق في التفسير لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي النيسابوري ت (٤١٢) وهو تفسير على لسان التصوف وحمل على من فسره بالظاهر طعن فيه الواحدي وابن الجوزي.

(٢) في المخطوطة لنظير.

رواه في شرح السنة.

والمعاني ما لا يفتحه على غيره، وفوق كل ذي علم عليم، والتفهم يكون بصدق النية وتعظيم الحرمة وطيب الطعمة، وقال زين العرب: الظهر ما ظهر معناه من غير روية والبطن بخلافه. اهـ. وهو قريب من قول الطيبي: الظهر ما بينه النقل والبطن ما يستكشفه التأويل، قال: أو الظهر الإيمان به والعمل بمقتضاه والبطن التفاوت في فهمه على حسب مراتبهم في الفضيلة، أو الظهر المعنى الجلي والبطن الخفي وهو سر بين الله وبين عباده المصطفين. عن أبي الدرداء: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل للقرآن[١] وجوهاً[٢]، وعن ابن مسعود: من أراد علم الأولين والآخرين فليؤثر القرآن[٣]، وقوله: «ولكل حد مطلع» الحد المنع وسميت حدود الله بها لمنع مرتكبيها من العود، والمطلع مكان الإطلاع من موضع عالٍ يقال: مطلع هذا الجبل من مكان كذا، أي مأتاه ومصعده منه، والمعنى أن لكل حد من حدود الله تعالى وهي أحكام الدين التي شرع للعباد موضع اطلاع من القرآن؛ فمن وفق أن يرتقي ذلك المرتقى اطلع منه على ذلك الحد المتعلق بذلك المطلع كذا نقله السيد. وقيل: أي لكل حد وطرف من الظهر والبطن مطلع، أي مصعد، أي موضع [يطلع] عليه بالترقي إليه. فمطلع الظاهر تعلم العربية وتتبع ما يتوقف عليه معرفة الظاهر من أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغير ذلك، ومطلع الباطن تصفية النفس والرياضة بآداب الجوارح وإتعابها في اتباع مقتضى الظاهر والعمل بمقتضاه، وقال ابن مسعود: ما من آية إلا عمل بها، قوم ولها قوم سيقتلون بها، وقيل [أن] ما قصه عمن سبق ظاهرها الأخبار بإهلاكهم وباطنها وعظ السامعين، وقيل: ظاهرها معناها الظاهر لعلماء الظاهر وباطنها من الأسرار لعلماء الباطن، وقيل: ظاهرها التلاوة ومعناها الفهم. **(رواه)** أي مصنف المصابيح **(في شرح السنة)** أي بإسناده فيه، وأخرج الفريابي عن الحسن مرفوعاً «لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع»، وأخرج الديلمي: «خبر القرآن تحت العرش له ظهر وبطن يحاج العباد[٤]»، وأخرج الطبراني وأبو يعلى والبزاز وغيرهم عن ابن مسعود موقوفاً «إن هذا القرآن ليس له حرف إلا له حد، ولكل حد مطلع»، وقال ابن حجر: الجملة الأولى جاءت من رواية أحد وعشرين صحابياً، ومن ثم نص أبو عبيد على أنها متواترة، أي معنى واختلفوا في معناها على أربعين قولاً منها: إنه من المشكل الذي لا يدري معناه، ومنها إنه على سبعة أوجه من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء ويؤيده خبر أحمد بسند جيد: «إن جبريل قال: يا محمد اقرأ القرآن على حرف، قال ميكائيل: استزده حتى يبلغ سبعة أحرف قال: كل شافٍ كافٍ ما لم يختم آية رحمة بعذاب أو

---

(١) في المخطوطة «يجعل لقرآن».

(٢) عبد الرزاق في المصنف ١١/ ٢٥٥ حديث رقم ٢٠٤٧٣.

(٣) الديلمي.

(٤) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس ٣/ ٢٢٨ حديث رقم ٤٦٧٣.

. . . .

عذاب برحمة نحو قولك تعال واقبل وهلم واذهب واسرع وعجل[1] هذا لفظ الحديث، وفي رواية له: «أنزل القرآن على سبعة أحرف عليماً حكيماً غفوراً رحيماً»[2]، وفي أخرى له: «القرآن كله صواب ما لم تجعل مغفرة عذاباً أو عذاباً مغفرة»[3] وسندهما جيد قال كثيرون من الأئمة: إنما كان ذلك، أي جواز تغيير اللفظ بمرادفه، رخصة لما كان يتعسر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد لعدم علمهم بالكتابة والضبط واتقان الحفظ؛ فالقرشي يشق عليه تخفيف الهمزة، واليمني تركه فلذلك سهل على كل قبيلة أن تقرأ بلغتها، ثم نسخ بزوال العذر وتيسير الكتابة والحفظ. قلت: وفيه إيماء إلى المعتمد من مذهبنا أن المصلي إذا قرأ ما لم يغير المعنى لم تفسد صلاته.

واعلم أنهم اختلفوا على قولين في المصاحف العثمانية: أحدهما وعليه جماعات من الفقهاء والقراء والمتكلمين إنها مشتملة على جميع الأحرف السبعة فلا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء منها، وقد أجمع الصحابة على نقلها من الصحف التي كتبها أبو بكر، وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك، وثانيهما وإليه ذهب جمهور العلماء من السلف والخلف إنها مشتملة على ما يحتمله رسمها في الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرضة الأخيرة، التي عرضها عليه الصلاة والسلام على جبريل، متضمنة لها لم يترك حرف منها. وأجيب عن الأول بما ذكره ابن جرير: أن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة وإنما كان جائزاً لهم ومرخصاً لهم فيه، فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف إذا لم يجتمعوا على حرف واحد اجتمعوا على ذلك إجماعاً شائعاً وهم معصومون من الضلالة، ولم يكن في ذلك ترك واجب ولا فعل حرام. ولا شك أن القرآن نسخ منه في العرضة الأخيرة وغيّر منه فاتفق الصحابة على أن كتبوا ما تحققوا أنه قرآن مستقر في العرضة الأخيرة وتركوا ما سوى ذلك. اهـ. وقال ابن التين وغيره: جمع أبو بكر القرآن في صحف، وجمعه عثمان في مصحف واحد، والفرق بين الجمعين أن الأول كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حامليه لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي ﷺ، وجمع عثمان لما كان كثر الاختلاف في وجوه القرآن حين قرؤه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجاً بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم دفعاً للحرج والمشقة في ابتداء الأمر فرأى أن الحاجة إلى ذلك انتهت فاقتصر على لغة واحدة. اهـ.

والحاصل أن القرآن جمع ثلاث مرات: الأولى بحضرته عليه الصلاة والسلام فقد صح

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٥١.

(٢) أحمد في المسند ٢/ ٣٢. (٣) أحمد في المسند ٤/ ٣٠.

٢٣٩ ـ (٤٢) وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «العلم ثلاثة: آية محكمة، أو سنّة قائمة، أو فريضة عادلة. وما كان سوى ذلك فهو فضلٌ».

عن زيد بن ثابت قال: كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن في الرقاع، أي يؤلفون ما ينزل من الآيات المفرقة ويجمعونها في سورها بإشارته عليه الصلاة والسلام قاله البيهقي. ومن ثم قال الخطابي: كتب القرآن كله في عهده ﷺ لكنه كان غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور، والثانية بحضرة أبي بكر لما رأى عمر ذلك ومن ثم ورد أنه أول من جمعه، أي أشار بجمعه ووافقه أبو بكر فأمر زيداً بجمعه، فجمعه في صحف كانت عند أبي بكر، فعمر فبنته حفصة، ومن ثم صح عن علي: أوّل من جمع كتاب الله أبو بكر، وما رُوي عنه أنه جمعه منقطع وعلى فرض صحته محمول على أنه حفظه صدره، والثالثة بحضرة عثمان مرتباً له على السور.

٢٣٩ ـ (**وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ**: «**العلم**») أي [الذي] هو أصل علوم الدين، واللام للعهد الذهني (**ثلاثة**) أي معرفة ثلاثة أشياء (**آية محكمة**) أي غير منسوخة، أو ما لا يحتمل إلا تأويلاً واحداً (**أو سنة قائمة**) أي ثابتة صحيحة منقولة عن رسول الله ﷺ معمول بها، وأو للتنويع كقوله: (**أو فريضة عادلة**) أي مستقيمة، قيل: المراد بها الحكم المستنبط من الكتاب والسنة بالقياس لمعادلته الحكم المنصوص فيهما ومساواته لهما في وجوب العمل وكونه صدقاً وصواباً، وقيل: فريضة معدلة بالكتاب والسنة، أي مزكاة بهما، وقيل: الفريضة العادلة ما اتفق عليها المسلمون، وهو إشارة إلى الحكم الثابت بالإجماع، وقيل: المراد علم الفرائض. والحاصل أن أدلة الشرع أربعة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ويسمى الإجماع والقياس فريضة عادلة قاله زين العرب ملخصاً نقله السيد. (**وما كان سوى ذلك**) أي المذكور (**فهو فضل**») أي من الفضول يعني كل علم سوى هذه الثلاثة وما يتعلق بها مما تتوقف[1] هذه الثلاثة عليه زائد لا ضرورة إلى معرفته كالنحو والتصريف والعروض والطب وغير ذلك كذا قاله ابن الملك، وأما قول ابن حجر: وما كان سوى ذلك كعلم العروض والطب والهندسة والهيئة والميقات فهو فضل، أي زيادة على تلك العلوم، ففيه أنه تحصيل الحاصل، وأنه غير مفيد لبيان العلم النافع الذي طلبه من الله تعالى وغير النافع الذي تعوّذ به منه بقوله: «اللهم إني أسألك علماً نافعاً، وأعوذ بك من علم لا ينفع»[2]، وأيضاً من الظاهر أن مراد الشارع أن يبين حصر العلوم الشرعية لتعرض الأمة عن غيرها ويتوجهوا إليها وهو لا يحصل إلا بنفي ما عداها وذمه بأنه زائد غير محتاج إليه بل فضلة وشاغل عن

الحديث رقم ٢٣٩: أخرجه أبو داود في السنن مع تقديم وتأخير ٣/٣٠٦ حديث رقم ٢٨٨٥ وكذلك ابن ماجة ١/٢١ حديث رقم ٥٤.

(١) في المخطوطة «يتوقف».

(٢) الشطر الأول ابن ماجة ١/٢٩٨ حديث ٩٢٥ والشطر الثاني أخرجه مسلم ٤/٢٠٨٨ حديث ٢٧٢٢.

رواه أبو داود، وابن ماجة.

٢٤٠ ـ (٤٣) وعن عوف بن مالك الأشجعي، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقُص إلا أمير أو مأمور

المقصود، ولذا ورد: «إن من العلم جهلاً»[١]، «ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[٢]، والغريب من ابن حجر أنه جعل هذا القول بعيداً بل قال: لا يصح وعلل بقوله: لأن من تلك العلوم الزائدة ما هو فرض كفاية، كالطب وتقدم جوابه، وقال: بل عين كعلم الوقت والقبلة، قلت: إن كان المراد علمهما إجمالاً على ما ثبت في الحديث فهو مسلم وهو داخل في السنة، وإن كان المراد علمهما على وفق علماء الهيئة والحكمة من الفلاسفة فحاشا أن يكون علماً، فضلاً أن يكون فرضاً، فضلاً أن يكون فرض عين وإلا لكان السلف وأكثر الخلف عاصين بترك هذا العلم وما كانت صلاتهم صحيحة بالتحري في القبلة والله أعلم.

وقال الطيبي: العلم ثلاثة: علم الكتاب وإليه أشار بقوله: «آية محكمة»؛ فإن المحكمات هن أم الكتاب ويجب رد المتشابهات إليها ولا يحصل إلا بما يتعلق به من العلوم كالعربية والأصوليين، يعني أصول العقائد وأصول الفقه، وعلم السنة، وإليه أشار بقوله: «سنة قائمة» ومعنى قيامها ثباتها ودوامها بالمحافظة على أسانيدها وما يتعلق بها من التعديل والجرح، ومعرفة أقسام الحديث، أو[٣] بالمحافظة على متونها من التغيير بالإتقان وعلم الإجماع والقياس، وإليه أشار بقوله: أو «فريضة عادلة» وإنما سميت عادلة لأنها معادلة لما أخذ من الكتاب والسنة في وجوب الإتباع وما عدا ذلك من الفضول ولا مدخل له في علم الدين، وأما الطب فليس بفضول لما ثبت بنصوص السنة الافتقار إليه. أقول فيه: إن كل ما ثبت بالسنة الافتقار إليه لا يلزم أن يكون علماً كالحجامة والزراعة والنساجة؛ فإنها من فروض الكفاية ولا تسمى علوماً مع أن العلم بالطب جائز لا فرض إجماعاً، وأصله موجود في الكتاب والسنة والزائد عنهما لا شك أنه فضول كالزائد من نحو النحو [على] قدر الحاجة إليه في معرفة الكتاب والسنة. (رواه أبو داود وابن ماجة).

٢٤٠ ـ (وعن عوف بن مالك الأشجعي) [رضي الله عنه، روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين]. (قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقص) نفي لا نهي كذا قاله السيد، ووجهه ما قاله الطيبي: أنه لو حمل على النهي الصريح لزم أن يكون المختال مأموراً بالاقتصاص. ثم القص التكلم بالقصص والأخبار والمواعظ، وقيل: المراد به الخطبة خاصة والمعنى لا يصدر هذا الفعل إلا من هؤلاء الثلاثة وقوله: (إلا أمير) أي حاكم (أو مأمور) أي مأذون له بذلك من

(١) أبو داود ٥/ ٢٧٨ حديث رقم ٥٠١٢.

(٢) أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٨٣ حديث رقم ٢٣١٧. وأخرجه ابن ماجة.

(٣) في المخطوطة «إن».

الحديث رقم ٢٤٠: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٧١ حديث رقم ٣٦٦٥. وأخرجه أحمد في المسند ٦/ ٢٧.

أو مختالٌ». رواه أبو داود.

٢٤١ ـ (٤٤) ورواه الدارمي، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، وفي روايته أو مراء بدل «أو مختال».

٢٤٢ ـ (٤٥) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أُفتي بغير علم كان إثمه على من أفتاه، ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه». رواه أبو داود.

الحاكم أو مأمور من عند الله كبعض العلماء والأولياء (أو مختال») أي مفتخر متكبر طالب للرياسة (رواه أبو داود) أي عن عوف.

٢٤١ ـ (ورواه الدارمي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وفي روايته) أي رواية الدارمي، وفي بعض النسخ، «وفي رواية» («أو مراء» بدل «أو مختال») بالخاء المعجمة من الاختيال، أي التكبر وبالحاء المهملة من الحيلة، والجمهور على الأول. قال الأبهري: وفي شرح السنة صح بالمهملة.

٢٤٢ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من أُفتي) على صيغة المجهول، وقيل: من المعلوم ([بغير علم] كان إثمه على من أفتاه) قال الأشرف وتبعه زين العرب: يجوز أن يكون أفتي الثاني بمعنى استفتي، وأفتي الأول معروفاً، أي كان إثمه على من استفتاه فإنه جعله في معرض الإفتاء بغير علم، ويجوز أن يكون مجهولاً، أي فاثم إفتائه على من أفتاه، أي الإثم على المفتي دون المستفتي. اهـ. والأظهر الثاني وهو الأصح من النسخ، يعني كل جاهل سأل عالماً عن مسألة فأفتاه العالم بجواب باطل فعمل السائل بها ولم يعلم ببطلانها فإثمه على المفتي إن قصر في اجتهاده.

(ومن أشار على أخيه بأمر) قال الطيبي: إذا عدي أشار بعلى كان بمعنى المشورة، أي استشاره وسأله كيف أفعل هذا الأمر؟. اهـ. وفي القاموس أشار عليه بكذا أمره واستشار طلبه المشورة، فالظاهر ما قاله بعض الشراح من أن المعنى من أشار على أخيه وهو مستشير وأمر المستشير بأمر (يعلم) والمراد بالعلم ما يشمل الظن (أن الرشد) أي المصلحة (في غيره») أي غير ما أشار إليه (فقد خانه) أي خان المستشار المستشير، إذ ورد «أن المستشار مؤتمن» و «من غشنا فليس منا» (رواه أبو داود).

الحديث رقم ٢٤١: أخرجه الدارمي في سننه ٢/ ٤١٠ حديث رقم ٢٧٧٩ وابن ماجة في سننه ٢/ ١٢٣٥ حديث رقم ٣٧٥٣.

الحديث رقم ٢٤٢: أخرجه أبو داود في سننه ٤/ ٦٦ حديث رقم ٣٦٥٧. وأخرج أوله ابن ماجة ١/ ٢٠ حديث رقم ٥٣ وكذلك الدارمي ١/ ٦٩ حديث رقم ١٥٩. وبنحوه أحمد في المسند ٢/ ٣٢١.

٢٤٣ ـ (٤٦) وعن معاوية، قال: إن النبي ﷺ نهى عن الأغلوطات. رواه أبو داود.

٢٤٤ ـ (٤٧) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلموا الفرائضَ والقرآن وعلموا الناس فإني مَقبوضٌ». رواه الترمذي.

٢٤٥ ـ (٤٨) وعن أبي الدرداء، قال: كنا مع رسول الله ﷺ فشخص ببصره إلى السماء ثم قال: «هذا أوانٌ يُختلَس فيه العلم من الناس، حتى لا يَقدروا منه على شيء».

---

٢٤٣ ـ (**وعن معاوية قال: «إن النبي ﷺ نهى عن الأغلوطات»**) جمع أغلوطة بضم الهمزة واللام، أي عن سؤال المسائل التي يغالط بها العلماء لإشكال فيها لما فيها من إيذاء المسؤول وإظهار فضل السائل، قال في الأزهار: النهي للتحريم إذا كان ابتداء لأنه سبب الإيذاء، والإيذاء حرام وتهييج للفتنة والعداوة، وفيه إظهار فضل النفس ونقص الغير، وأما إن كان جواباً وجزاء فلا يكون حراماً لقوله تعالى: **﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾** وسئل الشافعي في مجلس هارون الرشيد عن مسائل مشكلة فأجابها سريعاً، فسئل الشافعي ممن سئل منه عن رجل مات عن ستمائة درهم ولم يخص أخته إلا درهم فاطرق ملياً وعجز فأشار هارون بتصويره فقال: مات رجل عن بنتين وأم وزوجة واثني عشر أخاً وأختاً وستمائة درهم كذا نقله الأبهري. (**رواه أبو داود**).

٢٤٤ ـ (**وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلموا الفرائض**) قيل: هو علم الميراث، وقيل: ما فرض الله على عباده، وقيل: الفرائض المشتملة على الأوامر والنواهي، والصحيح أنه أراد جميع ما يجب على الناس معرفته، وإنما حث على تعلمها لأن العقاب لا يتعلق إلا بها[1] (**والقرآن**) قال ابن الملك: وإنما حث عليه ﷺ لقوله تعالى: **﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾** وهو الأصل الذي لا بد منه، وقال الطيبي: ويمكن أنه أراد بالفرائض السنن الصادرة منه عليه الصلاة والسلام المشتملة على الأوامر والنواهي الدالة عليها كأنه قال: تعلموا الكتاب والسنة (**وعلموا الناس فإني مقبوض**») أي سأقبض وينقطعان (**رواه الترمذي**).

٢٤٥ ـ (**وعن أبي الدرداء قال: كنا مع رسول الله ﷺ فشخص**) أي رفع (**ببصره**) أو نظر بعينه (**إلى السماء ثم قال: «هذا أوان**) أي وقت (**يختلس**) صفة أوان كذا قاله الطيبي: وفي نسخة بالإضافة، أي يختطف ويسلب بسرعة في هذا الوقت، وفي نسخة يختلس فيه (**العلم من الناس**) أي علم الوحي (**حتى لا يقدروا منه**) أي من العلم (**على شيء**) من رسول الله ﷺ قاله

الحديث رقم ٢٤٣: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٦٥ حديث رقم ٣٦٥٦.

الحديث رقم ٢٤٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٦٠ حديث رقم ٢٠٩١ وقال فيه اضطراب وقد ضعفه أحمد بن حنبل.

(١) في المخطوطة «عليها».

الحديث رقم ٢٤٥: أخرجه الترمذي في السنن من حديث طويل ٥/ ٣١ حديث رقم ٢٦٥٣ وقال حسن غريب ورواه الدارمي في سننه ١/ ٩٩ حديث رقم ٢٨٨.

رواه الترمذي.

٢٤٦ ـ (٤٩) وعن أبي هريرة رواية: «يوشك أن يَضرب الناسُ أكباد الإبل يطلبُون العلم، فلا يجدون أحداً أعلمَ من عالم المدينة». رواه الترمذي في جامعه. قال ابن عُيَيْنَة: إنه مالك بن أنس، ومثله عن عبد الرزاق،

ابن الملك، والأظهر على شيء من العلم، قال الطيبي: فكأنه عليه الصلاة والسلام لما نظر إلى السماء كوشف باقتراب أجله فأخبر بذلك. (رواه الترمذي).

٢٤٦ ـ (وعن أبي هريرة رواية) بالنصب على التمييز، وهو كناية عن رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلا لكان موقوفاً (يوشك) بالكسر والفتح لغة رديئة، أي يقرب (أن يضرب الناس) هو في محل الرفع اسم ليوشك ولا حاجة إلى الخبر لاشتمال الاسم على المسند والمسند إليه (أكباد الإبل) أي المحاذي لأكبادها، يعني يرحلون ويسافرون في طلب العلم، وهو كناية عن إسراع الإبل وإجهادها في السير فتستضر بذلك فتقطع أكبادها من قطع المسافة، ويمسها الأدواء من شدة العطش، فتصير كأنها ضربت أكبادها مكان ضربها على السير، وقيل: أي يجهدون الإبل ويركضونها كنى بضرب الأكباد عن السير والركض لأن أكباد الإبل والفرس وغيرهما تتحرك عند الركض ويلحقها ضرر قطع، وقال الطيبي: ضرب أكباد الإبل كناية عن السير السريع لأن من أراد ذلك يركب الإبل ويضرب على أكبادها بالرجل، وفي إيراد هذا القول تنبيه على أن طلبة العلم أشد الناس حرصاً وأعزهم مطلباً لأن الجد في الطلب إنما يكون بقدر شدة الحرص وعزة المطلب، والمعنى قرب أن يأتي زمان يسير الناس سيراً شديداً في البلدان البعيدة. (يطلبون العلم) وهو حال أو بدل (فلا يجدون أحداً) أي في العالم (أعلم من عالم المدينة) قيل: هذا في زمان الصحابة والتابعين، وأما بعد ذلك فقد ظهرت العلماء الفحول في كل بلدة من بلاد الإسلام أكثر ما كانوا بالمدينة؛ فالإضافة للجنس، وقيل: المراد به ذاته عليه الصلاة والسلام فالإضافة للعهد (رواه الترمذي).

(وفي جامعه) بالواو، أي وذكر الترمذي تفسيره في جامعه بقوله: (قال ابن عيينة) اسمه سفيان، وهو إمام جليل روى عنه الشافعي وابن المبارك وغيرهما. (إنه) أي عالم المدينة (مالك ابن أنس) وهو إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأعلام، وهو استاذ الشافعي ولم يكن في زمنه بالمدينة التي هي دار العلم أعلم منه. (ومثله) أي مثل مقول ابن عيينة في مالك منقول (عن عبد الرزاق) وهو من فضلاء أصحاب الحديث روى عنه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما، وهو أحد المشهورين المكثرين من الرواية صاحب تأليفات كثيرة. قال الطيبي: وهذا مخالف لما في شرح الشيخ التوربشتي كما سيأتي وإن أريد مطابقته إياه قرئ «ومثله» تتمة للكلام السابق وابتدأ بقوله عن عبد الرزاق تأمل. ا هـ. قلت: ويمكن أن يكون عنه قولان أيضاً والله

الحديث رقم ٢٤٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/٤٦ حديث رقم ٢٦٨٠ وقال حديث حسن. وأخرجه أحمد في المسند ٢/٢٩٩.

قال إسحاق بن موسى: وسمعت ابن عُيينة أنه قال: هو العُمريُّ الزاهد واسمه عبد العزيز ابن عبد الله.

٢٤٧ ـ (٥٠) وعنه، فيما أعلم عن رسول الله ﷺ، قال: «إن الله عزّ وجلّ يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يُجدّد لها دينها».

أعلم. (قال إسحاق بن موسى: وسمعت ابن عيينة أنه قال: هو) أي المراد في الحديث (العمري الزاهد) وفي بعض النسخ «قال: قيل: هو العمري» (واسمه عبد العزيز بن عبد الله) قال التوربشتي ذكر الشيخ أبو محمد في كتابه عن ابن عيينة أنه قال: هو مالك و [عن] عبد الرزاق أنه قال: هو العمري الزاهد، وهو عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب. قال المظهر: أراد بالعمري عمر بن عبد العزيز، والصحيح ما رواه الترمذي. وذكر في المتن لأن عمر بن عبد العزيز من أهل الشام، وقال صاحب الجامع: عبد العزيز بن عبد الله أحد فقهاء المدينة وأعلامهم سمع ابن شهاب الزهري ومحمد بن المنكدر وعبد الله بن دينار وأبا حازم وحميد الطويل وهشام بن عروة كذا ذكره الطيبي. وقال ابن الملك: أراد به عمر بن عبد العزيز الخليفة قيل له: العمري نسبة إلى عمر بن الخطاب لأنه ابن بنته، وقيل: هو عبد الله ابن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، قيل: كان آخر العلماء الراسخين وكان يقدم على مالك بن أنس.

٢٤٧ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة (فيما أعلم) بضم الميم على الصحيح فقيل: هو لفظ المصنف، أي في علمي أو في جملة ما أعلم أن أبا هريرة روى هذا الحديث (عن رسول الله ﷺ) لا عن غيره وقد شك بعض الناس فيه، قال السيد: قال زين العرب تبعاً للتوربشتي: «فيما أعلم» مضارعاً أو ماضياً هو من قول المصنف، أي هذا الحديث كائناً في علمي هو عن أبي هريرة رواية، أو كائناً في أعلام أبي هريرة سائر الصحابة. اهـ. أقول: قوله: «هو من قول المصنف» غير ظاهر لأنه بعيد عن الفهم، وقد تفحصته من أصل أبي داود فوجدته مخرجاً عن أبي علقمة عن أبي هريرة فيما أعلم عن رسول الله ﷺ الحديث، فهذا نص في أنه ليس من قول المصنف. وقال الطيبي: «فيما أعلم» يجوز بضم الميم حكاية عن قول أبي هريرة وبفتحها ماضياً من الإعلام حكاية عن فعله. اهـ. أقول: أما قوله: بضم الميم حكاية عن قول أبي هريرة فغير ظاهر، بل الظاهر أنه من قول أبي علقمة الراوي عن أبي هريرة، وأما قوله حكاية عن فعله ففيه تأمل ومسامحة تأمل. اهـ. كلام السيد (قال: «إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة) أي أمة الإجابة ويحتمل أمة الدعوة (على رأس كل مائة سنة) أي انتهائه أو ابتدائه إذا قل العلم والسنة وكثر الجهل والبدعة (من يجدد) مفعول يبعث (لها) أي لهذه الأمة (دينها) أي يبين السنة من[1] البدعة، ويكثر العلم ويعز أهله، ويقمع البدعة ويكسر أهلها. قال صاحب جامع

الحديث رقم ٢٤٧: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٨٠ حديث رقم ٤٢٩١.

(١) في المخطوطة «عن».

رواه أبو داود.

٢٤٨ ـ (٥١) وعن إبراهيم بن عبد الرحمن العُذري،

الأصول: وقد تكلم العلماء في تأويله وكل واحد أشار إلى العالم الذي هو في مذهبه وحمل الحديث عليه، والأولى الحمل على العموم فإن لفظة «من» تقع على الواحد والجمع، ولا يختص أيضاً بالفقهاء فإن انتفاع الأمة بهم وإن كان كثيراً فانتفاعهم بأولي الأمر وأصحاب الحديث والقراء والوعاظ والزهاد أيضاً كثير إذ حفظ الدين وقوانين السياسة وبث العدل وظيفة أولي الأمر، وكذا القراء وأصحاب الحديث ينفعون بضبط التنزيل والأحاديث التي هي أصول الشرع وأدلته، والوعاظ ينفعون بالمواعظ والحث على لزوم التقوى، لكن المبعوث بشرط أن يكون مشاراً إليه في كل فن من هذه الفنون. نقله السيد، وأغرب ابن حجر وحمل المجددين محصورين على الفقهاء الشافعية، وختمهم بشيخه الشيخ زكريا مع أنه غير معروف بتجديد فن من العلوم الشرعية، وشيخ مشايخنا السيوطي هو الذي أحيا علم التفسير المأثور في الدر المنثور وجمع جميع الأحاديث المتفرقة في جامعه المشهور، وما ترك فناً إلا وله فيه متن أو شرح مسطور، بل وله زيادات ومخترعات يستحق أن يكون هو المجدد في القرآن المذكور كما ادعاه وهو في دعواه مقبول ومشكور، هذا والأظهر عندي والله أعلم أن المراد بمن يجدد ليس شخصاً واحداً بل المراد به جماعة يجدد كل أحد في بلد في فن أو فنون من العلوم الشرعية ما تيسر له من الأمور التقريرية أو التحريرية، ويكون سبباً لبقائه وعدم اندراسه وانقضائه إلى أن يأتي أمر الله، ولا شك أن هذا التجديد أمر إضافي لأن العلم كل سنة في التنزل كما أن الجهل كل عام في الترقي، وإنما يحصل ترقي علماء زماننا بسبب تنزل العلم في أواننا وإلا فلا مناسبة بين المتقدمين والمتأخرين علماً وعملاً وحلماً وفضلاً وتحقيقاً وتدقيقاً لما يقتضي البعد عن زمنه عليه الصلاة والسلام كالبعد عن محل النور يوجب كثرة الظلمة وقلة الظهور، ويدل عليه ما في البخاري عن أنس مرفوعاً «لا يأتي على أمتي زمان إلا الذي بعده شر منه»[١]، وما في الكبير للطبراني عن أبي الدرداء مرفوعاً «ما من عام إلا وينتقص الخير فيه ويزيد الشر»[٢]، وما في الطبراني عن ابن عباس قال: «ما من عام إلا ويحدث الناس بدعة ويميتون سنة حتى تمات السنن وتحيا البدع» وهذه النبذة اليسيرة أيضاً إنما هي من بركات علومهم ومددهم، فيجب علينا أن نكون معترفين بأن الفضل للمتقدمين رضي الله تعالى عنهم أجمعين إلى يوم الدين. (رواه أبو داود) والطبراني في الأوسط وسنده صحيح ورجاله كلهم ثقات وكذا صححه الحاكم[٣].

٢٤٨ ـ **(وعن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري)** بضم العين وسكون الذال المعجمة،

---

(١) البخاري ١٣/ ١٩ حديث ٧٠٦٨.

(٢) الطبراني في الكبير راجع الجامع الصغير ٢/ ٤٩٢ حديث رقم ٨٠٥٩.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٢٢.

الحديث رقم ٢٤٨: أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن والآجري.

قال: قال رسول الله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خَلَف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين». رواه البيهقي.

منسوب إلى عذرة بن سعد أبي قبيلة من خزاعة كذا في جامع الأصول. ولم يذكره المؤلف لا في الصحابة ولا في التابعين. (**قال: قال رسول الله ﷺ: «يحمل**) أي يحفظ (**هذا العلم**) أي علم الكتاب والسنة وزاد ابن حجر «الفقه» وهو غير صحيح لأنه مأخوذ منهما ولأنه مصطلح حادث لم يكن له وجود عند قوله «هذا» والإشارة للتعظيم يعني بأخذه ويقوم بإحيائه. (**من كل خلف**) أي من كل قرن يخلف السلف بفتح اللام، وهو الجماعة الماضية، والخلف بفتح اللام الرجل الصالح الذي يأتي بعد أحد ويقوم مقامه ويستوي فيه الواحد والتثنية والجمع. (**عدوله**) أي ثقاته، يعني من كان عدلاً صاحب التقوى والديانة، قال الطيبي: «ومن» إما تبعيضية مرفوعاً على أنه فاعل يحمل وعدوله بدل منه، وإما بيانية على طريقة لقيني منك أسد، جرد من الخلف الصالح والعدول الثقات وهم هم كقوله تعالى: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير**﴾ [آل عمران - ١٠٤] وعلى التقديرين فيه تفخيم لشأنهم (**ينفون عنه**) جملة حالية، أي نافين عنه يعني طاردين عن هذا العلم (**تحريف الغالين**) أي المبتدعة الذين يتجاوزون في كتاب الله وسنة رسوله عن المعنى المراد فيتحرفون[1] عن جهته من غلا يغلو إذا جاوز الحد كأقوال القدرية والجبرية والمشبهة (**وانتحال المبطلين**) الانتحال إدعاء قول أو شعر ويكون قائله غيره بانتسابه إلى نفسه؛ قيل هو كناية عن الكذب، وقال الطيبي في النهاية: الانتحال من النحلة وهي التشبه بالباطل وقال الراغب: الانتحال ادعاء الشيء بالباطل، قيل: ولعل الأول أنسب لمعنى الحديث. اهـ. والمعنى أن المبطل إذا اتخذ قولاً من علمنا ليستدل به على باطله أو اعتزى إليه ما لم يكن منه نفوا عن هذا العلم قوله ونزهوه عما ينتحله (**وتأويل الجاهلين**») أي معنى القرآن والحديث إلى ما ليس بصواب، أو الجملة استئناف كأنه قيل: لم خص هؤلاء بهذه المنقبة العلية؟ فأجيب بأنهم يحمون الشريعة ومتون الروايات من تحريف الذين يغلون في الدين والأسانيد من القلب والانتحال والمتشابه[2] من تأويل الزائغين المبتدعين بنقل النصوص المحكمة لرد المتشابه إليها، وهذا معنى ما ورد: «لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون» رواه البخاري ومسلم عن المغيرة، وقيل: إنه متواتر معنى (**رواه البيهقي في كتاب المدخل**) والحق البيهقي في المدخل بفتح الميم وفي نسخة «في كتاب المدخل» من حديث بقية بن الوليد عن معان بضم الميم ابن رفاعة بكسر الراء عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري، وقال السيد: رواه البيهقي في كتاب المدخل إلى السنن في باب تبيين حال من وجد منه ما يوجب رد خبره من طريق بقية بن الوليد عن معاذ بن رفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري عن النبي ﷺ: «يرث هذا العلم من كل خلف عدوله» وذكره، ثم قال: تابعه إسماعيل بن عياش عن معاذ، ورواه الوليد بن مسلم عن إبراهيم بن عبد الرحمن عن الثقة من أشياخهم عن النبي ﷺ، وروي أيضاً من أوجه أخر ضعيفة. ومعان بالنون دمشقي قال أبو

---

(١) في المخطوطة «فيحفون».

(٢) في المخطوطة «التشابه».

وسنذكر حديث جابر: «فإنما شفاء العي السؤال» في باب التيمم إن شاء الله تعالى.

الفصل الثالث

٢٤٩ ـ (٥٢) عن الحسن مرسلاً، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ جاءه الموتُ وهو يطلبُ العلمَ ليُحيي به الإسلامَ، فبينه وبين النبيِّين درجةٌ واحدةٌ في الجنّة». رواه الدارمي.

٢٥٠ ـ (٥٣) وعنه مرسلاً، قال: سُئل رسولُ الله ﷺ عن رجُلَين كانا في بني إسرائيل: أحدُهما كان عالماً يُصلّي المكتوبة، ثمّ يجلسُ فيُعَلّمُ الناسَ الخيرَ، والآخر يصومُ النهارَ ويقومُ الليلَ، أيُّهما أفضلُ؟

حاتم وغيره، لا يحتج به كذا في التخريج. **(وسنذكر حديث جابر: «فإنما شفاء العي»)** بكسر العين وتشديد الياء أي العاجز عن العلم **(السؤال)** أي عن العلماء **(في باب التيمم)** لأنه أنسب به من هذا الباب فهو اعتذار واعتراض **(إن شاء الله تعالى)** متعلق بسنذكر.

(الفصل الثالث)

٢٤٩ ـ **(عن الحسن)** وهو إذا أطلق في علم الحديث فالمراد البصري **(مرسلاً)** لأنه تابعي حذف الصحابي إما لنسيانه أو لكثرة من يرويه من الصحابة **(قال: قال رسول الله ﷺ: «من جاءه الموت وهو يطلب العلم)** الجملة الاسمية حال من المفعول في جاءه، أي من أدركه الموت في حال استمراره في طلب العلم ونشره ودعوة الناس إلى الصراط المستقيم **(ليحيي به الإسلام)** أي لإحياء الدين عما اندرس من قواعده وأحكامه ببنائها لا لغرض فاسد من المال والجاه **(فبينه وبين النبيين درجة واحدة)** وهي مرتبة النبوة **(في الجنة)** أردفها بواحدة لأن الكلام قد سيق للعدد وقد سبق أن وارث الأنبياء هم العلماء الزاهدون الداعون الخلق إلى الحق فيحيون الإسلام كذا قاله الطيبي، وتوضيحه في كلام الأبهري: أكد الدرجة بواحدة لأنها تدل على الجنسية وعلى العدد والذي سيق له الكلام هو العدد الحاصل أن العلماء العاملين المخلصين لم تفتهم إلا درجة الوحي. **(رواه الدارمي)**.

٢٥٠ ـ **(وعنه)** أي عن الحسن **(مرسلاً)** أيضاً **(قال: سئل رسول الله ﷺ عن رجلين)** أي عن شأنهما وحكمهما **(كانا في بني إسرائيل أحدهما كان عالماً)** أي غلب علمه على العبادة **(يصلي المكتوبة)** أي يكتفي بالعبادة المفروضة **(ثم يجلس فيعلم الناس الخير)** أي العلم والعبادة والزهد والرياضة والصبر والقناعة وأمثال ذلك تدريساً أو تأليفاً أو غيرهما **(والآخر يصوم النهار)** أي دائماً أو غالباً **(ويقوم الليل)** أي كله أو بعضه وقد تعلم فرض علمه **(أيهما أفضل:)**

الحديث رقم ٢٤٩: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ١١٢ حديث رقم ٣٥٤.

الحديث رقم ٢٥٠: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ١٠٩ حديث رقم ٣٤٠.

قال رسول الله ﷺ: «فضلُ هذا العالِم الذي يُصلي المكتوبة ثم يجلسُ فيُعلمُ الناسَ الخيرَ على العابدِ الذي يصومُ النهارَ ويقومُ الليل كفَضْلي على أدْناكم». رواه الدارمي.

٢٥١ ـ (٥٤) وعن علي، رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «نِعمَ الرجلُ الفقيهُ في الدين؛ إن احتيجَ إليه نَفَع، وإن استُغنيَ عنه أغنى نفسَه».

أي أكثر ثواباً فإن أفضلية العالم ظاهرة (قال رسول الله ﷺ: «فضل هذا العالم) يحتمل الشخص والجنس (الذي يصلي المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير على العابد الذي يصوم النهار ويقوم الليل) أطنب في الجواب حيث لم يقل: الأوّل أو العالم لتعظيم شأنه وتقريره في ذهن السامع (كفضلي على أدناكم») فإني عالم معلم، وأدناكم من يقوم بالعبادة دون العلم، وسببه أن العلم نفعه متعد والعبادة منفعتها قاصرة، والعلم إما فرض عين أو كفاية. والعبادة الزائدة نافلة، وثواب الفرض أكثر من أجر النفل والله أعلم. (رواه الدارمي).

٢٥١ ـ (وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نعم الرجل) أي الكامل في الرجولية (الفقيه في الدين) الفقيه هو المخصوص بالمدح والجار متعلق به، أي الذي فقه في الدين وعلم من العلوم الشرعية ما ينتفع به وينفع الناس، ولذا ورد: «من علم وعمل وعلّم يدعى في الملكوت عظيماً»، وليس المراد من الفقيه من يعلم الفروع فقط كما فهم ابن حجر وتبجح به بناء على ما وهم. ونقل أنه، قال بعض المحققين، إن غاية الصوفي المحق أن يظهر له كرامة أو كرامات فيفتخر بها هو وجماعته الدهر، والفقهاء تظهر للواحد منهم الكرامات الكثيرة بفتح أبواب تلك الأحكام العلية له وإلهامه فيها ما لم يسبقه غيره إليه فيفيد منه ما لا يحصى. اهـ. ولا يخفى أن ما ذكره من غاية الصوفي صدر عن قلة التحقيق؛ فإن بدايته أن يكون متصفاً بنهاية ما ثبت بالنبوّة علماً وعملاً وتعليماً على شريطة الإخلاص، وأما نهايته فالذي يمكن أن يعبر عنها هو أن يصير مستغرقاً في مشاهدة مولاه وفانياً عما سواه كما أشار إليه ابن الفارض بقوله:

ولو خطرت لي في سواك إرادة * على خاطري سهواً حكمت بردتي

وأما الكرامة فعندهم حيض الرجال فهيهات هيهات بين الهيآت، وقد قال الغزالي: ضيعت قطعة من العمر العزيز في تأليف البسيط والوسيط والوجيز ولكن سبحان من أقام العباد بما أراد وكل حزب بما لديهم فرحون. (إن احتيج) بكسر النون وضمها شرطية مستأنفة لبيان استحقاق المدح، أي إن احتاج الناس (إليه) أي إلى فقهه (نفع) أي غيره (وإن استغني عنه) على البناء للمفعول (أغنى نفسه) قال الطيبي: قوبل «نفع» «بأغنى» ليعم الفائدة، أي نفع الناس وأغناهم بما يحتاجون إليه ونفع نفسه وأغناها بما يحتاج[1] إليه من قيام الليل وتلاوة كتاب الله

الحديث رقم ٢٥١: أخرجه رزين وفي إسناده مقال.

(١) في المخطوطة «تحتاج».

رواه رزين.

٢٥٢ - (٥٥) وعن عكرمة، أنّ ابن عباسٍ قال: حَدِّثِ النّاسَ كلَّ جمعة مرةً، فإنْ أبيتَ فمرّتين، فإنْ أكثرتَ فثلاثَ مرات، ولا تُمِلَّ النّاسَ هذا القرآن؛ ولا أُلْفِيَنَّكَ تأتي القومَ وهم في حديثٍ من حديثهم فتقصُّ عليهم فتقطعُ عليهم حديثَهم فتُمِلُّهم؛ ولكن أنصِت، فإذا أمروكَ فحدِّثْهم وهم يشتهونه، وانظُرِ السَّجْعَ من الدعاءِ فاجْتَنِبْهُ،

وغيرها من العبادات (رواه رزين).

٢٥٢ - (وعن عكرمة) هو مولى عبد الله بن عباس وهو أحد فقهاء مكة وتابعيها (أن ابن عباس) وهو عبد الله إذا أطلق (قال:) أي لعكرمة («حدث الناس) أي بالآية والحديث والوعظ (كل جمعة) بضم الميم ويسكن، أي في كل أسبوع (مرة) أي في يوم من أيامها (فإن أبيت) أي التحديث مرة وأردت الزيادة حرصاً على إفادة العلم ونفع الناس (فمرتين) أي فحدث مرتين (فإن أكثرت) أي أردت الإكثار (فثلاث مرات ولا تمل) بفتح اللام ويجوز كسرها وهو بضم الفوقانية من الرباعي (الناس هذا القرآن) يقال: مللته ومللت منه بالكسر سئمته، قال الطيبي: إشارة إلى تعظيمه فرتب وصف التعظيم على الحكم للإشعار بالعلية، أي لا تحقر هذا العظيم الشأن الذي جبلت القلوب على محبته وعدم الشبع منه، أي وإذا كان ذلك الإكثار يوجب الملل عما هذه أوصافه فما بالك بغيره من العلوم التي جبلت النفوس على النفرة من مشاقها ومتاعبها؟ (فلا ألفينك) بضم الهمزة وكسر الفاء، أي لا أجدنك، قال الطيبي: هو من باب لا أرينك، أي لا تكن بحيث ألفينك على هذه الحالة وهي إنك (تأتي القوم) حال من المفعول (وهم في حديث من حديثهم) قال الطيبي: حال من المرفوع في تأتي، والظاهر أنه حال من القوم، أي والحال أنهم مشغولون عنك (فتقص عليهم) أي تقصصاً من وعظ أو علم (فتقطع عليهم حديثهم) أي كلامهم الذين هم فيه، قال الطيبي: معطوفان على تأتي وهو الظاهر لكنهما في أكثر النسخ الحاضرة منصوبان، فيكون نصبهما على جواب النهي ويتكلف للسببية (فتملهم) منصوب بلا خلاف جواباً للنهي (ولكن أنصت) أمر من الإنصات وهو السكوت (وإذا أمروك) أي طلبوا منك التحديث (فحدثهم وهم يشتهونه) حال مقيدة (وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه) قال الطيبي: فإن قلت كيف نهي عن السجع وأكثر الأدعية مسجعة؟ أجيب بأن المراد المعهود وهو السجع المذموم الذي كان الكهان والمتشدقون يتعاطونه ويتكلفونه في محاوراتهم لا الذي يقع في فصيح الكلام بلا كلفة؛ فإن الفواصل التنزيلية واردة على هذا، ويزيده إنكاره عليه الصلاة والسلام بقوله: أسَجْعٌ كسجع الكهان على من قال أدى لمن لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل، ومثل ذلك بطل المعتبر تأمل السجع الذي ينافي[1] إظهار الاستكانة والتضرع في

الحديث رقم ٢٥٢: أخرجه البخاري ... ١١/ ١٣٨ حديث رقم ٦٣٣٧. وأخرجه أحمد في المسند ٦/ ٢١٧ عن عائشة رض

(١) في المخطوطة «ينافي».

فإني عَهِدتُ رسولَ الله ﷺ وأصحابَه لا يفعلون ذلك. رواه البخاري.

٢٥٣ - (٥٦) وعن واثلةَ بن الأسقع، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ طلب العِلمَ فأدرَكه، كان له كِفْلانِ من الأجر؛ فإنْ لم يدركْهُ، كان له كِفْلٌ من الأجر». رواه الدارمي.

٢٥٤ - (٥٧) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ ممَّا يلحَقُ المؤمنَ من عمله وحسناته بعد موته: عِلماً علِمه ونشَرَه، وولَداً صالحاً تركه، أو مُصْحفاً وَرَّثه، أو مسجِداً بناه، أو بيتاً لابنِ السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدَقةً أخرجَها

الدعاء فاجتنبه فإنه أقرب إلى الاستجابة (**فإني عهدت رسول الله ﷺ**) أي عرفته (**وأصحابه لا يفعلون ذلك**) أي تكلف[1] السجع (**رواه البخاري**) قال الأبهري: في البخاري «**لا يفعلون إلا ذلك**» بزيادة إلا قال الشيخ «**لا يفعلون إلا ذلك**»، أي ترك السجع ووقع عند الإسماعيلي عن القاسم بن زكريا عن يحيى بن محمد شيخ البخاري بسنده فيه «**لا يفعلون ذلك**» بإسقاط ألا وهو واضح كذا أخرجه البزار والطبراني عن البراء.

٢٥٣ - (**وعن واثلة بن الأسقع**) من أهل الصفة كذا في التهذيب (**قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب العلم فادركه**) أي حصله، وقيل: أدركه أبلغ من حصله لأن الإدراك بلوغ أقصى الشيء (**كان له كفلان**) نصيبان (**من الأجر**) أجر الطلب والإدراك كالمجتهد المصيب (**فإن لم يدركه كان له كفل من الأجر**) كالمخطىء، ونظير ذلك الخبر الصحيح: «إذا اجتهد المجتهد فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد» (**رواه الدارمي**).

٢٥٤ - (**وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن مما يلحق المؤمن**) خبران، أي كائن مما يلحقه واسمها علماً وما عطف عليه، ولا يجوز أن تكون تبعيضية لأنه ينافي الحصر الذي في قوله عليه الصلاة والسلام: «ينقطع عمله إلا من ثلاث» (**من عمله**) بيان لما (**وحسناته**) عطف تفسير (**بعد موته**) ظرف يلحق (**علماً علمه**) بالتخفيف وفي نسخة بالتشديد (**ونشره**) هو أعم من التعليم فإنه يشمل التأليف ووقف الكتب (**وولداً صالحاً**) أي مؤمناً (**تركه**) أي خلفه، [أي] بعد موته احتراز عن الفرط (**أو مصحفاً**) بتثليث الميم والضم أشهر (**ورثه**) أي تركه للورثة ولو ملكاً، وفي معناه كتب العلوم الشرعية فيكون له ثواب التسبب (**أو مسجداً بناه**) وفي معناه مدرسة العلماء ورباط الصلحاء (**أو بيتاً لابن السبيل**) أي المسافر والغريب (**بناه**) حقيقة أو حكماً (**أو نهراً**) بفتح الهاء وتسكن (**أجراه**) أي جعله جارياً لينتفع به الخلق، قال الطيبي: الجمل المصدرة بأو من قسم الصدقة الجارية، وأو فيها للتنويع والتفصيل وأما قوله: (**أو صدقة أخرجها**

---

(١) في المخطوطة «تكليف».

الحديث رقم ٢٥٣: أخرجه الدارمي في سننه ١/ ١٠٨ حديث رقم ٣٣٥.

الحديث رقم ٢٥٤: أخرجه ابن ماجة في السنن ١/ ٨٨ حديث رقم ٢٤٢. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٢٤٧ حديث رقم ٣٤٤٨.

من ماله في صحّتِه وحياتِه، تلحقُه من بعد موته». رواه ابن ماجة والبيهقي في «شعب الإيمان».

٢٥٥ ـ (٥٨) وعن عائشة، أنّها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إن اللّهَ عزّ وجل أوحى إليّ: أنّه من سلك مسلكاً في طلب العلم، سَهّلْتُ له طريقَ الجنّة؛ ومَن سَلَبْتُ كريمتَيه؛ أَثَبْتُه

من ماله في صحته وحياته) فداخل في الصدقة الجارية ولإرادة هذا المعنى أتبعه بقوله: (تلحقه من بعد موته) وفي عطف «حياته» على «صحته» إشارة إلى معنى قوله عليه الصلاة والسلام في جواب من قال: أي الصدقة أعظم أجراً؟ «أن تصدق وأنت صحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى» الحديث[١]. اهـ. وفيه أن هذه الإشارة مفهومة من نفس قوله: «وصحته» لا من العطف اللهم إلا أن يقال: إنها مفهومة من تقديم الصحة على الحياة، ومعنى قوله: «وحياته» أي ولو في مرضه قالوا: وبمعنى «أو» وقوله «أخرجها»، أي بالوصية والله أعلم. (رواه ابن ماجة والبيهقي في شعب الإيمان) وفي رواية: «سبع يجري للعبد أجرهن بعد موته وهو في قبره، من علم علماً أو اجرى نهراً أو حفر بئراً أو غرس نخلاً أو بنى مسجداً أو ترك ولداً يستغفر له من بعد موته أو ورث مصحفاً».

٢٥٥ ـ (وعن عائشة أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:) قال الطيبي حال، والأصل سمعت قوله فأخر القول وجعل حالاً ليفيد الإبهام والتبيين. اهـ. وقيل: «سمع» متعدٍ إلى مفعولين («إن الله عزّ وجلّ) أي عزت ذاته وجلت صفاته (أوحى إلي) أي وحياً خفياً غير متلو، وهو يحتمل أن يكون بواسطة جبريل[٢] أوّلاً وله ﷺ نقله ولو بالمعنى، وبهذه القيود فارق الحديث القدسي الكلام القرآني (إنه) الضمير للشأن (من سلك) أي دخل أو ذهب ومشى (مسلكاً) أي طريقاً أو سلوكاً، والمعنى تعاطى سبباً من الأسباب (في طلب العلم) أي في تحصيل العلم الشرعي (سهلت) أي يسرت (له طريق الجنة) أي طريقاً موصلاً إلى الجنة بالمعرفة والعبادة في الدنيا، أو طريقاً إلى باب من أبواب الجنة وسبيلاً إلى قصوره المختصة به في العقبى، وفيه إشارة إلى أن كل طريق من طرق العلم طريق من طرق الجنة، وإن سبل الجنة مسدودة من غير أبواب العلوم لكن بشرط الإخلاص المؤدي إلى العمل على وجه الاختصاص.

(ومن سلبت) أي أخذت (كريمتيه) [أي عينيه الكريمتين عليه، وكل شيء يكرم عليك فهو كريمك وكريمتك][٣]، والمعنى أعميته فالأكمه بطريق الأولى (أثبته) من الإثابة أي جازيته،

---

(١) مسلم ٢/٧١٦ حديث ١٠٣٢.

الحديث رقم ٢٥٥: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥/٥٣ حديث رقم ٥٧٥١.

(٢) في المخطوطة «جبرائيل».

(٣) هذه الجملة وردت في المخطوطة لكنها لم ترد في هذا الموضع بل في موضع متقدم وإثباتها هنا أتم.

عليهما الجنّة. وفضلٌ في علمٍ خيرٌ من فضلٍ في عبادة. وملاكُ الدينِ الوَرَعُ». رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

٢٥٦ - (٥٩) وعن ابن عباس، قال: تدارُسُ العلم ساعةً من الليلِ خيرٌ من إحيائها. رواه الدارمي.

٢٥٧ - (٦٠) وعن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ مرَّ بمجلسين في مسجده فقال: «كلاهما على خير، وأحدهما أفضلُ من صاحبه؛

قال تعالى: ﴿فأثابهم الله بما قالوا جنات﴾ [المائدة - ٨٥] وفي القاموس أثابه الله مثوبة أعطاه، وفي نسخة «أثبته» من الإثبات (عليهما) أي على الكريمتين يعني على فقدهما والصبر عليهما (الجنة) مفعول ثان قال الطيبي: منصوب على نزع الخافض، وقال ابن حجر: مفعول ثانٍ لأثبته لتضمينه معنى أعطيت، وكلاهما تكلف لما قدمناه.

(وفضل) أي زيادة (في علم خير من فضل في عبادة) قال الطيبي: يناسب أن يقال: التنكير فيه يعني في فضل [الأول] للتقليل وفي الثاني للتكثير.

(وملاك الدين) أي أصله وصلاحه (الورع) كما أن فساد الدين الطمع، والمراد بالورع التقوى عن المحرمات والشبهات، والطمع يؤدي إلى السمعة والرياء في العبادات، في النهاية الملاك بالكسر والفتح قوام الشيء ونظامه و [ما] يعتمد عليه فيه، ومنه ملاك الدين. وقال الطيبي: الملاك بالكسر ما به إحكام الشيء وتقويته وإكماله، والورع في الأصل الكف عن المحارم والتحرج، ثم استعير للكف عن المباح والحلال، [قلت: لعل مراده المباح والحلال] الذي يؤدي إلى الشبهة وإلا فتركها زيادة على قدر الضرورة لا يسمى ورعاً بل يسمى زهداً والله أعلم. (رواه البيهقي في شعب الإيمان).

٢٥٦ - (وعن ابن عباس. قال: «تدارس العلم) بين النظراء أو الشيخ وتلامذته، ويلحق به كتابته وتفهمه لحصول المقصود (ساعة من الليل) الأبلغ أن يراد بالساعة اللغوية لا العرفية (خير من إحيائها») أي من إحياء الليل بالعبادة لما تقدم في شروح الأحاديث المتقدمة، وأبعد ابن حجر فقال: من إحياء تلك الساعة بالصلاة التي هي حياة النفوس (رواه الدارمي).

٢٥٧ - (وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ مر بمجلسين) أي بأهلهما وقول ابن حجر: أي حلقتين[1] غير مفهوم من الحديث (في مسجده) ﷺ (فقال: «كلاهما) أي كلا المجلسين يعني أهلهما، أو المراد به المبالغة، أو الدلالة بطريق البرهان فإن شرف المكان بالمكين. (على خير) أي جالسين أو ثابتين على عمل خير (وأحدهما أفضل من صاحبه) أي

الحديث رقم ٢٥٦: أخرجه الدارمي في مقدمة سننه ١/ ١٥٧ حديث رقم ١٤.

الحديث رقم ٢٥٧: أخرجه الدارمي ١/ ١١١ حديث رقم ٣٤٩.

(١) في المخطوطة «خلقتين» والصواب «حلقتين».

أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم. وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه أو العلم ويُعلّمون الجاهل، فهم أفضل، وإنما بُعثت معلماً». ثم جلس فيهم. رواه الدارمي.

٢٥٨ ـ (٦١) وعن أبي الدرداء، قال: سُئل رسول الله ﷺ: ما حدُّ العلم الذي إذا بلغه الرجلُ كانَ فقيهاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «من حَفِظَ على أُمتي أربعين حديثاً في أمر دينها،

أكثر ثواباً (أما هؤلاء) قال الطيبي: تقسيم للمجلسين إما باعتبار القوم أو الجماعة بعد التفريق بينهما باعتبار النظر إلى المجلسين في إفراد الضمير (فيدعون الله) أي يعبدونه ويسألونه بلسان المقال أو الحال (ويرغبون إليه) أي يرغبون فيما عند الله متوسلين إليه ومتوجهين ومنتظرين لديه (فإن شاء أعطاهم) أي فضلاً، والمفعول الثاني محذوف، أي ما عنده من الثواب (وإن شاء منعهم) أي إياه عدلاً، وسر تقديم الإعطاء على المنع إيماء إلى سبق رحمته غضبه، وفي الحديث رد على المعتزلة حيث أوجبوا الثواب فاستحقوا العقاب، قال الطيبي: وفي تقييد القسم الأوّل بالمشيئة وإطلاق القسم الثاني يعني الآتي إشارة إلى بون بعيد بينهما. (وأما هؤلاء) أي وأمثالهم (فيتعلمون الفقه) أي أوّلاً (أو العلم) شك من الراوي (ويعلمون الجاهل) أي ثانياً (فهم أفضل) لكونهم جامعين بين العبادتين، وهما الكمال والتكميل فيستحقون الفضل على جهة التبجيل (وإنما بعثت معلماً) أي بتعليم الله لا بالتعلم من الخلق ولذا اكتفى به (ثم جلس فيهم) إشعار بأنهم منه وهو منهم ومن ثم جلس فيهم كذا قاله الطيبي، أو جلس فيهم لاحتياجهم إلى التعليم منه عليه الصلاة والسلام كما أشار إليه بقوله: «بعثت معلماً» والله أعلم (رواه الدارمي).

٢٥٨ ـ (وعن أبي الدرداء قال: سئل رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله ما حد العلم) قال الراغب: هو وصف الشيء المحيط بمعناه المتميز عن غيره نقله الطيبي، أقول: هذا اصطلاح حادث، والأظهر أن المراد بالحد المقدار ولذا قال: (إذا بلغه الرجل كان فقيهاً؟) يعني عالماً في الآخرة ومبعوثاً في زمرة العلماء فيها فإن العبرة بها (فقال رسول الله ﷺ: «من حفظ على أمتي) أي شفقة عليهم، أو لأجل انتفاعهم، وقال الطيبي: ضمن «حفظ» معنى رقب وعدى بعلى يقال: إحفظ عليّ عنان فرسي ولا تغفل عني، وفي المغرب: الحفظ خلاف النسيان، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير المرفوع في «حفظ» يعني من جمع أحاديث متفرقة مراقباً إياها بحيث تبقى مسندة على أمتي. اهـ. وفيه تكلفات والوجه ما قدمته، وقال ابن حجر: فالوجه ما ذكرته في تقريره. اهـ. وليس [في] تقريره ولا تحريره ذكر وجه حتى ينظر في وجهه. (أربعين حديثاً) وفي معناه أربعين مسألة (في أمر دينها) احتراز من الأحاديث الإخبارية التي لا تعلق لها بالدين اعتقاداً أو علماً أو عملاً من نوع واحد، أو أنواع ولا وجه لمن قيدها

الحديث رقم ٢٥٨: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٧٠ حديث رقم ١٧٢٦.

بعثه اللَّهُ فقيهاً، وكنتُ له يومَ القيامة شافعاً وشهيداً».

٢٥٩ ـ (٦٢) وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون من أجودُ جوداً؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «الله أجودُ جُوداً، ثم أنا أجود بني آدم، وأجودهم من بعدي رجلٌ عَلِم علماً فنشرَه،

بكونها متفرقة. (بعثه الله فقيهاً) من جملة الفقهاء (وكنت له يوم القيامة شافعاً) بنوع من أنواع الشفاعات الخاصة (وشهيداً) أي حاضراً لأحواله ومزكياً لأعماله ومثنياً على أقواله ومخلصاً له من أهواله، قال الإمام النووي: المراد بالحفظ هنا نقل الأحاديث الأربعين إلى المسلمين وإن لم يحفظها ولا عرف معناها، هذا حقيقة معناه وبه يحصل انتفاع المسلمين لا يحفظها ما لم ينقل إليهم ذكره ابن حجر. وأقول: في قوله: «ولا عرف معناها» نظر لأنه لا يلائم المقام الذي هو حد العلم؛ إذ الفقه هو العلم بالشيء والفهم له وغلب على علم الدين لشرفه وإلا فالحامل غير فقيه كما ورد في الحديث والله أعلم. قال الطيبي: فإن قيل: كيف طابق الجواب السؤال؟ أجيب بأنه من حيث المعنى كأنه قيل: معرفة أربعين حديثاً بأسانيدها مع تعليمها الناس. ا هـ. والظاهر أن معرفة أسانيدها ليست بشرط، ثم قال: أو نقول: هو من أسلوب الحكيم، أي لا تسأل عن حد الفقه فإنه لا جدوى فيه وكن فقيهاً؛ فإن الفقيه من أقامه الله تعالى لنشر العلم وتعليمه الناس ما ينفعهم في دينهم ودنياهم من العلم والعمل. ا هـ. وتقدم ما فيه.

٢٥٩ ـ (وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون من أجود جوداً؟) أي أكثر كرماً، قال الراغب: الجود بذل المقتنيات مالاً كان أو علماً ويؤيده قوله ﷺ: «إن علماً لا يقال به ككنز لا ينفق منه»، وقال الطيبي: قيل: «من» الاستفهامية مبتدأ أو «أجود» خبره «وجوداً» تمييز، قال ابن حجر: أجود من الجودة، أي أحسن جوداً، أو من الجود أي من الذي جوده أجود على [حد] نهاره صائم (قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: الله أجود جوداً) وهو لمجرد المبالغة فإنه المتفضل بالإيجاد والإمداد على جميع البلاد وطبق المراد (ثم أنا أجود بني آدم) والظاهر أنه على الإطلاق، أي أفضلهم وأكرمهم ومن ثم قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أوّل من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأنا أوّل شافع وأول مشفع ولا فخر» رواه أحمد والترمذي وابن ماجة عن أبي سعيد، ويلزم من ذلك أنه أفضل من الملائكة وغيرهم لما هو مقرر أن الجنس البشري أفضل من الجنس الملكي على خلاف فيه (وأجوده) أي جنس بني آدم، وقال الطيبي: الضمير لبني آدم على تأويل الإنسان أو للجود، وقال الأبهري: وفي بعض النسخ «أجودهم» يعني في زمانه (من بعدي) يحتمل البعدية بحسب المرتبة وبحسب الزمان، والأوّل أظهر قاله الطيبي. (رجل علم) بالتخفيف بلا خلاف (علماً) أي عظيماً نافعاً في الدين (فنشره) يعم التدريس والتصنيف وترغيب الناس فيه قاله الطيبي، ومنه وقف الكتب وإعارتها

الحديث رقم ٢٥٩: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٨١ حديث رقم ١٧٦٧.

يأتي يوم القيامة أميراً وحده، أو قال: أمةً واحدةً».

٢٦٠ ـ (٦٣) وعنه، أن النبي ﷺ قال: «منهومان لا يشبعان: منهومٌ في العلم لا يشبع منه، ومنهومٌ في الدنيا لا يشبع منها». روى البيهقي الأحاديث الثلاثة في «شعب الإيمان» وقال: قال الإمام أحمد في حديث أبي الدرداء: هذا متنٌ مشهور فيما بين الناس، وليس له إسنادٌ صحيح.

لأهلها (يأتي يوم القيامة أميراً وحده) يعني كالجماعة التي لها أمير ومأمور في العزة والعظمة، ويمكن أن يكون أميراً مستقلاً مع أتباعه غير تابع لغيره نحو قوله: «أمة واحدة» في الرواية الأخرى (أو قال أمة واحدة) الشك يحتمل من أنس أو من بعده، وهو نظير قوله تعالى: ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ حيث اطلق الأمة على من جمع خصالاً لا توجد غالباً إلا في جماعة ولذا قال الشاعر:

ليس من الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

ولما قال ابن مسعود في معاذ: «كان أمة قانتاً لله» فقيل له: ذاك إبراهيم، قال: «الأمة الذي يعلم الخير» ويؤيد ما ذكره خبر: «معاذ أمة قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة إلا المرسلون» سبب ذلك ما في حديث آخر أنه أعلم الأمة بالحلال والحرام.

٢٦٠ ـ (وعنه) أي عن أنس (أن النبي ﷺ قال: «منهومان) حريصان على تحصيل أقصى غايات مطلوبيهما، وفي النهاية النهمة بلوغ الهمة في الشيء (لا يشبعان) أي لا يقنعان (منهوم في العلم لا يشبع منه) لأنه في طلب الزيادة دائماً لقوله تعالى: ﴿وقل رب زدني علماً﴾ [طه ـ ١١٤] ليس له نهاية إذ فوق كل ذي علم [عليم] (ومنهوم في الدنيا) أي في تحصيل مالها وجاهها (لا يشبع منها) فإنه كالمريض المستسقي (روى البيهقي الأحاديث الثلاثة في شعب الإيمان وقال:) أي البيهقي (قال الإمام أحمد في حديث أبي الدرداء:) وهو «من حفظ» الخ يعني في شأنه (هذا متن مشهور فيما بين الناس) أي المحدثين وغيرهم (وليس له إسناد صحيح) قال النووي: طرقه كلها ضعيفة، وقال الحافظ ابن حجر: جمعت طرقه كلها في جزء ليس فيها طريق تسلم من علة قادحة، قال ابن حجر المكي: ولذا قال النووي: واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه، وقد اتفق الحفاظ على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال. اهـ. وأنت خبير بأن قضية ما مهدوه في فن الحديث أن الحكم عليه بالضعف إنما هو بالنظر لكل طريق على حدته، وأما بالنظر إلى مجموع طرقه فحسن لغيره فيرتقي عن درجة الضعف إلى درجة الحسن. قلت: وفي قوله: «ليس له إسناد صحيح» إشارة إلى ذلك.

الحديث رقم ٢٦٠: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٢٧١ حديث رقم ١٠٢٧٩. والدارمي نحوه ١/ ١٠٨ حديث رقم ٣٣٤ أخرجه عن ابن عباس.

٢٦١ - (٦٤) وعن عون، قال: قال عبد الله بن مسعود: منهومان لا يشبعان صاحبُ العلمِ، وصاحبُ الدنيا، ولا يستويان؛ أما صاحب العلم فيزداد رضىً للرحمن، وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان. ثم قرأ عبد الله: ﴿كلاّ إنَّ الإنسانَ ليطغى أنْ رآه استغنى﴾ قال: وقال الآخر: ﴿إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء﴾. رواه الدارمي.

٢٦٢ - (٦٥) وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أناساً من أمتي سيتفقهون في الدين ويقرؤون القرآن، يقولون: نأتي الأمراء فنصيبُ من دنياهم ونعتزِلُهم بديننا. ولا يكونُ ذلك، كما لا

---

٢٦١ - (وعن عون) تابعي (قال: قال عبد الله بن مسعود: منهومان) أي حريصان (لا يشبعان) في القاموس النهم محركة إفراط الشهوة في الطعام، وأن لا تمتلىء عين الآكل ولا يشبع نهم كفرح وعنى فهو نهم ونهيم ومنهوم وهو منهوم بكذا مولع به. (صاحب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان) أي في المآل والعاقبة فيما يزيدان (أما صاحب العلم فيزداد رضا للرحمن) ولعل وجه التخصيص بالرحمن أنه مظهر الرحمة حيث رحم على نفسه وغيره بتحصيل العلم وتخليص الجهل (وأما صاحب الدنيا فيتمادى) أي يزداد ويتوسع (في الطغيان) ويبعد عن رحمة الرحمن (ثم قرأ عبد الله) استشهاداً لذم الثاني على طريقة قوله تعالى: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم﴾ الآية [آل عمران - ١٠٦] (﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه﴾) أي لأجل أن رأى نفسه (﴿استغنى﴾)[1] عن الناس لكثرة ما عنده من المال (قال:) أي عون (وقال:) أي ابن مسعود بعد قراءته ما سبق وهو قوله: ﴿إن الإنسان ليطغى﴾ [العلق - ٦] (الآخر) بالرفع، أي الاستشهاد الآخر، وقيل: بالنصب، أي وذكر الاستشهاد الآخر (﴿إنما يخشى الله من عبادة العلماء﴾) بنصب الأول ورفع الثاني في المتواتر وعكسه في الشواذ وتقدم توجيهه، والحاصل أن الأول موجب لزيادة الطغيان المقتضي ترك الطاعة والعبادة، والثاني سبب لزيادة الخشية المورثة للعلم والعمل فشتان ما بينهما. (رواه الدارمي).

٢٦٢ - (وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أناساً) بضم الهمزة، أي جماعة (من أمتي سيتفقهون) أي سيدعون الفقه كذا قاله الطيبي أو يطلبون الفقه ويحصلونه (في الدين ويقرؤون القرآن) أي بالقراآت أو بتفسير الآيات ويأتون الأمراء لا لحاجة ضرورية إليهم بل لإظهار الفضيلة والطمع لما في أيديهم من المال والجاه فإذا قيل لهم: كيف تجمعون بين التفقه والتقرب إليهم؟ (يقولون) وفي نسخة «ويقولون» (نأتي الأمراء فنصيب) أي نأخذ (من دنياهم ونعتزلهم) أي نبعد عنهم (بديننا) بأن لا نشاركهم في إثم يرتكبونه، قال عليه الصلاة والسلام: (ولا يكون ذلك) أي لا يصح ولا يستقيم ما ذكر من الجمع بين الضدين ثم مثل وقال: (كما لا

الحديث رقم ٢٦١: أخرجه الدارمي ١/ ١٠٨ حديث رقم ٣٣٢.

(١) سورة العلق آية ٦ - ٧.

الحديث رقم ٢٦٢: أخرجه ابن ماجة ١/ ٩٣ حديث رقم ٢٥٥.

يُجتنى من القتادِ إلا الشوكُ، كذلك لا يُجتنى من قُربهم إلا ـ قال محمد بن الصباح: كأنه يعني ـ الخطايا». رواه ابن ماجة.

٢٦٣ ـ (٦٦) وعن عبد الله بن مسعود، قال: لو أن أهل العلم صانوا العلم، ووضعوه عند أهله، لسادوا به أهل زمانهم، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا

يُجتنى) أي لا يؤخذ (من القتاد) بفتح القاف شجر كله شوك (إلا الشوك) لأنه لا يثمر إلا الجراحة والألم فالاستثناء منقطع (كذلك لا يجتنى) أي لا يحصل (من قربهم إلا») وقع كلامه عليه الصلاة والسلام بلا ذكر الاستثناء لكمال ظهوره (قال محمد بن الصباح:) أحد رواة الحديث (كأنه) أي النبي ﷺ (يعني) أي يريد النبي ﷺ بالمستثنى المقدر بعد «إلا» (الخطايا) وهي مضرة الدارين، ولقد أشار إلى كثير منها بعض من كتب للزهري لما خالط السلاطين بقوله في جملة مواعظ وعظه بها: واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظلمة، وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقاً ولم يترك باطلاً، حين أدناك اتخذوك قطباً تدور عليك رحى باطلهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلائهم، وسلماً يصعدون فيك إلى ضلالهم، يدخلون الشك بك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهلاء، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا لك، وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك. وروي عن محمد بن سلمة أنه قال: الذباب على العذرة أحسن من قارىء على باب هؤلاء الظلمة، ورحم الله والدي كان يقول لي: ما أريد أن تصير من العلماء خشية أن تقف على باب الأمراء. (رواه ابن ماجة).

٢٦٣ ـ (وعن عبد الله بن مسعود قال: لو أن أهل العلم) أي الشرعي (صانوا العلم) أي حفظوه عن المهانة بحفظ أنفسهم عن المذلة وملازمة الظلمة ومصاحبة أهل الدنيا طمعاً لما لهم من جاههم ومالهم وعن الحسد فيما بينهم ووضع المظهر موضع المضمر تفخيماً لشأنه (ووضعوه عند أهله) أي أهل العلم يعني الذين يعرفون قدر العلم من أهل الآخرة ويلازمون العلماء فإن العلم يؤتى ولا يأتي (لسادوا به) أي فاقوا بالسيادة وفضيلة السعادة بسبب الصيانة والوضع عند أهل الكرامة دون أهل الإهانة (أهل زمانهم) أي كمالاً وشرفاً فإن من شأن أهل العلم أن تكون الملوك فمن دونهم تحت أقدامهم وأقلامهم وطوع آرائهم وأحكامهم، قال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة ـ ١١] قال الطيبي: وذلك لأن العلم رفيع القدر يرفع قدر من يصونه عن الابتذال، قال الزهري: العلم ذكر لا يحبه إلا ذكور الرجال، أي الذين يحبون معالي الأمور ويتنزهون عن سفسافها. اهـ. وفي كلام الزهري إيماء بطريق المفهوم والمقابلة إلى أن الدنيا أنثى لا يحبها إلا ناقص العقل والدين فإنهم يحبون المراتب الدنية والله أعلم. (ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا) أي بأن خصوهم به أو ترددوا

الحديث رقم ٢٦٣: أخرجه ابن ماجة ١/ ٩٥ حديث رقم ٢٥٧. والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٣٠٦ حديث رقم ١٨٨٨.

ليَنالوا به من دنياهم؛ فهانوا عليهم. سمعت نبيَّكم ﷺ يقول: «من جعل الهموم هماً واحداً همَّ آخرته، كفاهُ الله همَّ دنياه، ومن تشعَّبتْ به الهمومُ [في] أحوالِ الدنيا، لم يبالِ اللَّهُ في أيِّ أوديَتها هلك». رواه ابن ماجة.

٢٦٤ ـ (٦٧) ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عمر من قوله: «مَن جعلَ الهمومَ» إلى آخره.

٢٦٥ ـ (٦٨) وعن الأعمش، قال: قال رسول الله ﷺ: «آفةُ العلمِ النسيانُ، وإِضاعتُه أن تُحدِّث به غيرَ أهله».

إليهم به (لينالوا به من دنياهم) لا لأجل الدين بالنصيحة والشفاعة وغيرهما (فهانوا) أي أهل العلم ذلوا قدراً (عليهم) أي مستثقلين على أهل الدنيا، وفي بعض النسخ «علمهم» بدل «عليهم» وهو تصحيف لأن هان لازم بمعنى ذل ولا يصلح أن يصير متعدياً إلا أن يقال بنزع الخافض، أي في علمهم وبذله إياهم (سمعت نبيكم ﷺ) قال الطيبي: هذا الخطاب توبيخ للمخاطبين حيث خالفوا أمر نبيهم فخولف بين العبارتين افتناناً (يقول: «من جعل الهموم) أي الهموم التي تطرقه من محن الدنيا وكدرها ومر عيشها (هماً واحداً) قال الطيبي: هم بالأمر يهم إذا عزم عليه. اهـ. أي من اقتصر على هم واحد من الهموم وترك سائر المطالب وبقية المقاصد، وجعل كأنه لا هم [إلا هم] واحد (هم آخرته) بدل من هماً وهو هم الدين (كفاه الله هم دنياه) المشتمل على الهموم يعني كفاه هم دنياه أيضاً (ومن تشعبت) وفي نسخة تشعب (به الهموم) أي تفرقت به يعني مرة اشتغل بهذا الهم وأخرى بهم آخر وهلم جرا (أحوال الدنيا) بدل من الهموم (لم يبال الله) أي لا ينظر إليه نظر رحمة (في أي أوديتها) أي أودية الدنيا، أو أودية الهموم (هلك») يعني لا يكفيه هم دنياه ولا هم أخراه فيكون ممن خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين (رواه ابن ماجة) عن ابن مسعود الحديث بكماله.

٢٦٤ ـ (ورواه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر من قوله:) أي مبتدأ من قوله («من جعل الهموم» الخ) يعني روى المرفوع لا الموقوف.

٢٦٥ ـ (وعن الأعمش) هو من أكابر التابعين وأحد الأعلام المشهورين بعلم الحديث والقراءة، اشتراه رجل من بني كاهل فاعتقه فاجتهد في العلم فصار إماماً علماً (قال: قال رسول الله ﷺ: «آفة العلم النسيان) أي بعد حصوله وإلا فقد قيل: لكل شيء آفة وللعلم آفات، أي قبل التحصيل، قال ابن حجر: فليحذر من أسباب النسيان كالإعراض عن استحضاره والاشتغال بما يشغف القلب من المستحسنات الدنيوية ويذهل العقل من المظاهر الشهوية (وإضاعته) أي جعل العلم ضائعاً (أن تحدث) أي أنت (به غير أهله») بأن لا يفهمه، أو لا يعمل به من أرباب

الحديث رقم ٢٦٤: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر ٧/ ٢٨٩ حديث رقم ١٠٣٤٠.

الحديث رقم ٢٦٥: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ١٥٨ حديث رقم ٦٢٤.

رواه الدارمي مرسلاً.

٢٦٦ ـ (٦٩) وعن سفيان، أنَّ عمرَ بن الخطاب، رضي اللهُ عنه، قال لكَعبٍ: مَنْ أربابُ العِلم؟ قال: الذينَ يَعملونَ بما يعلَمون. قال: فما أخرَجَ العلمَ من قُلوب العلماءِ؟ قال: الطمَعُ. رواه الدارمي.

٢٦٧ ـ (٧٠) وعن الأحوَص بن حكيم، عن أبيه، قال: سألَ رجلٌ النبيَّ ﷺ عن الشرِّ. فقال: «لا تسألوني عن الشرِّ،

الدنيا (**رواه الدارمي مرسلاً**) قال السيد: المراد بالإرسال المعنى اللغوي الذي هو الانقطاع لأن الأعمش لم يسمع من أحد من الصحابة، وإن ثبت سماعه من أنس فالمرسل بالمعنى الإصطلاحي.

٢٦٦ ـ (**وعن سفيان**) أي الثوري، وهو إمام مجتهد في الفقه، وإليه المنتهى في علم الحديث، واجتمع الناس على دينه وزهده وورعه، وكونه ثقة أخذ عنه الإمام مالك وغيره، ذكره المؤلف في التابعين. (**أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب**) أي كعب الأحبار ويقال له: كعب الحبر، وهو من أكابر التابعين وخصه بذلك السؤال لأنه كان ممن علم التوراة وغيرها وأحاط بالعلم الأول (**من أرباب العلم؟**) أي من هم أصحابه عندكم، أو في كتابكم؟ قال الطيبي: أي من ملك العلم ورسخ فيه واستحق أن يسمى بهذا الاسم؟ (**قال: الذين**) أي هم الذين (**يعملون بما يعلمون**) قال الطيبي: وهم الذين سماهم الله الحكماء في قوله تعالى: ﴿**ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً**﴾ [البقرة ـ ٢٦] فمن لم يعمل بعلمه فمثله كمثل الحمار (**قال:**) أي عمر (**فما أخرج العلم**) ما استفهامية، أي أي شيء أخرج العلم أي نوره وثمرته وتأثيره وبركته (**من قلوب العلماء؟**) أي العاملين لما تقدم من أن غير العاملين ليسوا علماء (**قال الطمع**) لأنه يؤدي إلى الرياء والسمعة، والعلم والعمل بدون الإخلاص لا يوصلان السالك إلى مقام الاختصاص؛ فمفهومه أن الورع يدخل العلم في قلوب العلماء جعلنا الله منهم، وقال الطيبي: الفاء جزاء شرط محذوف، والتعريف في العلم للعهد الخارجي وهو ما يعلم من قوله: «من أرباب العلم» أي إذا كان من أرباب العلم من جمع بين العلم والعمل فلما ترك العالم العمل؟ وما الذي دعاه إلى ترك العمل ليعزل عن هذا الاسم؟ قال: الطمع في الدنيا والرغبة فيها والله أعلم. (**رواه الدارمي**) أي موقوفاً.

٢٦٧ ـ (**وعن الأحوص بن حكيم عن أبيه**) لم يذكرهما المصنف في أسمائه (**قال: سأل رجل النبي ﷺ عن الشر**) أي فقط (**فقال: «لا تسألوني**) بالتخفيف فإن لا ناهية (**عن الشر**) فحسب، قال ابن حجر: لأني رؤوف رحيم نبي الرحمة؛ فالمراد النهي عن لازم ذلك من إيهام

الحديث رقم ٢٦٦: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ١٠٢ حديث رقم ٥٨٤.

الحديث رقم ٢٦٧: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ١١٦ حديث رقم ٣٧٠.

وسلوني عن الخير» يقولُها ثلاثاً، ثم قال: «ألا إنَّ شرَّ الشرِّ شِرارُ العُلماءِ، وإنَّ خيرَ الخَيرِ خِيارُ العُلماءِ». رواه الدارمي.

٢٦٨ - (٧١) وعن أبي الدَّرداءِ، قال: إنَّ من أشرِّ الناسِ عندَ اللهِ منزلةً يوم القيامة: عالمٌ لا يَنتفِعُ بعلمِه». رواه الدارمي.

٢٦٩ - (٧٢) وعن زياد بن حُدير، قال: قال لي عُمَرُ: هل تعرفُ ما يَهدِمُ الإسلامَ؟ قال: قلتُ: لا! قال: يهدِمُه زَلَّةُ العالِمِ، وجِدالُ المُنافقِ بالكتاب، وحُكم الأئمةِ المُضِلِّين.

غلبة مظاهر الجلال فيه على مظاهر الجمال، وإلا فالسؤال عن الشر ليجتنب واجب كفاية، أو عينا فكيف ينهى عنه؟ **(وسلوني عن الخير)** إما منفرداً أو منضماً بالسؤال عن الشر **(يقولها: ثلاثاً)** قال الطيبي: حال من فاعل «قال» والضمير المؤنث راجع إلى الجملة أعني لا «تسألوني» الخ، وإنما نهى عن مثل هذا السؤال لأنه نبي الرحمة قال تعالى: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾** [الأنبياء - ١٠٧] قلت: الأقرب أن الضمير راجع إلى الجملة القريبة **(ثم قال: ألا)** بالتخفيف للتنبيه **(إن شر الشر)** أي أعظمه **(شرار العلماء وإن خير الخير خيار العلماء)** قال الطيبي: إنما كانوا شر الشر وخير الخير لأنهم سبب لصلاح العالم وفساده وإليهم تنتمي أمور الدين والدنيا وبهم الحل والعقد. اهـ. أو لأن عذاب شرارهم في العقبى شر العقاب ومراتب خيارهم في منازل الجنة خير مآب والله أعلم بالصواب **(رواه الدارمي)**.

٢٦٨ - **(وعن أبي الدرداء قال: «إن من أشر الناس)** قال الجوهري هو لغة ضعيفة، و «من» زائدة، وعالم خبران كذا قاله الطيبي. وفي القاموس لغة قليلة أو رديئة. اهـ. والصواب إنها قليلة وأن «من» غير زائدة بل هي تبعيضية، والتقدير أن بعض أشرارهم **(عند الله منزلة)** [تمييز] أي مرتبة **(يوم القيامة عالم لا ينتفع)** أي هو **(بعلمه»)** بأن تعلم علماً لا ينفع، أو تعلم علماً شرعياً لكن ما عمل به فإنه من شر من الجاهل، وعذابه أشد من عقابه، كما قيل: ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات، وكما ورد: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه» **(رواه الدارمي)** أي موقوفاً.

٢٦٩ - **(وعن زياد بن حدير)** بضم الحاء وفتح الدال المهملتين بعدها تحتية ساكنة بعدها راء كذا في الأسماء للمصنف، قال في جامع الأصول: تابعي سمع عمر وعلياً **(قال: قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟)** أي يزيل عزته، والهدم في الأصل إسقاط البناء **(قلت: لا)** أي لا أعرف **(قال: يهدمه زلة العالم)** أي عثرته بتقصير منه **(وجدال المنافق)** الذي يظهر السنة ويبطن البدعة **(بالكتاب)** وإنما خص لأن الجدال به أقبح إذ يؤدي إلى الكفر **(وحكم الأئمة)** بالهمزة والياء **(المضلين»)** قال الطيبي: المراد بهدم الإسلام تعطيل أركانه الخمسة في قوله عليه

الحديث رقم ٢٦٨: أخرجه الدارمي ١/ ٩٣ حديث رقم ٢٦٢.

الحديث رقم ٢٦٩: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ٨٢ حديث رقم ٢١٤.

رواه الدارمي.

٢٧٠ ـ (٧٣) وعن الحسن، قال: العلمُ عِلمانِ: فعلمٌ في القلبِ فذاكَ العلمُ النافع، وعلمٌ على اللسانِ فذاكَ حُجّةُ الله عزّ وجل على ابنِ آدم. رواه الدارمي.

٢٧١ ـ (٧٤) وعن أبي هريرة، قال: حفظتُ من رسول الله ﷺ

الصلاة والسلام: «بني الإسلام على خمس الحديث»[1]، وتعطيله إنما يحصل من زلة العالم، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باتباع الهوى، ومن جدال المبتدعة وغلوهم في إقامة البدع، بالتمسك بتأويلاتهم الزائغة، ومن ظهور ظلم الأئمة المضلين وحكم المزوّرين، وإنما قدمت زلة العالم لأنها هي السبب في الخصلتين الأخيرتين كما جاء: «زلة العالِم زلة العالَم». (رواه الدارمي) أي موقوفاً.

٢٧٠ ـ (وعن الحسن) أي البصري (قال: العلم) أي المعرفة أو العلم الشرعي (علمان) أي نوعان (فعلم) الفاء تفصيلية، أي فنوع منه (في القلب) أي حاصل وداخل فيه لا يطلع عليه غير الله (فذاك العلم النافع) إشارة إلى أنه في كمال العلوّ والرفعة لا يناله كل أحد، وفي نسخة صحيحة «فذلك» باللام، ولعل الأولى أولى إيماء إلى أنه ينبغي أن يقرب المرء إلى العلم النافع، كما أنه أورد في القسم الثاني ذلك بلا خلاف إيماء إلى أنه ينبغي أن يبعد عنه، والفاء للسببية، أي فبسبب استقراره في القلب الذي هو محل حب الرب هو العلم النافع في الدارين (وعلم على اللسان) أي ونوع آخر من العلم جارٍ على اللسان ظاهر عليه فقط أو عليه أيضاً، ولكون ما فيه من الخطر لتعلقه بالخلق المقتضي للسمعة والرياء والمداهنة للأمراء قال: (فذلك) أي فبسبب ذلك هو (حجة الله عزّ وجلّ على ابن آدم) لقوله تعالى: ﴿لم تقولون ما لا تفعلون﴾ [الصف ـ ٢] وقد يحمل الأوّل على علم الباطن، والثاني على علم الظاهر، لكن فيه أنه لا يتحقق شيء من علم الباطن إلا بعد التحقق بإصلاح الظاهر كما أن علم الظاهر لا يتم إلا بإصلاح الباطن، ولذا قال الإمام مالك: من تفقه ولم يتصوّف فقد تفسق، ومن تصوّف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق، وقال أبو طالب المكي: هما علمان أصليان لا يستغني أحدهما عن الآخر بمنزلة الإسلام والإيمان مرتبط كل منهما بالآخر كالجسم والقلب لا ينفك أحد عن صاحبه. (رواه الدارمي) أي موقوفاً عليه والمناسب لدأبه أن يقتصر ويقول روى الأحاديث الستة الدارمي.

٢٧١ ـ (وعن أبي هريرة قال: «حفظت من رسول الله) أي من كلامه ﷺ، قال الأبهري: في أكثر الروايات «عن» وفي رواية الكشميهني «من» بدل «عن» وهذا صريح في تلقيه من النبي

---

(١) متفق عليه راجع الحديث رقم ٤.

الحديث رقم ٢٧٠: أخرجه الدارمي ١/ ١١٤ حديث رقم ٣٦٤.

الحديث رقم ٢٧١: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٢١٦ حديث رقم ١٢٠.

وعاءين؛ فأمّا أحدهما فبثثته فيكم، وأمّا الآخرُ فلو بثثتُه قُطعَ هذا البُلعوم ـ يعني مجرى الطعام. رواه البخاري.

٢٧٢ ـ (٧٥)وعن عبد اللّهِ بن مسعود، قال: يا أيُّها النّاسُ! مَن عَلِمَ شيئاً فليقلْ به، ومَن لم يَعلمْ فليَقُل: اللّهُ أعلمُ،

ﷺ بلا واسطة (وعاءين) أي نوعين كثيرين من العلم ملء ظرفين متساويين (فأما[1] أحدهما) وهو علم الظاهر من الأحكام والأخلاق (فبثثته) أي أظهرته بالنقل (فيكم وأما الآخر) وهو علم الباطن (فلو بثثته) أي نشرته وذكرته لكم بالتفصيل (قطع هذا البلعوم) بضم الباء، أي الحلقوم لأن أسرار حقيقة التوحيد مما يعسر التعبير عنه على وجه المراد، ولذا كل من نطق به وقع في توهيم الحلول والاتحاد، إذ فهم العوام قاصر عن إدراك المرام. ومن كلام الصوفية صدور الأحرار قبور الأسرار، وقوله: «قطع» يحتمل الإخبار مما يتوقع. ويحتمل الدعاء مبالغة في أسرار الأسرار كما هو دأب الخلص من الأبرار، وقيل: إنه علم يتعلق بالمنافقين بأعيانهم، أو بولاة الجور من بني أمية، أو بفتن أخرى في زمنه، وقال الأبهري: حمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها يتبين أسامي أمراء الجور وأحوالهم وذمهم، وكان أبو هريرة يكني عن بعضه ولا يصرح به خوفاً على نفسه منهم كقوله: [رضي الله عنه] أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية لأنها كانت سنة ستين من الهجرة واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها بسنة. (يعني مجرى الطعام؛) تفسير من بعض رواة الحديث (رواه البخاري) لكن قال العسقلاني: زاد في رواية المستملي قال أبو عبد الله: البلعوم مجرى الطعام وعلى هذا لا يخفى ما في المشكاة إذ يفهم منه أن تلك العبارة من أبي هريرة أو أحد رواته ولا يفهم منه إنها للبخاري والله أعلم.

٢٧٢ ـ (وعن عبد الله) إذا أطلق فهو ابن مسعود (قال: «يا أيها الناس) يشمل العلماء وغيرهم (من علم شيئاً) من علوم الدين فسأله عنه من هو متأهل لفهم جوابه (فليقل به) أي بذلك الشيء المعلوم لوخيم عذاب ستره ولعظيم ثواب نشره (ومن لم يعلم فليقل:) أي في الجواب (الله أعلم) كما قالت الملائكة: ﴿لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾ [البقرة ـ ٣٢] ولا يستحي في نفي العلم عن نفسه؛ فإن جهل الإنسان أكثر من علمه، قال تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ [الإسراء ـ ٨٥] فمعناه الله أكثر علماً، وقال ابن حجر: أعلم بمعنى عالم لاستحالة المشاركة، قلت: المشاركة الاستقلالية هي المستحيلة، وذكر الزمخشري في ربيع الأبرار أن علياً كرم الله وجهه سئل عن شيء وهو على المنبر فقال: لا أدري، فقيل: كيف تقول لا أدري وأنت طلعت فوق المنبر؟ فقال رضي الله عنه: إنما طلعت بقدر علمي ولو طلعت بمقدار

(١) في المخطوطة «فما».

الحديث رقم ٢٧٢: أخرجه البخاري من حديث طويل ٨/ ٥٤٧ حديث رقم ٤٨٠٩. وكذلك مسلم ٤/ ٢١٥٥ حديث رقم (٣٩ ـ ٢٧٩٨). وأخرجه الدارمي بلفظ المشكاة ١/ ٧٣ حديث رقم ١٧٣.

فإنَّ من العلم أن تقولَ لما لا تعلم: اللهُ أعلم. قال اللهُ تعالى لنبيّه: ﴿**قُل ما أسألُكم عليه من أجرٍ وما أنا من المتكلّفين**﴾ متفق عليه.

٢٧٣ ـ (٧٦) وعن ابن سيرين، قال: إنَّ هذا العلمَ دِينٌ؛ فانظروا عمَّن تأخُذون دينَكم. رواه مسلم.

٢٧٤ ـ (٧٧) وعن حُذيفةَ، قال: يا معشرَ القُرّاء!

جهلي لبلغت السماء. (**فإن من العلم**) أي من آدابه الواجب رعايتها وجوباً عينياً متأكداً على كل من نسب للعلم أو التقدير فإن من جملة العلم وهو خبران واسمه (**أن تقول لما لا تعلم:**) بالخطاب فيهما، وقيل: بالغيبة، أي لأجله أو عنه (**الله أعلم**) أي ونحوه، قال الأبهري: فإن تمييز المعلوم من المجهول نوع من العلم وهو المناسب لما قيل: لا أدري نصف العلم. اهـ. ويقال لمن ليس له هذا التمييز: جهله مركب، ومن ثم اشتد خوف السلف من الإفتاء فكثر امتناعهم منه، حتى أن مالكاً سئل عن أربعين مسئلة فأجاب عن أربعة وقال في ست وثلاثين: لا أدري، ثم استدل لما ذكره من امتناع التكلف والتصنع في الجواب المؤدي إلى الإفتاء بالباطل بقوله: (**قال الله تعالى لنبيه:**) وهو أعلم الخلق (﴿**قل ما أسألكم عليه**﴾) أي على التبليغ (﴿**من أجر**﴾) أي آخذه منكم (﴿**وما أنا من المتكلفين**﴾)[1] أي من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله كذا قاله ميرك شاه، ومن ثم لما سئل الصديق عن الأب في ﴿**فاكهة**﴾ [عبس: ٣١] ﴿**وأبا**﴾ قال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به[2] (**متفق عليه**).

٢٧٣ ـ (**وعن ابن سيرين**) وهو محمد بن سيرين مولى أنس بن مالك، وهو من مشاهير التابعين وهو غير منصرف للعلمية والمزيدتين على مذهب أبي علي في اعتبار مجرد الزائدتين (**قال: «إن هذا العلم دين**) اللام للعهد، وهو ما جاء به النبي ﷺ لتعليم الخلق من الكتاب والسنة وهما أصول الدين (**فانظروا عمن تأخذون دينكم**) المراد الأخذ من العدول والثقات و«عن» متعلق «بتأخذون» على تضمين معنى تروون[3]، ودخول الجار على الاستفهام هنا كدخوله في قوله تعالى: ﴿**على من تنزل الشياطين**﴾ [الشعراء ـ ٢٢١] وتقديره أعمن تأخذون، وضمن أنظر معنى العلم والجملة الاستفهامية سدت مسد المفعولين تعليقاً كذا حققه الطيبي. (**رواه مسلم**).

٢٧٤ ـ (**وعن حذيفة قال: «يا معشر القراء**) أي الذين يحفظون القرآن قاله الطيبي، وقال

---

(١) سورة ص آية ٨٦. (٢) ذكره ابن كثير ٤/ ٤٧٣.

الحديث رقم ٢٧٣: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٤ في المقدمة. وأخرجه الدارمي في السنن ١/ ١٢٤ حديث رقم ٤١٩.

(٣) في المخطوطة «تردون».

الحديث رقم ٢٧٤: أخرجه البخاري ١٣/ ٢٥٠ حديث رقم ٧٢٨٢.

استقيموا، فقد سَبَقتُم سَبقاً بعيداً، وإنْ أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضَلَلتم ضلالاً بعيداً. رواه البخاري.

٢٧٥ ـ (٧٨) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تعوّذوا بالله من جُبِّ الحَزَن». قالوا: يا

الأبهري: قال الشيخ: المراد بهم العلماء بالقرآن والسنة. ا هـ. فكأنه نوع من التغليب أو القراء في ذلك الزمان كانوا جامعين بين القرآن والسنة، ولذا ورد: «الأولى بالإمامة الأقرأ»، وأما قول ابن حجر: أي الذين يحفظون القرآن بألسنتهم فقط، ومن ثم ورد أكثر منافقي أمتي قراؤها فلا وجه له تقييداً وتعليلاً (استقيموا) أي على جادة الشريعة والطريقة والحقيقة، فإن الاستقامة خير من ألف كرامة، وهي الثبات على العقيدة الصحيحة والمداومة على العلم النافع والعمل الصالح والإخلاص الخالص والحضور مع الله والغيبة عن شهود ما سواه، وقال الأبهري: الاستقامة كناية عن أمر الله فعلاً وتركاً (فقد سبقتم) قيل: الرواية الصحيحة بفتح السين والباء والمشهور ضم السين وكسر الباء، والمعنى على الأوّل اسلكوا طريق الاستقامة لأنكم أدركتم أوائل الإسلام؛ فإن تتمسكوا بالكتاب والسنة تسبقوا إلى خير إذ من جاء بعدكم وإن عمل بعملكم لم يصل إليكم لسبقكم إلى الإسلام ومرتبة المتبوع فوق مرتبة التابع، وعلى الثاني أي سبقكم المتصفون بتلك الاستقامة إلى الله فكيف ترضون لنفوسكم هذا التخلف المؤدي إلى الانحراف عن سنن الاستقامة يميناً وشمالاً الموجب للهلاك الأبدي؟ (سبقاً بعيداً) أي ظاهر التفاوت (وإن أخذتم يميناً وشمالاً) أي بالإعراض عن الجادة والدخول في طرق الضلالة (لقد[1] ضللتم ضلالاً بعيداً) أي عن الحق بحيث يبعد رجوعكم عنه إليه كما قال تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ [الأنعام ـ ١٥٣] قال الطيبي: الناس مخلوقون للعبادة ولا تتم إلا بالإخلاص، والمقصود منهما التقرب إلى الله تعالى، وكان العبد يتحرى فيهما السير إلى الله عزّ وجلّ، ويتوخى سلوك طريق الاستقامة ليوصله إلى المقصود، والطريق هو الإسلام والاستسلام؛ فمن سلك الطريق وثبت عليها ولم يأخذ يميناً وشمالاً فقد فاز وسبق، ومن ركب متن الرياء أخذ عن يمين الصراط وشماله، ثم إذا ثبت المرائي على اعوجاجه ولم يرجع إلى الصراط المستقيم هام في أودية الضلال وأداه الشرك الأصغر إلى الشرك الأكبر أعاذنا الله منه، وهو المراد من قوله: ضلالاً بعيداً (رواه البخاري).

٢٧٥ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تعوذوا بالله من جب الحزن) بضم الحاء وسكون الزاي وبفتحهما، أي من بئر فيها الحزن لا غير، قال الطيبي: جب الحزن علم والإضافة فيه كما هي في دار الإسلام، أي في دار فيها السلامة من كل حزن وآفة (قالوا: يا

(١) في المخطوطة «فقد».

الحديث رقم ٢٧٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٥١٢ حديث رقم ٢٣٨٣ وقال حسن غريب. وأخرجه ابن ماجة ١/٩٤ حديث رقم ٢٥٦.

رسولَ الله! وما جُبُّ الحزن؟ قال: «وادٍ في جهنّم تتعوّذُ منه جهنم كلَّ يومٍ أربعمائة مرة». قيل: يا رسولَ الله! ومَن يَدْخُلُها؟ قال: «القُرّاء المُراؤون بأعمالِهم». رواه الترمذي، وكذا ابن ماجة، وزاد فيه: «وإنَّ من أبغضِ القُرّاء إلى الله [تعالى] الذينَ يزورونَ الأمراء». قال المحاربي: يعني الجَوَرةَ.

٢٧٦ ـ (٧٩) وعن علي، قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشِكُ أنْ يأتي على الناسِ زمانٌ

رسول الله وما جب الحزن؟ قال: وادٍ) أي هو واد عميق من كمال عمقه يشبه البئر (في جهنم تتعوّذ) بالتذكير للفصل، وقيل: بالتأنيث (منه) أي من شدة عذابه (جهنم) مع اشتمالها عليه، قال الطيبي: التعوّذ من جهنم هنا كالنطق منها في قوله تعالى: ﴿هل من مزيد﴾ [ق ـ ٣٠] وكالتميز والتغيظ في قوله تعالى ﴿تكاد تميز من الغيظ﴾ [الملك ـ ٨] والظاهر أن يجري ذلك على المتعارف لأنه تعالى قادر على كل شيء، الكشاف سؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتبيينه، وتمييزها وتغيظها تشبيه لشدة غليانها بالكفار بغيظ المغتاظ وتميزه واضطرابه عند الغضب (كل يوم) يحتمل النهار والوقت (أربعمائة مرة) لعل خصوص العدد باعتبار جهاتها الأربعة، يعني كل جهة مائة، وهو يحتمل التحديد والتكثير، ويمكن أن يقدر مضاف، أي يتعوذ زبانيتها أو أهلها (قيل: يا رسول الله ومن يدخلها؟) أي تلك البقعة المسماة بجب الحزن التي ذكر شدتها، وهو عطف على محذوف، أي ذلك شيء عظيم هائل فمن الذي يستحقها ومن الذي يدخل فيها؟ (قال: القراء) بضم القاف، أي الرجل المتنسك، يقال: تقرأ تنسك، أي تعبد والجمع القراؤون وقد يكون القراء جمع القارىء كذا قاله الطيبي: وفي القاموس القراء ككتان الحسن القراءة وكرمان الناسك المتعبد كالقارىء، والمقرىء (المراؤون بأعمالهم) السماعون بأقوالهم (رواه الترمذي وكذا ابن ماجة وزاد) أي ابن ماجة (فيه) أي في حديثه أو مرويه (وإن من أبغض القراء إلى الله تعالى) قيل أي من القراء المذكورين وهم المراؤون قرائين مخصوصين (وهم الذين يزورون الأمراء) أي من غير ضرورة تلجئهم بهم بل طمعاً في مالهم وجاههم، ولذا قيل: بئس الفقير على باب الأمير، ونعم الأمير على باب الفقير؛ فإن الأول مشعر بأنه متوجه إلى الدنيا، والثاني مشير بأنه متقرب إلى الأخرى (قال المحاربي:) أحد رواة الحديث (يعني الجورة) جمع جائر، أي الظلمة لأن زيارة الأمير العادل عبادة.

٢٧٦ ـ (وعن علي) رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك) أي يقرب (أن يأتي على الناس زمان) أي فاسد لفساد أهله قال الطيبي: أتى متعدٍ إلى مفعول واحد بلا واسطة فعدى بعلى ليشعر بأن الزمان عليهم حينئذ بعد أن كان لهم، قال ميرك شاه: أقول: الأظهر أن يقال: ضمن أتى معنى الإقبال [أ] و المرور فعدى بعلى. ا هـ. قلت: يؤيد كلام الطيبي ما في

الحديث رقم ٢٧٦: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣١١/٢ حديث رقم ١٩٠٨.

لا يبقى من الإسلام إلا اسمُه، ولا يبقى من القُرآن إلا رَسمُه، مساجِدُهم عامرةٌ وهي خَرابٌ من الهُدى، عُلماؤُهم شرُّ مَنْ تحتَ أديمِ السَّماء، مِن عندِهم تخرُجُ الفِتنةُ، وفيهم تعودُ». رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

القاموس أتى عليه الدهر أهلكه مع أن كلام الطيبي لا ينافي التضمين، ثم لا خفاء أنه لا يقال: يوشك [أن يقبل على الناس زمان] إلا في مقام المدح والمرور أكثر تعديته بالباء **(لا يبقى من الإسلام)** أي شعائره **(إلا اسمه)** أي [ما] يصح إطلاق اسم الإسلام عليه كلفظة الصلاة والزكاة والحج **(ولا يبقى من القرآن)** أي من علومه وآدابه **(إلا رسمه)** أي أثره الظاهر من قراءة لفظه وكتابة خطه بطريق الرسم والعادة لا على جهة تحصيل العلم والعبادة، قال الطيبي: خص القرآن بالرسم والإسلام بالاسم دلالة على مراعاة القراء لفظ القرآن من التجويد في حفظ مخارج حروفه وتحسين الألحان فيه دون التفكر في معانيه والامتثال بأوامره والانتهاء عن نواهيه، وليس كذلك الإسلام فإن الاسم باقٍ والمسمى مدروس؛ فإن الزكاة التي شرعت للشفقة على خلق الله تعالى اندرست ولم يبق منها عين ولا أثر، وأكثر الناس ساهون عن الصلاة تاركوها، وليس أحدهم يأمرهم بالمعروف فيقيمونها وينهى عن المنكر فيتركونها. ا هـ. قلت: ومن مناسبة الرسم بالقرآن أن محافظة آداب كيفية كتابة كلماته من الوصل والفصل والمجرور والمربوط والحذف والإثبات وغيرها مما يسمى بعلم الرسم وهو من جملة علوم القرآن التي اندرست في هذا الزمان **(مساجدهم عامرة)** أي بالأبنية المرتفعة والجدران المنقشة والقناديل المسرجة والبسط المفروشة والأئمة والمؤذنة الجهلة الموظفة من الأموال المحرمة وغيرها من الأمور المنكرة **(وهي)** أي المساجد أو أهلها **(خراب من الهدى)** أي من ذي الهدى أو الهادي، لأنه لو وجد الهادي لوجد الهدى فاطلق الهدى وأريد الهادي على سبيل الكناية، وهو يحتمل معنيين: أحدهما أن خراب المساجد من أجل عدم الهادي الذي ينفع الناس بهداه في أبواب الدين ويرشدهم إلى طريق الخير، وثانيهما أن خرابها لوجود هداة السوء الذين يزيغون الناس ببدعتهم وضلالتهم وتسميتهم بالهداة من باب التهكم، ولذا عقب هذه الجملة على سبيل الاستئناف لبيان الموجب بقوله: **(علماؤهم شر من تحت أديم السماء)** أي وجهها وكذا أديم الأرض وهو صعيدها، قيل: ومنه اشتق آدم لأن جسده من أديم الأرض كذا قاله الطيبي، وقال السيد: أقول الظاهر أن المراد بكون مساجدهم عامرة عمارة بنائها الظاهر ويكونها خراباً من الهدى تركهم إياها عاطلة من الصلاة والجماعة وإقامة الآذان فيها ووضع المصابيح والسرج فيها وغيرها، وإنما عبر عنها بالهدى لأنها سبب هداية الشخص. ا هـ. أو التقدير من آثار الهداية أو أهلها والله أعلم. **(من عندهم تخرج الفتنة)** أي للناس لما مر أن فساد العالم فساد العالَم **(وفيهم تعود)** قال الطيبي: في مثلها في قوله تعالى: **﴿أو لتعودن في ملتنا﴾** [الأعراف ـ ٨٨] وقوله تعالى: **﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾** [طه ـ ٧١] أي يستقر عود ضررهم فيهم ويتمكن منهم. ا هـ. والمشهور في جذوع النخل أنها بمعنى على فكان الاكتفاء بالآية [الأولى] أولى **(رواه البيهقي في شعب الإيمان)**.

٢٧٧ ـ (٨٠) وعن زياد بن لَبيد، قال: ذكر النبيُّ ﷺ شيئاً، فقال: «ذاك عند أوانِ ذهابِ العلم». قلتُ: يا رسولَ الله! وكيفَ يذهبُ العلمُ ونحنُ نقرأُ القرآنَ ونقرئُه أبناءَنا، ويُقرئُه أبناؤنا أبناءَهم إلى يوم القيامة؟ فقال: «ثكلتْك أمُّك زيادُ! إن كنتُ لأراكَ من أفقه رجُلٍ بالمدينة! أوَ ليْسَ هذه اليهودُ والنَّصارى يقرؤونَ التَّوراةَ والإنجيلَ لا يَعملونَ بشيءٍ ممَّا فيهما؟!». رواه أحمد، وابن ماجة، وروى الترمذي عنه نحوه.

٢٧٨ ـ (٨١) وكذا الدَّارِميُّ عن أبي أمامة.

---

٢٧٧ ـ (وعن زياد بن لبيد) أنصاري خرج إلى رسول الله ﷺ وأقام بمكة، ثم هاجر مع رسول الله ﷺ، وكان يقال[1] له: مهاجري أنصاري (قال: ذكر النبي ﷺ شيئاً) أي هائلاً (فقال: «ذلك») وفي نسخة «ذاك»، أي الشيء المخوف يقع (عند أوان ذهاب العلم) أي وقت اندراسه (قلت: يا رسول الله وكيف يذهب العلم؟) الواو للعطف، أي متى يقع ذلك المهول وكيف يذهب العلم؟ (ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة) يعني والحال أن القرآن مستمر بين الناس إلى يوم القيامة كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر ـ ٩] ولما أجمعوا على بقاء القرآن إلى أن يرفع[2] قرب الساعة، فالمعنى مع وجوده كيف يذهب العلم؟ (فقال: ثكلتك أمك) أي فقدتك، وأصله الدعاء بالموت ثم يستعمل في التعجب (زياد) أي يا زياد (إن كنت) إن مخففة من الثقيلة بدليل اللام الآتية الفارقة، واسمها ضمير الشأن محذوف، أي أن الشأن كنت أنا (لأراك) بضم الهمزة، أي لأظنك أو بفتحها، أي لأعلمك (من أفقه رجل بالمدينة) ثاني مفعولي أراك، و «من» زائدة في الإثبات، أي على مذهب الأخفش، أو متعلقة بمحذوف، أي كائناً كذا قاله الطيبي. والأظهر الثاني ولا نظر لأفراد رجل لأن المراد به الاستغراق (أو ليس) أي أتقول هذا الكلام وليس (هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل) أي آباؤهم وأبناؤهم (لا يعملون بشيء مما فيهما) أي فكما لم تفدهم قراءتهما مع عدم العلم بما فيهما فكذلك أنتم والجملة حال من يقرؤون، أي يقرؤون غير عالمين نزل العالم الذي لا يعمل بعلمه منزلة الجاهل بل منزلة الحمار الذي يحمل أسفاراً بل أولئك كالأنعام بل هم أضل (رواه أحمد وابن ماجة) بهذا اللفظ (وروى الترمذي عنه) أي عن زياد (نحوه) أي نحو هذا اللفظ وهو معناه.

٢٧٨ ـ (وكذا الدارمي) أي رواه بمعناه لكن (عن أبي أمامة) [لا عن زياد].

الحديث رقم ٢٧٧: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٦٠. وأخرجه ابن ماجة في سننه ٢/ ١٣٤٤ حديث رقم ٤٠٤٨ وأخرج الترمذي نحوه عن أبي الدرداء في السنن ٥/ ٣١ حديث رقم ٢٦٥٣.

(١) في المخطوطة «يقول». (٢) في المخطوطة يرجع.

الحديث رقم ٢٧٨: الدارمي ١/ ٨٩ حديث رقم ٢٤٠.

٢٧٩ ـ (٨٢) وعن ابن مسعود، قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «تعلَّموا العلمَ وعلِّموهُ النَّاسَ، تعلَّموا الفرائضَ وعلِّموها النَّاسَ، تعلَّموا القُرآنَ وعلِّموه النَّاسَ؛ فإنّي امرؤٌ مقبوضٌ، والعِلْمُ سيُنقبضُ، وتظهرُ الفِتنُ حتى يختلِفَ اثنانِ في فريضةٍ لا يجدانِ أحداً يَفصِلُ بينهما». رواه الدارمي، والدارقطني.

٢٨٠ ـ (٨٣) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَثَلُ عِلمٍ لا يُنتفعُ به كمثَلِ كَنزٍ لا يُنفَقُ منه في سَبيلِ الله». رواه أحمد، والدارمي.

---

٢٧٩ ـ (وعن ابن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ:) وهو يحتمل أنه كان وحده أو خصه بالخطاب وعم الحكم بقوله[1]: (تعلموا العلم) أو الجمع للتعظيم، والمراد بالعلم علم الشريعة بأنواعها (وعلموه الناس) لتكونوا كاملين مكملين (تعلموا الفرائض) أي علمها خصوصاً سواء أريد بها فرائض الإسلام أو فرائض الإرث (وعلموه الناس) أي هذا العلم؛ فالضمير إلى المضاف المقدر، وفي نسخة صحيحة «وعلموها الناس فإن علمها أهم وثوابها أتم» (تعلموا القرآن وعلموه الناس) وهو تخصيص من وجه وتعميم من وجه وعلى كل فتأخيره للترقي؛ فإن الاهتمام بحفظه ولو بلفظه أوجب، فإنه معجزة مستمرة بعده عليه الصلاة والسلام. (فإني امرؤ مقبوض) قال الطيبي هو كقوله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾، أي كوني امرأ مثلكم علة لكوني مقبوضاً لا أعيش أبداً فاغتنموا فرصة حياتي. (والعلم سينتقص بعدي) لأن بعد كل كمال نقصاناً وزوالاً، وفي نسخة «سينقبض»[2]، أي بقبضي أو بغيره، وفي نسخة «سيُقبض» مجهول مجرد، أي بقبض أهله (وتظهر الفتن) الواو لمجرد الجمعية، فيمكن أن يكون قبض العلم سبب الفتنة، أو هي سبب قبض العلم (حتى يختلف) يجوز أن يتعلق بكل من الفعلين السابقين (اثنان) أي متكلمان أو وارثان (في فريضة) من فرائض الإسلام أو من فرائض الميراث (لا يجدان أحداً يفصل بينهما») لقلة العلم أو لكثرة الفتنة (رواه الدارمي والدارقطني).

٢٨٠ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل علم لا ينتفع به) أي بالعمل والتعليم ولو كان العلم في نفسه نافعاً (كمثل كنز لا ينفق منه في سبيل الله») أي لا على نفسه ولا على غيره في الجهاد وسائر وجوه الخير، قال الطيبي: التشبيه في عدم النفع والانتفاع والإنفاق منهما لا في أمر آخر وكيف لا؟ والعلم يزيد بالإنفاق والكنز ينقص والعلم باق والكنز فان (رواه أحمد والدارمي).

تم الجز الأول، ويليه الجزء الثاني

وأوله «كتاب الطهارة»

الحديث رقم ٢٧٩: أخرجه الدارمي ١/ ٨٣ حديث رقم ٢٢١. وأخرجه الدارقطني ٤/ ٨١ حديث ٤٥.

(١) في المخطوطة «بقوم».

(٢) في المخطوطة «سيقبض».

الحديث رقم ٢٨٠: أحمد في مسنده ٢/ ٤٩٩. وأخرجه الدارمي ١/ ١٤٨ حديث رقم ٥٥٦.

الفهرس

كتاب الإيمان

كتاب العلم